

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الجمهورية اليمنية
جامعة صنعاء
نيابة الدراسات العليا
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

القراءات القرآنية في تفسير (التَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ) لابن عاشور
((دراسة لغوية))

رسالة الدكتوراه

إعداد الطالب / سالم بن مبارك بن محمد بن حسن بن عبيد الله

إشراف الأستاذ الدكتور :

علي بن محمد بن غالب المخلافي

م ٢٠١١

العام ١٤٣٢ هـ

قال تعالى :

﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾

﴿۲﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿۳﴾

﴿۴﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿۱﴾

^١ سورة الرحمن / ١ - ٤ .

الإهداء

- إلى والدي اللّذي غرس في قلبي حبّ كتاب الله - رحمه الله - ، وإلى والدتي اللّتي أنعم بدعواتها الصّالحات .

- وإلى العلماء العاملين ، والرّوّاء اللّذين سحّروا أوقاتهم لخدمة كتاب الله تعالى .

- وإلى شيوخي ، وأساتذتي اللّذين كان لهم أثر كبير في تربيتي .

- وإلى كلّ من كان له فضلٌ عليّ .

إلى هؤلاء جميعاً أهدي ثمرة جهدي ..

الباحث :

سالم بن مبارك بن عبيدالله

شكر وتقدير

اللهم لك الحمدُ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ملء السموات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، أشكرك ربّي على نعمك التي لا تعد، وآلائك التي لا تحُد، أحمّدك ربّي وأشكرك على أن يسّرت لي إتمام هذا البحث على الوجه الذي أرجو أن ترضى به عني.

ثمّ أتوجّه بالشكر إلى أستاذي ومشرفي الفاضل الأستاذ الدكتور: **عليّ بن محمّد بن غالب المخلافيّ**، لتفضّله بقبول الإشراف على هذه الرسالة، حيث فتح لي قلبه، وبيّنه، وجاد عليّ بإرشاداته السديّدة، وتوجيهاته المفيدة، ولم يخل عليّ بنصح أو توجيه، وقد منحنني الكثير الكثير من وقته الثمين، رغم كثرة مشاغله، كما منحنني من علمه ما يعجز مثلي عن مكافأته، ولقد كان لخلقهِ العظيم، وصره الجميل، الأثر الكبير في خروج هذه الرسالة بهذه الصورة، أسأل الله تعالى أن يبارك له في علمه ورزقه وذريّته، إنّه مجيب الدعاء.

وأتوجّه بالشكر الجزيل إلى جميع أساتذتي الفضلاء في قسم اللّغة العربيّة في كليّة الآداب والتربية بجامعة صنعاء الذين لم يألوا جهداً في توجيهي وإمدادي بما احتجت إليه، ولم يخلوا عليّ بالرأي السديد، والنصح والتصويب، ولم يألوا جهداً في توجيهي بما يعين على إخراج البحث في أبهى صورته و أزهى حلّته ، فجزاهم الله عني خيراً .

ويوجب عليّ الاعتراف بالفضل أن أشكر الأساتذة الفضلاء في جامعتي صنعاء وحضرموت رئاسة وعمادة بحث علمي وإدارة، في تعاونهم معي في تيسير مسيرتي العلميّة هذه.

كما أتوجّه بخالص الشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل عضو لجنة المناقشة:

فضيلة الأستاذ الدكتور / عبدالوهاب راوح

فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الله الهتاري

على تفضّلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، وإثرائها بالتوجيهات النّافعة، والإرشادات الصّائبة، والملاحظات القيّمة، فهم أهل لسدّ خللها وتقويم معوجّها وتهذيب نتواتها والإبانة عن

مواطنِ القصورِ فيها، فلهم مَنِّي الدُّعاءُ بالبركةِ في علمهم، ورزقهم وذريتهم، ممزوجاً بالمحبةِ والعرفانِ
بالجميل.

كما أشكرُ جميعَ الأخوةِ القائمينَ على المكتباتِ التي تزوّدتُ منها مادةَ هذا البحثِ.
ولا يُفوتُني أنْ أتوجّهَ بالشُّكرِ والعرفانِ إلى كلِّ منْ مدَّ يدَ العونِ والمساعدةِ، وكالأنيِّ بعينِ الرِّعايةِ،
وأسدى لي نصحاً أو عوناً أو توجيهاً أو إرشاداً ، حتّى تمكّنتُ من إنجازِ عملي على هذه الصُّورة

الباحث

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، معلّم البرية أجمعين، وعلى آله وصحبه والتابعين، الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والحمد لله الذي خلق الإنسان علمه البيان، والحمد لله الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين محمد ﷺ الذي أنزل عليه القرآن الكريم، فعلمه لأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، وتولى حفظه عنهم جيلاً بعد جيلٍ إلى وقتنا هذا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ ، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، رغبنا في حفظ القرآن، وتعليمه فقال ﷺ: ((خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ، وَعَلَّمَهُ)) ، فصلّى الله عليه، وعلى آله، وأصحابه، ومن اهتدى بهديه، وسار على نهجه وخطاه إلى يوم الدين.

وبعد :

فلقد كنت منذ نشأتي مقبلاً على القرآن الكريم شغوفاً بعلومه، وكنت محباً للمفسرين، وخاصة الذين يهتمون بالدراسات اللغوية، والقراءات القرآنية، وكنت أحب أن أطلع على كتبهم وآرائهم، وفي أثناء البحث والمتابعة لأجل اختيار عنوان موضوع بحثي، وبعد كثير من المشاورة مع أساتذتي الأفاضل في كليتي الآداب والتربية بجامعة صنعاء وحضرموت، وقع اختياري على هذا العنوان: ((القراءات القرآنية في تفسير (التحرير والتنوير) لابن عاشور، ((دراسة لغوية)))) ، ليكون موضوع رسالتي للدكتوراه، وقد وقع اختياري على دراسة القراءات القرآنية في تفسير ابن عاشور؛ لما في القراءات من مادة صوتية، وصرفية، ونحوية، ودلالية غزيرة، ولأن الاشتغال بها يعد من الاشتغال بالدراسات اللغوية في القرآن الكريم؛ وخدمة لكتاب الله تعالى لكشف بعض أسرار

التعبير القرآني، واختيار الكلمة، وما يترتب على هذا الاختيار من استنباط المعاني المتعلقة بالجانب اللغوي في القرآن الكريم.

وقد جاء هذا الكتاب خطاباً عاماً للأمم كافة في كل زمان، وفي أي مكان؛ لذلك راعى اختلاف عقول الناس، وما تستوعبه منه، فاشتمل على الدقائق التي لا يطلع عليها إلا بصيرٌ حصيفٌ؛ ومع ذلك فقد اعترض بعض أهل النحو على بعض قراءاته الثابتة، زاعمين أنها خالفت قواعد النحو، وقد أخطأوا - فيما أعتقد - في قياس آيات القرآن الكريم على قواعد النحو؛ لأن القرآن الكريم هو كلام الله المعجز لأساطين البيان والبلاغة، ومنه تُستنبط قواعدها، وعلى ضوء آياته تُصَبِّطُ اللُّغَةُ، وتُصحَّحُ هيئاتها .

ومن خلال بحثي هذا حاولت أن أثبت خطأ هذه الظاهرة، ويثبت خطأهم في توجيه بعض القراءات التي ادَّعَوْا أنها خالفت قواعد العربية، وأوضح أنها لم تخالفها بل لها في وجوه العربية ما يؤيدها.

لذا أحببت أن أدلي بدلوي في تصحيح هذه المفاهيم الخاطئة.

وقد وقع اختياري على تفسير ((التحرير والتنوير)) لما له من مكانة رفيعة بين التفاسير، فقد جمع فيه ابن عاشور كثيراً من مقاصد الشريعة الإسلامية، والفقه وأحكامه، واللغة ونحوها، والقراءة وتوجيهها، كما جمع فيه الكثير من مسائل الإعجاز العلمي، والإعجاز البلاغي بالإضافة إلى علوم العربية؛ ولأن كاتبه - ابن عاشور - دارسٌ وناقِدٌ وفقيةً ومتكلمٌ وأديبٌ ولغويٌّ، فجدُّ في تفسيره الرَّدُّ على أهل اللغة، وأصحاب الموسوعات القديمة، والحديثة، يستدرِكُ مرَّةً ويضيفُ أخرى، وينحو باللائمة على هذا العالم، في هذا الموضوع، ويرفع من شأنه في الموضوع الثاني، ويبيد تفرُّده في الموضوع الثالث. وابن عاشور لم يكن عارضاً، أو ناقلاً لآراء المفسرين والعلماء فحسب، فلم يكن عالماً، بل أضاف إلى التفاسير التي سبقته ما لم يكن فيها، وكان محققاً في وصفه عندما قال: ((إنَّ فيه أحسن ما في التفاسير، وفيه أحسن مما في التفاسير)) .

^١ التحرير والتنوير ((تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد))، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس ط ١، ١٩٨٤هـ / ٢ .

وهذا التفسير يعدُّ دائرة معارف أو موسوعةً علميةً متعدّدة التخصصات جمعت بين علوم شتى وفنون كثيرة. فالقيمة العلمية للتفسير، وتناوله للقراءات المبنوثة فيه بصفة خاصة، هما اللذان دفعاني إلى اختياره موضوعاً لهذه الدراسة. وقد جعلتُ دراستي تنصبُّ حول مقاييس معيّنة، تمّ اختيارها على سبيل القصد، وذلك لما تميّز به من عمقٍ يؤكّد علو النظم القرآني ودقّته، ويشهد على خصوبة النصّ القرآني، وثرائه على مستوى التراكيب، وعلى مستوى الألفاظ، ودلالاتها التي تجدُّ لها متنفساً أسلوبياً في النصّ القرآني لا تجده في غيره.

الباعثُ على اختيار الموضوع

هناك أسبابٌ متعدّدة دفعني إلى اختيار هذا الموضوع، منها :

١. الرغبة في خدمة كتاب الله تعالى قراءةً وبحثاً.
٢. الإسهام ولو بجهد متواضع في الدراسات اللغوية القرآنية التي تكشف جانباً من الإعجاز اللغوي في النظم القرآني الكريم.
٣. محاولة معرفة أثر القراءات القرآنية في الدراسات اللغوية بوصفها مصدراً من مصادرها.
٤. جمع القراءات القرآنية المضمّنة في تفسير ابن عاشور ودراستها، ومعرفة أوجه الاختلاف، والاتفاق بين هذا التفسير، وبعض التفسير الأخرى في تناول القراءات القرآنية.
٥. معرفة أثر تلك القراءات في توجيه الدلالة عند ابن عاشور.
٦. كثير من الدراسات اهتمت بتفسير ابن عاشور، ولكنها أغفلت القراءات القرآنية في هذا التفسير، وهو ما تنوي هذه الدراسة الاهتمام به في ضوء الدراسة اللغوية، وهذا ما لم تتطرق إليه دراسة علمية في ما أعلم.
٧. محاولة تخرج القراءات القرآنية على القواعد النحوية.
٨. استنباط الدلالات القرآنية من خلال القضايا اللغوية التي تنيرها القراءات القرآنية، وربطها بالمعنى القرآني الذي تفسّره القراءة.
٩. لقد اهتم بعلم القراءات القرآنية أناسٌ كثيرون وطوائفٌ مختلفة، ومن بين المهتمين بتاريخ القرآن والقراءات طائفةٌ كبيرة من المستشرقين، درسوا تاريخ القرآن والقراءات، وكتبوا في

ذلك كُتِباً وأبحاثاً كثيرة، كان بعضها يتَّسم بالجديَّة والنظرة العلميَّة، وكثيرٌ منها لا يخلو من الطَّعن والتشكيك في القرآن وقراءته، وكانت مسألة الاختلاف في القراءات القرآنيَّة من المسائل التي اتَّخذها عددٌ من المستشرقين مسوِّغاً للطَّعن في القرآن الكريم، وراحوا يصفون القرآن وقراءته بالتناقض والاضطراب وعدم الثبات، وحاولوا تشكيك المسلمين في ذلك، وكان وراء ذلك كله نفي النبوة والوحي عن النبي ﷺ، وإنكار أن يكون القرآن بقراءته من الله ﷻ؛ لذا حاولت أن أبين حقيقة هذا الاختلاف، وموقف علماء المسلمين منه، ومفهومهم له، ومقاصد الاختلاف في القراءات القرآنيَّة، وكيف ساهم الاختلاف في القراءات القرآنيَّة في تعدُّد المعاني واتساعها .

لهذا وذلك، اخترتُ هذا الموضوع ليكون ميدان هذه الرسالة.

أهميَّة الموضوع

يكتسب هذا الموضوع أهميته بسبب تعلقه بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولكون علم القراءات يعدُّ مادةً ثريَّةً وغزيرةً للتَّعريف على أساليب اللُّغة، والأسلوب القرآني على وجه الخصوص، يضاف إلى ذلك ما للقراءات من أثر كبير في تفصيل الكثير من المسائل اللُّغويَّة، إضافةً إلى أن القراءات أثرت وبشكل كبير في تعدُّد مفاهيم المفسرين، وهو ما أدَّى إلى اختلافهم في تحديد الدلالة القرآنيَّة.

ولذا سوف يُفيد هذا الموضوع في المجالات الآتية :

١. إبراز المعنى في النصِّ القرآنيِّ من خلال التَّحليل اللُّغويِّ للقراءات القرآنيَّة.
٢. إبراز أثر تعدُّد القراءات القرآنيَّة في النُّواحي الفنيَّة، والجماليَّة في النصِّ القرآنيِّ، وبيان ذلك من خلال المقارنة بين القراءات القرآنيَّة المختلفة.
٣. الدِّراسات الصِّرفيَّة، والنَّحويَّة، والدلاليَّة؛ حيثُ يجمعُ أشياءً مبعثرةً في كتب اللُّغة؛ وذلك من خلال ما يُستفاد من آراء لُّغويَّة تعكسها الدِّراسة التَّكامليَّة بين القراءات القرآنيَّة، والعلوم اللُّغويَّة المختلفة .

وقد وقع الاختيارُ على تفسير (التَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ) لابنِ عاشورٍ ؛ لأنَّه جمعُ آراءِ المتقدِّمينَ، والمتأخِّرينَ ، وعالجها معالِجَةً معاصرةً تكشفُ عن كثافةِ علمِ الرَّجُلِ ، وتمكُّنِهِ مِنَ العِلْمِ بِشكْلِ عامٍ ؛ لذا أحببتُ أنْ أُبرزَ جهدهُ بأسلوبِ علميِّ أكاديميِّ أتلمَّسُ أثرَ القراءاتِ القرآنيَّةِ، فأرجوُ أنْ يكونَ متميِّزاً بإذنِ اللهِ تعالى .

الدِّراسَاتُ السَّابِقَةُ

في حدودِ ما أعلمُ ، وبعدَ التَّتبُّعِ وسؤالِ ذوي الخبرةِ ، وجدتُ أنَّ هذا الموضوعَ لم ينلْ حظَّهُ مِنَ البَحْثِ ، حيثُ لم يُفردْ برسالةٍ جامعيَّةٍ متخصِّصَةٍ ، وما كُتِبَ فيه منْ بحوثٍ لم تكنْ جامعةً لمسائلِهِ وأحكامِهِ ، وإنَّما تناوَلتْ هذا الكتابُ بالبحثِ ، وكانتْ تقتصرُ على جوانبِ تقربُ منْ دراسيِّ في نواحٍ، وتختلفُ عنها في نواحٍ كثيرةٍ؛ ومُنْ كتبَ فيه:

١ . الدكتورُ عبدهُ الحكيميُّ له رسالةٌ بعنوانِ (المنظورُ البلاغيُّ عندَ ابنِ عاشورٍ ، دراسةٌ بلاغيَّةٌ) تقدَّم بها لنيلِ درجةِ الماجستيرِ في جامعةِ بغدادَ عامَ ألفينِ للميلادِ ، تناوَلَ فيها الباحثُ الجانبَ البلاغيِّ عندَ ابنِ عاشورٍ، ولنْ أتناوَلَ هذا الجانبَ إلاَّ حيثُ يخدمُ معنأً أو وجهاً عربيًّا أو نحوَ ذلك.

٢ . أبو حسانٍ جمالُ بنُ محمودٍ بنِ أحمدَ له رسالةٌ بعنوانِ : (تفسيرُ ابنِ عاشورٍ " التَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ " دراسةٌ منهجيَّةٌ ونقديةٌ) تقدَّم بها لنيلِ درجةِ الماجستيرِ في الجامعةِ الأردنيَّةِ و هي دراسةٌ يختلفُ موضوعُها عنْ موضوعِ دراسيِّ.

٣ . محمدُ بنُ حسنَ بنِ سعيدِ العمريِّ، له رسالةٌ بعنوانِ (منهجُ الطَّاهرِ بنِ عاشورٍ في أصولِ الفقه) رسالةٌ تقدَّم بها لنيلِ درجةِ الماجستيرِ .

٤ . الحسينُ الزروقيُّ ، له رسالةٌ بعنوانِ (الشيخُ محمدُ الطَّاهرُ ابنِ عاشورٍ وفكرُهُ الأصوليُّ منْ خلالِ تفسيرِ التَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ) رسالةٌ تقدَّم بها لنيلِ درجةِ الماجستيرِ .

٥ . سعيدُ بنُ مطلقِ بنِ هدبٍ، له رسالةٌ بعنوانِ (ابنِ عاشورٍ ومنهجِهِ في التَّفْسِيرِ) رسالةٌ تقدَّم بها لنيلِ درجةِ الماجستيرِ .

٦. عبدُ اللهِ بنُ إبراهيمَ الرِّيسِ ، لهُ رسالةٌ بعنوانِ (ابنِ عاشورٍ ومنهجِهِ في تفسيرِهِ التَّحْرِيرِ والتنويرِ) رسالةٌ تقدَّمَ بها لنيلِ درجةِ الماجستيرِ .

٧. وحينَ شارفتُ على الانتهاءِ مِنَ الفصلِ الثَّانيِ ، وقفتُ على بحثِ مُحَمَّدِ بنِ سعدِ بنِ عبدِ اللهِ القُرَينِيِّ بعنوانِ : (الإمامِ مُحَمَّدِ الطَّاهِرِ ابنِ عاشورٍ ومنهجِهِ في توجيهِ القراءاتِ مِنْ خلالِ تفسيرِهِ التَّحْرِيرِ والتنويرِ) ، فراعني ذلكُ في بدايةِ الأمرِ ، ولكنَّ عندما قرأتُ الكتابَ وجدتهُ اهتمَّ بمنهجِ ابنِ عاشورٍ في القراءاتِ القرآنيَّةِ ، ولم يتطرَّقْ إلى الدِّراسةِ اللُّغويَّةِ للقراءاتِ القرآنيَّةِ إلاَّ بشكلٍ يسيرٍ في أثناءِ بحثِهِ ، فكانَ الفارقُ الأساسُ بينَ بحثي وبحثِهِ ، أنَّني اهتممتُ بدرجَةِ أساسيَّةِ بالدِّراسةِ اللُّغويَّةِ للقراءاتِ القرآنيَّةِ ، وهوَ الجانبُ الذي لم يولِهْ اهتماماً كبيراً .

٨. وعندما شارفتُ مِنَ الإِنْتِهاءِ مِنْ دِراسةِ الفصولِ الثلاثةِ الأولى (الصوتيِّ، والصرفيِّ، والنحويِّ)، وبدأتُ بدراسةِ الفصلِ الأخيرِ (المستوى الدَّلاليِّ) وقفتُ على بحثِ لمشرفِ بنِ أحمدِ الزهرانيِّ بعنوانِ : (أثرِ الدَّلالاتِ اللُّغويَّةِ في التفسيرِ عندَ الطَّاهِرِ ابنِ عاشورٍ في كتابِهِ: التَّحْرِيرِ والتنويرِ)، وعندما قرأتُ البحثَ وجدتهُ اهتمَّ بالمستوى الدَّلاليِّ عندَ ابنِ عاشورٍ، فاكتفيتُ بدراسةِ المستوياتِ الثلاثةِ السَّابِقةِ، وبما ضمَّنتُها مِنْ دلالاتِ أثناءِ دراستي لها .

وهناكُ دراساتٌ أخرى بعيدةُ الصِّلةِ عن بحثي كدراسةِ لأحمدِ بنِ عزَّوزٍ بعنوانِ: (المنحَى البيانيِّ في تفسيرِ التَّحْرِيرِ والتنويرِ للشَّيخِ مُحَمَّدِ الطَّاهِرِ بنِ عاشورٍ) رسالةٌ تقدَّمَ بها لنيلِ درجةِ الماجستيرِ في جامعةِ محمدِ الأوَّلِ، وواضحٌ مباينتها لدراستي؛ لأنِّي لَنْ أتطرَّقَ للجانبِ البيانيِّ فهذا مِنَ النَّاحِيَةِ البلاغيَّةِ، وأنا في دراستي لَنْ أتطرَّقَ للجانبِ البلاغيِّ إلاَّ أثناءَ تطرُّقي للمعنى، وقد أوضحتُ الخلافَ في طريقةِ دراستي. فالذي يميِّزُها مِنْ غيرِها أنَّ منطلقَها وعمدتها التي تقومُ عليها القراءاتُ القرآنيَّةُ ، ودراسُها دراسةً لغويَّةً، على المستوياتِ اللُّغويَّةِ المعروفةِ .

هذا ما اطَّلعتُ عليه ممَّا اختصَّ تفسيرِ (التَّحْرِيرِ والتنويرِ) فيه بالبحثِ، وهي بحوثٌ - في نظري - لم تتطرَّقَ للقراءاتِ القرآنيَّةِ في هذا التفسيرِ، لذا يأملُ الباحثُ أن يستجمعَ جوانبَ هذا البحثِ، ويدرسهُ دراسةً علميَّةً على وفقِ المستوياتِ اللُّغويَّةِ .

حدودُ البحثِ

سيتناول هذا البحث القراءات القرآنية المضمنة في تفسير « التحرير والتنوير » لابن عاشور، وستقتصر هذه الدراسة على مستويات التحليل اللغوي التي لها علاقة بالقراءات القرآنية من مستوى صوتي، وصرفي، ونحوي.

منهج البحث

ستقوم هذه الدراسة على الجمع بين منهجي الوصف والتحليل، فهو قائم على تتبع الظاهرة التي يدرُسها كما هو حالها في الواقع من خلال جمع المعلومات، وتصنيفها؛ للوصول إلى أسباب هذه الظاهرة والعوامل التي تتحكم فيها، ومن ثم تحليلها، وكشف العلاقات بين أبعادها المختلفة؛ من أجل تفسيرها تفسيراً كافياً، والوصول إلى استنتاجات عامة تسهم في فهم الظاهرة، وتشخيص واقعها، وأسبابها. ويتَّصف هذا المنهج بالشمولية في دراساته وإطارته، والنتائج التي يتوصل إليها.

وعلى وفق هذا المنهج ستقوم هذه الدراسة بتحقيق ما يلي :

١. استقراء القراءات القرآنية التي ذكرها ابن عاشور في كتابه (التحرير والتنوير) .
٢. تصنيف هذه القضايا وفقاً للمستويات الصوتية، والصرفية، والنحوية .
٣. دراسة هذه القراءات، وتحليلها وفق المستويات السابقة .

ونظراً لأنَّ البحث عن ((القراءات القرآنية في تفسير (التحرير والتنوير) لابن عاشور)) دراسة لغوية)) طویل جداً ، فسوف أقتصر في هذا البحث على أمثلة موضحة للمطلوب دون استقصاء ما في القرآن ؛ لأنَّ البحث لا يسعُه . هذا وقد اقتضى الحديث عن ((القراءات القرآنية في تفسير (التحرير والتنوير) لابن عاشور)) دراسة لغوية)) ، أن تأتي تلك الدراسة في ثلاثة فصول ، مسبقة بمقدمة وتمهيد ، وخاتمة .

تناولت في المقدمة : الباعث على اختيار الموضوع، وأهميته هذا الموضوع، والدراسات السابقة، وحدود البحث، ومنهجه .

ودرستُ في التمهيد ، بشكلٍ مختصرٍ نبذةً عن ابنِ عاشورٍ ، اسمه ونسبه ، ومولده ، وأسرته ، ونشأته ، وطلبه للعلم وتنقله ، ومذهبه ، ومؤلفاته ، وشيوخه وتلاميذه ووفاته ، وتناولتُ فيه تفسيرَ (التَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ) ، ومنهجَهُ في الكتابِ ، وأخذتُ فيه بعضَ التعريفاتِ ، ووجوهَ الخلافِ في القراءاتِ ، وفوائدَ اختلافِ القراءاتِ ، ودرستُ العلاقةَ بينَ القراءاتِ القرآنيَّةِ واللهجاتِ العربيَّةِ ، وبينَ القراءاتِ القرآنيَّةِ واللهجاتِ العربيَّةِ ، ووبينَ الأصواتِ واللهجاتِ العربيَّةِ ، وأخيراً مستوياتِ التحليلِ اللُّغَوِيِّ .

الفصلُ الأوَّلُ : المستوى الصَّوئيُّ في القراءاتِ القرآنيَّةِ ، قسَّمتهُ على ثلاثة

مباحثَ :

المبحثُ الأوَّلُ : أحكامِ الهمزةِ درستُ فيه : الهمزةُ عندَ القدماءِ ، والهمزةُ عندَ المحدثينَ ، وحالاتِ الهمزةِ : أخذتُ فيه : أولاً : الهمزةُ المفردةُ : تناولتُ فيه : تحقيقَ الهمزةِ ، وموقفَ القراءِ مِنْ تحقيقِ الهمزةِ ، وبينَ تحقيقِ الهمزةِ المفردةِ وتخفيفِها . وثانياً : الهمزتينِ المجتمعتينِ في كلمةٍ ، وثالثاً : الهمزتينِ المجتمعتينِ في كلمتينِ : درستُ فيه تخفيفَ الهمزةِ ، والهمزاتِ المسهَّلةِ في قراءةِ حفصٍ . ثمَّ تناولتُ بالدراسةِ والتفصيلِ : تخفيفَ الهمزةِ بجعلِها صوتاً يكونُ بينها وبينَ حرفِ حركتها ، وتخفيفَ الهمزةِ بإبدالِها ألفاً أو واواً أو ياءً ، وحذفَ الهمزةِ معَ حركتها ، أو حذفَها بعدَ نقلِ حركتها إلى ما قبلَها .

المبحثُ الثَّانيُ : في اختلافِ الحركاتِ (الصوائتِ القصيرةِ) تناولتُ فيه : اختلافَ

القراءاتِ في الحركاتِ بينَ الفتحِ والكسرِ ، وبينَ الضمِّ والكسرِ ، وبينَ الضمِّ والفتحِ ، وبينَ الضمِّ والكسرِ والفتحِ ، وبينَ الضمِّ والسُّكُونِ .

المبحثُ الثَّالثُ : الإدغامُ والإبدالُ

 أخذتُ فيه : أولاً : الإدغامَ ، درستُ فيه : الوصفَ

الصوئيَّ للإدغامِ ، وإدغامَ المتماثلينِ ، ثانياً : الإبدالَ ، تناولتُ فيه : الإبدالَ بينَ العينِ والحاءِ ، وبينَ السينِ والصادِ ، وبينَ السينِ والصادِ والزَّايِ ، وبينَ الفاءِ والثاءِ .

الفصلُ الثَّانِي : المستوى الصَّرْفِيُّ فِي الْقِرَاءَاتِ الْقِرَائِيَّةِ ، قَسَمْتُهُ عَلَى ثَلَاثَةِ

مباحث:

المبحث الأول: اختلاف أبنية الفعل الماضي والمضارع المجردين، درستُ فيه: اختلاف أبنية الفعل الماضي بينَ (فَعَلَ) و (فَعِلَ) بالفتح والكسر في الماضي، وبين فَعَلَ، وفَعِلَ بالفتح والضمِّ في الماضي، واختلاف أبنية الفعل المضارع بينَ (يَفْعَلُ) ، و (يَفْعُلُ) بالكسر والضمِّ، وأخذتُ فيه: المضَعَّفَ الثلاثي، وتداخل اللُّغَاتِ، واختلاف أبنية الفعل المضارع بينَ (يَفْعَلُ)، و (يَفْعُلُ) بالكسر والفتح، وبينَ (فَعَلَ) (يَفْعَلُ) مِنْ أَصْلَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ، وبينَ (يَفْعَلُ) بضمِّ حرف المضارعة وكسر العين، و (يَفْعُلُ) بفتح حرف المضارعة وضمِّ العين.

المبحث الثاني : اختلاف أبنية الفعل المجرّد والمزید، تناولتُ فيه: اختلاف أبنية الفعل المجرّد والمزید بينَ (فَعَلَ) و (أَفْعَلَ) وهما بناءنِ مختلفانِ (ثلاثي ورباعي)، وفَعَلَ، وفَعَّلَ بالتخفيف والتشديد.

المبحث الثالث: اختلاف أبنية المَصَادِرِ، والمشتقات، والجموع، أخذتُ فيه: أولاً: اختلاف أبنية المَصَادِرِ للفعل الواحد في القراءات القرآنية، ناقشتُ فيه: (فَعَلَ) بفتح الفاء، و(فُعِلَ) بضمِّها، و(فَعَلَ) بفتح الفاء، و(فُعِلَ) بكسرِها وإسكانِ العين، و(فُعِلَ) بضمِّ الفاء، و(فُعِلَ) بكسرِها وإسكانِ العين، و(فَعَلَ) ، و(فُعِلَ) بفتح الفاء وكسرِها وضمِّها، و(مَفْعَلٌ) بفتح الميم والعين، و(مَفْعِلٌ) بفتح الميم وكسرِ العين، و(فُعُولٌ) ، و(فُعُولٌ)، بضمِّ الفاء وفتحِها. ودرستُ ثانياً: اختلاف أبنية المشتقات، والجموع في القراءات القرآنية، من خلال: الاسم بينَ جمعِي القلَّةِ الكثرة، والاسم بينَ المصدريةِ واسمِ الفاعلِ، والاسم بينَ اسمِ الفاعلِ وصيغةِ المبالغة، وبينَ الاسمِ واسمِ المصدرِ، وبينَ اسمِ المكانِ واسمِ المفعولِ، والاسم بينَ الصفةِ المشبَّهةِ والمصدرِ، والاسم بينَ الصفةِ المشبَّهةِ واسمِ الفاعلِ، والاسم بينَ المصدرِ الميميِّ واسمِ الفاعلِ، والاسم بينَ صيغتي المصدرِ والمفعولِ، والاختلاف في الاشتقاقِ، والاسم بينَ صيغتي المصدريةِ واسمِ الزمانِ واسمِ المكانِ، والاسم بينَ القصرِ والمدِّ، والاسم بينَ المصدرِ واسمِ المصدرِ، والاسم بينَ صيغتي المصدرِ الميميِّ واسمِ الزمانِ.

الفصل الثالث: المستوى النحوي في القراءات القرآنية، قسّمته على ثلاثة

مباحث :

المبحث الأول : بين الرفع والنصب ، درست فيه : الرفع على الابتداء والنصب على المصدر، والرفع على النعت أو الخبر والنصب على الحال أو المدح أو الذم، والرفع على النعت والنصب على الحال، والنصب على الظرفية والرفع على الفاعلية، الرفع على الخبرية والنصب على الحالية، وبين العطف على اسم (إن) نصباً وموضعاً أو محله رفعاً، واسم (إن) بين الرفع والنصب، والنصب على المفعول والرفع على الفاعل، والرفع عطفاً على ضمير مرفوع والنصب على المعية، والنصب على التخصيص بالمدح والرفع على الاستئناف.

المبحث الثاني : بين النصب والجَرّ ، أخذت فيه : النصب على النداء والجَرّ على الصفة، والنصب على الاستثناء والجَرّ على الصفة، والنصب على المفعولية والجَرّ على الإضافة، والنصب عطفاً على اسم منصوب والجَرّ عطفاً على ضمير جَرّ، والنصب عطفاً على المفعول والجَرّ عطفاً على الجوار.

المبحث الثالث: ظواهر نحوية عامة، بحثت فيه: أولاً: ظاهرة الحذف: درست فيها: حذف المنادى وإضماره، وحذف النون. ثانياً: ظاهرة الحمل على المعنى، درست فيه : التضمين، وتذكير المؤنث، وتأنيت المذكر، والواحد والجماعة. ثالثاً : ظاهرة التردد في إعراب الكلمة بين الصرف وعدمه. رابعاً : ظاهرة التردد في إعراب الكلمة بين الوصف والمصدر، تناولت فيه: التردد بين اسم الفاعل والمصدر، وتذكير الفعل مع الفاعل وتأنيته.

ثم ختمت البحث بنتائجه وتوصياته.

التَّمهيد

ابن عاشور :

هو محمد الطَّاهر بن محمد بن محمَّد الطَّاهر بن محمَّد بن محمَّد الشَّاذلي بن عبدالقادر بن محمد بن عاشور، الشَّهير بالطَّاهر بن عاشور، ولد بتونس سنة ست وتسعين ومائتين وألف من الهجرة، الموافق تسع وسبعين وثمانمائة وألف من الميلاد، نشأ في أسرة علميَّة عريقة تمتدُّ أصولها إلى بلاد الأندلس، بين أحضان والد يأمل أن يكون على مثال جدِّه في العلم والنبوغ والعبقرية، وفي رعاية جدِّه لأُمِّه، الوزير الذي يحرص على أن يكون خليفة في العلم والسلطان والجاه، وقد استقرت هذه الأسرة في تونس. حفظ القرآن، واتجه بعد ذلك إلى حفظ المتون السائدة في وقته، ولما بلغ الرابعة عشرة التحق بجامعة الزيتونة سنة عشر وثلاثمائة وألف من الهجرة، نبغ في علوم الشريعة، واللغة، والآداب، والطب، وغيرها. وأتقن الفرنسيَّة.

وجاء مولد الطَّاهر في عصر يموج بالدَّعوات الإصلاحية التجديديَّة التي تريد الخروج بالدين وعلومه من حيز الجمود والتقليد إلى التَّجديد والإصلاح، فكانت لأفكار جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا صداها في تفكيره.

يملك ابن عاشور عقليَّة جبَّارة؛ فإذا كتب في أي فنٍّ أو موضوع فكأنَّه يغرف من بحر، وينحت من صخر. كان ذا أسلوب محكم النسيج، شديد الأسر. يجمع في كتاباته بين القصَّة، والحادثة التاريخيَّة، والنكتة البلاغيَّة، والمسألة النحويَّة، والأبيات الشعريَّة، والمقاصد الشعريَّة، والمناقشة الحرَّة، والترجيح والموازنة، بأسلوب راقٍ، وأدب عالٍ.

وقد وهبه الله متانة علمٍ، وسعة ثقافة، وعمق نظر، وقدرة لا تفتقر على التدوين والنشر، وملكات نقديَّة يتَّضح أثرها في طريقة الجمع بين الأصول والتعريفات، وما يلحق بها من ابتداعات وتصرُّفات، وهكذا صدرت مقالاته وتحقيقاته وبحوثه وتأليفه متديِّقة متواليمة من غير انقطاع أو ضعف، فنُشر ما نُشر، وبقي الكثير منها محفوظاً بخزانة آل عاشور ينتظر من يتولى نشره وطبعه وتحقيقه. ويعدُّ الطَّاهر بن عاشور من كبار مفسِّري القرآن الكريم في العصر الحديث

، ولقد احتوى تفسيره (التّحرير والتّنوير) على خلاصة آرائه الاجتهاديّة والتّجديديّة ؛ إذ استمر في هذا التّفسير ما يقرب من أربعين عاماً .

أمور سبق ابن عاشور إليها منها :

١ . أوّل من فسّر القرآن كاملاً في إفريقيّة ، وذلك في كتابه العظيم (التحرير والتنوير) ، وقد سبقه إلى ذلك يحيى بن سلام القيرواني (ت ٢٠٠هـ - ٨١٥م) ، الذي صنّف كتاب (التصاريف) وهو تفسير القرآن ممّا اشتبهت أسماؤه وتصرّفت معانيه، أي: في الوجوه والنظائر ، فهو تفسير غير مكتمل .

٢ . أوّل من جمع بين منصب شيخ الإسلام المالكي ، وشيخ الجامع الأعظم (الزيتونة).

٣ . أوّل من سُمّي شيخاً للجامع الأعظم سنة (١٣٥١هـ - ١٩٣٢م) ليتولّى الإصلاحات العلمية والتعليمية، فكان أوّل شيخ لإدارة التعليم بجامع الزيتونة عوضاً عن النظارة (الهيئة المشرفة على التعليم) التي كانت هي المسيرة للتعليم به .

٤ . أوّل من لُقّب بشيخ الإسلام ، وهو لقب تفخيمي تداولته الرئاسة الشرعيّة الحنفيّة بتونس منذ القرن العاشر الهجري ، ولم يكن لدى المالكية بتونس هذا اللقب ، وقد أُطلق على رئيس المجلس الشرعي الأعلى للمالكيّة بصفة رسميّة عليّة .

٥ . أوّل من تقلّد جائزة الدولة التقديرية للدولة التونسيّة ونال وسام الاستحقاق الثقافي سنة (١٩٦٨م) ، وهو أعلى وسام ثقافي قرّرت الدولة التونسية إسناده إلى كلّ مفكر امتاز بإنتاجه الوافر ومؤلفاته العميقة الأبحاث ، ودعوته الإصلاحية ذات الأثر البعيد المدى في مختلف الأوساط الفكرية . وحصل على جائزة رئيس الجمهورية في الإسلاميات عامي (١٩٧٢م - ١٩٧٣م) .

٦ . أوّل من أحيى التصنيف في مقاصد الشريعة في عصرنا الحالي بعد العزّ بن عبدالسلام (ت ٦٦٠هـ) والشاطبي (٧٩٠هـ) .

٧ . أوّل من أدخل إصلاحات تعليميّة وتنظيميّة في الجامع الزيتوني في إطار منظومة تربويّة فكريّة ، صاغها في كتابه : (أليس الصبح بقريب) الذي ألّفه في بواكير حياته ، والذي يدلّ على عقليّة تربويّة فذة ، والذي كان شاهداً على الإصلاح التربوي والتعليمي الشرعي المنشود .

فأضاف إلى الدراسة موادّ جديدة كالكيمياء والفيزياء والجبر وغيرها ، وأكثر من دروس الصرف ، ومن دروس أدب اللغة ، وشرّح بنفسه في تدريس ديوان الحماسة ، ولعلّه أول من درّس ذلك في الزيتونة .

مؤلفاته : له مؤلفات كثيرة ومتنوّعة ، منها :

تفسيره المسمّى بالتحريير والتنوير، ومقاصد الشريعة، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، وكشف المغطّى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، وردّ على كتاب الإسلام وأصول الحكم لعلّي عبد الرازق، وأصول التقدم في الإسلام، وأصول الإنشاء والخطابة، وأليس الصبح بقريب، وهناك كتب أخرى كثيرة مطبوعة و مخطوطة .

وقد توفّي في الثّالث عشر من رجب سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة، الموافق الثّاني عشر من أغسطس سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة وألف من الميلاد بعد حياة حافلة بالعلم ، والإصلاح ، والتّجديد .

شخصيّة ابن عاشور اللغويّة :

يتمتّع ابن عاشور بقدره فائقة على التهذيب والتحليل والاختيار والتعليل، حيث يقوم بتوضيح كثير من المشكلات، ويعرض كثيراً من قضايا الإعجاز القرآني وغيرها من القضايا. وتنماز شخصيّته بتنوّع المصادر واختلافها، واستفاد في تفسيره ممّا اكتسبه من علوم وفنون وتجارب، وما تمتّع به من مواهب، وتأنّيه، ووضوح هدف، كلّ ذلك وغيره جعل لمؤلفاته، وخاصّة تفسيره قيمة علميّة كبيرة.

^١ تُنظَر : ترجمته في : كتاب شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور ، حياته وآثاره ، تأليف د . بلقاسم الغالي ، وكتاب الصداقة بين العلماء ، ودائرة المعارف التونسيّة / ٤١ ، محمد الطاهر بن عاشور علّامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه ، إباد خالد الطباع ، ط . دار القلم / ٨-٢٥ ، ومن أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم : محمد الطاهر بن عاشور ، د . بلقاسم الغالي ، دار ابن حزم / ٣٧ ، ومجلّة المنهل عدد (٤٤٩) الربيعان (١٤٠٧هـ) ، مقال : (الشيخ محمد الطاهر بن عاشور) ، د . محمّد عبده خفاجي ، ومقالات الإمام : محمد الطاهر بن عاشور ، إعداد : علي الرضا الحسيني ، الدار الحسينية للكتاب / ٨ .

وقد اعتمد ابن عاشور على مصادر لغويّة عديدة، منها مصادر اللغة: كمفردات غريب القرآن، للراغب الأصبهاني، ولسان العرب، لابن منظور، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي، والمقامات، للحريري، وغريب الحديث، للقاسم بن سلام، وتهذيب اللغة، للأزهري، والصحاح، للجوهري، ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس، وتبصرة المتذكر، لموفق الدين أبو العباس، ومجالس ثعلب، لأحمد بن يحيى، وأمالي القالي، للبغدادي، وتاج العروس، للزبيدي، والتعريفات، للجرجاني. واستفاد أيضاً من مصادر الشعر، فقد استفاد من أصحاب القصائد التسع المشهورات، ومن الشعراء الأوائل، وغيرهم. واستفاد أيضاً من المصادر النحويّة: فقد استفاد من علماء المدارس النحويّة المختلفة، حيث استفاد من علماء البصرة، من أمثال: أبي عمرو بن العلاء، والخليل، وسيبويه، وقطرب، والأخفش الأوسط، والمبرد، والزجاج. واستفاد من علماء مدرسة الكوفة، ومنهم: الفراء، وابن الأنباري. ومن علماء المدرسة البغداديّة: الفارسي، وابن جني، وابن يعيش. ومن علماء المدرسة الأندلسيّة: الإشبيلي، وابن مالك، وابن سيده. ومن علماء المدرسة المصريّة: ابن الحاجب، وابن هشام الأنصاري، والسيوطي. كما استفاد أيضاً من مصادر البلاغة: كالبيان والتبيين، للجاحظ، وإعجاز القرآن، للباقلاني، والمفتاح، للسكاكي، وتلخيص المفتاح، للقزويني، والشافية، للجرجاني، وأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، للجرجاني، وأساس البلاغة، للزمخشري، والكلم النوابع، للزمخشري، والمنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، للجرجاني، وسر الفصاحة، للحلي. واستفاد كثيراً من مصادر التفسير، وعلوم القرآن، والتراجم، ودائرة المعارف الإسلاميّة، وغيرها كثير من مصادر المعارف المختلفة.

واستفاد ابن عاشور كثيراً من القراءات القرآنيّة، ونلاحظ ذلك جليّاً، كما جاء في المقدمة السادسة التي جعلها للقراءات، وجعل للقراءات حالتين؛ إحداهما لا تعلق لها بالتفسير بحال، وإثما هي تتصل باختلاف القراء في وجوه النطق بالحروف والكلمات، كمقادير المد والإمالات والتخفيف والتسهيل والتحقيق والجهر والهمس والغنة، وفي تعدّد أوجه الإعراب، وأنّ مزية القراءات من هذه الجهة عائدة إلى أنّها حفظت على أبناء العربيّة ما لم يحفظه غيرها، وهو تحديد

^١ يُنظر: التحرير والتنوير ٥١/١.

كيفية نطق العرب: بالحروف في مخارجها وصفاتها، وأن ذلك غرض مهم جداً لكنه لا علاقة له بالتفسير. والحالة الثانية قراءات لها علاقة بالتفسير، حيث يقول: ((وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَلَا يُتَنَاجَى إِلَيْهَا إِلَّا فِي حِينِ الْإِسْتِدْلَالِ بِالْقِرَاءَةِ عَلَى تَفْسِيرِ غَيْرِهَا، وَإِنَّمَا يَكُونُ فِي مَعْنَى التَّرْجِيحِ لِأَحَدِ الْمَعَانِي الْقَائِمَةِ مِنَ الْآيَةِ أَوْ لاسْتِظْهَارِ عَلَى الْمَعْنَى، فَذِكْرُ الْقِرَاءَةِ كَذِكْرِ الشَّاهِدِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ، لِأَنَّهَا إِنْ كَانَتْ مَشْهُورَةً، فَلَا جَرَمَ أَنَّهَا تَكُونُ حُجَّةً لُغَوِيَّةً، وَإِنْ كَانَتْ شَادَةً فَحُجَّتُهَا لَا مِنْ حَيْثُ الرِّوَايَةُ، لِأَنَّهَا لَا تَكُونُ صَحِيحَةَ الرِّوَايَةِ، وَلَكِنْ مِنْ حَيْثُ أَنَّ قَارِئَهَا مَا قَرَأَ بِهَا إِلَّا اسْتِنَادًا لاسْتِعْمَالِ عَرَبِيٍّ صَحِيحٍ)).^١

وقد شغلت اللغة في تفسيره التحرير والتنوير حيناً كبيراً، ولم يكتف صاحبها بمعنى اللفظ المعجمي أو المقابل له، وإنما كان السياق عوناً أساسياً في كشف دلالات اللفظ القرآني، وكان ابن عاشور يلجأ إلى ضروب الاشتقاق وأوجه الإعراب، وقد يحدّد المعنى الشرعي للفظ، وتفصيل معناه مستعينا بأقوال علماء اللغة، وواضعي المعاجم، وكتب الأدب القديم، والأدبيات العلمية، والمجالس النقدية، والأدبية، والتعريفات اللغوية، وجهده الشخصي، وثقافته اللغوية في كل ذلك ظاهرة.

ونرى أن ابن عاشور لم يقع في شرك الإسرائيليات وأكاذيبها، وكانت استعانتها بأقوال من التوراة والإنجيل في الحدود التي تلقي بعض الأضواء على أحداث تاريخية لم يدر حولها خلاف يذكر، ولا تمس العقيدة الإسلامية ولا أحكامها، وكانت بعيدة عن الرغبة في استهواء القراء وجمع الأقوال فحسب، كما يفعل بعض المفسرين الذين استهوتهم هذه الإسرائيليات.

ولم يكن ابن عاشور مقلداً يقبل الروايات أو الأقوال دون إعمال العقل، وإنما كان واعياً بقيمة كتب التراث الإسلامي في ميدان التفسير الذي يمثل جانبا مهماً من ضمير الأمة وتاريخها، يتعامل مع هذا التراث بتفتح فكري، حيث يأخذ منه ما يأخذ، ويرفض منه ما يرفض، يأخذ من أعلى مصادره توثيقاً، وما يتطابق مع الفكر النير بعد تحقيق وتحليل، ويرفض ما دون ذلك معللاً

^١ التحرير والتنوير ٢٥/١.

أسباب الرفض، مقتنعا بالمحتوى الأصيل من هذا التراث، مبتعدا عن سلطان التعوّد والقبول بلا مناقشة.

وهذا التنوع الكبير في المصادر أتاح لابن عاشور أن يعرض المسائل والقضايا على أكثر من وجه، وأن يحدّد مواطن الاختلاف، أو الاتفاق معها، ممّا جعله ينفذ من خلالها ليصل إلى ما يرتضيه ويطمئن إليه .

التحرير والتنوير :

يعتبر (تفسير التحرير والتنوير) من أهم مؤلفات ابن عاشور، فقد مكث في تأليفه تسعاً وثلاثين سنة؛ حيث بدأ فيه سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وألف للهجرة ، وانتهى منه عام ثمانين وثلاثمائة وألف للهجرة ، وختمه بكلمة عظيمة مؤثّرة قال فيها : ((إنَّ كلام ربِّ الناس ، حقيق بأن يُخدم سعياً على الرأس ، وما أدّى هذا الحقُّ إلّا قلمٌ مفسِّرٍ يسعى على القرطاس ، وإنَّ قلّمي طالما استنَّ بشوط فسيح ، وكم زُجرَ عند الكلال والإعياء زُجرَ المنيح ، وإذ قد أتى على التمام فقد حقَّ له أن يستريح .

وكان تمام هذا التفسير عصر يوم الجمعة الثاني عشر من شهر رجب عام ثمانين وثلاثمائة وألف ، فكانت مدّة تأليفه تسعاً وثلاثين سنة وستة أشهر ، وهي حقبة لم تخلُ من أشغال صارفة ، ومؤلفات أخرى أفناها وارفة ، ومنازع بقريحة شاربة طوراً وطوراً غارفة، وما خلال ذلك من تشتت بال ، وتطوّر أحوال ، ممّا لم تخلُ عن الشكاية منه الأجيال ، ولا كُفران الله فإنَّ نعمه أوفى ، ومكايل فضله عليّ لا تُطَفَّفُ ولا تُكفأ .

وأرجو منه تعالى لهذا التفسير أن يُنجد ويعور، وأن ينفع به الخاصّة والجمهور، ويجعلني به من الذين يرجون تجارةً لن تبور. وكان تمامه بمنزلي ببلد المرسى شرقيّ مدينة تونس)) .

¹ منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير، نبيل أحمد صقر، الدار المصرية، القاهرة ط ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م / ١٥ . يُنظر : التحرير والتنوير ١/١٩٠٢٤، ١٠٧، ١٣١، ٢٤٣، ٢٥٩، ١٥، ٨٩/٢، ٨٢/٨ ، ١٦٤/٢٣ ، ١٦١/٣ - ١٦٣ ، ٢٧/٣٠، ١٩٩/١٥٤، ١٩٩/١٥٤، ٣٠/٢٧ ، ١٦٣ - ١٦١/٣ ، ١٩٧٢ م، تونس، والتفسير ورجاله / ١٢٩، ١٥١ ، وطبقات المفسرين، الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ط ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م / ١٠٢ .

وهو تفسير يتكوّن من خمسة عشر مجلّداً في ثلاثين جزءاً طبعة الدار التّونسيّة للنّشر، طبعت سنة أربع وثمانين وتسعمائة وألف للميلاد ، وله طبعة أخرى جديدة منقّحة ومصحّحة في ثلاثين مجلّداً ، طبعة مؤسّسة التّاريخ ، بيروت ، لبنان طبعت سنة عشرين، وأربعمائة ، وألف للهِجرة ، الموافق سنة ألفين للميلاد هذا بحسب علمي ، واسم التّفسير ((تحرير المعنى السّديد ، وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)) ثمّ اختصره مؤلّفه فسّماه " تفسير التّحرير والتنوير " ، ويُعدُّ في الجملة تفسيراً بلاغيّاً بيانياً لغويّاً عقلايياً لا يغفل المأثور ، ويهتم بالقراءات . وطريقة مؤلّفه فيه - في الغالب - أن يذكر مقطعاً من السّورة ، ثمّ يشرع في تفسيره مبتدئاً بذكر المناسبة ، ثمّ لغويات المقطع ، ثمّ التّفسير الإجمالي، ويتعرّض فيه للقراءات، والفقهيات وغيرها. وقد اهتم فيه مؤلّفه بدقائق البلاغة في أغلب آياته ، وأورد فيه بعض الحقائق العلميّة؛ ولكن باعتدال ودون توسّع، أو إغراق في تفرّعاتها ومسائلها.

وقد نقد ابن عاشور كثيراً من التّفاسير والمفسّرين ، ونقد فهم النّاس للتّفسير ، ورأى أنّ أحد أسباب تأخّر علم التّفسير هو الولع بالتّوقّف عند النّقل حتّى وإن كان ضعيفاً أو فيه كذب ، وكذلك اتّقاء الرّأي ، ولو كان صواباً حقيقياً ، وقال : لأهمّ توهموا أنّ ما خالف النّقل عن السّابقين إخراج للقرآن عمّا أراد الله به ؛ فأصبحت كتب التّفسير عالية على كلام الأقدمين ، ولا همّ للمفسّر إلّا جمع الأقوال ، وبهذه النّظرة أصبح التّفسير تسجيلاً يقيّد به فهم القرآن ، ويضيق به معناه .

٢

١ التحرير والتنوير ٣٠ / ٦٣٦ - ٦٣٧ .

٢ يُنظر التّحرير والتنوير ١ / ١ - ٢ .

التعريفات

علم القراءات : علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها، منسوبة لناقلها. وقد عرّفه ابن الجزري بأنّه: ((علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقل)).^١ كما عرّفه طاش كبرى زاده بقوله: ((علم يُبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة)).^٢ والأصل في القراءات هو النّقل بالإسناد المتواتر إلى النبي ﷺ.^٣

القراءة المتواترة : هي القراءة التي رواها جمّع عن جمّع، يستحيل تواطؤهم على الكذب، وكانت موافقة للرسم العثماني، ووافقت العربيّة ولو بوجه من وجوه اللغة. ويدخل في هذا النوع قراءات الأئمة السبعة المتواترة.^٤

وقد قسّم أهل العلم القراءات القرآنية إلى قسمين رئيسين هما : القراءة الصحيحة، والقراءة الشاذّة.^٥

القراءة القرآنيّة الصحيحة : هي القراءة التي نُقلت إلينا بسند متواتر، ووافقت الرسم العثماني، ووافقت وجهاً من وجوه اللّغة العربيّة الصحيحة. وقد أجمع العلماء على أن ما وراء القراءات العشر المجمع عليها من الأمة هي قراءات شاذة لا يعتد بها.^١

^١ منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، لمحمد بن محمد ابن الجزري ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ / ٣.
^٢ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، طاش كبرى زادة، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١، ١٤٠٥هـ / ٦/٢.

^٣ يُنظر : المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر، د. محمّد محمّد سالم محيسن، المكتبة الأزهرية للتراث، مصرط ١٤١٧هـ-١٩٩٧م / ٦، والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير / ٣٤، والإتقان في تعليم أحكام القرآن الكريم / ٤، والمعنى القرآني في ضوء اختلاف القراءات / ٤، والإضاءة في بيان أصول القراءة، علي محمد الضباع (١٣٨١هـ)، المكتبة الأزهرية للتراث ١٤٢٠، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م / ٢.

^٤ يُنظر : الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م / ٢٠٣، والمعنى القرآني في ضوء اختلاف القراءات / ٩، ومناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني (١٣٦٧هـ)، دار الفكر، بيروت ط ١، ١٩٩٦م / ٢٩٣.

^٥ وهناك قراءة ثالثة ، وهي : القراءة المردودة : وهي ما نقلها غير الثقة ، ولا وجه لها في العربيّة ، فلا يقبل ، وإن وافقت خط المصحف . ولذا لم تذكر . يُنظر : اللهجات العربية في القراءات القرآنيّة / ٧٩ .

القراءة المشهورة : القراءة التي صح سندها، وبلغت مبلغ الشهرة، ووافقت العربية ولو بوجه من وجوهها، ووافقت الرسم العثماني، إلا أنّها لم تبلغ درجة التواتر. ويدخل في هذا النوع القراءات القرآنية غير السبع، على خلاف بين العلماء في ذلك .^٢

القراءة التفسيرية : هي ما زيد في القراءات على وجه التفسير والتبيين، كقراءة سعد بن أبي وقاص: ((وَلَهُمْ أَخٌ أَوْ أُخْتُ)) بزيادة لفظ ((مِنْ أُمَّه))، ومثل هذا كثير في كتب التفسير، وليس هذا من القرآن، بل هو تفسير من الصحابي للآية لبيان معناها، لا لغرض التعمد بتلاوتها ، ثم نُقلت عنه كما فسّرها ؛ وأُطلق عليها قراءة من باب التجوّز، وليس على سبيل الحقيقة .^٤

القراءة الشاذة : هي كلُّ قراءة خالفت الرسم العثماني، أو لم يصحّ سندها، أو لا وجه لها في العربية . ويمثّل لهذا النوع من القراءات بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ، إذ قرأ بدل : ((أَيْدِيَهُمَا)) ((أَيْمَاهُمَا))، قال ابن الجزري، بعد أن ذكر عدّة أمثلة نحو هذه: ((

^١ يُنظر : النشر في القراءات العشر، أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، (٨٣٣هـ)، تصحيح: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت) ٩/١ ، وعلم القراءات نشأته، أطواره، أثره في علوم الشريعة، د. نبيل بن محمد إسماعيل، طبعة دار الملك عبدالعزيز ٤ ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م / ٣٣٠ - ٣٣٨ ، والإتقان في علوم القرآن ١/٢٧، واللهجات العربية في القراءات القرآنية / ٧٥.

^٢ يُنظر : مناهل العرفان ١/٤٧٠ ، والمعنى القرآني في ضوء اختلاف القراءات / ٩ .

^٣ سورة النساء / من آية ١٢ .

^٤ يُنظر : الإتقان في علوم القرآن ١ / ٧٩، ومناهل العرفان ١ / ٤٢٩، والقرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني / ١٢٢ .

^٥ في أرجح الأقوال. يُنظر : المنجد لابن الجزري / ١٦ ، ١٧ ، و الإتقان في علوم القرآن ١/٢٤٢ ، والقراءات القرآنية ٥٩/ ، وجمال القراء للسخاوي ١/٢٣٥ ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ١٣/٣٩٣ ، ٣٩٤ ، وعلم القراءات / ٤٤ ، والقراءات وأثرها في التفسير والأحكام لمحمد عمر بازمول ١/١٦١ .

^٦ سورة المائدة / ٣٨ .

فهذه القراءة تُسَمَّى اليوم شاذَّةً، لكونها شذت عن رسم المصحف المجمع عليه، وإن كان إسنادها صحيحًا)) .^١

أوجه الخلاف في القراءات

جاء عن ابن قتيبة أنه تدبَّر أوجه الخلاف في القراءات فوجدها سبعة أوجه، وهي:

أ. الاختلاف في إعراب الكلمة، أو حركة بنائها بما لا يُزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغيِّر معناها، نحو قراءة ((أَطْهَرُ)) من قوله ﷺ: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ هَتُّوْلاءِ بِنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ فقد قرأها ابن مروان وأبي عيسى بن عمر ((أَطْهَرُ)) بفتح الراء .^٢

ب. أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة، أو حركات بنائها بما يُغيِّر معناها ولا يزيل عن صورتها في الكتاب، نحو قراءة ((رَبَّنَا)) من قوله ﷺ: ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا ﴾ ، حيث قرأها ابن عباس وابن يعمر ((رَبُّنَا)) بضمّ الباء .^٣

ج. أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغيِّر معناها في الكتاب ولا يزيل صورتها، نحو قراءة ((نُنَشِّرُهَا)) من قوله ﷺ: ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنَشِّرُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لِحْمًا ﴾ ، حيث قرأها أبان عن أعاصم ((نُنَشِّرُهَا)) .^٤

^١ منجد المقرئين / ١٦ ، ١٧ ، ومناهل العرفان ١ / ٤٦٨ ، وعلم القراءات / ٤٤ .

^٢ سورة هود / من آية ٧٨ .

^٣ مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، ابن خالويه : أبو عبد الله ، الحسين بن أحمد ، (ت ٣٧٠هـ) ، بيروت ، عالم الكتب / ٦٠ .

^٤ سورة سبأ / من آية ١٩ .

^٥ يُنظَر : المحتسب في تبين وجوه شواذ القرآن ، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (٣٩٢هـ) ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ط ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م ١٨٩ / ٢ .

^٦ سورة البقرة / من آية ٢٥٩ .

^٧ يُنظَر : مختصر في شواذ القرآن / ١٦ .

د. أن يكون الاختلاف في الكلمة يُغيّر صورتها في الكتاب، ولا يُغيّر معناها، نحو
((صِيحَةً)) من قوله ﷺ : ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ﴾^١ ، حيث
قرأها ابن مسعود ((زُقِيَّة)) بمعناها .

هـ. أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها ، نحو ((وَطَلِح)) من قوله
ﷺ : ﴿وَطَلِحَ مَنُضُورٍ﴾^٢ ، حيث قرأها علي بن أبي طالب ((وطلع)) بالعين بدلاً من
الحاء .

و. أن يكون الاختلاف في الكلمة بالتقديم والتأخير نحو قراءة ((وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ
بِالْحَقِّ))^٣ ، حيث قرأها أبو بكر الصديق ((وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ)) .

ز. أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو : ((عَمَلْتَهُ)) من قوله ﷺ : ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾^٤ ، حيث قرأها أبو بكر وحزمة
والكسائي ((عَمِلْتِ)) . ومن أصحاب هذا الرأي ابن قتيبة، وأبو الفضل الرازي العجلي،
والزرکشسي، وابن الجزري ، ومَن أخذ بها الزرقاني، ومحمد بخيت المطيعي، والدكتور شعبان محمد

^١ سورة يس / ٢٩ .

^٢ مختصر في شواذ القرآن / ١٢٥ .

^٣ سورة الواقعة / ٢٩ .

^٤ مختصر في شواذ القرآن / ١٥١ .

^٥ سورة ق / من آية ١٩ .

^٦ يُنظَر : مختصر في شواذ القرآن / ١٤٤ .

^٧ سورة يس / ٣٥ .

^٨ يُنظَر : تأويل مشكل القرآن، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، (٢٧٦هـ) تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث،
القاهرة ط ٤ ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م / ٣٦ .

إسماعيل، والدكتور أحمد البيلي، والدكتور أحمد سمير اللبدي، والدكتور عبدالعزيز القارئ مع اختلافهم اليسير في بعض النقاط ، وتوافقهم في الكثير منها .^١

فوائد اختلاف القراءات

إنَّ اختلاف القراءات وتعدددها، كانت ولا زالت محل اهتمام العلماء، ومن اهتمامهم بها بحثهم عن الحكم والفوائد المترتبة عليها، وهي عديدة نذكر الآن بعضاً منها :

١. التيسير ورفع الحرج عن الأمة الإسلامية، ونخصُّ منها الأمة العربية التي شوهت بالقرآن، فقد نزل القرآن الكريم باللسان العربي، والعرب يومئذٍ قبائل كثيرة، مختلفة اللهجات، فراعى القرآن الكريم ذلك ، فيما تختلف فيه لهجات هذه القبائل، فأُنزل فيه ما يواكب هذه القبائل، دفعاً للمشقة عنهم، وبذلاً لليسر والتهوين عليهم.

٢. الجمع بين حكمين مختلفين مثل: ((فَأَعْتَزَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ^ط وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى

يَطْهَرْنَ)) ، حيث قرئ ((يَطْهَرْنَ)) بتخفيف الطاء، و ((يَطْهَرْنَ)) تشديدها، ومجموع القراءتين يفيد أنَّ الحائض، لا يجوز أن يقربها زوجها إلا إذا طهرت بأمرين: بانقطاع الدم، وبالاعتسال .^٤

^١ يُظَرَّ : تأويل مشكل القرآن / ٣٦، والمرشد الوجيز / ٧٧، ٩٠، والبرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، تصوير دار المعرفة، بيروت ط ١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م / ٢١٣-٢١٧، والنشر / ١٩-٣١، ومناهل العرفان / ١٥٦-١٥٨، والكلمات الحسان للمطيعي / ١٠٥، والقراءات لشعبان إسماعيل / ٣٨، والاختلاف بين القراءات لأحمد البيلي / ٥٠، وأثر القرآن والقراءات في النَّحو العربي، د.محمد سمير نجيب اللبدي، الكويت ط ١، ١٩٧٨م / ٣١٥، وحديث الأحرف السبعة للدكتور عبدالعزيز القارئ / ٧٨-٩٣، في مجلَّة كَلِمَة القرآن العدد الأوَّل / ١٤٠٢هـ، وعلم القراءات / ١٨ - ٢٣ .

^٢ بين قراءاته .

^٣ سورة البقر / من آية ٢٢٢ .

^٤ يُظَرَّ : المعنى القرآني في ضوء اختلاف القراءات / ١٣ .

٣. الدلالة على حكمين شرعيين في حالين مختلفين، ومثال ذلك: ((فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)) ، حيث قُرئ ((وَأَرْجُلَكُمْ)) بالنصب عطفاً على ((وَجُوهَكُمْ)) وهي تقتضي غسل الأرجل، لعطفها على مغسول وهي الوجوه. وقُرئ ((وَأَرْجُلَكُمْ)) بالجر عطفاً على ((بِرُءُوسِكُمْ)) وهذه القراءة تقتضي مسح الأرجل، لعطفها على مسح وهو الرؤوس، وفي ذلك إقرار لحكم المسح على الخفين .

٤. دفع توهم ما ليس مراداً : ومثال ذلك : ((يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)) ، حيث قُرئ ((فَاْمضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ))، وفي ذلك دفع لتوهم وجوب السرعة في المشي إلى صلاة الجمعة المفهوم من القراءة الأولى، حيث بيّنت القراءة الثانية أنّ المراد مجرد الذهاب .

٥. إظهار كمال الإعجاز بغاية الإيجاز، حيث إنّ كلّ قراءة مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية، فتعدّدت المعاني بتعدّد القراءات، إذ كلّ قراءة زادت معنى جديداً لم تبيّنه أو توضّحه القراءة الأخرى، وبهذا اتّسعت المعاني بتعدّد القراءات، إذ تعدّد القراءات يقوم مقام تعدّد الآيات القرآنية. والاختلاف والتنوع في القراءات القرآنية يشبه إلى حدٍ كبير ظاهرة تكرار القصص القرآني، فكلّ آية أو واقعة تبيّن معنى جديداً لم تبيّنه الآية أو الواقعة السابقة .

٦. اتصال سند هذه القراءات علامة على اتصال الأمة بالسند الإلهي، فإنّ قراءة اللفظ الواحد بقراءات مختلفة، مع اتحاد خطّه وخلوّه من النقط والشكل، إنّما يتوقّف على السماع والتلقي والرواية، بل بعد نطق المصحف وشكله؛ لأنّ الألفاظ إنّما نُقِطَتْ وشُكِّلَتْ في المصحف على وجه واحد فقط، وباقي الأوجه متوقّف على السند والرواية.

١ سورة المائدة / من آية ٦ .

٢ سورة الجمعة / من آية ٩ .

٣ يُنظَر : مناهل العرفان ١ / ١٤٧ ، ١٤٨ .

وفي ذلك منقبة عظيمة لهذه الأمة المحمدية بسبب إسنادها كتاب ربها، واتصال هذا السند بالسند الإلهي، فكان ذلك تخصيصاً بالفضل لهذه الأمة.

٧. في تعدد القراءات تعظيم لأجر الأمة في حفظها، والعناية بجمعها ونقلها بأمانة إلى غيرهم، ونقلها بضبطها مع كمال العناية بهذا الضبط إلى الحد الذي حاز الإعجاب .
فتتسع المعاني وتتعدد بتعدد القراءات، إذ كل قراءة بمقام آية ، وفي ذلك يقول ابن عاشور: ((إنه لا مانع من أن يكون مجيء ألفاظ القرآن على ما يحتمل تلك الوجوه مراداً لله تعالى؛ ليقراء القراء بوجوه ، فتكثر من ذلك المعاني ، فيكون وجود الوجهين فأكثر في مختلف القراءات مجزئاً عن آيتين فأكثر، وهذا نظير التضمنين في استعمال العرب، ونظير التورية والتوجيه في البديع، ونظير مستتبعات التراكيب في علم المعاني، وهو من زيادة ملاءمة بلاغة القرآن، ولذلك كان اختلاف القراء في اللفظ الواحد من القرآن قد يكون معه اختلاف المعنى؛ ولم يكن حمل أحد القراءتين على الأخرى متعيناً ولا مرجحاً، وإن كان قد يؤخذ من كلام أبي علي الفارسي في كتاب الحجّة أنه يختار حمل معنى إحدى القراءتين على معنى الأخرى، ومثال هذا قوله في قراءة الجمهور قوله ﷻ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٢٤) ، وقراءة نافع وابن عامر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٢٤) بإسقاط (هو)، فمن أثبت (هو) يحسن أن يعتبره ضمير فصل لا مبتدأ؛ لأنه لو كان مبتدأ لم يجز حذفه في قراءة نافع وابن عامر، قال أبو حيان: وما ذهب إليه ليس بشيء ؛ لأنه بنى ذلك على توافق القراءتين وليس كذلك، ألا ترى أنه قد يكون قراءتان في لفظ واحد لكلٍ منهما توجيه يخالف الآخر، كقراءة (والله أعلم بما وضعت) بضم التاء أو سكونها. وأنا أرى أن على المفسر أن يبيّن اختلاف القراءات المتواترة؛ لأنّ في اختلافها توفيراً

^١ يُنظر: مناهل العرفان ١/١٤٧، ١٤٨، وجواهر البين في علوم القرآن د. محمد العسال/٩٤، وللمعنى القرآني في ضوء اختلاف القراءات ١٣/.

^٢ سورة الحديد/ من آية ٢٤ .

^٣ يُنظر: البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهرير بأبي حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، تقريظ: د. عبدالحلي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت ط١٤١٣، هـ- ١٩٩٣م

لمعاني الآية غالباً فيقوم تعدد القراءات مقام تعدد كلمات القرآن)) ، وبهذا يكون من مقاصد الاختلاف في القراءات القرآنيّة تكثير المعاني واتساعها ، ولكن من غير تناقض أو تباين في المعاني .

القراءات القرآنيّة واللهجات العربيّة

أولاً : اللهجات العربيّة : تعريف اللهجة :

اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث : هي مجموعة من الصفات اللغويّة التي تخصُّ بيئة معيّنة ، يشترك في هذه الصفات جميع أفراد تلك البيئة ، أو هي قيود صوتيّة تلحظ عند أداء الألفاظ في بيئة معيّنة . ويمكن أن نقسم اللهجات إلى قسمين :
القسم الأوّل : هو ما لم تنسب فيه اللهجة إلى قبيلة معيّنة وهو القسم الأكبر .
القسم الثاني : هو ما نسبت فيه اللهجة إلى قبيلة بعينها وهو يمثّل القسم الأصغر .

العلاقة بين القراءات القرآنيّة واللهجات العربيّة

إنّ الصلة وثيقة جداً بين القراءات القرآنيّة واللهجات العربيّة، ويؤيّد هذا قوله ﷺ : ((إنّ هذا القرآن نزل على سبعة أحرفٍ ، فأقرؤوا ما تيسر منه)) ، قال ابن قتيبة: إنّ معنى الحديث أن تقرأ كلُّ أمة بلغتها، وما جرت عليه عادتها؛ فيقرأ الهذلي ((عتي حين))، بينما يقرأ غيره ((حتى حين))، ويقرأ الأسدي: ((تعلمون))، و ((تعلم))، و ((تسود)) بتاءات مكسورات، ويقرأ غيرهم بتاءات مفتوحة، ويهمز التميمي، في المقابل القرشي لا يهمز، ولو أراد كلُّ فريق من

^١ التحرير والتنوير ١/ ٥٥ .

^٢ يُنظر : لغة القرآن الكريم للدكتور : عبدالجليل عبدالرحيم / ٤٠ ، والتمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، تحقيق: غازي قدوري حمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط، ٢٠٠١ م ٢٧٦/٨ - ٢٨٠ ، ونزول القرآن على سبعة أحرف لمناع القطان / ٤ .

^٣ رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (٤٩٩١) ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين ، باب بيان إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف (٨١٨) .

هؤلاء أن يزول عن لفته، وما جرى عليه لسانه طفلاً وناشئاً وكهلاً لشق ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولا يمكنه إلا بعد رياضةٍ للنفس كبيرة .^١

وعزا ابن جني سبب وروده على سبعة أحرف للتخفيف عن الأمة، وإرادة اليسر بها والتهوين عليها . بل ذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى أبعد من هذا، حيث عدّ التيسير والتسهيل يشمل جميع المسلمين على اختلاف ألسنتهم وأزمانهم في الماضي والحاضر والمستقبل، فإذا قرأ الهندي القرآن أماناً ولاحظنا بعض الخلافات الصوتية في نطقه وجب ألا ننكر عليه قراءته ، فهي غاية جيدة ، ولا يقدر على غيرها .^٣

الأصوات واللهجات العربية

كانت بين قبائل العرب فوارق لهجية واضحة المعالم، فهناك فروق بين لهجة مكة ولهجات البادية، ويمكن القول أن هناك أسباباً متعدّدة لهذه الفروق منها: العزلة والاختلاط بغير العرب، والذي يفرّق بين اللهجات هو الاختلاف الصوتي في طبيعة الأصوات وكيفية صدورها، وتعدُّ ظاهرة الإبدال من الظواهر الصوتية التي تتملّ قدراً كبيراً في تفسير كثير من الظواهر اللهجية، فالقبائل البدوية تميل إلى الأصوات الشديدة في نطقها، وهو ما يتواءم مع ما عرف عن البدوي من غلظة وجفاء في الطبع؛ لذلك يميّز نطقهم بسلسلة من الأصوات القويّة السريعة، في حين أن أهل المدن يميلون إلى رخاوة تلك الأصوات الشديدة، والإبدال ينتج من عوامل متعدّدة، منها: التطوّر الصوتي الذي يؤثر فيه تطوّر أعضاء النطق، وعيوب تلك الأعضاء، والمكان، والزمان، ومن صور الإبدال: الكشكشة، وهي: إضافة شين بعد كاف الخطاب في المؤنث (رأيتكش) في (رأيتك)، و(بكش) في (بك) هذا ما نراه في أسد وهوازن، ومنها: الشنشنة: وهي جعل الكاف شينا مطلقاً، مثل: (لبيش اللهم لبيش) في (لبيك اللهم لبك)، و(ديش) في (ديك)، وهذا ما نراه في بعض قبائل اليمن، ومنها: الععنة: وهي قلب الهمزة عينا (أشهد عنك

^١ يُنظر: تأويل مشكل القرآن / ٣٩ .

^٢ يُنظر: القراءات واللهجات / ٦-٧ ، والقراءات القرآنية في تفسير فتح القدير / ١٠٥ .

^٣ يُنظر: في اللهجات العربية / ٥٦ - ٥٧ ، والقراءات القرآنية في تفسير فتح القدير / ١٠٥ .

رسول الله) في (أشهد أنك رسول الله)، و (عمام) في (إمام) ، و (سعال) في (سؤال)، وهذا ما نراه في تميم ، ومنها: الْفَحْفَحَةُ: وهي قلب الحاء عينا مطلقا مثل: (عَلَّت العِياة لِكَلِّ عِيٍّ) في (حَلَّت الحِياة لِكَلِّ حِيٍّ) ، وهذا ما نراه في لغة هذيل ، ومنها الْعَجَجَةُ : وهي جعل الياء المشددة جيما مثل : (راعج) في (راعي)، و(كوفج) في (كوفي)، وهذا ما نراه في لغة قضاة، ومنها : الْوَثْمُ : وهي قلب السين تاء عند بعض أهل اليمن، مثل: (النَّات) في (النَّاس)، و (لبات) في (لباس) ، و (لا بات) في (لا باس) هذا بالإبدال في الحروف.

ومن الظواهر الصوتية: الإمالة والفتح ، وهي نوع من أنواع التأثر الذي تعرّض له الأصوات حين تتجاور أو تتقارب ، وهي : أن تميل الفتحة إلى الكسرة ، والألف إلى الياء، مثل: عالم، وخاتم، وألف التفخيم من صلاة وركاة.

ومن الظواهر الصوتية: تحقيق الهمزة وتسهيلها، فبعض اللهجات تحقّق الهمزة، وبعضها تسهّل الهمزة بإبدالها أو بحذفها، والهمزة صوت حنجري شديد يناسب البيئة البدوية، وهي قبائل وسط الجزيرة وشرقها، فالتحقيق من لهجات تميم وقيس وأسد، والتسهيل لهجة البيئة المتحضرة، وهم أهل الحجاز (قريش والأوس والخزرج) ، مثل نبي ونبيء ، وشابة وشآبة، ويؤت ويوت ، وأنبتهم وأنبيهم .

ومن الظواهر اللهجية الصوتية: الفك والإدغام، ففي بعض اللهجات نرى ترك الإدغام موجودا، وفي لهجات أخرى نرى الإدغام واضحا مثل: غَضٌّ و غَضَضٌ، وجدّ وجددد، وصدّ وصددد، ولم يصد لم يصددد، ولا يضرركم ولا يضرركم، وإن يمسّكم وإن يمسسكم، ومن قلب تاء افتعل إذا كانت ذالا إلى دال (ادّكر)، وأصلها اذدكر، وادّكر وأصلها (اذتكر)، واضطجع وأصلها اضتجع، وهكذا نرى أنّ الأصوات لها دور فاعل ومؤثر في اختلاف اللهجات العربية،

¹ يُنظَر : حياة اللغة العربية، حفي بك ناصف، ط . مطبعة جامعة القاهرة، الثانية، ١٣٠٨ م / ١٣٠٨، والعرب والعربية، السيد عبد الرحمن العيدروسي، ط . مطبعة دار التأليف، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م / ١٣٥٠، واللهجات العربية نشأة وتطوراً، د . عبد الغفار هلال، ط . مكتبة وهبة، الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م / ٢٢٠٠، واللهجات العربية في معاني القرآن للفراء، د . صبحي عبد الكريم، ط . دار الطباعة المحمدية، الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م / ١٥٦٠، وخصائص لهجتي تميم وقريش، د . الموافي البيلى ، ط . مطبعة السعادة، الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م / ٦٢٠.

وذلك بحسب القبائل التي تنطق تلك الأصوات، فنرى اختلافا في إبدال الحروف وإبدال الحركات، وفي الإمالة والفتح، وفي إدغام الحروف، وفي فك ذلك الإدغام، وفي تحقيق الهمزة، وفي تسهيلها، وذلك ناتج عن عزلة تلك القبائل واختلاطها بأقوام غير عربيّة، وبحسب الموقع الجغرافي لتلك القبائل، وبحسب ثقافتها وحضارتها.

مستويات التحليل اللُّغويّ

وأقصد بها الدِّراسة التي تهتمُّ بمستويات التَّحليل اللُّغويّ المعنيّة بالظَّواهر اللُّغويّة، وهي: المستوى الصَّوتي، و المستوى الصَّرفي، و المستوى النَّحوي، و المستوى الدَّلالي.

فالمستوى الصَّوتي : يهتمُّ بالأصوات لأنّها العناصر الأولى التي تشكّل الكلمات، وألوحدها الدَّالة، فهو يهتم بوصف الأصوات، وقواعد تشكيلها؛ حيث يصف مخارج الحروف، وصفاتها فرادى؛ كوظائف الحروف في إطار الكلمة الواحدة، ومركّبة كالإدغام (كإدغام المتماثلين مخرجا، والمتقاربين مخرجا، والمشتركين في طرف اللسان، والإدغام بالصفة كإدغام المجهور والمهموس معاً بأن يصيرا معاً إلى الجهر، أو إلى الهمس، وبعض أمثلة القلب، وبعض الأمثلة الشاذة).

والمستوى الصَّرفي : يعني بالأصول والزَّوائد ، وبيان المشتق والجامد ، وتحديد أشكال الصَّيغ ، وحصر اللّواحق وأماكن إلحاقها ، والزِّيادات ، وأماكن زيادتها ، وما يلحق بالصَّيغ من إعلال ، أو إبدال ، أو قلب ، أو حذف .

والمستوى النَّحوي : يهتمُّ بتقسيم الكلام، وبيان علامات كلّ قسم، وبالمعرب، والمبني من هذه الأقسام، وبيان الأبواب النَّحويّة في داخل الجملة، وما يمتاز به كلّ باب من علامات يعرف بها، وبالمعاني الوظيفيّة التي تؤدّيها العناصر اللُّغويّة كالتذكير والتأنيث، والتَّعريف والتَّنكير، والإفراد والتَّثنية والجمع ، والتكلم والحضور والغيبة، والصَّرْف وعدمه، والعلامات الإعرابيّة، ويهتمُّ أيضاً بالمعاني النَّحويّة العامّة كالخبر والإنشاء، والإثبات والنَّفْي والتَّأكيد وغيرها.

والمستوى الدَّلالي : هو العلم الذي يدرس المعنى، والمعنى هو الصُّورة الدّهنيّة التي توضع ألفاظ مناظرة لها، فعلم الدَّلالة هو محور الدَّراسات اللُّغويّة فأبّ دراسة في أيِّ فرعٍ من فروع اللُّغة

إنَّما تَهْدَفُ إِلى فِهْمِ المَعْنى وَتَحْدِيدِهِ، وَليستِ اللُّغَةُ بِحَدِّ ذَاتِهَا إِلا وَسِيلةً لِلتَّفْهَامِ بَينَ النَّاسِ، وَلا يَتِمُّ هَذَا التَّفْهَامُ إِلاَّ عَن طَرِيقِ الأَلْفَاظِ الَّتِي تَكُونُ مَصْدَرًا لِلْفِهْمِ وَالإِفْهَامِ، وَهُوَ العِلْمُ الَّذِي يَهْتَمُّ بِدَلَالَةِ الأَلْفَاظِ مَفْرَدَةً وَمُرَكَّبَةً، وَبَتَعَدُّدِ المَعْنى وَمَشْكَالاتِهِ كَالتَّرَادُفِ، وَالْمَشْتَرَكِ اللَّفْظِيِّ، وَالأَضْدَادِ وَغَيرِهَا.

الفصل الأول

المستوى الصوتي في القراءات القرآنية

المبحث الأول : أحكام الهمزة في القراءات القرآنية

المبحث الثاني : اختلاف الحركات (الصوائت القصيرة) في

القراءات القرآنية

المبحث الثالث : الإدغام والإخفاء والإبدال في القراءات القرآنية

الفصل الأول

المستوى الصوتي

اهتمَّ علم اللغة الحديث بدراسة الأصوات اللغوية اهتماماً كبيراً، وظهرت مدارس لغوية كرسّت دراستها للأصوات، وحدّدت طرائق دراستها. ومن تلك المدارس مدرسة براغ التي اشتهرت بالاهتمام بالدراسة الصوتية.

وقد قسمت دراسة الأصوات على قسمين رئيسين هما :

١. علم الأصوات (Phonitics) .

٢. علم وظائف الأصوات (Phonologie) .

ويقصد بالفونيتكس دراسة الخصائص الفيزيائية للصوت اللغوي، والاهتمام بأحوال الصوت منذ خروجه إلى حال وصوله إلى أذن السامع، وشمل ذلك دراسة خصائص الصوت، وصفاته، ومخارجه، والأحوال الناتجة عن ذلك ، أمّا الفونولوجيا فقد اهتمَّ بوظائف الصوت اللغوي وعلاقته بالمعنى .^٢

وسوف تشتمل هذه الدراسة على الجوانب المتصلة بمخارج الصوت اللغوي، وصفاته، ووظائفه من خلال القراءات القرآنية، وعلاقة ذلك بالدلالات في كتاب التحرير والتنوير، وسنبداً بصوت الهمزة .

^١ أو علم الأصوات الوظيفي ابتدعه ترويتسكوي وجاكسون علماً قائماً بذاته في حلقة براغ ، يُنظر : عبد الرحمن الحاج صالح ، مجلة اللسانيات، وعلم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي .

^٢ يُنظر : كتاب كمال بشر ، ورمضان عبدالنواب ، وإبراهيم أنيس ، ومحمود السعران .

المبحث الأوّل : أحكام الهمزة

الهمزة عند القدماء :

يَتَّفَقُ القدماء على أنّ الهمزة حرف شديد مجهور ، يخرج من أوّل مخارج الحلق، من آخر الحلق ممّا يلي الصدر . فالخليل بن أحمد الفراهيدي يرى أنّ الهمزة ((من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة)) ، وتابعه في ذلك سيبويه ، والأزهري ، ثمّ يعود الخليل ويرى أنّها هوائية فيقول : ((والياء والواو والألف والهمزة هوائية من حيث واحد؛ لأنّها لا يتعلّق بها شيء، فنسب كل حرف إلى مدرجته وموضعه الذي يبدأ منه)) ، ومعنى ذكر الهمزة على أنّها هوائية أنّ حروف المد تصير إلى همزة حين تشبع، وذلك لا يأتي اختياراً لكن اضطراراً، يقول سيبويه عن حروف المد: ((فإذا وقفت عندها لم تضمّها بشفه ولا لسان ولا حلق كضم غيرها، فيهوى الصوت إذا وجد متّسعاً حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة)) ، ويقول ابن جني: ((ومن مضارعة الحرف للحركة أنّ الأحرف الثلاثة: الألف والياء والواو إذا أشبعن ومُطْلَن أدّين إلى حرف آخر غيرهنّ

¹ يُنظَر : الكتاب، لأبي بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة ط ٤ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م ٤/٤٣٤، وشرح المفصل، موفّق الدين ابن علي بن يعيش، النحويّ، (٦٤٣ هـ) إدارة الطباعة المنيرة، مصر (د.ت) ٩/١٠٧-١٢٠، والممتع في التعريف ١/٢٢٧، وشرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي النحوي (٦٨٦هـ)، مع شرح شواهد، لعبد القادر البغدادي صاحب خزنة الأدب (١٠٩٣هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد يحيى عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م ٣/٣٠-٦٦، وشرح المراح ١٧٣/١٩٤-١٩٤.

^٢ العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بغداد، ط ١٩٨٠، م١، المقدمة ١/٥٢، يُنظَر : الإتيان في علوم القرآن ١/١٣٣، وأصوات اللغة العربية ١٢٧/١٢٨-١٢٨.

^٣ يُنظَر : الكتاب ٤/٤٣٣.

^٤ يُنظَر : التهذيب ١/٤٤.

^٥ يُنظَر : العين ١/٥٨.

^٦ الكتاب ٤/١٧٦.

إلا أنه شبيه بجن وهو الهمزة؛ ألا تراك إذا مطلت الألف أدتكَ إلى الهمزة فقلت آء، وكذلك الياء في قولك إيء، وكذلك الواو في قوله أوء)). ولكن الرئيس ابن سينا يتخذ طريقاً جديدة في وصف الأصوات ومخارجها، تقوم على التشريح، يقول: ((أمّا (الهمزة) فإنّها تحدث من حفز قوى من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير، ومن مقاومة الطهرجالي (الغضروف الهرمي) الحاصر زماناً قليلاً لحصر الهواء، ثمّ اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معاً)).

وقد نقل ابن منظور عن الخليل قوله: ((الهمزة صَوْتُ مَهْتُوتٍ فِي أَقْصَى الْحَلْقِ يَصِيرُ هَمْزَةً، فَإِذَا رُفِّعَ عَنِ الْهَمْزِ، كَانَ نَفْسًا يُحَوَّلُ إِلَى مَخْرَجِ الْهَاءِ؛ فَلِذَلِكَ اسْتَحَقَّتِ الْعَرَبُ إِدْخَالَ الْهَاءِ عَلَى الْأَلْفِ الْمُقْطُوعَةِ، نَحْوُ: أَرَاقَ وَهَرَاقَ، وَأَيْهَاتَ وَهَيْهَاتَ، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ كَثِيرٌ. قَالَ سِيبَوَيْهِ: مِنْ الْحُرُوفِ الْمَهْتُوتِ، وَهُوَ الْهَاءُ؛ وَذَلِكَ لِمَا فِيهَا مِنَ الضَّعْفِ وَالْحَقَاءِ. وَفِي حَدِيثِ إِرَاقَةِ الْخَمْرِ: (فَهْتَّتْهَا فِي الْبَطْحَاءِ) أَي صَبَّهَا عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى سَمِعَ لَهَا هَتَيْتٌ، أَي صَوْتُ))، وفي اللسان أيضاً: هتت الهمزة يهتها هتاً، تكلم بها، وسمّاها ابن الجزري الحرف المهتوف، قال: سميت بذلك لخروجها من الصدر كالتهوع، فتحتاج إلى ظهور قويّ شديد، والهتف: الصوت، يقال: هتف به إذا صوّت، وهو في المعنى بمنزلة تسميتهم للهمزة بالجرسي؛ لأنّ الجرس الصوت الشديد، والهتف الصوت الشديد. قال صاحب الشافية: ثمّ اعلم أنّ الهمزة لما كانت أثقل الحروف في الحلق ولها نبرة كريهة تجري مجرى التهوع، ثقلت بذلك على لسان المتلفّظ بها، فحققت

^١ الخصائص، أبو الفتح، عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، ١٣٧١هـ -

٠ ٣١٨/٢ ١٩٥٢م

^٢ أسباب حدوث الحروف لابن سينا، ١٦، مراجعة وتقديم طه عبد الرؤوف، ط. مكتبة الكليات الأزهرية.

^٣ لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (٧١١هـ)، دار

صادر، بيروت ط ٤ ١٤١٤هـ (هنت) ١٠٣/٢. يُنظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مُرتَضَى الحُسَيْنِي

الرَّيْدِي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ت) (هنت) ١٣٩/٥، والحكم والمحيط ٩٥/٤.

^٤ التهوع: تكلف القيء. يُنظر: لسان العرب (هوع) ٣٧٧/٨.

^٥ التمهيد في علم التجويد/١٠٩.

قوم . وقال مثل ذلك ابن أبي مريم: ((اعلم أنّ الهمزة لما كانت خارجة من أقصى الحلق، استحبت العرب تخفيفها استثقالا لإخراج ما هو كالتّهوّع)).^٢

^١ يُنظر : شرح شافية ابن الحاجب ٣/٣١ - ٣٢، ومعجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمّد هارون، دار الفكر ط ٤، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م (همز) ٦/٦٥، ومجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الشرعية) المجلد الثالث عشر- العدد الثاني / ٢٣، والهمز بين القراء والتّحاة، لأكرم علي حمدان .

^٢ الموضح في وجوه القراءات وعللها، نصر بن علي بن محمّد، أبي عبدالله، الشيرازي، الفارسي، المعروف بابن أبي مريم (٥٦٥هـ)، رسالة دكتوراة في جامعة أمّ القرى، كليّة اللغة العربيّة، فرع اللّغة، الرياض، تحقيق، ودراسة: عمر حمدان الكبيسي، بإشراف د. عبد الفتّاح إسماعيل شلبي، ١٤٠٨هـ / ١/١٨٥. يُنظر: الكتاب ٣/٥٤٨، وحبّة القراءات، أبي زرعة، عبد الرحمن بن محمّد بن زنجلة (٤٠٣هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت ط ٤، ١٩٩٧م / ٨٤، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وجججها، لمكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ)، تحقيق: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط ٤، ١٤٠١هـ-١٩٨١م / ١/٧٢، وشرح الهداية ١/٤١، والتطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر / ٤٢، وفي اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ط ٤، ١٩٩٥م / ٧٧، والتطور اللغوي / ٧٦، والجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات ١/٥٠.

الهمزة عند المحدثين :

^١ يختلف المحدثون عن القدماء في أنهم يرون أنّ الهمزة صوت غير مجهور ، فهي عندهم مهموسة ، وهذا ما أكدته التجارب المخبريّة ، وهو ما عليه العلماء الغربيون، وإن اختلفت تعبيراتهم في وصفه، ففيما يرى جونز أنّه صوت لا بالمجهور ولا بالتنفسي ، ويذهب هفنز إلى وصفه بالهمس دائماً ، وبالشدّة عادة . كما يرى كلٌّ من **مالبيرق وبروزنهان** أنّه مهموس انفجاري . وقد بنى كلٌّ من جونز وهفنز وصفه للهمزة على نظريته للحنجرة ، فجونز يرى أنّ للحنجرة ثلاثة أوضاع : الاحتباس (وذلك في الهمزة وحدها) ، والانفتاح دون ذبذبة (وذلك في المهموسات) ، والانفتاح مع الذبذبة (وذلك في المجهورات) ، وبذلك تكون الهمزة صوتاً لا هو بالمجهور ولا بالرخو (التنفسي) أمّا هفنز فيرى أنّ للحنجرة وظيفتين هما : ذبذبة الأوتار الصوتية ، وهي صفة الجهر ، وعدم ذبذبتها وهي صفة الهمس ، ويدخل في حالة عدم الذبذبة احتباس في الحنجرة (وذلك في الهمزة) ، أو انطلاق فيها (وذلك في بقية المهموسات) على أنّهما يسلمان بأنّ الهمزة عبارة عن احتباس في الحنجرة . وبعبارة أخرى : قد ينطبق الوتران

^١ الصوت المجهور عند المحدثين : هو الذي تصحب نطقه ذبذبة في الأوتار الصوتيّة ، والمهموس عندهم : هو الذي لا تصحب نطقه ذبذبة في الأوتار الصوتيّة . يُنظر : مناهج البحث في اللغة / ١١٤ .

^٢ الهمس : عدم اهتزاز الوترين الصوتيين . يُنظر : أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، د. عبد الصبور شاهين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ط ١٩٨٧ م / ٢٣٠ ، وفي صوتيات العربيّة ، محيي الدين رمضان ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، ١٩٧٩ م / ٦٥ .

^٣ يُنظر : مجلة الجامعة الإسلامية مج ٤٣ ع ٣ ، الهمز بين القراء والنُّحاة ، لأكرم علي حمدان . An outline of English phonetics p / ١٥٠ .

^٤ يُنظر : مجلة الجامعة الإسلامية مج ٤٣ ع ٣ ، الهمز بين القراء والنُّحاة ، لأكرم علي حمدان . General phonetics p / 125 .

^٥ يُنظر : مجلة الجامعة الإسلامية مج ٤٣ ع ٣ ، الهمز بين القراء والنُّحاة ، لأكرم علي حمدان . Introduction to Phonetics, p / 99 .

^٦ يُنظر : أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي / ١٦٧ ، وفي صوتيات العربيّة / ٦٥ ، ٨٢ .

الصوتيان انطباقًا تامًا فلا يسمحان للهواء بالمرور إلى الفراغ الحلقي مدّة انطباقهما، وهذا هو وضعهما حالة قطع النفس، وعندما ينفرج الوتران ، بعد فترة الانطباق التام ، يُسْمَعُ صوت انفجاريّ نتيجة لاندفاع الهواء الذي كان مضغوطاً فيما دون الوترين الصوتيين، وهذا الصوت هو ما يسمّيه العرب همزة القطع .^١

يمكن من خلال عرضنا لرأي المحدثين في الهمزة نرى أنّ هناك اضطراباً بينهم، ولذا نرى أنّ المحدثين العرب وقفوا من المحدثين الغربيين بين مؤيّدٍ، منبهر بما وصلوا إليه من آراء في علم الأصوات، ومنها في تفسيرهم للهمزة، وبين معارض لهم، ويمكننا أن نقف وقفة من هذا فنقول: ويمكن إرجاع الخلاف بين المتقدّمين والمتأخّرين في وصف الهمزة إلى أنّ المتقدّمين قيّدوا الوصف بالجهر والهمس بجريان النفس دون ذكر الوترين الصوتيين ، أمّا المتأخّرون فيقيّدون ذلك باهتزاز الوترين الصوتيين واسترخائهما ، فما اهتز الوتران عند حدوثه وصف بالجهر ، وما لم يهتز عند حدوثه وصف بالهمس .^٢

أمّا مخرج الهمزة عند المحدثين فقد جعله بعضهم من أقصى الحلق موافقاً ما عليه العلماء العرب، وعبر عنه بعضهم بأنّه من المزمار نفسه ، وبعضهم بأنّه من الحنجرة، وهي موضع انحباس النّفس الذي يحدثها ، إذ النّفس منحس بالوترين الصوتيين بقوة وحفز، ويساعد على الحفز وقوّته مقاومة حجاب الحاجز وعضل الصدر، وانغلاق الوترين ومنعهما للنّفس المتردّد بينهما وبين الصدر بعض الوقت ، فإذا انفرج الوتران فجأة اندفع الهواء بالصوت ، وسُمِعَ صوتها شديداً قوياً .^٣

^١ يُنظر: القراءات القرآنيّة في ضوء علم اللغة الحديث / ١١٥ ، ومجلة الجامعة الإسلامية ج ٣ ع ٣٠٣ . الهمز بين القراء والنُّحاة، لأكرم علي حمدان . وعلم اللغة العام (القسم الثاني) الأصوات / ١١٢-١١٥ ، والقراءات القرآنيّة في ضوء علم اللغة الحديث / ١٣-٤٨ ، والدراسات اللهجيّة والصوتية عند ابن جنيّ ٣١٤ - ٣١٥ ، ومشكلة الهمزة العربيّة / ٢٤-٥٠ .

^٢ يُنظر : في صوتيات العربيّة / ٦٥ ، وإبدال الحروف في اللهجات العربيّة / ٩٨ - ١٠٢ .

^٣ وهذا هو مدار كلام الخليل ، يُنظر : في صوتيات العربيّة / ٨٢ ، والمنهج الصوتي للبنية العربيّة / ١٧٢ ، والأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس، ٨٩، ٩٠، ط٠ السادسة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨١م، والأصوات العربيّة، د. كمال بشر،

ولذلك فعلماء الغرب يسمونها الوقفة الحنجرية (glottal stop) . والمزمار في أعلى الحنجرة . والحلق عند القدماء يشمل الحنجرة، وعليه فلا خلاف بين القدماء والمحدثين في وصف مخرج الهمزة .^١

١١٢، ط م مكتبة الشباب ١٩٩٠م، ودراسات في علم اللغة د. كمال بشر ١١٣، ط ٠ دار المعارف ١٩٧٣م. ، ودراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، ٣١٩، ط ٠ عالم الكتب ١٤١١هـ - ١٩٩١م، وعلم اللغة بين القديم والحديث، د. عاطف مذكور ١٠٢، ط ٠ دار الثقافة ١٩٨٥م.

^١ يُنظَر : أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي أبو عمر بن العلاء، وأصول اللغة العربية د. محمد حسن جبل ١٣١- ١٣٣ط ٤ والمنهج الصوتي للبنية العربية/١٧٣، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د. غانم قدوري/٢٠٦- ٢٠٧، و فقه اللغة د. على عبد الواحد وافي/١٦٧ ط ٠ دار نخبضة مصر للطبع والنشر. ودراسات في فقه اللغة د. صبحي الصالح/٢٨١، ط ٠ الثانية عشرة، ط ٠ دار العلم للملايين ١٩٨٩م، ومشكلة الهمزة العربية د. رمضان عبد التواب/٢٤ ط ٤ الخانجي ١٤١٧هـ - ١٩٩٦، وعلم اللغة العام د. توفيق شاهين/١٠٣، ط ٠ مكتبة وهي - الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، والدراسات اللهجيّة والصوتيّة عند ابن جنيّ، للنعمي/٣١٤-٣١٥، وسرّ صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: د. حسن هندراوي، دار القلم، دمشق ط ٤ ١٩٨٥م ٨١١/٢- ٨١٢، والتطوّر اللغوي (مظاهره، وعلله، وقوانينه) /٤٧، والأصوات اللغوية د. أنيس/٩٠، والأصوات العربية د. بشر/١٢٢، ودراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر /١٢٨، ٣٢٤، ٣٤٤، ٣٤٧، وعلم اللغة بين القديم والحديث، د. عاطف مذكور/١٠٢، وظاهرة التخفيف في اللغة العربيّة، دراسة صرفيّة صوتيّة، عبدالله محمّد زين بن شهاب، تريم للدراسات والنشر، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء ط ٤ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م/٢٧-٣٠.

حالات الهمزة

للهمزة حالات ثلاث وهي : الهمزة المفردة ، الهمزتان المجتمعتان في كلمة ، والهمزتان المجتمعتان في كلمتين ، وقبل أن نخوض في تفصيل ذلك نقول : إنّ الهمزة حرف بعيد المخرج ، والإجماع منعقد عند العلماء القدماء والمحدثين على ثقله ، ولذلك فإنّ العرب غيّرته وتصرّفت فيه ما لم تتصرّف في غيره من الحروف ، فأنتت به على سبعة أوجه مستعملة في القرآن والكلام : جاءت به محقّفاً ، ومُحَقَّفاً ، ومُبدلاً بغيره ، ومُلَقَّى حَرَكَتْهُ على ما قبله ، ومُحذوفاً ، ومُنْبَتاً ، ومُسَهَّلاً بين حركته والحرف الذي منه حَرَكَتْهُ .^٢

أولاً : الهمزة المفردة

تحقيق الهمزة

التحقيق : هو إخراج الهمزة بكلّ صفاتها من مخرجها من أقصى الحلق ، حيث وقعت في الكلمة ، مفردة كانت أو جاورتها همزة أخرى .^٣

وقد قرّر سيبويه في أكثر من موضع في الكتاب أنّه ليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا سواء أكانتا من كلمة واحدة أم من كلمتين . ففيما يناقش سيبويه النطق بالهمزتين من كلمة ، فإنّه لم يذكر تحقيق الهمزتين كليهما على الإطلاق ، حيث قال : ((واعلم أنّ الهمزتين إذا التقتا في كلمة واحدة لم يكن بدُّ من بدل الآخرة ، ولا تُحَقَّف ؛ لأتّهما إذا كانتا في حرف واحد

^١ يُنظر : الكتاب ٣ / ٥٤٨ ، والرعاية ، لتجويد القراءة ، وتحقيق لفظ التلاوة ، أبو محمد ، مكّي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) ، تحقيق : د. أحمد حسن فرحات ، دار عمار ، عمان ط ٣ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م / ٩٥ ، ١٤٥ ، ١٤٩ .
وسرّ صناعة الإعراب ٧١/١ ، وفي صوتيات العريّة / ٨٣ .

^٢ يُنظر : الرعاية / ٩٥ ، ومجلة الجامعة الإسلامية ج ٢ ، ع ٢٣ . الهمز بين القرء والنُّحة ، لأكرم علي حمدان .

^٣ يُنظر : النطق بالقرآن العظيم ، ضياء الدين الجماس ، مركز نور الشام للكتاب ، دمشق ط ٩ ، ١٩٩٣م / ١٨٩ .

لزم التقاء الهمزتين الحرف)) . أمّا في الهمزتين من كلمتين إذا التقتا، فإنّه يرى أنّ أهل التحقيق يَحْفَفُونَ إحداهما، وأنّ أهل الحجاز يَحْفَفُونَ الهمزتين جميعاً؛ لأنّه لو لم تكن إلاّ واحدة لَحَقَّقَتْ . على أنّه يَرَجِع لينسب إلى أهل التحقيق إدخال ألف بين الهمزتين .^٣

ولا نَتَّفِق مع سيويوه فيما ذهب إليه من أنّه ليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا؛ لأنّ تحقيق الهمزتين ظاهرة لغويّة موجودة لا سبيل إلى إنكارها، ولا يكفي اعتذار الفارسي ؛ لأنّ التحقيق منتشر أنتشاراً واسعاً في اللغة والقراءة، ولئن كان المعروف عن قريش أنّها لا تهمز، فإنّنا لو رجعنا إلى كتب اللهجات لتبيّننا أنّ جملة من القبائل العربيّة كانت تهمز . وقال ابن عبد البر : ((قول من قال : إنّ القرآن نزل بلغة قريش ، معناه عندي: في الأغلب - والله أعلم - ؛ لأنّ غير لغة قريش موجودة في صحيح القراءات من تحقيق الهمزات ونحوها، وقريش لا تهمز)) . وقد أقرّ الأخفش وجود التحقيق، كما في: ((فَكَلِمَاتُ أَيْمَةِ الْكُفْرِ))

من قوله ﷺ : ﴿ وَإِنْ تَكُفَرُوا أَيَّمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ

الكتاب ٥٥٢/٣ . ١

يُنظَر : الكتاب ٥٤٩/٣ . ٢

^٣ يُنظَر : مجلة الجامعة الإسلامية مج ٤٣ ع ٢٣ . الهمز بين القراء والنُّحاة ، لأكرم علي حمدان .

^٤ حيث اعتذر أبو علي الفارسي عمّا وقع عند سيويوه ممّا ظاهره التناقض بأنّ ذلك ليس على التدافع ، ولكن لأنّه لم يعتد بالردية، أو لم يعتد بالتقاء المحققتين، لقلّة ذلك بالإضافة إلى ما خفف إذا اجتماعا . يُنظَر : والحجّة للقراء السبعة، أبو علي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل (٣٧٧هـ)، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاوي، مراجعة وتدقيق: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م . ٢٨٤/١

التمهيد في علم التجويد ٢٧٦/٨ . يُنظَر : الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م ٤٤/١ ، وتفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ط ٤ . ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ٤٦/١ .

فَقَبِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ ، ومن كان
من رأيه جمع الهمزتين همز . وقد جاء في الكثير من المصنفات، ومنها كتاب سيبويه، تقسيم
العرب من حيث النطق بالهمزة إلى قسمين: (أهل التحقيق) و (أهل التخفيف) ، وغاية ما
يتعيّن على أهل التحقيق عند مكّي مثلاً ألاّ يتعسف في إخراج الهمزتين المحققتين ، قال : ((فإن
كان القارئ يحقّق الهمزتين في ذلك كلّهُ، حَقَّقَهُمَا في لين ورفق)) ، وقال في موضع آخر : ((فإن
كان مَن يحقّق الهمزتين، حَقَّقَ الأولى والثانية في لُطْفٍ ورفقٍ، وأتى بعد ذلك بألفٍ عَوْضاً من
الهمزة الثالثة الساكنة)) .^٤

من القبائل التي تميل إلى تحقيق الهمزة : تميم ، تيم الرباب، غني، عكل، أسد، عقيل،
قيس، بنو سلامة من أسد . ولقد سجّلت كتب اللغة الكثير من الألفاظ التي تبيّن ميل هذه
القبائل إلى الهمز في كلامها ، ممّا يدفعنا إلى أن نتساءل: فعلى أيّ أساس بنى سيبويه دعواه بأنّه
ليس من كلام العرب أن تلنقي همزتان فتحققا؟ وقد حاولت العثور على إجابة منطقيّة عن هذا
التساؤل فلم أوفق إلى ما يمكن التعويل عليه، إلّا ما ذكره الفارسي من أنّ سيبويه عدّد التحقيق
رديئاً فلم يعتبره .^٦

١ سورة التوبة / ١٢ .

٢ يُنظَر : معاني القرآن ، للأخفش ٢/ ٣٢٨ .

الرعاية / ١٤٨ ، ويُظَر : الرعاية / ١٥٣ .

الرعاية / ١٤٩ . ويُظَر : مجلّة الجامعة الإسلامية ج ٣ ع ٦٣ . الهمز بين القراء والنُّحاة ، لأكرم علي حمدان .

وقد اختار ذلك أحمد الجندي، وإن كنّا إلى رأي إبراهيم السامرائي في تقسيم اللغات إلى بدويّة وحضريّة أميل منّا إلى
عزوها إلى قبائل بعينها كما صنع الجندي وغيره. يُنظَر : اللهجات العربية في التراث ١/ ٣٣٦، وموقع مجمع اللُّغة
العربيّة بالقاهرة على العنوان التالي : <http://www.arabicacademy.org.eg>.

٦ يُنظَر : حياة اللغة العربية، حفي بك ناصف ، ط . مطبعة جامعة القاهرة، الثانية، ١٣/ ١٩٥٨ م، والعرب والعربية،
السيد عبد الرحمن العيدروسي ، ط . مطبعة دار التأليف، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م / ١٣٥، واللهجات العربية نشأة
وتطوراً، د . عبد الغفار هلال ، ط . مكتبة وهبة، الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م / ٢٢٠، واللهجات العربية في معاني

وتحقيق الهمزة هو الأصل في الكلام ، وأما التخفيف ففرعٌ عليه، وإنما نحا إليه بعض العرب طلباً للخفة واستثقلاً للهمز ، فقد مضى بيان إجماع العلماء على ثقله، ولذلك فإنَّ العرب، غيَّرتُه وتصرَّفت فيه ما لم تتصرَّف في غيره من الحروف ، فأنت به على السبعة الأوجه التي مرَّ ذكرها. وعليه فلا عجب أن يقع في كلام العرب من غير أهل هذه القبائل كلام مهموز؛ فإنَّه الأصل. قال الرضي : ((التحقيق هو الأصل كسائر الحروف، والتخفيف استحسان)).

فلو نظرنا إلى القبائل التي كانت تميل إلى تحقيق الهمز فسيَتَّضح لنا ما نذهب إليه؛ فإنَّها في مجملها قبائل بدويَّة، فهي محافظة على الأصل في نطق الهمز وهو التحقيق، بخلاف القبائل التي كانت تنح إلى التخفيف فهي في مجملها حضريَّة . على أنَّ إبراهيم السَّامرائي يرى أن تحقيق الهمزة قد يكون من عادات النطق لدى تميم، وليس لعلَّة صوتيَّة، ويستشهد لذلك بأنَّه عرف عن رؤبة الرجاز أنَّه كان يهمز (الثدوَّة) ، و (سئة) القوس ، والعرب لا تهمزها، وبأنَّه روي عن العجاج أيضاً أنَّه كان يكثر من الهمز فيهمز ما لم يسمع همزه ، نحو العالم، والخاتم ، فيقول : العالْم والخاتَم . بل لقد جاء في الصُّحاح ما يفيد أنَّ الهمز مبالغة في الفصاحة: فقد نقل الجوهري عن الفراء أنَّهم ربَّما خرجت بهم فصاحتهم إلى أن يهمزوا ما ليس بمهموز ، وذلك

القرآن للفراء، د. صبحي عبد الكريم ، ط . دار الطباعة المحمدية، الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م / ١٥٦، وخصائص لهجتي تميم وقريش، د. المواقي البيلي ، ط . مطبعة السعادة، الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م / ٦٢.

يُنظر : الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة للحافظ أبي عمرو الداني تحقيق ودراسة محمد شفاعت رباني رسالة لنيل الدرجة العالمية (الماجستير) من كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، (شعبة التفسير وعلوم القرآن) ١/ ١٨٥ .

شرح شافية ابن الحاجب ٣/٣١-٣٢، ويُنظر : سيبويه والقراءات، أحمد مكِّي الأنصاري، مجلَّة مجمع اللُّغة العربيَّة ٤ ، نوفمبر ١٩٧٤.

٣. ٣٣٦/١. اللهجات العربية

٤. في اللهجات العربية القديمة / ٦٥.

في نحو قولهم : (لبأت بالحج) في مكان لبيت ، و (رثأت الميت) في مكان رثيت، و (حلات السوق تحلئة) ، وإنما هو من الحلاوة . ولا غرابة أن نجد من القراء السبعة من يهمز (ضيزي) (ضئري) من قوله ﷺ : ﴿ تَلِكْ إِذَا قِسْمَةُ ضِيزَى ﴾ ٢٢ ، و (بِالسُّوقِ) (بالسُّوقِ) من قوله ﷺ : ﴿ رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ ٣٣ ، و (سَاقِيَهَا) (سَاقِيَهَا) من قوله ﷺ : ﴿ قِيلَ لَهَا أَدْخِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ٤٤ ، و (سُوقِهِ) (سُوقِهِ) من قوله ﷺ : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا مُّجْتَدِدًا بَلِّغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ٢٩ ، وورد الهمز في (ضياء) (ضياء) عن ابن كثير في ثلاث كلمات من ثلاث آيات ؛ قوله ﷺ : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ

^١ قال في الصحاح: وربما قالوا: (لبأت) بالهمز وأصله غير الهمز. يُنظَرُ: الصِّحَاح (تاج اللغة وصِحاح العربيَّة)، إسماعيل بن

حمَّاد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ط. ١٩٩٠، م (لبي) ٤٩٣/٦.

^٢ الصحاح ٣٠٧/٦ .

^٣ سورة النجم / ٢٢ .

^٤ سورة ص / ٣٣ .

^٥ سورة النمل / ٤٤ .

^٦ سورة الفتح / ٢٩ .

^٧ يُنظَرُ : الجامع لأحكام القرآن ٣٠٩/٨ ، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التنزيل،

أبوالقاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي،

بيروت (د.ت) ٣١٤/٢ ، واللُّبَاب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق:

السَّمْسُ ضِيَاءٌ وَالْقَمَرُ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِنَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا
 خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٠﴾ ، وفي قوله ﷺ : ﴿وَلَقَدْ
 آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُنْتَفِيكِينَ ﴿٤٨﴾ ، وفي قوله ﷺ : ﴿قُلْ
 أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْبَأْسَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا
 تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ . وقد همز كل من أبي عمرو والكسائي وأبي بكر عن عاصم (التناوُش
) (التناوُش) من قوله ﷺ : ﴿ وَقَالُوا ءَأَمَتْنَا بِهِ ۗ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ .

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ط ٤، ١٤١٩ هـ -
 ١٩٩٨ م ١٠ / ٢٦٦، و المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية
 الأندلسي (٥٤٦ هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ط ٤، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م
 ٣ / ١٢٠، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي
 (١٢٧٠ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت) ١١ / ٦٧، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد
 بن محمد العمادي أبو السعود (٩٨٢ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت) ٤ / ١٢٠، وزاد المسير في علم
 التفسير، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت ط ٤، ١٤٠٤ هـ ٩ / ٩، وفتح القدير
 الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١٢٥٠ هـ)،
 دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، بيروت ط ٤، ١٤١٤ هـ ٢ / ٤٨٣، ومفاتيح الغيب (المشتهر بالتفسير الكبير)،
 و(تفسير الفخر الرازي)، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، بيروت ط ٤، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م
 ١٧ / ٢٩، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي
 الشافعي البيضاوي (٦٩١ هـ)، إعداد وتقديم: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط ١
 (د.ت) ١ / ١٨٥ .

١ سورة يونس / ٥ .

٢ سورة الأنبياء / ٤٨ .

٣ سورة القصص / ٧١ .

٤ سورة سبأ / ٥٢ .

وقال الأزهري في احتجاجه لقوله : (أنذرهم) من قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^٦ ، ومن قوله ﷺ : ﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^{١٠} ، أن من جمع بينهما فهو الأصل، وقد وصف تحقيق الهمزتين فيها بأنه عربي فصيح . وكذا قال الباقر في كلامه على الكلمة ذاتها . ويقرر ابن خالويه حقيقة أن الهمز هو الأصل في الكلام ، في كلامه على لفظ (يؤمنون) في قوله ﷺ : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾^٢ ، حث ذكر أنه يُقرأ بالهمز وتركه فيه وفيما ضارعه ، قال : ((فالحجة لمن همز أنه أتى بالكلمة على أصلها ، وكمال لفظها؛ لأن الهمزة حرف صحيح معدود في حروف المعجم . والحجة لمن تركه أنه نحا التخفيف، فأدرج اللفظ ، وسهل ذلك عليه سكونها وبعد مخرجها)) ؛ وعليه فإن تحقيق الهمز في قراءات القراء ممن هم من أهل التخفيف إنما هو راجع لأسباب معلومة غير خافية ، هي في الأعم الأغلب لطلب الحقة أيضاً ، وهو مضبوط بضوابط معينة منها ألا يخلّ بالكلام ولا يحيل المعنى، ولذلك، فإن كان سكونها علامة للجزم ، أو كان تركها أثقل من الإتيان بها أثبتها، لئلا تخرج من لغة إلى لغة أخرى ، كقوله تعالى : (أو نسأها) ، (إن تبد لكم تسؤكم)، وكقوله : (تؤوي إليك من تشاء) ، وهذا هو الذي يفسر ما وقع في قراءات بعض القراء ممن يميلون إلى تخفيف الهمز من التحقيق في مواضع بأعيانها كما في قراءات أبي عمرو بالهمز .

٧

١ سورة البقرة / ٦ .

٢ سورة يس / ١٠ .

٣ معاني القراءات ، للأزهري ١/١٣٠ .

٤ كشف المشكلات ١/١٧٦ .

٥ سورة البقرة / ٣ .

الحجة في القراءات السبع ، لأبن خالويه ، ت د . عبد العال سالم مكرم ط . . بيروت ١٩٩٠ م / ٤٠ .

٧ يُنظر : مجلة الجامعة الإسلامية مج ١٣ ، ع ٢٣ . الهمز بين القراء والنُّحاة ، لأكرم علي حمدان .

وبذلك يتبين لنا أن الأمر ليس كما زعم الجندي ، من أن السبب في جنوح بعض القراء إلى الهمز ، أن الهمز كان قد ملك على الناس شعورهم ، فما الذي كان يمنع نافعاً من تحقيق الهمز حيث جاء ، لا سيما أن القراءة به مروية ، وبه قرأ عدد من القراء . بل لقد انفراد نافع وحده بتسهيل ما همزه سائر القراء السبعة في قوله تعالى : (الصابين) و (الصابون) تاركاً بذلك أجود اللغتين .

على أن المواضع التي روى فيها ورش عن نافع التحقيق معدودة ، ولو تتبعناها لرأينا أن ثمة أسباب إلى جانب الرواية ، حدث به إلى تحقيق الهمز فيها ، فقد استثنى ورش من إبدال الهمز المفرد ما كان مشتقاً من لفظ (الإيواء) وهي سبعة ألفاظ : (المأوى) و (مأواهم) و (مأواه) و (مأواكم) و (فأوا) و (تؤوي) و (تؤويه) وهذان اللفظان الأخيران لو ترك فيهما الهمز لاجتمعت واوان ، وهو أثقل نطقاً من تحقيق الهمز ، ثم حمل عليهما سائر باب الإيواء فحقق الهمز فيه ، وإن لم يكن في ذلك من العلة الموجبة لإتيان الهمز ما فيهما ، ليكون الباب كله بلفظ واحد ، وعلى طريقة واحدة .

٣

^١ وما الذي جعل ابن كثير يقرأ من غير همز : ((فلما استايسوا)) من قوله ﷺ : ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْسُوا مِنْهُ حَكَاوُا بِحِيَا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (سورة يوسف) ، و (لا تايسوا) ، و (إنه لا يايس) من قوله ﷺ : ﴿ بِنَجِيِّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (سورة يوسف) ، و (استايس الرسل) من قوله ﷺ : ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرًا مِنْ رَبِّهِمْ وَمَنْ نَشَأْ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (سورة يوسف) ، و (أفلم يايبس الدين آمنوا) من قوله ﷺ : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ أَلْمَوْقُ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِسِ الْذَّبُّ بِأَمْوَانٍ أَنْ لَوْ يَسَاءَ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴾ (سورة الرعد) ، وهو الذي همز الكلمات التي ذكرنا .

يُنظَرُ : النطق بالقرآن العظيم ١/١٩٩ .

^٢ يُنظَرُ : مجلة الجامعة الإسلامية مج ٤٣ ع ٢٣ . الهمز بين القراء والنُّحاة ، لأكرم علي حمدان .

وقد نقل صاحب شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع عن الداني قوله في إيجاز البيان: ((وأما الرواية بالهمز فوجهها من طريق النظر ، أنه لَمَّا أجمع الرواة عن ورش على تحقيق الهمز في قوله تعالى : (تَوَوِي) و (تَوَوِيه) وهما من باب الإيواء، من أجل أنه لو ترك الهمز فيهما لاجتمع في ذلك واوان ، واجتماعهما أثقل من الهمز ، فأثر الهمز فيهما لذلك، طلباً للخفة، فلَمَّا جاء الهمز عنه منصوصاً في ذلك ، حمل عليه في سائر باب (الإيواء) فحَقَّق الهمز فيه)) .^١

وما فعله ورش من حمل سائر ألفاظ الباب على اللفظين المذكورين ، من غير وجود ما يوجب ذلك، ليس خارجاً عن سنن العربية ، فقد ذكر الداني أن ذلك معهود من مذاهب العرب مشهور من استعمالها ، ومثاله قولهم (أكرم) ، والأصل (أأكرم) بجمزتين، الأولى همزة المتكلم والثانية التي هي في بناء أفعل في الماضي ، إلا أنهم حذفوها استئثقالاً للجمع بين همزتين في كلمة واحدة ، ثم حملوا على ذلك سائر المستقبل نحو: (نكرم) و(تكرم) و(يكرم) فحذفوا تلك الهمزة فيه ، مع عدم ما أوجب حذفها هنا . ومثله حذفهم فاء الفعل في نحو: (يعد) لوقوعها بين ياء وكسرة ، استئثقالاً لذلك وطلباً للخفة ، وحملهم على ذلك سائر المضارع، ممَّا فيه التاء والنون والهمزة ، نحو : (نعد) و (تعد) و (أعد) اتِّباعاً لما في أوله الياء، وإن كانت التاء والنون والهمزة ليس فيهنَّ من الثقل الموجب لحذف فاء الفعل ما في الياء، كما أنه ليس في الياء والتاء والنون ، فيما تقدَّم ، ما في الهمزة من الثقل أيضاً، وذلك ليأتي الباب كلُّه بلفظ واحد ، وعلى طريقة واحدة ، وإن اختفت علته ، وامتنعت في بعضه. فكذلك ما فعله ورش أيضاً من همز (تَوَوِي) و (تَوَوِيه) من أجل الاستئثقال لاجتماع الواوين، وحمله على ذلك (المأوى) ونظائره مع عدم الاستئثقال الموجب للهمز في ذلك مثله سواء)) .^٢

^١ الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع، الشنقيطي: أحمد بن الأمين، (١٣٣١هـ)، تحقيق: عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت ط ١٩٨٤ م ١/٣٣٧ .

^٢ الدرر اللوامع ١/٣٣٨. ويُنظر: مجلة الجامعة الإسلامية ج ٣ ع ٣٣. الهمز بين القراء والنُّحاة، لأكرم علي حمدان.

وبطلب الخفة علل ابن بري ما وقع في رواية ورش من تحقيق همز الإيواء ، فقد جاء في أرجوزته الموسومة بالدرر اللوامع في قراءة نافع قوله :

وَحَقَّقِ الْإِيوَاءَ لِمَا تَدْرِيهِ مِنْ ثَقَلِ الْبَدَلِ فِي تَوْوِيهِ
وهو ما عليه الإمام الشاطبي في قوله :

وَتَوْوِي وَتَوْوِيهِ أَحْفُ بِهَمْزِهِ وَرَثِيًّا بِتَرْكِ الْهَمْزِ يُشْبِهُ الْإِمْتِلَاءَ
ونقل المنتوري القيسي في شرحه على الدرر اللوامع نحو ذلك عن الإدفوي في الإبانة، ومكي في الكشف، والمهدوي في الشرح، وابن مهلب في التبيين، وابن الباذش في شرح الحصريّة .

موقف القراء من تحقيق الهمزة :

أمّا القراء فيتمسكون بالرواية في مقابل النحاة، ويرون أنّها الحجّة الأولى والأخيرة لهم، وقد أجمع عدد كبير من القراء على قراءة التحقيق . على أنّ القراء لم يكونوا وحدهم في مقابل فريق النحاة المانعين لالتقاء الهمزتين ، بل ساندتهم في ذلك نحاة الكوفة، والواقع اللغوي الذي يشهد إلى يومنا هذا بأنهم هم الذين أحرزوا النصر في نهاية المطاف؛ فقراءة تحقيق الهمز هي القراءة الأوسع انتشاراً في أيامنا هذه . ومما يقوِّي موقف القراء ما وقع فيه النحاة الذين لم يجوزوا توالي همزتين محققتين من اضطراب في شأن تحقيق الهمزتين، بحيث إنهم لم يجدوا بداً من ردّ القراءات التي جاءت به . وقد بدا هذا الاضطراب واضحاً في كتب الاحتجاج . ومن ذلك : أننا نرى الفارسي لم يكن مطرداً في مسألة التقاء الهمزتين وتحقيقهما، ففي (أَنْذَرَهُمْ) نجد أنّه ، خلافاً

^١ الدرر اللوامع في أصل مقراً الإمام نافع، لأبي الحسن علي بن محمد بن بري التازي ٣٣٥/١ .

^٢ يُنظَر : حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي، دار الكتاب النفيس، بيروت، ط ١٤٠٧هـ / ٤٠ ، وإبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، للإمام الشاطبي (٥٩٠هـ)، تأليف عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، المعروف بأبي شامة الدمشقي (٦٦٥هـ)، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر (د.ت) ١ / ٢١٢ ، وإتحاف فضلاء البشر / ٧٥ ، وتبجير التيسير في القراءات العشر، لابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف، دار الفرقان، الأردن، عمان ط ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م / ٢٢٦ .

^٣ يُنظَر: الدرر اللوامع ١/٣٣٧-٣٣٨، ومجلة الجامعة الإسلامية ج ٣ ع ٢٣ الهمز بين القراء والنحاة، لأكرم علي حمدان.

للبصريين ، يميل إلى تجويز تحقيق الهمزتين ، ويحتج له بالسماح والقياس معاً ، وحجته من القياس أن الهمزة حرف من حروف الحلق ، فكما اجتمع المثل مع مثله في سائر حروف الحلق ، نحو (فة) ، و (فهت) ، و (كع) و (كعت) ، فكذلك حكم الهمزة . ويقيسهما أيضاً على المواضع التي وقع فيها الجمع بين الهمزتين في كلام العرب ، وذلك إذا وقعتا عينين ، نحو قولهم (رأس) بوزن (فعَال) ، قال : ((ومَّا يَقْوِي ذلك من استعمالهم له قولهم : (رأس) و (سأل) و (تَدَأَبَتِ الرِّيح) و (رأيتُ الرجل) . فكما جمع الجميع بينهما إذا كانتا عينين ، كذلك يجوز الجمع بينهما في غير هذا الموضع)) ، ولا يكتفي الفارسي بهذا في الاحتجاج لقراءة تحقيق الهمزتين ، بل يمضي في القياس ، فيقيس الهمزة على سائر حروف المعجم ، ذلك أن الهمزة يبدل منها غيرها ، نحو يهريق وهْيَاك ، وتُبدل هي من غيرها كما في (رأيت رجلاً) ، و (هذه حبلاً) ، فكما جرت مجرى سائر الحروف في إبدالها من غيرها وإبدال غيرها منها ، كذلك تكون سبيلها في اجتماعها مع مثلها ، كما اجتمع سائر الحروف مع أمثالها .^٣

وأما في تحقيق الهمزتين من كلمة (أئمة) فإننا نجد الفارسي يقلب الأمر تماماً مع أن الخطب واحد ، فهو يرى أن تحقيق الهمزتين من (أئمة) : ليس بالوجه . ويعود تارة أخرى^٤ ليستند إلى القياس ، فقد قاس اجتماع الهمزتين في نحو (أئمة) على اجتماعهما في نحو (آدم) و (آدر) و (آخر) ، ذلك أن أحداً لم يقل بالتحقيق فيهما في هذه الأمثلة . ولم يغب عن الفارسي أن الهمزة الثانية في هذه الأمثلة ساكنة ، وفي (أئمة) متحركة ، وأنه قد يقال إن

الحجة للقراء السبعة ١/٢٧٥.

يُنظَر : المزهري في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط ٤ ، ١٩٩٨ م / ١ / ٤٦٢ .

^٣ يُنظَر : مجلة الجامعة الإسلامية مج ٤٣ ع ٢٣ . الهمز بين القراء والنُّحاة ، لأكرم علي حمدان .

يُنظَر : الحجة للقراء السبعة ٤/١٧٥ .

المتحركة أقوى من الساكنة ، بل إنَّه أشار إلى هذا الفرق مقرِّراً أنَّ الهمزة المتحرِّكة هنا ليست بأقوى من الساكنة ؛ لأنَّ الحركة التي فيها لم تكن مانعة من الاعتلال .^١

ونرى الزمخشري في الكشف متردداً في إصدار حكم على تحقيق الهمزتين . يقول في كلامه على لفظ (أئمة) : ((فإن قلت : كيف لفظ (أئمة) ؟ قلت : همزة بين بين ، أي بين مخرج الهمزة والياء ، وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة ، وإن لم تكن بمقبولة عند البصريين . وأمَّا التصريح بالياء فليس بقراءة ، ولا يجوز أن تكون قراءة ، ومن صرَّح بها فهو لاحن محرف)) . وعبارة الزمخشري تفيد قبوله هذه القراءة ، وإن لم يكن في قبوله هذا مستنداً إلى سند القراءة ، بل إلى كونها مشهورة ، أي دائرة على ألسنة الفصحاء ، وإلا فإنَّ الزمخشري لا يبالي برّد القراءات ، بل إنَّ ذلك ديدنه عُرف عنه واستفاض ، ولمْ نمضي بعيداً وبين أيدينا رُده القراءة الأخرى في الكلمة نفسها ، وهي قراءة التصريح بالياء (أئمة) ، وإتهام القارئ بها باللحن والتحريف ، مع أنَّه قرأ بها رأس البصريين النُّحاة ، أبو عمرو ، وابن كثير ، ونافع بخلف عنه . وقد تعقَّبه أبو حيَّان من أجل ذلك وأغلظ القول عليه .^٣

ويصرِّح الزمخشري في المفصل بأنَّ تحقيق الهمزتين على هذا النحو شاذ ، قال : ((وقد سمِعَ أبو زيد من يقول : اللهم اغفر لي خطائي ، قال : همَّزها أبو السمح وردَّادُ ابنُ عمِّه . وهو شاذ ، وفي القراءة الكوفية أئمة)) . وليت شعري فيم حگم الزمخشري على هذه اللغة بالشذوذ ، وقد أقرَّ بها أشد العلماء منعاً لالتقاء الهمزتين محققتين ، وهو ابن جنِّي الذي أورد هذا الخبر في معرض

يُنظر : الحجَّة للقراء السبعة ١٧٦/٤ .

الكشاف ٢٣٨/٢-٢٣٩ .^٢

يُنظر : السبعة في القراءات ٣١٢ ، والبحر المحيِّط ، محمَّد بن يُوسُف الشهير بأبي حيَّان الأندلسي (٧٤٥هـ) ، مطابع النصر الحديثة ، الرياض ، (د.ت) . ويُنظر : مجلة الجامعة الإسلامية ج ٣ ، ع ٤٣ ، ٢٣ . الهمز بين القراء والنُّحاة ، لأكرم علي حمدان .

المفصل في صنعة الإعراب ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق : د . علي بوملحم ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ،

ط ١٩٩٣ ، م ٣٥١ .

ردّه على من يجمع بين الهمزتين محققتين ، فقال: ((فإن قلت: فقد جاء عنهم خطائي، ووزائي ، ودريئة ودرائي ، ولفيئة ولفائي ، وأنشدوا قوله :

فإنك لا تدري متى الموت جائي إليك، ولا ما يحدث الله في غد

قيل : أجل ، هذا قد جاء ، لكن الهمز الذي فيه عرض عن صحة صنعة)) . ويمضي ابن جني ليناقدش كلمة : (خطائي) فيرى أنّ همزة (فعائل) عرضت عن وجوب، أي أنّه لا بدّ منها؛ لأنّ ما كان على وزن (فعيلة) يُجمع على (فعائل) ، كهمزة (سفائن)، و(رسائل)، ولمّا كانت لام الكلمة (خطيئة) مهموزة ، فقد اجتمعت الهمزتان، همزة فعائل وهمزة لام الكلمة ، فصحّح بعض العرب همزة اللام هذه ، أي نطقوا بها محققة غير مسهلة .^٢

وفي احتجاج ابن أبي مريم لهذه القراءة يطالعنا قوله : ((ويحسن هذه القراءة أنّ الهمزة الأولى غير لازمة للكلمة ؛ لأنّها همزة التسوية ، وما لا يلزم الكلمة فهو بمنزلة ما لا يعتدّ به)) . ومع أنّ ابن أبي مريم يقبل هذه القراءة ، إلّا أنّ الاضطراب بيّن في تخريجه إيّاها؛ فإنّ العبرة في منع المانعين إنّما هي باجتماع الهمزتين في النطق، ممّا يزيد الثقل في نظرهم، وهذا الأمر واقع سواء أكانت الهمزتان لازمتين أم غير لازمتين . ويدلّنا على ذلك قول ابن زنجلة في قراءة من قرأ بهمزة واحدة وباء خالصة: ((كأثمّ كرهوا الجمع بين همزتين في بنية واحدة، ولا اعتبار بكون الأولى زائدة كما لم يكن بها اعتبار في آدم)) .^٣

وفي إعراب القرآن للنحاس لا نكاد نقف على رأيه في المسألة ، فقد ذكر أنّ النحاة يعدّون قراءة تحقيق الهمزتين لحناً لا يجوز ، بيد أنّه ساق زعماً لأبي إسحاق بأنّه جائز على بُعد . وإنّ نظرة فيما سوّغ به أبو إسحاق هذا (جواز اجتماع الهمزتين) ، لتدلّ على مدى ما تورّط

يُنظر : الخصائص ٦/٢ ، ١٤٣/٣ .

الخصائص ٦/٢ .^٢

الخصائص ٦/٢ - ٧ .^٣

الموضح ٢٤٢/١ .^٤

حجّة القراءات / ٣١٥ . ويُنظر : مجلة الجامعة الإسلامية ج ٣ ع ٢٣ . الهمز بين القراء والنحاة، لأكرم علي حمدان.

فيه ، وقد كان له في السكوت مندوحة ، قال : ((لأنه قد وقع في الكلمة علتان ، الإدغام والتضعيف ، فلمَّا أُلقيت حركة الميم على الهمزة تركت الهمزة لتدلَّ بحركتها على ذلك)) . وما من شكٍّ في وضوح ما في هذا التخريج من تكلف لا مسوغ له ، إلاَّ تشبُّثه بقاعدة منع تحقيق الهمزتين المتتاليتين . وكان يغنيه عن ذلك لو ذكر أنَّ من حَقَّق الهمزتين أخرجهما على الأصل كما يقرِّر العكبري . والإعلال والتضعيف اللذان أشار إليهما ، يفهمان بالرجوع إلى أصل الكلمة (أئمة) فإنَّها جمع إمام ، والأصل فيها (الأئمة) ، كمثل وأمثلة ، ثمَّ أدغمت الميم في الميم ، وقُلبت الحركة على الهمزة ، فاجتمعت همزتان .

فتحقيق الهمز الذي دار حوله خلاف واسع بين القراء والنُّحاة إنَّما هو ، كالتسهيل ، تصوير لبعض لهجات العرب غير قريش ، بل هو الأصل . وقد صحَّت به الرواية ، ولم يخالف قياساً معروفاً ، ولعل أكثر القبائل اشتهاً بالميل إلى الهمز تميم ، وهي قبيلة عربيَّة معروفة ، وقد شاركتها فيه قبائل أخرى ، والقراءات جاءت على لغة العرب قياسها وشاذّها .

بين تحقيق الهمزة المفردة وتخفيفها

^١ همزة كلمة (أئمة) .

إعراب القرآن ، أبو جعفر النَّحَّاس ، أحمد بن محمَّد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (٣٣٨هـ) ، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١٤٢١هـ . ١١١/٢ .

التبيان في إعراب القرآن ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: ٦١٦هـ) ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، نشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه (د.ت) ٦٣٧/٢ .

إعراب القرآن ١١٠/٢-١١١ .

^٥ يُنظر : مجلة الجامعة الإسلامية مج ٤٣ ع ٢٣ . الهمز بين القراء والنُّحاة ، لأكرم علي حمدان .

١ . من القراءات التي ذكرها ابن عاشور متفاوتة بين تحقيق الهمزة وتخفيفها: قراءة (مُسْتَهْرُونَ) من قوله ﷺ : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْرُونَ ﴾ ١٤ ، حيث ذكر فيها قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة التحقيق (مُسْتَهْرُونَ) بتحقيق الهمزة على الأصل، ولم ينسبها إلى أحد . وقرأ بها ابن عامر وابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي، وخلف (مُسْتَهْرُونَ) بتحقيق الهمزة على الأصل ، وذكر الأزهري، وابن منظور، والزبيدي عن الزجاج أنَّها القراءة الجيدة، وهو مذهب سيويه .^٤

القراءة الثانية: قراءة التخفيف (مُسْتَهْرُونَ) بِدُونِ هَمْزَةٍ وَبِضَمِّ الزَّايِ، ونسبها إلى أبي جعفر ، وخرَّجها على أنَّها لغة فصيحة في المهموز . وذكر الأزهري ، وابن منظور، والزبيدي عن الزَّجَّاج ضعفها، وأنَّه لا وجه لها إلا شاذاً على قول من أبدل من الهمزة ياءً فقال في اسْتَهْرَأْتُ :

^١ سورة البقرة / ١٤ .

^٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير : ١ / ٢٩٣ .

^٣ يُنظَرُ : السبعة في القراءات / ١٣٢، وإعراب النحَّاس ١/١٤٠، والمختصر ٢/، والإرشاد، لأبي الطَّيِّب عبد المنعم بن غلبون الحلبي نزيل مصر، (ت ٣٨٩ هـ) / ١٧١، والنشر ١/٣٩٧، وإتحاف فضلاء البشر ١/٣٧٩، والقراءات القرآنيَّة في المعجمات اللغويَّة حتَّى نهاية القرن السابع الهجري، رسالة تقدَّم بها: عبدالرحمن مطلق وادي الجبوري إلى كليَّة الآداب في جامعة بغداد ، إشراف د. فاضل السامرائي (جماد آخرة ١٤١٠هـ - كانون ثاني ١٩٩٠م) ٩٠، ٥٥٢/ .

^٤ يُنظَرُ : تهذيب اللُّغة، لأبي منصور محمَّد بن أحمد الأزهريّ (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ)، والدار المصريَّة للتأليف والترجمة، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م) ٦ / ٣٦٩ ، لسان العرب في (هزأ) ، تاج العروس في (هزأ) .

^٥ يُنظَرُ : والنشر ١/٣٩٧، وإتحاف فضلاء البشر ١/١٢٩، والتبيان ١/٧٩، ومعاني القرآن وإعرابه، للزَّجَّاج أبي إسحاق إبراهيم بن السَّريّ (٣١١ هـ)، شرح وتحقيق د. عبدالجليل عبده شليبي، عالم الكتب ط ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م ١/٩٠، وتاج العروس (هزئ)، والتهذيب (هزئ)، ومصائر ذوي التمييز (هزئ)، شرح الشافية ١/٢٦، ومعجم القراءات، د. عبداللطيف الخطيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ط ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م ٤٨/١ .

^٦ يُنظَرُ : التحرير والتنوير : ١ / ٢٩٣ .

اسْتَهْزَيْتُ ، فيجب على اسْتَهْزَيْتُ مُسْتَهْزُونَ . فقد قال الرَّجَّاجُ : ((و(مستهزئون)؛ القراءة الجيدة فيه، تحقيق الهمزة، فإذا حَقَّقَتِ الهمزة جعلت الهمزة بين الواو والهمزة، فقلت (مستهزؤون). فهذا الاختيار بعد التحقيق. ويجوز أن تُبَدِّلَ من الهمزة ياءً فنقول: (مستهزيون)، فأما (مستهزون) فضعيف لا وجه له إلا شاذاً على لغة من أبدل الهمزة ياء فقال في: (استهزأت): (استهزيت).
 فيجب على لغة (استهزيت) أن يُقالَ: (مستهزؤون)).^٢

وقيل أن الاختيار بعد التحقيق تخفيف الهمز بين الواو والهمزة (مستهزؤون) ، ويرى أبو الحسن الأفش أن قلب الهمزة ياء قلباً صحيحاً فيقرأ: (مستهزيون)؛ لأن ما قبلها مكسور، وهي قراءة يزيد بن القعقاع، وحمزة .^٤

وقال ابن عطية : ((ومذهب سيويه - رحمه الله - أن تكون الهمزة مضمومة على الواو في (مستهزؤون). وحكى عنه علي أنها تخفف بين بين ... وأكثر القراء على ما ذهب إليه سيويه، ويقال : ((هزىء واستهزأ)) بمعنى ، فهو ك (عجب واستعجب)، ومنه قول أوس بن حجر:

وَمُسْتَعِجٍ مَّا يَرَى مِنْ أَنَاتِنَا وَلَوْ زَبَنْتَهُ الْحَرْبُ لَمْ يَتْرَمِرْ)) .
 وذكر ابن فارس في فقه اللغة: إن اختلاف لغات العرب من وجوه منها: الاختلاف في الهمز والتلين نحو (مستهزؤون) و (مستهزؤون) . واختلاف لغات العرب، الذي أدى إلى

^١ يُنظَر : تهذيب اللغة ٦/ ٣٧٠ ، ولسان العرب في (هزأ) ، تاج العروس في (هزأ) .

^٢ يُنظَر : معاني القرآن وإعرابه ١/ ٨٩-٩٠ .

^٣ ونقل ابن عطية أنه رأي لسيويه . يُنظَر : المحرر الوجيز ١/ ٣١ .

^٤ وقال ابن جني : ((حمل الياء الضمة تذكراً لحال الهمزة المضمومة والعرب تعاف ياء مضمومة قبلها كسرة)) . يُنظَر : تهذيب اللغة ٦ / ٣٨٦ - ٣٦٩ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١/ ٨٩ ، والمحرر الوجيز ١/ ١٧٦ ، وشرح شافية ابن الحاجب ٣/ ٤٦ ، ولسان العرب في (هزأ) ، والقراءات القرآنية ، للخطيب ١/ ٤٨ .

^٥ ((وإذا كانت الهمزة مضمومة وقبلها ضمة أو كسرة فإنك تصيرها بين بين)) . الكتاب (باب الهمز) ٣/ ٥٤٢ .

^٦ البيت من بحر الطويل من قصيدة مطلعها : تَنَكَّرتِ مِنَّا بَعْدَ مَعْرِفَةِ لَمِي وَبَعَدَ التَّصَابِي وَالشَّبَابِ الْمَكْرَمِ

^٧ المحرر الوجيز ١/ ٣١ .

اختلاف القراءات، لا يؤثر في المعنى. وأرى أن قراءة التخفيف والتحقيق قراءتان ثابتتان، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب.

٢. من القراءات التي ذكرها ابن عاشور متفاوتة بين تحقيق الهمزة وتخفيفها قراءة

(وَسْأَلُوا) من قوله ﷺ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لِلنِّسَاءِ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لِرِجَالِكُمْ وَمَا كُنَّا لِنُعْطِيَكُمْ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ، فقد ذكر فيها قراءتين!

القراءة الأولى: قراءة التحقيق (وَسْأَلُوا) بإثبات الهمزة بعد السين الساكنة، ونسبها إلى الجمهور، وهم أبو عمرو ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة ، وخرجها على أنها عين الفعل .

^١ يُنظر : الصاحبي في فقه اللغة العربية، ومسائلها، وسنن العرب في كلامها، أبي الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، علّق عليه ووضع حواشيه، أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م / ٢٥، والمزهر في علوم اللغة / ٨٠.

^٢ سورة النساء / ٣٢ .

^٣ يُنظر : التحرير والتنوير ٣٢/٥، والسبعة في القراءات / ٢٣٢، والكشف عن وجوه القراءات ٣٧٨-٣٨٨، والعنوان في القراءات السبع، أبو الطاهر إسماعيل بن خلف المقرئ الأنصاري الأندلسي (٤٥٥هـ)، تحقيق: د. زهير زاهد، و د. خليل العطية، عالم الكتب، بيروت، ط ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م / ٨٤، والنشر ٤١٤/١، وإتحاف فضلاء البشر/١٨٩، ٦١، والتبيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٠٩هـ / ١٨٣/٣، وحجة القراءات/١٢٣، والجامع لأحكام القرآن ١٦٥/٥، والتيسير في القراءات السبع، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، دار الكتاب العربي بيروت ط ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م / ٩٥، والبحر المحيط ٢٣٦/٣، والتبصرة / ٤٠٥، وشرح الشاطبية، جلال الدين السيوطي، تحقيق: مكتبة قرطبة للبحث العلمي ، وإحياء التراث، حسن بن عباس بن قطب، مؤسسة قرطبة، القاهرة ط ١٤٠٤هـ / ٢٠٠٤م / ١٨٢، والمبسوط / ١٥٤، والمكسر/٢٩، والحجّة في القراءات السبع / ١٢٣، والمحزّل الوجيز ٣٦/٤، وزاد المسير ٧٠/٢، والتذكرة في القراءات الثمان، أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون المقرئ الحلبي (٣٩٩هـ)، دراسة وتحقيق: أيمن رُشدي سويد، سلسلة أصول النشر، جدّة ط ١٤١٢هـ - ١٩٩١م / ٣٠٦، ومعجم القراءات، للخطيب ٦٠/٢.

^٤ يُنظر : التحرير والتنوير ٣٢/٥.

القرءة الثانية: قرءة التءففة (وسألوا) بفءء السفة وءءء الهمة؁ ونسبها إلى ابن كءفر؁ والكساءفة؁ وقرأ بها ءلف؁ وسهل؁ وإسماعل؁ وابن مءصن؁ وأبان؁ وأبوءعفر؁ وشفةفة فف رواءة عنهما . وءرءها ابن عاشر على أن الهمة ءءء بعء نقل ءرءةها إلى السفة الساكن قبلها ءءفةفا . وقرأ كذلك (فسئل) فف قوله ؒ : ﴿ فإن كءت فف شك ممأ أنزلنا إلفك فسئل الذفن بقرؤن الكءب من قبلك لقد جاءك الآءق من ربك فلا ءكونن من الممءرن ﴾ (٩٤)؁ و (فسئل) فف قوله ؒ : ﴿ ولقد آاننا موسف سسع آائف بففنء فسئل بفف إسرفل إذ جاءهم فقال له؁ فرعون فف لآظنك فموسف مسءورا ﴾ (١٠١)؁ و (وسئل) ء فف قوله ؒ : ﴿ وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا آجعلنا من ءون الرءمن آلهة عبءون ﴾ (٤٥)؁ وكل ما كان مءله من الأمر المواء به؁ وقبلة واو أو فاء؁ فهو غير مهموز فف قولهما . وروى الكساءفة عن إسماعل بن جعفر عن آبف جعفر وشفةفة آهما لم فهما : (وسئل)؁ ولا (فسئل) مثل قرءة الكساءفة . وقال أبو على : الهمز وءرك الهمز ءسنان؁ ولو ءففء الهمة فف قوله : ((ولئسألوا ما أنفقوا)) من قوله ؒ : ﴿ ففأفها الذفن آمنوا إذا جاءكم المؤمنء مؤءرء فأمءءوهن الله أعلم بالفمفن فف علمءوهن مؤمنء فلا ءرءعوهن إلى الكفار لآهن حل لهم ولا هم

^١ ففظر : ءءفر وءنوفر ٣٢/٥؁ والسبعة فف القرءاء ٢٣٢/٢؁ والكشف عن ووءه القرءاء ٣٧٨/١-٣٨٨؁ والعنوان ٨٤/١؁ والنشر ٤١٤/١؁ وإءءاف فضلاء البشر ١٨٩؁ ٦١؁ وءبفان فف ءفسفر القرآن ١٨٣/٣؁ وءءة القرءاء ١٢٣/١؁ والءامع لأءكام القرآن ١٦٥/٥؁ وءففسفر ٩٥/١؁ والبءر المءط ٢٣٦/٣؁ وءبصرة ٤٠٥/١؁ وءرء الشاطفة ١٨٢/١؁ والمبسوط ١٥٤/١؁ والمكزر ٢٩/١؁ وءءة فف القرءاء السبع ١٢٣/١؁ وءرر الوءفز ٣٦/٤؁ وءاء المسفر ٧٠/٢؁ وءءءرة فف القرءاء ءمان ٣٠٦/١؁ ومءءم القرءاء؁ للءطفب ٦٠/٢ .

^٢ ففظر : ءءفر وءنوفر ٣٢/٥ .

^٣ سورة فونس ٩٤/١ .

^٤ سورة الإسراء ١٠١/١ .

^٥ سورة الرءرف ٤٥/١ .

يَجْلُونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مِمَّا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَانَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ
 الْكَوَافِرِ وَسْئَلُوا مِمَّا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا عَلَيْكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ،
 كان حسناً أيضاً .

وأرى أنّ قراءة التخفيف والتحقيق قراءتان ثابتتان، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب، وقد وافقت كلّ قراءة وجهها صحيحا من وجوه اللغة. ولا يؤثّر هذا الاختلاف في القراءات، في المعنى؛ لأنّه ناتج عن اختلاف لغات العرب.

٣. من القراءات التي ذكرها ابن عاشور في تحقيق الهمزة المفردة، وتخفيفها قراءة (أَجَلٍ) من قوله ﷺ : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ ﴿٣٢﴾ ، فقد ذكر في (من أجل) ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: تحقيق الهمزة (من أجل) بإسكان نُونِ (من)، وإظهارِ هَمْزَةٍ (أَجَلٍ)، ونسبها إلى الجُمهُورِ .

١ سورة الممتحنة / ١٠ .

٢ يُنظَرُ : الحِجَّةُ للقراء السبعة ١٥٥/٣-١٥٦ .

٣ سورة المائدة / ٣٢ .

٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٧٦/٦، والنشر ٢٥٤/٢، وإتحاف الفضلاء / ٢٠٠، والجامع لأحكام القرآن ١٤٦/٦، وإعراب القرآن، للنخّاس ٢٦٦/١، والبحر المحيط ٤٦٨/٣، ومجمّع البيان ٧٩/٦، وغرائب القرآن ووعائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مكتبة مصطفى الباوي الحلبي ط ١٣٨٥ هـ ٧٩/٦، والمبسوط / ١٨٥، وحاشية الجمل ٤٨٥/١، وإعراب القراءات السبع، وعللها ١٤٥/١، وفتح القدير ٣٩/٢، وإرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر، أبو العز محمد بن الحسين بن بُندار الواسطي القلانسي (٥٢١هـ)، تحقيق ودراسة: عمر حمدان الكبسي، ١٤٠٤ هـ / ٢٩٦، ومعجم القراءات، للخطيب ٢٦٣/٢ .

القراءة الثانية: تخفيف الهمزة بحذفها (مِنْ جَلٍ) بِفَتْحِ نُونِ (مِنْ)، وَحَذْفِ هَمْزَةِ (أَجَلٍ)، ونسبها إلى وَرْشٍ عَنْ نَافِعٍ ، وخرَّجها على أَنَّ الهمزة حُذِفَتْ بعد نقل حركتها إلى ما قبلها (نون مِنْ)، على طريقة ورش في التعامل مع أمثال هذه الهمزة .^٢

القراءة الثالثة: تخفيف الهمزة بحذفها (مِنْ أَجَلٍ) بِكَسْرِ نُونِ (مِنْ)، وَحَذْفِ هَمْزَةِ أَجَلٍ، ونسبها إلى أَبِي جَعْفَرٍ ، وخرَّجها على أَنَّهَا لُغَةٌ، أصلها (مِنْ أَجَلٍ ذَلِكَ) فَكُسِرَتِ الهمزة، ثُمَّ حُذِفَتْ بَعْدَ نَقْلِ حَرَكَتِهَا إِلَى النُّونِ قَبْلَهَا فِي (مِنْ)، فَصَارَتْ عَيْرَ مَنْطُوقٍ بِهَا . وهذا النوع من الخلاف في القراءات لا يؤثر على المعنى.

٤. من القراءات التي ذكرها ابن عاشور في تحقيق الهمزة المفردة، وتخفيفها قراءة (أَرْجِهَ)

من قوله ﷺ: ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴾ ، فقد ذكر فيها قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة تخفيف الهمزة بحذفها بين الجيم والهاء (أَرْجِهْ) بِجِيمٍ ثُمَّ هَاءٍ، ونسبها إلى نَافِعٍ، وَعَاصِمٍ، وَالْكَسَائِمِيِّ، وَأَبِي جَعْفَرٍ، وَقَرَأَ بِهَا حمزة، والسلمي، وأبو جعفر، وأبو حمدون،

^١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٧٦/٦، والنشر ٤٠٨/١، وإتحاف الفضلاء /٥٩،٢٠٠، مختصر ابن خالويه ٢٢/٢، ومعاني القرآن، للأخفش ٢٧٥/١، والحجّة في القراءات السبع /١٣٠، والكشاف /٤٥٧، والبحر المحيط ٤٦٨/٣، وغرائب القرآن ٧٩/٦، والمهذب فيما وقع في القرآن من المعرب ، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، تحقيق: سمير حسين حلبي ، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ١٨٥/١، والمبسوط /١٨٥، وحاشية الجمل ٤٨٥/١، وإعراب القراءات السبع، وعللها ١٤٥/١، وفتح القدير ٣٩/٢، والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدّري، القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، لعبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (١٤٠٣هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت) /٩٢، ومعجم القراءات، للخطيب ٢٦٣/٢.

^٢ يُنظَرُ التحرير والتنوير ١٧٦/٦.

^٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٧٦/٦، والنشر ٢٥٤/٢، وإتحاف الفضلاء /٢٠٠، والجامع لأحكام القرآن ١٤٦/٦، وإعراب القرآن، للنحاس ٢٦٦/١، والبحر المحيط ٤٦٨/٣، ومجمّع البيان ٧٩/٦، وغرائب القرآن ٧٩/٦، والمبسوط /١٨٥، وحاشية الجمل ٤٨٥/١، وإعراب القراءات السبع، وعللها ١٤٥/١، وفتح القدير ٣٩/٢، وإرشاد المبتدي ٢٩٦/٢، ومعجم القراءات، للخطيب ٢٦٣/٢.

^٤ يُنظَرُ: التحرير والتنوير ١٧٦ / ٦، والجامع لأحكام القرآن ١٤٦/٦.

^٥ سورة الأعراف / ١١١ .

وأبوبكر، والأعمش، والأعشى، وهبيرة، وأبان . وخرَّجها على أَنَّ فِعْلًا (أَرْجِهْ) أَمْرٌ مِنَ الإِزْجَاءِ وَهُوَ التَّأخِيرُ. وَأَنَّ أَصْلَهُ (أَرْجِهْ) بِهَمْزَةٍ بَعْدَ الجِيمِ، فَسُهِلَتِ الهَمْزَةُ تَخْفِيفًا، فَصَارَتْ يَاءً سَاكِنَةً، وَعُومِلَتْ مُعَامَلَةً حَرَفِ العِلَّةِ فِي حَالَةِ الأَمْرِ . والقراءات من غير هَمْزٍ لُغَةٌ تَمِيمٌ وَأَسَدٌ، فَهَمَّ يَقُولُونَ: (أرجيت الأمر)، إذا أحرته .

٣

ونرى أَنَّ ابن عاشور ذكر قراءة واحدة لتخفيف الهمزة، ولم يفصل، إلاَّ أَنَّهُ أشار إلى أَنَّ الحَرَكَاتِ هَاءِ العَيْبَةِ وَإِشْبَاعِهَا وَجُوهٌ مُقَرَّرَةٌ فِي عِلْمِ القِرَاءَاتِ، وقد وردت ثلاث قراءات في تخفيف الهمزة، وهي:

الأولى: قراءة (أَرْجِهْ) بكسر الجيم، وحذف الهمزة بين الجيم والهاء، وسكون الهاء وصلًا ووقفًا، وتُنسَبُ إلى الأخوين، وبها قرأ عاصم في غير رواية المفضل .^٤
 الثانية: قراءة (أَرْجِهِي) بحذف الهمزة بين الجيم والهاء، وهاء متصلة بياء، وتُنسَبُ إلى الكسائي، وورشٍ عن نافع .^٥

الثالثة: قراءة (أَرْجِهْ) بحذف الهمزة بين الجيم والهاء، وهاء مكسورة دون ياء، وتُنسَبُ إلى قالون والمسيبي عن نافع، ورواها المفضل عن عاصم، وهي قراءة عن أبي جعفر .^٦
 القراءة الثانية التي ذكرها ابن عاشور: قراءة تحقيق الهمزة الساكنة (أَرْجِهْهُ) بهمزة ساكنة بين الجيم والهاء، ونسبها إلى بَقِيَّةِ القُرَّاءِ، ولم يعددهم، وهم ابن عامر في رواية هشام، وابن كثير، وعاصم في رواية يحيى بن آدم، وأبو عمرو، ويعقوب . وخرَّجها على أَنَّ تحقيق الهمزة سَاكِنَةٌ جَاءَ

^١ يُنظَرُ: التحرير والتنوير ٩ / ٤٣، وإبراز المعاني من حرز الأمازي ١ / ١٥٨، ومعجم القراءات، للخطيب ٣ / ١١٨ .

^٢ يُنظَرُ: التحرير والتنوير ٩ / ٤٣ .

^٣ يُنظَرُ: معجم القراءات، للخطيب ٣ / ١١٨ .

^٤ يُنظَرُ: اللباب في علوم الكتاب ٩ / ٢٥٣، وزاد المسير ٣ / ٢٣٩ . وجاء عن ابن عطية في المحرر الوجيز أَنَّ عاصمًا، والكسائي، قرأا ((أَرْجِهْ)) بضمِّ دون هَمْزٍ، وزاد المسير ٣ / ٢٣٩، ومعجم القراءات، للخطيب ٣ / ١٢٠ .

^٥ يُنظَرُ: معاني القرآن وإعرابه ٢ / ٣٦٥، واللباب في علوم الكتاب ٩ / ٢٥٣، وزاد المسير ٣ / ٢٣٩ .

^٦ يُنظَرُ: معاني القرآن وإعرابه ٢ / ٣٦٥، والحجَّة للقراء السبعة ٤ / ٥٨، واللباب في علوم الكتاب ٩ / ٢٥٣، وزاد المسير ٣ / ٢٣٩ .

^٧ يُنظَرُ: التحرير والتنوير ٩ / ٤٣، وإبراز المعاني من حرز الأمازي ١ / ١٥٨، ومعجم القراءات، للخطيب ٣ / ١٢٠-١٢١ .

على الأصل، وذكر أنّ لهم في حركات هاء العيبة وإشباعها وجوه مقررّة في علم القراءات، ولم يُبيّنْها وإنما اكتفى بالإشارة لذلك . وقد وردت فيها ثلاثاً قراءات هي:

الأولى: قراءة (أرَجَتْهُ) بهمزة ساكنة، وهاء مضمومة متّصلة بواو، وتُنسب إلى ابن كثير، وهشام عن ابن عامر .^٢

الثانية: قراءة (أرَجَتْهُ) بهمزة ساكنة، وهاء مضمومة بدون واو، وتُنسب إلى أبي عمرو، وقال الفارسي: إنّ ابن عامر: قرأها كذلك في رواية هشام بن عمار مثل أبي عمرو .^٣

الثالثة: قراءة (أرَجَتْهُ) بهمزة ساكنة وهاء مكسورة من غير صفة، وتُنسب إلى ابن ذكوان عن ابن عامر .^٤

وقد طعن قومٌ في قراءة ابن ذكوان (أرَجَتْهُ) بهمزة ساكنة وهاء مكسورة من غير صفة؛ وجاء عن الفارسي: أنّ ضم الهاء مع الهمزة لا يجوز غيره، وكسرهما غلط؛ لأنّ الهاء لا تكسر مع الهمز إلاّ بعد ياء ساكنة أو كسرة . وأجيب عنه بوجهين؛ أحدهما: أنّ الهمزة ساكنة، والحرف الساكن حاجز غير حصين، فكأنّ الهاء وليت الجيم المكسورة فلذا كسرت. وثانيهما: أنّ الهمزة عرضة للتغيير كثيراً بالحذف، وإبدالها ياء إذا سكّنت بعد كسرة، فكأنّها وليت ياء ساكنة؛ فلذا كسرت. وردّ على ذلك أبو شامة معتبراً أنّ الهمزة حاجز، وأنّ الهمزة لو كانت ياء كان المختار الضم؛ نظراً لأصلها. والصحيح أنّ ذلك جائز، والقراءة متواترة، وما ذكر لغة ثابتة عن العرب .

^١ يُنظر: التحرير والتنوير ٩ / ٤٣ .

^٢ يُنظر: اللباب في علوم الكتاب ٩ / ٢٥٣ .

^٣ يُنظر: معاني القرآن وإعرابه ٢ / ٣٦٥، والحجّة للقراء السبعة ٤ / ٥٨، واللباب في علوم الكتاب ٩ / ٢٥٣ .

^٤ يُنظر: الحجّة للقراء السبعة ٤ / ٥٨، واللباب في علوم الكتاب ٩ / ٢٥٣ .

^٥ يُنظر: الحجّة للقراء السبعة ٤ / ٥٨ .

^٦ يُنظر: اللباب في علوم الكتاب ٩ / ٢٥٣، وروح المعاني ٩ / ٢٢، ١٩ / ٧٦، ودور اللهجة في التقعيد النحوي، دراسة إحصائية تحليلية في ضوء همع

المواضع للسيوطي، للدكتور علاء إسماعيل الحمزاوي، أستاذ العلوم اللغوية للمساعد بكلية الآداب، جامعة المنيا / ١٢، ٧٤ .

وجاء عن ابن مُجاهدٍ : أنَّ هذا لا يجوزُ؛ لأنَّ الهاءَ لا تكسُرُ إلاَّ بعد كسرة أو ياء ساكنة .^١

٢ وعن الحوفيُّ : أنَّ من القراء مَنْ يكسر مع الهمزِ، ووصفه بأنَّه ليس بجيِّد .
وقال أبو البقاء : إنَّه يُقرأ بكسر الهاء مع الهمز، ولكنَّه وصفها بالضعف؛ لأنَّ الهمزة حرف صحيحٌ ساكنٌ، فليس قبل الهاء ما يقتضي الكسر .^٣

وعن ابن عادل الدمشقي أنَّ النَّاس اعتدروا عن هذه القراءة على سبيل التنازل بوجهين : أحدهما : أنَّ الهمزة ساكنةٌ، وأنَّ السَّاكن حاجزٌ غير حصين، وأنَّ له شواهدَ مذكورة في موضعها، فكأنَّها الهاء وليت الجيم المكسورة فلذلك كُسرت.

الثاني : أنَّ الهمزة كثيراً ما يطرأ عليها التغيير، وهي هنا في معرض أن تبدل ياء ساكنة لسكونها بعد كسره، فكأنَّها وليت ياء ساكنة، فلذلك كُسرت .^٤
وقد اعترض أبو شامة على هذين الجوابين بثلاثة أوجه:

الأول : أنَّ الهمز حاجز معتدُّ به بإجماع في (أنبئهم) من قوله ﷺ : ﴿ قَالَ يَكَادُمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾^٥ ، و (نبيهم) من قوله ﷺ : ﴿ وَنَبِيَّهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلِّ شَرِبَ مِنْهُمْ ﴾^٦ ، والحكم واحد في ضمير الجمع والمفرد فيما يرجع إلى الكسر والضم .

^١ يُنظر : السبعة في القراءات / ٢٨٨ ، واللباب في علوم الكتاب / ٩ / ٢٥٣ .

^٢ يُنظر : اللباب في علوم الكتاب / ٩ / ٢٥٣ .

^٣ يُنظر : الإملاء / ١ / ٢٨١ ، واللباب في علوم الكتاب / ٩ / ٢٥٣ .

^٤ يُنظر : اللباب في علوم الكتاب / ٩ / ٢٥٣ .

^٥ سورة البقرة / ٣٣ .

^٦ سورة القمر / ٢٨ .

الثاني: أَنَّهُ كَانَ يَلْزِمُهُ صَلَاةُ الْهَاءِ، إِذْ هِيَ فِي حُكْمِ كَأَنَّهَا قَدْ وُلِّيَتْ الْجِيمَ.

الثالث: أَنَّ الْهَمْزَةَ لَوْ قُلِبَتْ يَاءً لَكَانَ الْوَجْهَ الْمَخْتَارُ ضَمُّ الْهَاءِ مَعَ صَرِيحِ الْيَاءِ نِظْرًا إِلَى أَنَّ أَصْلَهَا هَمْزَةٌ، فَمَا الظُّنُّ بِمَنْ يَكْسِرُ الْهَاءَ مَعَ صَرِيحِ الْهَمْزَةِ، فَضَمُّ الْهَاءِ مَعَ الْهَمْزَةِ هُوَ الْوَجْهُ .
واحتج ابن جني لهذه القراءة، رادًّا على أبي شامة وابن مجاهد، ومن وافقهم من المعترضين عليها، فقال عند حديثه عن رواية ابن عامر: (أَنْبِئْهُمْ) بالهمز وكسر الهاء: إنَّ طريقه هذه الهمزة ساكنة، والساكن ليس بحاجز حصين عندهم، فكأنَّه لا همزة هناك أصلاً، وكأنَّ كسرة الباء على هذا مجاورة للهاء، فلذلك كسرت، فكأنَّه على هذا قال: (أَنْبِئْهُمْ)، وأنَّه يدل على ما ذكرناه من ضعف الساكن أن يكون حاجزًا حصينًا، وذكر أمثلة على ذلك، ثمَّ قال بعد ذلك: ولم يعتد السَّاكن بينهما حاجزًا لضعفه، فكذلك الهمزة في (أَنْبِئْهُمْ) لا تحجز على هذا النحو الذي ذكرناه. ثمَّ مضى محتجًا لهذه القراءة قائلًا: فقد علمت بذلك أنَّ قول ابن مجاهد: (هذا لا يجوز) لأوجه له؛ لما شرحناه من حاله .^٤

والصحيح كما ذكرت من قبل أنَّ ذلك جائز، وأنَّ القراءة متواترة، وما ذكر لغة ثابتة عن العرب.

وضَعَّفَ أَبُو الْبَقَاءِ الْعَكْبَرِيُّ قِرَاءَةَ ابْنِ كَثِيرٍ وَهَشَامٍ، حَيْثُ قَالَ: إِنَّ (أَرْجِنُهُ) يَقْرَأُ بِالْهَمْزَةِ وَضَمِّ الْهَاءِ مِنْ غَيْرِ إِشْبَاعٍ، وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ هُوَ الْجَيِّدُ، وَيَقْرَأُ بِالْإِشْبَاعِ، وَوَصَفَ الْإِشْبَاعَ بِالضَّعْفِ؛ لِأَنَّ الْهَاءَ خَفِيَّةً، فَكَأَنَّ الْوَاوَ الَّتِي بَعْدَهَا تَتَلَوُ الْهَمْزَةَ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنِ السَّاكِنِينَ، وَأَنَّ مِنْ هَاهُنَا ضَعْفٌ قَوْلُهُمْ: (عَلَيْهِ مَالٌ) بِالْإِشْبَاعِ .^٥

^١ يُنْظَرُ: إِبْرَازُ الْمَعَانِي مِنْ حَرَزِ الْأَمَانِيِّ ١/ ١٥٨-١٥٩، وَاللِّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ ٩/ ٢٥٤.

^٢ يُنْظَرُ: الْمُحْتَسَبُ ١/ ٧٠، وَالْخِصَائِصُ ٣/ ٩٢.

^٣ يُنْظَرُ: السَّبْعَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ ٢٨٨.

^٤ يُنْظَرُ: الْمُحْتَسَبُ ١/ ٧٠-٧١.

^٥ يُنْظَرُ: الْإِمْلَاءُ ١/ ٢٨١، وَاللِّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ ٩/ ٢٥٤.

ووصف شهاب الدين هذا التضعيف: أنه ليس بشيء؛ لأنَّ إشباع حركة الهاء بعد ساكن مطلقاً لغة ثابتة عن العرب، وأنه أصل لابن كثير ليس مختصاً بهذه اللَّفْظَةِ، بل قاعدته كلُّ هاء كناية بعد ساكن تُشبع حركتها حتى يتولَّد منها حرف مدِّ نحو: ((منهو، وعنهو، وأرجئهو)) إلاَّ قبل ساكن فإنَّ المدَّ يُحذفُ لالتقاء الساكنين إلاَّ في موضع واحد رواه عنه البزِّيُّ وهو: ((عَنهُو تَلَهَّى)) من قوله ﷺ: ﴿فَأَن تَعَنَّه تَلَهَّى﴾^{١٠} ، بتشديد التاء ، ولذلك استضعف الزَّجَّاج قراءة الأخوين، فقد قال بعد ما أنشد قول الشاعر:

لَمَّا رَأَى أَنْ لَا دَعَاةَ وَلَا شَبِيعَ مَالٍ إِلَى أَرْطَاةٍ حَقْفٍ فَالطَّجَعِ
 إِنَّ هَذَا شَعْرٌ لَا يَعْرِفُ قَائِلُهُ وَلَا هُوَ بِشَيْءٍ، ولو قاله شاعر مذكور لقليل له: أخطأت؛
 لأنَّ الشَّاعر يجوز أن يخطئ مذهباً لا يُعرج عليه .^٤

^١ سورة عبس / ١٠ .

^٢ يُنظر: الدُّرُّ المصون ٤١١/٥ - ٤١٢ .

^٣ البيت لمنظور بن حبة الأسدي . يُنظر: الخصائص ٣/٣٢٦، وسرُّ صناعة الإعراب ١/ ٣٢١، وابن يعيش ٩/٨٢، ولسان العرب (بز) ٥/٣٠٣، (أرط) ٧/٢٥٤، (ضجع) ٨/٢١٨، (رطا) ١٤/٣٢٥، وتاج العروس (باب الزاي) ١٥/٦، (أرط) ١٩/١٢٤، (ضجع) ٢١/٣٩٩، والمختضب ١/١٢٤، ومعاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد القرظي (٢٠٧ هـ)، عالم الكتب، بيروت ط ٤ ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ١/٣٨٨، وأوضح للمسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري، دار الجيل، بيروت ط ٤ ١٩٧٩ م ٣/٣١٣، وللقرب ومعه فُئِّل للقرب، ابن عصفور: علي بن مؤمن بن محمد الإشيلي، (٦٦٩ هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ط ٤ ١٩٩٨ م ٢/١٧٩، وللنصف، شرح كتاب التصريف للمازني، (٢٤٩ هـ)، ابن جني، أبو الفتح عثمان (٣٩٢ هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ط ٤ ١٩٩٩ م ٢/٣٢٩، وتذكرة النُّحاة، أبو حيان: محمد بن يوسف، (٧٤٥ هـ)، تحقيق: عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت ط ٤ ١٩٨٦ م /٣٠، وإصلاح للنطق، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (٢٤٤ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام محمد هارون، دار للعارف، القاهرة ط ٤ ١٩٤٩ م /٩٥، وضرائر الشعر، علي بن مؤمن بن محمد، الحضرمي الإشيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور (٦٦٩ هـ)، تحقيق: إبراهيم محمَّد، دار الأناضلس ط ١٩٨٠ م /٣٠، وشرح شافية ابن الحاجب ٤/٤٨٠، ٢٧٤، وشرح الجمل ٢/٥٩٣، واللباب في علوم الكتاب ٥/٣٣٢، ٢٥٤/٩ .

^٤ يُنظر: معاني القرآن وإعرابه ٢/٤٠٤، والدُّرُّ المصون ٥/٤١١ - ٤١٢، واللباب في علوم الكتاب ٩/ ٢٥٤ .

وتحقيق الهمزة، وتسهيلها في (أرجأ) وارد في لغات العرب؛ فمن العرب من يحققها،
كبعض قبائل قيس، يقولون : (أَرْجَأْتُ هَذَا الْأَمْرَ) ، ومنهم من يسهلها، كبعض قبائل تميم
وأسد، يقولون : (أَرْجَيْتُ هَذَا الْأَمْرَ)، فهما لغتان مشهورتان بمعنى واحد .

وقد قرئ (تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ) بالهمز وعدمه، من قوله ﷺ : ﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ
وَتُؤَيِّئُ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمِنْ أُنْبَغِيَّتِ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُمْ
وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَلِيمًا ﴿٥١﴾ ، وهذا كقولهم : (تَوَضَّأْتُ وَتَوَضَّيْتُ)، ويحتمل أن تكونا مادتين أصليتين، أو
المبدل فرع الهمز .

٥. من القراءات التي ذكرها ابن عاشور في تحقيق الهمزة المفردة، وتخفيفها قراءة
(النَّسِيءِ) من قوله ﷺ : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
يُجِلُّونَهُ عَامًا وَيُكْرِمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ
سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ فقد ذكر ابن عاشور قراءة
جمهور العشرة (النَّسِيءِ) بتحقيق الهمزة ، وهو (فَعِيلٌ) بمعنى (مَفْعُولٌ) من (نَسَأَ) المهموز
اللام، ويُطلق مصدرًا بوزن (فَعِيلٌ) مثل (نَذِيرٌ) من قوله ﷺ : ﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ
يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ ، وقراءة ورش عن نافع (النَّسِيءِ) بياء

^١ يُنظَرُ : معاني الأخفش / ٣٠٨ ، والحجّة في القراءات السبع / ١٥٩ ، والكشف عن وجوه القراءات ١ / ٤٧٠ ، والقراءات
القرآنية في المعجمات اللغوية / ٥٥٢ .

^٢ سورة الأحزاب / ٥١ .

^٣ يُنظَرُ : اللباب في علوم الكتاب ٩ / ٢٥٣ ، وروح المعاني ٩ / ٢٢ ، ١٩ / ٧٦ .

^٤ سورة التوبة / ٣٧ .

^٥ سورة الملك / ١٧ .

مشددة في آخره على تخفيف الهمزة ياء وإدغامها في أختها ، وقد أخبر هنا عن النسيء بأنه زيادة إخبار بالمصدر كما أخبر عن (هاروت) و (ماروت) ب (الفتنة) في قوله ﷺ: ﴿ وَأَتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَنُ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۗ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۗ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۗ ﴾ ١٠٦ . ٢

٦ . ومنها قراءة (مُرْجُونَ) من قوله ﷺ: ﴿ وَأَخْرُوتَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يَعِدُّهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۗ ﴾ ، و قراءة (ثرجي) من قوله ﷺ: ﴿ تُرْجَى مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُعْوَىٰ إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَخْزَيْنَ بِمَا آيَأْتَتْهُنَّ ۗ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ۗ ﴾ ٥١ حيث ذكر فيها قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة التخفيف (مُرْجُونَ) بإسكان الواو بدون همز، ونسبها إلى نافع وحمة والكسائي وحفص عن عاصم وأبي جعفر وخلف . وخرَّجها على أنها اسم مفعول من

١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٠ / ١٨٩ .

٢ سورة البقرة / : ١٠٢ .

٣ سورة التوبة / ١٠٦ .

٤ سورة الأحزاب / ٥١ .

٥ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٧٢/٢٢، والكشف عن وجوه القراءات ١/٥٠٦، وجامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي (٣١٠ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ط ١٤٢٠، ١ هـ - ٢٠٠٠ م

(أَرْجَاهُ) بالألف، وهو مخفف (أَرْجَاهُ) بالهمز إذا أحره ، فيقال في مضارعه المخفف: (أَرْجَيْتُهُ) بالياء، كقوله: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ﴾ بالياء ، فأصل (مُرْجُونَ) (مُرْجِيُونَ)، والإرجاء حقيقته: التأخير إلى وقت مستقبل . يقال : أرجأت الأمر وأرجيته مهموزاً ومخففاً، إذا أحرته . والتخفيف لغة قريش والأنصار .

القراءة الثانية : قراءة التحقيق (مُرْجُوُونَ) بهمز بعد الجيم، ونسبها إلى بقيّة القراء .
 وخرّجها على أنّها أصل الفعل (أَرْجَأَ، يُرْجِي)، وهي لغة تميم، وسفلى قيس كما قرئ ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ﴾ من قوله ﷺ: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤَيِّ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَأَ عَيْنَهُمْ وَلَا يَحِزَبَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ . وذكر السمين الحلبي: أنّهما لغتان يقال: (أَرْجَأْتُهُ)، و(أَرْجَيْتُهُ) كقولك: (أَعْطَيْتُهُ). ويحتمل أن يكونا أصلين بنفسهما، وأن تكون الياء بدلاً من الهمزة، ولأنّه قد عهد تحقيقها كثيراً ك(قَرَأْتُ وَقَرَيْتُ)، و(تَوْضَأْتُ وَتَوْضَيْتُ) .

١١/٢١، والحجّة في القراءات السبع / ١٥٩، والمحكم ٣٣٧/٧، ٣٥٣، والبحر المحيط ٩٧/٥، وإتحاف فضلاء البشر ٩٨/٢، ومعاني القرآن وإعرابه ٥١٩/٢، والقراءات القرآنيّة في المعجمات اللغويّة / ٥٥٣ .
 ١ سورة الأحزاب من آية / ٥١ .
 ٢ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ٢٢ / ٧٢ .
 ٣ يُنْظَرُ : الكشف عن وجوه القراءات ١ / ٥٠٦ .
 ٤ ابن عامر ، ورواية عن ابن كثير، وعاصم في رواية أبي بكر ، وأبي عمرو ويعقوب .
 ٥ يُنْظَرُ : الكشف عن وجوه القراءات ١ / ٥٠٦ ، وجامع البيان ١١ / ٢١ ، والحجّة في القراءات السبع / ١٥٩ ، والمحكم ٧ / ٣٣٧ ، ٣٥٣ ، والبحر المحيط ٥ / ٩٧ ، وإتحاف فضلاء البشر ٩٨/٢، ومعاني الأخفش، ومعاني القرآن وإعرابه ٢ / ٥١٩ ، والقراءات القرآنيّة في المعجمات اللغويّة / ٥٥٣ .
 ٦ سورة الأحزاب من آية / ٥١ . يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ١١ / ٢٨ .
 ٧ يُنْظَرُ : الدُرُّ المصنوع في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (٧٥٦ هـ) تحقيق: د. أحمد محمّد الخراط، دار القلم، دمشق (د.ت) ٤١٠/٥ .

٧. ومن القراءات التي ذكرها ابن عاشور في تحقيق الهمزة المفردة، وتخفيفها قراءة

(الذَّبُّ) من قوله ﷺ: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّبُّ

وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذَّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذَا لَخَسِرُونَ

﴿١٤﴾ ، و في قوله : ﴿ قَالُوا يَا بَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا

فَأَكَلَهُ الذَّبُّ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ فقد ذكر ابن عاشور، فيها

قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة التحقيق (الذَّبُّ) بتحقيق الهمزة، ونسبها إلى الجمهور، وهم ابن

كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة . وخرَّجها على الأصل، فاشتقاقه من (تَذَاءَبَتِ الرِّيحُ) إذا هَبَّتْ من كلِّ جهة ، وقال الأصمعي: إنَّ اشتقاق (تَذَاءَبَت) من (الذَّبُّ)؛ لأنَّ الذَّبُّ يفعلُه في عدوه ، ولذا عُذِّ (تَذَاءَبَتِ الرِّيحُ) من المجاز في الأساس، لكن قيل عليه: إِنَّ أَخَذَ الفعل من الأسماء الجامدة ك(إِبِل) قليل مخالف للقياس، ويجمع على ذُؤْبَان و أَدُؤْب، وذِئَابٌ .^٤

القراءة الثانية : قراءة التخفيف (الذِئْبُ) بتخفيف الهمزة ياء، ونسبها إلى ورش عن

نافع، والسوسي عن أبي عمرو، والكسائي، وقال نصر : سمعت أبا عمرو لا يهمز، قال: وأهل الحجاز يهمزون . وقد نفى ابن عاشور أصحَّة ما نسبته بعض المفسِّرين لخلف، وأبي جعفر من^٧

^١ سورة يوسف / ١٣ - ١٤ .

^٢ سورة يوسف / ١٧ .

^٣ يُنظَر: الحجَّة للقراء السبعة ٤/٤٠٧، والسبعة ٦/٣٤٦، وإتحاف فضلاء البشر ٣/٢٦٣، والتيسير ٨/١٢٨، والبحر المحيط ٥/٢٨٦، والذُّرُّ للمصون ٦/٤٥٢.

^٤ يُنظَر: روح المعاني ٨ / ٤٥٣ .

^٥ يُنظَر: الحجَّة للقراء السبعة ٤/٤٠٧، والسبعة ٦/٣٤٦، وإتحاف فضلاء البشر ٣/٢٦٣، والتيسير ٨/١٢٨، والبحر المحيط ٥/٢٨٦، والذُّرُّ المصون ٦/٤٥٢.

^٦ يُنظَر: الحجَّة للقراء السبعة ٤/٤٠٧، والمحزَّر الوجيز ٣ / ٤٨٣ .

^٧ كالألوسي ؛ حيث نقل قراءة الكسائي ، وخلف ، وأبي جعفر ، والأعمش . وغيرهم (الذِئْبُ) بابتدائها ياءً لسكونها وانكسار ما قبلها ، وعدّه قياساً في مثل ذلك ، وذكر أنّ بعضهم قد همزه على الأصل كابن كثير ، ونافع في رواية

أَنَّهُمْ خَفَّفُوا الهمزة، وَأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ فِي كُتُبِ الْقِرَاءَاتِ. وَذَكَرَ عَنِ الْبِيضَاوِيِّ أَنَّ أَبَا عَمْرٍو حَقَّقَ الهمزة فِي الْوَقْفِ، وَأَنَّ حَمِزَةَ حَقَّقَهَا فِي الْوَصْلِ، وَفِي الْوَقْفِ لَا يَهْمِزُ .^١

جَاءَ عَنِ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارَسِيِّ: أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ حَدَّثَهُ عَنْ نَصْرِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَمْرٍو يَقْرَأُ: ((فَأَكَلَهُ الذَّيْبُ)) لَا يَهْمِزُ. قَالَ: وَأَهْلُ الْحِجَازِ يَهْمِزُونَ. وَرَوَى عَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ عَنْ أَبِي عَمْرٍو أَنَّهُ لَا يَهْمِزُ. وَرَوَى وَرْشٌ عَنْ نَافِعٍ أَنَّهُ لَمْ يَهْمِزْ، وَقَالَ ابْنُ جَمَّازٍ: أَبُو جَعْفَرٍ، وَشَيْبَةُ وَنَافِعٌ: لَا يَهْمِزُونَ (الذَّيْبُ). ثُمَّ نَقَلَ عَنِ أَبِي بَكْرٍ: أَنَّ هَذَا وَهَمٌّ، إِنَّمَا هُوَ أَبُو جَعْفَرٍ وَشَيْبَةُ لَا يَهْمِزَانِهِ، وَنَافِعٌ يَهْمِزُ. كَذَا قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْهُمْ، وَرَوَى الْمَسِّيُّ وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ وَقَالُونَ، وَإِسْمَاعِيلُ وَيَعْقُوبُ ابْنَا جَعْفَرِ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ نَافِعٍ أَنَّهُ هَمِزٌ. وَأَنَّ أَبَا سَعِيدٍ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَارِثِيَّ الْبَصْرِيَّ كَرِيزَانَ أَخْبَرَهُ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ نَافِعًا عَنِ (الذَّيْبِ وَالْبَثْرِ)، فَقَالَ: إِنْ كَانَتِ الْعَرَبُ تَهْمِزُهَا فَاهْمِزُهَا .^٢

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ: إِنْ (الذَّيْبُ) مَهْمُوزٌ فِي الْأَصْلِ، وَقَالُوا: ((تَدَاءَبَتِ الرَّيْحُ)) إِذَا جَاءَتْ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، كَأَنَّ الْمَعْنَى أَتَتْ كَمَا يَأْتِي الذَّيْبُ. وَنَقَلَ قَوْلَ ذِي الرِّمَّةِ: غَدَاكَ أَنْ بِهِ جَنًّا تَدَاءَبُ بِهِ مِنْ كُلِّ أَقْطَارِهِ يَخْشَى وَيَرْتَقِبُ أَي: يَأْتِيهِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ، فَإِذَا خَفَّفَتِ الهمزة مِنْهُ قَلِبَتْ يَاءً، وَكَذَلِكَ (الْبَيْرُ)، وَلَوْ وَقَعَتْ فِي رَدْفٍ لَقَلِبَتْهَا قَلْبًا إِلَى الْيَاءِ، كَمَا تَقَلِّبُ أَلْفُ (رَالٍ) فِي قَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ: وَصُمَّ صَلَابٌ مَا يَقِينُ مِنَ الْوَجَى كَأَنَّ مَكَانَ الرَّذْفِ مِنْهُ عَلَى رَالٍ

قَالُونَ ، وَأَبِي عَمْرٍو وَقَفًّا ، وَابْنُ عَامِرٍ ، وَحَمِزَةٌ دَرَجًا وَأَبْدَلًا وَقَفًّا ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ لِأَنَّ التَّقَاءَ السَّاكِنِينَ فِي الْوَقْفِ وَإِنْ كَانَ جَائِزًا إِلَّا أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْأَوَّلُ حَرْفٌ مَدٌّ يَكُونُ أَحْسَنَ . يُنْظَرُ : رُوحُ الْمَعَانِي ٨ / ٤٥٣ .

^١ يُنْظَرُ : التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ١٢ / ٢٣٢ ، وَالكَشَّافُ ٣ / ١٤٩ ، وَأَنْوَارُ التَّنْزِيلِ ١ / ٢٧٧ ، وَالْمَحَرَّرُ الْوَجِيزُ ٣ / ٤٨٣ ، وَإِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ ٣ / ٤٠٩ ، وَالدُّرُّ الْمَصُونُ ٦ / ٤٥٢ .

^٢ تُنْظَرُ : تَرْجَمَتُهُ فِي طَبَقَاتِ الْقِرَاءَةِ ١ / ٣٧٩ .

^٣ يُنْظَرُ : الْحِجَّةُ لِلْقِرَاءَةِ السَّبْعَةِ ٤ / ٤٠٧ - ٤٠٨ ، وَالسَّبْعَةُ ٦ / ٣٤٦ .

^٤ يُنْظَرُ : دِيْوَانُهُ ١ / ٩٥ ، وَالْحِجَّةُ لِلْقِرَاءَةِ السَّبْعَةِ ٤ / ٤٠٨ ، وَالدُّرُّ الْمَصُونُ ٦ / ٤٥٢ .

^٥ يُنْظَرُ : دِيْوَانُهُ ٣٦ / ٣٦ ، وَالْحِجَّةُ لِلْقِرَاءَةِ السَّبْعَةِ ٤ / ٤٠٩ .

وقد جمعوا فقالوا في العدد القليل: (أذُوب)، وقالوا: (ذُئِب وذُؤبان)، كما قالوا (زِقَ وزِقان). قال ذو الرُّمَّة :

وَأَزُورَ يَمْطُـو فِي بِلَادٍ بَعِيدَةٍ تَعَاوَى بِهِ ذُؤْبَانُهُ وَتَعَالِيُهُ
وَتَعَالِبُهُ وَقَالُوا: ذئاب، قال ساعدة بن جؤية:

وَلَكِنَّمَا أَهْلِي بِوَادٍ أُنَيْسُهُ ذئَابٌ تَبَعَّى النَّاسَ مَثْنَى وَمَوْحَدٌ
فإن خففت الهمزة أبدلت منها الياء فقلت: ذياب . والقراءتان لغتان بمعنى^٣ واحد.

٨. ومن القراءات التي ذكرها ابن عاشور في تحقيق الهمزة المفردة، وتخفيفها قراءة (شَطَّهْ

(من قوله ﷺ : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا
سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي
التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْهَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ
الزَّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا
﴿ ٢٩ ﴾ ، فقد ذكر فيها قراءتين؛

^١ يُنظَر : ديوانه ٢ / ٨٤٨ ، والحجّة للقراء السبعة ٤ / ٤٠٩ ، والبحر المحيط ٥ / ٢٧٦ ، والدُّرُّ المصون ٦ / ٤٥٢ .

^٢ يُنظَر : ديوان الهذليين ١ / ٢٣٧ ، والكتاب ٢ / ١٥ ، وابن يعيش ١ / ٦٢ ، والعيبي ٤ / ٣٥٠ ، وشرح أشعار الهذليين ٣ / ١١٦٦ ، والحجّة للقراء السبعة ٢ / ١٧١ ، ٤ / ٤٠٩ . والدُّرُّ المصون ٣ / ٥٦٤ . وأنشده سيبويه شاهدا على تركه
صرف (مثنى وموحد)؛ لأنهما صفتان للذئاب معدولتان عن (اثنين اثنين)، و (واحد واحد).

^٣ يُنظَر : الحجّة للقراء السبعة ٤ / ٤٠٩ .

^٤ سورة الفتح / ٢٩ .

القراءة الأولى: قراءة تحقيق الهمزة (شَطَأُ) بإسكان الطاء وبتحقيق الهمز مفتوحة، ونسبها إلى الجمهور .

القراءة الثانية: تخفيف الهمزة (شَطَأُ) بفتح الطاء بعدها ألف على تخفيف الهمزة ألفاً، ونسبها إلى ابن كثير. والصحيح أنَّ هذه القراءة (شَطَأُ) بفتح الطاء بعدها ألف، تنسب إلى زيد بن علي، وعيسى الكوفي، وأنس، ونصر بن عاصم، وابن وثَّاب . وأمَّا القراءة التي تنسب إلى ابن كثير فهي قراءة تحقيق الهمزة (شَطَأُ) بفتح الطاء وبتحقيق الهمز مفتوحة، وقرأ بها ابن ذكوان عن ابن عامر، وابن محيصة . والقراءتان لغتان بمعنى واحد.

ووجه ابن عاشور (الشَطَأُ) بهمزة في آخره وسكون الطاء أنه من أشطأ الزرع، إذا أخرج فروعا. بمعنى فراخ الزرع وفروع الحبة، وأنَّ في (أَخْرَجَ شَطَأَهُ) استِعَارَةَ الإِخْرَاجِ إِلَى تَفْرِعِ الْفِرَاحِ مِنَ الْحَبَّةِ؛ لِمِشَابَهَةِ التَّفْرِعِ بِالْخُرُوجِ، وَمُشَابَهَةِ الْأَصْلِ الْمُتَفَرِّعِ عَنْهُ بِالَّذِي يُخْرَجُ شَيْئًا مِنْ مَكَانٍ . وفيها لغاتٌ أخرى قُرئَ بها في الشاذِّ: منها قراءة (شَطَاءَهُ) بالمدِّ، وتُنسب إلى أبي حيوة. وقراءة (شَطَأَهُ) بألفٍ صريحةٍ بعد الطاء، وتُنسب إلى زيد بن علي، فاحتملتُ أن تكونَ بدلاً من الهمزة بعد نقلِ حركتها إلى الساكنِ قبلها على لغةٍ من يقولُ: المرأةُ والكمأةُ بعد النقلِ، وهو

^١ يُنظر : التحرير والتنوير ٢٦ / ٢٠٨ ، والنشر ٢ / ٣٧٥ ، والحجّة في القراءات السبع / ٣٣٠ ، والسبعة في القراءات / ٦٠٤ ، وغرائب القرآن ٢٦ / ٣٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٢٩٥ ، والبحر المحيط ٨ / ١٠٢ ، وزاد المسير ٧ / ٤٤٨ ، وحاشية الجمل ٤ / ١٧٢ ، وفتح القدير ٥ / ٦٦ ، ومعجم القراءات، للخطيب ٩ / ٦٩ .

^٢ يُنظر : التحرير والتنوير ٢٦ / ٢٠٨ ، والمختص ٢ / ٢٧٧ ، والبيان في إعراب القرآن ٢ / ١٦٦٩ ، والكشاف ٣ / ١٤٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٢٩٥ ، والبحر المحيط ٨ / ١٠٢ ، والمحرر الوجيز ١٣ / ٤٧٧ ، وزاد المسير ٧ / ٤٤٨ ، ومجمّع البيان ٢٦ / ٧٦ ، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، الخفاجي: شهاب الدين، أحمد بن محمد بن عمر (١٠٦٩هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١٩٩٧ م ٨ / ٧٠ ، وروح المعاني ٢٦ / ١٢٦ ، وفتح القدير ٥ / ٦٦ ، وحاشية الجمل ٤ / ١٧٢ ، ومعجم القراءات، للخطيب ٩ / ٧٠ .

^٣ يُنظر : التحرير والتنوير ٢٦ / ٢٠٨ ، والنشر ٢ / ٣٧٥ ، والحجّة في القراءات السبع / ٣٣٠ ، والسبعة في القراءات / ٦٠٤ ، وإتحاف فضلاء البشر ٣٩٦ / ٣٨ ، والعنوان / ١٧٧ ، وغرائب القرآن ٢٦ / ٣٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٢٩٥ ، والبحر المحيط ٨ / ١٠٢ ، التبصرة / ٦٨٠-٦٨١ ، وزاد المسير ٧ / ٤٤٨ ، والتيسير / ٢٠٢ ، ومجمّع البيان ٢٦ / ٧٦ ، والبيان ٩ / ٣٣٣ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢ / ٢٨٢ ، والتذكرة في القراءات الثمان / ٥٦١ ، وروح المعاني ٢٦ / ١٢٦ ، وحاشية الجمل ٤ / ١٧٢ ، وفتح القدير ٥ / ٦٦ ، ومعجم القراءات، للخطيب ٩ / ٦٩ .

^٤ يُنظر : التحرير والتنوير ٢٦ / ٢٠٨ .

مقيسٌ عند الكوفيين، واحتملَ أن يكونَ مقصوراً من الممدود. وقراءة (شَطَه) بالنقل والحذف ويجزج على القياس، وتُنسب إلى أبي جعفر ونافع في رواية. وقراءة (شَطُوَه) بأبدال الهمزة واواً، لغةً مستقلةً، وتُنسب إلى الجحدري. وخرَج السمين الحلبي هذه القراءات الشاذة على أنّها لغاتٌ في فراخ الزرع. يُقال : شَطًا الزَّرْعُ وأشَطًا، أي: أخرج فراخه. ثمَّ نقل خلافاً مشهوراً في اختصاص ذلك بالحنطة فقط، أو بها وبالشعير فقط، أو بعدم اختصاصها ، وذكر قول الشاعر :^١

أَخْرَجَ الشَّطَّةَ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى وَمِنَ الْأَشْجَارِ أَفْئَانَ الثَّمَرِ

٩. ومنها قراءة (الأوّلَى) من قوله ﷺ: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأَوَّلَى﴾ ، فقد ذكر

ابن عاشور في قراءة (الأوّلَى) ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قراءة تحقيق الهمزة (عَادًا الْأَوَّلَى) بإظهار تنوين (عاداً)، وكسر التنوين لالتقاء الساكنين، وتحقيق الهمزة بعد اللام، ونسبها إلى الجمهور، ولم يعددهم، وهم ابن كثير، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف. وعدّها الزجّاج أجود اللغات، وهي الأكثر .

القراءة الثانية: قراءة تخفيف الهمزة بحذفها (عَادَ لُوَى)، وخرّجه على حذف همزة (الأوّلَى) بعد نقل حركتها (الضمّة) إلى اللام المعرّفة، وإدغام نون التنوين من (عاداً) في لام (لُوَى)، وذلك حالة الوصل، ونسبها إلى ورش عن نافع، وأبي عمرو، وقرأ بها أبو جعفر، ويعقوب، والأعمش،

^١ يُنظَر : الدر المصون ٧٢٣/٩.

^٢ لم أعرف قائله. يُنظَر : الدر المصون ٧٢٣/٩، والجامع لأحكام القرآن ٢٩٤/١٦، والبحر المحيط ١٠٢/٨، واللباب في علوم الكتاب ٥١٦/١٧.

^٣ سورة النجم / ٥٠ .

^٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٥٣/٢٧، وجامع البيان ٤٦/٢٧، والنشر ٤١٢/١، والحنّة في القراءات السبع ٣٣٧/، والسبعة في القراءات ٦١٥/، وإتحاف فضلاء البشر ٤٠٤/، ومعاني القرآن، للفرّاء ١٠٢/٣، ومعاني القرآن، للزجّاج ٧٧/٥، وحنّة القراءات ٦٨٧/، والجامع لأحكام القرآن ١٨١/١٧، والبحر المحيط ٦٩/٨، والمبسوط ٤٢٠/، التبصرة ٦٨٧/، وزاد المسير ٨٤/٨، والتيسير ٣٠٤/، ومجمّع البيان ٧٦/٢٦، والتبيان ٣٣٣/٩، والكشف عن وجوه القراءات ٢٨٢/٢، وإعراب القرآن، للنحاس ١٨٨/٤، والتذكرة في القراءات الثمان ٥٧٠/، وروح المعاني ٧٠/٢٧، وحاشية الجمل ٢٣٨/٤، وفتح القدير ١٤١/٥، ومعجم القراءات، للخطيب ٢٠٢/٩.

وابن محيصن، وابن جماز، وإسماعيل بن جعفر، ومحمد بن إسحاق المسيبي عن أبيه عن ورش، وأبونشيط عن قالون، وابن ذكوان، وابن سعدان . ووصف الزجّاج هذه القراءة بأنّها تلي القراءة الأولى (عَادًا أَلُوِي) في الجودة. وقال عن هذه القراءة (عَادَ لُوِي)، أنّها جاءت بضم اللام وطرح الهمزة، وكان يجب في القياس إذا تحرّكت اللام أن تسقط ألف الوصل؛ لأنّ أَلِفَ الوصلِ اجْتَلِبَتْ لسكون اللام، ثمّ جَوَزَ ثبوتها؛ لأنّ أَلِفَ لامِ المَعْرِفَةِ لا تسقط مع ألف الاستفهام، فخالفت ألفات الوصل. وذكر أنّ من العرب من يقول: (لُوِي) يريد (الأولى)، فطرح الهمزة لتحرك اللام. وذكر قراءة أخرى (عَادًا لُوِي)، على هذه اللغّة، بإدغام التنوين في اللام. ثمّ قال: إنّ الأكثرَ (عَادِنِ الأُوِي) بكسر التنوين .

٢

ويمكن أن نوجّه هذه القراءة توجيهاً صوتياً حديثاً، فالتوجيه الصوتي الحديث لتخفيف الهمزة يعتمد على الحذف أساساً له في عمليات التخفيف كلّها، فلا قلب، ولا إبدال، بل حذف فحسب. وإنّ التخفيف بقلب الهمزة حرفاً من أحرف العلة، بحسب التوجيه الصوتي الحديث، ينظر إليه أنّه تخلّص من نبر التوتّر الهمزي، وينقل فيه إلى نبر الطول، أو نبر التضعيف على وفق ما تقتضيه الكلمة الواقع فيها التخفيف .

٣

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٧ / ١٥٣، وجامع البيان ٤٦/٢٧، والنشر ٤١٢/١-٤١٣، والحجّة في القراءات السبع ٣٣٧/، والسبعة في القراءات ٦١٥/، والخصائص ٩١/٣، وإتحاف فضلاء البشر ٤٠٣/، ومعاني القرآن، للقرّاء ١٠٢/٣، ومعاني القرآن وإعرابه ٧٧/٥، وحجّة القراءات ٦٨٧/، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٨١، والبحر المحيط ٦٩/٨، والمبسوط ٤٢٠/، التبصرة ٦٨٧/، وزاد المسير ٨٤/٨، والتيسير ٣٠٤/، ومجمّع البيان ٧٦/٢٦، والتبيان ٣٣٣/٩، والكشف عن وجوه القراءات ٢٨٢/٢، وإعراب القرآن، للنحاس ٤/١٨٨، والمقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد (٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ط ٤ ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م ٢٥٤/١، والتذكرة في القراءات الثمان ٥٧٠/، وروح المعاني ٧٠/٢٧، وحاشية الجمل ٤/٢٣٨، وفتح القدير ١٤١/٥، ومعجم القراءات، للخطيب ٩/٢٠٢-٢٠٣.

^٢ يُنظَر : معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٧٧.

^٣ يُنظَر : القراءات القرآنيّة في ضوء علم اللغة الحديث ١٠٩/، وظاهرة التخفيف في اللغة العربيّة ٦٩/.

القراءة الثالثة: قراءة تحقيق الهمزة (عَادَ لُؤْلَى) بإسكان همزة (الأُولَى) بعد نقل حركتها إلى اللام المعرّفة (عَادَ لُؤْلَى)، وخرّجها على لعة من بيدل الواو الناشئة عن إشباع الضمة همزاً .

وللسمين الحلبي بحث جميل في هذه القراءة أحببت أن ألخصه هنا؛ لفائدته حيث قال:
اعلم أنّ هذه الآية الكريمة من أشكال الآيات نقلاً وتوجيهاً، وقد يسّر الله تعالى تحريره ذلك كله بحوله وقوته فأقول: إنّ القراء اختلّفوا في ذلك على أربع رتب.

الأولى: قراءة ((عَاداً لُؤْلَى)) بالتنوين مكسوراً وسكون اللام وتحقيق الهمزة بعدها، هذا كله في الوصل، ونسبها إلى ابن كثير وابن عامر والكوفيين، فإذا وقفوا على ((عاداً))، وابتدؤوا بـ((الأُولَى)) فقياسهم أنّ يقولوا ((الأُولَى)) بهمزة الوصل وسكون اللام وتحقيق الهمزة.

الثانية: قراءة ((عَاداً لُؤْلَى)) بإدغام التنوين في اللام، ونقل حركة الهمزة إلى لام التعريف، وهمز الواو، في الوصل، ونسبها إلى قالون. وأمّا في حالة الابتداء بـ((الأُولَى)) فله ثلاثة أوجه؛ الأول: ((الُولَى)) بهمزة وصل، ثمّ بلام مضمومة، ثم بهمزة ساكنة. الثاني: (لُؤْلَى) بلام مضمومة، ثم بهمزة ساكنة. الثالث: كابتداء ابن كثير ومن معه.

الثالثة: قراءة ((عاداً لُؤْلَى)) بإدغام التنوين في اللام، ونقل حركة الهمزة إليها كقالون، إلّا أنّه أبقى الواو على حالها غير مبدلة همزةً، هذا في الوصل، ونسبها إلى ورش. وأمّا في الابتداء بها فله وجهان: ((الُولَى)) بالهمزة والنقل، و ((لُؤْلَى)) بالنقل دون همز وصل، والواو ساكنة على حالها في هذين الوجهين.

الرابعة: قراءة أبي عمرو، كقراءة ورشٍ وصلّاً وابتداءً سواءً بسواءٍ، إلّا أنّه يزيد عليه في الابتداء بوجهٍ ثالثٍ، وهو وجه ابن كثير ومن ذكر معه، فقد تحصّل أنّ لكلّ من قالون وأبي عمرو في الابتداء ثلاثة أوجه، وأنّ لورشٍ وجهين. وأشار إلى أنّ ذلك بحاجة إلى تأمل؛ لأنّ تحريره صعبُ المأخذ من كتب القراءات .

٢

^١ يُنظر: التحرير والتنوير ٢٧ / ١٥٣ .

^٢ يُنظر: الدرّ المصون ١٠ / ١٠٧-١٠٨.

ثمَّ تحدّث عن توجيه هذه القراءات، وقال: إنّه يتوقّف على معرفة ثلاثة أصول، الأول: حكم التنوين إذا وقع بعده ساكنٌ. الثاني: حكم حركة النقل. الثالث: أصل ((أولى)) ما هو؟ ثمَّ فصل في ذلك قائلاً: أمّا الأول فحكم التنوين الملاقي أن يُكسَرَ لالتقاء الساكنين؛ نحو: ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ ٢)) بكسر دال ((أحدٌ))، أو يُخَدَف تشبيهاً بحرف العلة، كقراءة ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ ٢)) بضمّ دال ((أحدٌ))، وكقول الشاعر:

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتَبٍ وَلَا ذَاكِرٍ اللَّهُ إِلَّا قَلِيلًا
وهو قليلٌ جداً، وقد مضى تحقيقه. وأمّا الأصل الثاني: فإنَّ للعرب في الحركة المنقولة مذهبين: الاعتداد بالحركة، وعدم الاعتداد بها، وهي اللغة العالية. وأمّا الأصل الثالث: ف((أولى)) تأنيثٌ أوّل.

ثمَّ تحدّث عن قراءة ابن كثير ومَنْ معه، فوجَّهها على صرف (عاداً)؛ إمّا لأنّه اسمٌ للحميّ، أو الأب فليس فيه ما يمنعه، وإمّا لأنّه كان مؤنثاً اسماً للقبيلة أو الأمّ، إلّا أنّه مثلُ هُنْد ودَعْد، فيجوزُ فيه الصرفُ وعدمه، فيكونُ كقول الشاعر:

لَمْ تَتَلَقَّ بِفَضْلِ مَنَزْرِهِا دَعْدٌ وَلَمْ تُسَقِّ دَعْدٌ فِي الْعَلْبِ

^١ سورة الإخلاص ١/٢-٢.

^٢ سورة الإخلاص ١/٢-٢.

^٣ البيت ينسب لأبي الأسود الدؤلي. يُنظر: ديوانه ١٢٣/، والكتاب ١٦٩/١، ومجالس ثعلب، لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (٢٩١هـ) تحقيق: عبدالسلام محمّد هارون، دار المعارف، بمصر، (د.ت) ١٢٣/، وأمالى الشجري ١/٣٨٣، ولسان العرب (عتب)، والإنصاف في مسائل الخلاف ٦٥٩/، وابن يعيش ٢٣٤/٩، ورصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي، (٧٠٢هـ) تحقيق: أحمد بن محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة، دمشق، ط، ١٣٩٤هـ/٤٩، وشواهد المغني ٩٣٣/، والدُرُّ المصون ٥٢٠/٣، ١٠/١٠٩.

^٤ ينسب البيت إلى جرير. يُنظر: ديوانه ٨٢/، والكتاب ٢٢/٢، والخصائص ٦١/٣، والجامع لأحكام القرآن ١/٤٢٩. وينسب أيضاً لابن قيس الرقيات، ويوجد في ملحق ديوانه ١٧٨/، والدُرُّ المصون ٣٩٥/١، ١٠/١٠٩.

فصرّفها أولاً وَمَنَعَهَا ثانياً، وَلَمْ يَنْقُلُوا حَرَكَةَ الْهَمْزَةِ إِلَى لَامِ التَّعْرِيفِ فَالتَقَى سَاكِنَانِ، فَكَسَرُوا التَّنْوِينَ لِالتَّقَائِمِ عَلَى مَا هُوَ الْمَعْرُوفُ مِنَ اللَّغَتَيْنِ وَحَذَفُوا هَمْزَةَ الْوَصْلِ مِنَ "الأولى" لِلاِسْتِغْنَاءِ عَنْهَا بِحَرَكَةِ التَّنْوِينِ وَصَلاً فَإِذَا ابْتَدَؤُوا بِهَا احْتَاجُوا إِلَى هَمْزَةِ الْوَصْلِ فَاتَّوَا بِهَا فَقَالُوا: الأُولَى كَنْظِيرِهَا مِنْ هَمْزَاتِ الْوَصْلِ. وَهَذِهِ قِرَاءَةٌ وَاضِحَةٌ لَا إِشْكَالَ فِيهَا، وَمِنْ ثَمَّ اخْتَارَهَا الْجُمُ الْعَفِيرُ .

وَأَمَّا قِرَاءَةُ مَنْ أَدْغَمَ التَّنْوِينَ فِي لَامِ التَّعْرِيفِ ((عَاداً لُؤْلَى)) وَهِيَ نَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو مَعَ اخْتِلَافِهُمَا فِي أَشْيَاءَ، فَوَجَّهَهُ الْاِعْتِدَادُ بِحَرَكَةِ النُّقْلِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ إِذَا نَقَلَ حَرَكَةَ الْهَمْزَةِ إِلَى سَاكِنٍ قَبْلَهَا كَلَامَ التَّعْرِيفِ عَامَلَهَا مَعَامَلَتَهَا سَاكِنَةً، وَلَا يَعْتَدُّ بِحَرَكَةِ النُّقْلِ، فَيَكْسِرُ السَّاكِنَ الْوَاقِعَ قَبْلَهَا، وَلَا يُدْغِمُ فِيهَا التَّنْوِينَ، وَيَأْتِي قَبْلَهَا بِهَمْزَةِ الْوَصْلِ، فَيَقُولُ: لَمْ يَذْهَبِ لِحَمْزٍ، وَرَأَيْتَ زِيَاداً لَعَجَمٍ، مِنْ غَيْرِ إِدْغَامِ التَّنْوِينِ، وَالْحَمْزُ وَالْعَجَمُ بِهَمْزَةِ الْوَصْلِ؛ لِأَنَّ اللَّامَ فِي حَكْمِ السَّاكُونِ، وَهَذِهِ هِيَ اللَّغَةُ الْمَشْهُورَةُ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْتَدُّ بِهَا، فَلَا يَكْسِرُ السَّاكِنَ الْأَوَّلَ، وَلَا يَأْتِي بِهَمْزَةِ الْوَصْلِ، وَيُدْغِمُ التَّنْوِينَ فِي لَامِ التَّعْرِيفِ فَيَقُولُ: (لَمْ يَذْهَبِ لِحَمْزٍ) بِإِسْكَانِ الْبَاءِ، وَلِحَمْزٍ وَلَعَجَمٍ مِنْ غَيْرِ هَمْزٍ، وَزِيَادٌ لَعَجَمٍ بِتَشْدِيدِ اللَّامِ، وَعَلَى هَذِهِ اللَّغَةِ جَاءَتْ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ، هَذَا مِنْ حَيْثُ الْإِجْمَالُ .

وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ التَّفْصِيلُ فَاقُولُ: أَمَّا قَالُونَ فَإِنَّهُ نَقَلَ حَرَكَةَ الْهَمْزَةِ إِلَى لَامِ التَّعْرِيفِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَصْلِهِ النُّقْلُ لِأَجْلِ قَصْدِهِ التَّخْفِيفَ بِالْإِدْغَامِ، وَلَمَّا نَقَلَ الْحَرَكَةَ اعْتَدَّ بِهَا، إِذْ لَا يُمْكِنُ الْإِدْغَامُ فِي سَاكِنٍ وَلَا مَا هُوَ فِي حُكْمِهِ.

وَأَمَّا هَمْزَةُ الْوَاوِ فِيهِ وَجِهَانِ مَنْقُولَانِ، أَحَدُهُمَا: أَنَّ تَكُونَ أُولَى أَصْلُهَا عِنْدَهُ وَوُلَى مِنْ وَآلٍ أَي: نَجَا، كَمَا هُوَ قَوْلُ الْكُوفِيِّينَ، ثُمَّ أَبْدَلَ الْوَاوَ هَمْزَةً؛ لِأَنَّهَا وَآوٌ مَضْمُومَةٌ، وَهِيَ لُغَةٌ مَطْرَدَةٌ، فَاجْتَمَعَ هَمْزَتَانِ ثَانِيَتُهُمَا سَاكِنَةٌ فَوَجَبَ قَلْبُهَا وَآوًا نَحْوُ: ((أَوْمِنُ))، فَلَمَّا حُذِفَتِ الْهَمْزَةُ الْأُولَى بِسَبَبِ نَقْلِ حَرَكَتِهَا رَجَعَتْ الثَّانِيَةُ إِلَى أَصْلِهَا مِنَ الْهَمْزَةِ؛ لِأَنَّهَا إِذَا قُلِبَتْ وَآوًا مِنْ أَجْلِ الْأُولَى،

^١ يُنظَرُ: الدَّرُّ الْمَصُونُ ١٠/١٠٩-١١٠، وَاللِّبَابُ فِي عِلْمِ الْكِتَابِ ١٨/٢١٨.

^٢ يُنظَرُ: الدَّرُّ الْمَصُونُ ١٠/١١٠، وَاللِّبَابُ فِي عِلْمِ الْكِتَابِ ١٨/٢١٩.

وقد زالت، وهذا كما رأيت تكلف لا دليل عليه. والثاني: أنه لما نقل الحركة إلى اللام صارت الضمة قبل الواو كآتها عليها؛ لأن حركة الحرف بين يديه، فأبدل الواو همزة كقوله: أَحَبُّ الْمُؤْمِدِينَ إِلَيَّ مُوسَى وَجَعَدْتُ إِذْ أَضَاءَهُمَا الْوُقُودُ وكقراءة ((يؤمنون)) من قوله ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ ، وهمز ((السُّوقِ))، من قوله ﷻ: ﴿ رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ ، و ((سُوْقِهِ)) من قوله ﷻ: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا سَجْدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْهَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

^١ البيت لجرير مدح بها هشام بن عبد الملك ، وموسى وجعدة ولدا جرير ، يمدحهما بالكرم والاشتهار به ، فكئى عن الأول بإيقاد نار القرى ، وعن الثاني بإضاءة الوقود لهما ، من قصيدة على بحر الوافر قال في مطلعها :

عَفَا النَّسْرَانِ بَعْدَكَ وَالْوَحِيدُ وَلَا يَبْقَى لِحِدَّتِهِ جَدِيدُ
وَأَنْتُمْ الْحُمَاءُ بِكُلِّ نَعْرِ إِذَا ابْتَلَّتْ مِنَ الْعَرَقِ اللَّبُودُ

وختمها بقوله :

لَحَبُّ الْمُؤَقِدَانِ إِلَيَّ مُوسَى وَجَعَدْتُ لَوْ أَضَاءَهُمَا الْوُقُودُ

وهناك رواية أخرى لهذا البيت :

يُنظَرُ : ديوان جرير / ١٤٧ ، والمحتسب / ٤٧ / ٢ ، ١٤٩ / ٢ ، وسر صناعة الإعراب / ١ / ٩٠ ، والخصائص / ٢ / ١٧٥ ، ٣ / ١٤٦ ، ١٤٩ ، ٢١٩ ، وشرح شواهد الشافية / ٤٢٩ - ٤٣٠ ، ومغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ابن هشام: عبد الله بن يوسف ، (٧٦١هـ) ، تحقيق: مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، مراجعة: سعيد الأفغاني ، بيروت ، دار الفكر ، ط ٥ ، ١٩٨٥ م / ٨٩٧ ، وشرح شافية ابن الحاجب / ٣ / ٢٠٦ ، ٤ / ٤٢٩ - ٤٣٢ ، وشواهد الكشاف / ٤ / ٣٦٥ ، والدُّرُّ المصون / ١٠ / ١١١ .

^٢ سورة البقرة / ٤ ، و ١١٨ ، وسورة المائدة / ٥٠ ، وسورة النمل / ٣ / ٨٢ ، والروم / ٦٠ ، وسورة لقمان / ٤ ، وسورة السجدة / ٢٤ ، وسورة الجاثية / ٤ ، وسورة الجاثية / ٢٠ ، وسورة الطور / ٣٦ . قرأ بها أبو حية النميري . يُنظَرُ : الشواذ / ٢ ، والبحر المحيط / ١ / ٤٢ ، والدُّرُّ المصون / ١٠ / ١١١ .

^٣ سورة ص / ٣٣ . قرأ بها قنبل . يُنظَرُ : البحر المحيط / ٧ / ٣٩٧ ، والدُّرُّ المصون / ١٠ / ١١١ .

مَنْهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ، وهذا بناءً على الاعتداد بالحركة أيضاً. وليس في هذا الوجه دليلٌ على أصل ((أولى)) عنده ما هو؟ فيحتمل الخلاف المذكور جميعه. وأمّا ابتداءه الكلمة من غير نقلٍ فإنه الأصل؛ ولأنه إنما نقل في الوصل لقصد التخييف بالإدغام، ولا إدغام في الابتداء فلا حاجة إلى النقل. وأمّا الابتداء له بالنقلٍ فلأنه محمولٌ على الوصل ليجري اللفظ فيهما على سننٍ واحدٍ.

وعلة إثبات ألف الوصل مع النقل في أحد الوجهين: ترك الاعتداد بحركة اللام على ما عليه القراءة في نظائره مما وجد فيه النقل؛ إذ العرض إنما هو جري اللفظ في الابتداء والوصل على سننٍ واحدٍ، وذلك يحصل بمجرد النقل وإن اختلفا في تقدير الاعتداد بالحركة وتركه. وعلة ترك الإتيان بالألف في الوجه الثاني حمل الابتداء على الوصل في النقل والاعتداد بالحركة جميعاً. ويؤيّد هذا الوجه رسم ((الأولى)) في هذا الموضع بغير ألف. والكلام في همز الواو مع النقل في الابتداء كالكلام عليه في الوصل .

٢

وأما ورشٌ فإن أصله أن ينقل حركة الهمزة على اللام في الوصل فنقل على أصله، إلا أنه اعتد بالحركة ليصح ما قصده في التخييف بالإدغام، وليس من أصله الاعتداد بالحركة في نحو ذلك. ثم قال: ألا ترى أنه يحذف الألف في ((سببها الأولى)) ، و ((ويتجنّبها الأشقي)) ، ولو اعتد بالحركة لم يحذفها. وأمّا ما جاء عنه في بعض الروايات: ((قالوا الآن جئت بالحق)) ، فإنه وجهٌ نادرٌ معللٌ باتباع الأثر والجمع بين اللغتين: والابتداء له بالنقل على أصله في ذلك أيضاً، والابتداء له بألف الوصل على ترك الاعتداد بالحركة، إذ لا حاجة إلى قصد ذلك في الابتداء، وترك الإتيان له بالألف على الاعتداد له بالحركة حملاً للابتداء على الوصل وموافقة الرسم أيضاً،

١ سورة الفتح / ٢٩. يُنظر: البحر المحيط ٨/١٠٣، والدرّ المصون ١/١٠١، ١٠/١١١.

٢ يُنظر: الدرّ المصون ١٠/١١٢، واللباب في علوم الكتاب ١٨/٢٢٠.

٣ سورة طه / من آية ٢١.

٤ سورة الأعلى / من آية ١١.

٥ سورة البقرة / من آية ٧١. يُنظر: الدرّ المصون ١/٤٣٣، ١٠/١١٢.

لا يُبْتَدَأُ له بالأصل، إذ ليس مِنْ أصله ذلك، و ((الأولى)) في قراءته تَحْتَمِلُ الخلافَ المذكورَ في أصلها .^١

وأما أبو عمرو فالعلة له في قراءته في الوصل والابتداء كالعلة المتقدمة لقالون، إلا أنه يُخالفه في هَمْزِ الواو؛ لأنه لم يُعْطِها حَكْمَ ما جاورها، وليست عنده مِنْ وَأَلِ بل مِنْ غيرِ هذا الوجه، ويجوز أن يكون أصلها عنده مِنْ وَأَلِ أيضاً إلا أنه أْبَدَلَ هذا الموضوع، ويجوز أن يكون أصلها عنده مِنْ وَأَلِ تَرَكَ التَّغْلِيظَ، وقد عاب هذه القراءة أبو عثمان المازني، وأبو العباس المبرد،^٢ ذهاباً منهما إلى أن اللغة الفصيحة عدم الاعتداد بالعارض، ولكن لا التفات إلى رَدِّهما لثبوت ذلك لغة وقراءة، وإن كان غيرها أفصح منها. وقد ثَبَتَ عن العرب أنهم يقولون: الحَمْرُ الحَمْرُ بهمزة الوصل وعدمها مع النقل، والله أعلم .^٣

وقرأ أُبَيُّ ((عادَ الأول))، غيرَ مصروفٍ ذهاباً إلى القبيلة أو الأُمَّ، ففيه العَلَمِيَّةُ والتأنيثُ، ويَدُلُّ على التأنيثِ قوله: ((الأولى)) فوصفها بوصفِ المؤنث .^٤

كما قُرِئَ (فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ) من قوله ﷺ : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا سَجْدًا يَتَّخُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّورَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

^١ يُنظَرُ : الدرّ المصون ١٠/١١٢ .

^٢ قراءة الإدغام .

^٣ يُنظَرُ : المنصف ١/٣١١، والدرّ المصون ١٠/١١٣ .

^٤ أشار إليها في المقتضب، ولم يعيها. يُنظَرُ : المقتضب ١/٢٥٤، والدرّ المصون ١٠/١١٣ .

^٥ يُنظَرُ : الدرّ المصون ١٠/١١٣ .

^٦ يُنظَرُ : الدرّ المصون ١٠/١١٣ .

الصَّلِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ . والقراءات لغات مشهورة من لغات العرب جاءت بمعنى واحد.

١٠. ومن القراءات التي ذكرها ابن عاشور في تحقيق الهمزة المفردة، وتخفيفها قراءة (

يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ) من قوله ﷺ : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ ٩٣ قالوا يَنْذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ

نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ، فذكر قراءتين : ٢

القراءة الأولى : قراءة التخفيف (يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ) كليهما بألف بعد التحتية بدون همز، ونسبها إلى الجمهور . وذكر السمين الحلبي^٣ عدة تخریجات لهذه القراءة، منها: أن تكون الألفُ بدلاً من الهمزة الساكنة، إلاَّ أنَّ فيه أنَّ مِنْ هُوَلاءِ مَنْ ليس أصله قلب الهمزة الساكنة وهم الأكثرُ. ولا ضيرُ في ذلك. ومنها: أن تكون ألفهما زائدتين، ووزنهما (فَاعُول) مِنْ (يَجَّ وَمَجَّ) . وحُرِّجت على أن يكونَ (مَأْجُوج) مِنْ (مَاجٍ يَمْوُجُ)، أي: اضطرب ومنه المَوْجُ فوزنُه (مَفْعُول)، وأنَّ الأصل: (مَوْجُوج). ونسبه إلى أبي حاتم. وقال: إنَّ فيه نظراً من حيث ادِّعاء قلبِ حَرْفِ العلة وهو ساكنٌ. وأنَّ شدوذه كشدوذِ (طائي) في النسب إلى (طيئ). وعلى القول بكونهما عربيين مشتقين فَمَنْعُ صرفهما للعلمية والتأنيثِ بمعنى القبيلة .^٤

القراءة الثانية : قراءة التحقيق (يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ) بهمزة ساكنة، ونسبها إلى عاصم ، وهي لغة بني أسد إحدى قبائل تميم . واختلفوا في اشتقاقهما: فقليل: إنَّ اشتقاقهما مِنْ أَجِيج

^١ سورة الفتح / ٢٩ .

^٢ سورة الكهف / ٩٤ .

^٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٦ / ٣٤ ، والسبعة / ٣٩٩ ، والنشر ١ / ٣٩٠ ، ٣٩٤ ، والتيسير / ١٤٥ ، والحجّة / ٤٣٣ ، والبحر

المحيط ٦ / ١٦٣ ، واللّباب في علوم الكتاب ١٢ / ٥٦٣ ، والدّر المصون ٧ / ٥٤٥ .

^٤ يُنظَرُ : الدّر المصون ٧ / ٥٤٥ .

^٥ وقرأ بها الأعرج والأعمش ويعقوب في رواية. يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٦ / ٣٤ ، والسبعة / ٣٩٩ ، والنشر ١ / ٣٩٠ ، ٣٩٤ ،

والتيسير / ١٤٥ ، والحجّة / ٤٣٣ ، والبحر المحيط ٦ / ١٦٣ ، واللّباب في علوم الكتاب ١٢ / ٥٦٣ ، والدّر المصون

. ٥٤٥ / ٧ .

النار وهو التهاؤها وشِدَّةُ تَوْقُدهَا. وقيل : مِنْ الأَجَّة. وهو الاختلاطُ أو شِدَّةُ الحَرِّ. وقيل: من الأَجِّ، وهو سُرْعَةُ العَدُوِّ. ومنه قوله:

فَرَاخَتْ وَأَطْرَفُ الصَّوَى مُحْرَّتْلَةَ تَوْجُجْ كَمَا أَجَّ الظَّلِيمِ المِنَّةُـرُ

وقيل : من الأَجاج، وهو الماءُ المِلْحُ الرُّعَاق. ووزنهما (يَفْعُول)، و(مَفْعُول). .

ونقل السمين الحلبي الاختلاف بين المفسرين في أَنَّهُ اسم عربيُّ أو معرَّب، فقال: إِنَّهُ قيل: إِنَّهُمَا اسمان أعجميان لا اشتقاقَ لهما، ومُنْعَا من الصَّرفِ للعلميَّةِ والعُجمَةِ. ويحتمل أن تكونَ الهمزةُ أصلاً والألفُ بدلٌ عنها، أو بالعكس؛ لأنَّ العربَ تتلاعب بالأسماءِ الأعجمية. وقيل: بل هما عربيَّان .

وذكر ابن عاشور هذا الاختلاف ورجَّح أَنَّهُ اسم وضعه القرآن حاكى به معناه في لغة تلك الأُمَّة المناسب لحال مجتمعهم، فاشتقَّ لهما من مادَّة الأَجِّ، وهو الخلط، حيث إنَّ تلك الأُمَّة كانت أخلاطاً من أصناف، وهذا الذي أميل إليه .

وهناك قراءة ثالثة: ((آجوج)) لم يذكرها ابن عاشور قرأ بها رؤبة وأبوه العجاج .

١١. ومَّا جاء كذلك قراءة (لَا يَلْتَكُم) من قوله ﷻ : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ

تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور في قراءة (لَا يَلْتَكُم) قراءتين:

^١ يُنظَر : البحر المحيط ٦ / ١٦٣ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢ / ٢٢٥ ، والدُّرُّ المصون ٧ / ٥٤٥ .

^٢ لا يُعْرَفُ قائله. يُنظَر : السبعة / ٣٩٩ ، والنشر ١ / ٣٩٠ ، ٣٩٤ ، والتيسير / ١٤٥ ، والحجَّة / ٤٣٣ ، والبحر المحيط ٦ / ١٦٣ ، والدُّرُّ المصون ٧ / ٥٤٥ ، واللُّباب في علوم الكتاب ١٢ / ٥٦٣ .

^٣ يُنظَر : الدُّرُّ المصون ٧ / ٥٤٥ .

^٤ يُنظَر : الدُّرُّ المصون ٧ / ٥٤٥ .

^٥ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٦ / ٣٤ .

^٦ يُنظَر : الدُّرُّ المصون ٧ / ٥٤٥ .

القراءة الأولى: قراءة تحقيق الهمزة (لا يَأْتِكُمْ)، ونسبها إلى أبي عمرو ويعقوب وأبي جعفر ونافع، وقرأ بها اليزيدي والحسن ، ووجهها على أنها مِنْ (أَلْتَهُ، يَأْتِيَهُ، يَأْتُهُ، أَلْتَاً) بالفتح في الماضي، والكسر والضم في المضارع، مثل : (أَمْرُهُ) في لغة غطفان وأسد، وقوله ﷺ: ﴿ وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ بِالْإِيمَانِ الْحَقِّ إِنَّهُمْ لَأُولُو عَرْشِ آلِ أَبِي عَمْرٍو وَمَا أَلْتَهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ أَمْرٍ بِمَا

كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴿٢١﴾ . ولأبي عمرو في تحقيق الهمزة فيها، وتخفيفها ألفا روايتان، فالدُّوري رُوِيَ عنه تحقيق الهمزة (يَأْتِكُمْ) ، والسُّوسي رُوِيَ عنه تخفيفها (يَأْتِكُمْ). حيث إنَّه يُبدل الهمزة ألفاً على أصله .

جاء في لسان العرب : أنَّ (ليت) من لآته حَقَّه يَلِيْته لَيْتاً، ومن أَلآته نَقَّصه، وجعل الأولى أعلى، ثم ذكر قوله ﷺ: ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ

عَفُوْرٌ رَحِيْمٌ ﴿١٤﴾ . وعن الفراء: أنَّ معناه لا يَنْقُصُكُمْ ولا يَطْلِمُكُمْ من أَعْمَالِكُمْ شيئاً، وأنَّه من لات يَلِيْتُ، والْفَرَاءُ مجتمعون عليها .

^١ سورة الحجرات / ١٤ .

^٢ يُنظَرُ : السبعة / ٦٠٦، والمشكل ٢/ ٢٨٤، وإتحاف فضلاء البشر / ٣٩٨، والبحر المحيط ٨/ ١١٧، والتيسير ٢/ ٢٠٢، والجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٣٤٨، والحجة / ٦٧٦، والكشَّاف ٣/ ٥٠، ومعاني القرآن، للفراء ٣/ ٤، واللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٥٦١، والدُّرُّ المصون ١٠/ ١٣.

^٣ سورة الطور / ٢١ .

^٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٦ / ٢٦٦ ، وغرائب القرآن ٧ / ٣٦، والكشَّاف ٣/ ٥٠، ومعاني القرآن، للفراء ٣/ ٤، والبحر المحيط ٨/ ١١٧، والدُّرُّ المصون ١٠/ ١٣.

^٥ سورة الحجرات / من آية ١٤ . يُنظَرُ : لسان العرب (أَلت) ٢/ ٨٦.

^٦ يُنظَرُ : معاني القرآن، للفراء ٣/ ٤.

وعن الرَّجَّاح: أَنَّ مَنْ قرَأَ (يَأْتِنُكُمْ) دليلاً، قوله ﷺ: ﴿ وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلِّ

أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴿٢١﴾ ، ومعناه وما نقصناهم.^١

وَأَنَّ مَنْ قرَأَ (لَا يَلْتِنُكُمْ)، أَنَّهُ مِنْ (لَا تَ يَلِيْتُ)، يقال: (لَا تَه يَلِيْتُه). وَ(أَلَا تَه يَلِيْتُه) إِذَا نقصه أيضاً، والمعنى (يَأْتِنُكُمْ) و (يَلْتِنُكُمْ) واحداً.

٢ ووصف قراءة (لَا يَلْتِنُكُمْ) أَنَّهُا الأَكْثَرُ، وقراءة (يَأْتِنُكُمْ) بِأَنَّهَا جَيِّدَةٌ بليغة .

٣ القراءة الثانية : قراءة تخفيف الهمزة بحذفها (يَلْتِنُكُمْ)، ونسبها إلى الجمهور . وخرَّجها على أَنَّهُا مِنْ (لَا تَه، يَلِيْتُه، لَيْتَا) مثل (بَاعَهُ، يَبِيْعُهُ، بَيْعَا) فِي لُغَةِ أَهْلِ الْحِجَازِ، فَالْمَحْدُوفُ عَيْنُ الْكَلِمَةِ وَوَزْنُهَا (يَفْلُكُمُ)، وَقِيلَ : هِيَ مِنْ (وَلْتَه، يَلْتُهُ)، ك (وَعَدَه يَعْده)، فَالْمَحْدُوفُ فَاؤُهَا وَوَزْنُهَا (يَعْلُكُمُ). وَيُقَالُ أَيضاً: (أَلَا تَه يَلِيْتُه)، ك (أَبَاعَهُ يُبِيْعُهُ)، و (أَلْتَه يُؤْلِتُهُ)، ك (أَمَنَ يُؤْمِنُ). وَكُلُّهَا لُغَاتٌ فِي مَعْنَى: نَقَصَهُ حَقَّهُ . قَالَ الْحَطِيئَةُ الْعَبْسِيُّ :

أَبْلَغُ سَرَاةِ بَنِي سَعْدِ مُعْلَعَلَةٌ جَهْدَ الرِّسَالَةِ لَا أَلْتَأُ وَلَا كَغِذِبَا
وقال رؤبة :

^١ سورة الطور / من آية ٢١ .

^٢ يُنْظَرُ : معاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٩، لسان العرب ٢ / ٨٦.

^٣ يُنْظَرُ : السبعة / ٦٠٦، والبحر المحيط ٨ / ١١٧، والتيسير / ٢٠٢، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ٣٤٨، والحجة / ٦٧٦، والدُّرُّ المصون ١٠ / ١٣.

^٤ وورد: وبني كعب، وبني ثعلب.

^٥ يُنْظَرُ: ديوانه / ١٣٥، ولسان العرب (ألت) ٢ / ٨٦، والدُّرُّ المنشور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت ط ٦ ١٩٩٣ م / ٧ / ٥٨٤، والدُّرُّ المصون ١٠ / ١٤، واللباب في علوم الكتاب ١٧ / ٥٦١، والنكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (٤٥٠هـ)، الشهير بالماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت) ٥ / ٣٣٨، ٣٨٢، وروح المعاني ٢٦ / ١٦٨، ومجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (٢١٠هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٦ ١٩٨٨ م / ١١٦، والإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١ ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م / ٢ / ١٠٠.

وليلة ذات ندى سـرـيت ولم يـلـتـني عن سـراها ليـت
أي : لم يـمـنـعني ويـجـسـني .

والقراءتان لغتان بمعنى لا ينفصكم. وقراءة (لا يـلـتـنـكـم) أكثر قراءة وبلاغة من (يـأـلـتـنـكـم)،
وقراءة (يـأـلـتـنـكـم) قراءة جيـدة وبلغية أيضاً، فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب، فهما قراءتان
معروفتان، ولغتان مشهورتان بمعنى واحد؛ لا تـفـاق معنيهما واستفاضتهما في منطق العرب .

١٢ . ومما جاء كذلك قراءة (البرية) من قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ (٧) ذكر ابن عاشور في قراءة (البرية) قراءتين:

القراءة الأولى : قراءة تحقيق الهمزة (البرية) بهمز بعد الياء، ونسبها إلى نافع وابن
ذكوان عن ابن عامر . ونسب إثبات الهمزة إلى أهل الحجاز، وخرجها على أنها من (فعيلة)، من
برأ الله، إذا خلق .

وأصل بريئة ((فعيلة بمعنى مفعولة، من قولهم: برأ الله الخلق : أي أنشأه وأوجده، وحُقِّفت
الهمزة بإبدالها ياء ثم أدغمت الياء في الياء)) . وذكر الخضري مثل ذلك في (بريئة وبرايا) فقال

^١ يُنظر : ديوانه /١٣٥، ولسان العرب (ألت) ٨٦/٢ ، و الدر المنثور ٧ / ٥٨٤ ، والدُّرُّ المصون ١٠ / ١٤ ، واللباب في
علوم الكتاب ١٧ / ٥٦١ ، والنكت والعيون ٥ / ٣٣٨ ، ٣٨٢ ، و روح المعاني ٢٦ / ١٦٨ ، ومجاز القرآن ١ / ١١٦ ،
والإتقان في علوم القرآن ٢ / ١٠٠ .

^٢ يُنظر : التحرير والتنوير ٢٦ / ٢٦٦ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٩ ، وغرائب القرآن ٧ / ٣٦ ، واللباب في علوم الكتاب ١٧ / ٥٦١ .

^٣ سورة البيئـة / ٦ - ٧ .

^٤ يُنظر : التحرير والتنوير ٣٠ / ٤٨٤ ، والسبعة / ٦٩٣ ، والحة للقرء السبعة ٦ / ٤٢٨ ، وإعراب القراءات ٢ / ٥١٣ ،
والنشر ١ / ٤٧٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٤٥ ، وحة القراءات ٧٦٩ / ٧٦٩ ، والتيسير ٢٢٤ / ٢٢٤ ، والبحر المحيط
٨ / ٤٩٩ ، والدُّرُّ المصون ١١ / ٧١ ، واللباب في علوم القرآن ٢٠ / ٤٤١ .

^٥ يُنظر : التحرير والتنوير ٣٠ / ٤٨٤ ، والتبيان تفسير غريب القرآن / ٤٧٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٤٥ .

^٦ شرح شافية ابن الحاجب ١ / ٢٨ .

إِنَّمَا : ((من برأ بمعنى خلق إلا أن همزة برئية أبدلت ياء وأدغمت في الياء تخفيفاً)) . وذكر الفراء
أن البرئية: من برأ الله الخلق أي خلقهم، وابتدعهم واخترعهم، ومنه قوله ((مِن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا^ع))
من قوله ﷻ : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ
أَنْ نَّبْرَأَهَا^ع إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾^{٢٢} ، وأن أصلها الهمز، وقد تركت العرب همزها ونظيره
النبي والذرئية. وجاء عن ابن سيدة: أن تخفيف (البرئية) تخفيف بدلي، ولو كان قياسياً لحُفِّفَ مرّةً
وحُقِّقَ أُخرى، ولكنه تخفيف بدلي، فلا يُقال (برئية) إلا على استكراه، وخلافٍ للجمهور، كما
أن تخفيف النَّبِيِّ تخفيف بدلي؛ إذ لا يقال (النَّبِيُّ) بالهمز إلا على اللُّغة الرديئة التي نسبها سيبويه
إلى الحجازيين. ونقل قول أبي عبيد: أن ثلاثة أحرف تركت العرب الهمزَ فيها وأصلها الهمز، وهي
: البرئية والنَّبِيُّ والذُرِّيَّةُ. ثم قال: إنَّ قوله: ((تركت العرب الهمز فيها وأصلها الهمز)) دليل على أنه
تخفيف بدلي، وليس بقياسي؛ إذ لا يحصر ما تخفيف الهمز فيه قياسي لا طراد، ثم أنه عدّد
الأحرف التي هذا أمرها، فقال: النبي: أصلها من النبأ، وقد نَبَّأْتُ أَخْبَرْتُ، والخائبة: أصلها الهمزُ
من حَبَّأْتُ، والبرئية: أصلها من برأ الله الخلق، وقد صرَّح سيبويه بأن تخفيف النبي والبرئية تخفيفٌ
بدلي؛ بدلالة ضروب تصريفها. وجاء عن أبي عبيد: أن يونس قال: إنَّ أهلَ مَكَّةَ يُخَالِفُونَ غَيْرَهُمْ
من العرب، يَهْمِزُونَ البرئية والنَّبِيَّ والذُرِّيَّةَ، وذلك قَلِيلٌ في الكلام .^٤

^١ حاشية الخضري على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، الخضري: محمد الدمياطي، (١٢٨٧هـ)، تحقيق: تركي فرحان

المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط

١٩٩٨ م ٣ / ٢٢٨ .

^٢ سورة الحديد / ٢٢ .

^٣ يُنظَر : الكتاب ٣ / ٤٦٠ - ٤٦١ ، ٥٤٧ .

^٤ يُنظَر : المخصَّص ، ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللُّغوي الأندلسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت

ط ١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م ٤ / ٢٠٠ ، ٢٢٦ / ٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٤٥ ، وفتح البيان في مقاصد

القرآن ١٥ / ٣٣٦ ، والذُرُّ المصون ١١ / ٧١ ، واللباب في علوم القرآن ٢٠ / ٤٤١ ، والجدول في إعراب القرآن، محمود

بن عبد الرحيم صافي (١٣٧٦هـ)، دار الرشيد مؤسسة الإيمان، دمشق ط ٤ ، ١٤١٨ هـ ٣ / ٥٥ ، والمحكم والمحيط

الأعظم ١٠ / ٢٨٦ ، وفتح القدير ٥ / ٥٨١ .

ونقل ابن عاشور عن سيبويه: أنه ليس أحد من العرب إلا ويقول: (تَبَّأ مسيلمة) بالهمز، غير أنهم تركوا الهمز في (النبي) كما تركوه في: (الدَّرِيَّةَ والْبَرِيَّةَ) إلا أهل مكة فإنهم يهمزونها، ويخالفون العرب في ذلك .

القراءة الثانية : قراءة تخفيف الهمزة (الْبَرِيَّةَ) بياء تحتية مشددة دون همزة، ونسبها إلى بقيَّة العشرة ، وخرَّجها على أَنَّ الهمزة سُهِّلت بعد الكسرة ياء، وإدغام الياء الأولى في الياء الثانية تخفيفاً . وقيل : إنَّ أصل الْبَرِيَّةَ دونَ همزةٍ مشتقَّةٍ مِنَ الْبَرَاءِ، وهو الترابُ، فهي أصلٌ بنفسِها، وبهذا تكون القراءتان مختلفتي الأصلِ متَّفقتي المعنى . قال الفراءُ : وإذا أخذت (الْبَرِيَّةَ) من البرى وهو التراب، فأصلها غير الهمزة؛ تقول منه: براه الله يبروه برواً؛ أي خلقه. إلا أنَّ ابنَ عطيةَ غَضَّ مِنْ هذا فقال : ((وهذا الاشتقاقُ يَجْعَلُ الهمزةَ خطأً، وهو اشتقاقٌ غيرُ مَرْضِيٍّ)) . يعني أنَّه إذا قيل بأَنَّها مشتقَّةٌ مِنَ الْبَرَاءِ وهو الترابُ، فَمَنْ أين يجيءُ في القراءة الأخرى؟ وجاء عن القشيريِّ أيضاً: أنَّ من قال (الْبَرِيَّةَ) من (البرى)، وهو التراب، قال: لا تدخل الملائكة تحت هذه اللفظة . وهذا غيرُ لازم؛ لأنَّهما قراءتان مُستقلَّتان، لكلٍ منهما أصلٌ مستقلٌّ، فقيل: مِنْ بَرَاءٍ، أي: خَلَق، وهذه مِنْ الْبَرَاءِ لأنَّهم خَلَقُوا مِنْهُ، والمعنى بالقراءتين شيءٌ واحدٌ، وهو جميعُ الخَلْقِ. ولا يُلْتَفَتُ إلى مَنْ ضَعَّفَ الهمزَ من النحاةِ والفُراءِ لثبوته متواتراً .

^١ يُنظَر : الكتاب ٣ / ٤٦٠ ، ٥٥٥ ، والتحرير والتنوير ٣٠ / ٤٨٤ .

^٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ٣٠ / ٤٨٤ ، والسبعة / ٦٩٣ ، والحجَّة للقراء السبعة ٦ / ٤٢٨ ، وإعراب القراءات ٢ / ٥١٣ ، والنشر ١ / ٤٧٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٤٥ ، وحجَّة القراءات ٧٦٩ / ٧٦٩ ، والتيسير ٢٢٤ / ٢٢٤ ، والبحر المحيط ٨ / ٤٩٩ ، والدُّرُّ المصون ١١ / ٧١ ، واللباب في علوم القرآن ٢٠ / ٤٤١ .

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ٣٠ / ٤٨٤ .

^٤ يُنظَر : الدُّرُّ المصون ١١ / ٧١ ، واللباب في علوم القرآن ٢٠ / ٤٤١ .

^٥ المحرَّر الوجيز ٥ / ٥٠٨ . يُنظَر : الدُّرُّ المصون ١١ / ٧١ .

^٦ يُنظَر : الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١٤٥ ، والدُّرُّ المصون ١١ / ٧١ ، واللباب في علوم القرآن ٢٠ / ٤٤١ .

^٧ يُنظَر : الدُّرُّ المصون ١١ / ٧١ ، واللباب في علوم القرآن ٢٠ / ٤٤١ .

وقيل: البرية: من برت القلم، أي قدرته؛ فتدخل فيه الملائكة. ولكنه قول ضعيف؛ لأنه يجب منه تخطئة من همز . وجاء عن اللحياني: أَنَّ الْعَرَبَ اجْتَمَعَتْ عَلَى تَرْكِ هَمْزِ (الْبَرِيَّةِ وَالنَّبِيِّ وَالذُّرِّيَّةِ) وَلَمْ يَسْتَتِنِ أَهْلَ مَكَّةَ .^٢

فالقراءتان مختلفتا الأصل، بمعنى واحد، وكلتا القراءتين صحيحة، ولا يُلتفتُ إلى مَنْ ضَعَفَ قراءة التحقيق من النحاة والقراء لثبوتها متواترة .^٣

١٣. ومن القراءات التي ذكرها ابن عاشور في تحقيق الهمزة المفردة، وتخفيفها قراءة

(كُفُؤًا) من قوله ﷻ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^٤ حيث أورد قراءة نافع وأبي عمرو وأبي بكر عن عاصم (كُفُؤًا) بضم الكاف وضم الفاء وتحقيق الهمزة. وذكر قراءة أبي جعفر (كُفُؤًا) بضم الكاف وضم الفاء وتسهيل الهمزة . ثم ذكر أنه يُقال: (كُفَاء) بضم الكاف وسكون الفاء وبالهمز ، وبه قرأ حمزة ويعقوب، ويقال: (كُفُؤًا) بالواو عوض الهمز، وبه قرأ حفص عن عاصم وهي لغات ثلاث فصيحة .^٥

وُتَسَكَّنَ الهمزة إذا وقفت عليها وقبلها كسرة فتقلب ياءً ، كما يقال في بئر بئر . وفي نبي وبرية ألزمها أهل التحقيق البدل وليس كل شيء نحوهما يُفعل به ذا إنما يُؤخذ بالسَّمْع، وبعض أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون نبيء وبرية وذلك قليل رديء والبدل ها هنا كالبديل في منسأة وليس بدل التَّخْفِيف وإن كان اللفظ واحداً .

^١ يُنظر: الجامع لأحكام القرآن ١٤٥/٢٠، والذُّرُّ المصون ٧١/١١، واللباب في علوم القرآن ٤٤١/٢٠، وفتح القدير ٥٨١/٥.

^٢ يُنظر: الجامع لأحكام القرآن ١٤٥ / ٢٠، والذُّرُّ المصون ٧١/١١، واللباب في علوم القرآن ٤٤١/٢٠، و المحكم والمحيط الأعظم ٢٨٦ / ١٠.

^٣ يُنظر: الذُّرُّ المصون ٧١/١١.

^٤ سورة الإخلاص / ٤ .

^٥ يُنظر: التحرير والتنوير ٦٢٠ / ٣٠ .

^٦ المخصَّص ٢٩٦ / ٣ .

ثانياً : الهمزتان المجتمعتان في كلمة

إذا التقت همزتان في كلمة، أولاهما متحرّكة والثانية ساكنة، فالوجه قلب الهمزة الثانية إلى حرف لين، فتبدل حرف مدّ من جنس حركة ما قبلها:

فإن كان ما قبلها مفتوحاً أبدلت ألفاً نحو (آدم) فإنّ أصلها (أدم) ، و (أتى) فإنّ أصلها (أتى) ، وإذا كان ما قبلها مضموماً أبدلت واواً نحو (أوتي) فإنّ أصلها (أُوتِي) ، (أودي) فإنّ أصلها (أُوْذِي) ، وإذا كان ما قبلها مكسوراً أبدلت ياءً نحو (إيماناً) فإنّ أصلها (إيماناً) . ولا خلافاً بين القراء والنحاة في هذه القاعدة. وقد سمع أبو زيدٍ من يقول: ((اللهم اغفر خطائِي))، بتحقيق الهمزتين، وقال همزها أبو السمع ورداد ابن عمّه، وهو شاذٌّ، ومخالف لما عليه القراء والنحاة، ومَن يَحْقِّقُهُمَا ابن أبي إسحاق، وقال سيبويه: قد يتكلّم ببعضه العرب، ووصفه بالرداءة .

وأما إذا التقت همزتان الأولى منهما مفتوحة والثانية متحرّكة بإحدى الحركات الثلاث، الفتحة أو الضمّة أو الكسرة، فقد ورد خلاف بين القراء في كيفية النطق بالهمزة الثانية.

ففي (إِنَّكُمْ) من قوله ﷻ : ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۗ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ ٨١ ، ومن قوله ﷻ : ﴿ أَيِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۗ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ جَهْلُونَ ﴾ ٥٥ ، ومن قوله ﷻ : ﴿ أَيِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ۗ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَأَتَيْنَا بَعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴾ ٢٩ . قرأ نافع وأبو جعفر وحفص

^١ يُنظَرُ : الكتاب ٥٥٢/٣، والقراءات القرآنيّة، عبد الصبور شاهين.

٢ سورة الأعراف / ٨١ .

٣ سورة النمل / ٥٥ .

٤ سورة العنكبوت / ٢٩ .

(إِنَّكُمْ) بهمزة واحدة مسكورة على الخبر ، والباقون (أَيْنَكُمْ) بزيادة همزة مفتوحة قبل الهمزة المكسورة على الاستفهام المقتضي للتوبيخ والتفريع . واختار القراءة الأولى أبو عبيد والكسائي وغيرهما، واختار الخليل وسيبويه القراءة الثانية. والقراءة الثانية قرأها كلُّ حسب مذهبه في الهمزة الثانية: من تحقيق وتسهيل وإدخال وتركه ؛ فابن كثير ، ورويس يسهلان بلا إدخال، وأبو عمرو بالتسهيل مع الإدخال، وهشام بالتحقيق والإدخال، وهذا من المواضع السبعة التي يدخل فيها هشام قولاً واحداً، والباقون بالتحقيق بلا إدخال، وهم ابن ذكوان وشعبة والأخوان وخلف وروح .

ومثله (إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا) من قوله ﷺ: ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ ﴿١١٣﴾ قرأ نافع وابن كثير وحفص (إِنَّ لَنَا) بهمزة واحدة مكسورة على الخبر المستأنف، وهو بيان لتلك الفاحشة، فكأنهم قاطعون بالجعل، وأنه لا بد لهم منه، فأجابهم فرعون بقوله: ((نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ)) أي إِنَّ لَكُمْ لَأَجْرًا، وإِنَّكُمْ مع هذا الأجر المطلوب منكم لمن المقربين لدينا. والباقون بهمزتين (أَيْنَ لَنَا) الأولى مفتوحة والثانية مكسورة على الاستفهام ، فاستفهموا فرعون عن الجعل الذي سيجعله لهم على الغلبة، ومعنى الاستفهام التقرير. وقرأ الباقون الهمزتين كل على أصله ؛ فالبصري يسهل الثانية مع الإدخال، وهشام يحققها مع الإدخال كذلك؛ لأنَّ هذا من المواضع السبعة التي يدخل فيها بلا خلاف. وابن ذكوان وشعبة والأخوان وخلف وروح يحققونها بلا إدخال، ورويس يسهلها بلا إدخال .

^١ يُنظر : البدور الزاهرة / ١٣٤ ، وفتح القدير ٤ / ٥٨١ .

^٢ سورة الأعراف / ١١٣ .

^٣ البدور الزاهرة / ١٣٥ ، وفتح القدير ٢ / ٢٦٤ .

وهذا جدول يوضح حالات النطق بالهمزة الثانية المتحرّكة عند القراء :

الهمزة الثانية في الكلمة الواحدة			القارئ
مكسورة (أنا)	مضمومة (أولقي)	مفتوحة (أنت)	
التسهيل دون إدخال	التسهيل دون إدخال	التسهيل دون إدخال ^١	ابن كثير
التسهيل مع الإدخال	التسهيل مع الإدخال	التسهيل مع الإدخال	قالون
التسهيل مع الإدخال وعدمه	التسهيل مع الإدخال	التسهيل مع الإدخال	أبو عمرو
التحقيق مع الإدخال وعدمه ^٢	التحقيق مع الإدخال وعدمه ^٢	التسهيل والتحقيق مع الإدخال	هشام
التسهيل دون إدخال	التسهيل دون إدخال	التسهيل ، الإبدال ألفاءً	ورث
التحقيق دون إدخال	التحقيق دون إدخال	التحقيق	سائر القراء

على أنّ ثمة استثناءات لبعض القراء ، فمثلاً : قرأ القراء ما خلا شعبة وحمزة والكسائي بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية من (أعجمي) فصلت .

نماذج للهمزتين المتواليتين في كلمة واحدة

(أَأَنْذَرْتَهُمْ) من قوله ﷻ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ، و (أَأَلِد) من قوله ﷻ : ﴿قَالَتْ يَتُولىّٰ ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي

أي إدخال حرف مد بين الهمزتين .

هذا في موضع آل عمران : ((أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ)) آية ٧٣ ، أمّا في موضعي ص والقمر فله أيضاً التسهيل مع الإدخال . يُنظر : الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع ، عبدالفتاح عبدالغني القاضي ، (ت ١٤٠٣ هـ) مكتبة السوادي ط ١ ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م / ٦٥ .

إلّا في المواضع السبعة التي يدخل فيها هشام قولاً واحداً ، فله فيها التحقيق مع الإدخال ، إلا موضع (فصّلت) ، فله فيه التحقيق والتسهيل مع الإدخال . الوافي / ٦٥ ، والبدور الزاهرة / ١٣٤ .

ثمة تفصيل في الإبدال عند ورث ، يُنظر : الوافي في شرح الشاطبية / ٦١ .

^٥ يُنظر : مجلة الجامعة الإسلامية مج ٤٣ ع ٢٣ . الهمز بين القراء والنحاة ، لأكرم علي حمدان .

^٦ سورة البقرة / ٦ .

شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ ، (أئمة) من قوله ﷺ : ﴿ وَإِنْ تَكُنُوا أَيْمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَنْبُلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ ﴿١٢﴾ ، ومن قوله ﷺ : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِن ﴾ ﴿٧٣﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ ﴿٥﴾ ، وفي قوله ﷺ : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى التَّكْوِينِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾ ﴿٤١﴾ ، وفي قوله ﷺ : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ .

قراءات في الهمزتين المجتمعين في كلمة واحدة

ذكر ابن عاشور في الهمزتين المجتمعين في كلمة واحدة ، قراءات عدّة منها :

١ . قراءة (أَنْذَرَهُمْ) من قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ

لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٦﴾ فقد ذكر فيها قراءات لعدّة :

القراءة الأولى : قراءة (أَنْذَرَهُمْ) بهمزتين أولهما محقّقة والثانية مسهّلة نسبها إلى ابن كثير . وهي قراءة لنافع ، ويعقوب ، وأبي عمرو في رواية ، والأصبهاني ، وورش ، وهشام ،

١ سورة هود / ٧٢ .

٢ سورة التوبة / ١٢ .

٣ سورة الأنبياء / ٧٣ .

٤ سورة القصص / ٥ .

٥ سورة القصص / ٤١ .

٦ سورة السجدة / ٢٤ .

٧ سورة البقرة / ٦ .

ورويس، والأزرق في رواية، وجاء عن مكِّي : أُنْهَم يمدُّون غير أنَّ مدَّ ابن كثير أنقص قليلاً، ويرى
الزخشي أن التخفيف أعرب وأكثر .

القراءة الثانية : قراءة (أُنْذَرْتَهُمْ) بهمزتين أولهما محققة والثانية مسهلة مع إدخال ألف
بين الهمزتين، ونسبها إلى قالون عن نافع ، وورش عنه في رواية البغداديين، وأبي عمرو، وأبي
جعفر كذلك، ووصف القراءتين بأئهما لغة حجازية، وهي لغة قريش وسعد بن بكر أيضاً،
واختار هذه القراءة سيبويه ، والخليل .

القراءة الثالثة : قراءة (ءَأَنْذَرْتَهُمْ) بتحقيق الهمزتين ، نسبها إلى حمزة، وعاصم،
والكسائي، وعدّها لغة تميم. وقرأ بها ابن عامر، وابن ذكوان ، وهشام ، وروح، وخلف، والحسن،

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٥١/١، والبحر المحيط ١٧٥/١، والسبعة في القراءات ١٣٤/، وإتحاف فضلاء البشر ١٢٨/،
والعنوان ٤٤/، والمكزّر ٩/، والتبصرة في القراءات السبع، مكّي بن أبي طالب القيسي، ت. محمّد غوث الندوي،
نشر الدار السلفيّة، الهند ط ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م / ٢٧٦، والكشّاف ٨٨/١، والمهدّب ٤٧/١، ومعاني القرآن
وإعرابه ٧٧/١، والتهديب ٦٨٥/١٥، والمحزّر الوجيز ١٥٣/١، ومعجم القراءات، للخطيب ٣٦/١ .

^٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٥١/١، والكتاب ٥٥١/٣، وإعراب القرآن، للنحاس ٢٧/١، والمحزّر الوجيز ١٥٢/١، وإتحاف
فضلاء البشر ١٢٨/، والحجّة في القراءات السبع ٦٥/، والحجّة للقراء السبعة ١٨٣/١، والمبسوط ١٢٣/، والنشر
٣٦٣/١، والجامع لأحكام القرآن ١٨٥/١، والكشف عن وجوه القراءات ٧٤/١، ولسان العرب ، حرف الهمزة
: ((وكان الخليل يرى تخفيف الثانية، فيجعل الثانية بين الهمزة والألف ، ولا يجعلها ألفاً خالصة ، قال : ومن جعلها
ألفاً خالصة فقد أخطأ))، وفي الأزهية ١٩/ : ((يدخل بين الهمزتين ألفاً (أأنذرتهم)، فتصير الهمزة الأولى مع الألف
همزة بمدّ (أأنذرتهم)، ثم تُلَيّن الهمزة الثانية ، وتترك نبرتها ، وتشمّ حركتها بلا نبرة ، وهذا يعني أنّه ينطق بحركة مختلصة
اختلاصاً شديداً))، وشرح المفصل ١١٩/٩ ، ومعاني الحروف، الرّماني: أبو الحسن، علي بن عيسى، (٣٨٤هـ)،
تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل الشليبي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة ط ٢، ١٩٨٦م / ٥٩، ومعاني القرآن
وإعرابه ٧٧/١، والمهدّب ٤٧/١، والبحر المحيط ١٧٥/١، والسبعة في القراءات ١٣٦/، والكافي في القراءات
السبع، لأبي عبد الله محمّد بن شريح الرّعيني الأندلسيّ (٤٧٦هـ)، تحقيق: أحمد محمود عبدالسميع الشافعي، دار
الكتب العلميّة، بيروت ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م / ٢٢، ومعجم القراءات، للخطيب ٣٦/١، وإرشاد المبتدي
٢٠٨/ .

وابن عَبَّاس، والأعمش، وابن أبي إسحاق . واختارها أبو عبيدة، وهي بعيدة عند الخليل، وسيبويه .

القراءة الرابعة : قراءة (أَنْذَرَهُمْ) بإبدال الهمزة الثانية ألفاً محضة، ونسبها إلى أهل مصر عن ورش، ونقل تلحين الزمخشري لهذه القراءة ، وأنه يضعف رواية المصريين عن ورش، وقال إنَّ هذا اختلاف في كيفية الأداء فلا ينافي التواتر، فقد وافق أبا حيان حيث ردَّ اعتراض الزمخشري، وصوَّب هذه القراءة .

فقد قال الزمخشري: ((فإن قلت : ما تقول فيمن يقلب الثانية ألفاً؟ قلت: هو لحن خارج عن كلام العرب خروجين : أحدهما الإقدام على جمع الساكنين على غير حدّه، وحدّه أن يكون الأوّل حرف لين والثاني حرفاً مدغماً نحو قوله : الضالّين ، وخويصة . والثاني : إخطاء طريق التخفيف؛ لأنّ طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها أن تخرج بين بين، فأما القلب ألفاً فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهزمة رأس)) .

ودافع أبو حيان عن هذه القراءة، وردّ تلحين الزمخشري لها قائلاً: ((وقد أنكر هذه القراءة الزمخشري، وزعم أنّ ذلك لحن ، وخروج عن كلام العرب من وجهين: أحدهما: الجمع بين

^١ يُنظر : التحرير والتنوير / ١ / ٢٥١ ، وإعراب القرآن ، للنحاس / ١ / ٢٧ ، والكشاف / ١ / ٨٨ ، والمحرّر الوجيز / ١ / ١٥٤ ، والمبسوط / ١٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن / ١ / ١٨٥ ، والكشف عن وجوه القراءات / ١ / ٧٣ - ٧٥ ، ومعاني الحروف / ٥٩ ، ومعاني القرآن وإعرابه / ١ / ٧٧ ، والتهذيب / ١٥ / ٦٨٥ ، ومجمّع البيان / ١ / ٨٨ ، والبحر المحيط / ١ / ١٧٥ ، والسبعة في القراءات / ١٣٦ ، والكافي في القراءات السبع / ٢٢ ، والتبيان في تفسير القرآن / ١ / ٦٠ - ٦١ ، والبيان / ١ / ٥٠ ، ومعجم القراءات ، للخطيب / ١ / ٣٦ ، وإرشاد المبتدي / ٢٠٨ .

^٢ يُنظر : الكشاف / ١ / ٨٨ .

^٣ يُنظر : التحرير والتنوير / ١ / ٢٥١ ، البحر المحيط / ١ / ١٧٥ ، وحاشية الشهاب / ١ / ٢٧٣ ، والمكرّر / ٩ ، والتبصرة في القراءات السبع / ٢٧٧ ، ومعاني القرآن وإعرابه / ١ / ٧٧ ، ومعجم القراءات ، للخطيب / ١ / ٣٦ .

^٤ قوله «و خويصة» مسلم من رواية زياد بن رباح عن أبي هريرة رضی الله عنه : «بادروا بالأعمال ستا ...» فذكره . وفيه «و خويصة أحدكم» . يُنظر : حاشية الإمام العلامة أحمد بن محمد، المعروف بابن المنير وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعي تذييل، المذيّلة بالكشاف / ١ / ٤٨ .

^٥ الكشاف / ١ / ٨٨ .

ساكنين على غير حده . الثاني : أن طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها هو بالتسهيل
بَيْنَ بَيْنَ لا بالقلب ألفاً ؛ لأن ذلك هو طريق الهمزة الساكنة ، وما قاله هو مذهب البصريين ،
وقد أجاز الكوفيون الجمع بين الساكنين على غير الحد الذي أجازوه البصريون . وقراءة ورش
صحيحة النقل ، لا تُدْفَعُ باختيار المذاهب، ولكن عادة هذا الرجل إساءة الأدب على أهل
الأداء ونقلة القرآن)) .

٢

والصحيح أن هذه القراءة صحيحة، لثبوتها متواترة، وللقراء في نحوها عملاً كثيراً وتفصيلاً

٣

منتشر .

والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء، فالهمزة في ((أأندركهم)) الأصل فيها الاستفهام وهو
هنا غير مراد، إذ المراد التسوية، والهمزة هنا للتعدية، ومعنى الاستفهام هنا غير مراد، فلفظه لفظ
الاستفهام ومعناه الخبر، وإنما جرى عليه لفظ الاستفهام؛ لأن فيه التسوية التي هي في الاستفهام،
ألا ترى أنك إذا قلت مُخْبِراً: ((سواءً عليّ أقيمت أم قعدت))، وإذا قلت مستفهماً: ((أحرج زيد
أم قام))؟ فقد استوى الأمران عندك، هذان في الخبر وهذان في الاستفهام، وعدم علم أحدهما
بعينه، فلما عمتهما التسوية جرى على الخبر لفظ الاستفهام لمشاركته إياه في الإبهام، فكل
استفهامٍ تسوية وإن لم تكن كلُّ تسويةٍ استفهاماً. وقد جاء هذا المعنى عن سيبويه، حيث قال:
جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك: ((اللهم اغفر لنا أيتها
العصاة)) يعني أن هذا جرى على صورة الاستفهام ولا إستفهام، كما أن ذلك جرى على صورة
النداء ولا نداء . وكما جرد الأمر والنهي لذلك عن معنيهما في قوله تعالى: ((استغفر لهم أو لا
تستغفر لهم)) من قوله ﷻ: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً

^١ يقصد الزمخشري .

^٢ البحر المحيط ١ / ١٧٥ . ويُظنر : الكشاف ١ / ١١٩ ، والدُّرُّ المصون ١ / ١١٠ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ١ / ٣٦ .

^٣ يُظنر : الدر المصون ١ / ١١٠ .

^٤ يُظنر : الكتاب ٣ / ١٧٠ .

فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾
 ، كأنه قيل: إِنَّ الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه . و(أم) هنا عاطفة وتُسَمَّى متصلةً،
 ولكونها متصلةً شرطان، أحدهما: أن يتقدّما همزة استفهامٍ أو تسوية لفظاً أو تقديرًا، والثاني: أن
 يكونَ ما بعدها مفرداً أو مؤولاً بمفرد كهذه الآية، فإنَّ الجملة فيه بتأويل مفردٍ، وجوابها أحدُ
 الشيئين أو الأشياء، ولا بُحَابٍ ب(نَعَمْ) ولا ب(لا). فإنَّ فُقِدَ شرطٌ سُمِّيَتْ منقطعةً ومنفصلةً. وتُقَدَّرُ
 ببل والهمزة، وجوابها نعم أولاً، ولها أحكامٌ أُخْرُ .

٣

وهناك قراءات لم يذكرها ابن كثير ، منها : قراءة التسهيل بَيْنَ بَيْنَ نقلها البغداديون عن
 ورش على القياس .

٤

وجاء عن الأخفش: أَنَّ في (أَنْذَرْتُمْ) ألفان ألف (أَنْذَرْتُمْ)، وهي مقطوعة؛ لأنَّه يقول
 (يُنْذِرُ)، فالياء مضمومة، ثمَّ جُعِلَتْ معها ألف الاستفهام، فلذلك مُدِدَتْ، وخَفِفت الآخرة
 منهما، لأنَّه لا يلتقي همزتان .

٥

وجاء عنه في موضعٍ آخر: أَنَّ إذا اجتمعت همزتان شتَّى ليس بينهما شيء، فإنَّ إحداها
 تحفَّف في جميع كلام العرب إلَّا في لغة وصفها بالشذوذ والقلَّة؛ وعَلَّل ذلك أَنَّ العرب إذا
 اجتمعت همزتان في كلمة واحدة أبدلوا الآخرة منهما أبداً، فجعلوها إن كان ما قبلها مفتوحاً ألفاً

١ سورة التوبة / ٨٠ .

٢ يُنْظَرُ : الكشَّاف ٨٨/١، والدُّرُّ المصون ١/ ١٠٩، ١٠٥، واللباب في علوم الكتاب ١/ ٣١٣، وإرشاد العقل السليم ١/ ٣٦،
 وأنوار التنزيل ١/ ١٣٥، روح المعاني ١/ ١٢٨، ونواهد الأبيكار وشوارد الأفكار (حاشية السيوطي على تفسير
 البيضاوي) ١/ ٣٤١، وتفسير الراغب الأصفهاني ١/ ٨٧.

٣ يُنْظَرُ : الكشَّاف ٨٨/١، والدُّرُّ المصون ١/ ١٠٩، ١٠٥، واللباب في علوم الكتاب ١/ ٣١٣، وإرشاد العقل السليم ١/ ٣٦،
 وأنوار التنزيل ١/ ١٣٥، روح المعاني ١/ ١٢٨، ونواهد الأبيكار وشوارد الأفكار (حاشية السيوطي على تفسير
 البيضاوي) ١/ ٣٤١، وتفسير الراغب الأصفهاني ١/ ٨٧.

٤ يُنْظَرُ : التهذيب ١٥/ ٦٨٥، ولسان العرب، حرف الهمزة، وإعراب النحَّاس ١/ ١٣٥، والحجة للفارسي ١/ ٢٠٥، والكشَّاف
 ٨٨/١، والتبصرة في القراءات السبع ٢٧٧/، وحاشية الشهاب ١/ ٢٧٣، ومعجم القراءات، للخطيب ١/ ٣٦.

٥ يُنْظَرُ : معاني القرآن، للقرَّاء ١/ ٢٠.

ساكنة نحو: (آدم)، و (آخر)، و (آمن)، وإن كان ما قبلها مضموما جعلت واوا نحو: (أُوْرُز)، إذا أمرته أن يُؤْز، وإن كان ما قبلها مكسورا جعلت ياء نحو: (إِيْتِ)، وكذلك إن كانت الآخرة متحركة بأي حركة كانت، والأولى مضمومة أو مكسورة، فالآخرة تتبع الأولى، فأما المفتوحة فلا تتبعها الآخرة إذا كانت متحركة؛ لأنها لو تبعتها جعلت همزة مثلها. ولكن تكون على موضعها، فإن كانت مكسورة جعلت ياء، وإن كانت مضمومة جعلت واوا، وإن كانت مفتوحة جعلت أيضا واوا؛ لأنَّ الفتحة تشبه الألف. وأنت إذا احتجت إلى حركتها جعلتها واوا ما لم يكن لها أصل في الياء معروف، فهذه الفتحة ليس لها أصل في الياء، فجعلت الغالب عليها الواو نحو: (آدم)، و (أوادم). فلذلك جعلت الهمزتان إذا التقتا وكانتا من كلمتين شتى مخففة إحداهما، ولم يبلغ من استثقالهما أن يجعلهما مثل المجتمعين في كلمة واحدة. ولأنَّ اللتين في كلمة واحدة لا تفارق إحداهما صاحبتهما، وهاتان تتغيران عن حالهما وتصير كل واحدة منها على حياها أثقل منهما في كلمتين؛ لأنَّ ما في الكلمتين كلُّ واحدة على حياها فتخفيف الآخرة أقيس، كما أبدلوا الآخرة حين اجتماعها في كلمة واحدة، وقد تخفف الأولى .

ثمَّ قال: وأما (أَنْذَرْتَهُمْ) فإنَّ الأولى لا تُخَفَّف؛ لأنها أوَّل الكلام. والهمزة إذا كانت أوَّل الكلام لم تخفف؛ لأنَّ المخففة ضعفت حتى صارت كالساكن فلا يبتدأ بها. وقد قال بعض العرب (إذا) و (أأنذرتهم) و (أأنا قلت لك كذا وكذا، فجعل ألف الاستفهام إذا ضُمَّت إلى همزة يفصل بينها وبينها بألف؛ لئلاَّ تجتمع الهمزتان. كل ذا قد قيل وكل ذا قد قرأه الناس .

٢. (إِنَّكُمْ) من قوله ﷺ: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ﴾

بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ذكر ابن عاشور قراءة التخفيف (إِنَّكُمْ) بهمزة واحدة مكسورة بصيغة الخبر المستأنف على تقدير همزة استفهام حذف للتخفيف، ولدلالة ما قبلها عليها، ونسبها إلى نافع، والكسائي، وحفص عن عاصم، وأبي جعفر، وعدَّ البيان راجعاً إلى

^١ يُنظَر : معاني القرآن، للقرآء ١/٣٢.

^٢ يُنظَر : معاني القرآن، للقرآء ١/٣٣.

٣ سورة الأعراف / ٨١ .

الشيء المنكر بهمزة الإنكار في ((أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ)) من الآية السابقة: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^١ ، وبه يعرف بيان الإنكار .

وذكر النَّحَّاسُ أنَّ قراءة التخفيف (إِنَّكُمْ) اختيار أبي عبيد، وأنه احتجَّ هو والكسائي جميعاً بقوله عزَّ وجل: ((أَفَايُن مَّتَّ فَهْمُ الْخَالِدُونَ)) من قوله ﷺ: ﴿جَعَلْنَا لِشَرِّ مَنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَايُن مَّتَّ فَهْمُ الْخَالِدُونَ﴾^٢ ، ولم يقل: (أفهم)، وبقوله: ((أَفَايُن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ)) من قوله ﷺ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَايُن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا

وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^٣ ، ولم يقل: (انقلبتم). وأنه حُكي عن محمد بن يزيد أنه كان يذهب إلى قول أبي عبيد والكسائي، ووصف هذا أنه من أقبح الغلط؛ لأنَّهما شبَّها شيئين بما لا يشتبهان، لأنَّ الشرط وجوابه بمنزلة شيء واحد، فلا يكون فيهما استفهامان، كالمبتدأ وخبره، فلا يجوز: ((أفان مت أفهم الخالدون))، كما لا يجوز: ((أزيد أمنطلق))، وقصة لوط ﷺ

^١ سورة الأعراف / ٨٠ .

^٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٣١/٨ ، وجامع البيان ١٠٧/٨ ، والكشف عن وجوه القراءات ٤٦٨/١ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٥/٧ ، والبحر المحيط ٣٣٤/٤ ، وإتحاف فضلاء البشر/٤٨ ، ٢٢٦ ، والسبعة في القراءات ٢٨٥/ ، والحجَّة في القراءات السبع ١٥٨/ ، والنشر ٣٦٨/١ ، ٣٧١ ، والمبسوط ٢١٠/ ، والمحرَّر الوجيز ٥٧٠/٥ ، وغرائب القرآن ١٦٤/٨ ، وحجَّة القراءات ٢٨٧/ ، وإعراب القرآن، للنحَّاس ٦٢/٢ ، والكافي في القراءات السبع ٩٧/ ، والتبصرة في القراءات السبع ٥١١/ ، والمكرر ٤٤/٤ ، والعنوان ٩٦/ ، والتيسير ١١١/ ، والتبيان في تفسير القرآن ٤٥٦/٤ - ٤٥٧ ، والتبيان في إعراب القرآن ٥٨١/١ ، وحاشية الجمل ١٦٢/٢ ، وروح المعاني ١٧٠/٨ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٩٢/١ ، ١٩٣ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ١٠٠/٣ ، وفتح القدير ٢٣٢/٤ ، وإرشاد المبتدي ٣٣٣ .

^٣ سورة الأنبياء / ٣٤ .

^٤ سورة آل عمران / ١٤٤ .

فيها جملتان، فلك أن تستفهم عن كل واحدة منهما، ويجوز الحذف من الثانية لدلالة الأولى عليها إلا أن الاختيار تخفيف الهمزة الثانية، ونسب هذا القول إلى الخليل وسيبويه .

وذكر ابن عاشور قراءة التحقيق : (أَيْتَكُمْ) بهمزتين على صيغة الاستفهام، والبيان للإنكار، وبه يعرف بيان المنكر، وأنَّ القراءتين مستويتان ونسبها لبقية القراء، ولم يسمِّهم، وهم ابن عامر وأبوبكر عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف وروح وابن ذكوان، وهي اختيار الخليل وسيبويه .

وهناك قراءات لم يذكرها ابن عاشور، وهي: قراءة (أَيْتَكُمْ) بتحقيق الأولى على الاستفهام وتلين الثانية بين الهمزة والياء، قرأ بها ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس، وورش، ويعقوب. وقراءة (آَيْتَكُمْ) بتحقيق الأولى وتلين الثانية، وفصل بينهما بألف، قرأ بها أبو عمرو، وزيد. وقراءة (آَائِتَكُمْ) بتحقيق الهمزتين مع ألف بينهما، قرأ بها هشام، وهي رواية الحلواني عنه، ورُويت عن أبي عمرو .

¹ يُنظر: إعراب القرآن ، للنحاس ٦٢/٢.

² يُنظر: التحرير والتنوير ٢٣١/٨، ومجمّع البيان ١٠٧/٨، والكشف عن وجوه القراءات ٤٦٨/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٥/٧، والبحر المحيط ٣٣٤/٤، وإتحاف فضلاء البشر ٤٨/٤٨، ٢٢٦، والسبعة في القراءات ٢٨٥/٥، والحجّة في القراءات السبع ١٥٨/١، والنشر ٣٦٨/١، ٣٧١، والمبسوط ٢١٠/٥، والمحرّر الوجيز ٥٧٠/٥، وغرائب القرآن ١٦٤/٨، وحجّة القراءات ٢٨٧/٢، وإعراب القرآن ، للنحاس ٦٢/٢، والكافي في القراءات السبع ٩٧/٩٧، والتبصرة في القراءات السبع ٥١١/١، والمكرر ٤٤/٤٤، والعنوان ٩٦/٩٦، والتيسير ١١١/١١١، والتبيان في تفسير القرآن ٤٥٦/٤ - ٤٥٧، والتبيان في إعراب القرآن ٥٨١/١، وحاشية الجمل ١٦٢/٢، وروح المعاني ١٧٠/٨، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٩٣/١، ١٩٢، ومعجم القراءات، للخطيب ١٠٠/٣، وفتح القدير ٢٣٢/٤، وإرشاد المبتدي ٣٣٣.

³ يُنظر: مجمّع البيان ١٠٧/٨، والكشف عن وجوه القراءات ٤٦٨/١، والجامع لأحكام القرآن ٢٤٥/٧، والبحر المحيط ٣٣٤/٤، وإتحاف فضلاء البشر ٤٨/٤٨، ٢٢٦، والسبعة في القراءات ٢٨٥/٥، والحجّة في القراءات السبع ١٥٨/١، والنشر ٣٦٨/١، ٣٧١، والمبسوط ٢١٠/٥، والمحرّر الوجيز ٥٧٠/٥، وغرائب القرآن ١٦٤/٨، وحجّة القراءات ٢٨٧/٢، وإعراب القرآن، للنحاس ٦٢/٢، والكافي في القراءات السبع ٩٧/٩٧، والتبصرة في القراءات السبع ٥١١/١، والمكرر ٤٤/٤٤، والعنوان ٩٦/٩٦، والتيسير ١١١/١١١، والتبيان في تفسير القرآن ٤٥٦/٤ - ٤٥٧، والتبيان في إعراب

وقال ابن الأنباري : ((ومن قرأ بتحقيق الأولى وتلين الثانية بغير مدّة فقد استثقل اجتماع همزتين، وليّن الثانية؛ لأنّه بها وقع الاستثقال... ومن قرأ بتلين الثانية بعد مدّة فإنه أراد التخفيف من جهتين : إدخال المدّة، وجعل الهمزة بيّن بيّن، ومن قرأ بحذف همزة الاستفهام فللتخفيف، وحذف همزة الاستفهام ليس بقويّ في القياس)) .^١

٣. قراءة (أئمة) من قوله ﷺ : ﴿ وَإِنْ تَكَثُرَ آيْمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ ذكر ابن عاشور فيها عدّة قراءات منها :

القراءة الأولى : قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف (أئمة) بتحقيق الهمزتين، ولم يخرج هذه القراءة .^٢

قال العكبري: ((فَمَنْ حَقَّقَ الهمزتين أَخْرَجَهُمَا عَلَى الْأَصْلِ)) ، وأكدها مكّي بن أبي طالب حيث قال: ((ولا يجوز ذلك، إلاّ في (أئمة) جمع إمام، فإنّ الثانية ساكنة في الأصل، ولكن لما أُلقيت عليها حركة الميم الأولى تحرّكت بالكسر ، فجاء تحقيقها على المشابهة بـ (أئدا) وبه قرأ الكوفيون وابن عامر)) .^٣

القرآن ٥٨١/١ ، وحاشية الجمل ١٦٢/٢ ، وروح المعاني ١٧٠/٨ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٩٢/١ ، ١٩٣ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ١٠٠/٣ ، وفتح القدير ٢٣٢/٤ ، وإرشاد المبتدي ٣٣٣ .

^١ البيان ٣٦٧/١ - ٣٦٨ . يُنظر : معجم القراءات ، للخطيب ١٠٠/٣ .

^٢ سورة التوبة / ١٢ ، وذكرت (أئمة) أيضاً في أربع أماكن أخرى ، وهي : في قوله ﷺ : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عبيدين ﴾ (٧٣) ﴿ الأنبياء / ٧٣ ، وفي قوله ﷺ : ﴿ وَرُبُّدُ أَنْ نَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً وَجَعَلْنَاهُمْ الْوَارِثِينَ ﴾ (٥) ﴿ القصص / ٥ ، وفي قوله ﷺ : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (٢٤) ﴿ السجدة / ٢٤ .

^٣ يُنظر : التحرير والتنوير ١٠ / ١٣٠ .

^٤ التبيان في إعراب القرآن ٢ / ٦٣٧ .

^٥ التبصرة في القراءات السبع - مكّي بن أبي طالب القيسي - ت د . محي الدين رمضان . الكويت ١٩٨٥ م / ٧١ .

وذكر أبو حيان أنَّ قراءة تحقِّق الهمز قراءة مشهورة، وإن لم تكن مقبولة عند البصريين ،
ويروي بعض علماء العربيَّة أنَّ العرب لا تحقِّق همزتين مجتمعتين؛ حيث ورد عن سيبويه أنَّ أهل
التحقيق يحقِّفون إحدى الهمزتين إذا التقتا، وكانت كل واحدةٍ منهما من كلمة، ويستثقلون تحقِّق
الهمزتين، كما استثقل أهل الحجاز تحقِّق الواحدة. وذكر أنَّه ليس من كلام العرب أن تلتقي
همزتان فتحقِّقا، بل يحقِّفون الأولى، وحقِّقون الآخرة، ونسب هذا القول إلى أبي عمرو، وأنَّ من
العرب من يحقِّق الأولى وحقِّف الآخرة، وأمَّا أهل الحجاز فيحقِّفون الهمزتين؛ لأنَّه لو لم تكن إلاَّ
واحدة لحقِّفت .

٢

وقد وصف ابن جني كذلك قراءة تحقِّق الهمزتين إذا التقتا بالشذوذ؛ لأنَّ الأولى عنده
زائدة .

٣

والقراءة الثانية : قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبي عمرو ، ورويس عن يعقوب (أيمَّة) بتسهيل
الهمزة الثانية بين الهمزة والياء . وقال سيبويه عن قراءة تسهيل الهمزة بين بين : ((واعلم أنَّ الهمزة
التي يحقِّق أمثالها أهل التحقيق من بني تميم وأهل الحجاز، وتجعل في لغة أهل التخفيف بين بين،
تبدل مكانها الألف إذا كان ما قبلها مفتوحاً ، والياء إذا كان ما قبلها مكسوراً، والواو إذا كان
ما قبلها مضموماً)) .

٥

فمجمل رأي القراء والنحويين القدماء هو أنَّ مخرج همزة بين بين مخرج الحرف الذي منه
حركتها، فتصير ألفاً إذا كان ما قبلها مفتوحاً ، وواواً إذا كان ما قبلها مضموماً، وياءً إذا سُبقت
بكسرة . ويرى المحدثون غير ذلك ؛ فهم يرون أنَّ هذا الصوت ليس بهمزة بل هو صوت لِين

١ يُنظَر : البحر المحيط ٦ / ١٢٥ .

٢ يُنظَر : الكتاب ٣ / ٥٤٩ ، ٥٥٣ ، ٣٧٦/٤ .

٣ يُنظَر : سرُّ صناعة الإعراب ١ / ٧٢ ، وإعراب القرآن، النحاس ٢ / ٧ ، الخصائص ٣ / ١٤٣ .

٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٠ / ١٣٠ ، والدُّرُّ المصون ٦ / ٢٣ .

٥ الكتاب ٣ / ٥٥٣ - ٥٥٤ .

٦ يُنظَر : شرح المفصل ٩ / ١٠٧ ، والمنهج الصوتي في توجيه القراءات / ٧٦ .

قصير ، وهو حركة الهمزة ، من ضمّة أو فتحة أو كسرة ، وهو من وسائل إضعاف الهمزة،
ونطقها نطقاً وسطاً بين نطقها الشديد ، ونطق الحركة .^١

ويرى العكبري أنّه لا يجوز أن تسهّل بين بين كما سهّلت همزة (أُئِذَا) ؛ لأنّ الكسرة
هنا منقولة ، و في (أُئِذَا) أصلية .^٢

والقراءة الثالثة : قراءة هشام عن عامر ، وأبي جعفر (أُئِمَّة) بمدّ بين الهمزتين .^٣

ولم تُقرأ بتسهيل الثانية على القياس ، ولكن ترك ذلك لتتحرك بحركة الميم في الأصل .^٤

وقد اعترض على قراءة (أُئِمَّة) بتحقيق الهمزتين ، بعض النحويين والمفسرين ؛ لأنّ فيه

الجمع بين همزتين في كلمة واحدة ، وعلى قراءة (أُئِمَّة) ، كما سبق ؛ حيث قاسوا آيات القرآن

الكريم على قواعد النحو ، فالبصريون مثلاً يستصعبون اجتماع الهمزتين ، مع إنّها قراءة ابن عامر

وعاصم وحمزة والكسائي وخلف وابن أبي أويس عن نافع ، و (أُئِمَّة) عندهم لغة واحدة هي

(أُئِمَّة) بهمزة واحدة بعدها ياء . وقد اعترض عليهم في ذلك الزمخشري فقال : ((وأما التصريح

بالياء فليس بقراءة ، ولا يجوز أن تكون . ومن صرح بها فهو لاجن محرف)) ، مع أنّها قراءة رأس^٥

البصريين النحاة (أبي عمرو بن العلاء) ، وقارئ مكّة ابن كثير ، وقارئ مدينة الرسول ﷺ نافع ،

ولكنّ هذا دأبه في تلحين المقرئين ، وهذا يدلّ على أنّ بعض النحويين يستهينون بالنقل المتواتر

للقرءات ، وهذا مخالف لقواعد القرءات ، فائمة القرءاء ((لا تعمل في شيء من حروف القرآن

^١ يُنظر : الأصوات اللغويّة / ٩٢ ، ودروس في علم أصوات العربيّة / ١٢٤ ، والقرءات القرآنيّة في ضوء علم اللغة الحديث / ١٠٥ .

^٢ لأنّ أصله (أئمة) على وزن أفعلة جمع إمام ، أدغموا الميم في الميم فنقلت حركتها إلى الهمزة قبلها ، يُنظر : تفسير البحر
المحيط ٦ / ١٢٥ .

^٣ يُنظر : التبيان في إعراب القرآن ٢ / ٦٣٧-٦٣٨ .

^٤ يُنظر : التحرير والتنوير ١٠ / ١٣٠ .

^٥ يُنظر : التبيان في إعراب القرآن ٢ / ٦٣٧-٦٣٨ .

^٦ يُنظر : الكتاب ٣ / ٥٤٩ ، ٥٥٣ ، ٣٧٦ / ٤ .

^٧ يُنظر : معاني القرآن وإعرابه ٢ / ٤٨٠ .

^٨ الكشّاف ٢ / ٢٣٨ - ٢٣٩ .

^٩ يُنظر : تفسير البحر المحيط ٦ / ١٢٥ .

على الأفشى في اللغة، والأقيس في العريّة، بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل والرواية، إذا ثبت عنهم لم يردها قياس عريّة، ولا فشو لغة؛ لأنّ القراءة سنّة متّبعة يلزم قبولها والمصير إليها)).^١

وهذا الاعتراض على قراءة (أئمّة) بتحقيق الهمزتين، من بعض النحويين والمفسّرين؛ لأنّ فيه الجمع بين همزتين في كلمة واحدة، وعلى قراءة (أئمّة)، كما سبق؛ حيث قاسوا آيات القرآن الكريم على قواعد النحو خطأ من وجهة نظري؛ لأنّ القرآن الكريم هو كلام الله المعجز لأساطين البيان والبلاغة، وأنّه أصل اللغة، ومنه تستنبط قواعدها، وعلى ضوء آياته تضبط اللغة، وتصحّح هيئاتها. ومع هذا فهذه القراءة وغيرها من القراءات التي اعترضوا عليها وشكّكوا فيها لم تخالف قواعد العريّة، بل لها في وجوه العريّة ما يؤيدها.

^١ النشر ١٠/١ - ١١. يُنظَر : منجد المقرئين / ٦٥، والقراءات القرآنيّة في تفسير فتح القدير / ٣٨ - ٣٩ ، والقراءات القرآنيّة في المعجمات اللغويّة / ٥٥٤ - ٥٥٥.

ثالثاً : الهمزتان المجتمعتان في كلمتين

وهي أن تباشر همزة قطع في نهاية كلمة همزة قطع أخرى في بداية كلمة تالية ، حال الوصل . وأمثلة هذا النوع من التقاء الهمزتين تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : أن تكون الهمزتان متفتحتين في الحركة : وحركتهما يمكن أن تكون

الفتحة، نحو: (شاء أن) من قوله ﷺ : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ

يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ ، ويمكن أن تكون الكسرة ، نحو : (هؤلاء إن) من قوله ﷺ :

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ

كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ ويمكن أن تكون الضمة ، نحو : (أولياء أولئك) من قوله ﷺ : ﴿

وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۗ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ

٣



وفيما يلي جدول يوضح حالات النطق بالهمزتين المتتاليتين من كلمتين في الحالات

الثلاث، وما يطرأ عليهما من تغيير في النطق عند القراء :

الهمزتان من كلمتين			القارئ
مضمومتان (أولياء أولئك)	مكسورتان (هؤلاء إن)	مفتوحتان (جاء أحدهم)	
حذف الأولى وتحقيق الثانية	حذف الأولى وتحقيق الثانية	حذف الأولى وتحقيق الثانية	أبو عمرو
تسهيل الأولى بينها وبين الواو	تسهيل الأولى بينها وبين الياء	حذف الأولى وتحقيق الثانية	قالون والبرزي
تحقيق الأولى وتسهيل الثانية أو إبدالها واواً	تحقيق الأولى وتسهيل الثانية أو إبدالها ياء	تحقيق الأولى وتسهيل الثانية أو إبدالها ألفاً	ورش وقنبل
تحقيق الهمزتين	تحقيق الهمزتين	تحقيق الهمزتين	باقي القراء

١ سورة الفرقان / ٥٧ .

٢ سورة البقرة / ٣١ .

٣ سورة الأحقاف / ٣٢ .

القسم الثاني : أن تكون الهمزتان مختلفتين في الحركة : وقد وقع منها في القرآن خمسة نماذج :

١. مفتوحة يليها مكسورة ، نحو : (شَهَادَةٌ إِذْ) من قوله ﷻ : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ

شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ
إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ .

٢. مفتوحة يليها مضمومة ، نحو : (جَاءَ أُمَّةٌ) من قوله ﷻ : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرَا كُلَّ

مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبِعَدَا لِقَوْمٍ لَّا
يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ .

٣. مضمومة يليها مفتوحة ، نحو : (السُّفَهَاءُ أَلَا) من قوله ﷻ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا

كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن
لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ .

٤. مكسورة يليها مفتوحة ، نحو : (النِّسَاءِ أَوْ) من قوله ﷻ : ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا

عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ
وَلَكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ

يُنظَرُ : النطق بالقرآن ١/٢٢٣-٢٢٥ ، للوقوف على جميع المواضع التي جاءت فيها الهمزتان مختلفتين .

٢ سورة البقرة / ١٣٣ .

٣ سورة المؤمنین / ٤٤ .

٤ سورة البقرة / ١٣ .

حَتَّى يَبْلُغَ الْكِنْبُ أَجَلَهُ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ

اللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ .

٥ . مضمومة يليها مكسورة ، نحو : (يَشَاءُ إِلَى) من قوله ﷺ : ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ

النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ .

وقد تنوع أداء القراء في هذه الأوضاع أيضاً، فقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبوجعفر ورويس بتحقيق الأولى وتخفيف الثانية، فأتوا بها بين بين في النموذجين الأول والثاني، وقلبوها وواواً محضة في النموذج الثالث وياء محضة في النموذج الرابع. وأمّا القسم الخامس، فقد اختلف فيه، فذهب جمهور القراء (القدماء منهم) إلى إبدال الثانية وواواً محضة مكسورة. وأمّا جمهور القراء المتأخرين، ومعهم جماعة النحو كالخليل وسيبويه، فإنهم يجعلونها بين بين (أي بين الهمزة والياء).

٣ والتوجيهان صحيحان، إلا أن الأول أثر في النقل، والثاني أوجه في القياس . وقرأ باقي القراء، وهم ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف وزُوح بتحقيق الهمزتين في جميع النماذج ، وانفرد ابن مهران عن روح بالتسهيل .

٤ هذا العرض لأحوال النطق بالهمزة في قراءات القراء يبيّن أن عدداً من القراء غير يسير تبني قراءه التحقيق التي تتعارض تماماً مع مذاهب النُّحاة البصريين الذين يرون أنه إذا التقت همزتان في كلمة وجب عدم تحقيقهما .

١ سورة البقرة / ٢٣٥ .

٢ سورة البقرة / ١٤٢ .

النطق بالقرآن ١/ ٢٢٥ - ٢٢٦ .

السابق ١/ ٢٢٦ .

وهنا نجد أنفسنا أمام خلاف واسع بين القرّاء وهؤلاء النُّحاة ، نتج عن هذه القراءات ، حيث توالى الهمزتان في مواضع كثيرة في القرآن ، سواء أكان ذلك في كلمة واحدة أم في كلمتين .

نماذج للهمزتين المجتمعين في كلمتين :

(هَؤُلَاءِ إِنْ) من قوله ﷺ : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٣١) ، (شُهَدَاءَ إِذْ) من قوله ﷺ : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾^(١٣٣) ، و (جَاءَ أَحَدَكُمْ) من قوله ﷺ : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴾^(٦١) .

حَقَّق الهمزتين في هذه المواضع كلٌّ من عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وروح . وقد ردَّ كثير من النُّحاة هذه القراءة ، وعدَّوها من وهم القرّاء .

^١ سورة البقرة / ٣١ .

^٢ سورة البقرة / ١٣٣ .

^٣ سورة الأنعام / ٦١ .

تَخْفِيفُ الْهَمْزَةِ

التخفيف لغة : التخفيفُ ضدُّ التثقيبِ واستخفَّه خلاف استثقلَّه ، ومنه قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ ، وفي الحديث كان إذا بعث الخُرَّاصَ قال حَقِّفُوا الخُرَّاصَ فَإِنَّ فِي المَالِ العَرَبِيَّةِ وَالمَالِ الوَصِيَّةِ ، وهو من حَفَّ يَحْفُ حِخْفَةً ، فهو خفيف ، حَفَّ القَوْمُ عَن وَطَنِهِمْ ، حُفُوفًا : اِرْتَحَلُوا مُسْرِعِينَ ، وقيل : اِرْتَحَلُوا عَنْهُ ، فلم يُحْصُوا السُّرْعَةَ ، كقول الشاعر:

حَفَّ القَطِيبُ فَرَاخُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا وَأَزْعَجَتْهُمْ نَوَى فِي صَرْفِهَا غَيْرُ
وقيل : حَفُّوا حُفُوفًا : إِذَا قَلُّوا ، وَحَفَّتْ زَحْمَتُهُمْ .

التخفيف اصطلاحاً :

التخفيف مصطلح متداول في الدراسات اللغوية؛ فاستخدم في المستوى النحوي للدلالة على: تسكين الحرف، وعلى ذهاب تشديد الحرف صراحة، كقولهم في المثل: ((وَيْلٌ لِلشَّجِيِّ ، مِنَ الخَلِيِّ)) بإسكان الياء فيهما ؛ وللدلالة على عدم تضعيف الحرف وتشديده ، وللدلالة

^١ سورة البقرة / من آية ١٧٨ .

^٢ البيت يروى للأخطل. يُنظَر: ديوان الأخطل / ٧٣، والأغاني، أبو الفرج، علي بن الحسين الأصفهاني، (٣٥٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٤ ١٩٩٧م / ١٩٥/٦ ، ٢٩٨/٨ ، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥ ، ٦٧/١١ ، والمثل السائر ٢/٢٢٥ ، المعاني الكبير في أبيات المعاني، ابن قتيبة: أبو محمد، عبد الله بن مسلم الدينوري، (٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ط ٤ ١٩٨٨م / ١٢٧، ومعاهد التنصيص / ٩١، ٩٢ ، والجيم / ١١٧، والعباب الزاخر / ٤٠٣، ولسان العرب (خفف) ٩/٧٩، وتهذيب ٧/٨، وغريب الحديث للحري ٢/٨٥٤، والعين (خفف) ٤/١٤٤، ومعجم ما استعجم ١/١٧٠. ونسبه الزبيدي في التاج للأعشى، تاج العروس (خفف) ٢٣/٢٣٦.

^٣ يُنظَر: لسان العرب (خفف) ٩/٧٩ ، وتاج العروس (خفف) ٢٣/٢٣٦ ، و المخصَّص ٣/٣٤٦ .

^٤ المثل من قول أكنم بن صيفي، ويروى: ((ما يلقي الشجى من الخلي))، والأولى أشهر. يُنظَر: الأمثال، لأبي عبيد / ٢٨٠، والفاخر / ٢٤٨، وجمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، دار الفكر، بيروت ط ٤ ١٩٨٨م / ٢٦٧/٢ ، وفصل المقال / ٣٩٥، والوسيط / ١٧٦، ومجمَع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري (٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، (د.ت) ٣/٢٦٠، ٤٣٣، والمستقصى في أمثال العرب، أبو القاسم

على عدم التضعيف والتقليل معاً . واستُخدم في المستوى^٣ الصوتي للدلالة على حالة من حالات الهمز ، المقابل للتحقيق ، يجعلها صوتاً يكون بينها وبين حرف حركتها (التسهيل)، أو (بَيْنَ بَيْنَ

محمود بن عمر الزمخشري، دارالكتب العلمية، بيروت ط ٤ ١٩٨٧ م ٣٣٨/٢، واللسان (خلا، شجا) ٢٣٩/١٤، ٤٢٤.

^١ وجاء عن ابن قتيبة في باب ما جاء خفيفاً والعامّة تشدّد: (وَرَجُلٌ شَجَّ) إِذَا عَصَّ بِلِقْمَةٍ (وَامْرَأَةٌ شَجِيَّةٌ) وَوَيْلٌ لِلشَّجِيِّ مِنَ الحَلِيِّ، الشجى خفيف والحليّ مشدّد. وكذلك أيضاً قال يعقوب: شج مخفف ولا يشدّد. وإيّ لأعجب من إنكار التشديد في هذه اللفظة، لأنّه لا خلاف بين اللغويين في أنّه يقال: شجوت الرجل أشجوه، إذا حزنته، وشجى يشجى شجا، إذا حزن، فإذا قلنا: شج بالتخفيف كان اسم الفاعل من شجي يشجى، فهو شج، كقولك: عمي يعمى عمى، فهو عم، فإذا قلنا: شجى بالتشديد كان اسم المفعول من شجوته أشجوه، فهو مشجو وشجى، كقولك: مقتول وقتيل، ومجروح وجريح: ويل الشجى من الحلي، فإنّه نصب الفؤاد لشجوه مغموم، وقال آخر: ((من لعين بدمعها مولية ولنفس بما عراها شجية))، فقد طابق السماع فيه القياس، كما ترى. وهذا النص بتصريف يسير في الاقتضاب ١٨٥/٢، وبتمامه عن أبي سهل الهروي في شرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي ٢٨١/٥، وحاشيته على شرح بانة سعاد ٥٤٤/١. ويُنظر: أدب الكاتب /٣٧٩، و إصلاح المنطق /٢٤٢، وإعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣ هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت) ط ٤، ١٤١٥ هـ / ٥٣٨، وزهرة التفاسير ٧ / ٣٨٥٢، و ١٠٠٠ سؤال وجواب في القرآن / ١٠٧.

^٢ قال سيبويه : ((اعلم أنّ التضعيف يثقل على ألسنتهم وأن اختلاف الحروف أخفّ عليهم من أن يكون من موضع واحد، ألا ترى أنّهم لم يجيئوا بشيءٍ من الثلاثة على مثال الخمسة نحو ضربٍ، ولم يجيئوا فَعَلَّلٌ ولا فَعَلَّلٌ إلا قليلاً، ولم يبنوهن على فعال كراهية التضعيف؛ وذلك لأنّه يثقل عليهم أن يستعملوا ألسنتهم من موضع واحد ثمّ يعودوا له، فلما صار ذلك تعباً عليهم أن يداركوا في موضع واحد، ولا تكون مهلة كرهوه، وأدغموا لتكون رفعةً واحدة، وكان أخفّ على ألسنتهم ممّا ذكرت لك)) . الكتاب ٤ / ٤١٧ .

^٣ قال سيبويه : ((هذا باب دخول فَعَلَّلْتُ على فَعَلَّلْتُ لا يشركه في ذلك أَفَعَلَّلْتُ) تقول: كَسَرْتُمَا وَقَطَعْتُمَا، فإذا أردت كثرة العمل قلت : كَسَرْتُمُوهُ وَقَطَعْتُمُوهُ وَمَرَّقْتُمُوهُ ... واعلم أنّ التخفيف في هذا جائز كلّهُ عربيّ، إلا أنّ فَعَلَّلْتُ إدخالها ههنا لتبيين الكثير. وقد يدخل في هذا التخفيف)) وعلّق على ذلك السيرافي بقوله : يريد أنّ التخفيف قد يجوز أن يراد به القليل والكثير . فإذا شدّدت دلّلت به على الكثير. الكتاب ٤ / ٦٤ .

(، أو بإبدالها صوتاً من أصوات اللين (ألفاً ، أو واواً ، أو ياءً) ، أو بحذفها مع حركتها ، أو بحذفها بعد نقل حركتها إلى ما قبلها (النقل) .^١

والتخفيف لغة أهل الحجاز وبخاصة مكة والمدينة، قال أبو زيد : أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة وأهل المدينة لا ينبرون، وقف عليها عيسى بن عمر فقال : ما أخذ من قول تميم إلا بالنبر وهم أصحاب النبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا . وذلك أن النطق بالهمزة المسهلة - على اختلاف ألوانه - لا يحتاج إلى كبير عناء، وكذلك فهو يتناسب مع الطبيعة الحضريّة التي تمتاز بالرقّة والسهولة في كل شيء، كما أن البيئة الحضريّة تقرب فيها المسافات فلا حاجة إلى رفع الصوت وإبرازه ، فمال الحضريون إلى التسهيل الذي يتفق مع طبيعتهم. وأمّا قول عيسى بن عمر (وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا) فربّما كان معناه أنهم حين يضطرون إلى التحدث باللغة المشتركة فإنهم يلتزمون سماتها التي منها تحقيق الهمز، أو يكون الاضطراب هنا وقوع الهمزة في أول الكلام، وهي في هذه الحالة لا بدّ من تحقيقها عند جميع العرب ، وأقوى ما اضطر^٤

^١ يُنظر : الكتاب ١٦٣/٢ ، ومعاني القرآن ، للقرّاء ٣٠٠/١ ، والخصائص ٥٧/١ - ٥٨ ، والإيضاح في شرح المفصل ، ابن الحاجب : أبو عمرو ، عثمان بن عمر (٦٤٦هـ) ، تحقيق: موسى بناي العكيلي ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، إحياء التراث الإسلامي ، بغداد، ط١٩٨٢ ، م١ ٣٠٧/٢ ، وشرح الشافية ٧٧/٣ ، وشرح الأشموني ٣٣٧/٣ - ٣٣٨ ، والمصطلح الصوتي عند علماء العربيّة في ضوء علم اللغة المعاصرة ، د. عبدالقادر مرعي خليل ، منشورات جامعة مؤتة ط ١٩٩٣م / ١٨٤ - ١٨٥ ، وظاهرة التخفيف في اللغة العربيّة ١٧/ .

^٢ يُنظر : لسان العرب (المقدمة) ٢٦/١ .

^٣ يُنظر : الظواهر اللغوية في لغة الإمام الشافعي ، د. صلاح عيطة ، ط، مطبعة الرضا، الأولى، ١٠٤١٠هـ - ١٩٨٩م / ٧٦ .

^٤ يُنظر : خصائص لهجتي تميم وقريش ، د. المواقي ٦٢/ ، ودراسات في فقه اللغة د. صبحي الصالح ٧٨/ ، وفصول في فقه العربية د. رمضان عبد التواب ، ط . الخانجي ، الثالثة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م / ٨٤ .

الحجازيين إلى الهمز نزول القرآن الكريم به، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: نزل القرآن بلغة قريش وليسوا بأصحاب نبر ولولا أن جبرائيل عليه السلام نزل بالهمزة على النبي صلى الله عليه وسلم ما همزنا .

والذي يهمنا هنا هو التخفيف الصوتي : فهو عبارة عن تغييرات صوتية تمسُّ بنية الكلمة من غير أن تلحقها ضرراً بدالاتها .

ومن خلال هذا التعريف يمكن أن نقسّم تخفيف الهمزة إلى الحالات الآتية :

(١) التخفيف بجعلها صوتاً يكون بينها وبين حرف حركتها (التسهيل)، أو (بَيْنَ بَيْنٍ)، أو (التليين) .

(٢) التخفيف بإبدالها حرف مدّ أو لين (ألفاً أو واواً أو ياءً) .

(٣) التخفيف بحذفها مع حركتها ، أو حذفها بعد نقل حركتها إلى ما قبلها (النقل) .

تسهيل الهمزة (التخفيف) :

التسهيل : وله عند القراء معنيان : الأوّل : مطلق التغيير في الهمزة ، فيشمل الحذف والإبدال والتسهيل بين بين . وهو مرادف لمعنى التخفيف .

والثاني : معنى خاص ، هو التسهيل بين بين . ويعني حقيقة التسهيل ، وهو : تليين لفظ الهمزة فلا هي محقّقة من مخرجها ولا هي مبدّلة إلى حرف مد ، وإثماً بين بين ، أي : بين مخرجها ومخرج حرف المد المجانس لحركتها ، أو هو : نشوء حرف بين همزة ، وبين حرف المدّ . وعرفه الإمام الشاطبي بقوله :

وَالْإِبْدَالُ مَخْضٌ وَالْمُسَهَّلُ بَيْنٌ مَا هُوَ الْهَمْزُ وَالْحَرْفُ الَّذِي مِنْهُ أَشْكَالٌ

^١ يُنظَر : حياة اللغة العربية حفي بك ناصف /١٣/ ، والعرب والعربية، السيد عبد الرحمن العبدروسي /١٣٥/ ، واللهجات العربية في كتاب المصباح المنير د. فتحي الداوي، ط. التركي، الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م /٤٣/ ، ودراسات في اللهجات العربية والقراءات القرآنية، د. فتحي الداوي، ط. التركي، الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م /١٤٢/ .

^٢ يُنظَر : لهجة تميم وأثرها في العربية الموحّدة /١٤٨/ ، ولهجة قبيلة أسد /٨٢/ ، وظاهرة التخفيف في اللغة العربية /١٨/ .

^٣ يُنظَر : حرز الأمازي /٣٨/ ، وإبراز المعاني من حرز الأمازي (٢١٣) /١/ ٢٠٦ .

قال ابن أبي السدّاد شارحاً قول أبي عمرو في (التيسير) : فإنَّ الحرّمين وأبا عمرو وهشاماً يسهّلون الثانية : ((اعلم أنّ التسهيل يستعمل مطلقاً ومقيّداً ، فإذا أطلق فالمراد به جعل الهمزة بين بين ، أي : بين الهمزة والحرف الذي منه حركتها ، فإن كانت محرّكة بالفتح جعلت بين الهمزة والألف ، ومعناه أن يلفظ بها نوعاً من اللفظ يكون فيها شبه من لفظ الهمزة ولا تكون همزة خالصة ، وشبه من لفظ ألف خالصة .

وكذلك إن كانت محرّكة بالكسر جعلت بين الهمزة والياء على التفسير المتقدّم، وإن كانت مضمومة جعلت بين الهمزة والواو على ما تقدّم .

وهذا كلّه تحكّمه المشافهة ، ويقال في ذلك كلّه تسهيل وتلين، ويقال تسهيل على مذاق الهمزة، ويقال همزة بين بين ، والمراد ما تقدّم .

فإن قيّد التسهيل فالمراد به إذ ذاك المعنى الذي يقتضيه التقييد، فيقال تسهيل بالبدل، وتسهيل بالنقل ، وتسهيل بالحذف)) .

والألقاب التي يترجم بها عن التسهيل بالمعنى المطلق هي أربعة عند ابن أبي السداد، ولكن أبا عمرو قال في الإيضاح في الهمزتين :

والعلماء من القراء والنحويين يترجمون عن همزة بين بين بست تراجم، كلّها تؤدّي عن معنى واحداً، وهي مخفّفة ، ومسهّلة ، وملبّنة ، ومذابة ، ومدعّمة ، ومبدّلة .

ونجد عبارات أبي عمرو عن التسهيل في سائر كتبه التي ينقل عنها المنتوري وابن القاضي في باب الهمزتين، لانتزيد كلّما ذكر التسهيل على ما تقدّم من أنّها مخفّفة، أو مسهّلة بين بين، أو

¹ الدر النثير لابن أبي السداد / ٢٤٣ - ٢٤٤ . يُنظَر : التيسير / ٣١ - ٣٢ ، ٣٤ ، والتعريف في اختلاف الرواة عن نافع ٢١٦ - ٢١٧ ، ٢٣٥ ، وجامع البيان في القراءات السبع، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (٤٤٤هـ)، جامعة الشارقة، الإمارات ط ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م / ١٧٠ ، ١٧٦ ، ١٨٠ .

² نقله المنتوري في شرح الدرر اللوامع في أول باب الهمز ، والتحديد لأبي عمرو الداني (مخطوط) . وساقه علم الدين السخاوي بأكثر ألفاظه في جمال القراء . يُنظَر جمال القراء : ٥٣٣/٢ .

ملئنة، أومذابة ، أومدغمة ، أومبدلة ، ولا تجد من بينها عبارة يمكن حملها ولو بنوع من الاحتمال على ما ذكره أبو وكيل ميمون الفخار من جواز إبدالها هاء.

والمعنى : أنَّ التسهيل يأتي في الهمزات المتحرّكة ، فالهمزة المتحرّكة بالفتح تُسهّل بين الهمزة

والألف ، كتسهيل الهمزة الثانية في نحو : (ءأنذرتهم) من قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٦) ، ومن قوله ﷻ : ﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ

ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(١٠) ، والهمزة المتحرّكة بالضمّ تسهّل بين الهمزة والواو ،

كتسهيل الهمزة الثانية في نحو : (أنزل) من قوله ﷻ : ﴿ أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي

شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾^(٨) ، و (قل أوبئكم بخير) من قوله ﷻ : ﴿ قُلْ

أَوْبئكم بخيرٍ مِّنْ ذَلِكَمٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾^(١٥) :

حيث قرأ الحرمين (نافع وابن كثير) بتحقيق الهمزة الأولى وتلين الثانية، فجعلوها بين الهمزة والواو الساكنة ، فتصير في اللفظ كالواو المضمومة المختلصة الضمة من غير اشباع، وذكر ابن

عاشور في قراءة (أَوْبئكم) قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمر، وأبي جعفر، ورؤيس عن يعقوب :

(أَوْبئكم) بتسهيل الهمزة الثانية واوا، وقراءة ابن عامر، وحمزة، وعاصم ، والكسائي ، وروح عن

يعقوب ، وخلف : بتخفيف الهمزتين . والهمزة المتحرّكة بالكسر تُسهّل بين الهمزة والياء ،

كتسهيل الهمزة الثانية في نحو : (أنكم) من قوله ﷻ : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي

١ سورة البقرة / ٦ .

٢ سورة يس / ١٠ .

٣ سورة ص / ٨ .

٤ سورة آل عمران / ١٥ .

٥ يُنظَر : التحرير والتنوير ٣ / ١٨٤ .

وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْنَكُم لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ، ومن قوله ﷺ : ﴿ أَيْنَكُم لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ، ومن قوله ﷺ : ﴿ أَيْنَكُم لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢١﴾ ، ومن قوله ﷺ : ﴿ قُلْ أَيْنَكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ ، ونلاحظ في الأمثلة الثلاثة: أنَّ الهمزة المسهَّلة بين الهمزة والألف كانت صورتها في الرسم الألف، والمسهَّلة بين الهمزة والواو كانت صورتها في الرسم الواو ، والمسهَّلة بين الهمزة والياء كانت صورتها في الرسم الياء، وهذا في الأغلب الأعم مع وجود بعض الهمزات خرجت عن هذا القياس في عموم القران. ولذلك قالوا : إنَّ سبب زيادة الألف في رسم (لا أذبحنه) من قوله ﷺ : ﴿ لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَأَذِّبَنَّهٗ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَنِ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ، هو الدلالة على تسهيل الهمزة فيها بين الهمزة والألف، في قراءة حمزة . والتسهيل لابدَّ معه من التلقي من أفواه المشايخ المتقنين، وأهم ما ينبغي التنبيه عليه :

١ . الهمزة المسهَّلة همزة محرَّكة تبقى في حيزها ، ولا مدَّ فيها مطلقاً ، ولا يزداد زمن حركتها في حال التسهيل عن حال التحقيق .

١ سورة الأنعام / ١٩ .

٢ سورة النمل / ٥٥ .

٣ سورة العنكبوت / ٢٩ .

٤ سورة فصلت / ٩ .

٥ سورة النمل / ٢١ .

٢. لا تبدل الهمزة المسهّلة هاء ، وهذا من الأخطاء الجليّة التي يقع فيها بعض المبتدئين وفيه تحريف، والفرق بين الإبدال و التسهيل واضح تماماً في السمع والنطق : ففي الإبدال العمل في مخرج الحرف المبدل، أمّا التسهيل فالعمل في مخرجين معا مخرج الهمزة و مخرج حرف المد المجانس لحركتها فلا علاقة بين الهاء و الهمزة المسهّلة .

٣. لا يكون العمل في مخرج الهمزة فقط ، ولذا فهي لا تخرج محقّقة .

وذكر ابن عاشور في هذه القراءات قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم وأبي جعفر (إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ) بهمزة واحدة على الإخبار المستعمل في التوبيخ. وقراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي وأبي بكر عن عاصم ويعقوب وخلف (أَيُّكُمْ) بهمزتين: همزة الاستفهام وهمزة (إِنَّ) ، وقراءة الجميع (أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ) بهمزتين. ونقل عن الكشاف: قول أبي عبيد: وجدت الأوّل ، أي (إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ) في الإمام بحرف واحد بغير ياء، أي بغير الياء التي تكتب الهمزة المكسورة على صورتها ، ورأيت الثاني (أي) (أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ) بحرفي الياء والنون، ويعني الياء بعد همزة الاستفهام والنون نون إنَّ. ولعله يعني بالإمام مصحف البصرة أو الكوفة فتكون قراءة قرّائهما رواية مخالفة لصورة الرسم .^١

والتسهيل هو الأصل في تغيير الهمز ؛ لأنّ فيه بقاء أثر الهمزة ، ويليه الإبدال؛ لأنّه وإن لم يبق للهمزة أثر فقد عوّض عنها حرف آخر ، يليه النقل ؛ لأنّ فيه بقاء حركة الهمزة، ويليه الحذف ، لأنّه إزالة تامّة للهمزة .^٢

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٠ / ٢٤٠ .

^٢ يُنظَر : الإضاءة في بيان أصول القراءة / ٢٤ .

الهمزات المسهّلة في قراءة حفص :

سهّل حفص همزة قطع واحدة وثلاث همزات وصل، أمّا القطع، (وهي موضع خلاف بين القراء) ففي قراءة ((أعجمي)) من قوله ﷺ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجْمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۗ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۗ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقُرْءَانٌ مَّحْجُومٌ ۗ هُوَ عَلِيٍّ هَمزاً عَمًى ۗ أُولَٰئِكَ يَنَادُونَكَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ، وأصلها (أعجمي) بهمزة قطع واحدة دخلت عليها همزة قطع أيضاً فاجتمعت همزتان مفتوحتان فقرأ حفص بتسهيل الهمزة الثانية بين الهمزة و الألف ، فكما سبق و ذكرنا أنّ له فيها الإبدال مع المدّ المشبع للساكنين ، فله وجه آخر وهو تسهيل الهمزة الثانية بين الهمزة والألف، والوجه المقدم هو وجه الإبدال لموافقته للرسم حيث رسمت الهمزة الثانية ألفاً محضة، ويضع علماء الضبط علامة الهمزة المسهّلة فوق ألف ((أعجمي))؛ لأنّ حفصاً ليس له إلاّ وجه واحد فقط: هو التسهيل، وعلامة الضبط الدالّة على تسهيل الهمزة عبارة عن دائرة مصمّنة، أي مسدود الوسط توضع فوق الألف. ويجب الاحتراز عند التسهيل لحفص أو لغيره من القراء من الوقوع في الأخطاء الثلاثة التي ذكرناها آنفاً ، فلا تمطّ حركة الهمزة، ولا تبدّل الهمزة هاء، ولا تحقّق الهمزتان.

وهناك عدد من القراء كانوا يميلون إلى الفرار من الهمز، وهذا أكثر ما يكون واضحاً في اجتماع الهمزتين، سواء أكان ذلك في كلمة أم في كلمتين، فقد رأينا كثيراً من القراء يتخلّصون من إحدى هاتين الهمزتين؛ إمّا بتسهيلها أو بإبدالها أو حذفها. ومن ذلك أنّ العرب ألزمت الثانية البدل في نحو (آدم) و (آخر)، ولما كسروا وحقروا جعلوا هذه المبدّلة بمنزلة ما لا أصل له في الهمز، فقالوا: (أواخر) و (أويخر)، فأبدلوا منها الواو. ومن ذلك أنّنا لم نجد كلمة عينها همزة ولا مها كذلك، كما وجدنا ذلك في سائر أخوات الهمزة من الحروف الحلقية، كقولهم: يدعُّ اليتيم، وألحّ في الطلب، ونحوه. ومنه أنّهم ألزموا باب (رزيئة) و (خطيئة) عمّا يودي إلى اجتماع همزتين فيه، فقالوا خطايا ورزايا. ومنه أنّهم إذا بنوا اسم فاعل من (شاء) و(جاء) قالوا: (شاء) و (جاء)، فرفضوا الجمع بينهما في هذا الطرف كما رفضوه أولاً في آدم

^١ سورة فصلت / ٤٤ .

١ وآخر، إلى غير ذلك ممَّا بيَّنت كراهة العرب اجتماع الهمزتين، وميلهم إلى التخلص منه . كما أنَّ من القراء من أخذ بتسهيل الهمز المفرد في الكلمة الواحدة نحو تسهيل نافع (يؤمنون) وأمثاله، وقراءة أبي السوار الغنوي (هياك نعد وهياك نستعين) بالهاء في موضع الهمزة فيهما، وهي لغة قليلة، وأكثر ما تقع في الشعر . ويمكن أن يعترض على ذلك بأنَّ تارك الهمز في (يؤمنون) يهمز (الكأس) و (الرأس) و (البأس) . ويجيب ابن خالويه عن ذلك بأنَّ هذه أسماء، والاسم خفيف، وتلك أفعال والفعل ثقيل، فهمز لمَّا استخفَّ وحذف لمَّا استثقل .

٣

ومن القراء من يهزم إذا أدرج ولا يهزم إذا وقف ، وي طرح حركة الهمزة على الساكن قبلها أبداً ، فيقرأ إذا وقف (مويلا) و (أصحاب المشئمة) و (منهجٌ جزاً) ؛ لأنَّ هذه الأحرف في السواد كذلك، فأما قوله (هزوا) و (كفوا) فبالواو؛ لأنَّها ثابتة في السواد. ومنهم من ي حذف الهمزات ساكنها أو متحرِّكها وينقل الحركة إلى الساكن قبلها، فيقرأ: (قد أفلح)، (فلن يُقبَل من أحدِهِم) . والحجَّة له في ذلك أنَّ الهمزة المتحرِّكة أثقل من الساكنة، فإذا طرحت الساكنة طلباً للتخفيف ، كانت المتحرِّكة بالطرح أولى .

٤

والقراءة بالتسهيل منتشرة في القراءات واللغة، وهي إمَّا تعكس ظاهرة لهجيَّة واسعة الانتشار في بعض القبائل العربية كقريش وما جاورها، كهذيل وسعد بن بكر وكنانة، فإنَّ هذه القبائل كانت تميل إلى التخفيف. وقد نقل الرضي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قوله: ((نزل القرآن بلسان قريش، وليسوا بأصحاب نبر ، ولولا أنَّ جبرائيل عليه السلام نزل بالهمزة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما همزنا)) .

٥

١ يُنظر : الحجَّة للقراء السبعة ١/٢٧٥-٢٨٤ .

٢ يُنظر : الإبانة عن معاني القراءات، مكِّي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ)، تحقيق د. عبد الفتاح إسماعيل شليبي، دار نخضة مصر للطبع والنشر (د.ت) /١٢٤، ومختصر في شواذ القراءات /١، والمحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات /١ /١١٤ .

٣ يُنظر : الحجَّة في القراءات السبع / ٤١ .

٤ المصدر السابق / ٤١ .

٥ شرح شافية ابن الحاجب ٣/٣٢ .

(١) تخفيف الهمزة بجعلها صوتاً يكون بينها وبين حرف حركتها (التسهيل)

كلُّ همزة متحرّكة وقبلها متحرّك تُقلّب صوتاً يكون بينها وبين حرف حركتها - إلاّ أن تكون مفتوحة وقبلها ضمّة تُقلّب واواً ، وإن كانت مفتوحة وقبلها كسرة تُقلّب ياءً، نقل ابن سيده عن ابن علي أنّ سيويوه يذهب إلى أنّ كلّ همزة متحرّكة إذا كان قبلها فتحةً جاز قلبها ألفاً في الشّعر، وإن لم يكن مسموعاً في الكلام ، وكلّ همزة متحرّكة وقبلها كسرة يجوز قلبها ياءً في الشّعر، وإن لم يكن مسموعاً في الكلام - وحرف حركتها هو الألف إن كانت مفتوحة، والواو إن كانت مضمومة ، والياء إن كانت مكسورة ، وهذا ما يُسمّى بين بيّن المشهور ؛ بحيث تكون بين الهمزة وبين حرف حركتها ، فلا هي همزة خالصة، ولا هي حرف حركتها ، فهي قريبة من الساكن ، وإن كانت متحرّكة في الأصل كما يرى سيويوه والبصريون، وذهب أهل الكوفة إلى أنّها ساكنة ، ومخرجها الموضع الواقع بين الحلق وجوف الفم؛ فلذا أُطلق عليها بين بين ، فهي بين الحروف الحلقية، والحروف الجوفية (الألف والواو والياء)، وصوتها ضعيف جداً ، ويصعب وصفه ، ولذا ظنّ بعض المحدثين أنّها ساقطة أساساً، ولا تُمتُّ إلى الهمزة بصلة ، بل هي صوت لِين قصير يُسمّى عادة حركة الهمزة (من فتحة أو ضمّة أو كسرة) . والحقيقة هي أنّها موجودة ، ولكن لا يظهر سرُّها، ولا ينكشف حالها إلاّ بالمشافهة .

^١ يُنظر : المخصّص ٣ / ٢٩٦ ، والنكت في تفسير كتاب سيويوه، الشنتمري: الأعلم، أبو الحجاج، يوسف بن سليمان بن عيسى (٤٧٦هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، ط ١٩٨٧م ٩٧٣/.

^٢ يُنظر : سرّ صناعة الإعراب ١ / ٥٣ - ٥٤ ، وشرح شافية ابن الحاجب ٣ / ٣٠ - ٣١ ، وشرح مفصل الإعراب ١٠٧/٩ .

^٣ وليس بين بين البعيد ؛ فبين بين البعيد هو أن يكون بينها وبين حرف حركة ما قبلها .

^٤ يُنظر : الكتاب ٣ / ٥٤٩ - ٥٥٠ ، وسرّ صناعة الإعراب ١ / ٥٣ - ٥٤ ، والمقتضب ١ / ١٥٩ - ١٦٠ ، والنكت في تفسير كتاب سيويوه / ٩٧٣ ، وشرح مفصل الإعراب ٩ / ١٦٣ .

^٥ يُنظر : الكتاب ٣/٥٤١-٥٥٦ ، وشرح المفصل ٩ / ١١٢ ، والكشف عن وجوه القراءات ١ / ٧٠ - ١٢١ ، وشرح الهداية ١/٤١-٧٠ ، والموضح في وجوه القراءات وعللها ١ / ١٨٥ - ١٩٢ ، واللهجات العربية في التراث/٣٢٣ ،

وتسهيل الهمزة بين بين هو أن ينطق بالهمزة بينها وبين الحرف المجانس لحركتها، فينطق بالمفتوحة بينها وبين الألف، نحو: (ءَأَنْتُمْ)، وبالمكسورة بينها وبين الياء، نحو: (أَأَيْنُّكُمْ)، وبالمضمومة بينها وبين الواو نحو: (أَبْنَاؤُكُمْ) ، وربما عبّر عنه بعضهم بالتليين، نحو ما نجد عند الأهوازي في وجيزه ، والخوازمي في تخميره^٢، ويرى بعض المعاصرين^٣ أنه ليس من الصواب أن يقال: هذه همزة مسهّلة، أو هذه بين بين، أو هذه همزة مقلوبة، معللاً ذلك بأنه لا وجود للهمزة في هذه الحالات؛ لأنّ وضع الحنجره لدى النطق بهذه الحالات يتغيّر إلى وضع آخر غير وضع الهمزة ، وهذا رأي له، ولكن الناظر في أقوال العلماء القدماء يرى بأنّه لا غضاضة في التسمية، فإنّ وصفهم الهمزة بأنّها مسهّلة مثلاً خروج بها عن الهمزة الأصليّة. ولا خلاف بين القرّاء والنُّحاة القدماء في أنّه ينبغي ألاّ يتعسّف في إخراجها، بل يجب أن تُتخرج بلطافة ورفق. وقد حدّر ابن الجزري من أن ينطق بها القارئ كالمتهوِّع، وبخاصّة إذا وليها مجانس أو مقارب نحو: (أعوذ، أحطت، اهدنا) . ومن هنا فقد نقل بعضهم عن شعبة راوي عاصم قوله: كان إمامنا يهمز (مؤصدة) فأشتهي أن أسدّ أذني إذا سمعته يهمزها ((.

حكم التسهيل في الهمز المزدوج :

والأصوات اللغويّة / ٧٣ ، والقراءات القرآنيّة في ضوء علم اللغة الحديث / ١٠٥، والقراءات القرآنيّة في المعجمات اللغويّة / ٥٦١ - ٥٦٢ .

^١ الوافي في شرح الشاطبية / ٦٠ - ٦١ ، ومقدمات في علم القراءات ، د. محمّد أحمد القضاة ، ود. أحمد خالد شكري، و د. محمد خالد منصور ، دار عمار ، عمان ، ط١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م / ١٣٣ .

^٢ يُنظَر : الوجيز للأهوازي / ١٩ - ٩٣ .

^٣ يُنظَر : شرح المفصل في صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير ٢٦٣/٤ ، وغرائب القرآن / ١ / ٨٧ .

^٤ يُنظَر : أثر القراءات في الأصوات / ١٦٨ .

^٥ يُنظَر : النشر / ١ / ٢١٦ .

^٦ الجامع لأحكام القرآن ٤٨/٢٠ . ويُنظَر : مجلة الجامعة الإسلامية ج ٢ ، ع ٢٣ ، الهمز بين القراء والنُّحاة، لأكرم علي

حمدان.

حكم تسهيل الهمزة ، وهو تغييرها لقصد التخفيف ، وهو النطق بالهمزة الثانية بين الهمزة المتحرّكة بحركتها محقّقة ، وبين حرف العلة الموافق لحركتها ، قال المارغيني: التسهيل بين بين، أي بينها - أي بين الهمزة المحقّقة - وبين الحرف المجانس لحركتها ، فتكون المفتوحة بين الهمزة والألف ، والمضمومة بين الهمزة والواو ، والمكسورة بين الهمزة والياء، وقد اختلف الأئمّة في كيفية تسهيلها ، على أوجه هي :

الوجه الأول : أنّ تسهيلها هو النطق بها .

الوجه الثاني : أنّ حقيقة التسهيل هو النطق بها هاء خالصة ، في المفتوحة فقط، دون المضمومة والمكسورة .

الوجه الثالث : أنّ حقيقة التسهيل هو النطق بها هاء خالصة مطلقاً، أي كيفما كانت حركتها . حكّي هذا القول عن الداني تبعاً لسيبويه ، وقال به آخرون تبعاً للداني، وهو المحكي ممّا جرى عليه العمل بفاس والمغرب .

الوجه الرابع : أنّ حقيقة التسهيل هو النطق بها بين حال تحقيقها، وبين حرف العلة الموافق لحركتها. وهو ما لم يذكر المحقّقون غيره ، كمكّي بن أبي طالب، وابن الجزري، وهو مذهب أبي شامة والأكثرين، وغلّط الأئمّة كالصفاقسي ، والضباع من قال بغيره، ونصّ المارغيني على أنّه المعمول به في بلد احتج القائلون بنطقها (هاء) حال تسهيلها بما يأتي:

كون ذلك جائز لغة ، فقد نصّ عليه الأئمّة كسيبويه ، وابن عصفور، ومكّي بن أبي طالب رحمهم الله جميعاً. وإنّ إمام الصنعة أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني قرأ به، قالوا: وبه قرأ الحافظ الداني تبعاً لسيبويه ، وقال الحافظ : إنّه شيخ هذه الطريقة ، وإمامها المقتدى فيها:
إِذَا قَالَتْ حَذَامٌ فَصَدَّقُوهَا فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامٌ

¹ البيت من بحر الوافر للّجيم بن مصعب. قال أبو عبيد: ومن أمثالهم في التصديق قولهم: (القول ما قالت حذام)، قال وسمعت غير أبي عبيدة يقول وأحسبه ابن الكلبي إنّ هذا المثل للّجيم بن صعب والد حنيفة وعجل-ابني للّجيم- وكانت حذام امرأته، وقال فيها زوجها للّجيم هذا البيت. يُنظر: الأمثال لابن سلام / ٤، وجمهرة الأمثال ١١٦/٢. ومجمّع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ١/١٥٥، ١٨٠، ١٠٦/٢، ١٤٧. والخصائص ٢/١٧٨، والعباب الزاخر، الصاغاني ١/٢٧٨، والمزهر في

وردَّ الجمهور هذا القول ، وأدلتّه من عدة وجوه :

١. أنّه لا يلزم من جواز الشيء في العربيّة جوازه في القراءة ؛ لأنّ القراءة مبناها على التلقّي والسند المتواتر ، أمّا اللغة فتبع .
٢. أنّ أمر الإبدال مقصور على السماع، فما سمع إبداله جاز فيه إبداله، وما لم يسمع إبداله، لا يجوز إبداله، فلا يقاس ما لم يسمع على ما سمع، وفي مسألتنا هذه (وهي مسألة الهمز المزدوج) لم يسمع فيه بذلك، وأمّا استدلالهم بأبي عمرو القائل به، فجوابه من أوجه:
 - أ. أين ذكره الداني ، إذ قد عزوه تعميماً من غير تعيين .
 - ب. ما صفة ذكر الداني له ، هل ذكره من باب الفائدة ، أو استطرادا في البحث، أو عزاه عزوا، أو ذكره مذهبا له حال كونه آخذا به ، مقرّرا له ، إذ لا يسلمّ للدلالة على ما ذكروه إلا الاحتمال الأخير .
 - ج. ثمّ على فرض صحّة هذا الاحتمال، يبقى أمر القراءة مبناه على الرواية والتلقّي والمشافهة، بعد تواتر ذلك، فإذا عدم لم يقبل، ولا يتصور أن يقول به إمام كالداني.

علوم اللغة ٤٠٣/٢، والعين (باب الحاء والذال والميم معهما) ٢٠٤/٣، ولسان العرب (وقش) ٣٠٥/٦، (حذم) ١١٨/١٢، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت (د.ت) ٨٦/١، وتاج العروس (حذم) ٤٥٠/٣١، وتهذيب اللغة (حرت) ٩١/٢، وشرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (٦٥٦هـ)، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ٣٠/٩، والعقد الفريد ، لأبي عمر أحمد بن محمّد بن عبد ربّه بن حبيب بن حدير بن سالم الأندلسي (٣٢٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط ٤ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ٢٨١/١، ٣٩٦، والكامل في اللغة، محمّد بن يزيد المبرّد، أبو العباس (ت ٢٨٥هـ)، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة ط ٢، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ٥٤/٢، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٤ / ١٣١، والجمل في النحو، الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة ط ٤، مؤسّسة الرسالة، بيروت ط ٤، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م ١٧٨/، والمستقصى في أمثال العرب ١/ ٣٤٠، وحياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمّد بن موسى بن عيسى الدميري، دار ومكتبة الهلال، القاهرة ط ٤، ٢٠٠٧ م ١١١/٢، وشرح كتاب الأمثال (فصل المقال في شرح كتاب الأمثال)، أبو عبيد البكري، مؤسّسة الرسالة، بيروت ط ٤ ١٩٨٣ م / ٤١، ٤٢، ٣٨٥، والمحسن والمسائى، إبراهيم البيهقي / ١٩٧/، وروح المعاني ٢ / ٧٢ .

د. أنه قول لم يشتهر ولم يُعرف .

قال الصفاقسي: وبعض القاصرين يجعل التسهيل هاء محضة، وهو لحن لا تحلّ القراءة به. وقال الضباع: ولتحرّز فيه (أي التسهيل) عن قلب الهمزة هاء، فقد غلط قوم فأخرجوه من مخرجه (أي مخرج الهاء)، وعلى القارئ التمكن من نطق الهمزة المسهّلة صحيحة عن طريق التلقّي من أفواه القراء المتقنين، فالحاصل ممّا تقدّم أنّ الوجه الصحيح في التسهيل هو ما عليه أكثر الأئمّة وجمهورهم، وما عليه المحقّقون، وهو الوجه الرابع، والله تعالى أعلم .

٢

قراءات جاءت فيها الهمزة صوتاً يكون بينها وبين حرف حركتها (التسهيل)

ذكر ابن عاشور في تفسيره عدّة قراءات جاءت فيها الهمزة صوتاً يكون بينها وبين حرف حركتها (التسهيل) أو (بين بين) منها :

١. قراءة (أرءيتكم) من قوله ﷻ : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، ومن قوله ﷻ : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ ﴾

^١ يُنظر: التعليقات المليحة والردود الصحيحة على نظم نصره القارئ بالهاء الصريحة، من أبحاث في القراءات ص ١٤١٤هـ ، للسالم محمّد الشنقيطي / ٨٧ - ٨١ ، ومقدّمات في علوم القراءات / ١٣٣ .

^٢ يُنظر: التحبير في المعجم الكبير، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبوسعبد (ت٥٦٢هـ) ، تحقيق: منيرة ناجي سالم، منشورات رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد ط ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م / ٥٥ ، والرعاية / ٥٣ ، وتنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عمّا يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لتلاوة كتاب ربه المبين ، لأبي الحسن علي النوري الصفاقسي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ط ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م / ٢٩ - ٣٠ ، وفتح المعطي وغنية المقرئ في شرح مقدّمة ورش المصري، محمّد بن أحمد المتولّي، تحقيق: زيدان أبو المكارم حسن، مطبعة السعادة، مصر ط ١٣٦٦هـ / ٢٣ - ٢٤ ، والإضاءة في أصول القراءة، الضباع / ٢٥ ، والنجوم الطواع، شرح الدرر اللوامع، للشيخ إبراهيم المارغني التونسي، دار الطباعة الحديثة الدار البيضاء / ٥٣ .

^٣ سورة الأنعام / ٤٠ .

أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعْتَهُ أَوْ جَهْرَةً هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ ، وكذا في (قُلْ أَرَأَيْتُمْ) من قوله ﷺ : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَنَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ لَهُ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ ، حيث ذكر ابن عاشور عدّة قراءات في (أَرَأَيْتَكُمْ) ، منها :

القراءة الأولى : قراءة تحقيق الأولى وتسهيل الثانية بين بين (أَرَأَيْتَكُمْ) بجعل الهمزة الثانية بين الهمزة والألف، ونسبها إلى نافع في رواية عنه، وهي قراءة لقالون وورش وأبي جعفر .
وحمزة إذا وقف وافق نافعاً في تسهيل الهمزة بين بين، وحجّتهم في تليين الهمزة الثانية كراهية اجتماع همزتين في كلمة واحدة، فحَقَّقُوا الثانية بالتليين، وحَقَّقُوا الأولى، لأنّها حرف جاء لمعنى .
القراءة الثانية : قراءة تحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية ألفاً (أَرَأَيْتَكُمْ) بتسهيل الهمزة ألفاً محضة (إبدالها ألفاً) وكذا (أَرَأَيْتُمْ) ، ونسبها إلى نافع في المشهور، وبها قرأ ورش من طريق الأزرق، وبطول مدّها؛ لسكونها وسكون ما بعدها، وحجّته في ذلك أنّه كره أن يجمع بين همزتين، فقد قرأ و ((وَإِذَا رَأَيْتَ)) بالهمزة من قوله ﷺ : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي عَيْنِنَا

^١ سورة الأنعام /٤٧ .

^٢ سورة الأنعام /٤٦، وسورة يونس /٥٠، ٥٩، وسورة هود /٢٨، ٦٣، ٨٨، وسورة القصص /٧١، ٧٢، وسورة فاطر /٤٠، و سورة فصلت /٥٢، وسورة الأحقاف /٤، ١٠، وسورة الملك /٢٨، ٣٠ .

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير /٧ /٢٢٣ ، والكشف عن وجوه القراءات /١ /٤٣١ ، والنشر /١ /٣٩٧ ، والحجّة في القراءات السبع / ١٣٩ ، والتيسير / ١٠٢ ، وشرح الشاطبيّة / ١٩١ ، وغرائب القرآن /٧ /١٠١ ، والسبعة في القراءات / ٢٥٧ ، وإتحاف فضلاء البشر /٢٠٨ ، والكافي في القراءات السبع / ٨٩ ، والمبسوط / ١٩٣ ، والتبصرة في القراءات السبع / ٤٩٣ ، الجامع لأحكام القرآن /٦ /٤٢٣ ، والبحر المحيط /٤ /١٢٩ ، ومفاتيح الغيب /١٢ /٢٢٢ - ٢٢٣ ، والتبيان في تفسير القرآن /٤ /١٣٢ ، ومجمّع البيان /٧ /٥٩ ، والمحرّر الوجيز /٥ /١٩٦ ، وزاد المسير /٣ /٣٧ ، ومعجم القراءات، للخطيب /٢ /٤٢٤ .

^٤ يُنظَر : التيسير / ١٠٢ ، وإتحاف فضلاء البشر / ٢٠٨ ، والكشف عن وجوه القراءات /١ /٤٣١ ، والحجّة في القراءات السبع /١٣٩ ، والتبصرة في القراءات السبع / ٤٩٤ ، ومعجم القراءات ، للخطيب /٢ /٤٢٤ .

فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ^٤ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ^{٦٨} ، ومن قوله ﷺ : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نِعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا^{٢٠} ﴾ ، لأنه لم يتقدّمه همزة الاستفهام فيتزك الثانية. ولكن جعلها بَيْنَ بَيْنٍ أَفَيْسُ فِي الْعَرَبِيَّةِ . وقد ضَعَّفَ أَبُو حَيَّانَ هَذَا الْبَدَلِ ، وَوَصَفَهُ بِالضَّعْفِ عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ ، إِلَّا أَنَّهُ سَمِعَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ ، حَكَاهُ قَطْرِبَ وَغَيْرِهِ .

وجاء عن مكّي، بن أبي طالب: ((وقد زُوي عن ورش إبدالُ الهمزة ألفاً؛ لأنَّ الرواية عنه أنه يَمُدُّ الثانية، والمدُّ لا يتمكَّن إلا مع البدل، وحسَّن جوازُ البدلِ في الهمزة وبعدها ساكنٌ أنَّ الأوَّلَ حرفٌ مَدِّ ولين، فإنَّ هذا الذي يحدث مع السكون يقومُ مقامَ حركةٍ يُتَوَصَّلُ بها إلى النطق بالساكن)).^٥

القراءة الثالثة : قراءة تحقيق الهمزتين (أَرَأَيْتَكُمْ) بتحقيق الهمزة في الحالين، ونسبها إلى بقيَّة القراء، ولم يصرِّح بهم كعادته ، وهم ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، وحجَّتهم في تحقيق الهمزة الثانية أنَّها عين الفعل وهي ثابتة في الفعل (رأيت)، فهم لم يختلفوا فيما كان من غير استفهام، فكذلك إذا دخل حرف الاستفهام فالحرف على أصله، ألا ترى أنَّهم لم يختلفوا في قوله: ((رأيت المنافقين))، من قوله ﷺ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ

^١ سورة الأنعام / ٦٨ .

^٢ سورة الإنسان / ٢٠ .

^٣ يُنظَرُ : النشر / ١ / ٣٩٧ .

^٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير / ٧ / ٢٢٣ ، والنشر / ١ / ٣٩٧ ، وإتحاف فضلاء البشر / ٢٠٨ ، والجامع لأحكام القرآن / ٦ / ٤٢٣ ، والبحر المحيط / ٤ / ١٢٩ ، ومفاتيح الغيب / ١٢ / ٢٢٢ - ٢٢٣ ، والعنوان / ٩٠ ، ومعاني القرآن، للقرآء / ١ / ٣٣٣ ، وحجَّة القراءات / ٢٥٠ ، وإعراب القرآن ، للنحاس / ١ / ٥٤٦ ، وإعراب القراءات السبع وعللها / ١ / ١٥٦ ، والمحرَّر الوجيز / ٥ / ١٩٦ ، وزاد المسير / ٣ / ٣٧ ، والتذكُّرة في القراءات الثمان / ٣٢٣ ، ومعجم القراءات، للخطيب / ٢ / ٤٢٤ .

^٥ يُنظَرُ : الكشف عن وجوه القراءات / ١ / ٤٣١ ، والدُّرُّ المصون / ٤ / ٦١٦ ، واللباب في علوم الكتاب / ٨ / ١٣٤ .

اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ، و((رَأَيْتَ
النَّاسِ)) من قوله ﷺ : ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ ﴿٢﴾ ،
فكذلك هنا .

القراءة الرابعة : قراءة تحقيق الأولى وتخفيف الثانية بحذفها (أُرَيْتُمْ) بإسقاط الهمزة
الثانية التي هي عين الكلمة في كلِّ القرآن، ونسبها إلى الكسائي، وهي لغة، وقرأ بها عيسى بن
عمر، وحسَّن الرازي هذا المذهب. وحجَّته في ترك الهمزة إجماع العرب على ترك الهمزة في
المستقبل في قولهم: (ترى ونرى) فبني الماضي على المستقبل مع زيادة الهمزة في أولها. ولا
تستعمل إلا في الضرورة الشعرية، كقوله:

أُرِي عَيْنِي مَا لَمْ تَرَأِيَاهُ كِلَانًا عَالِمٌ بِالتَّرَهَاتِ
فإذا لم تكن في أولها همزة الاستفهام لم يترك الهمزة، مثل: (رأيت)؛ لأنَّ من شرطه إذا
تقدمها همزة الاستفهام فحينئذ يستثقل الجمع بينهما. وأخرى وهي أنَّها كتبت في المصاحف بغير
ألف .

^١ سورة النساء / ٦١.

^٢ سورة النصر / ٢.

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ٧ / ٢٢٣ ، والكشف عن وجوه القراءات ١ / ٤٣١ ، والنشر ١ / ٣٩٧ ، والحجَّة في القراءات السبع
١٣٩ / ١ ، وحجَّة القراءات / ٢٥٠ ، والتيسير / ١٠٢ ، وشرح الشاطبية / ١٩١ ، وغرائب القرآن ٧ / ١٠١ ، والسبعة
في القراءات / ٢٥٧ ، وإتحاف فضلاء البشر / ٢٠٨ ، والكافي في القراءات السبع / ٨٩ ، والمبسوط / ١٩٣ ، والتبصرة
في القراءات السبع / ٤٩٣ ، الجامع لأحكام القرآن ٦ / ٤٢٣ ، والبحر المحيط ٤ / ١٢٩ ، ومفاتيح الغيب ١٢ / ٢٢٢ -
٢٢٣ ، والتبيان في تفسير القرآن ٤ / ١٣٢ ، ومجمَّع البيان ٧ / ٥٩ ، والمحرَّر الوجيز ٥ / ١٩٦ ، وزاد المسير ٣ / ٣٧ ،
والتذكرة في القراءات الثمان / ٣٢٣ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٢ / ٤٢٤ .

^٤ البيت يُنسب إلى سُراقَة البارقي . يُنظَر : لسان العرب (رأى)، والحجَّة في القراءات السبع / ١٣٩ ، وقوله: ((تَرَأِيَاهُ)) رَدَّهُ إِلَى
أصله، والعرب لم تستعمل (يرى، وترى)، و (نرى، وأرى) إلاَّ بإسقاط الهمزة تخفيفاً، فأتمَّ في الماضي فإنَّها مثبتة، وكان
المازني يقول: الاختيار عندي أن أرويه ((لم تَرِيَاهُ)). يُنظَر : شواهد الشافية / ٣٢٢ ، وشرح عبدالقادر البغدادي،
وإعراب ثلاثين سورة، لابن خالويه / ٧٥ ، والمحتسب ١ / ٦٩ ، وأمالي أبي القاسم الزجاجي / ٥٧ .

وقال أبوحيان : إنَّه جاء كلام العرب على ذلك. وذكر قول الراجز :

أَرَيْتَ مَا جَاءَتْ بِهِ أُمَّلُودَا مُرَجَّلًا وَيَلْبَسُ السُّبُودَا

٢

أَقَائِلِنَّ أَحْضِرُوا الشُّهُودَا

وقال عمرو بن أبي ربيعة:

أَرَيْتَكَ إِذْ هُنَّا عَلَيْكَ أَلَمْ تَخَفْ رَقِيبًا وَحَوْلِي مِنْ عَدُوِّكَ حُضْرُ

وأنشد الكسائي لأبي الأسود:

أَرَيْتَ امْرَأً كُنْتَ لَمْ أَبْلُهُ أَتَانِي فَقَالَ انْخِذْنِي خَلِيلًا

وزعم الفراء أنَّ هذه اللغة لغة أكثر العرب، وذكر الأزهري في تهذيبه أنَّها لغة العرب عامَّة

ما عدا أهل الحجاز. وذهب النحَّاس إلى أنَّ هذا بعيد في العربيَّة، وإتَّما يجوز في الشعر .

وذكر الفراء: أنَّ للعرب في ((رأيت)) لغتين ومعنيين :

^١ يُنظَر : الحجة في القراءات السبع / ١٣٩، وحجة القراءات / ٢٥٠.

^٢ يُنظَر : البيت لرؤبة أو لرجل من هذيل. يُنظَر : ملحقات ديوان رؤبة / ١٧٣، وأشعار الهذليين ٢ / ٦٥١، ومغني اللبيب ٢ / ٣٣٩، والخصائص ١ / ١٣٦، ولسان العرب (رأى)، والعيني ١ / ١١٨، وخزانة الأدب، ولبُّ لُباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ)، تحقيق: محمد نبيل طريقي، وأميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١٩٩٨ م ٥ / ٦، ٤٤٦ / ١١، واللباب في علوم الكتاب ٨ / ١٣٤، والدُّرُّ المصون ٤ / ٦١٦.

^٣ يُنظَر : ديوانه ٩٦، والدُّرُّ المصون ٤ / ٦١٦، واللباب في علوم الكتاب ٨ / ١٣٤.

^٤ يُنظَر : ديوانه ٥٣، والأغاني ١٢ / ٣١٥، وخزانة الأدب ١ / ٢٧٩، ٤٠٤ / ١١، وشرح شافية ابن الحاجب ٣ / ٣٧، وشرح شواهد الشافية / ٣١٤، واللباب في علوم الكتاب ٨ / ١٣٤، والدُّرُّ المصون ٤ / ٦١٧.

^٥ يُنظَر : التحرير والتنوير ٧ / ٢٢٣، والنشر ١ / ٣٩٧، وإتحاف فضلاء البشر ٨ / ٢٠٨، والجامع لأحكام القرآن ٦ / ٤٢٣، والبحر المحيط ٤ / ١٢٩، ومفاتيح الغيب ١٢ / ٢٢٢ - ٢٢٣، والعنوان / ٩٠، ومعاني القرآن، للفراء ١ / ٣٣٣، وإعراب القرآن، للنحَّاس ١ / ٥٤٦، وإعراب القراءات السبع وعللها ١ / ١٥٦، والمحرَّر الوجيز ٥ / ١٩٦، وزاد المسير ٣ / ٣٧، والتذكرة في القراءات الثمان / ٣٢٣، ومعجم القراءات، للخطيب ٢ / ٤٢٤.

أحدهما : رؤية العَيْنِ ، فإذا رأيت هذا عَدَّيتَ الرؤية بالضمير إلى المِخَاطَبِ، تصرَّفَ سائر الأفعال، تقول للرجل: ((أرأيتك على غير هذه الحال))، تريدُ : هل رأيت نفسك، ثم تُنِّي وَجَمَعُ، فنقول : ((أَرَأَيْتُمَا كَمَا ، أَرَأَيْتُمُوكُمْ ، أَرَأَيْتُكُمْ)) .

والمعنى الآخر : أن تقول : ((أرأيتك)) وأنت تريد معنى ((أخبرني)) ، كقولك : أرأيتك إن فعلتُ كذا ماذا تفعلُ، أي : أخبرني، وتترك (التاء) - إذا أردت هذا المعنى - مُوحَّدةً، على كل حالٍ تقول: ((أرأيتكما ، أرأيتكم ، أرأيتكن)) ، وإنما تركتِ العربُ (التاء) واحدةً؛ لأنهم لم يريدوا أن يكون الفعلُ واقعاً من المِخَاطَبِ على نفسه، فاكْتَفَوْا من علامة المِخَاطَبِ بذكره في المكان، وتركوا (التاء) على التذكير والتوحيد إذا لم يكن الفعلُ واقعاً، والرؤية من الأفعال الناقصة التي يُعَدِّيها المِخَاطَبُ إلى نفسه بالمكنى مثل: ظننتني ورأيتني، ولا يقولون ذلك في الأفعالِ التامةِ، لا يقولون خارجاً؟ وذلك أنهم أرادوا الفصلَ بين الفعلِ الذي قد يُلغى، وبين الفعل الذي لا يَجُوزُ إلغَاؤُهُ ، ألا ترى أنك تقول : ((أنا أظنُّ حَارِجٌ)) فتلغي ((أظن))، وقد قال

عَلِيٌّ : ﴿ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْنَى ﴾ ٧ ، ولم يُثَلِّ : رأى نَفْسَهُ ١ .

و قد لخص ابن عادل كيفية حذف همزة (أَرَأَيْتُكُمْ) في ثلاثة أوجه، وهي :

١ . أَنَّهُ اسْتُنْفِلَ الْجَمْعُ بَيْنَ هَمَزَتَيْنِ فِي فِعْلِ اتَّصَلَ بِهِ ضَمِيرٌ، فَحَقَّقَهُ بِإِسْقَاطِ إِحْدَى الْهَمَزَتَيْنِ، وَكَانَتِ الثَّانِيَةُ أُولَى؛ لِأَنَّهَا حَصَلَ بِهَا الثَّقَلُ ؛ وَلِأَنَّ حَذْفَهَا ثَابِتٌ فِي مَضَارِعِ هَذَا الْفِعْلِ، نَحْوُ : أَرَى ، وَيَرَى ، وَنَرَى ، وَتَرَى ، وَلِأَنَّ حَذْفَ الْأُولَى يُخِلُّ بِالتَّفَاهُمِ، إِذْ هِيَ لِلِاسْتِفْهَامِ، وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ الْوَجْهَ الظَّاهِرَ .

٢ . أَنَّهُ أَبْدَلَ الْهَمْزَةَ أَلِفًا، كَمَا فَعَلَ نَافِعٌ فِي رِوَايَةِ وَرْشٍ، فَالْتَقَى سَاكِنَانِ، فَحَذَفَ أَوْلَهُمَا

وَهُوَ الْأَلْفُ .

١ سورة العلق /٧ .

٢ يُنْظَرُ : معاني القرآن، للفرَّاء ١/٣٣٣، والدُّرُّ المصون ٤/٦٢١، واللباب في علوم الكتاب ٨/١٣٨ .

٣. أَنَّهُ أَبْدَلَهَا يَاءً ، ثُمَّ سَكَّنَهَا ، ثُمَّ حَذَفَهَا لِاتِّقَاءِ السَّاكِنِينَ ، وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِي الْبَقَاءِ ،
وَفِيهِ بُعْدٌ ، ثُمَّ قَالَ : ((وَقَرَّبَ ذَلِكَ فِيهَا حَذْفُهَا فِي مُسْتَقْبَلِ هَذَا الْفِعْلِ)) يَعْنِي فِي يَرَى وَبَابِهِ ،
وَرَجَّحَ بَعْضُهُمْ مَذْهَبَ الْكَسَائِي بِأَنَّ الْهَمْزَةَ قَدْ اجْتَرَى عَلَيْهَا بِالْحَذْفِ ، وَمِنْهَا : أَنَّهُ لَا يَدْخُلُهَا
تَعْلِيقٌ ، وَلَا الْغَاءُ ؛ لِأَنَّهَا بِمَعْنَى (أَخْبِرْنِي) لَا يُعَلَّقُ عِنْدَ الْجُمْهُورِ .^٢

وَقَالَ سَيَبَوِيه : ((وَتَقُولُ : أَرَأَيْتَكَ زَيْدًا أَبُو مَنْ هُوَ ؟ وَأَرَأَيْتَكَ عَمْرًا أَعْنَدَكَ هُوَ أَمْ عِنْدَ
فُلَانٍ ؟ لَا يَحْسُنُ فِيهِ إِلَّا النَّصْبُ فِي (زَيْدِ) ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ قُلْتَ : أَرَأَيْتَ أَبُو مَنْ أَنْتَ ؟ أَوْ أَرَأَيْتَ
أَزِيدٌ ثُمَّ أَمْ فُلَانٌ ؟ لَمْ يَحْسُنْ ؛ لِأَنَّ فِيهِ مَعْنَى أَخْبِرْنِي عَنْ زَيْدٍ ، وَهُوَ الْفِعْلُ لَا يَسْتَعْنِي السُّكُوتُ عَلَى
مَفْعُولِهِ الْأَوَّلِ ، فَدَخُولُ هَذَا الْمَعْنَى فِيهِ لَمْ يَجْعَلْهُ بِمَنْزِلَةِ أَخْبِرْنِي فِي الْاسْتِغْنَاءِ ، فَعَلَى هَذَا أُجْرِي^٣
وَصَارَ الْاسْتِفْهَامُ فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي)) . وَقَالَ خَالِفُ سَيَبَوِيه تَحْيِرُهُ مِنَ النَّحْوِيِّينَ ، وَكَثِيرًا مَا
تُعَلَّقُ ((أَرَأَيْتَ)) ، وَفِي الْقُرْآنِ مِنْ ذَلِكَ كَثِيرٌ .

وَمِنْهَا : أَنَّهَا تَلْحَقُهَا (التَّاءُ) فَيُلْتَزَمُ إِفْرَادُهَا وَتَذَكِيرُهَا ، وَيُسْتَعْنَى عَنْ لِحَاقِ عِلْمَةِ الْفُرُوعِ
بِهَا بِلِحَاقِهَا بِالْكَافِ ، بِخِلَافِ الَّتِي لَمْ تُضَمَّنْ مَعْنَى (أَخْبِرْنِي) فَإِنَّهَا تُطَابِقُ فِيهَا ، كَمَا تَقَدَّمَ مَا يُرَادُ
بِهَا .

وَمِنْهَا : أَنَّهُ يَلْحَقُهَا (كَافٌ) هِيَ حَرْفٌ خِطَابٍ تُطَابِقُ مَا يُرَادُ بِهَا مِنْ إِفْرَادٍ وَتَذَكِيرِ
وَصِدْيِهِمَا ، وَهَلْ هَذِهِ (التَّاءُ) فَاعِلٌ ، وَ (الْكَافُ) حَرْفٌ خِطَابٍ تُبَيِّنُ أَحْوَالَ التَّاءِ ، كَمَا تُبَيِّنُهُ
إِذَا كَانَتْ ضَمِيرًا ، أَوْ (التَّاءُ) حَرْفٌ خِطَابٍ ، وَ (الْكَافُ) هِيَ الْفَاعِلُ ، وَاسْتَعِيرَ ضَمِيرُ

^١ يُنْظَرُ : الْإِمْلَاءُ ١/٣٤١ .

^٢ يُنْظَرُ : الْبَابُ فِي عِلْمِ الْكِتَابِ ٨/١٣٥ .

^٣ يَعْنِي دَخُولَ مَعْنَى أَخْبِرْنِي فِي أَرَأَيْتَكَ لَمْ يَمْنَعَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَفْعُولَانِ ، كَمَا كَانَ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ مَعْنَى أَخْبِرْنِي . وَقِيلَ :
أَرَادَ دَخُولَ أَخْبِرْنِي فِي أَرَأَيْتَكَ لَمْ يَجْعَلْهُ مَقْتَصِرًا بِهِ عَلَى مَفْعُولِهِ الْأَوَّلِ كَمَا يَجُوزُ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى النَّونِ وَالْيَاءِ فِي قَوْلِكَ
أَخْبِرْنِي . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : فِي النِّسْخِ غَلْطٌ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ بِمَنْزِلَةِ رَأَيْتَ فِي الْاسْتِغْنَاءِ . يُنْظَرُ : تَعْلِيقُ السِّيْرَانِي عَلَى
الْكِتَابِ ١/٢٤٠ .

^٤ الْكِتَابُ ١/٢٣٩ - ٢٤٠ . يُنْظَرُ : الْبَابُ فِي عِلْمِ الْكِتَابِ ٨/١٣٥ .

النصب في مكان ضمير الرفع، أو (التاء) فاعلٌ أيضاً، و (الكاف) ضمير في موضع المفعول
الأول؟ ثلاثة مذاهب مشهورة ، الأول : قولُ البصريين ، والثاني : قول الفراء ، والثالث : قول
الكسائي .^٢

^١ يُنظر : معاني القرآن، للفراء ١/٣٣٣.

^٢ يُنظر : اللباب في علوم الكتاب ٨ / ١٣٥، والدُّرُّ المصون ٤/٦١٧ - ٦١٨.

(٢) تخفيف الهمزة بإبدالها ألفاً أو واواً أو ياءً (الإبدال)

يكون الإبدال بقلب الهمزة حرف مدٍّ من جنس حركة ما قبلها ، وأصل الإبدال للهمزة الساكنة، فتبدل الساكنة بعد فتح ألفاً ، نحو : (بأسٌ) ، وتبدل الساكنة بعد كسر ياءً، نحو: (بئسَ)، وتبدل الساكنة بعد ضمِّ واواً ، نحو : (مؤمنٌ) ، وتبدل الهمزة المتحرّكة حسب حركة ما قبلها ؛ فتبدل المفتوحة بعد ضمِّ واواً ، نحو : (مؤدّنٌ)، وتبدل المفتوحة بعد كسر ياءً، نحو: (مِنَ السَّمَاءِ آيةٌ) ، وتبدل المفتوحة بعد الفتح ألفاً ، نحو: (مِنسأتهُ) .^١

فإبدال الهمزة أن تجعل مكانها واواً أو ياء أو ألفاً ، وذلك يعتري الهمزة مفردة كانت في الكلمة أو ثانية اثنتين. والمفردة يمكن أن تكون فاء للكلمة أو عيناً أو لاماً، وقد جاء عن السوسي الإبدال في هذه الأحوال جميعاً ، قال الشاطبي :

وَيُبَدَلُ لِلشُّوسِيِّ كُلُّ مُسَكَّنٍ مِّنَ الهمزِ مَدًّا غَيْرَ مَجزُومٍ أَهْمِلًا
وعليه ف (المؤمن) تصبح بالإبدال (المومن) ، و (البأس) تصبح (الباس) ،
و (جئت) تصبح (جيت) ، أمّا الهمزة الواقعة ثانية في نحو : (أنت) فبالإبدال تصبح الهمزة الثانية ألفاً خالصة (أنت) ، وفي نحو : (أولقي) تصبح الهمزة الثانية واواً خالصة (أولقي) ،
وفي نحو (أننا) تصبح الهمزة الثانية ياء خالصة (أينا) .^٢

^١ مُقَدِّمَات فِي عِلْمِ الْقِرَاءَات / ١٣٣ .

^٢ حِرْز الْأَمَانِي / ٤٠ . يُنظَر : إِبْرَازِ الْمَعَانِي مِنْ حِرْزِ الْأَمَانِي / ١ / ٢٠٨ .

^٣ جَاءَ إِبْدَالُ الهمزِ الثَّانِيَةِ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ أَلْفًا خَالِصَةً عَنِ الْأَزْرَقِ ، فَهُوَ يَمْدُهَا مَدًّا مَشْبَعًا لِاتِّقَاءِ السَّاكِنِينَ ، وَهَذَا هُوَ قَوْلُ عَامَةِ الْمَصْرِيِّينَ ، فَتَصْبِحُ : آآنذِرْتَهُمْ . يُنظَرُ : النُّطْقُ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ / ١ / ٢١٢ . وَفِي إِبْدَالِهَا عَلَى هَذَا النَّحْوِ خِلَافٌ تَجِدُهُ مَحْرَرًا عِنْدَ ابْنِ الْجَزْرِيِّ . يُنظَرُ : النُّشْرُ / ١ / ٣٦٥ .

قراءات أُبدلت فيها الهمزة ألفاً أو واواً أو ياءً

ذكر ابن عاشور في تفسيره عدّة قراءات أُبدلت فيها الهمزة ألفاً أو واواً أو ياءً منها:

١. قراءة (مِنْسَاتُهُ) من قوله ﷺ : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا

دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي

الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ، حيث ذكر ابن عاشور قراءة نافع وأبي عمرو (مِنْسَاتُهُ) بألف بعد

السين، حيث أُبدلت الهمزة ألفاً ؛ لأنها مفتوحة وما قبلها مفتوح، وهو إبدال غير قياسي، ولكنه

٢

مسموع .

ويعدّ سيويوه إبدال مثل هذه الهمزة التي تبدل ألفاً إذا كانت مفتوحة وما قبلها مفتوح

إبدالاً ليس مطّرداً، وإنما سُمِعَ عن العرب ؛ حيث نُقِلَ عنه أنّ الهمزة التي يَحَقِّقُ أمثالها أهل

التحقيق من بني تميم وأهل الحجاز، وتجعل في لغة أهل التخفيف بين بين، تبدل مكانها الألف

إذا كان ما قبلها مفتوحاً، والياء إذا كان ما قبلها مكسوراً ، والواو إذا كان ما قبلها مضموماً.

وليس ذا بقياس متلثبٍ ... وإنما يحفظ عن العرب كما يحفظ الشيء الذي تبدل التاء من واوه،

نحو أتلتجت ، فلا يجعل قياساً في كلّ شيءٍ من هذا الباب ، وإنما هي بدل من واو أو لجت .

وذكر إنّ من ذلك (مِنْسَاة) ، فأصلها (مِنْسَاة) ، ثمّ ذكر إنّّه قد يجوز في ذلك البديل حتّى

٤

يكون قياساً متلثباً ، إذا اضطر الشاعر إليه .

١ سورة سبأ / ١٤ .

٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٢ / ١٦٤ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢٠٣/٢ ، ومعاني القرآن، للفرّاء ٣٥٦/٢-٣٥٧ ،

والحجّة في القراءات السبع / ٢٩٣ ، والسبعة / ٥٢٧ ، والنشر ٣٤٩/٢ ، ومشكل إعراب القرآن ٢٠٥/٢ ، والتذكرة في

القراءات الثمان ٥٠٥/٢ .

٣ يُنظَرُ : الكتاب ٣ / ٥٥٣ - ٥٥٤ ، وشرح شافية ابن الحاجب ٣ / ٤٧ ، و ٤ / ٣٣٥ .

٤ يُنظَرُ : الكتاب ٣ / ٥٥٤ .

وذكر ابن عاشور في (مِنْسَأْتُهُ) قراءت أخرى منها :

أ. قراءة ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف وهشام عن ابن عامر (مِنْسَأْتُهُ) بهمزة مفتوحة بعد السين .^١

ب. قراءة ابن ذكوان عن ابن عامر (مِنْسَأْتُهُ) بهمزة ساكنة بعد السين تخفيفاً، وذكر أنه تخفيف نادر .^٢

وعرّف المنسأة بكسر الميم وفتحها وبهمزة بعد السين بالعصا العظيمة ، وقيل: هي كلمة من لغة الحبشة .^٣

٢. من القراءات التي ذكرها ابن عاشور والتي أُبدلت فيها الهمزة ألفاً قراءة ((لَا يَلَيْتُكُمْ))

من قوله ﷺ: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُلْ لَمْ تَوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلَيْتُكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^٤ ، حيث ذكر قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة تخفيف الهمزة ألفاً ((لَا يَلَيْتُكُمْ))، ونسبها إلى الجمهور ، وخرّجها على أنّها من (لاته) مثل: باعه. وعزاها إلى لغة أهل الحجاز وبني أسد .^٥

^١ يُنظر : التحرير والتنوير ٢٢ / ١٦٤ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/٢٠٣ ، ومعاني القرآن، للفرّاء ٢/٣٥٦-٣٥٧ ، والحجّة في القراءات السبع / ٢٩٣ ، والسبعة / ٥٢٧ ، والنشر ٢/٣٤٩ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/٢٠٥ ، والتذكرة في القراءات الثمان ٢/٥٠٥ .

^٢ يُنظر : التحرير والتنوير ٢٢ / ١٦٤ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/٢٠٣ ، ومعاني القرآن، للفرّاء ٢/٣٥٦-٣٥٧ ، والحجّة في القراءات السبع / ٢٩٣ ، والسبعة / ٥٢٧ ، والنشر ٢/٣٤٩ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/٢٠٥ ، والتذكرة في القراءات الثمان ٢/٥٠٥ .


^٣ يُنظر : التحرير والتنوير ٢٢ / ١٦٤ .

^٤ سورة الحجرات / ١٤ .

^٥ يُنظر : التحرير والتنوير ٢٦ / ٢٦٦ ، وجامع البيان ٢٦ / ٩١ ، ومعاني القرآن، للفرّاء ٣/٧٤ ، ومعاني القرآن وإعراجه ٥/٣٩ ، وحجّة القراءات / ٦٧٦ ، والحجّة في القراءات السبع / ٣٣٠ ، وإعراب القرآن، للتّحّاس ٣/٢٠٩ ، والنشر ٢/٣٧٦ ، والتبصرة / ٦٨١-٦٨٢ ، وإرشاد المبتدي / ٥٦٤ ، والمبسوط / ٤١٣ ، والعنوان / ١٧٨ ، وغرائب القرآن ٢٦ / ٥٥٥ ،

القراءة الثانية: قراءة تحقيق الهمزة ((لا يَأَلْتَكُمُ))، ونسبها إلى الدوري عن أبي عمرو وَيَعْفُوبَ، وهي قراءة أيضا للحسن، والأعرج، واليزيدي، وخرَّجها على أنها من (أَلْتَهُ) (أَلْتَا) مِنْ: (أَمْرُهُ) (أَمْرًا)، وعزاها إلى لُغَةِ عَطْفَانَ، وذكر أنها مثل قوله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَابْتَغَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ يَأْتِيَنَّ الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ أَمْرٍ يَمَّا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ (١١) . وهي عند الرَّجَّاجِ لُغَةٌ جَيِّدَةٌ بَلِيغَةٌ، واختارها أبو حاتم. ثم تحدَّث ابن عاشور أنَّ لأبي عمرو فِي تَحْقِيْقِ الْهَمْزَةِ فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ وَتَخْفِيْفِهَا أَلْفًا رِوَايَتَانِ، رواية تحقيق الهمزة ((لا يَأَلْتَكُمُ))، رواها عَنْهُ الدُّورِيُّ، ورواية تخفيف الهمزة ((لا يَأَلْتَكُمُ))، رواها عَنْهُ السُّوسِيُّ .^٤

٣. من القراءات التي أُبدِلت فيها الهمزة ألفاً قراءة (سَأَلَ) من قوله ﷺ: ﴿سَأَلَ﴾

سَأَلِ بَعْدَ إِقْرَافٍ وَقَعِ  ، حيث ذكر ابن عاشور قراءة نافع وابن عامر وأبي جعفر (سَأَلَ)

والتذكير في القراءات الثمان ٥٦٢/٢، والكشف عن وجوه القراءات ٢٤٨/٢، والتيسير ٢٠٢/٢، ومشكل إعراب القرآن، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٤ ١٤٠٥ هـ ٣١٧/٢، والكشاف ١٥٧/٣، والبيان ٣٨٣/٢، والبحر المحيط ١١٧/٨، وزاد المسير ٤٧٧/٧، وروح المعاني ١٩٨/٢٦، ومعجم القراءات، للخطيب ٩٠/٩.

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٦ / ٢٦٦ .

^٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٦ / ٢٦٦، وجامع البيان ٩١/٢٦، ومعاني القرآن، للقرآء ٧٤/٣، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٩/٥، وحرّج القراءات ٦٧٦/، والحرّج في القراءات السبع ٣٣٠/، وإعراب القرآن، للتحّاس ٢٠٩/٣، والنشر ٣٧٦/٢، والتبصرة ٦٨١-٦٨٢، وإرشاد المبتدي ٥٦٤/، والمبسوط ٤١٣/، والعنوان ١٧٨/، وغرائب القرآن ٥٥/٢٦، والتذكير في القراءات الثمان ٥٦٢/٢، والكشف عن وجوه القراءات ٢٤٨/٢، والتيسير ٢٠٢/٢، ومشكل إعراب القرآن ٣١٧/٢، والكشاف ١٥٧/٣، والبيان ٣٨٣/٢، والبحر المحيط ١١٧/٨، وزاد المسير ٤٧٧/٧، وروح المعاني ١٩٨/٢٦، ومعجم القراءات، للخطيب ٩٠/٩.

^٣ سورة الطور / ٢١ .

^٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٦ / ٢٦٦، ومعجم القراءات، للخطيب ٩٠/٩.

^٥ سورة المعارج / ١ .

بتخفيف الهمزة ألفاً . ثمَّ نَقَلَ عن الزمخشري أنَّها لغة قريش، وهو يريد أنَّ قريشاً قد يُخَفِّفون
المهموز في مقام الثقل ، وليس ذلك قياساً في لغتهم بل لغتهم تحقيق الهمز . ثمَّ ذكر أنَّ سيبويه^٢
عدَّ هذا القياس غير مُتَلَبِّبٍ (أي غير مطَّرد مستقيم) وإمَّا يُحْفَظ عن العرب . وجاء عن ابن^٣
الحاجب أنَّه قد تبدل الهمزة المفتوحة ألفاً إذا انفتح ما قبلها، مثل (سَأَلَ) تقول (سَأَلْ)، وواو
ساكنة إذا انضمت وانضم ما قبلها مثل (رُؤُوس) تقول (رُؤُس)، وياء ساكنة إذا انكسرت
وانكسر ما قبلها نحو (المُسْتَهزِئِينَ) تقول (المسْتَهزِئِينَ) ، وذكر عن سيبويه أنَّه قد يجوز في ذا
كلِّه البدل حتى يكون قياساً متلئباً ، إذا اضطرَّ الشاعر، ودلَّ عليه بقول الفرزدق:

راحَتْ بِمِسالمةِ البِغالِ عِشِيَّةٌ فَارْعِي فَزازةٌ لا هَنَّاكَ المِرْتَعِ
يريد (لا هَنَّاكَ) بالهمز فأبدلت ألفاً ، ولو جعلها بين بين لانكسر البيت ، ثمَّ عَقَّب
بقول حسان ابن ثابت رضي الله عنه:

سَأَلْتُ هُذَيْلُ رِسالِ اللهِ فاحشَةً ضَلَّتْ هُذَيْلُ بِمَ سَأَلْتُ وَلَمْ تُصِيبِ

^١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٥٤/٢٩ ، والكشف عن وجوه القراءات ٣٣٤/٣ ، والحجَّة في القراءات السبع ٣٥٢/ ، والسبعة
/٦٥٠ ، والمحتسب ٣٣٠/٢ ، والنشر ٣٩٠/٢ ، ومشكل إعراب القرآن ٤٠٥/٢ ، والتذكرة في القراءات الثمان
/٥٩٧ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٣٨٩/٢ .

^٢ يُنظَرُ : الكشَّاف ٧ / ١٤٠ .

^٣ يُنظَرُ : الكتاب ٣ / ٥٥٤ .

^٤ يُنظَرُ : شرح شافية ابن الحاجب ٣ / ٤٧ .

^٥ قال هذا حين عزل مسلمة بن عبد الملك عن العراق ووليها عمر بن هبيرة الفزاري فهجاهم الفرزدق ودعا لقومه ألاَّ يهنتوا
النعمة بولايته ، وبعده قوله : ولقد علمت إذا فزارة أمرت أن سوف تطمع في الامارة أشجع . وأراد بغال البريد
التي قدمت بمسلمة عند عزله . يُنظَرُ : أحكام القرآن ١١ / ١٦٧ ، وشرح شافية ابن الحاجب ٣ / ٤٧ .

^٦ هذا البيت لحسان بن ثابت ، وقال الفرشبيُّ : وقيل إنه لبعض السَهْمِيِّين ، من بحر البسيط ، من أربعة أبيات بدأها بهذا
البيت وختمها ب :

لَقَدْ أَرادوا خِلالَ الفُحشِ وَبِحُهمُ وَأَنْ يُجِلُّوا حراماً كانَ في الكُتبِ

يُنظَرُ : ديوانه ٤٤٣/ ، والكتاب ١٣٠/٢ ، والمخصَّص ٤ / ٢٠٤ ، والمحتسب ١ / ١٩٠ ، وابن يعيش ٤ / ١٢٢ ، والجامع
لأحكام القرآن ١٨ / ٢٨٠ ، وشواهد الكشَّاف ٤ / ٤٤٥ ، والتحرير والتنوير ٢٩ / ١٥٤ .

يريد (سألوا) رسول الله ﷺ إباحتَ الزنا ، فحَقَّفَ الهمزة المفتوحة المفتوح ما قبلها بإبدالها ألفاً. وجاء بقول القرشي زيد بن عمرو بن نفيل (يذكر زوجته) :^١
 سَأَلَتَنِ الطَّلَاقَ أَنْ رَأَيْتَنِي قَلَّ مَالِي قَدْ جِئْتُمَايَ بِنُكْرٍ
 حيث استشهد بالبیت في قوله (سَأَلَتَنِ) فحَقَّفَ الهمزة المفتوحة المفتوح ما قبلها بإبدالها ألفاً .

ثُمَّ نَقَلَ تعليق سيويه على أَنَّ هؤُلاءِ ليس لغتهم (سَأَلَ) ، ولا (يَسْأَلُ) ، وَأَنَّ (سَأَلَتْ) (تَسْأَلُ) لغة ، وَأَنَّ من أهل الحجاز من أهل التحقيق يَحْقِيقُونَ (نَبِيئاً وَبَرِيئَةً) وذلك قليل رَدِيءٌ ؛ لأنَّ الغالبَ التَّخْفِيفُ ، وَأَنَّ البَدَلَ ها هنا كالبَدَلِ في (مَنَسَاةٌ) وليس بدل التَّخْفِيفِ وإن كان اللفظ واحداً . وجاء عن أبي عبيد : أَنَّ الجَمْهُورَ الأَعْظَمَ من الفُرَّاءِ والعوامِ على إسقاط الهمز من النَّبِيِّ والأنبياء ، وكذلك أَكْثَرُ العرب ، وقال لي أبو عبيدة: العربُ تُبَدِّلُ الهمزَ في ثلاثةِ أحرفٍ : النَّبِيِّ والبريَّةِ والخاويةِ وأصلهنَّ الهمزُ ، قال أبو عبيدة: ومنها حرف رابع: الدُّرِّيَّةُ من ذراً يذراً ، ويدلُّ على أَنَّ الأصلَ الهمزُ قولُ سيويه : إِنْهُمْ كَلَّمَهُمْ يَقُولُ: تَنْبَأُ مَسِيلِمَةَ فِيهِمْزُونَ . قال سيويه : واعلم أَنَّ من العرب من يقول في: (أَوَأَنْتِ أَوَأَنْتِ) يبدل ، ويقول : (أَزْمِي بَاكُ) ، و (أَبُوؤَيْبُ) يريد (أبو أيوب)، و(رَأَيْتِ غُلَامِي بِيكَ)، وقل مثل ذلك في المنفصلة كُلِّهَا إذا كانت الهمزة مفتوحة. وقال: إِنَّمَا أَبَدَلُوا المَفْتُوحَةَ إلى لفظ ما قبلها وأدغموه فيه؛ لِأَنَّهُ أَحَفُّ في اللفظ من المكسور والمضموم، ولا يُبَدِّلُونَ الهمزة المضمومة والمكسورة في مثل ذلك وقد أنشد بعض النحويين:

^١ زيد بن عمرو بن نفيل القرشي العدوي ، أحد الذين برئوا من عبادة الأوثان في الجاهلية وطلبوا دين إبراهيم وتنسكوا.

^٢ هذا البيت من الخفيف ، وجاء قبله : تلك عرساي تنطقان على عمد إلى اليوم قول زور وهتر

^٣ يُنْظَرُ : التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ٣٠ / ٤٨٤ .

^٤ يُنْظَرُ : الكِتَابُ ٣ / ٥٥٣ - ٥٥٤ ، وَالمَخْصُصُ ٤ / ٢٠٥ ، ٥ / ٢٢٦ ، وَتَهْذِيبُ اللُّغَةِ ٥ / ٥٢ ، وَلِسَانُ العَرَبِ (ذرر) ٤ / ٣٠٣ ، وَشرح شافية ابن الحاجب ٤ / ٣٣٥ ، وَالبَابُ فِي عِلْمِ الكِتَابِ ٢ / ١٢٨ ، وَجامع البيان ٢٠ / ٣٧٠ - ٣٧١ ، وَإِبْرَازُ المَعَانِي مِنْ حَزْرِ الأَمَانِي ٢ / ٤٧٧ ، وَمَجَازُ القُرْآنِ ١ / ١٠١ ، وَالعَبَابُ الزَّاحِرُ ١ / ٤٤ ، وَالدُّرُّ المَصُونُ ١ / ١٨١ ، وَالمِزْهَرُ فِي عِلْمِ اللُّغَةِ ٢ / ٢٢٠ .

هَلْ نَتَّ مَحْيِي الرَّبْعِ أَوْنَتٌ سَائِلُهُ

قال : وإن كانت في كلمة واحدة نحو (سَوَاة) ، و (مَوَاة) حذفوا فقالوا: (سَوَاةٌ وَمَوَاةٌ) ، وقالوا في (حَوَابٌ حَوَب) ، فهذا هو القياس . قال : وقد قال بعض هؤلاء: (سَوَاةٌ وَضَوَاةٌ) فجعل الواوات فيها بمنزلة حُرُوفِ المَدِّ وشبَّهه أيضاً بـ (أَوْنَتٌ) وإن حَقَّقْتَ (أَحَلْبِنِي إِبْلَكَ وَأَبُو أُمَّكَ) لم تُثَقِّلْ كراهةً لاجتماع الواوات والياء والكسرات بمعنى أنك تقول: (أَحَلْبِنِي بِلَكَ) بكسر الياء من غير تشديد ، و (أَبُومَمَكٌ) بضمِّ الواو من غير تشديد والذين شدَّدوا (أَوْنَتٌ ، وَأَزْمِي بَاكٌ ، وَأَبُويُوبٌ) لم يشدِّدوا على هذا ؛ لأنَّه يكون مع التشديد كسرةً أو ضمةً فيثقل . قال : ومن قال سَوَاةٌ قال مَسُوَّةٌ وَسِيَّةٌ وإمَّا حُسْنُ ذلك وإن كانت الهمزة مضمومةً ؛ لأنَّها ضُمَّةٌ إعراب غير ثابتة . قال : وهؤلاء يقولون: (أنا ذُونَسِه) يريدون (ذُو أَنْسِه) فألقوا حركة الهمزة على الواو وحذفوها . وقال أيضاً: ولم يجعلوها همزةً تُحذف وهي مَّا يَثْبُتُ ، يقول لم يحذفوها وهي تثبت بَيْنَ بَيْنٍ كما ثبتت بعد الألف ومعناه إمَّا حذفوها في التخفيف بإلقاء الحركة على ما قَبَلَهَا ؛ لأنَّها لا تثبت بَيْنَ بَيْنٍ ولا يجوز أن تقلب واواً فتُدعَم الواو الأولى فيها فيقال فيها: (أنا ذُونَسِه) على قول من قال: (سَوَاةٌ) استئثقالاً للضمة عليها كما لا يجوز (أَبُومَمَكٌ) . قال: وقال بعض هؤلاء يقولون: (يريد أن يَجِيكَ وَيَسُوكَ ، وهو يَجِيكَ وَيَسُوكَ) بحذف الهمزة ، ويُكْرَهُ الضمُّ مع الياء والواو فهؤلاء يقولون في حال الجزم: (لم يَجِ) ويُروى أن بعض العرب قال : (من أراد أن يَأْتِينَا فَلْيَجِ) ، وتقول في (أَسَاتٌ) في حال الجزم (لم تُسِ) يا هذا ، وفي المر سُهْ يا هذا ، وهؤلاء حذفوا الهمزة تخفيفاً على غير النحو الذي ذكرناه في القياس أن تقول إذا حَقَّقْتَ الهمزة (هو يَرْمِي حَوَانَه) يثبت الياء ويكسرها ويطرخ حركة الهمزة عليها على ما ذكرنا في قياس التخفيف ولكنَّه استئثقل كسرة الياء فحذف الهمزة البتَّة ثمَّ حذف الياء لاجتماع الساكنين الياء والخاء .

^١ البيت لابن مقبل ، من بحر الطويل ، وتمام البيت :

هَلْ أَنْتَ مَحْيِي الرَّبْعِ أَمْ أَنْتَ سَائِلُهُ بِحَيْثُ أَحَالَتْ فِي الرِّكَاءِ سَوَائِلُهُ

يُنظر : ديوان ابن مقبل / ١١٧ .

^٢ يُنظر : الكتاب ٣ / ٥٥٣ - ٥٥٤ ، والمخصَّص ٤ / ٢٠٥ ، وشرح شافية ابن الحاجب ٣ / ٤٨ ، ٤ / ٣٣٥ ، والتبيان في

إعراب القرآن ١ / ١٧٠ ، ٢ / ١٢٣٩ ، وأمالِي المرزوقي ١١ / ١ ، والدُّرُّ المصون ١ / ١٨١ .

ثم علق ابن عاشور على كلام سيويه فقال: إنَّه جعل إبدال الهمز ألفاً للضرورة مطّرداً، ولغير الضرورة يُسمع ولا يقاس عليه، فتكون قراءة التخفيف سماعاً. وذكر عن الطيبي عن أبي علي في الحجّة: أنّ من قرأ (سأل) غير مهموز جعل الألف منقلبة عن الواو التي هي عين الكلمة مثل: (قال) و (خاف). وذكر عن أبي عثمان عن أبي زيد أنّه سمع من يقول: هما متساويان. وذكر قول الزمخشري أنّ أهل الحجاز يقولون: سلّت تسأل وهما يتسايلان، أي فهو أجوف يائي مثل هاب يهاب. ووصل بعد هذا إلى أنّ كل هذه تلتقي في أنّ نطق أهل الحجاز (سأل) غير مهموز سماعي، وليس بقياس عندهم، وأنّه: إمّا تخفيف للهمزة على غير قياس مطّرد وهو رأي سيويه، وإمّا لغة لهم في هذا الفعل، وأفعال أخرى إذا جاء هذا الفعل أجوف واوياً كما هو رأي أبي علي، أو أجوف يائياً كما هو رأي الزمخشري .^١

وذكر أيضاً قراءة الجمهور (سأل) بإظهار الهمزة .^٢

٣. ومن القراءات التي أُبدلت فيها الهمزة ياءً قراءة (مُسْتَهْزِئُونَ) من قوله ﷻ :

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ

﴿١٤﴾ ، قرأ بها يزيد بن القعقاع ، وحمزة ، والأخفش حيث قلبت الهمزة ياء مضمومة قلباً صحيحاً ؛ لأنّ ما قبلها مكسور ، على مذهب الأخفش (مُسْتَهْزِئُونَ) ، وجاء عن ابن جنيّ أنّه حمّل الياء الضمّة تذكراً لحال الهمزة المضمومة، وأنّ العرب تعاف ياء مضمومة قبلها كسرة، وأنّ أكثر القراء على ما ذهب إليه سيويه بحيث تكون الهمزة المضمومة على الواو ((مُسْتَهْزِئُونَ)) ،

^١ يُنظَر التحرير والتنوير ٢٩ / ١٥٤ ، الكشّاف ٧ / ١٤٠ .

^٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٩ / ١٥٤ ، والكشف عن وجوه القراءات ٣ / ٣٣٤ ، والحجّة في القراءات السبع ٣٥٢ / ، والسبعة ٦٥٠ / ، والمحتسب ٢ / ٣٣٠ ، والنشر ٢ / ٣٩٠ ، ومشكل إعراب القرآن ٢ / ٤٠٥ ، والتذكرة في القراءات الثمان ٥٩٧ / ٢ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢ / ٣٨٩ .

^٣ سورة البقرة / ١٤ .

^٤ يُنظَر : تهذيب اللُّغة ٦ / ٣٨٦ - ٣٦٩ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١ / ٨٩ ، والمحرّر الوجيز ١ / ٤٤٣ ، وشرح شافية ابن الحاجب ٣ / ٤٦ ، ولسان العرب في (هزأ) ، والقراءات القرآنية ، للخطيب ١ / ٤٨ .

١ وكتبت على الياء لكسر ما قبلها ، وحكى عنه أبو علي أنها تخفف بين بين ، ويقال : (هَزِيءٌ وَاسْتَهَزَأَ) بمعنى فهو كعجب ، ولم يذكر ابن عاشور هذه القراءة كعادته في التعامل مع القراءات الشاذة . ٢

٤ . ومن القراءات التي أُبدلت فيها الهمزة ياءً قراءة (وَالصَّبِيعِينَ) من قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ

٣ صَلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ذكر ابن عاشور في (الصَّابِرِينَ) قراءة نافع وحده (الصَّابِرِينَ) بياء ساكنة بعد الموحدة المكسورة على أنه جمع صَابٍ منقوصاً . وأنها جمع (صاب) مثل (رام) على أنه اسم فاعل من (صبا يصبو) إذا مال قالوا : لأنَّ أهل هذا الدين مالوا عن كل دين إلى دين عبادة النجوم ، ولو قيل لأتَّهم مالوا عن أديان كثيرة إذ اتخذوا منها دينهم .. لكان أحسن . ٤

وقراءة الجمهور (الصَّابِرِينَ) بهمزة بعد الموحدة على صيغة جمع صَابِيءٍ بهمزة في آخره . وذكر أنَّ (الصابئين) جمع صابِيء ، و أنَّ (صابِيء) لعلَّه اسم فاعل صَبَاً مهموزاً أي ظهر وطلع ، يقال صَبَاً النجم أي طلع ، وليس هو من (صَبَاً يصبو) إذا مال ؛ لأنَّ قراءة الهمز تدلُّ على أنَّ ترك تخفيف الهمز في غيرها تخفيف ؛ لأنَّ الأصل توافق القراءات في المعنى ، وزعم بعض علماء الأفرنج أنَّهم سُمُّوا صابئة ؛ لأنَّ دينهم أتى به قوم من سبأ . ٥

وقد ذكر الله ﷻ كلمة (الصابئين) في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع :

١ بين الهمزة والواو .

٢ يُنظَر : معاني القرآن وإعرابه ١/ ٨٩ ، والمحزَّر الوجيز ١/ ٤٤٣ ، والقراءات القرآنية ، للخطيب ١/ ٤٨ .

٣ سورة البقرة / ٦٢ .

٤ يُنظَر التحرير والتنوير ١ / ٥٣٣ .

٥ يُنظَر التحرير والتنوير ١ / ٥٣٣ - ٥٣٤ ، ٦ / ٢٦٧ - ٢٦٨ ، ١٧ / ٢٢٣ - ٢٢٤ .

في قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰعِرِينَ وَالصَّٰبِرِينَ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

﴿ ٦٢ ﴾ ، وفي من قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰبِرِينَ وَالصَّٰعِرِينَ

وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

شَهِيدٌ ﴿ ١٧ ﴾ ، وفي قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰعِرُونَ وَالصَّٰبِرِينَ مَن

ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ ٦١ ﴾ .

٥. ومن القراءات التي أُبدلت فيها الهمزة ياءً قراءة (رءياً) من قوله ﷻ : ﴿ وَكَمْ

أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِءْيَا ﴿ ٧٤ ﴾ ، حيث ذكر ابن عاشور قراءة

قالون عن نافع وابن ذكوان عن ابن عامر (رِئاً) بتشديد الياء بلا همزة ، وذكر لها سببين؛

الأوّل: أنّ الهمزة أُبدلت ياءً وأدغمت في الياء الأخرى ، والثاني : أنّه من (الرِّي) الذي هو

النِّعْمَة والترُّفُّه، من قولهم : رِيَّان من النِّعِيم . وأصله من (الرِّي) ضدَّ العطش؛ لأنَّ الرِّيَّ يستعار

للتنعم كما يستعار التلهّف للتألم .

وهذا الإبدال قياسي لأنَّ الهمزة ساكنة ، فتُبدل بحرف حركة ما قبلها، قال سيبويه: ((إذا

كانت الهمزة ساكنة وقبلها فتحة فأردت أن تُخَفَّفَ أبدلت مكانها ألفاً، وذلك قولك في (رأسٍ،

وبأسٍ ، وقَرَأْتُ) : (رَاسٌ ، وبَاسٌ ، وقَرَأْتُ) .

وإن كان ما قبلها مضموماً فأردت أن تُخَفَّفَ أبدلت مكانها واواً ، وذلك قولك في

(الجؤنة، والبؤس ، والمؤمِنُ) : (الجؤنة ، والبؤس ، والمؤمن) .

١ سورة البقرة / ٦٢ .

٢ سورة الحج / ١٧ .

٣ سورة المائدة / ٦٩ .

٤ سورة مريم / ٧٤ .

٥ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٦ / ١٥٥ .

وإن كان ما قبلها مكسوراً أبدلت مكانها ياءً ، كما أبدلت مكانها واواً إذا كان ما قبلها مضموماً ، وألفاً إذا كان ما قبلها مفتوحاً. وذلك (الذئبُ ، والمئرةُ) : (ذئبٌ ، وميرةٌ) ، فإتما تُبدل مكان كلِّ همزة ساكنة الحرف الذي منه الحركة التي قبلها ؛ لأنه ليس شيء أقرب منه ولا أولى به منها .

وإنما يمنعك أن تجعل هذه السواكن بينَ بَيْنَ أُمَّها حروف مبيّنة ، وقد بلغت غايةً ليس بعدها تضعيف ، ولا يوصل إلى ذلك ولا تُحذف ؛ لأنه لم يجيء أمرٌ تُحذف له السواكنُ ، فالزموه البديل كما ألزموا المفتوح الذي قبله كسرةٌ أو ضمةٌ البديل . وقال الراجز :

عَجِبْتَ مِنْ لَيْلَاكِ وَإِنْتِيَاهِمَا مِنْ حَيْثُ زَارْتَنِي وَمَ أَوْرَاهِمَا
خَفَّفَ : (وَمَ أَوْرَاهِمَا) ، فأبدلوا هذه الحروف التي منها الحركات ؛ لأتتها أخوات ، وهي أمهات البديل والزوائد ، وليس حرف يخلو منها أو من بعضها ، وبعضها حركاتها ، وليس حرف

^١ وذلك قولك في المئرة والذئب : ميرة وذيب .

^٢ التضعيف هنا بمعنى إضعاف الشيء : أي جعله ضعيفاً .

^٣ الانتياب : القصد والإمام ، لم أورأ بها : لم أعلم بها ، وحقيقته لم أشعر بها من ورائي ، وقيل معناها لم أغر ، وأصله لم أورأ ، ثم قلب إلى أورأ ، وأوره بكذا : أغراه به . وفي الرجز التفات من الخطاب إلى الإخبار .
والشاهد فيه : تخفيف الهمزة الساكنة من (أورأ) ، للضرورة والحاجة إلى ردف القافية ، وهو حرف المد الذي قبل الروي .
يُنظر : الكتاب ٥٤٤/٣ ، والمخصص ٢٠١/٤ ، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، (٩١١هـ) ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية ، مصر (د.ت) ٥٢/١ ، ولسان العرب (ورأ) ١٨٩/١ .

^٤ علّق على هذا السيرافي ، فقال : يعني أنهم أبدلوا الهمزة ألفا في حال ، وياء في حال ، وواواً في حال ، وهي الحروف المأخوذة منها الحركات . وليس حرف يخلو منها ، يعني ليست كلمة تخلو من هذه الحروف أو من بعضها . يعني من الحركات المأخوذة منها .

أقربَ إلى الهمزة من الألف ، وهي إحدى الثلاث ، والواو والياء شبيهة بها أيضاً مع شركتهما
أقربَ الحروف منها)) .

٢ ١

وذكر قراءة الجمهور (رثياً) بهمزة بعد الراء ، وبعد الهمزة ياء على وزن فَعْلٍ بمعنى
مفعول كذَبِحَ من الرؤية ، أي أحسن مَرثِيًّا ، أي منظرًا وهيئة .

٣

^١ وقال السيرافي : أنه يعني بذلك أنَّ الألف هي شبيهة بالهمزة ، والواو والياء أيضاً شبيهة بالهمزة ، مع شركة الواو والياء
لأقرب الحروف منها ، أعني من الهمزة ، وهي الألف . وأراد بهذا تقريب أمر هذه الحروف الثلاثة من الهمزة، ليبين
أنَّه سائغ إبدالهنَّ منها .

^٢ الكتاب ٣ / ٥٤٣ - ٥٤٥ .

^٣ التحرير والتنوير ١٦ / ١٥٥ .

(٣) حذف الهمزة مع حركتها (إسقاطها)، أو حذفها بعد نقل حركتها إلى ما قبلها (النقل)

هو أن تسقط الهمزة تماماً من بنية الكلمة ، بحيث لا يبقى لها صورة ولا أثر، فالتخفيف بالحذف من أوغل أنواع التخفيف ، في حين أنّ قلبها ينبئ عن وجودها، وحضورها في الكلمة، أمّا تخفيفها (بين بين) فيحتمل مرتبة وسطية (انتقالية) بين الحذف والقلب، ويكون الحذف في الهمزات المتطرفة لا سيما في الوقف، كحذف الهمزة في نحو: ((جَاءَ)) عند الوقف بقصرها لهشام وحمزة ((جَا))، على وجه أنّ الهمزة أُبْدِلتْ ثمَّ حُذِفَتْ، ويكون بحذف إحدى الهمزتين المتلاصقتين، نحو : ((جَاءَ أَمْرُنَا))، و((هَؤُلَاءِ إِنْ))، و((جَاءَ أَجْلُهُمْ))، فإنَّ أبا عمرو يسقط الأولى منهما: ((جَا أَمْرُنَا))، و((هَؤُلَاءِ إِنْ))، و((جَا أَجْلُهُمْ)) .^١

ويشترط علماؤنا القدماء في تخفيف الهمزة بالحذف، تحريك الهمزة المراد حذفها، وسكون ما قبلها، فإذا لم يتوفر الشرط المذكور فلا تخفيف فيها . ويُشترط في الحرف الذي تنقل إليه حركة الهمزة الآتي :

١ . أن يكون حرفاً ساكناً صحيحاً .

٢ . أن يكون حرف مدّ أو لين ، فتنقل حركة الهمزة إليه ، ولكن بشرط:

- أ. أن يكون ممّا يجوز تحريكه، فالذي لا يقبل الحركة الواو والياء المدّيتان الزائدتان في بنية الكلمة، والأصليتان يقبلانها؛ لأهُمَا يمثّلان فاء الكلمة وعينها ولا مها.
- ب. أن يكون الواو والياء للإلحاق، فهما من بنية الكلمة، فيتقبلان الحركة المنقولة.

^١ يُنظر : الإضاءة في بيان أصول القراءة / ١٣٧ ، ومقدمات في علوم القراءات / ١٣٣ ، وظاهرة التخفيف في اللغة العربيّة

. ٣١/

^٢ يُنظر : شرح الشافية ٥٠/٣ ، وظاهرة التخفيف في اللغة العربيّة / ٣١ .

ت. أن يكون الساكن منفصلاً من الهمزة المراد حذفها، وحالة الساكن لا تختلف عن الحالات السابقة، إلا أنه جاء هنا معنى كأن يكون واواً للجماعة ، أو ياءً للمخاطبة، أو ما جرى مجراها ، كأن يكونا علامةً للإعراب .^١

(أ) حذف الهمزة مع حركتها (إسقاطها)

قراءات ذكرها ابن عاشور في تخفيف الهمزة بحذفها مع حركتها

ذكر ابن عاشور في تخفيف الهمزة بحذفها مع حركتها قراءت، منها :

١. قراءة (أَرَيْتَ) بإسقاط الهمزة التي بعد الراء من قوله ﷺ : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي

يُكَذِّبُ بِالَّذِينَ ﴾ ، قرأ بها الكسائي، في كلِّ فعلٍ من هذا القبيل .^٢

ومنه قراءة الكسائي ((أَرَيْتُمْ)) لـ ((أَرَأَيْتُمْ)) من قوله ﷺ : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ

سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَنَّمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرٌ كَيْفَ نَصَرَفُ الْأَيَاتِ

ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ ، وقراءته (أَرَيْتَ) لـ ((أَرَأَيْتَ)) من قوله ﷺ : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا

إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا

﴿٦٣﴾ ، قرأهن بغير همز، وهو تخفيف سماعي، جاء عن أبي علي: ((وأما قول الكسائي:

(أَرَيْتُمْ) و (أَرَيْتَ)، فإنه حذف الهمزة حذفاً على غير التخفيف؛ ألا ترى أنَّ التخفيف القياسي

^١ يُنظَر : ظاهرة التخفيف في اللغة العربيَّة / ٣١ - ٣٢ .

^٢ سورة الماعون / ١ .

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير / ٣٠ / ٥٦٥ .

^٤ سورة الأنعام / ٤٦ .

^٥ سورة الكهف / ٦٣ .

١ فيها أن تجعل بين بين كما قرأ نافع، وهذا حذف للتخفيف، كما قالوا: ويلمّه ، وكما أنشد أحمد بن يحيى:

إِنْ لَمْ أَقَاتِرْ لِفَالْبَسُوْنِي بُرْقُعًا وَفَتْخَاتٍ فِي الْيَدَيْنِ أَرْبَعًا
وَقَوْلِ أَبِي الْأَسْوَدِ:

يَا بَا الْمَغْرِبِ رَبُّ أَمْرِ مُعْضِلٍ فَرَجَّتْهُ بِالْمَكْرِ مَنِي وَاللَّهْهَا

٤ ولو كان ذلك كله على التخفيف القياسي، لكانت بين بين ولم تحذف .
وقوله تعالى: ((تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ)) ، قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر: (منسأته) بإبدال الهمزة المفتوحة ألفاً. قال المهدوي: ((ومن قرأ بألف ساكنة في موضع الهمزة، فإنه أبدل الهمزة ألفاً على غير قياس، ومثله قول الشاعر:

إِذَا دَبَبْتَ عَلَى الْمِنْسَاءِ مِنْ كَبْرٍ فَقَدْ تَبَاعَدَ عَنْكَ اللَّهُ وَالْعَزَلُ)) .

١ في أصله ثلاثة أقوال: وي لأمه (الكتاب ٥ / ٣)، ويل لأمه (الخصائص ١٥٠ / ٣)، ويل أمه (الإنصاف ١ / ٣٤١). يُنظَرُ : الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات / ١٥٤ .

٢ يُنظَرُ: الحجّة للقراء السبعة ٢١١/٣، ٣٠٧، ٣٤٠/٦، والمحتسب ١٢٠/١، والخصائص ١٥١/٣، والجامع لأحكام القرآن ١٠١/٥، والبحر المحيط ٢٠٦/٣، وشرح الهداية ٦٦/١، ٢٧٧ / ٢، والجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات / ١٥٤ .

٣ يُنظَرُ : ديوان أبي الأسود الدؤلي، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد ط ٤ ١٩٦٤م / ١٣٤، والحجّة للقراء السبعة ٢١١/٣، ٣٠٧، ٣٤٠/٦، وأمالي ابن الشجري ١٦/٢، وورصف المباني / ٤٤٤، والممتع / ٦٢٠، والهداية ٢ / ٢٧٧، والموضح ٣ / ١٣١٣، والدُّرُّ المصون ٤ / ٦١٧، ٦٤/٦، والجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات / ١٥٤ .

٤ الحجّة للقراء السبعة ٣ / ٣٠٦ - ٣٠٧. يُنظَرُ : معاني القرآن، الأخفش ١ / ١٠٧، ٢ / ٥٨٦ .

٥ سورة سبأ / ١٤ .

٦ لا يُعْرَفُ قائله، ويروى: (مِنْ هَرَمٍ) بدلاً من: (مِنْ كَبْرٍ). وشاهده عدم تحقيق الهمزة في (منسأته)، على مذهب أهل الحجاز. يُنظَرُ : جامع البيان ٥١/٢٢، ومجاز القرآن ١٤٥ / ٢، وحجة القراءات / ٥٨٥، والبيان والتبيين، الجاحظ: أبو عثمان، عمرو بن بحر، (٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط ٤ ١٩٧٥م / ٣١٣، والمنصف ٥٩/٢، والمحتسب ١٨٧/٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٧٩/١٤، ومجمّع البيان ٥٩/٧، وشرح الهداية / ٢

وهذا الحذف سماعي؛ لأنَّ (رَأَيْتَ) فعلاً ماضياً، وراؤه مفتوحة وليست ساكنة، ومن حذف الهمزة مع حركتها من (أَرَأَيْتَ) اجتزاءً بجمزة الاستفهام من همزة الوصل .
ويطرَّد الحذف القياسي في ما كان من تركيب (رَأَى) مضارعاً ؛ سواء كان من الرؤية أو من الرأى أو الرُّؤيا ، فتحذف همزته بعد نقل حركتها إلى الرّاء الساكن قبلها، أمّا إذا كان الحرف الذي قبل الهمزة متحرِّكاً ، فلا يصحُّ نقل حركة الهمزة إليه؛ لأنَّ حركته حمته أن يقبل حركة أخرى غيرها . وذكر فيها قراءات أخرى هي :

أ. قراءة نافع (أَرَأَيْتَ) بتسهيل الهمزة التي بعد الراء ألفاً .
ب. وقراءة المصريين عن ورش عن نافع (أَرَأَيْتَ) إبدالها ألفاً، وهكذا في فعل (رَأَى)
كلّما وقع بعد همزة استفهام ، وذلك فرار من تحقيق الهمزتين .
ج. قراءة الجمهور (أَرَأَيْتَ) بتحقيق الهمزتين .

والرؤية بصريّة يتعدّى فعلها إلى مفعول واحد ، فإنَّ المكذِّبين بالدين معروفون، وأعمالهم مشهورة ، فنزلت شهرتهم بذلك منزلة الأمر المبصر المشاهد .^٤

وذكر سيوييه أنّ من العرب من يقول في (أَوَأَنْتَ) (أَوَأَنْتَ) يبدل، ويقول (أَرْمِيَّ بَاكَ) و (أَبُوُّ يُوب) يريد (أبو أيُّوب) ورأيت (عَلَامِيَّ بِيكَ) وكذلك المنفصلة كلّها إذا كانت الهمزة مفتوحة . وعلّل ذلك بإبدال المفتوحة إلى لفظ ما قبلها وأدغموه فيه؛ كونه أخفُّ في اللفظ

٤٧٩، ومفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني / ٣٣٧، ولسان العرب (ن س أ) ١٤ / ١١٨، والبحر المحيط ٢٥٥/٧، والدُّرُّ المصون ٩/١٦٣، واللباب في علوم الكتاب ١٦/٣١، والجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات / ١٥٥.

^١ شرح الهداية ٢ / ٤٧٩. يُنظر: الكتاب ٣ / ٥٥٣ وما بعدها، وحجة القراءات ٥ / ١٠٧ - ١٠٨، ٦ / ١١ - ١٢، ٣٣٩ - ٣٤١؛ والمحتسب ١ / ١٢٠ - ١٢١، ١٩٤، ٢٧٢ - ٢٧٣، ١٤٧ / ٢، ١٧٣، والكشف عن وجوه القراءات ٢ / ٣٣٤، وشرح الهداية ١ / ٤٤ - ٤٥، ٢ / ٢٧٧، ٣٧٩، والموضح في وجوه القراءات وعلله ١ / ٤٦٧، ٢ / ٥٩٣ - ٥٩٤، ١٠٢٣ - ١٠٢٤، ٣ / ١٠٤٦، ١٣١٢ - ١٣١٤، والجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات / ١٥٥.

^٢ يُنظر: الحجّة في القراءات السبع / ٣٧٧ .

^٣ يُنظر: المحتسب ١ / ٧٣، والقراءات القرآنيّة في المعجمات اللغويّة / ٥٦٧ .

^٤ يُنظر: التحرير والتنوير ٣٠ / ٥٦٥ .

من المكسور والمضموم ، ولا يُبدلون الهمزة المضمومة والمكسورة في مثل ذلك وذكر عن بعض النحويين قوله :

هَلْ نَتَّ مُحَيِّي الرَّبِّعِ أَوَّنتَ سَائِلُهُ^١

وذكر قاعدة عامة أنّ كلّ همزة متحرّكة كان قبلها حرف ساكن فأردت أن تحفّف حذفها، وألّقت حركتها على الساكن الذي قبلها . ومثّل ب : مَنْ بُؤَكَ؟، و مَنْ مُكَّ؟ وكم بلُك؟، إذا أردت أن تحفّف الهمزة في الأب والأُمّ والإبل . وكذا في : أَحْمَرُ إذا أردت أن تحفّف ألف الأَحْمَرِ . وكذا في قولك في المرأة : المرّة ، والكمأة : الكمّة . وقد قالوا: الكماة والمرأة ومثله قليل .

وذكر ممّا حذف في التخفيف : أرى وترى ويرى ونرى ، لأنّ ما قبله ساكن، وأنّ العرب اجتمعت على تخفيف كلّ شيء كان في أوله زائدة سوى ألف الوصل من رأيت؛ لكثرة استعمالهم إيّاه، جعلوا الهمزة تعاقب . وذكر عن أبي الخطاب أنّه سمع من العرب الموثقون بهم من يقول : قد أراهم ، يجيء بالفعل من رأيت على الأصل .

وقال إذا أردت أن تحفّف همزة أراوه ، تلقى حركة الهمزة على الساكن، وتلقى ألف الوصل؛ لأنّك استغنيت حين حرّكت الذي بعدها ، لأنّك إنّما ألحقت ألف الوصل للسكون . ويدلّك على ذلك: رذاك، وسل، خفّفوا رأوا وأسأل . وذلك إذا كانت الهمزة المتحرّكة بعد ألف لم تحذف؛ لأنّك لو حذفتها ثم فعلت بالألف ما فعلت بالسواكن التي دُكرت لتحوّلت حرفاً غيرها ، فكرهوا عندئذ أن يبدلوا مكان الألف حرفاً ويغيّروها؛ لأنّه ليس من كلامهم أن يغيّروا السواكن فيبدلوا مكانها إذا كان بعدها همزة فخفّفوا، وأنهم لو فعلوا ذلك لخرج كلام كثير من حدّ كلامهم ؛ لأنّه ليس من كلامهم أن تثبت الياء والواو ثانياً فصاعداً وقبلها فتحة، إلّا أن تكون الياء

^١ البيت لابن مقبل ، من بحر الطويل ، وتمام البيت :

هَلْ أَنْتَ مُحَيِّي الرَّبِّعِ أَمْ أَنْتَ سَائِلُهُ بِحَيْثُ أَحَالَتْ فِي الرِّكَاءِ سَوَائِلُهُ

يُنظَرُ : ديوان ابن مقبل / ١١٧ .

^٢ يُنظَرُ : الكتاب ٣ / ٥٤٥ ، والمخصّص ٣ / ٢٩٦ - ٢٩٧ .

أصلها السكون . وذكر أنّ الألف تحتمل أن يكون الحرف المهموز بعدها بين بين، لأنّها مدَّة ، كما تحتمل أن يكون بعدها ساكن ، ومثّل ب : هباءة: هباءة، وفي مسائل مسایل، وفي جزاء أمّه : جزاء أمّه .^١

٢ . من القراءات التي حُفِّفت فيها الهمزة قراءة (هُزُّوا) من قوله ﷺ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَننَّخِذْنَا هُزُّوا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾^{٦٧} وخرّج ابن عاشور (الهزُّو) بضم الهمزة والزاي وبإسكان الزاي مصدر هزأ به هَزْءًا، وهو هنا مصدر بمعنى المَفْعُولِ كَالصَّيْدِ وَالخَلْقِ .^٣

والهزُّو : اللَّعِبُ وَالسَّخِرِيَّةُ . وقيل : معنى هزئت به : أي استصغرته وأظهرت له غير ما في نفسي . وقال جرير:^٤

إِذَا حَادَّتْهُنَّ هَزْنٌ مِـيِّ وَلَا يَغْشَى رَحْلِي فِي الْمَنَامِ

والفاعل هازئ ، والمفعول مهزوء به .

وعدّ ابن عاشور في قراءة (هُزُّوا) ثلاث قراءات ولم يعلّق عليها :

القراءة الأولى : قراءة الجمهور (هُزُّوا) بضمّتين وهمز بعد الزاي وصلّاً ووقفاً.

القراءة الثانية : قراءة حمزة (هُزُّوا) بإسكان الزاي وبالهمز وصلّاً، ووقف عليه بتخفيف

الهمز واواً، وقد رُسمت في المصحف واواً .

القراءة الثالثة : قراءة حفص (هُزُّوا) بضم الزاي وتخفيف الهمز واواً في الوصل والوقف .

^١ يُنظَر : الكتاب ٣ / ٥٤٥ .

^٢ سورة البقرة / ٦٧ .

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ١ / ٥٤٧ .

^٤ يُنظَر : معاني القرآن وإعرابه ١ / ٩٠ ، وجامع البيان ١ / ٣٣٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١ / ١٤٥ ، والمحكم (هزأ) ٤ / ٢٥٢ .

^٥ ديوانه ١ / ١٩٧ .

^٦ يُنظَر : التحرير والتنوير ١ / ٥٤٧ .

وقال : إنَّ موسى عليه السلام تبرأ وتنزّه عن الهزء لأنّه لا يليق بالعقلاء الأفاضل ، فإنّه أخصُّ من المرح؛ لأنّ في الهزؤ مزحاً مع استخفاف ، واحتقار للمزوح معه على أنّ المرح لا يليق في الجامع العامّة والخطابة، على أنّه لا يليق بمقام الرسول صلى الله عليه وآله ولذا تبرأ منه موسى بأنّه نفى أن يكون من الجاهلين كناية عن نفي المرح بنفي ملزومه، وبالغ في التنزّه بقوله: ((أعوذ بالله)) أي منه؛ لأنّ العياذ بالله أبلغ كلمات النفي ، فإنّ المرء لا يعوذ بالله إلاّ إذا أراد التغلّب على أمر عظيم لا يغلبه إلا الله تعالى . وصيغة ((أن أكون من الجاهلين)) أبلغ في انتفاء الجهالة من أن لو قال : (أعوذ بالله أن أجهل) .

١

١ يُنظَر : التحرير والتنوير ١ / ٥٤٨ .

(ب) حذف الهمزة بعد نقل حركتها إلى ما قبلها (النقل)

هو تحريك الحرف الواقع قبل الهمزة بحركتها ، ثمّ تحذف الهمزة لفظاً ، ونقل حركة الهمزة يكون إلى حرف ساكنٍ صحيحٍ منفصل واقع قبل الهمزة ، نحو : ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا)) ، ((قُلْ أُوحِيَ)) ، ((الْإِيمَانُ)) ، فيحرك الساكن بحركة الهمزة التي تحذف لفظاً .^٢

قراءات ذكرها ابن عاشور في تخفيف الهمزة بحذفها بعد نقل حركتها :

ذكرها ابن عاشور في تخفيف الهمزة بحذفها بعد نقل حركتها قراءات ، منها :

١ . قراءة تخفيف الهمزة (مُسْتَهْزُونَ) بحذف الهمزة ، بعد نقل حركتها إلى الزاي

تخفيفاً ، من قوله ﷺ : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزُونَ ﴾ (١٤) ونسبها ابن عاشور إلى أبي جعفر ، وخرّج هذه القراءة على أنّها لغة فصيحة في المهموز ، وذكر الأزهري ، وابن منظور ، والزبيدي عن الزجاج ضعفها وأنه لا وجه لها إلا شاذاً على قول من أبدل من الهمزة ياءً فقال في استهزأت : استهزيت ، فيجب على استهزيتُ مستهزُونَ . وجاء عن الزجاج : أنّك إذا حَقَّقْتَ الهمزة جعلتها بين الواو والهمزة ، فقلت (مستهزُونَ) . وهو يميل إلى هذا . ويرى إبدال الهمزة ياءً فتقول : (مستهزُونَ) ، فأما تخفيف الهمزة بحذفها بعد نقل حركتها (مستهزُونَ) فيضعفها ، ويقول : إنه لا وجه له إلا شاذاً على لغة

^١ جاز النقل إلى حرف المدّ في مبحث وقف حمزة على الهمز .

^٢ يُنظَر : مقدّمات في علم القراءات / ١٣٤ .

^٣ سورة البقرة / ١٤ .

^٤ يُنظَر التحرير والتنوير ١ / ١٢٧ .

^٥ يُنظَر : تهذيب اللّغة ٦ / ٣٧٠ ، لسان العرب في (هزأ) ، تاج العروس في (هزأ) .

مَنْ أبدل الهمزة ياء فقال في: (استهزأت): (استهزيت). فيجب على لغة (استهزيت) أن يُقال: (مُستَهزِئُون) .^١

وقيل إنَّ الاختيار بعد التَّحقيق تَحْفِيف الهمز بين الواو والهمزة (مُستَهزِئُون) ، ويرى أبو الحسن الأَخفش أن تقلب الهمزة ياء قلباً صحيحاً فيقرأ: (مُستَهزِئُون)؛ لأنَّ ما قبلها مكسور، وهي قراءة يزيد بن القعقاع، وحمزة .^٢

وقرأ أبو جعفر كلَّ همزة مضمومة بعد مكسور وبعدها واو بحذف الهمزة وضمَّ ما قبل الواو مثل (مُستَهزِئُون)، وأمَّا نافع قرأ بحذف الهمزة في ((الصَّابُون)) من قوله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالنَّصْرَىٰ مَنْ أَمَرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^٣ ، وضمَّ ما قبلها لأجل الواو جميع الباب كذلك، نحو: ((الصَّابُون))، و ((مُتَّكُون))، و ((مَالُون))، و ((لِيُؤَاطُوا))، و ((لِيُطْفَأُوا))، و ((مُستَهزِئُون)) ، و ((قُلْ اسْتَهْزِئُوا))، لأنَّه لما أبدل الهمزة ياء استتقل الضمَّة عليها فحذفها، ثمَّ حذف الياء لالتقاء الساكنين، ثمَّ ضمَّ ما قبلها لأجل الواو .^٤

وقراءة (مُستَهزِئُون) بحذف الهمزة بعد نقل حركتها إلى ما قبلها قراءة صحيحة ثابتة، وقد دافع عن هذه القراءة كثير من العلماء منهم بعض شراح قول الشاطبي:
وَمُسْتَهْزِئُونَ الحَذْفُ فِيهِ وَنَحْوُهُ وَضَمُّ وَكَسْرُ قَبْلُ قِيلَ وَأَحْمَلًا

^١ يُنظَر: معاني القرآن وإعرابه ١ / ٩٠ .

^٢ ونقل ابن عطية أنه رأي لسبويه . يُنظَر: المحرَّر الوجيز ١ / ٣١ .

^٣ وقال ابن جني: ((حمل الياء الضمة تذكراً لحال الهمزة المضمومة والعرب تعاف ياء مضمومة قبلها كسرة)) . يُنظَر: تهذيب اللُّغة ٦ / ٣٨٦ - ٣٦٩ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١ / ٨٩ ، والمحرَّر الوجيز ١ / ١٧٦ ، وشرح شافية ابن الحاجب ٣ / ٤٦ ، ولسان العرب في (هزأ) ، والقراءات القرآنية ، للخطيب ١ / ٤٨ .

^٤ سورة المائدة / ٦٩ .

^٥ يُنظَر: إتحاف فضلاء البشر / ٧٨ .

^٦ حرز الأمانى / ٤٢ ، وإبراز المعاني من حرز الأمانى / ١ / ٢٤٦ .

حيث قال: إنَّ هذا بيان لبعض الكلمات المهموزة التي ليس لهمزتها صورة في خط المصحف، فيوقف عليها بحذف الهمزة، على المذهب الذي يتبع في الوقف على الهمز رسم المصحف، فهذا من ما صادق قوله (والحذف رسمه) ، يعني: أن لفظ (مستهزؤون الحذف) في همزة ثابت عن حمزة، وكذا مثله من كلِّ همزة مضمومة ليس لها صورة في خط المصحف قبلها كسرة وبعدها واو ساكنة ممدودة نحو: ((فَمَالُونَ))، ((مُتَكُونُونَ))، ((الْحَاطُونَ))، ((لِيُؤَاطُوا))، ((أَنْبُؤُونَ))، و((يَسْتَنْبُؤُونَ))، ((لِيُطْفِئُوا))، وقوله: (وضم) معطوف على (الحذف) يعني: وضم في الحرف الذي قبل الهمز؛ لأنَّ هذا الحرف بعد الحذف صار قبل واو ساكنة مدِّيَّة، والواو الساكنة المدِّيَّة لا يناسبها إلَّا ضم ما قبلها، فلذلك ضمَّ هذا الحرف بعد حذف الهمزة ليناسب ما بعده من الواو الساكنة الممدودة نحو: قاضون، الداعون وهكذا. وقوله (وكسر قبل قيل) يعني: أنَّه قيل بكسر هذا الحرف، أي بإبقائه على الكسر بعد حذف الهمزة. وقد حكم الناظم على هذا القول بالسقوط فقال: (وأخملا)، وهنا حصل خلاف بين الشراح؛ فأغلب الشراح جعل الإخمال للرأيين، وعدَّ الألف للتثنية، وقليلٌ منهم جعل الألف للإطلاق، والضمير في (أخملا) يعود على هذا الوجه، والإخمال على الرأي الأوَّل، وهو بقاء كسر الزاي بعد الحذف وليست الألف للتثنية؛ وهذا الذي أميل إليه؛ لأنَّ الخامل: الساقط الذي لا قيمة له، إذ الوجه الأوَّل صحيح سائغ ولغة ثابتة صحيحة.

وقرأ نافع مثله في و((الصَّابُؤُونَ))، فالناظم لم يحكم بالإخمال إلَّا على هذا الوجه الذي هو كسر الزاي بعد الحذف؛ لأنَّه مخالف للغة ويتعدَّر النطق به، ولو أراد الناظم الحكم بالإخمال على الوجهين معاً لقال: قيلا وأخملا، ولا يحتل وزن البيت، فلمَّا عدل عنه إلى (قيل) دلَّ على أنَّه لم يرد إلَّا هذا الوجه وهو إبقاء كسر، وأيًّا أراد الناظم، فالذي أميل إليه صحَّة الوجه الأوَّل، وهو ضمُّ الحرف الذي قبل الهمز؛ لأنَّ هذا الحرف بعد الحذف صار قبل واو ساكنة مدِّيَّة، والواو الساكنة المدِّيَّة لا يناسبها إلَّا ضمَّ ما قبلها، فقالوا: ((مُسْتَهْزُونَ)) من قوله ﷺ: ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾

¹ من قول الشاطبي/٢٤٥. ففي الياء يلي والواو والحذف رسمه والأخفش بعد الكسر والضمَّ أبدلاً. حرز الأمامي /٤٢.

الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ، و
 ((فَمَا لُونُ)) من قوله ﷺ : ﴿فَأَيُّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا فَمَا لُونُ مِنْهَا الْبُطُونُ ﴿٦٦﴾﴾ ، و ((مُتَكِبُونَ)) من
 قوله ﷺ : ﴿هُم وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكَبِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ ، و ((الْخَاطِئُونَ)) من قوله
 ﷺ : ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾﴾ ، و ((لِيُؤَاطُوا)) من قوله ﷺ : ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي
 الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُكْرِمُونَهُ عَامًا لِيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
 فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ
 ﴿٣٧﴾﴾ ، و ((أَنْبِيؤُنِي)) من قوله ﷺ : ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ
 فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ ، و ((يَسْتَنْبِئُونَكَ)) من قوله ﷺ :
 ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ
 ﴿١٤﴾﴾ ، و ((لِيُطْفِئُوا)) من قوله ﷺ : ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ
 الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾ .

٩ ٨

وقد حُرِّجَ ضُمُّ الحرف الذي قبل الواو (الزاي) في ((مُسْتَهْزِءُونَ))، وما شاكلها، على أنه
 بنى الكلمة على فعلها، حيث قال الفرّاء من العرب من يبدل الهمز يعني في الفعل، فيقول:

١ سورة البقرة / ١٤ .

٢ سورة الصافات / ٦٦، وسورة الواقعة / ٥٣ .

٣ سورة يس / ٥٦ .

٤ سورة الحاقة / ٣٧ .

٥ سورة التوبة / ٣٧ .

٦ سورة البقرة / ٣١ .

٧ سورة البقرة / ١٤ .

٨ سورة الصف / ٨ .

٩ يُنْظَرُ : إبراز المعاني من حرز الأمانى / ١٧٦، والوافي في شرح الشاطبية / ١٢١ .

(استهزيت) مثل استقضيت، فمن وقف على (مستهزون) ، فعلى ذلك مثل: (مستقضون)، وقال ابن مهران: حُكي عن الكسائي أنه قال: من وقف بغير همز قال (مستهزون)، فرغ الزاي، ومثله: (مُتَكُون)، و(لِيُطْفُوا) وأشبه ذلك، قال: وقال الزجاج أمّا، (مستهزون)، فعلى لغة من يبدل من الهمز ياء في الأصل فيقول في (استهزئ) (استهزيت)، فيجب على (استهزيت) (يستهزون). وقد قرئ: ((لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطُونَ))، بضم الطاء وترك الهمز، رويت عن نافع، كما قرأ ((وَالصَّابُونَ)).

٢. من القراءات التي ذكرها ابن عاشور في تخفيف الهمزة بحذفها بعد نقل حركتها قراءة (

سَل) من قوله ﷺ: ﴿سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيْنَهُ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ

مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ فقد ذكر قراءة الجمهور (سَل)، وخرَّجها على أن (سَل) أمر من (سَأَلَ) المهموز (يَسْأَلُ) أصله (اسْأَلَ)، فحذفت الهمزة التي هي عين الفعل؛ لكثرة الدور في الكلام تخفيفاً بعد نقل حركتها إلى الساكن قبلها إلحاقاً لها بنقل حركة حرف العلة لشبه الهمزة بحرف العلة، وحذفت همزة الوصل لما تحرك أول المضارع، وقال قطرب: (سَأَلَ، يَسْأَلُ)، مثل: (زَارَ الأسدَ يَزَارُ). ووزنه بعد الحذف: (فَل) بحذف العين، وإن كان المأخوذ مختلفاً. وروى عباس عن أبي عمرو: (اسْأَلَ) على الأصل من غير نُقْلٍ. وقرأ قوم: (اسَل) بالنقل وهمزة الوصل، كأنهم لم يَعْتَدُوا بالحركة المنقولة، كقولهم: (الْحَمْرُ) بالهمز.

وفرق أبو عمرو في قراءة ((سَل)) بين الاتصال بواو وفاء وبين الاستئناف، فقرأ المستأنفة (غير المتصلة بالواو أو الفاء) بغير همز؛ لأنَّ التخفيف في الاستئناف وصلة إلى إسقاط الهمزة المبتدأة وهي مستقلة، وليس كذلك في الاتصال، فقرأ: ((سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ)) من قوله ﷺ: ﴿

^١ يُنظَرُ : إبراز المعاني من حرز الأماني / ١٧٦.

^٢ سورة البقرة / ٢١١ .

^٣ يُنظَرُ: التحرير والتنوير ٢ / ٢٨٨، والدُّرُّ المصون ٢ / ٣٦٦، المحرَّرُ الوجيز ١ / ٢٨٤، والبحر المحيط ٢ / ١٣٥، واللُّباب في علوم الكتاب ٣ / ٤٨٨.

سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
 الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ ، بغير همزة، وقرأ المتصلة بواو أو فاء بالهمزة، مثل: ((وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ)) من قوله
 ﷻ : ﴿ وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ ﴿٨٢﴾ ،
 و((إِلَيْكَ فَسَأَلِ الَّذِينَ يَفْرَهُونَ الْكِتَابَ)) من قوله ﷻ : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا
 إِلَيْكَ فَسَأَلِ الَّذِينَ يَفْرَهُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ
 مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ ﴿٩٤﴾ ، و ((وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ)) من قوله ﷻ : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا
 فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا
 أَكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ ﴿٣٢﴾ . وقرأ
 الكسائي الكَلَّ بغير همزٍ اتباعاً للمصحف؛ لأنَّ الألف ساقطةٌ فيها أجمع. و أعرب الجمهور ((
 بني)) مفعولاً أوَّل .

وقيل: إنَّ (سَلَّ) أمر من (سَأَلَ) الذي جعلت همزته ألفاً مثل الأمر من حَافٍ يَحَافُ
 حَافٍ، والعرب يكثرون من هذا التخفيف في (سَأَلَ) ماضياً وأمرأً ؛ إلا أنَّ الأمر إذا وقع بعد
 الواو والفاء تركوا هذا التخفيف غالباً .

٣. ومن القراءات التي ذكرها ابن عاشور في تخفيف الهمزة بحذفها بعد نقل حركتها قراءة
 (وَاسْأَلُوا) من قوله ﷻ : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ
 نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ

١ سورة البقرة / ٢١١ .

٢ سورة يوسف / ٨٢ .

٣ سورة يونس / ٩٤ .

٤ سورة النساء / ٣٢ .

٥ يُنظَر: اللُّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ ٣/٤٨٨، ومفاتيح الغيب ٦/٣٦٥ - ٣٦٦ .

٦ يُنظَرُ التحرير والتنوير ٢ / ٢٨٨ .

كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ قرأ بها ابن كثير، والكسائي بفتح السين وحذف الهمزة بعد نقل حركتها إلى السين الساكن قبلها تخفيفاً؛ لكثرة استعماله، وتصرفه في الكلام، وثقل الهمزة. فإن لم تتقدمه واو ولا فاء فكل القراء يقرؤون بتخفيف الهمزة على النقل نحو: ((سَلَّ بَيْتَ إِسْرَائِيلَ)) ، وإن كان لغائب فالكل على الهمز نحو: ((وَلَيْسَ أَلَوْ مَا أَنْفَقُوا)) من قوله ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنَّ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهِنَّ حُلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَايْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْئَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ أَلَوْ مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يُحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ . ووهم ابن عطية فنقل اتفاق القراء على الهمز في نحو: ((وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ)) . ويعدُّ تخفيفُ الهمز لغة أهل الحجاز، ويحتمل أن يكون ذلك من لغة مَنْ يقول: ((سال يسال)) بألفٍ محضة، وهذا إنما يتأتى في ((سل))، و((فسل))، وأما ((وسلوا)) فلا يتأتى فيه ذلك؛ لأنه كان ينبغي أن يُقال: ((سالوا، كخافوا))، وقد يقال: إنه التزم الحذف لكثرة الدُّور .

وقراءة الجمهور : (وَاسْأَلُوا) بإثبات الهمزة بعد السين الساكنة وهي عين الفعل، من السؤال الموجه نحو المخاطب إذا تقدمه واو أو فاء نحو: ((فَاسْأَلِ الَّذِينَ)) ، و((وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ)) .

٢١

^١ سورة النساء / ٣٢ .

^٢ يُنظَرُ : السبعة في القراءات / ١٣٢، والكشف عن وجوه القراءات / ١ / ٣٨٧ .

^٣ سورة البقرة / من آية ٢١١ .

^٤ سورة الممتحنة / ١٠ .

^٥ سورة الممتحنة / ١٠ .

^٦ يُنظَرُ : التحرير والتنوير / ٥ / ٣٢، والدُّرُّ المصون / ٣ / ٦٦٦، والسبعة في القراءات / ١٣٢، والكشف عن وجوه القراءات / ١ / ٣٨٧ .

^٧ سورة يونس / ٩٤ .

٤ . ومن القراءات التي ذكرها ابن عاشور في تخفيف الهمزة بحذفها بعد نقل حركتها قراءة ((مِنْ أَجْلِ)) من قوله ﷺ : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ^٤ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لُمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ، فقد ذكر فيها ثلاث قراءات:

القراءة الأولى: قراءة تحقيق الهمزة (مِنْ أَجْلِ) بإسكان نون (مِنْ) وإظهار همزة (أجل)، ونسبها إلى الجمهور .
٤

القراءة الثانية: قراءة تخفيف الهمزة بحذفها (مِنْ جَلِ) ، وخرَّجها على حذف همزة أجل بعد نقل حركتها (الفتحة) إلى النون الساكن قبلها، على طريقة ورش في أمثالها، ونسبها إلى ورش عن نافع .
٥

القراءة الثالثة: تخفيف الهمزة بحذفها بعد نقل حركتها (مِنْ جَلِ) وخرَّجها على كسر الهمزة ثم نقل حركتها (الكسرة) إلى الحرف الساكن قبلها (نون مِنْ) بعد حذفها تخفيفاً، فصارت

^١ سورة النساء / ٣٢ .

^٢ يُنظَر: التحرير والتنوير ٥ / ٣٢ ، والدُّرُّ المصون ٣ / ٦٦٦ .

^٣ سورة المائدة / ٣٢ .

^٤ يُنظَر: التحرير والتنوير ٦ / ١٧٦ ، ومعاني القرآن، للأخفش ١ / ٢٥٧ ، والتبيان ٣ / ٥٠١ ، والحجّة في القراءات السبع ١٣٠ / ، والمبسوط ١٨٥ / ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١ / ١٤٥ ، والكشّاف ١ / ٤٥٧ ، وإتحاف فضلاء البشر ٥٩ / ، ٢٠٠ ، والنشر ١ / ٤٠٨ ، والبحر المحيط ٣ / ٤٦٨ ، وغرائب القرآن ٦ / ٧٩ ، وحاشية الجمل ١ / ٤٨٥ ، ومفاتيح الغيب ١١ / ٢١١ ، ومختصر ابن خالويه ٣٢ / ، والدُّرُّ المصون ٤ / ٢٤٨ .

^٥ يُنظَر: التحرير والتنوير ٦ / ١٧٦ ، ومعاني القرآن، للأخفش ١ / ٢٥٧ ، والتبيان ٣ / ٥٠١ ، والحجّة في القراءات السبع ١٣٠ / ، والمبسوط ١٨٥ / ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١ / ١٤٥ ، والكشّاف ١ / ٤٥٧ ، وإتحاف فضلاء البشر ٥٩ / ، ٢٠٠ ، والنشر ١ / ٤٠٨ ، والبحر المحيط ٣ / ٤٦٨ ، وغرائب القرآن ٦ / ٧٩ ، وحاشية الجمل ١ / ٤٨٥ ، ومفاتيح الغيب ١١ / ٢١١ ، ومختصر ابن خالويه ٣٢ / ، والدُّرُّ المصون ٤ / ٢٤٨ .

غير منطوق بها، ونسبها إلى أبي جعفر، وقرأ بها ابن القعقاع، والحسن، وهذا على لغة من كسر همزة (أجل) ثم خففها بالحذف بعد نقل حركتها إلى الساكن قبلها .^٢

٥. ومن القراءات التي ذكرها ابن عاشور في تخفيف الهمزة بحذفها بعد نقل حركتها قراءة

ورث عن نافع وأبي عمرو (عَاد لُوَى) ، من قوله ﷺ : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴾^٣ ، بحذف همزة (الأُولَى) بعد نقل حركتها إلى اللام المعرّفة ، وإدغام نون التنوين من (عاداً) في لَام (لُوَى) .

وذكر قراءة قالون عن نافع بإسكان همزة (الأُولَى) بعد نقل حركتها إلى اللام المعرّفة (عاد لُوَى) على لغة من يبدل الواو الناشئة عن إشباع الضمة همزاً، كقراءة (سُوْقِهِ) من قوله ﷺ : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرَ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾^٤ ، وذكر أنها لغة ضعيفة، وذكر قول جرير:

أَحَبُّ الْمُؤَقِدِينَ إِلَيَّ مُؤَسَى وَجَعَدَةٌ إِذْ أَضَاءَهُمَا الْوُفُودُ

^١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٦ / ١٧٦ ، ومعاني القرآن ، للأخفش ١ / ٢٥٧ ، والحجّة في القراءات السبع / ١٣٠ ، والمبسوط ١٨٥ / ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١ / ١٤٥ ، والكشاف ١ / ٤٥٧ ، وإتحاف فضلاء البشر / ٢٠٠ ، والنشر ٢ / ٢٥٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٦ / ١٤٦ ، ومجمّع البيان ٦ / ٧٩ ، والبحر المحيط ٣ / ٤٦٨ ، وإعراب القرآن ، للنحاس ١ / ٢٦٦ ، وغرائب القرآن ٦ / ٧٩ ، وحاشية الجمل ١ / ٤٨٥ ، ومفاتيح الغيب ١١ / ٢١١ ، ومختصر ابن خالويه ٣٢ / ، والدُّرُّ المصون ٤ / ٢٤٨ .

^٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٦ / ١٧٦ ، وإعراب القرآن ، للنحاس ١ / ٢٦٦ .

^٣ سورة النجم / ٥٠ .

^٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٧ / ١٥٣ .

^٥ سورة الفتح / ٢٩ .

^٦ سبق تخريجه .

بقراءة الشطر الأول (أَحَبُّ الْمُؤَقِدِينَ إِلَيَّ مُوسَى) ، وقال إنَّ هذه القراءة تُنسب لقبيل
عن ابن كثير ، وأنَّ المفسِّرين لم يذكروها ، ولم يذكرها صاحب (حرز الأماني) ، وأنَّ النوري
ذكرها في كتاب (غيث النفع) وكلامه غير واضح في صحَّة نسبة هذه القراءة إلى قبيل .

فهمز الواو في الموضعين : (المؤقدان) ، (موسى) ؛ لأنَّهُما جاورتا ضمَّة الميم قبلهما ،
فصارت الضمَّة كأثما فيهما ، والواو إذا انضمت ضمًّا لازما فهمزها جائز ، نحو : (أُقْتت) في (
وُقْتت) ، وكذلك الفتحة قبل الألف لما جاورتها صارت كأثما فيها ، وقد قرأ عمرو بن عبيد (
وَلَاجَأَنَّ)) من قوله ﷻ : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ (٣٩) ، مع
ملحوظة تحريك الهمز في الكلمتين : ((الضَّالِّينَ ، جَأَنَّ)) ؛ لتحدث المحاذاة في الفتح .

وهناك قراءات كثيرة لم يذكرها ابن عاشور في حذف الهمزة بعد نقل حركتها، منها:

قراءة في (أَرَاءَيْتَكُمْ) من قوله ﷻ : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ كُ
السَّاعَةُ أغيرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٤٠) ، ومن قوله ﷻ : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ
أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعْتَهُ أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴾ (٤٧) ، وكذا في (قُلْ
أَرَأَيْتُمْ) من قوله ﷻ : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنَ إله
غيرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ (٤٦) ، حيث هناك
قراءة تحذف فيها الهمزة تخفيفاً ((قُلْ رَأَيْتُمْ)) لم يذكرها ابن عاشور، وذلك بنقل حركة همزة

^١ يُنظر التحرير والتنوير ٢٦ / ٢٠٩ .

^٢ سورة الرحمن / ٣٩ .

^٣ يُنظر : مجلة مجمع اللغة العربيَّة بالقاهرة . الأعداد (٨١ - ١٠٢) - (٨٨ / ٩) .

^٤ سورة الأنعام / ٤٠ .

^٥ سورة الأنعام / ٤٧ .

^٦ سورة الأنعام / ٤٦ ، وسورة يونس / ٥٠ ، ٥٩ ، وسورة هود / ٢٨ ، ٦٣ ، ٨٨ ، وسورة القصص / ٧١ ، ٧٢ ، وسورة فاطر

/ ٤٠ ، و سورة فصَّلَت / ٥٢ ، وسورة الأحقاف / ٤ ، ١٠ ، وسورة الملك / ٢٨ ، ٣٠ .

الاستفهام إلى لام ((قُل))، ثم تحذف الهمزة تخفيفاً، وتُنسب إلى ورش، وهو تسهيل مطرد،^١ وأرأيتكم هذه بمعنى ((أخبرني))، ولها أحكام تختصُّ بها، اضطربت أقوال الناس فيها، وانتشر خلافهم. فإن كانت ((أرأيت)) البصريّة أو العلميّة الباقيّة على معناها أو التي لإصابة الرثة كقولهم: ((رأيت الطائر))، أي: أصبت رثته، لم يُجْزَ فيها تخفيفُ الهمزة التي هي عينها، بل تُحَقَّقُ ليس إلا، أو تُسَهَّلُ بينَ بينَ من غير إبدال ولا حذف، ولا يجوز أن تُلحَقها كافٌ على أنّها حرف خطاب، بل إنّ لحقها كاف كانت ضميراً مفعولاً أول، ويكون مطابقاً لما يُراد به من تذكير وتأنيت وإفراد وتثنية وجمع، وإذا اتَّصَلَتْ بها تاءٌ خطاب لزم مطابقتها لما يُراد بها ممَّا ذُكِرَ، ويكون ضميراً فاعلاً نحو: أرأيتم، أرأيتم أرايتن، ويدخلها التعليق والإلغاء.

وإن كانت العلميّة التي ضُمَّنَتْ معنى ((أخبرني)) اختصَّتْ بأحكامٍ أُخْرَ منها: أنّه يجوز تسهيل همزتها بإبدالها ألفاً، وهي مَرْوِيَّةٌ عن نافع من طريق ورش، والنحاةُ يَسْتَضَعِفُونَ إبدالَ هذه الهمزة ألفاً، بل المشهورُ عندهم تسهيلها بين بين، وهي الرواية المشهورة عن نافع، لكنّه قد نَقَلَ الإبدالَ المحض قطربٌ وغيره من اللغويين. حيث قال بعضهم: ((هذا غَلَطٌ غُلِّطَ عليه)) أي على نافع. وسببُ ذلك أن يُوَدِّي إلى الجمع بين ساكنين، فإنَّ الياء بعدها ساكنة .

^١ يُنظَرُ : السبعة /٢٥٧، والكشف عن وجوه القراءات ٤٣١/١، وحجة القراءات /٢٥٠، والنشر ٣٩٧/١ - ٣٩٨، والبحر المحيط ١٢٩/٤، والدُّرُّ المصون ٦١٥/٤.

^٢ يُنظَرُ : الحجّة للقراء السبعة ٣٨٤/٢.

^٣ يُنظَرُ : الحجّة للقراء السبعة ٣٨٤/٢، وحجّة القراءات /٢٠٥، والدُّرُّ المصون ٦١٦/٤، واللباب في علوم الكتاب ١٣٤/٨.

^٤ يُنظَرُ : الدُّرُّ المصون /٦١٦، واللباب في علوم الكتاب ١٣٤/٨.

ونقل أبو عبيد القاسم بن سلام عن أبي جعفر ونافع وغيرهما من أهل المدينة أنَّهم
يُسْقِطُونَ الهمزة، وَيَدْعُونَ أَنَّ الألف حَلْفٌ منها . وتُشعر هذه العبارة أَنَّ هذه الألف ليست
بدلاً عن الهمزة، بل جيء بها عوضاً عن الهمزة الساقطة .^٢

^١ يُنظَر : حجّة القراءات / ٢٠٥، والسبعة في القراءات ٣/ ٣٠٦، وإعراب القراءات السبع ١/ ١٥٦، والدُّرُّ المصون ٤/

٦١٦، واللباب في علوم الكتاب ٨/ ١٣٤.

^٢ يُنظَر : الدُّرُّ المصون ٤/ ٦١٥ - ٦١٦، واللباب في علوم الكتاب ٨/ ١٣٣ - ١٣٤.

إبدال حروف المدِّ أو اللين همزة

هناك قراءات أبدلت فيها حروف المدِّ أو اللين همزة ، حيث وردت على حالتين :

١ . إبدال حروف المدِّ همزة .

٢ . إبدال حروف اللين همزة .

(١) إبدال حروف المدِّ همزة

يرى إبراهيم السامرائي أنَّ تحقيق الهمزة قد يكون (من عادات النطق لدى تميم، وليس لعلّة صوتية)، ويستشهد لذلك بأنّه عُرِفَ عن رؤية الرّجّاز أنّه كان يهمز (الشدوّة)، و(سئة) القوس، والعرب لا تهمزها، وبأنّه روي عن العجاج أيضاً أنّه كان يكثر من الهمز، فيهمز ما لم يسمع همزه، نحو العالم، والخاتم، فيقول: العالم والخاتم . بل لقد جاء في الصحاح ما يفيد أنّ الهمز مبالغة في الفصاحة : فقد نقل الجوهري عن الفراء أنّهم ربّما خرجت بهم فصاحتهم إلى أن يهمزوا ما ليس بمهموز، وذلك في نحو قولهم : (لبأت بالحج) في مكان لبيت ، و(رثأت الميت (في مكان رثيت، و (حلأت السويق تحلئة)، وإمّا هو من الحلاوة . وعن ابن خالويه: إنّ ((العرب تهمز بعض ما لا يهمز تشبيها بما يهمز، فيقولون: (حلأت السويق)، والأصل: حلّيت، تشبيها بـ (حلأت) الإبل عن الماء؛ ويقولون: (رثأت الميت)، والأصل: رثيت، تشبيها بالرثيئة، وهي اللين؛ ويقولون: (لبأت لفلان)، والأصل: لبيت، تشبيها باللّبأ؛ ويقولون: نشئت ريحا، وأصله ترك الهمزة؛ وقرأ أبو جعفر: ((اهتزت وربأت)) ، تشبيها بالرثيئة، وهو من ربأت القوم،

^١ وهي الواو والياء غير المدّيتين ، ويُطلق عليها (الصوامت) .

^٢ في اللهجات العربية القديمة / ٦٥ .

^٣ قال في الصحاح : وربما قالوا : لبأت بالهمز وأصله غير الهمز . يُنظر : الصحاح : (لبي) ٦ / ٤٩٣ .

^٤ الصحاح ٦ / ٣٠٧ .

^٥ سورة الحج / من الآية ٥ .

إذا كنت لهم حافظا وعينا)) . ولا غرابة أن نجد من القراء السبعة من يهمز (ضئرى) من قوله
 ﷻ : ﴿ تَلَكْ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ (٢٢) ، و (بالسوق) من قوله ﷻ : ﴿ رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ
 مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ (٣٢) ، و (عن ساقِها) من قوله ﷻ : ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ
 فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي
 ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤٤) ، و (على سؤقه) من قوله
 ﷻ : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ
 فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۗ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ
 وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ
 لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢٩)
 ، و (ضياء) في ثلاثة مواضع ؛ وهي : قوله ﷻ : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا
 وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ
 لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٥) ، وقوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا

^١ إعراب القراءات السبع وعللها ١/٢٦٤ . يُنظر: المصدر نفسه ٢/٤٢ ، ١٥٢ ، والحجة في القراءات السبع /٢٧٢ ،
 والمحتسب ١/١١٧ ؛ وحجة القراءات /٥٣٠ ؛ ومفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني ، لأبي العلاء الكرمانى /٢٦٣ ،
 ومعاني القرآن ، للفراء ١/٢١٦ ، ٢/٤٥٩ ، ٣/١٤٦ ، ٢٧٩ ، والجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج
 للقراءات / ١٤٩ .

^٢ سورة النجم / ٢٢ .

^٣ سورة ص / ٣٣ .

^٤ سورة النمل / ٤٤ .

^٥ سورة الفتح / ٢٩ .

^٦ يُنظر : الوجيز / ٨٩ .

^٧ سورة يونس / ٥ .

لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ، وقوله ﷺ : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَظْلَمَةٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ ﴿٧١﴾ . وقد همز كل من أبي عمرو والكسائي وأبي بكر عن عاصم (التناوش) من قوله ﷺ : ﴿ وَقَالُوا ءَأَمَّنَّا بِهِءِ وَأَنْتَ لَهُمْ أَلْتَنَآوِشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ ﴿٥٢﴾ . وتحدث رمضان عبد التواب عن هذه الظاهرة تحت ما سماه (الحدلقة) في اللغة ، ورأى أنه: ((بعد أن ضار الهمز شعار العريضة الفصحى، تسابق العرب في النطق به، فأدى ذلك إلى همز ما ليس أصله الهمز، مبالغة في التفصح، لأنه إذا كانت (فقات عينه) فصيحة و (فقيت) غير فصيحة، و (وجأت بطنه) فصيحة و (وجيت) غير فصيحة - فإنه لا مانع من تحوّل: (حليت السويق) و (لبيت بالحج) و (رثيت زوجي) إلى: حلاّت ولبأت ورثأت، عن طريق القياس الخاطيء، مبالغة في التفصح)).^٥

القراءات القرآنية في إبدال حروف المدّ همزة

ذكر ابن عاشور في إبدال حروف المدّ همزة عدّة قراءات منها :

- ٦ ١. قراءة (ضَيْرَى) من قوله ﷺ : ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ ﴿٢٢﴾ ذكر ابن عاشور قراءة ابن كثير (ضَيْرَى) بتحقيق الهمزة ساكنة بعد الضاد مراعاة لأصل الفعل، فوزنه (ضَيْرَى) فُعَلَى بضم الفاء من (ضَارَةٌ حَقَّةٌ) ، إذا نقصه ، وأصل عين ضاز همزة، يقال: (ضَارَةٌ حَقَّةٌ) ك(مَنَعَةٌ) ثمّ كثر في كلامهم تخفيف الهمزة فقالوا: (ضَارَةٌ) بالألف. ويجوز في

^١ سورة الأنبياء / ٤٨ .

^٢ سورة القصص / ٧١ .

^٣ سورة سبأ / ٥٢ .

^٤ يُنظَر : التطور اللغوي / ١١٥ ، واللغة، فندريس / ٨٠ .

^٥ التطور اللغوي / ١١٧-١١٨ .

^٦ سورة النجم / ٢٢ .

مضارعه أن يكون يائي العين ، أو واويها ، وذكر عن الكسائي : أنه يجوز ضَاَرَ يَضِيْرُ، وضَاَرَ يَضُوْرُ. وكأنَّه يريد أن لك الخيار في المهموز العين إذا حُقِّف أن تُلحقه بالواو أو الياء، لكنَّ الأكثر في كلامهم اعتبار العين ياء فقالوا : ضَاَرَهُ حَقَّهُ ضَيْرًا ولم يقولوا ضَوْرًا؛ لأنَّ الضَّوْرَ لو ك التمر في الفم ، فأرادوا التفرقة بين المصدرين ، وهذا من محاسن الاستعمال. ثمَّ روى عن المؤرِّج السَّدُوسِي أنَّهم كرهوا ضمَّ الضاد في (ضُوْرِي) فقالوا : (ضِيْرِي). كأنَّهم استثقلوا ضمَّ الضاد ، في أول الكلمة مع أنَّ لهم مندوحة عنه بالزنة الأخرى. ووزن (ضِيْرِي) (فُعْلَى) اسم تفضيل (مثل كُبْرَى وطُوْبَى) أي شديدة الضيز ، فلمَّا وقعت الياء الساكنة بعد الضمة حرَّكوه بالكسر محافظة على الياء لئلا يقلبوها واوًا فتصير (ضُوْرِي) وهو ما كرهوه كما قال المؤرِّج. وهذا كما فعلوا في (يَبِيْضٌ) جمع (أَبْيَضٌ) ولو اعتبروه تفضيلاً من (ضَاَرَ يَضُوْرُ) لقالوا: (ضُوْرِي) ولكنَّهم أهملوه . وقيل إنَّ وزن آخر ل (ضِيْرِي) وهو (فِعْلَى) بكسر الفاء على اعتباره اسماً ، مثل (دِفْلَى وشِعْرَى) ، وأنَّ هذا بعيد لأنَّه مشتقٌّ، فهو بالوصفية أجدر. وذكر عن سيويه : لا يوجد (فِعْلَى) بكسر الفاء في الصفات، أو على أنَّه مصدر مثل : (دِكْرَى) وعلى الوجهين كسرتة أصلية .

وقراءة الجمهور (ضِيْرِي) بياء ساكنة بعد الضاد. وهذا وسم لهم بالجور زيادة على الكفر؛ لأنَّ التَّفْكِيرَ في الجور كفعله، فتخيَّلات الإنسان ومعتقداته عنوان على أفكاره وتصرفاته .

^١ يُنظَر: التحرير والتنوير ١٠٦/٢٧-١٠٧، والعين (ضيز، وضاز) ٢/٢٤، وتهذيب اللغة (ضس، ضن) ٤/١٦٣، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٠٢ ، والكشف والبيان، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط ٤ ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م ٩/١٤٦ ، واللباب في علوم القرآن ١٨/١٨٤، والبحر المحيط ٨/١٥٢، ومعالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٦ هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر ، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع ط ٤ ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ٧/٤٠٩، وإعراب القرآن وبيانه ٩/٣٥٣، وفتح القدير ٥/١٣١.

^٢ يُنظَر: الكتاب (باب ما تقلب فيه الياء واوًا) ٤/٣٦٤، والتحرير والتنوير ٢٧/١٠٧، والجامع لأحكام القرآن ١٧/١٠٢، والكشف والبيان ٩/١٤٦، واللباب في علوم القرآن ١٨/١٨٤، والبحر المحيط ٨/١٥٢، ومعالم التنزيل ٧/٤٠٩، وإعراب القرآن وبيانه ٩/٣٥٣، وفتح القدير ٥/١٣١.

^٣ يُنظَر: التحرير والتنوير ٢٧ / ١٠٦ - ١٠٧ .

٢ . ومن القراءات التي ذكرها ابن عاشور في إبدال حروف المدِّ همزة قراءة (سُوقِهِ) من قوله ﷺ : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَجٍ أُخْرِجَ شَطْعُهُ فَفَازَهُ فَأَسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ذكر فيها قراءتين : ١

الأولى : قراءة جميع القراء (سُوقِهِ) بالواو بعد الضمَّة .

القراءة الثانية : قراءة ابن كثير (سُوقِهِ) بهمزة ساكنة بعد السين المضمومة، حيث أبدال حرف المد همزة، نقلها عن ابن عطية ، وقال إنَّها لغة ضعيفة ، فهم يهْمزون الواو التي قبلها ضمَّة، بحيث يعطون الواو المجاور للضمَّة حكم الواو المضمومة ، وذكر قول جرير : ٣
أَحَبُّ الْمُؤَقِدِينَ إِلَيَّ مُؤَسَى وَجَعَدَةٌ إِذْ أَضَاءَهُمَا الْوُفُودُ
وذكر أنَّها تنسب لقبيل عن ابن كثير، وأنَّ المفسرين لم يذكروها، ولم تُذكر في (حرز الأمايين)، وذكرها النوري في كتاب (غيث النَّفْع)، وأنَّ كلامه غير واضح في صحة نسبة هذه القراءة إلى قبيل.

وذكر أنَّ السُّوق : جمع ساق على غير قياس ؛ لأنَّ ساقا ليس بوصف، وهو اسم على زنة فَعَلَ بفتحتين . ٥

ويرى ابن جني أنَّ في هذا الهمز صنعة تصرفيَّة حيث إنَّ الساكن إذا جاور المتحرِّك، فإنَّ العرب كثيراً ما تُقدِّر أنَّ تلك الحركة كأنَّها في الساكن ، فكأنَّ ضمَّة (موسى) في الواو، وأنَّ

١ سورة الفتح / ٢٩ .

٢ يُنظَر : المحرَّر الوجيز ٥/ ١٢٧ ، والبحر المحيط ٨ / ١٠٣ .

٣ يُنظَر : الحجَّة للقراء السبعة ١/ ١٧٩ ، ومعني اللبيب ٨٩٧/ ، والمنصف ٢/ ٢٠٣ .

٤ سبق تخريجه .

٥ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٦ / ٢٠٩ .

الواو إذا انضمت ضمّاً لازماً فهمزها جائزٌ ، نحو (أُعِد) في (وُعِدَ) ، و (أُجُوه) في (وُجُوهٌ) ، فقلبوها الواو المضمومة ضمّة لازمة همزة مضمومة . وقد تسهّل الهمزة ألفا كما نحو و (المرّة) في (المرأة) ، (الكمّاة) في (الكمّاة) ، فقلبوها الهمزة ألفا ؛ لأنّهم قدّروا فتحة الهمزة في الرء والميم قبلها، وكذلك في تخفيف : رأس وكأس ، فتقول : رأسٌ وكأسٌ، ومنه أيضا قول بعضهم في الوقف : هذا بكرٌ ، ومررت ببكرٌ ، فنقلوا الضمّة والكسرة إلى الساكن قبل الرء ، وهو الكاف . فكأنّ الرء محرّكة بحركة الكاف ؛ لأنّها تجاورها ، ونخلص من هذا بأمرين هما :

١ . الشح على حركة الإعراب أن يستهلكها الوقف .

٢ . الاستراحة من اجتماع ساكنين ، وهذا ونحوه يدلُّك على أنّ حركة الحرف تحدث معه ، وأنّ الحركة إذا جاورت الساكن صارت كأنّها فيه ، وعليه جاء همز (مُوسَى)، كما سبق في البيت السابق .

٣ . ومن القراءات التي ذكر ابن عاشور وجاء فيها إبدال حرف المدّ همزة قراءة (الأولى) من قوله

﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴾ ذكر فيها ثلاث قراءات :^١

القراءة الأولى : قراءة قالون عن نافع (لُولَى) بإسكان همزة (الأولى) بعد نقل حركتها إلى اللام المعرّفة (عاد لُولَى) على لغة من يبدل الواو الناشئة عن إشباع الضمّة همزاً، وقيل أنّهم بعض بني أسد ، كما قرئ ^٢ ﴿ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ ﴾ .

القراءة الثانية: قراءة الجمهور (عَادًا الْأُولَى) بإظهار تنوين (عَادًا) ، وتحقيق همزة الأولى

القراءة الثالثة : قراءة ورش عن نافع وأبو عمرو (عَادَ لُولَى) بحذف همزة (الأولى) بعد

نقل حركتها إلى اللام المعرّفة وإدغام نون التنوين من (عَادًا) في لام (لُولَى) .

^١ يُنظَر : المحتسب ١/ ٤٧ - ٤٨ ، ٢ / ١٤٨ - ١٤٩ ، والمخصّص ٤ / ٢٠٤ .

^٢ سورة النجم / ٥٠ .

^٣ يُنظَر : البحر المحيط ٣ / ٣٩٧ .

^٤ سورة الفتح / ٢٩ .

(٢) إبدال حروف اللين همزة

ذكر ابن عاشور في إبدال حروف اللين همزة عدّة قراءات منها :

- ١ . قراءة (مَعِيش) من قوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ ، ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾ ذكر فيها قراءتين : ٣

القراءة الأولى : قراءة نافع (مَعَائِشَ) بهمز بعد الألف ، ذكر أنّ راويها عن نافع خارجة بن مصعب ، وحميد بن عمير ، وعدّها رواية شاذّة لا يُعْبَأُ بها ، وقال عنها أنّها أيضاً قُرِأت في الشاذّ : بالهمز ، رواه عن الأعرج ، وذكر عن الزمخشري أنّه نسب هذه القراءة إلى ابن عامر - في كشافه - على التشبيه بصحائف ، وعدّه سهواً من الزمخشري .^٥

وأرى هنا مأخذ على ابن عاشور حيث وسم هذه القراءة بالشذوذ ، وأنّه لا يُعْبَأُ بها ، حيث وافق نحاة البصرة الذين ردّوا هذه القراءة ، إلّا إذا كان يقصد بالشذوذ هنا على قياس الصرفيين ، ولا يعنى خطأه في اللّغة ، وما دام الهمز في معائش قد رُوي عن نافع قراءة ، وصحّ لغة ، فلا وجه لحكم النحويين عليه بالخطأ واللحن ، إذ كان الواجب عليهم أن يوسّعوا حدود

^١ التحرير والتنوير ٢٧ / ١٥٣ .

^٢ سورة الأعراف / ١٠ .

^٣ سورة الحجر / ٢٠ .

^٤ يُنظَرُ : الكشّاف ٢ / ٢٠٧ .

^٥ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٣٤/٨ ، وجامع البيان ١٧/٨ ، والكشّاف ٥٤٠/١ ، والتبيان في تفسير القرآن ٣٥٣/٤ ، والبحر المحيط ٢٧١/٤ ، ومشكل إعراب القرآن ٣٠٦/١ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٢/٢ ، وفي معاني القرآن ، للقرّاء ٣٧٣/١ : ((لا تهمز ؛ لأنّها (يعني الواحدة) مفعلة ، الياء من الفعل ، فلذلك لم تهمز : وإنما يُهمز من هذا ما كانت الياء زائدة مثل مدينة ومدائن)) ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٧٦/١ - ١٧٧ ، والمحرّر الوجيز ٤٣٦/٥ ، والسبعة في القراءات ٢٧٨/٢ ، والمبسوط ٢٠٧/٢ ، وحاشية الجمل ١٢٤/٢ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٨/٣ .

قاعدتهم لتشمل جميع ما ورد عن العرب ، وما ورد في القراءات القرآنية الصحيحة، لا أن يحكموا على ما خالف قاعدتهم باللحن والخطأ ، حيث إنَّها نقلت عن الثقات وهم ابن عامر، وهو عربيّ صراح، وقد أخذ القرآن عن عثمان قبل ظهور اللحن ، والأعرج وهو من كبار قراء التابعين، وزيد بن عليّ وهو من الفصاحة والعلم بالمكان الذي قلَّ أن يدانيه في ذلك أحد، والأعمش وهو من الضبط والإتقان والحفظ والثقة بمكان ، ونافع وهو قد قرأ على سبعين من التابعين، وهم من الفصاحة والضبط والثقة بالمحلّ الذي لا يُجْهَل، فوجب قبول ما نقلوه إلينا .^١

وإن كان أكثر القراء على ترك الهمز في (معايش) ، إلا ما رُوي عن نافع أنّه همزها، وأنَّ أغلب النحويين على تخطئة الهمز ، وذكروا أنّ الهمزة إنّما تكون في هذه الياء إذا كانت زائدة، نحو (صحيفة وصحائف) ، فأما (معايش) فمن العيش ، الياء أصلية. ومن الذين ردُّوا هذه القراءة الزَّجَّاج فقد ذكر أنّ أكثر القراء على ترك الهمز في معايش ، لكنَّ نافعاً قرأ (معائش) بالهمز، وهو خطأ عند النحويين ؛ لأنَّ ياء (معايش) أصلية لا زائدة. وهذا هو القياس الذي ذكره الصرفيون حين أوجبوا لقلب حروف العلة همزة في مثل هذه الحالة أن تكون مدة زائدة، فإن كانت أصلية أو غير مدة منع قلبها همزة ، وياء (معايش) أصلية، إذ مفردها (معيشة) ، وهي من العيش ، فلا يجوز قلبها همزة .^٢

وقد حاول الفيثومي أن يجد توجيهاً لهمز (معائش) فقال : ((المعيشة : مكسب الإنسان الذي يعيش به ، والجمع المعايش ، هذا على قول الجمهور إنَّه من عاش ، فالميم زائدة، ووزن معايش مفاعل فلا يهمز ، وبه قرأ السبعة ، وقيل هو من (معش) فالميم أصلية، ووزن

^١ يُنظَر : تفسير البحر المحيط ٤ / ٢٧١ - ٢٧٢ ، .

^٢ يُنظَر : الكتاب ٢ / ٣٦٧ ، والكشاف ١ / ٥٤٠ ، وإعراب القرآن ، للنخَّاس ١ / ٦٠١ ، والجامع لأحكام القرآن ٧ / ١٦٧ ، والتبيان في تفسير القرآن ٤ / ٣٥٣ ، ومشكل إعراب القرآن ١ / ٣٠٦ ، ومعاني القرآن ، للأخفش ٢ / ٢٩٣ ، والمنصف ١ / ٣٠٧ ، وحاشية الشهاب ٤ / ١٥٢ - ١٥٣ ، وشرح المفصَّل ٤ / ١٥٣ ، و السبعة في القراءات ٢٧٨ / ٢٠٧ ، والمبسوط ٢٠٧ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٣ / ١٠ - ١١ .

(معيش، ومعيشة) (فَعِيلٌ ، وَفَعِيلَةٌ) ، ووزن (مَعَائِشُ) (فَعَائِلٌ) فتهمز، وبه قرأ أبو جعفر المدني والأعرج)) .^١

ورُدَّ عليه بأنَّه جعل الهمز في معائش زائدة ، واشتقاق الكلمة من (معش)، فأَيَّ علاقة بين العيش والمعش؟! ف (العيش) تدلُّ على الحياة ، و (المعش) الدلك الرفيق .
وقد فصلَّ ابن منظور القول في جمع معيشة فقال : ((جمع المَعِيشَةِ (مَعَائِشُ) على القياس، و (مَعَائِشُ) على غير قياس ، وقد قُرئَ بهما قوله تعالى : ((وَجَعَلْنَا لِكُمْ فِيهَا مَعِيشًا)) ، وأكثر القراء على ترك الهمز في (معائش) ، إلاَّ ما رُوي عن نافع فإنَّه همزها، وجميع النحويين البصريين يزعمون أنَّ همزها خطأ ، وذكروا أنَّ الهمزة إمَّا تكون في هذه الياء إذا كانت زائدة مثل صَحِيفَةٌ وصحائف ، فأَمَّا مَعَائِشُ فمن العَيْشِ الياءُ أَصْلِيَّةٌ ، قال الجوهري: جمع (المَعِيشَةِ) (مَعَائِشُ) بلا همز إذا جمعتها على الأصل ، وأصلها (مَعِيشَةٌ) وتقديرها (مُفْعِلَةٌ) ، والياء أصلها متحرِّكة فلا تنقلب في الجمع همزة، وكذلك مَكَايِلُ ومَبَايِعُ ونحوها، وإن جمعتها على الفرع همزَتْ وشَبَّهَتْ (مَفْعِلَةٌ) بـ(فَعِيلَةٌ) كما همزت المصائب؛ لأنَّ الياء ساكنة)) .

وقد دافع عن هذه القراءة كثير من المفسِّرين ، ومنهم أبو حيَّان حيث نقل هذه القراءة (مَعَائِشُ) بالهمزة، ونسبها إلى الأعرج وزيد بن عليِّ والأعمش وخارجة عن نافع وابن عامر في رواية: (مَعَائِشُ) بالهمزة ، وقال عنها إمَّا ليست بالقياس ، لكنَّ الذين رووها ثقات، فوجب قبولها، وقال إنَّ هذا الهمز شاذُّ ، كما شدَّ في (مَنَائِرُ) جمع (منارة)، وأصلها (مَنُورَةٌ)، وفي (مَصَائِبُ) جمع (مُصِيبَةٌ) ، وأصلها (مُصُوبَةٌ) ، وكان القياس (مَنَاورُ)، و(مَصَاوِبُ). وقد قالوا (مَصَاوِبُ) على الأصل ، كما قالوا في جمع (مَقَامَةٌ) (مَقَاوِمُ)، و(مَعُونَةٌ) (مَعَاوِنُ). ثمَّ نقل

^١ المصباح المنير (عاشَ) ٢ / ٤٤٠ . يُنظر : إعراب القرآن وبيانه ٣ / ٣٠٤ .

^٢ لسان العرب (عيش) ٦ / ٣٢١ ، يُنظر : الصحاح في اللغة (العين) ٢ / ٩ ، وتاج العروس (عيش) ١٧ / ٢٨٣ ،

ومختار الصحاح، محمَّد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ط ٦

١٤١٥ - ١٩٩٥م (العين) / ٤٦٧ .

عن الزجاج : أنَّ جميع نحاة البصرة تزعم أنَّ همزها خطأ، ولا أعلم لها وجهاً إلا التشبيه بـ (صحيفة ، وصحائف) ، ولا ينبغي التعويل على هذه القراءة. ونقل عن المازني: أنَّ أصل أخذ هذه القراءة عن نافع ، وأَنَّهُ لم يكن يدري ما العريية، ولا كلام العرب الصحيح في نحو هذا .

ثمَّ عقب أبو حيَّان على هذه الأقوال بقوله: ولسنا متعبدين بأقوال نحاة البصرة. ثمَّ نقل قول الفراء: أنَّ العرب ربَّما همزت هذا، وشبهه يتوهَّمون أنَّها فعيلة، فيشبهون مفعلة بفعيلة. ثمَّ قال: فهذا نقل من الفراء عن العرب أنَّهم ربَّما يهمزون هذا وشبهه، وأَنَّهُ جاء به نقل القراء الثقات ابن عامر، وهو عربي صراح، وقد أخذ القرآن عن عثمان قبل ظهور اللحن، والأعرج وهو من كبار قراء التابعين، وزيد بن عليّ وهو من الفصاحة والعلم بالمكان الذي قلَّ أن يدانيه في ذلك أحد، والأعمش وهو من الضبط والإتقان والحفظ والثقة بمكان، ونافع وهو قد قرأ على سبعين من التابعين، وهم من الفصاحة والضبط والثقة بالمحلّ الذي لا يجهل، فوجب قبول ما نقلوه إلينا ولا مبالاة بمخالفة نحاة البصرة في مثل هذا ، وأما قول المازني أنَّ أصل أخذ هذه القراءة عن نافع فليس بصحيح ؛ لأنَّها نقلت عن ابن عامر، وعن الأعرج ، وزيد بن عليّ، والأعمش ، وأما قوله إنَّ نافعاً لم يكن يدري ما العريية ، فشهادة على النفي، ولو فرضنا أَنَّهُ لا يدري ما العريية ، وهي هذه الصناعة التي يتوصّل بها إلى التكلّم بلسان العرب، فهو لا يلزمه ذلك إذ هو فصيح متكلّم بالعريية ناقل للقراءة عن العرب الفصحاء، وأنَّ كثيراً من هؤلاء النحاة يسيئون الظنّ بالقراء ولا يجوز لهم .

القراءة الثانية : قراءة جميع القراء (معايش) بالياء ، وعدّها الأصل ؛ لأنَّ ياء (معايش) أصل في الكلمة ، لأنَّها عين الكلمة من المصدر (عيش) فوزن معيشة (مفعلة)، ومعايش (مفاعل) ، فحقّها أن ينطق بها في الجمع ياء وأن لا تقلب همزة؛ معللاً ذلك باستعمال العرب في حرف المدّ الذي في المفرد ، حيث إنَّهم إذا جمعوه جمعاً بألف زائدة ردّوه إلى أصله واواً أو ياء بعد ألف الجمع ، مثل : مفازة ومفاوز ، فيما أصله واو من الفوز، ومعيبة ومعايب فيما أصله الياء ، فإذا كان حرف المدّ في المفرد غير أصلي، فإنَّهم إذا جمعوه جمعاً بألف زائدة قلبوا حرف المدّ

^١ يُنظر : تفسير البحر المحيط ٤ / ٢٧١ - ٢٧٢ .

همزة نحو قِلَادَة وقِلَائِد ، وَعَجُوز وعَجَائِز، وصحيفه وصحائف، وعدَّ هذا الاستعمال من لطائف التفرقة بين حرف المد الأصلي والمد الزائد.

وذكر أنّ معايش جمع معيشه، وهي ما يعيش به الحيّ من الطعام والشراب، مشتقة من العيش وهو الحياة، وأصل المعيشة اسم مصدر عاش قال تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ سمي به الشيء الذي يحصل به العيش ، تسمية للشيء باسم سببه على طريقة المجاز الذي غلب حتى صار مساوياً للحقيقة .

٢ . ومّا جاء كذلك قراءة (التَّنَاوُشُ) من قوله ﷺ : ﴿ وَقَالُوا ءَأَمَّنَا بِهِ ءِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ ، ذكر ابن عاشور فيها قراءات عدّة :

القراءة الأولى : قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي وأبي بكر عن عاصم وخلف (التَّنَاوُشُ) بالهمزة في موقع الواو ، ثم نقل عن الزجاج قوله : إنّه من إبدال الواو المضمومة همزة لقصد التخفيف في نطق الضمّة، كقوله ﷺ : ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَّتْ ﴾ ، وقولهم : (أَجْوَه) جمع وُجِه . وأشار إلى بحث أبي حيّان في تفسيره، وذكر رأي الفراء والزجاج: أنّه من نأش بالهمز إذا أبطأ وتأخر في عمل . وذكر قول نهشل بن حري النهشلي:

تَمَّتِي نَمِيشًا أَنْ يَكُونَ أَطَاعَنِي وَقَدْ حَدَثَتْ بَعْدَ الْأُمُورِ أُمُورٌ

^١ سورة طه / ١٢٤ .

^٢ يُنظَر: التحرير والتنوير ٨/١٤، ٣٤/٣٥، وجامع البيان ٨/١٧، والكشاف ١/٥٤٠، والتبيان في تفسير القرآن ٤/٣٥٣، والبحر المحيط ٤/٢٧١، ومشكل إعراب القرآن ١/٣٠٦، ومعاني القرآن وإعرابه ٢/٣٢، وفي معاني القرآن للفراء ١/٣٧٣: ((لا تهمز؛ لأنّها (يعني الواحدة) مُفْعَلَة، الياء من الفعل، فلذلك لم تهمز: وإنما يُهمز من هذا ما كانت الياء زائدة مثل مدينة ومدائن))، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/١٧٦-١٧٧، والمحرر الوجيز ٥/٤٣٦، والسبعة في القراءات ٢٧٨/٢٠٧، والمبسوط ٧/٢٠٧، وحاشية الجمل ٢/١٢٤، ومعجم القراءات، للخطيب ٣/٨.

^٣ سورة سبأ / ٥٢ .

^٤ سورة المرسلات / ١١ .

^٥ هذا البيت لنهشل بن حري على بحر الطويل سبقه بيتين هما :

وَمَوْلَى عَصَانِي وَاسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ كَمَا لَمْ يُطْعَ بِالْبَقَّتَيْنِ قَصِيرٌ

أي تمى أخيراً. وقال: إنَّ المعري في (رسالة الغفران) فسّر نعيشاً بمعنى: بعد ما فات. ثمَّ قال إنَّ المراد بالتناوش وصف قولهم: (أَمَّنَّا بِهِ) بأنَّه إيمان تأخَّر وقته ، أو فات وقته .

وإبدال مثل هذه الواو المضمومة ضمَّة لازمة همزة جائزٌ ؛ لأنَّ العربي يستثقل بطبعه النطق بالواو الصامتة (غير المدِّيَّة) مع الضمَّة التي هي مُصَوِّت من جنس الواو، وكذا بالنسبة للياء المدِّيَّة مع الكسرة التي هي مُصَوِّت من جنسها ، فيبدلها همزة. ولأنَّ الضمَّة بعض الواو، فكأنَّه اجتمع واوان، وكان قياسهما جواز قلب الأولى همزة .

وقال أبو حيَّان بعد أن ذكر القراءتين (التَّنَاوُشُ) ، و (التَّنَاوُشُ) ، يجوز أن يكونا مادتين، إحداهما النون والواو والشين (نوش) ، والأخرى النون والهمزة والشين (نأش)، ويجوز أن يكون أصل الهمزة الواو ، على ما قاله الزجاج ، وتبعه الزمخشري وابن عطية والحويني وأبو البقاء ، وذكر عن الزجاج أنَّ كلَّ واو مضمومة ضمَّة لازمة ، فأنت فيها بالخيار، إن شئت تثبت همزتها ، وإن شئت تركت همزتها . تقول : ثلاث (أدور) بلا همز، و(أدور) بالهمز . وتعقَّب أبو حيَّان هذا الإطلاق فقال : إنَّه ليس على إطلاقه بل لا يجوز ذلك في المتوسطة إذا كانت مدغماً فيها تحرُّراً من التعوُّذ ، نحو : تعود وتعوذ مصدرين، وقد صرَّح بذلك في التسهيل ولا إذا صحَّت في الفعل ؛ فإنَّها متى صحَّت في الفعل لم تبدل همزة نحو: (تَرْهَوْكَ تَرْهَوْكاً) ، و (تَعَاوَنَ تَعَاوُنًا)^٤

فَلَمَّا رَأَى مَا غِبُّ أَمْرِي وَأَمْرِهِ وَوَلَّتْ بِأَعْجَازِ الْأُمُورِ صُدُورُ

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٢ / ٢٤٣ .

^٢ يُنظَر : شرح شافية ابن الحاجب ٧٨/٣ ، ومعاني القرآن، للفرَّاء ٢٨٨/١ ، ١٩٠/٣ ، والكمال ٨/١ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١١٧/٢ ، والمحتسب ١١٨/١ ، ٣٣١/٢ ، والمنصف ٢١٢/١ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢٠٨/٢ ، والقراءات القرآنيَّة في ضوء علم اللُّغة الحديث/٧٩ ، والقراءات القرآنيَّة في المعجمات اللُّغويَّة /٥٦١ .

^٣ يُنظَر : البحر المحيط ٢٨٠/٧ ، وشرح شافية ابن الحاجب ٧٨/٣ ، ومعاني القرآن، للفرَّاء ٢٨٨/١ ، ١٩٠/٣ ، والكمال ٨/١ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١١٧/٢ ، والمحتسب ١١٨/١ ، ٣٣١/٢ ، والمنصف ٢١٢/١ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢٠٨/٢ ، وإعراب القرآن ، لابن سيده ٧ / ٢٢٠ .

^٤ التَّرْهَوْكُ: مَشْيُ الَّذِي كَانَتْ يَمْوُجُ فِي مَشِيَّتِهِ وَقَدْ تَرَّهَوْكَ، وَتَرَّهَوْكَ: مَشَى كَأَنَّهُ يَمْوُجُ فِي مَشِيَّتِهِ. يُنظَر: كتاب العين ١١٤/٤ ، ولسان العرب (رهك) ٤٣٥/١٠ ، ومعجم القواعد العربية، عبد الغني الدقر ٢٣/٢١ ، والمعجم الوسيط، مجمع اللُّغة العربيَّة، مكتبة الشروق الدوليَّة، مصرط ٤٢٥هـ-٢٠٠٤م / ٣٧٨ ، وتهذيب اللُّغة ٢٤٤/٢ ، وشرح شافية ابن

. وهذا القيد الآخر يبطل قولهم لأنها صحت في: (تَنَاوَشَ يَتَنَاوَشُ) ، ومتى سلم له هذان القيدان أو الأخير منهما ثَبَّتَ رده. ولم يسمع همزتين من ذلك، فلا يجوز . والتناوش مثل التعاون ، فلا يجوز همزه؛ لأنَّ واوه قد صحَّت في الفعل، إذ يقول : تناوش . وذكر عن الزمخشري همز الواو المضمومة كما همزت في (أجوه) و(أدور) فقالوا (أجؤه) و (أدؤر) . وذكر عن ابن عطية أنَّ التناوش بالهمز يحتمل أن يكون من التناوش، وهُمَزْتُ الواو لَمَّا كانت مضمومة ضَمَّة لازمة، كما قالوا (أَقْتَت) . وقال الزجاج من هَمَزَ فَعَلَى وَجْهَيْنِ ؛ أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ مِنَ (النَّيِّشِ) الذي هو الحركة في إبطاء، والآخَرُ أَنْ يَكُونَ مِنَ التَّوَشِ الذي هو التَّنَاوُلُ فَيُبدَلُ مِنَ الواو همزة لِمَكَانِ الضَّمَّةِ التَّهْدِيبِ، ويجوز همزُ التَّنَاوَشِ وهي من نشت؛ لانضمام الواو مثل قوله ﷺ: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْنَتُ ۙ﴾ ، قال ابن بري ومعنى الآية أنهم تناوَلُوا الشيء من بُعد وقد كان تناوَلَهُ منهم قريباً في الحياة الدنيا فأمَنُوا حيث لا يَنفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيْمَانُهَا فِي الآخِرَةِ، قال وقد يجوز أن يكون من النَّاشِ وهو الطلب، أي كيف يطُلبون ما بَعُدَ وفاتَ بعد أن كان قريباً ممكناً؟ والأوَّلُ: هو الوجه، وقد نَأَشَتْ الأَمْرَ أَنَأَشُهُ نَأَشًا أَحْرَثَهُ فَاِنْتَأَشَ، ونَأَشَ الشَّيْءَ يَنَأَشُهُ نَأَشًا بَاعَدَهُ، ونَأَشَهُ يَنَأَشُهُ أَحَدَهُ فِي بَطْشٍ، ونَأَشَهُ اللهُ نَأَشًا كَنَعَشَهُ أَي أَحْيَاهُ وَرَفَعَهُ، قال ابن سيده والسابقُ إِلَيَّ أَنَّهُ بَدَلَ وَانْتَأَشَهُ اللهُ أَي انْتَزَعَهُ .

الحاجب ٦٨/١، والفتاح في الصرف، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (٤٧١هـ)، تحقيق: د. علي توفيق الحَمَد، مؤسسة الرسالة، بيروت ط ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م / ٤٦.

^١ يُنظَر: الكَشَّافُ ٣٩٦/٥، والبحر المحيط ٢٨٠/٧، واللُّرُّ للصون ٢٠٤/٩، واللباب في علوم الكتاب ٩١/١٦، وروح المعاني ٣٣٦/١٦.

^٢ يُنظَر: المحرَّرُ الوجيز ٥ / ٣٦٠ ، واللباب في علوم الكتاب ١٦ / ٩١ .

^٣ سورة المرسلات / ١١ .

^٤ يُنظَر: البحر المحيط ٢٨٠/٧، وروح البيان، إسماعيل حَقِيَّ بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي (١١٢٧هـ)، دار إحياء التراث العربي ٢٤٢/٧، ولسان العرب (نأش) ٣٤٩/٦، والمخصَّص ٣٦/٤، والمحكم والمحيط الأعظم ٩٣/٨، والمفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (٥٠٢هـ)، تحقيق: محمَّد سيِّد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، (د.ت) / ٥٠٩ ، ومفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، دار القلم، دمشق (د.ت) ٢ / ٤٦١ .

القراءة الأولى : قراءة الجمهور (أُقْتِتْ) بهمزة وتشديد القاف ، حيث أبدلت الواو المضمومة همزة، فأصله (وُقْتِتْ) بالواو في أوله ، يُقال : وُقْتِتْ وُقْتِنًا ، إذا عَيَّن وقتاً لعمل ما، مشتقاً من الوقت وهو الزمان ، فلَمَّا بُنِيَ للمجهول ضُمَّت الواو وهو ضَمٌّ لازم احترازاً من ضَمَّة ((وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ)) من قوله ﷺ : ﴿ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الرِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ٢٣٧ ؛ لأنَّ ضَمَّة الواو ضَمَّة عارضة ، فجاز إبدالها همزة ، لأنَّ الضمَّ على الواو ثقيلٌ فعُدِلَ عن الواو إلى الهمزة .

القراءة الثانية : قراءة أبي عمرو وحده (وُقْتِتْ) بالواو وتشديد القاف .

القراءة الثالثة : قراءة أبي جعفر (وُقْتِتْ) بالواو وتخفيف القاف .

وقال إنَّه لا خلاف في أنَّ (أُقْتِتْ) مشتقٌّ من الوقت ، وأصل اشتقاق هذا الفعل المبني للمجهول أن يكون معناه : جُعِلت وقتاً ، وهو أصل إسناد الفعل إلى مرفوعه، وقد يكون بمعنى: (وُقْتِتْ) لها وقتٌ على طريقة الحذف والإيصال . وأنَّ بناء هذا الفعل، والأفعال الأخرى في هذه الآيات (طُمِسَتْ ، و فُرِجَتْ ، و نُسِفَتْ ، و أُجِلَّتْ) بصيغة المبني للمجهول؛ لأنَّ المقصود الاعتبار بحصول الفعل لا بتعيين فاعله ، على أنَّه من المعلوم أنَّ فاعلها هو الله تعالى إذ لا يقدر عليه غيره. وجملة (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتِتَتْ) عطف على الجمل المتقدِّمة، فهي تقييد لوقت حادث يحصل، وهي ممَّا جُعِل مضمونها علامة على وقوع ما يوعدون به، فيلزم أن يكون مضمونها مستقبل الحصول ، وفي نظم هذه الجملة غموض ودقة. والتعبير بـ (إِذَا) لما يستقبل من الزمان ؛ فهذا التأقيت للرسول توقيت سيكون في المستقبل، وهو علامة على أنَّ ما يُوعدون يحصل مع

١ سورة البقرة / ٢٣٧ .

٢ من قوله ﷺ : ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتِتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) ﴾ سورة المرسلات .

العلامات الأخرى ؛ ولذا تعيّن تأويل (أُقْتِت) على معنى: حَانَ وقتها، أي الوقت المعيّن للرسول وهو الوقت الذي أخبرهم الله بأن يُنذِرُوا أممهم بأنّه يحلّ في المستقبل غير المعين، وذلك عليه قوله:

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَوْمَ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾﴾ ، فإنّ التأجيل يفسّر التوقيت.

ثمّ نقل بعد ذلك اختلاف المفسّرين الأولين في محمّل هذه الآية، فابن عباس أوّل (أُقْتِت)

بـ (جُمعت) ، أي ليوم القيامة قال تعالى : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ط قَالُوا لَا

عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ ط أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ ، ومجاهد والنخعي أوّلوها بـ (أُجِّلَتْ) . قال أبو علي

الفارسي : أي جعل يوم الدين والفصل لها وقتاً. وجاء بتوجيه الزمخشري أنّ (أُقْتِت) بمعنى (

وقتت) بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيامة . وعلّق عليه بأنّ هذا صريح في أنّ

يُقَال : وُقِت بمعنى أُحْضِر في الوقت المعيّن، وهو معنى مغفول عنه في بعض كتب اللُّغة ، أو

٤

مطويّ بخفاء في بعضها .

^١ سورة المرسلات / ١٢ - ١٣ .

^٢ سورة المائدة / ١٠٩ .

^٣ يُنظَر : الكشّاف ٧ / ٢٠٨ .

^٤ التحرير والتنوير ٢٩ / ٤٢٥ - ٤٢٦ .

المبحث الثاني

في اختلاف الحركات (الأصوات الصائتة) (الصوائت القصيرة)

الصوائت القصيرة في العريئة ثلاثة : أثقلها الضمة ، وأخفها الفتحة ، وبينهما في الثقل والخفة الكسرة. وقد اختلفت القبائل العريئة في نطق هذه الحركات في كثير من ألفاظ لغتها، فمال عدد منها إلى الفتح ، وعدد إلى الكسر ، وثالث إلى الضم ، ويُحرَّك في لفظة بالكسر عند قبيلة، وبالضم عند أخرى ، ويُسكَّن في لهجة ، ويُحرَّك في أخرى ، ويُمال هنا ولا يمال هناك. وقد صوّرت لنا القراءات القرآنية هذه الاختلافات اللهجية في استعمال الصوائت، وقد نقل ابن عاشور قراءت ورد فيها هذا الاختلاف يتضح من خلال التقسيم التالي :

١. بين الفتح والكسر

١. من القراءات التي اختلفت فيها القراءة بين الفتح والكسر قراءة (السلم) من قوله

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ

الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ، ذكر ابن عاشور فيها قراءة نافع وابن كثير

والكسائي وأبي جعفر (السلم) بفتح السين . وقرأ باقي العشرة (السلم) بكسر السين،

ويقال (سلم) بفتح السين واللام ، كقوله ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ فَتَيِّبْنَا وَلَا نَقُولُ أَلْمَنَ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ

^١ سورة البقرة / ٢٠٨ .

عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ، وقد جزم أئمة اللغة بأنَّ (السَّلْمَ) بكسر السين ، وفتحها (السَّلْمَ) ، وبالتحريك (السَّلْمَ) كلها معانٍ متولدة بعضها من بعض تطلق على دين الإسلام ، ونُسب إلى ابن عباس ومجاهد وقتادة، مستدلين بقول امرئ القيس بن عابس الكندي في قضية ردة قومه :

دَعَوْتُ عَشِيرَتِي لِلسَّلْمِ لَمَّا رَأَيْتُهُمْ تَمُوتُونَ مُدْبِرِينَ
فَلَسْتُ مَبْدِلًا بِاللَّهِ رَبًّا وَلَا مُسْتَبَدَّلًا بِالسَّلْمِ دِينًا

وهذا الإطلاق انفرد بذكره أصحاب التفسير ، وبيت الكندي يحتمل معنى المسالمة أي المسالمة للمسلمين، وذكر ابن عاشور عن أبي عمرو بن العلاء أنَّ (السَّلْمَ) بكسر السين هو الإسلام، و(السَّلْمَ) بفتح السين المسالمة، مستدلاً بقوله ﷺ: ﴿أَدْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً﴾ وقرأها بكسر السين لا غير، وقرأ (السَّلْمَ) في قوله ﷺ: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٦١﴾ ، وفي قوله ﷺ: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾

^١ سورة النساء / ٩٤ .

^٢ من أبيات لامرئ القيس بن عابس الكندي وتروى لغيره ، وروى بالفتح والكسر ، وكان امرؤ القيس قد وفد على رسول الله ﷺ ولم يرتد في أيام أبي بكر ، وأقام على الإسلام وكان له في الردة غناء وبلاء ، وقد قال الأبيات في زمن الردة وقبل البيت :

أَلَا أُبْلِغُ أَبَا بَكْرٍ رَسُولًا وَأُبْلِغُهَا جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ
فَلَسْتُ مُجَاوِرًا أَبَدًا قَبِيلًا بِمَا قَالَ الرَّسُولُ مُكَذِّبِينَ
دَعَوْتُ عَشِيرَتِي لِلسَّلْمِ حَتَّى رَأَيْتُهُمْ أَغَارُوا مُفْسِدِينَ

يُنظَرُ : التحرير والتنوير / ٢ / ٢٧٦ ، وجامع البيان / ٤ / ٢٥٣ ، والجامع لأحكام القرآن / ٣ / ١٧ ، والكشاف / ١ / ٢٥٢ ، والبحر المحيط / ٢ / ١١٨ ، والمؤتلف والمختلف ، في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم ، لأبي القاسم الحسن ابن بشر الأمدي (٣٧٠ هـ) ، تصحيح وتعليق أ.د. ف. كرنكو ، دار الجليل ، بيروت ط ٩ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م / ٩ ، والوحشيات / ٧٥ ، واللباب في علوم الكتاب / ٣ / ٤٧٤ ، والتبيان في إعراب القرآن / ١ / ٩٠ ، والدُّرُّ المصون / ١ / ٥١٠ .

^٣ سورة البقرة / ٢٠٨ .

^٤ سورة الأنفال / ٦١ .

وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكَكُمْ أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٥﴾ بفتح السين فقط ، وقد وجّه الطبري قراءة (السلم) هنا إلى الإسلام دون الآيتين الأخريين . وأنكر المبرّد هذه التفرقة زاعماً أنّ اللغة لا تؤخذ بالقياس هكذا، وإنما تؤخذ بالسماع، لا ويحتاج من فرّق إلى دليل. فكون (السلم) من أسماء الصلح لا خلاف فيه بين أئمة اللغة ، فهو مراد من الآية لا محالة، وكونه يطلق على الإسلام إذا صح ذلك جاز أن يكون مراداً أيضاً ، ويكون من استعمال المشترك في معنياه. فعلى أن يكون المراد بالسلم المسالمة كما يقتضيه خطابهم، ب ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الذي هو كاللقب للمسلمين كان المعنى أمرهم بالدخول في المسالمة دون القتال، وكما تقتضيه صيغة الأمر في (ادخلوا) من أن حقيقتها طلب تحصيل فعل لم يكن حاصلًا أو كان مُفْرَطًا في بعضه .

وبعد ذلك رجّح ابن عاشور أن تكون مناسبة ذكر هذه الآية عقب ما تقدم هي أن قوله

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ : ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعَدُوا إِيَّاهُ اللَّهُ لَا يُحِبُّ

الْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿١٩٠﴾ تهيئة لقتال المشركين لصدّهم المسلمين عن البيت، وإرجافهم بأنهم أجمعوا أمرهم على قتالهم ، وإرجاف بقتل عثمان بن عفان بمكة حين أرسله رسول الله إلى قريش، فذكر ذلك واستطرد بعده ببيان أحكام الحج والعمرة فلما قضى حقّ ذلك كله، وألحق به ما أمر الله بوضعه في موضعه بين تلك الآيات ، استؤنف هنا أمرهم بالرضا بالسلم والصلح الذي عقده رسول الله ﷺ مع أهل مكة عام الحديبية، لأنّ كثيراً من المسلمين كانوا آسفين من وقوعه، فتكون مدّة ما بين نزول المسلمين بالحديبية، وتردّد الرسل بينهم وبين قريش، وما بين وقوع الصلح هي مدّة نزول الآيات من قوله ﷺ : ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعَدُوا إِيَّاهُ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿١٩٠﴾ إلى قوله ﷺ : ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

١ سورة محمد / ٣٥ .

٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢ / ٢٧٥ - ٢٧٦ .

٣ سورة البقرة / ١٩٠ .

٤ سورة البقرة / ١٩٠ .

أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾
 ﴿١﴾ ، وإذا كان الضمير في قوله ﷺ : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ
 وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ ﴿٢١٠﴾ راجعاً إلى (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ
 يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ) من قوله ﷺ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ
 اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ۗ وَهُوَ الَّذِي الْخَصَامِ ﴾ ﴿٢٠٤﴾ ، أو إلى (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي
 نَفْسَهُ) من قوله ﷺ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ
 رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ ﴿٢٠٧﴾ ، ويكون قوله ﷺ : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي

السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾
 اعتراضاً بين الجملة ذات المعاد والجملة ذات الضمير . فأما إذا فسّر السلم بالإسلام أي دين
 الإسلام فإنَّ الخطاب بـ ((يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا)) وأمر المؤمنين بالدخول في الإسلام يُؤَوَّلُ
 بأنه أمر بزيادة التَّمَكُّن منه والتغلغل فيه؛ لأنه يُقال دخل الإيمان في قلبه إذا استقر وتمكَّن، قوله
 ﷺ : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تَوَدِّعُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ
 وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿١٤﴾ وأنَّ هذا هو

١ سورة البقرة / ٢٠٨ .

٢ سورة البقرة / ٢١٠ .

٣ سورة البقرة / ٢٠٤ .

٤ سورة البقرة / ٢٠٧ .

٥ سورة البقرة / ٢٠٨ .

٦ سورة الحجرات / ١٤ .

الظاهر ، فيراد بالأمر في قوله (ادخلوا) الدوام على ذلك، وقيل أريد بالذين آمنوا الذين أظهروا الإيمان فتكون خطاباً للمنافقين .^١

٢ . من القراءات التي اختلفت فيها القراءة بين الفتح والكسر قراءة (سَيْنَاءَ) من قوله

تعالى : ﴿ وَشَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلآكِلِينَ ﴾^{٢٠} ، ذكر ابن عاشور في قراءة (سَيْنَاءَ) قراءتين :

الأولى : قراءة ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وخلف (سَيْنَاءَ) بفتح السين وسكون الياء سكوناً حياً، ومن فتحها : جعل همزتها للتأنيث ، فلم يصرفه؛ للتأنيث والوصف، كحمراء، أو لألف التأنيث ؛ لقيامه مقام علتين .^٣

الثانية : قراءة (سَيْنَاءَ) بكسر السين وسكون الياء سكوناً ميتاً ، قرأ بها أبو جعفر وأبو عمر ونافع ورواية عن ابن كثير ، على لغة بني كنانة ، ومن كسرهما: لم يصرفه؛ للتعريف

^١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢ / ٢٧٦ - ٢٧٧ .

^٢ سورة المؤمنون / ٢٠ .

^٣ قال ابن أبي الرضا الحموي عن السكون : أنه ينقسم إلى قسمين (حي وميت) وهو مخصوص بالألف والواو إذ انضم ما قبلها، والياء إذا انكسر ما قبلها ؛ والألف الفتح لا يفارقها. وسُمِّي ميتاً لعدم استعداد الناطق لهما؛ إذ ليسا بجارين على عضو ، ولا حاصلين في حيز . والألف لا يعلم لها مكان يتحيز فيه من الفم ، ولا يتهيأ النطق بها .

والحي يتفاضل بتفاضل طبع الحرف ، وصفته في القوة والضعف ؛ كما أنَّ سكون الحلقية أقوى ظهوراً من سكون الشفهية؛ وذلك كما أنه إذا وَقَف على الساكن بالقلقلة كان حياة له بخلاف الوصل لامتناع القلقلته فيه. القواعد والإشارات في أصول القرآن ، ابن أبي الرضا الحموي ١ / ٥ .

فالحاصل أن الحي ما كملت ضدته لنقيضه ، وهو الحركة فيجب اعتماد القارئ عليه ليظهر صيغته ويبرز حليته فإن وصله بغيره بينه بما يستحقه من صفاته القائمة بذاته . يُنظَرُ : البحر المديد ، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسيني

الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، دار الكتب العلمية ، بيروت ط ٤ ٢٠٠٢ م - ١٤٢٣ هـ ٧/٥ .

^٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٨ / ٣٤ ، والبحر المحيط ٦ / ٤٠٠ - ٤١٠ ، ٤٨٦/٨ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢/٢٨٢ .

والعجمة، وهذا البناء ليس من أبنية التأنيث ، وإنما أَلْفُ أَلْفِ الإلحاق، كعِلْبَاءِ وَجِرْبَاءِ^١.
والقراءتان لغتان بمعنى واحد .

٢

وذكر أن (طور سيناء) : جبل في صحراء سيناء الواقعة بين عقبة أيلة وبين مصر،
ومعنى الطور: الجبل. و (سيناء) قيل : اسم شجر يكثر هنالك . وقيل: اسم حجارة. وقيل:
هو اسم لذلك المكان، وقيل : هو اسم نبطي ، وقيل : هو اسم حبشي، ثم قال: إن ذلك لا
يصح. وإنما اغتر من قاله بمشابهة هذا الاسم لوصف الحسن في اللغة الحبشية، وهو كلمة سناه،
ومثل هذا التشابه قد أثار أغلاطاً . والصحيح أن (سيناء) اسم أعجمي سرياني نطقت به
العرب فاختلفت فيه لغاتها على عادة العرب في تلاعبها بالأسماء الأعجمية .

٣

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٨ / ٣٤ ، والبحر المديد ٥ / ٧ .

^٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٨ / ٣٤ ، والبحر المحيط ٦ / ٤٠٠ - ٤١٠ ، ٨ / ٤٨٦ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢ / ٢٨٢ ،
وجامع البيان ٨ / ١٣ ، والحجّة في القراءات السبع / ٢٥٦ ، والشوّارد ، أو ما تفرّد به بعض أئمّة اللغة، الحسن بن
محمد بن الحسن الصّغاني (٦٥٠هـ)، تحقيق: مصطفى حجازي، الهيئة العامّة لشئون المطابع الأميريّة، القاهرة ط ٦
١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م / ١٦٦ ، واللباب في علوم الكتاب ١٤ / ١٩٠ .

^٣ ذكر هذه الأقوال الطبري : وقال مرجّحاً : إن الصواب من القول في ذلك أن يقال : إن سيناء اسم أضيف إليه الطور
يعرف به، كما قيل جبلا طيب ، فأضيفا إلى طيب ، ولو كان القول في ذلك كما قال من قال : معناه: جبل مبارك،
أو كما قال : من قال : معناه حسن ، لكان الطور منونا ، وكان قوله (سيناء) ، من نعته، على أن سيناء بمعنى:
مبارك وحسن ، غير معروف في كلام العرب ، فيجعل ذلك من نعت الجبل ، ولكن القول في ذلك إن شاء الله،
كما قال ابن عباس من أنه جبل عرف بذلك ، وأنه الجبل الذي نودي منه موسى ﷺ ، وهو مع ذلك مبارك، لا أن
معنى سيناء : معنى مبارك . وعلّق على قول الطبري مساع الطيّار عند تفسير قوله من قوله ﷺ : ((وطور سينين))
قائلاً : إن ما قاله الطبري صواب ، غير أنه يمتثل بعض هذه الأقوال ، فمن فسر بالجبل أراد بيان معنى الطور في
اللغة . كما أن قول قتادة : ((جبل بالشام مبارك حسن)) يمكن أن لا يكون تفسيراً لفظياً لسينين ، ولكنه أراد أن
هذا الجبل الذي في سيناء مبارك بما حفه من نزول الرسالة على موسى ، وهو حسن لما فيه ، أمّا تفسير عكرمة على
أن اللفظ بلغة الحبشة ، فبعيد ؛ لاختلاف اللفظتين ، وليس هذا تعريبها، لو كانت ممّا وقع للعرب من لغة الحبشة ،
ولا هي من العربية ، لو قيل باتفاق اللغتين في هذه اللفظ، ويدلّك على ذلك ما ورد عن النبي ﷺ في نطق اللفظة
الحبشية التي تدل على معنى الحسن ، حيث قال: سنا، وسنه، وسناه. يُنظَر: صحيح البخاري (الجامع الصحيح
المختصر) ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ -

والقراءتان جاءتا بالمدِّ ، وهو فيهما ممنوع من الصرف ، فقليل للعلمية والعجمة على قراءة الكسر؛ لأنَّ وزن فعلاء إذا كان عينه أصلاً لا تكون ألفه للتأنيث ، بل للإلحاق وألف الإلحاق لا تمنع الصرف ، وعلى قراءة الفتح فمنعه لأجل ألف التأنيث؛ لأنَّ وزن فعلاء من أوزان ألف التأنيث .

٣. ومن القراءات التي اختلفت فيها القراءة بين الفتح والكسر قراءة (وَأَلْوَتْرٍ) من قوله ﷺ: ﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ ذكر ابن عاشور فيها قراءتين ؛ الأولى : قراءة الجمهور (وَأَلْوَتْرٍ) بفتح الواو، وهي لغة قريش وأهل الحجاز .

والقراءة الثانية: قراءة حمزة والكسائي وخلف (الْوَتْرِ) بكسر الواو، وهي لغة تميم وبكر بن سعد بن بكر، وهم بنو سعد أظَّار النبي ﷺ وهم أهل العالية، فهما لغتان في الوتر بمعنى الفرد .

٤. ومن القراءات التي اختلفت فيها القراءة بين الفتح والكسر قراءة (قَرْنَ) من قوله

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ﴾

١٩٨٧م : كتاب اللباس / ٢٢ ، ومناقب الأنصار / ٢٧، والجهد / ١٨٨) كل هذا ورد عنه ، وهي لفظة حبشية بمعنى حسن . فأين هذه اللفظة من لفظة سينين . يُنظر : جامع البيان ١٨ / ١٣ - ١٤ ، والتحرير والتنوير ١٨ / ٣٤ ، والبحر المحيط ٨ / ٤٨٦ ، والبحر المديد ٢ / ٣٩٨ ، ٨ / ٥ ، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، وتتمته لتلميذه عطية محمد سالم، ط ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ٢٦ / ٥٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٢ / ١١٥ ، والكشف والبيان ٧ / ٤٤ ، ومعالم التنزيل ٥ / ٤١٤ ، واللباب في علوم الكتاب ١٤ / ١٩٠ ، والدُّرُّ المصون ١١ / ٣٥ ، ١٤ / ٣٦٨ ، وروح المعاني ١٨ / ٢٢ ، ٢٣ / ١٤١ ، ٢٧ / ٢٦ ، ٣٠ / ١٧٣ ، والسراج المنير، محمد بن أحمد الشريبي، شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ٢ / ٦٣٧ ، والجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للطباعة، (د.ت) ٣ / ٩٥ ، وزاد المسير ٩ / ١٧٠ ، وتفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار / ١٧٢ .

١ التحرير والتنوير ١٨ / ٣٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٢ / ١١٥ ، واللباب في علوم الكتاب ١٤ / ١٩٠ ، والدُّرُّ المصون ١١ / ٣٥ .

٢ سورة الفجر / ٣ .

٣ التحرير والتنوير ٣٠ / ٣١٥ .

٤ التحرير والتنوير ٣٠ / ٣١٥ .

الزَّكَاةَ وَأَطَعَنَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
 وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ذكر ابن عاشور فيها قراءة نافع وعاصم وأبي جعفر (وَقَرَنَ) بفتح
 القاف. وتوجيه أبي عبيدة عن الكسائي والفراء والزجاج بأنها لغة أهل الحجاز في (قَرَّ) بمعنى:
 أقام واستقرّ، يقولون: (قَرَرْتُ فِي الْمَكَانِ) بكسر الراء من باب (عَلِمَ) فيجاء مضارعه بفتح الراء
 فأصل (قَرَنَ) (أَقْرَزَنَ) فحذفت الراء الأولى للتخفيف من التضعيف وألقت حركتها على القاف
 نظير قولهم: أَحَسَنَ بِمَعْنَى أَحْسَسَنَ فِي قَوْلِ أَبِي زُبَيْدٍ :

سِوَى أَنَّ الْجِيَادَ مِنَ الْمَطَايَا أَحْسَنَ بِهِ فَهَنَّ إِلَيْهِ شُوسُ
 وذكر إنكار المازني وأبي حاتم أن تكون هذه لغة ، وأنَّ (قَرَرْتُ) بكسر الراء في الماضي
 لا يرد إلا في معنى قُرَّة العين ، وأنَّ القراءة حجة عليهما. وذكر التزام النحّاس قولهما، وزعمه أنَّ

^١ سورة الأحزاب / ٣٣ .

^٢ البيت لأبي زيد الطائي (لسان العرب : حسس) . ورواية الشطر الثاني فيه : حسين به فهن إليه شوس . وروي :

خَلَا أَنَّ الْعِتَاقَ مِنَ الْمَطَايَا أَحْسَنَ بِهِ فَهَنَّ إِلَيْهِ شُوسُ

قال: حس بالشياء يحس (كيقتل) حسا (بالفتح) وحسا (بالكسر) وحسيسا، وأحس به، وأحسه: شعر به. وأما قولهم
 "أحست بالشيء" فعلى الحذف كراهية التقاء المثليين. قال سيويه: وكذلك يفعل في كل بناء يبنى اللام من الفعل منه على
 السكون، لا تصل إليه الحركة، شبهوها بأقمت. الأزهرى: ويقال: هل أحست: بمعنى أحسست. ويقال: حست بالشيء
 إذا علمته وعرفته. قال: ويقال: أحسست الخبر وأحسته وحسيت وحست: إذا عرفت منه طرفا وتقول ما أحسست بالخبر
 وما أحست وما حسيت وما حست: أي لم أعرف منه شيئا. . وربما قالوا: حسيت بالخبر، وأحسيت به، يبدلون من
 السين ياء، قال أبو زيد: "خلا أن . . . البيت". قال الجوهري وأبو عبيدة يروي بيت أبي زيد؛ "أحسن به فهو إليه
 شوس". وأصله أحسن. أه. ويقال في ظل وما وما أشبهه كل مضعف مكسور العين في الماضي: ظللت أفعل كذا، بلامين،
 وظلت أفعل كذا بحذف اللام الأولى، وفتح الفاء. وظلت أفعل كذا، بحذف اللام ونقل حركتها إلى الظاء. يُنظَر: ديوانه
 /٩٦، وسمط اللآلي في شرح أمالي القاضي، أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري (٤٨٧هـ)، تحقيق: عبد العزيز
 الميمني، دار الحديث، بيروت مط ٤، ١٩٨٤م / ٤٣٨، ولسان العرب (حسس)، والمحتسب ١/١٢٣، وجامع البيان
 ١٨/٣٦٥، والمنصف ٣/٨٤، والإنصاف ١/٢٧٣، والخصائص ٢/٤٣٨، وشرح المفصل ١٠/١٥٤، ومجالس ثعلب، لأبي
 العباس أحمد بن يحيى ثعلب (٢٩١هـ) تحقيق: عبدالسلام محمّد هارون، دار المعارف بمصر ٢/٤٨٦، والمقتضب ١/٢٤٥،
 واللباب في علوم الكتاب ٥/٢٥٦، والدُرُّ المصون ١/١١٢.

تفسير الآية على هذه القراءة أنّها من قرّة العين ، وأنّ المعنى : واقرن عيوناً في بيوتكن، أي لكنّ في بيوتكن قرّة عين فلا تتطلّعن إلى ما جاوز ذلك ، فيكون كناية عن ملازمة بيوتهن .

فهذا أمر حُصِّصَ به وهو وجوب ملازمتهم بيوتهم توقيراً لهنّ، وتقوية في حرمتهم، فقراؤهنّ في بيوتهم عبادة، وأنّ نزول الوحي فيها وتردّد النبي ﷺ في خلالها يكسبها حرمة. وقد كان المسلمون لما ضاق عليهم المسجد النبوي يصلّون الجمعة في بيوت أزواج النبي ﷺ كما في حديث (الموطأ). وهذا الحكم واجب على أمهات المؤمنين وهو كمال لسائر النساء .

وقراءة بقیة العشرة (وَقِرْنَ) بكسر القاف . قال المبرّد : هو من القرار، أصله: (اقررن) بكسر الراء الأولى فحذفت تخفيفاً ، وألقيت حركتها على القاف، واستُعِي عن الألف، كما قالوا : (ظَلَّتْ) و (مَسَّتْ) . وذكر عن ابن عطية : أنّه يصحُّ أن يكون (قِرْنَ)، أي بكسر القاف أمراً من الوقار ، يُقال : وَقَرَ فلان يَقِرُّ ، والأمر منه قِرَ للواحد، وللنساء (قِرْنَ) مثل (عِدْنَ) ، أي فيكون كناية عن ملازمة بيوتهم مع الإيماء إلى علّة ذلك بأنّه وقار لهنّ ، وقال أبو علي : بل أُعِلَّ بأنّ أبدلت الراء ياء ، ونُقِلت حركتها إلى القاف ثمّ حذفت الياء لسكونها وسكون الراء بعدها .

٥ . ومثله قراءة (ظَلَّتْ) من قوله ﷺ : ﴿ قَالَ فَأَذْهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ

تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ نُخْلَفَهُ ، وَأَنْظِرَ إِلَىٰ إِلْهَيْكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْهَرِقَنَّهُ ، ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿١٧﴾ ﴾ ذكر ابن عاشور فيها قراءة (ظَلَّتْ) بفتح الظاء وسكون اللام في القراءات المشهورة، وأنّ أصله (ظَلَّلَتْ) حذفت منه اللام الأولى تخفيفاً

^١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٢ / ١٠ ، والمحَرَّر الوجيز ٥ / ٣٠٧ .

^٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٢ / ١٠ ، وجامع البيان ١٨ / ٣٦٥ ، واللّباب في علوم الكتاب ١٣ / ٧٨ - ٧٩ ، ٨٠ .

^٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٢ / ١٠ ، والمحَرَّر الوجيز ٥ / ٣٠٧ ، واللّباب في علوم الكتاب ١٣ / ٧٩ .

^٤ سورة طه / ٩٧ .

من توالي اللامين، وإبقاء الظاء على حالها من حركتها ، وهو عند سيويه حذف نادر، أو شاذاً
شذوذ قياس لا شذوذ استعمال ، ومنها (مَسْتُ) وَ (أَحَسْتُ) ، كقول أبي زيد :

سِوَى أَنَّ الْجِيَادَ مِنَ الْمَطَايَا أَحْسَنَ بِهِ فَهِنَّ إِلَيْهِ شُوسٌ
وعدَّ ابن الأنباري (هَمْتُ فِي هَمْتُ) مثل ذلك، فالحذف في الفتح ضعيف نحو (قَرَنَ فِي
الْمَنْزِلِ)، ومنه أحد توجيهي قراءة ((وَقَرَنَ فِي بُيُوتِكُنَّ)). ويرى غيره بأنه حذف قياسي، و (ظَلَّ)
هنا من أخوات (كان). ويدلُّ على اتصاف اسمه بخبره في وقت النهار، وجاء هنا مجازاً في معنى (دام)
بعلاقة الإطلاق ، بناء على أنَّ غالب الأعمال يكون في النهار .^٣

وقرأ ابن مسعود وقتادة والأعمش - بخلاف عنه - وأبو حَيَّوَة وابن أبي عبلة ويحيى بن
يعمر (ظَلَّتْ) بكسر الظَّاء ، وروي عن ابن يَعْمَر (ظَلَّتْ) بضمها . وقرأ أبي والأعمش في
الرواية الأخرى (ظَلَّلَتْ) بلامين أولهما مكسورة ، ومتى التقى التضعيف المذكور والكسرة نحو
(ظَلَّلْتُ) و(مَسِسْتُ) قيس الحذف . ويجري الضمُّ مجرى الكسر في ذلك ؛ لأنَّ الضمَّ أثقل من
الكسر ، نحو (عُضْنَ يَا نِسوة) أي اغضضن أبصاركن ذكره ابن مالك .^٤

٦. ومثله قراءة (وَقَرَى) من قوله ﷺ : ﴿ فَكُلِّي وَأَشْرِبِي وَقَرِي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينَ مِنْ

الْبَشْرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ ﴿٦١﴾ فُـرَاتٍ
و(وَقَرَى) بفتح القاف وكسر الراء مضعَّفة، وفتح القاف لأنه مضارع (قَرَرَتْ عَيْنُهُ) من باب
(رَضِيَ)، حيث أُدْغِمَتِ الراء في الراء، فنقلت حركة عين الكلمة إلى فائها في المضارع لسكونه .

^١ يُنْظَرُ : الكتاب (باب ما تكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة) ٤ / ١١٠ .

^٢ وقد سبق الحديث عنه .ص

^٣ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ١٦ / ٢٩٩ ، واللِّباب في علوم الكتاب ١١ / ٢٣٠ .

^٤ يُنْظَرُ : اللِّباب في علوم الكتاب ١١ / ٢٣٠ ، والكتاب (باب ما تكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة) ٤ / ١١٠ ، والدُّرُّ
المصون ١٠ / ٢٥٠ .

^٥ سورة مريم / ٢٦ .

^٦ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ١٦ / ٨٩ .

وقرأت (وقرى) بكسر القاف، في لغة نجد؛ يقولون: قرئت عينه تقر، بفتح العين في الماضي، وكسرها في المضارع، والمشهور: أن مكسور العين في الماضي لل (العين)، والمفتوحها في (المكان) يقال: قرئت بالمكان اقر به، وقد يقال: قرئت بالمكان بالكسر، كما سبق، وفي وصف العين بذلك تأويلان، أحدهما: أنه مأخوذ من (القر) وهو البرد؛ وذلك أن العين، إذا فرح صاحبها، كان دمعها قارًا، باردًا، وإذا حزن، كان حارًا؛ ولذلك إذا دعوا على أحد قالوا: (أسخن الله عينه) ، وإذا دعوا له قالوا: (أقر الله عينه) ، والتأويل الثاني: أنه أخذ من الاستقرار، والمعنى: أعطاه الله ما يسكن عينه فلا تطمخ إلى غيره .^١

٢. بين الضم والكسر

ومن القراءات التي أوردها ابن عاشور في تفسيره متناوبة بين الضم والكسر :

١. قراءة هاء الضمير في مثل (عليهم) من قوله تعالى : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾^(٧) ، ذكر ابن عاشور اختلاف القراء في حركة هاء

الضمير من قوله: ((أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ))، وقوله: ((غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ))، وما ضاهاهما من كل

ضمير جمع وتثنية، مذكر ومؤنث للغائب وقع بعد ياء ساكنة، على قراءات:

^١ يُنظَر: اللبَاب في علوم الكتاب ١١ / ٦٣ .

^٢ هاء الضمير هي هاء الكناية ، والمراد بها عند القراء الهاء الدالة على المفرد المذكر الغائب نحو له وبه وفيه ومنه وكتبه

ورسله واجتباه وهده وخذوه فغلوه. يُنظَر: النشر ١/٣٤٧، وغاية المرید في علم التجويد، القاهرة ط ٧/٢١٦،

والمقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء ، زكريا الأنصاري / ٧ ، والوجيز في علم التجويد، محمود سيوييه

البدوي / ١٠ ، وفتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية ، صفوت محمود سالم / ٣٦ - ٣٧ .

^٣ سورة الفاتحة / ٧ .

القراءة الأولى : قراءة الجمهور قرأوها بكسر الهاء (عليهم) تخلصاً من الثقل؛ لأنَّ الهاء حاجز غير حصين، فإذا ضُمَّت بعد الياء فكأنَّ ضُمَّتْها قد وليت الكسرة أو الياء الساكنة، وذلك ثقيل، وذكر أنَّها لغة قيس وتميم وسعد بن بكر .^١

والقراءة الثانية : قراءة حمزة بضم الهاء في (عليهم) و (إليهم) و (لديهم) فقط، وما عداها بكسر الهاء نحو (إليهما) و (صياصيهما) ، وذكر أنَّها لغة قريش والحجازيين .^٢

والقراءة الثالثة : قراءة يعقوب (عليهم) بضم الهاء في كلِّ ضمير من هذا القبيل ممَّا قبل الهاء فيه ياء ساكنة . وهذا هو ممَّا يرجع إلى قواعد علم القراءات في هاء الضمير .^٣

وذكر ابن عاشور اختلاف القراء في حركة هاء الضمير من قوله : ((أنعمت عليهم)) ، وقوله : ((غير المغضوب عليهم)) ، وما ضاهاهما من كلِّ ضمير جمع وتثنية، مذكَّر ومؤنَّث للغائب وقع بعد ياء ساكنة ، فذكر أنَّ الجمهور قرأوها بكسر الهاء ((عَلَيْهِمْ)) تخلصاً من الثقل؛ لأنَّ الهاء حاجز غير حصين ، فإذا ضُمَّت بعد الياء فكأنَّ ضُمَّتْها قد وليت الكسرة أو الياء الساكنة وذلك ثقيل، وذكر أنَّ هذه لغة قيس وتميم وسعد بن بكر. وأنَّ حمزة قرأ: (عَلَيْهِمْ)، و (إِيَّيْهِمْ) ، و (لَدَيْهِمْ) فقط بضمِّ الهاء ، وما عداها بكسر الهاء، نحو: (إِلَيْهِمَا)، و (صَيَاصِيهِمْ) ، وعدَّها لغة قريش والحجازيين. وذكر أنَّ يعقوب قرأ كلَّ ضمير من هذا القبيل ممَّا قبل الهاء فيه ياء ساكنة بضم الهاء .^٤

^١ التحرير والتنوير / ١ / ٢٠٠ .

^٢ التحرير والتنوير / ١ / ٢٠٠ .

^٣ التحرير والتنوير / ١ / ٢٠٠ .

^٤ التحرير والتنوير / ١ / ٢٠٠. يُنظَر : إبراز المعاني من حرز الأمامي / ١ / ١٤٨ ، ٣٧٥ ، ٥٠ / ٢ ، ٣٥٤ ، والنشر / ١ / ٣٤٧ ، ١٤١ / ٢ ، وإتحاف فضلاء البشر / ١٣٦ ، ٣٨٢ ، والبدور الزاهرة / ١٧ ، ٣٢٣ ، والتبيان في إعراب القرآن / ١ / ٩ ، ١٤٠ ، وغرائب القرآن / ٣ / ٢٩٤ ، وغاية المرید في علم التجويد / ٢١٦ ، والشمعة المضیة بنشر قراءات السبعة المرضیة ، أبو السعد: زين الدين منصور بن أبي النصر بن محمد الطبلابي (١٠١٤هـ)، تحقيق: د. علي سيد أحمد جعفر، مكتبة الرشد، الرياض ط ١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م / ١ / ٢١٢ ، وفتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية / ٣٦ ، وإحكام الأحكام في تجويد القرآن / ٤٤ ، والمقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء / ٧ ، والوجيز في علم التجويد . ١٠ /

وذكر أيضاً اختلاف القرّاء في قراءة حركة ميم ضمير الجمع الغائب المذكر في الوصل إذا وقعت قبل متحرّك، فالجمهور قرأوا: ((عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمُعْضُوبِ عَلَيْهِمْ)) بإسكان الميم، وأن ابن كثير وأبا جعفر وقالون في رواية عنه قرأوا بضمة مشبعة: ((غَيْرِ الْمُعْضُوبِ عَلَيْهِمْ)) وهي لغة بعض العرب، واستدل عليها بقول لبيد بن ربيعة بن مالك العامري في معلقته:

وَهُمُ السُّعَاةُ ، إِذَا الْعَشِيرَةُ أَفْطَعَتْ وَهُمْ فَوَارِسُهَا ، وَهُمْ حُكَّامُهَا
فجاء باللغتين، وأن ورشاً قرأ بضم الميم وإشباعها إذا وقع بعد الميم همز دون نحو: ((غير
المغضوب عليهم)) ، وأن الكلّ أجمعوا على إسكان الميم في الوقف .

٢ . من القراءات التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره متناوبة بين الضمّ والكسر قراءة

(الْبُيُوتَ) من قوله ﷻ : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ
الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ، وفي قوله : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ
تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ
اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴿٣٣﴾ قراءتين:

^١ يُنظَر : ديوان لبيد بن ربيعة، اعتنى به: حمّادو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، ط، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م / ١١٦، والمعلقات العشر، وأخبار شعرائها، أحمد أمين الشنقيطي، دار النصر للطباعة والنشر (د.ت) ٥/١١، وجمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، أبو زيد، محمد بن الخطاب القرشي (٢٣٠هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، نخسه مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط، ١٩٨١م / ٢٦٨، وجواهر الأدب في معرفة كلام العرب، علاء الدين بن علي الإربلي، (توفي في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري)، تحقيق: إميل بديع يعقوب، بيروت، دار النفائس ط ٦ / ١٩٩١م / ٢٩٣، ولسان العرب (فطع) ٨/٢٥٤، وتاج العروس (فطع) ٢١/٥٠٤، والصحاح (فغر) ٢/٤٧.

^٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ١/٢٠٠، والنشر ١/٣٤٧، ٢/١٤١، وإتحاف فضلاء البشر ١٣٦/١، ٣٨٢، والتبيان في إعراب القرآن ١/٩، ١٤٠، وغاية المرید في علم التجويد ١/٢١٦، والشمعة المضية ١/٢١٢، وإحكام الأحكام في تجويد القرآن ٤٤/٤٤، والوجيز في علم التجويد ١٠/١٠.

^٣ سورة البقرة / ١٨٩ .

^٤ سورة الأحزاب / ٣٣ .

القراءة الأولى : قراءة الجمهور (الْبَيُوتِ) في الموضعين في الآية بكسر الباء، وجاء على خلاف صيغة جمع (فَعَلَ) على (فُعُول) ، وقد كُسِرَتْ للتخفيف؛ لأنَّ الانتقال من حركة الضمِّ إلى النطق بالياء ثقيل، كما قرأوا (عِيُون) من قوله ﷺ : ﴿إِنَّ الْمُنْتَقِينَ فِي جَنَّتِ وَعِيُونٍ﴾^{٤٥} ، وذكر عن الزجاج ! أنَّ أكثر النحويين لا يعرفون الكسر (أي لا يعرفونه لغة)، وذكر أنَّ أبا عليٍّ بيّن جوازه .

٢

القراءة الثانية : قراءة أبي عمرو وورش عن نافع وحفص عن عاصم وأبي جعفر (الْبَيُوتِ) بضم الباء، وهو القياس؛ لأنَّه على أصل صيغة الجمع (فُعُول)، وهو مطرّد في جمع (فَعَلَ) بفتح الفاء وسكون العين، مع عدم الاعتداد ببعض الثقل؛ لأنَّه لا يبلغ مبلغ الثقل الموجب لتغيير الحركة ، حيث نقل قول ابن العربي في (العواصم): والذي اختاره لنفسه إذا قرأت أكرس الحروف المنسوبة إلى قالون إلاّ الهمزة، فإني أتركه أصلاً إلاّ فيما يحيل المعنى أو يلبسه، ولا أكرس باء (بيوت) ولا عين (عيون) ، ثمّ ذكر أنَّه أطال بما في بعضه نظر، وأنَّ هذا اختيار لنفسه بترجيح بعض القراءات المشهورة على بعض .

٣

وجاء في تاج العروس في جمع (ناب) على (نُيُوب) بالضّمّ إنَّه شاذٌّ واردٌ على غير قياس؛ لأنَّ (فَعَلًا) محرّكةٌ لا يُجمَعُ على (فُعُول). ثمّ نقل إنَّ شيخه قال: وبقي عليه (نُيُوب) بالكسر لأنَّه لغةٌ في كلِّ جَمَعٍ على (فُعُول) يائيّ العينِ كَبُيُوتٍ وعُيُوب .

٤

٣. قراءة (فَصْرُهُنَّ) من قوله ﷺ : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي

الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمِئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

^١ سورة الحجر / ٤٥ .

^٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢ / ١٩٩ ، ١٤ / ٢٣٧ ، ٢٢ / ١٠ .

^٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢ / ١٩٩ ، ١٤ / ٢٣٧ ، ٢٢ / ١٠ .

^٤ يُنظَرُ : تاج العروس (نيب) ١ / ٩٩٦ .

حَكِيمٌ ﴿٣٦﴾ ذكر ابن عاشور قراءة الجمهور (فَصَّرَهِنَّ) بضم الصاد وسكون الراء من (صَارَهُ) (يَصُورُهُ) على (فَعَلَ) (يَفْعُلُ) بفتح العين في الماضي، وضمَّها في المضارع وهي اللغة الكثيرة ، والشائعة .

٢

وفيه رأيان الأول : أنه من (صُرْتُ) الشيء (أَصُورُهُ) إذا أملتته إليه، ويقال رجل أصور أي مائل العنق، وصار فلان إلى كذا إذا قال به ومال إليه ، وهنا يقدر محذوف، أي: أملهن إليك وقطعهن، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً، فحذفت جملة (قطعهن) لدلالة الكلام عليه، كقوله ﷺ : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقْ فَمَكَانَ كُلِّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ ﴿٦٣﴾ على معنى: فضرب فأنفلق، لأنَّ قوله ((ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا)) يدلُّ على التقطيع. وأمره بضم الطيور إلى نفسه بعد أخذها ليتأمل فيها، ويعرف أشكالها، وهياتها؛ لئلا تلتبس عليه بعد الإحياء، ولا يتوهم أنها غير تلك الطيور.

والرأي الثاني : لابن عباس، وسعيد بن جبیر، والحسن، ومجاهد أن ((صُرَّهِنَّ إِلَيْكَ)) معناه قطعهن، يقال: صار الشيء يصورُهُ صوراً، إذ قطعه ، ومنه قول رؤبة بن العجاج يصف خصماً ألد:

٤

صُرَّنَاهُ بِالْحُكْمِ وَيَبْغِي الْحَكْمَا

٥

أي قطعه، وعلى هذا لا يحتاج إلى الإضمار .

١ سورة البقرة / ٢٦٠ .

٢ يُنظَرُ: التحرير والتنوير ٤٠/٣، ومعاني القرآن، للفراء ١٧٤/٢، واللباب في علوم الكتاب ٣٧٠/٤، ومفاتيح الغيب ٣٧/٧.

٣ سورة الشعراء / من ٦٣ .

٤ ويُنسَبُ إلى العجاج : صُرْنَا بِهِ الْحُكْمَ وَأَعْيَا الْحَكْمَا ، وقال ابن بري : إنَّ هذا الرجز الذي نسبه الجوهري للعجاج ليس هو للعجاج ، وإنما هو لرؤبة يخاطب الحكم بن صخر وأباه صخر بن عثمان وقبله :

أَبْلَغُ أَبَا صَخْرٍ بَيَانًا مُّغْلَمًا صَخْرُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَمْرٍو وَابْنُ مَا

يُنظَرُ : اللباب في علوم الكتاب ٣ / ٢٨٦ ، ولسان العرب (صور) ٤ / ٤٧١ .

٥ يُنظَرُ : مفاتيح الغيب ٣ / ٤٨٠ ، واللباب في علوم الكتاب ٣ / ٢٨٦ .

وقراءة حمزة وأبي جعفر وخلف ورويس عن يعقوب (فَصِرْهُنَّ) بكسر الصاد من (صَارَ)
(يَصِيرُ) بفتح العين في الماضي، وكسرها في المضارع ، وأثما لغة في هذا الفعل .
وفيها رأيان : الأول أَنَّ معنى (فَصِرْهُنَّ) (أَمَلْهُنَّ) ، وذكر الفراء إثما لغة هذيل وسليم،
وهي من صَارَهُ يَصِيرُهُ إذا أَمَّالَهُ .

والرأي الآخر أَنَّ معنى (فَصِرْهُنَّ) (قَطَّعْهُنَّ) ، قاله الأخفش وغيره ، وهو من صَارَهُ
يَصِيرُهُ إذا قَطَّعه، ويرى الفراء : أَنَّهُ مقلوبٌ من صَرَى يَصْرِي إذا قُطِّعَ ، فقُدِّمت ياؤها، كما قالوا
: عَنَّا وَعَاثَ ، ومنه قول الخنساء:

فَلَوْ يُلَاقِي الَّذِي لَأَقِيْتُهُ حَضِرُنْ لَطَلَّتِ الشُّمُّ مِنْهُ وَهِيَ تَنْصَارُ
أي : تنقطع ، وردَّ المبرد ذلك ، لأنَّ كلَّ واحد من هذين اللفظين أصل في نفسه مستقل بذاته،
فلا يجوز جعل أحدهما فرعاً عن الآخر .^٣

وقد نُقِلَ إجماع المفسرين على أَنَّ المراد بـ(صِرْهُنَّ) (قَطَّعْهُنَّ) ، لا (أَمَلْهُنَّ)، وأنَّ
إبراهيم قَطَّعَ أعضاءها ولحومها وريشها ودماءها ، وخلط بعضها على بعض ، ومن أنكر فقد
أنكر الإجماع . وجاء عن ابن منظور ومرتضى الزبيدي بعد أن نقلوا قول اللحياني : أَنَّ منهم من
فَسَّرَ صِرْهُنَّ : وَجَّهَهُنَّ ، و صِرْهُنَّ : قَطَّعَهُنَّ وَشَقَّقَهُنَّ . وأثما لُغَتَانِ بمعنى واحدٍ، ذكرا أَنَّ
كَلَّمَهُمْ فَسَّرُوا (فَصِرْهُنَّ) بِالضَّمِّ بـ(أَمَلْهُنَّ) ، وَفَسَّرُوا (فَصِرْهُنَّ) بِالْكَسْرِ بـ(قَطَّعَهُنَّ) .

وخالف أبو مسلم وفسَّرَ (صِرْهُنَّ إِلَيْكَ) بالإمالة والتمرين على الإجابة، وذكر أَنَّ
إبراهيم عليه السلام لما طلب إحياء الميت من الله تعالى قَرَّبَ له الأمر، بأن يعوِّد الطيور الأربعة
أن تطير بحيث إذا دعاها أجابته، عند ذلك أمره أن يجعل على كل جبل واحداً منها حال

^١ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ٣ / ٤٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٣ / ٣٠١ ، وتهذيب اللغة (صار) ٤ / ٢١٩ ، ولسان
العرب (صور) ٤ / ٤٧١ ، وتاج العروس (صور) ١ / ٣٠٨٠ ، ومعاني القرآن ، للفراء ٢ / ١٧٤ .

^٢ لم يُوجَد في ديوانها. يُنْظَرُ : الأضداد / ٣٧ ، والبحر المحيط ٢ / ٣٠٠ .

^٣ يُنْظَرُ : الجامع لأحكام القرآن ٣ / ٣٠١ - ٣٠٢ ، ومفاتيح الغيب ٣ / ٤٨٠ ، واللُّبَابُ فِي عِلْمِ الْكُتُبِ ٣ / ٢٨٦ ،
ولسان العرب (صور) ٤ / ٤٧١ ، ومعاني القرآن ، للفراء ٢ / ١٧٤ .

^٤ يُنْظَرُ : لسان العرب (صور) ٤ / ٤٧١ ، وتاج العروس (صور) ١ / ٣٠٨٠ .

حياته، ثم يدعهن يأتينه سعياً ، وهذا مثال لإبراهيم في عود الأرواح إلى الأجساد على سبيل السهولة. وبذلك أنكر أن يكون معنى (فَصُرْهُنَّ) قَطَّعُهُنَّ .

واحتج على ذلك بأمور منها :

١. أَنَّ المشهور في اللغة في قوله (فَصُرْهُنَّ) أَمِلُهُنَّ ، وَأَنَّ التقطيع والذبح ليس في الآية ما يدلُّ عليه .

٢. أَنَّ الله ﷻ لو أراد بـ (فَصُرْهُنَّ) قَطَّعُهُنَّ لم يقل (إليك) ، فَإِنَّ ذلك لا يتعدى إلى وإنما يتعدى بهذا الحرف إذا كان بمعنى الإمالة .

٣. أَنَّهُ لا يجوز التقديم والتأخير بحيث يُقَدَّر (فخذ إليك أربعة من الطير فصرهن) ؛ لَأَنَّهُ لا دليل ملجئ إلى التزام خلاف الظاهر .

٤. أَنَّ الضمير في (ثُمَّ ادعهن) عائد إليها لا إلى أجزائها، وإذا كانت الأجزاء متفرقة متفاصلة وكان الموضوع على كل جبل بعض تلك الأجزاء يلزم أن يكون الضمير عائداً إلى تلك الأجزاء لا إليها، وهو خلاف الظاهر، وكذا الضمير في (يَا أَيُّهَا سَعِيًّا) .

وقد ردَّ القائلون بالقول المشهور على أبي مسلم بأمور :

١. أَنَّ كل المفسرين الذين سبقوا أبا مسلم أجمعوا على أَنَّ إبراهيم ذبح تلك الطيور وقطَّع أجزائها.

٢. أَنَّ رأي أبي مسلم غير مختص بإبراهيم عليه السلام فلا مزية له على غيره .

٣. أَنَّ إبراهيم طلب من الله ﷻ أن يريه كيف يحيي الموتى ، وظاهر الآية يدلُّ على أَنَّ الله أجابه إلى ذلك، لا كما يزعم أبو مسلم .

٤. أَنَّ قول الله ﷻ : ((ثُمَّ اجعل على كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا)) يدلُّ على أَنَّ الطيور قُطِّعَتْ جزءاً جزءاً، وهو الأظهر من حمل الجزء على الواحد من تلك الطيور الأربعة؛ كما زعم

أبو مسلم ، وإن كان محتملاً .

^١ يُنظَر : مفاتيح الغيب ٣ / ٤٨١ ، ولسان العرب (صور) ٤ / ٤٧١ .

وفي تفسير ابن عاشور لمعنى (صرهنّ) رأي جميل حيث فسّرها ب(أذهنّ) أو (أملهنّ)، ولكنّه خالف أبا مسلم في رأيه ، وجعل فائدة الأمر بإدائها أن يتأمل أحوالها حتى يعلم بعد إحيائها أنّه لم ينتقل جزء منها عن موضعه ، وأنّ قوله ﷺ : ((ثُمَّ اجعل على كلّ جبلٍ منهنّ جزءاً)) عطف على محذوف دلّ عليه قوله ((جزءاً)) ؛ لأنّ تجزأتهنّ إنّما تقع بعد الذبح. فالتقدير فاذبحهنّ ثمّ اجعل على كلّ جبلٍ منهنّ جزءاً .

وذكر أنّ ((صرهنّ)) من صَارَهُ يَصُورُهُ وَيَصِيرُهُ بِمَعْنَى ، وذكر أنّه لفظ عربيّ على الأصح لا مُعَرَّبٌ ، وعليه الجمهور ، وقيل مُعَرَّبٌ ؛ فعن عكرمة وابن عبّاس أنّه معرّب من النبطيّة، وعن قتادة أنّه من الحبشيّة ، وعن وهب أنّه من الروميّة ، وعن أبي الأسود أنّه من السُريانيّة، ويحكى هذا عن مقاتل أنّ : (صُرْهُنَّ) أصله بالنبطية (صريه) .

والذي أذهب إليه هو الرأي الذي يقول إنّ (صرهنّ) معناها (قَطَعْنَهُنَّ)، وهو أرجح من (أَمَلُهُنَّ) ؛ لأنّه هو المراد من طلب إبراهيم أن تكون له خصوصيّة في فهم كيفية إحياء الله الموتى ، وأنّ الحجج التي ذكرها أبو مسلم - وإن كانت محتملة - لا تنفي بأنّ الله قد استجاب لإبراهيم في طلبه ، وأنّ من فسّر (صرهنّ) ب(أَمَلُهُنَّ) قدّر ب(أملهنّ إليك وقَطَعْنَهُنَّ) .

وهناك قراءات لم يذكرها ابن عاشور منها : قراءة ابن عباس (فَصْرُهُنَّ)، و(فَصْرُهُنَّ) بتشديد الراء ، مع ضم الصاد وكسرها ، مِنْ : صرّه يَصْرُهُ ، إذا جمعه؛ إلاّ أنّ مجيء المضغف المتعدّي على يَفْعِل - بكسر العين في المضارع - قليل .

وجاء عن أبي البقاء أنّ من شدّد الراء : منهم من يضمُّها (فَصْرُهُنَّ) على الاتّباع، ومنهم من يفتحها (فَصْرُهُنَّ) على التخفيف ، ومنهم من يكسرها (فَصْرُهُنَّ) على أصل التقاء الساكنين، كما جاء في (مُدَّهْنُ) .

٣. من القراءات التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره متناوبة بين الضمّ والكسر قراءة قراءة

(مُثْمٌ) من قوله ﷺ : ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ ﴾

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ٣ / ٤٠ ، واللّباب في علوم الكتاب ٣ / ٢٨٦ ، ومفاتيح الغيب ٧ / ٣٧ .

^٢ يُنظَر : الجامع لأحكام القرآن ٣ / ٣٠٢ ، واللّباب في علوم الكتاب ٣ / ٢٨٦ .

مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَيْنَ مُتَّمٍّ أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ، حيث ذكر قراءة نافع،
 وحزمة، والكسائي، وخلف (مِثْمٌ) بكسر الميم على لغة أهل الحجاز؛ لأنهم جعلوا ماضية مثل
 (خَافَ) ، حيث اعتبروه مكسور العين ، فجعلوا مضارعه من باب (قَامَ) فقالوا (يَمْوُتُ) ،
 ولم يقولوا (يَمَاتُ) ، فهو من تداخل اللغتين . وقراءة ابن كثير، وابن عامر، وأبي عمرو ، وعاصم
 ، وأبي جعفر ، ويعقوب (مِثْمٌ) بضم الميم على لغة سُفلى مضر، فقد جعلوه في الحالين من
 باب (قَامَ) .
 ٢

ومثله قراءة (مِثُّ) من قوله ﷻ : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ
 يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا ﴾ ﴿٢٣﴾ ، ذكر قراءة الجمهور (مِثُّ) بكسر
 الميم على لغة أهل الحجاز . وقراءة ابن كثير ، وابن عامر ، وأبي عمرو، وعاصم، وأبي جعفر
 (مِثُّ) بضم الميم على الأصل . وأتت لغتان في الفعل (مَاتَ) إذا اتَّصل به ضمير رفع
 متصل .
 ٤

٤ . من القراءات التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره متناوبة بين الضمِّ والكسر قراءة قراءة
 (سُوَى) من قوله ﷻ : ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ
 وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوَى ﴾ ﴿٥٨﴾ حيث ذكر فيها قراءتين: القراءة الأولى: قراءة نافع، وابن كثير،
 وأبي عمرو، والكسائي (سُوَى) بكسر السين، والكسر بوزن (فعل)، ثم ذكر قول أبي علي: أَنَّ
 وزن (فِعْلٌ) يقلُّ في الصفات ، نحو : قوم عِدَى . وقول أبي عبيدة، وأبي حاتم ، والنحاس : أَنَّ

^١ سورة آل عمران / ١٥٧ - ١٥٨ .

^٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير / ٤ / ١٤٣ .

^٣ سورة مريم / ٢٣ .

^٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير / ١٦ / ٨٦ .

^٥ سورة طه / ٥٨ .

كسر السين هو اللُّغة العالية الفصيحة ، وهو اسم وصف مشتق من الاستواء: فيجوز أن يكون الاستواء استواء التوسط بين جهتين. وأنَّ أبا عبيدة أنشد لموسى ابن جابر الحنفي :
 فَإِنَّ أَبَانَا كَانَ حَلَّ بِلْدَةٍ سُؤَى بَيْنَ قَيْسٍ قَيْسَ عَيْلَانَ وَالْفَزْرَ
 والفَزْر: لقب لسعد بن زيد مناة بن تميم هو بكسر الفاء، وأنه مكان نصف. وكأنَّ المراد أنه نصف من المدينة لثلا يشقُّ الحضور فيه على أهل أطراف المدينة. وهو مكان مستوي.
 والقراءة الثانية : قراءة عاصم ، وحمزة ، وابن عامر ، ويعقوب ، وخلف (سُؤَى) بضم السين^٣ .

وهما لغتان فصيحتان ، مثل (طَوَى) ، و (طَوَى) قال الفراء : ((الكسر والضمَّ عربيَّان، ولا يكونان إلاَّ مقصورين)) ، وذهب النحَّاس إلى أنَّ الكسر أشهر وأعرف . قيل إنَّ فيه ثلاث لغات : سَوَاء ، وَسَوَى ، وَسُؤَى . قال الطبري : ((والصواب من القول في ذلك عندنا، أنَّهما لغتان ، أعني الكسر والضمَّ في السين من (سَوَى) مشهورتان في العرب، وقد قرأ بكلِّ واحدة منهما علماء من القراء ، مع اتفاق معنيهما ، فبأَيَّتِههما قرأ القارئ فمصيب . وللعرب في ذلك إذا كان بمعنى العدل والنصف لغة هي أشهر من الكسر والضمَّ وهو الفتح، كما

^١ يُنظَر : الجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢١٢ .

^٢ البيت لموسى بن جابر الحنفي (لسان العرب : سَوَى) قال : قال الأخفش : سَوَى إذا كان بمعنى غير أو العدل يكون فيه ثلاث لغات : إن ضمت السين أو قصرت فيهما جميعا ، وإن فتحت مددت . تقول : ما كان سُؤَى وَسَوَى وسَوَاء : أي عدل ووسط بين الفريقين ، قال موسى بن جابر : " وجدنا أبانا . . . البيت " . والفزر : أبو قبيلة من تميم ، وهو سعد بن زياد مناة بن تميم . يُنظَر : وجامع البيان ١٨ / ٣٢٢ .

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٦ / ٢٤٥ - ٢٤٦ .

^٤ معاني القرآن ٢ / ١٨٢ .

^٥ يُنظَر : إعراب القرآن ٣/٢٩، والسبعة في القراءات /٤١٨، والبحر المحيط ٦/٢٣٦ .

^٦ يُنظَر : المخصَّص ١٥ / ١٥١ .

قال جل ثناؤه قوله ﷺ: ﴿ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾^١ ، وإذا فتح السين منه^١ مدّ، وإذا كسرت أو ضمت قصر)) .

٢

٥. من القراءات التي ذكرها ابن عاشور متفاوتة بين الضم والكسر قراءة (سِخْرِيًّا) ﴿

٣

فَأَتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ حيث ذكر فيها قراءتين هما :

القراءة الأولى : قراءة نافع والكسائي وأبي جعفر وخلف (سُخْرِيًّا) بضم السين. وقال: إنَّ أصل مادّة (سخر) مؤذن بأنَّ الفاعل اتَّخَذَ المفعول مسخراً يتصرّف فيه كيف شاء بدون حرمة لشدة قرب مادّة (سخر) المخفّف من مادّة (التسخير) ، أي التطويع، فكأنّه حوّله عن حقّ الحرمة الذاتية ، فاتَّخَذَ منه لنفسه سخرية ، و سخر بمعنى هزأ، ويتعدّى إلى المفعول بـ (مِنْ) ، قيل : لا يتعدّى غيرها. وقيل : يتعدّى بالباء. وكذا الخلاف في تعدية هزأ واستهزأ. ثمَّ رجّح أنّ كلا الفعلين يتعدّى بحرف (مِنْ) والباء ، وأنّ الغالب في (هزأ) أن يتعدّى بالباء، وفي (سخر) أن يتعدّى بـ (مِنْ) .

٤

القراءة الثانية : قراءة الباقيين (سِخْرِيًّا) بكسر السين ، والقراءتان وجهان ومعناهما واحد عند المحقّقين من أئمّة اللّغة لا فرق بينهما ، وذكر خلاف أبي عبيدة والكسائي والفرّاء الذين جعلوا المكسور مأخوذاً من سَخَرَ بمعنى هزأ ، والمضموم مأخوذاً من السُّخْرَة بضمّ السين، وهي الاستخدام بلا أجر . فلما قصد منه المبالغة في حصول المصدر أدخلت ياء النسبة كما يقال : الخصوصية لمصدر الخصوص .

^١ سورة آل عمران / من آية ٦٤ .

^٢ جامع البيان ١٨ / ٣٢٢ .

^٣ سورة المؤمنون / ١١٠ .

^٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ٧ / ١٤٧ .

وسلّط الاتخاذ على المصدر للمبالغة كما يوصف بالمصدر . والمعنى : اتخذتموهم مسخوراً بهم ، فنصب سخرياً (على أنه مفعول ثانٍ ل (اتخذتموهم) .^١

وكذلك قرئ (سَخِرِيًّا) من قوله ﷺ : ﴿ اتَّخَذْنَهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴾

﴿ ٦٣ ﴾ قال ابن عاشور : ((والسخريّ : اسم مصدر سَخِرَ منه ، إذا استهزأ به ، فالسخريّ الاستهزاء ، وهو دال على شدة الاستهزاء ؛ لأنّ ياءه في الأصل ياء نسب ، وياء النسب تأتي للمبالغة في الوصف . وقرأ نافع وحزمة والكسائي وأبو جعفر وخلف بضمّ السين . وقرأه الباقون بكسر السين)) . وقد عُزِيَ الكسر إلى قريش ، والضمُّ إلى تميم .^٤

(و سَخِرِيًّا) من قوله ﷺ : ﴿ أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ

خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿ ٣٢ ﴾ ، ذكر أنّهما لغتان بضمّ السين وبكسرهما ، وأنّه لم يقرأ في القراءات المشهورة إلا بضمّ السين . وقرأ ابن محيصن في الشاذّ بكسر السين (سَخِرِيًّا) : اسم للشيء المسخّر ، أي المجبور على عملٍ بدون اختياره ، واسمٌ لمن يُسَخَّرُ به ، أي يستهزأ به كما في (مفردات) الراغب و (الأساس) و (القاموس) . وأنّه قد فُسِّرَ هنا بالمعنيين .^٩

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٨ / ١٢٩ .

^٢ سورة ص / ٦٣ .

^٣ التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٩٣ .

^٤ يُنظَر : اللغات في القرآن ، ابن حسنون / ٤١ .

^٥ الزخرف / ٣٢ .

^٦ يُنظَر : مفردات ألفاظ القرآن ، مادة (سخر) ١ / ٤٦٤ .

^٧ يُنظَر : أساس البلاغة ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (٥٣٨هـ) ، تحقيق : محمّد باسل عيون السّود ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م (سخر) ١/٤٤٣ .

^٨ يُنظَر : القاموس المحيط ، الفيروزآبادي : مجد الدين ، محمد بن يعقوب ، (٨١٧هـ) ، تحقيق : مكتب التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف : محمد نعيم العرقسوسي ، بيروت ، مؤسسة الرسالقط ١٩٩٨م ١ / ٤٢١ .

^٩ يُنظَر التحرير والتنوير ٢٥ / ٢٠١ .

وذكر القرطبي عن النحاس: أن أبا عمرو فرّق بينهما ، فجعل المكسورة من جهة التهزؤ، والمضمومة من جهة السخرة، ولا يعرف هذا التفريق الخليل ولا سيبويه ولا الكسائي ولا الفراء .

وعن الكسائي: أهما لغتان بمعنى واحد، كما يُقال: عُصِيَّ وَعَصِيَّ، ولُجِيَّ ولُجِيَّ .

ونقل ابن عاشور عن ابن عطية: أهما لغتان في معنى التسخير ولا تدخُلُ المعنى الهُزء في هذه الآية، وأنه لم يقل غيره ذلك، وأنّ كلام الراغب محتمل، وأنّ الطبري اقتصر على معنى التسخير، وذكر أنّ المعنيين معتبران في هذه الآية . وإيثار لفظ (سخرياً) في الآية دون غيره لتحمله للمعنيين، وذكر أنّه اختيار من وجوه الإعجاز ؛ فيجوز أن يكون المعنى ليتحمّل بعضهم بعضاً في شؤون حياتهم فإنّ الإنسان مدني ، أي محتاج إلى إعانة بعضه بعضاً، وعليه فسّر الزمخشري، وابن عطية ، وقاله السّدي ، وقتادة ، والضحاك ، وابن زيد .

وذكر أنّ لام (لِيَتَّخِذَ) لام التعليل ، تعليلاً لفعل (فَسَمْنَا) . وقال: إنّه يجوز أن تكون اسماً من السّخرية وهي الاستهزاء. وإنّ القرطبي حكاها ولم يعين قائله ، وإنّه على هذا تعريض

بالمشركين الذين استهزؤوا بالمؤمنين كقوله ﷺ : ﴿ فَأَتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي

وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ . وأنّ لفظ السخري قد جاء بمعنى الاستهزاء في آيات

أخرى، كقوله ﷺ في هذه الآية ، وكقوله ﷺ : ﴿ اتَّخَذْنَاهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾

﴿ . وأنّ الذي جعل ببعض المفسّرين يعدلون عن تفسير آية سورة الزخرف بهذا المعنى استنكارهم أن يكون اتخاؤ بعضهم لبعض مسخرة علّة لفعل الله تعالى في رفعه بعضهم فوق بعض درجات ، ولكنّ تأويل اللفظ واسع في نظائره وأشباهه. وتأويل معنى اللام ظاهر .

^١ يُنظَر : الجامع لأحكام القرآن ١٢ / ١٥٤ ، وإعراب القرآن ٢ / ٤٢٩ .

^٢ يُنظَر : الجامع لأحكام القرآن ١٢ / ١٥٤ ، معاني القرآن ٣ / ٣١ ، وجامع البيان ١٨ / ٦١ ، وإعراب النحاس ٣ / ٨٧ ،

والكشاف ٣ / ٤٤ .

^٣ يُنظَر التحرير والتنوير ٢٥ / ٢٠١ .

^٤ سورة المؤمنون / ١١٠ .

^٥ سورة ص / ٦٣ .

^٦ يُنظَر التحرير والتنوير ٢٥ / ٢٠٢ .

وقيل : إِنَّ الكسر في (سَخْرِيًّا) وما يماثلها أكثر ؛ لأنَّ الضمَّة فيه وفي^١ ما يماثله تستثقل، ونقل الأزهري عن الفرَّاء أنَّ الضمَّ أجود .^٢

٦ . من القراءات التي ذكرها ابن عاشور متناوبة بين الضمِّ والكسر قراءة (جِيلاً) من

قوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِيلاً كَثِيراً^٣ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾^٤ ذكر فيه ثلاث قراءات:^٥

القراءة الأولى : قراءة نافع وعاصم وأبي جعفر (جِيلاً) بكسر الجيم وكسر الموحدة وتشديد اللام .

القراءة الثانية : قراءة ابن كثير وحزمة والكسائي وخلف ورويس عن يعقوب (جُبُلاً) بضم الجيم وضم الباء الموحدة وتخفيف اللام .

القراءة الثالثة : قراءة ابن عامر وأبي بكر (جُبُلاً) بضم الجيم وسكون الباء .

وفسّر الجبل : بالجمع العظيم ، وأنّه مشتقٌّ من الجبل بإسكان الباء بمعنى الخلق .^٤

وقل مثل ذلك في قوله ﷻ : ﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولِينَ ﴾^٥ .

وفسّر الجبلة : بالخلقة ، وأنّه أريد به المخلوقات ؛ لأنّ الجبلة اسم كالمصدر، ولهذا وُصِفَ بـ (الأولين). وذكر رأياً آخر بصيغة التمرّيز : أنّ (الجبلة) أُطلقَ لعلّ أهلها، أي وذوي الجبلة الأولين. والمعنى : الذي خلقكم وخلق الأمم قبلكم .^٦

^١ يُنظَر : شمس العلوم ٥ / ٨٤ .

^٢ يُنظَر : تهذيب اللغة ٧ / ١٦٧ ، ولسان العرب في مادة (سخر) ، والقراءات القرآنية في المعجمات اللغوية / ٦١٢ .

^٣ سورة يس / ٦٢ .

^٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٣ / ٤٨ .

^٥ سورة الشعراء / ١٨٤ .

^٦ بقوله : (قيل) ، فهذه اللفظة تدلُّ على ضعف هذا القول ، وأنّه قول مرجوح .

^٧ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٩ / ١٨٥ .

٧. من القراءات التي ذكرها ابن عاشور متناوبة بين الضمّ والكسر قراءة (شَوَاطٌ) من

قوله ﷺ : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاطُ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ ﴾^١ ذكر فيه قراءتين:

القراءة الأولى : قراءة الجمهور (شَوَاطٌ) بضم الشين .

القراءة الثانية : قراءة ابن كثير (شِوَاطٌ) بكسر الشين .

وفسّر الشواط بضم الشين وكسرهما : باللهب الذي لا يخالطه دخان؛ لأنّه قد كمل اشتعاله وذلك أشدّ إحراقاً .^٢

وذكر عن النّحاس : أنّه يُطلق على الدخان الذي لا لهب معه . وبه فسّر ابن عباس وسعيد بن جبير وتبعهما الخليل .

ثمّ قال : إنّ المعنى عليه : أنّ الدخان الذي لم تلحقهم مضرّته والاختناق به بسبب شدّة لهب الشواط يضاف إلى ذلك الشواط على حياله فلا يفتنون من الأمرين .

وإنّ النّحاس يطلق على الصّفّر وهو القطر . وبه فسّر مجاهد وقتادة، وروي عن ابن

عباس أيضاً . فالمعنى : أنّه يصبّ عليهم الصّفّر المذاب .^٣

وقراءة الكسر (شِوَاطٌ) على لغة بني كلاب ، وذهب ابراهيم أنيس إلى أنّ بني كلاب تأثروا بلهجات الحجاز؛ لأنّهم عاشوا على طريق الحجازيين عند ذهابهم إلى بلاد الشام .

وقد أجمعت المصادر العربيّة على أنّ (شِوَاطٌ) ، و (شِوَاطٌ) لغتان بمعنى : اللهب ،

وذكر ابن السكّيت أنّ (شِوَاطٌ) بالكسر لغة الكلابيين ، و (شِوَاطٌ) بالضمّ لغة باقي العرب ،

وعليها قراءة جمهور القرّاء .^٤

^١ سورة الرحمن / ٣٥ .

^٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٧ / ٢٦٠ .

^٣ التحرير والتنوير ٢٧ / ٢٦٠ .

^٤ ١٩ / ١٨٥ - ١٨٦ .

^٥ يُنظَرُ : إصلاح المنطق / ١٠٦ ، والمخصّص ١٥ / ٨٦ .

^٥ يُنظَرُ : في اللهجات العربيّة / ٩٥ .

وقال الجندي : إنَّ ابن كثير المكي ، وابن محيصن القرشي قرأ بالكسر كونهما يمثَّلان لهجتهما المضريَّة التي تنح إلى الكسر ، وهذا ليس قاعدة مطَّردة؛ لأنَّ القراءات قائمة على الاختيار الذي يتجاوز في كثير من الأحيان قيود لهجات المقرئين، ويخالف قوانينهم .

ذكر ياقوت الحموي في معجم الأدباء أنَّ المرزباني حدَّث عن عبد الله بن جعفر عن ابن قادم عن الكسائي قال: حججت مع الرشيد فقدمت لبعض الصلوات فصليت فقرأت:

((ذُرِّيَّةٌ ضِعْفًا خَافُوا)) من قوله ﷺ: ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا

خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^١ ، فأملت ((ضِعْفًا))، فلَمَّا سلمت

ضربوني بالنعال والأيدي وغير ذلك حتَّى عُشي عليّ ، واتَّصل الخبر بالرشيد فوجه بمن استنقذني، فلما جئته قال لي : ما شأنك ؟ فقلت له : قرأت لهم ببعض قراءات حمزة الرديئة ففعلوا بي ما بلغ أمير المؤمنين ، فقال : بئس ما صنعت ! ثمَّ ترك الكسائي كثيراً من قراءة حمزة .

وذكر أنَّ أبا بكر محمد بن يحيى بن سليمان المروزي قال سألت خلف بن هشام: لم سُمِّي

الكسائي كسائياً. قال : دخل الكسائي الكوفة فجاء إلى مسجد السبيع، وكان حمزة بن حبيب الزيات يقرأ فيه ، فتقدَّم الكسائي مع أذان الفجر وهو ملتفُّ بكساء، فرمقه القوم بأبصارهم، فقالوا : إنَّ كان حائكاً فسيقراً سورة يوسف ، وإنَّ كان ملاحاً فسيقراً سورة طه ، فسمع ، فابتدأ بسورة يوسف ، فلَمَّا بلغ قصة الذئب قرأ : ((فَأَكَلَهُ الذِّبُّ)) بغير همز في قوله ﷺ: ﴿

^١ يُنظَر : معاني القرآن، للفرَّاء ٣/١١٧، وجامع البيان ٢٧/١٤ ، وإعراب القرآن، للنخَّاس ٣/٣٠٩، وديوان العرب ٣/٣٨٨، والحجَّة في القراءات السبع ٣٣٩/٣، والكشف عن وجوه القراءات ٢/٣٠٢، وشمس العلوم ٥/٤٦٩ .

^٢ يُنظَر : والقراءات القرآنيَّة في المعجمات اللُّغويَّة / ٦١٤ .

^٣ يُنظَر : اللهجات العربيَّة في التراث / ٢٥٤ .

^٤ سورة النساء / ٩ .

^٥ يُنظَر : معجم الأدباء، ياقوت: أبو عبد الله، بن عبد الله الحموي (٦٢٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ط ٩ ١٩٩١م ٢/٦٦٦، والوافي بالوفيات ٦/٣٨٣ .

قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ، وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ ،
 فقال له حمزة : (الذئب) بالهمز. فقال الكسائي: وكذلك أهمز (الحوت) ((فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ))
 في قوله ﷺ : ﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ ﴿١٤٢﴾ . قال: لا. قال: فلمْ هَمَزت الذئب ولم تهمز
 الحوت ؟ وهذا فأكله الذئب، وهذا فالتقمه الحوت ؟ فرفع حمزة بصره إلى خلاد الأحول ، وكان
 أجمل غلمانه، فتقدم إليه في جماعة من أهل المجلس، فناظروه فلم يصنعوا شيئاً . فقالوا : أفدنا
 يرحمك الله. فقال لهم الكسائي: تفهموا عن الحائك؟ تقول إذا نسبت الرجل، إلى الذئب: قد
 استذاب الرجل، فلو قلت: استذاب - بغير همز - لكنت إنما نسبته إلى الهزال، تقول: قد
 استذاب الرجل إذا استذاب شحمه - بغير همز- وإذا نسبته إلى الحوت تقول: قد استحات
 الرجل، أي كثر أكله؛ لأنَّ الحوت يأكل كثيراً، لا يجوز فيه الهمز، فلتلك العلة همز الذئب ولم
 يهمز الحوت، وفيه معنى آخر: لا تسقط الهمزة من مفرده ولا من جمعه، وأنشدهم:
 أَيُّهَا الذِّئْبُ وَابْنُهُ وَ أَبُوهُ أَنْتَ عِنْدِي مِنْ أَذْوَابِ ضَارِيَاتِ
 قال : فسُمِّي الكسائي من ذلك اليوم .
 ٤

١ سورة يوسف / ١٣ .

٢ سورة الصافات / ١٤٢ .

٣ يُنظَر : معجم الأدباء ٢ / ٦٥ ، والأنساب، للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني
 (٥٦٢هـ)، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، دار الجنان، بيروت ط ٩
 ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ٥/٦٦، والمحتسب ٩/١، وإنباه الرواة ٢/٢٥٨، والوافي بالوفيات ٦/٣٨٢، ونزهة الألباء في
 الألقاب، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد
 العزيز بن محمد بن صالح السايدي، مكتبة الرشد، الرياض ط ٩ ١٩٨٩م / ٢٨ .

٤ وقد قيل في سبب تسمية الكسائي كسائياً قولاً آخر حيث أخرج الخطيب في تاريخه ١١/٤٠٤ ، من طريق محمد بن
 سليمان بن محبوب، عن أبي عبد الرحمن البصري مردويه ، عن علي بن الخياط المدني ، عن عبد الرحيم بن موسى
 قال: قلت للكسائي : لم سميت الكسائي؟ ، قال : لأني أحرمت في كساء . يُنظَر : تاريخ البغدادي ١١/٤٠٤ ،
 ومعجم الأدباء ٢ / ٦٥ ، والأنساب ٥ / ٦٦ ، والمحتسب ٩/١ ، وإنباه الرواة ٢/٢٥٨، والوافي بالوفيات ٦ /
 ٣٨٢ نزهة الألباء / ٢٨ ، والطيوريات ١٧ / ٤ .

فمن هذين الأثرين يمكن أن ترد التساؤلات الآتية : ألا نفهم من هذا أن القراءات قائمة على الاختيار الذي يتجاوز في كثير من الأحيان قيود لهجات المقرئين ، ويخالف قوانينهم؟ وإلا فكيف يُسمِّي الكسائي - إن صح الخبر - بعض قراءات حمزة بالرديئة، بل يترك القراءة بها؟ وهو يعلم أنها مأخوذة بالأثر؟ ثمَّ أما كان يكفي حمزة أن يقول للكسائي: هكذا أقرأنيها من قرأت على أيديهم بدل أن يتلمَّس وجهًا لما اختاره من قراءة !

ومن خلال هذا تتبادر إلى الذهن ظاهرة الاختيار في علم القراءات، وهي: انتقاء القارئ من مجموع مروياته قراءة يعتمدها وتضاف إليه . وهو يختلف عن الرواية في كونها في الأصل قراءة شيخه بروايته ، فهي من رواية واحدة ، والاختيار من مجموع مروياته. وهو التوليف بين القراءات الثابتة ينتج عنها قراءة خاصَّة به ، فلو سمع مثلاً سورة الأنبياء من تابعي معيَّن يقرأ في بداية السورة بالإمالة ، وهي ثابتة عن الرسول ﷺ وفي النهاية من غير إمالة، وهي أيضا ثابتة عن الرسول ﷺ ، وسمع من تابعي آخر يقرأ في بداية السورة من غير إمالة، وفي نهاية السورة بالإمالة ، فألَّف بين القراءتين الثابنتين عن الرسول ﷺ فأخذ من قراءة الأوَّل لبداية السورة، وأخذ من قراءة الأخير من آخر السورة ، وهكذا أصبحت السورة كلَّها بالإمالة، وكلَّها متواترة ، وهذا هو التاليف أي التوليف ، وهو الاختيار بين القراءات المختلفة؛ لأنَّه من الممكن أنَّ التابعي قد سمع من صحابي ، هذا الصحابي الجليل قد سمع الرسول ﷺ يقرأ الآيات في بداية السورة بالإمالة ، وبعد ذلك سمعه يقرأ نهاية السورة من غير إمالة؛ لأنَّ القرآن نزل منجمًا، فأخذ هذا الصحابي السورة كما سمعها هو من النبي ﷺ، وجاء صحابي آخر وسمع من الرسول في البداية من غير إمالة والنهية بإمالة، ونقل عنهم التابعي، فتمَّ الاختيار من بين هذه القراءات المتواترة .

قال مكِّي بن أبي طالب : ((وهؤلاء الذين اختاروا إمَّا قرؤوا لجماعة، وبروايات، فاختر كلُّ واحد ممَّا قرأ وروى قراءةً تُنسبُ إليه بلفظ الاختيار)).^٢

^١ يُنظر : رسالة (الاختيار في القراءات والرسم والضبط) ، لمحمد بالوالي / ١٢ ، رسالة (الاختيار عند القراء مفهومه ومراحله) ، لأمين فلاته / ٤٠ .

^٢ الإبانة / ٨٩ .

وقال القرطبي : ((وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء ، وذلك أنّ كل واحد منهم اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءات ما هو الأحسن عنده والأولى فالتزمه طريقة ، ورواه وأقرأ به واشتهر عنه وعرف به ونسب إليه ، فقليل حرف نافع وحرف ابن كثير ولم يمنع واحد منهم اختيار الآخر ولا أنكره ، بل سوغه وجوزه ، وكل واحد من هؤلاء السبعة روي عنه اختيران أو أكثر وكل صحيح ، وقد أجمع المسلمون في هذه الأعصار على الاعتماد على ما صحَّ عن هؤلاء الأئمة ممَّا روه ورواه من القراءات)) .^١

هذا ويرى الأستاذ فلاته أنّ هذا المصطلح (الاختيار) متأخر عن عصر الرواية ، وأنّ أقدم نصّ ورد فيه ذلك ؛ القول المشهور لابن مجاهد عندما سأله أن يختار لنفسه حرفا . كما يرى -أيضا- أنّه في أوائل القرن الخامس (العصر الذي عاش فيه ابن زنجلة) قد تحول الاختيار من اختيار قراءة إلى اختيار الطرق ، وأصبح لا يعدو أن يكون اصطفاً أو ترجيحاً لوجه معيّن ، كما فعل مكّي بن أبي طالب في الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها ، وكان ينبّه في ثناياه على اختياره ويذكر توجيه القراءات والعلل ، ويختار التوجيه الأقرب في نظره . وهذا عين ما صنعه ابن زنجلة .^٢

فهل كان مكّي وابن زنجلة وابن خالويه وغيرهم يقصدون باختياراتهم هذا المعنى ؟ أمّا ابن زنجلة فلم يقدّم لكتابه ، وابن خالويه قدّم بمقدمة مقتضبة ولم يشر لذلك ، لكنّ مكّي بن أبي طالب صرّح بذلك عندما قال : ((ثمّ إذا صرنا إلى فرش الحروف ذكرنا كل حرف ، ومن قرأ به وعلته وحجّة كل فريق ، ثمّ أذكر اختياري في كل حرف وأنبّه على علة اختياري لذلك ، كما فعل من تقدّمنا من أئمة المقرئين)) .^٣

فلعلّ هؤلاء العلماء كانوا هم كبار القراء في عصورهم ، فاستجازوا الاختيار بناء على أصل الإباحة ، وإن لم يريدوا أن يؤخذ ذلك ويروى عنهم على أنّه قراءة .

^١ الجامع لاحكام القرآن ١ / ٤٦ .

^٢ يُنظر : الاختيار عند القراء مفهومه ومراحله ، لأمين فلاته / ١٠٣ - ١٠٤ .

^٣ الكشف عن وجوه القراءات / ٥ .

غير أن ابن زنجلة كان يستخدم مصطلح الاختيار في التفضيل بين الأوجه الإعرائية، فيكون هذا من باب الترجيح، على خلاف ما إذا استخدمه في القراءات ، حيث يظهر من عبارته معنى التفضيل دون ردّ للروايات الأخرى أو تضعيف لها ، وإليك نموذجاً من ذلك:

قال ﷺ: ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾^١ قال : ((قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ((بمفازاتهم)) جماعة مثل (مكانتكم) و(مكاناتكم)، وقرأ الباقر ((بِمَفَازَتِهِمْ)) واحدة أي بخلص ، وهو الاختيار؛ لأنه بمنزلة السعادة والمفاضة، كما قال ﷺ: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^٢ والمفاضة مصدر مثل الفوز، فإفراد المفاضة كإفراد الفوز ، ووجه الجمع : أن المصادر قد تجمع إذا اختلفت أجناسها؛ لأن لكل واحد مفاضة غير مفاضة الآخر)) ، فلم يمنعه اختياره لقراءة الإفراد، توجيه قراءة الجمع، ولو أراد بالاختيار الترجيح لأبطل حجة القول المرجوح .

٨. من القراءات التي ذكرها ابن عاشور متناوبة بين الضم والكسر قراءة (وَالرُّجْزَ) من

قوله ﷺ: ﴿ وَالرُّجْزَ فَأَهْجُرْ ﴾^٣ ذكر فيه قراءتين :^٤

القراءة الأولى : قراءة الحسن البصري ، وابن محيصة ، وعاصم في رواية حفص، وأبوجعفر، ويعقوب، وغيرهم (وَالرُّجْزَ) بضم الراء . وعن أبي عبيدة : الضم أقيس اللغتين، وأكثرهما .^٥

١ سورة الزمر / ٦١ .

٢ سورة آل عمران / ١٨٨ .

٣ حجة القراءات ١ / ٦٢٤ .

٤ سورة المدثر / ٥ .

٥ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٩ / ٢٩٨ ، واللباب في علوم الكتاب ١٩ / ٤٩٨ .

القراءة الثانية : قراءة (الرَّجَزِ) بالكسر ، وقال عنهما : إِنْهُمَا لَغَتَانِ ، والمعنى واحد عند جمهور أهل اللُّغة. نقل عن أبي العالية والربيع والكسائي : أَنَّ (الرَّجَزَ) بالكسر العذاب والنجاسة والمعصية، وبالضمّ الوثن. ثمَّ قال : إِنَّ الرجز يحمل هنا على ما يشمل الأوثان وغيرها من أكل الميتة والدم .

وقال مجاهدٌ : هو بالضمّ (الرُّجْزُ) اسم صنم، ويعزى للحسن البصري أيضاً، وبالكسر (الرَّجْزُ) ويذكر: اسم للعذاب، وعلى تقدير كونه العذاب، فلا بدّ من حذف مضاف، أي: أهدر أسباب العذاب المؤدّية إليه، أقام السبب مقام المسبّب، وهو مجاز شائع بليغ.

وقال السديّ : (الرَّجْزُ) ، بنصب الراء : الوعيد. وقال مجاهد وعكرمة: المراد بالرجز:

الأوثان، لقوله ﷺ : ﴿ ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعْظِمُ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآنَعَامُ إِلَّا مَا يَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ ، وقال ابن عباس أيضاً: والمأثم فاهجر، أي فاترك، وكذلك روى مغيرة عن إبراهيم النخعي، قال: (الرجز): الإثم. وقال قتادة: (الرجز) إساف، ونائلة.

وأصل (الرَّجْزُ) : العذاب ، قال ﷺ : ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ ، قال ﷺ : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ .

^١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٩ / ٢٩٨ ، واللباب في علوم الكتاب ١٩ / ٤٩٨ .

٢ سورة الحج / ٣٠ .

٣ سورة الأعراف / ١٣٤ .

٤ سورة الأعراف / ١٦٢ .

^٥ يُنظَرُ : اللباب في علوم الكتاب ١٩ / ٤٩٨ - ٤٩٩ .

٣. بين الضمّ والفتح

ومن القراءات التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره متناوبة بين الضمّ والفتح :

١. قراءة (مَيْسِرَةٍ) من قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسِرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا

خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ^{١٨٠} ، ذكر ابن عاشور فيها قراءتين :

القراءة الأولى: قراءة نافع (مَيْسِرَةٍ) بضم السين، وقرأ بها أيضاً ابن محيصن، والحسن،

ومجاهد، وشيبة، وعطاء، وحميد، والحسن، وأبو رجاء، وهي لغة هذيل والحجاز .

والقراءة الثانية : قراءة الباقرين (مَيْسِرَةٍ) بفتح السين ، وهم علي بن أبي طالب، وابن

مجاهد، وابن محيصن ، والأعرج ، وأبو جعفر ، وأبو رجاء ، وابن جُنْدُب، وقتادة، وعطاء،

وشيبة، وحميد، والحسن ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحفص ، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وابن

كثير، وهي على اللغة الكثير ، وهي لغة أهل نجد .

وفسّرَها بأنّه اسم لليسر ، وأنّه ضدّ العُسر بضم العين ، وأنّ مما جاء متناوباً بين الضمّ

والفتح على (مَفْعَلَةٌ) مَشْرُفَةٌ وَمَشْرُوبَةٌ وَمَأَلَكَةٌ، وَمَقْدُرَةٌ، وَمَنْفَعَةٌ، مَقْرَبَةٌ، وَمَثْرَبَةٌ، وَمَسْعَبَةٌ، وَمَيْمَنَةٌ،

^١ سورة البقرة / ٢٨٠ .

^٢ يُنظَرُ : المحتسب / ١٤٥ ، والنشر ٢ / ٢٣٦ ، والكتاب ٢ / ٢٤٨ ، والكشاف ١ / ٣٠٣ ، والسبعة في القراءات / ١٩٢ ،

وحجّة القراءات / ١٤٩ ، والكشف عن وجوه القراءات ١ / ٣١٩ ، والحجّة للقراء السبعة ٢ / ٣٠٨ ، ومعاني القرآن ،

للأخفش ١ / ١٨٨ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١ / ٣٩٠ ، وإتحاف فضلاء البشر / ١٦٦ ، والبحر المحيط ٢ / ٣٤٠ ،

والتيسير / ٨٥ ، وإعراب القرآن ، للنخّاس ١ / ١٣٥ ، وتأويل مشكل القرآن / ٣٦ ، والتذكرة في القراءات الثمان

/ ٢٧٨ ، ومعجم القراءات، للخطيب ٤ / ٤٠٧ .

^٣ يُنظَرُ : السبعة في القراءات / ١٩٢ ، والكشف عن وجوه القراءات ١ / ٣١٩ ، وإتحاف فضلاء البشر / ١٦٦ ، والبحر المحيط

٢ / ٣٤٠ ، والمحزّر الوجيز ٢ / ٤٩٥ ، والمبسوط / ١٥٥ ، وزاد المسير ١ / ٣٣٤ ، والتذكرة في القراءات الثمان / ٢٧٨ ،

ومعجم القراءات، للخطيب ١ / ٤٠٧ ، وفتح القدير ١ / ٢٩٨ .

وَمَسْنَاةٌ ، وهما لغتان في (مَفْعَلَةٌ) ؛ فالفتح لغة أهل نجد، والضمُّ لغة أهل الحجاز، ثمَّ نقل عن أبي علي أنّ (مَفْعَلَةٌ) بالفتح أكثر في كلام العرب .

ومنها (المَشْوُورَةُ) و (المَعِيْشَةُ) بفتح الميم وضمِّ الشَّين أصلها (مَفْعَلَةٌ) بضمِّ العين، فوقع فيها نقل حركة الواو في (المَشْوُورَةُ) ، و (الياء) في (مَعِيْشَةُ) إلى الساكن .

و يرى البصريون أنّ (مَفْعَلَةٌ) بالضمِّ صيغة مبنية على التأنيث ، ولولا التاء المربوطة الدالة عليه لما جاز في عينها الضمُّ؛ لأنَّه لم يجيء في الآحاد بناء على (مَفْعَلٌ) بالضمِّ في نظرهم. ولذا ردُّوا قراءة مجاهد، وعطاء، وأبي سراح ، وزيد عن يعقوب (فَنَظْرَةٌ إِلَى مَيْسِرَةٍ) على جهة الإضافة إلى الهاء؛ حيث قال الأخفش: ((ليست بجائزة لأنَّه ليس في الكلام (مَفْعَلٌ) بغير هاء)) ، وقال الزجاج: ((فأما من قرأ (إِلَى مَيْسِرَةٍ) على جهة الإضافة إلى الهاء فخطئ .. وزعم البصريون أنَّهم لا يعرفون (مَفْعَلًا) إنّما يعرفون (مَفْعَلَةٌ)) ، وقال النَّحَّاس: ((وقراءة من قرأ (إِلَى مَيْسِرَةٍ) لحنٌ لا يجوز)) ، وقال ابن جني: ((وأما (مَيْسِرَةٍ) فغريب)) ، وقال العكبري : ((هو بناء شاذُّ لم يأت منه إلَّا (مُكْرَمَ)، و (مَعَوْن) على أنّ ذلك قد تُؤوَّل على أنّه جمع (مكرمة) و (معونة)))).

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ٩٦/٣ ، و ٢١٥/٢٤ ، و ١٦٩/٢٢ ، و ٣٥٩/٣٠ ، و ٣٦٢/٣٠ ، والكتاب ٩١/٤ ، وحجّة

أبي علي ٢ / ٣٠٨ ، والمخصّص ١٤ / ١٩٦ ، ٢٠١ ، و المزهري في علوم اللغة ٧١/٢ .

^٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ٩٦ / ٣ ، وإعراب النَّحَّاس ١ / ٢٩٦ ، وحجّة القراءات / ١٤٩ ، والموضح / ٣١٦ ، والبحر المحيط ٢ / ٣٥٥ ، وإتحاف فضلاء البشر ١ / ٤٥٨ .

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ٤ / ١٤٦ ، و ٨ / ٣٤ .

^٤ معاني القرآن / ١٨٨ ، يُنظَر : الصحاح مادة (يسر) .

^٥ معاني القرآن وإعرابه ١ / ٣٥٩ .

^٦ إعراب القرآن ١ / ١٣٥ . ويُنظَر : البحر المحيط ٢ / ٣٥٥ ، وهي قراءة عطاء ومجاهد.

^٧ المحتسب ١ / ١٤٤ .

^٨ التبيان في إعراب القرآن ١ / ٢٤٦ .

وجاء عن ابن عادل أنَّ الفتح هو المشهور ؛ إذ (مَفْعَلٌ) ، و (مَفْعَلَةٌ) بالفتح كثيرٌ،
 و(مَفْعُلٌ) بالضمِّ، معدومٌ ؛ إلاَّ عند الكسائي ، فإنه أورد منه ألفاظاً ، وأمَّا (مَفْعَلَةٌ)، فقالوا: قليلٌ
 جدًّا وهي لغة الحجاز، وقد جاءت منها ألفاظٌ ، نحو : المِسْرَقَةُ ، والمِقْبَرَةُ ، والمِشْرَبَةُ ، والمِسْرَبَةُ ،
 والمُقْدَرَةُ ، والمَأْدُبَةُ ، والمُفْحَرَةُ ، والمِزْرَعَةُ ، ومَعْرَبَةٌ ، ومَكْرَمَةٌ ، ومَأَلَكَةٌ .^١

وذكر أنَّ رَدَّ النحاس لقراءة الضمِّ (مَيْسِرَةٌ) مع كونها قراءة سبعيةً لنافع؛ تجرُّؤً منه،
 حيث قال النَّحَّاسُ: ((لا يوجد في كلام العرب مَفْعَلَةٌ إلاَّ في حُرُوفٍ معدودةٍ شاذَّةٍ ليس فيها
 شيء إلاَّ يقال فيه مفعلة، وأيضاً فإنَّ الهاء زائدةٌ، وليس في كلام العرب مَفْعُلٌ البتَّةُ)) .

وقال سيبويه: ((لَيْسَ فِي الْكَلَامِ مَفْعُلٌ)) ، قال أبو علي: ((يَعْني فِي الْآحَادِ)) . وقد
 حكى سيبويه (مَهْلِكٌ) مثلث اللام ، وقال الكسائيُّ : (مَفْعُلٌ) في الآحاد، وأورد منه مَكْرَمًا
 في قول الشاعر :

مَرْوَانُ مَرْوَانُ أَخُو الْيَوْمِ الْيَمِيَّ لِيَوْمِ رَوْعٍ أَوْ فَعَالٍ مَكْرَمٍ

^١ يُنظَرُ : اللباب في علوم الكتاب ٤/٤٦٩ ، والبحر المحيط ٢/٣٥٥ ، والمخصَّص ٤/٣١٩ ، وتاج العروس (كرم)
 ٣٣/٣٣٨ ، وأدب الكاتب، ابن قتيبة: أبو محمد، عبد الله بن مسلم الدينوري، (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: علي فاعور،
 دار الكتب العلمية، بيروت ط ١٩٨٨م (باب شواذ البناء) ٤٧٥-٤٧٦ ، والدُّرُّ المصون ١/٦٧٠ .

^٢ إعراب القرآن ١ / ١٣٥ .

^٣ يُنظَرُ : الكتاب ٢/٣٢٨ .

^٤ البيت من الرجز المشطور من كلمة لأبي الأَخْزَرِ الحِمَّاني بمدح فيها مروان بن الحكم ، وقد روى قبله: (نعم أخو الهيجاء في
 اليوم اليمى)، ويروى البيت الذي قبله: (مروان مروان لليوم اليمى)، ويروى: (مروان مروان أخو اليوم اليمى)، وقوله
 : اليمى : أصله اليوم - بفتح الياء وكسر الواو - كقولهم يوم أيوم وليلة ليلاء. ثم قُدِّمَت الميم على الواو ، فتطرَّفت
 الواو إثر كسرة فقلبت ياء، وعلى الرواية الثالثة يجوز أن يكون أصله أخو اليوم اليوم، على المبتدأ والخبر ، فقُدِّمَت الميم
 بحركتها على الواو فقلبت ضمَّة الميم كسرة، ثم قلبت الواو ياء لتطرَّفتها حينئذ إثر كسرة. والروع: الفرع والخوف .
 والفعال - بفتح الفاء - الوصف حسنا أو قبيحا. والمكرم: الكرم، وهو محل الشاهد في البيت. يُنظَرُ: الكتاب
 ٣٧٩/٢ ، والخصائص ٣/٣١٢ ، ومعاني القرآن، للفرَّاء ٢/١٥٢ ، واللباب في علوم الكتاب ٤/٤٦٩ ، والمخصَّص
 ٤ / ٣١٩ ، وتاج العروس (ألك) ٢٧/٥٠ ، (كرم) ٣٣/٣٣٨ ، (يوم) ٣٤/١٤٤ ، ولسان العرب ١٢ / ٥١٠ ،
 ، وتهذيب اللغة (كرم) ٣/٣٧٥ ، وشرح شواهد الشافية ٦٨/٦٨ ، وأدب الكاتب (باب شواذ البناء) / ٤٧٦ ،

و (مَعُون) في قول جميل بثينة :

بُثَيْنٌ ، الزَّمِي " لَأ " ؛ إِنَّ " لَأ " إِنَّ لَزَمْتِهِ عَلَى كَثْرَةِ الْوَاشِيْنَ أَيُّ مَعُونِ

ومألكاً في قول عدي بن زيد :

أَبْلِغِ النُّعْمَانَ عَيِّي مَأْلِكاً أَنَّهُ قَدْ طَالَ حَبْسِي وَأَنْتِظَارِي

وهذا لا يرد على سيبويه لوجهين :

أحدهما : أَنَّ هذا جمعٌ لمكرمةٍ ، ومعونة ، مألكة ، وإليه ذهب البصريون ، والكوفيون خلا الكسائي ، ونقل عن الفراء أيضاً .

والثاني : أَنَّ سيبويه لا يعتدُّ بالقليل ، فيقول : (لم يَرِدْ كَذَا) وإن كان قد ورد منه الحرف

٣

والحرفان ، لعدم اعتداده بالنادر القليل .

وجمهرة اللغة ، ابن دريد (نوه) ٦١/٢ ، وشرح شافية ابن الحاجب ١ / ١٦٩ ، ٦٨/٤ ، ١٤٠ ، والدُّرُّ المصون ٦٧٠/١ .

^١ البيت من بحر الطويل . والشاهد في قوله ((مَعُون)) وقد رواها الكسائي على هذا الوزن (بإسكان العين وضيم الواو) وهو مشكل من حيث الوزن . يُنظَر: ديوانه /٢٠٨ ، والخصائص ٣/٣١٢ ، ومعاني القرآن ، للفراء ٢/١٥٢ ، والمخصَّص ٤/٣١٩ ، وتاج العروس (ألك) ٢٧/٥٠ ، (كرم) ٣٣/٣٣٨ ، (يوم) ٣٤/١٤٤ ، ولسان العرب ١٢/٥١٠ ، وتهذيب اللغة (كرم) ٣/٣٧٥ ، وشرح شواهد الشافية ٦٨/ ، وأدب الكاتب (باب شواذ البناء) ٤٧٦/ ، وجمهرة اللغة (نوه) ٦١/٢ ، وشرح شافية ابن الحاجب ١/١٦٩ ، ٤٠/١٤٨ ، والدُّرُّ المصون ٢/٦٤٧ ، واللباب في علوم الكتاب ٤/٤٦٩ .

^٢ البيت من بحر الرمل . يُنظَر : ديوانه / ٩٣ ، والمحتسب ١/٤٤ ، وحاشية ياسين على ألفية ابن مالك ، ياسين بن زين الدين بن أبي بكر بن محمد بن علي بن الحمصي ، (١٠٦١هـ) ، فاس ، المطبعة المولوية ، ١٣٣٧هـ ٢/٧٩ ، والبحر المحيط ٢/٣٥٥ ، والإشتقاق ، أبو بكر مُحَمَّد بن الحسن بن دُرَيْد (٣٢١هـ) ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ط ٤ (د.ت) ٢٦/ ، والأغاني ٢/٩٤ ، وخزانة الأدب ٨/٥١٥ ، وشواهد المغني ٢/٦٥٨ ، والشعر والشعراء ، ابن قتيبة: أبو محمد ، عبد الله بن مسلم الدينوري ، (٢٧٦هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة ط ٤ ١٩٩٨م ١/٢٣٥ ، والمنصف ٢/١٠٤ ، وجمهرة اللغة ٢/٩٨٢ ، واللباب في علوم الكتاب ٤/٤٦٩ ، والممتع في التصريف ١/٧٩ ، والدُّرُّ المصون ١/٦٧٠ .

^٣ يُنظَر : اللباب في علوم الكتاب ٤ / ٤٦٩ ، والبحر المحيط ٢/٣٥٥ ، والمخصَّص ٤ / ٣١٩ ، وأدب الكاتب (باب شواذ البناء) / ٤٧٥ - ٤٧٦ ، والدُّرُّ المصون ١/٦٧٠ .

وقد خطأً النحويون مجاهدًا ، وعطاءً في قراءتهما : (إلى ميسره) بإضافة (ميسر) مضموم السين إلى ضمير الغريم؛ لأنهم بنوه على أنه ليس في الأحاد مفعول، ولا ينبغي أن يكون هذا خطأ؛ لأنه على تقدير تسليم أن مفعلاً ليس في الأحاد، فميسر هنا ليس واحداً، إنما هو جمع ميسرة، كما قلت أنتم : إن مكرماً جمع مكرمة، ونحوه، أو يكون قد حذف تاء التأنيث للإضافة؛ كقوله :

إِنَّ الْحَلِيطَ أَجَدُّوا الْبَيْنَ فَأَنْجَرُوا وَأَخْلَفُواكَ عِدَّ الْأَمْرِ الَّذِي وَعَدُوا
أي : عدّة الأمر؛ ويدلُّ على ذلك أنهم نقلوا عنهما ، أنهما قرآ أيضاً: (إلى ميسره) بفتح السين، مضافاً لضمير الغريم، وهذه القراءة نصُّ في حذف تاء التأنيث للإضافة؛ لتوافق قراءة العامة: (إلى ميسره) بتاء التأنيث.

وقد خرَّجها أبو البقاء على وجهٍ آخر ، وهو أن يكون الأصل : (ميسوره) فحذف بحذف الواو؛ اكتفاءً بدلالة الضمة عليها ، وقد يتأيد ما ذكره على ضعفه ، بقراءة عبد الله، فإنه قرأ: إلى (ميسوره) بإضافة (ميسور) إلى ضمير الغريم، وهو مصدرٌ على مفعول؛ كالمجلود والمعقول، وهذا إنما يتمشى على رأي الأخفش؛ إذ أثبت من المصادر زنة مفعول، ولم يثبت سيبويه.

و (الميسرة) : مفعلةٌ من اليسر ، واليسار الذي هو ضدُّ الإعسار، وهو تيسر الموجود من المال ومنه يقال أيسر الرجل ، فهو موسرٌ ، أي : صار إلى حالة وجود المال فالميسرة، واليسر، والميسور : الغنى .
٣

^١ البيت من بحر البسيط للمفضل بن عباس. يُنظر: الخصائص ١٧١/٣، والتصريح ٣٩٦/٢، وشرح الأشموني لألفية ابن مالك، الأشموني: أبو الحسن، علي بن محمد بن عيسى، (٩٠٠هـ) القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية، (غ.ت) ٢٣٧/٢، اللباب في علوم الكتاب ٤/٤٧٠، وأوضح المسالك ٣/٣٤٦، والدُّرُّ المصون ١/٦٧٠ .

^٢ يُنظر : البحر المحيط ٢/٣٤٠ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ١/٤٧٠ ، والدُّرُّ المصون ١/٦٧٠ .

^٣ يُنظر : اللباب في علوم الكتاب ٤ / ٤٧٠ .

والترجيح بين القراءات أمرٌ تكلم فيه كثير من العلماء ، بين مؤيِّدٍ ومعارض ، ومن بين المعارضين أبي جعفر النخَّاس حيث قال : ((السلامة من هذا عند أهل الدين إذا صحَّت القراءتان عن الجماعة أن لا يقال إحداهما أجود من الأخرى؛ لأنَّهما جميعاً عن النبي ﷺ فيأثم من قال ذلك، وكان رؤساء الصحابة رحمهم الله ينكرون مثل هذا)).^١

وقال أبو شامة : ((أكثر المصنفون من الترجيح بين قراءة مالك وملك، حتى إنَّ بعضهم يبالغ إلى حدِّ يكاد يسقط وجه القراءة الأخرى، وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين)).^٢

وإلى نحو ذلك ذهب أبو حيَّان حيث قال : ((وقد تقدّم لنا غير مرّة إنّنا لا نرجِّح بين القراءتين المتواترتين، وحكى أبو عمرو الزاهد في كتاب اليواقيت أنّ أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلباً كان لا يرى الترجيح بين القراءات السبع، وقال: قال ثعلب من كلام نفسه: إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة لم أفضِّل إعراباً على إعراب في القرآن، فإذا خرجت إلى الكلام كلام الناس فضّلت الأقوى، ونعم السلف لنا أحمد بن يحيى كان عالماً بالنحو واللغة متديناً ثقة)).^٣

وأرى - والله أعلم - أنه لا يجوز ردُّ القراءات، خاصّة القراءات المتواترة؛ لمجرد أنّها لم تأت على القواعد التي قرّرها بعض النُّحاة، لأنَّ الأصل أنّ القواعد النحويّة ينبغي أن تُبنى على القراءات لا العكس؛ فالقراءات جاءت عن علماء أجلّاء لديهم معرفة تامّة بالعربيّة، فلا يمكن أن يأتوا برأي يخالف العربيّة، فشروط قبول القراءة معروفة؛ وهي: صحّة سندها، وموافقتها لرسم المصحف، وموافقتها للغة العربيّة، ولو بوجه من الوجوه، فكيف بموافقتها لأيّ مذهب من المذاهب المعتمدة. وهؤلاء العلماء الذين رفضوا بعض القراءات نتيجة لعدم موافقتها لآرائهم في وجه من وجوه اللغة، نحترم رأيهم ونقدّرهم؛ كونهم علماء أجلّاء، فلا نطعن في قدرهم، ولا نقلل

^١ إعراب القرآن، للنخَّاس ٤٣/٥. يُنظر: معاني القرآن، للفرّاء ١٩٩/٣، والإتقان في علوم القرآن ٢٨١/١، والبرهان في

علوم القرآن ٣٤٠/١، وشذرات الذهب دراسة في البلاغة القرآنية، محمود توفيق محمد سعد / ٢٥ .

^٢ الإتقان في علوم القرآن ١ / ٢٨١ .

^٣ تفسير البحر المحيط ٩٢ / ٤. يُنظر: إعراب القرآن، لابن سيده ٤٩٣ / ٣ .

من شأنهم، غير أننا نقدّم عليهم آراء من تخصّصوا لهذا الفنّ، وتعلّق اسم القراءات بهم، فهم أولى بمعرفة القراءة الصحيحة من الباطلة .

٢ . ومنها قراءة (سَمِّ) من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا نُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ ، ذكر ابن عاشور فيها قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ، وابن سيرين ، وابن مصرف ، وقتادة (سَمِّ) بضمّ السّين في لغة أهل العالية . وهي ما بين نجد وبين حدود أرض مكة .
القراءة الثانية : قراءة الجمهور (سَمِّ) بفتح السّين في لغة قریش .
وفسر القراءتين بمعنى واحد وهو : الحُرّت الذي في الإبرة يُدخل فيه خيط الخائط، وهو ثقب ضيق .

٣ . ومنها قراءة (فَوَاقٍ) من قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِّمَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾ ، ذكر ابن عاشور فيها قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة الجمهور (فَوَاقٍ) بفتح الفاء . وهم ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم ، والحسن ، وأبو جعفر، ويعقوب ، وشيبة . في لغة أهل الحجاز، وهي لغة جيّدة عالية .

^١ يُنظَر : النشر ٩/١ ، وعلم القراءات / ٣٣٠ - ٣٣٨ ، والإتقان ١/٢٧ .

^٢ سورة الأعراف / ٤٠ .

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ٨ ب / ١٢٨ ، ١١٢/١٦ .

^٤ سورة ص / ١٥ .

^٥ يُنظَر : النشر ٢/٣٦١ ، والتيسير / ١٨٧ ، وشرح الشاطبيّة / ٢٧٧ ، وجامع البيان ٢٣/٨٤ ، والحجّة في القراءات السبع ٤/٣٠٤ ، والسبعة في القراءات / ٢٥٢ ، ومعاني القرآن، للقرّاء ٢/٤٠٠ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤/٣٢٣ ، وحجّة القراءات / ٦١٣ ، والكشّاف ٣/٥ ، والمخصّص ١٥/٨٨ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/٢٣١ ، والجامع لأحكام

القراءة الثاني: قراءة حمزة والكسائي (فُواق) بضم الفاء. وقرأ بها أيضاً السلمي، وابن وثاب، والأعمش، وطلحة، وأبو عبدالرحمن، وخلف، والأعمش . في لغة تميم وأسد وقيس .
 وقال : إنَّ جمهور أهل اللُّغة يعدُّون الفتح والضمَّ فيه سواء .^٣
 ويرى الطبري أنَّه لا يوجد من المتقدِّمين من يفرِّق بين المعنيين ، فبأَيِّ القراءتين قرأ القارئ فمصيب .^٤

وذكر خلاف أبي عبيدة والفرَّاء في التفريق بين المفتوح والمضموم: فالمفتوح بمعنى الراحة مثل الجواب من الإجابة، والمضموم اسم للمدَّة. واللبن المجتمع في تلك الحصَّة يسمى: الفَيْقَة بكسر الفاء، وجمعها أفويق .

وابن عاشور يرى أنَّهما بمعنى واحد وهو : اسم لما بين حلبتي حالب الناقة ورضعتي فصيلها، فإنَّ الحالب يحلب الناقة ثمَّ يتركها ساعة ليرضعها فصيلها ليذر اللبن في الضرع ثمَّ يعودون فيحلبونها، فالمدَّة التي بين الحلبتين تسمَّى فُواقاً. وهي ساعة قليلة وهم قبل ابتداء الحلب يتركون الفصيل يرضعها لتدرَّ باللبن، ويميل الباحث إلى هذا الرأي .^٥

القرآن ١٥/١٥٦، وإعراب القرآن، للنخَّاس ٢/٧٨٨، وإتحاف فضلاء البشر ٣٧٢/٣، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/٢٥٥، وغرائب القرآن ٢٣/٧٥، والمحزَّر الوجيز ١٢/٤٢٩، وزاد المسير ٧/١٠٧، والتذكرة في القراءات الثمان ٥٢٥/٥، ومعجم القراءات، للخطيب ٨/٨٧ .
^١ وخلف والأعمش .

^٢ يُنظر : النشر ٢/٣٦١، والتيسير ١٨٧/١، وشرح الشاطبيَّة ٢٧٧/٢، وجامع البيان ٢٣/٨٤، والحجَّة في القراءات السبع ٤/٣٠٤، والسبعة في القراءات ٢/٢٥٢، ومعاني القرآن، للفرَّاء ٢/٤٠٠، ومعاني القرآن وإعرابه ٤/٣٢٣، وحجَّة القراءات ٦١٣/٣، والكشَّاف ٣/٥، والمخصَّص ١٥/٨٨، والكشف عن وجوه القراءات ٢/٢٣١، والجامع لأحكام القرآن ١٥/١٥٦، وإعراب القرآن، للنخَّاس ٢/٧٨٨، وإتحاف فضلاء البشر ٣٧٢/٣، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/٢٥٥، وغرائب القرآن ٢٣/٧٥، والمحزَّر الوجيز ١٢/٤٢٩، وزاد المسير ٧/١٠٧، والتذكرة في القراءات الثمان ٥٢٥/٥، ومعجم القراءات، للخطيب ٨/٨٧ .

^٣ يُنظر : التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٢٤ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢ / ٤١٩ .

^٤ يُنظر : جامع البيان ٢٣ / ١٣٣ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٨/٨٧ .

^٥ يُنظر : التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٢٤ .

٤ . ومنها قراءة (وَدًّا) من قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ الْهِتَمِكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا

سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (٢٣) ، ذكر ابن عاشور فيها قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة نافع وأبي جعفر (وَدًّا) بضم الواو، وقرأ بها أيضاً شيبه، وأبوالربيع

٢

عن بريدة عن أبي بكر عن عاصم .

وذكر ابن مجاهد أنّ هذه الرواية من طريق أبي الربيع عن عاصم غلط، وأنّه لم يروه غيره

٣

عن عاصم .

القراءة الثانية : قراءة الباقرين (وَدًّا) بفتح الواو . وهم الحسن، والأعمش، وطلحة،

ويعقوب الحضرمي ، وأبو عمرو ، وابن كثير ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، وحفص، ويحيى

^١ سورة نوح / ٢٣ .

^٢ يُنظَر : السبعة في القراءات / ٦٥٣ ، والنشر ٢ / ٣٩١ ، والتيسير / ٢١٥ ، وإتحاف فضلاء البشر / ٤٢٥ ، ومعاني القرآن ،
للفراء ٣ / ١٨٩ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٥ / ٢٣٠ ، والحجّة في القراءات السبع / ٣٥٣ ، وحجّة القراءات / ٧٢٦ ،
والحجّة للقراءات السبع / ٣٢٧ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢ / ٣٣٧ ، وجامع البيان ٢٩ / ٦٢ ، وشرح الشاطبيّة
/ ٢٩٦ ، والكشاف ٣ / ٢٧٢ ، وإعراب القرآن ، للنحاس ٣ / ٥١٦ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢ / ٣٩٦ ،
والجامع لأحكام القرآن ١٨ / ٣٠٩ ، والبحر المحيط ٨ / ٣٤١ ، وروح المعاني ٢٩ / ٩٦ ، والتذكرة في القراءات الثمان
/ ٥٩٩ ، ومعجم القراءات، للخطيب ١٠ / ١٠٥ .

^٣ يُنظَر : معجم القراءات ١٠ / ١٠٥ .

عن أبي بكر عن عاصم ، وهي اختيار أبي عبيد . وعدّهما لغتين للعرب، بمعنى: اسم صنم من
أصنام قوم نوح، وأثما غيرُ جارية على اشتقاق الكلمات العربيّة .^٢

وأُشَدُّ بالوجهين قول الشاعر :

حَيَّاكَ وَدُّ فَإِنَّا لَا يَحِلُّ لَنَا هَهُوَ النَّسَاءِ ، وَإِنَّ الدِّينَ قَدْ عَزَمَا

وقول الآخر :

فَحَيَّاكَ وَدُّ مَنْ هَدَاكَ لِعِسِّهِ وَخُوصَ بِأَعْلَى ذِي فَضَالَةِ هَجِّهِ

قال القرطبي : قال الليث : (وَدُّ) بفتح الواو صنم كان لقوم نوح، و (وَدِّ) - بالضم

- صنم لقريش ، وبه سمي عمرو بن عبد ود .^٥

وفي الصحاح : (وَالْوَدُّ) بالفتح : الودد في لغة أهل نجد ، كأثمهم سكنوا التاء وأدغموها في

الدال . والود في قول امرئ القيس :

تُظْهِرُ الْوُدَّ إِذَا مَا أَشْجَدَتْ وَتُؤَارِيهِ إِذَا مَا تَشْتَكِرُ

^١ يُنظَرُ : السبعة في القراءات / ٦٥٣ ، والنشر ٣٩١/٢ ، والتيسير / ٢١٥ ، وإتحاف فضلاء البشر / ٤٢٥ ، ومعاني القرآن ،
للفراء ١٨٩/٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه / ٢٣٠/٥ ، والحجّة في القراءات السبع / ٣٥٣ ، وحجّة القراءات / ٧٢٦ ،
والحجّة للقراءات السبع / ٣٢٧ ، والكشف عن وجوه القراءات / ٣٣٧/٢ ، وجامع البيان ٦٢/٢٩ ، وشرح الشاطبيّة
/ ٢٩٦ ، والكشاف ٢٧٢/٣ ، وإعراب القرآن ، للنحاس ٥١٦/٣ ، وإعراب القراءات السبع وعللها / ٣٩٦/٢ ،
والجامع لأحكام القرآن ٣٠٩/١٨ ، والبحر المحيط ٣٤١/٨ ، وروح المعاني ٩٦/٢٩ ، والتذكرة في القراءات الثمان
/ ٥٩٩ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ١٠٥/١٠ .

^٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٩ / ٢٠٨ .

^٣ البيت للنابعة. يُنظَرُ : ديوانه / ١٠٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٠٩/١٨ ، والبحر المحيط ٣٣٦/٨ ، والدُّرُّ المصون
/ ٤٧٤/١٠ ، الباب في علوم الكتاب ١٩ / ٣٩٤ - ٣٩٧ .

^٤ البيت للخطيبة، ويُروى (لفثية) بدلاً (لعسّه) . يُنظَرُ : ديوانه / ١٤٨ ، والبحر المحيط ٣٣٦/٨ ، والمحرّر الوجيز ٣٧٦/٥ ،
والنكت والعيون ١٠٤/٦ ، والدُّرُّ المصون ٤٧٤/١٠ ، الباب في علوم الكتاب ١٩ / ٣٩٤ - ٣٩٧ ، وفتح القدير
/ ٤٢١/٥ .

^٥ يُنظَرُ : الجامع لأحكام القرآن ٣٠٩/١٨ .

قال ابن دريد: هو اسم جبل . و (ود) : صنم كان لقوم نوح عليه السلام ثم صار لكلب،
وكان بدومة الجندل ، ومنه سموا بعبد ود .

٤ . بين الضم والكسر والفتح

ومن القراءات التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره متناوبة بين الضم والكسر والفتح :

١ . قراءة (رِيَّيُونَ) من قوله : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا

لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ ^{١٤٦} ، حيث ذكر أن^٣

قراءة (رِيَّيُونَ) بالكسر قراءة متواترة ، وعدّها من تغيرات النسب ، وهي ، كما قالوا: إمسي في النسبة إلى أمس . أو منسوب إلى الرّبة وهي الجماعة ، قرأ بها الجمهور . وجوّز في رائه الفتح على القياس ، وبها قرأ ابن عباس (رِيَّيُونَ) ، وفسّر (الرِّيُّون) بجمع ربيّ وهو المتبّع لشريعة الرّب مثل الربّاني ، وأنّ المراد بهم هنا اتّباع الرسل وتلامذة الأنبياء .

^١ وفي رواية : تُخْرِجُ الْوَدَّ . أشجذت: أفلعت وسكنت، تشتكّر: حين يكثر مطرها، فوتد الخباء يبدو عند سكون المطر، ويستتر عند المطر. يُنظَرُ : ديوانه / ١٤٣ ، ولسان العرب (ودد) ٤٥٣/٣ ، والصّحاح (ودد) ٣٤٦/١ ، والجامع لأحكام القرآن ٣١٠/١٨ ، وتاج العروس (ودد) ٢٨٢/٩ ، وجمهرة اللغة (هدد) ٣٥/١ ، ومقاييس اللغة (شجذ) ٣ / ٢٤٥ ، والدّرُّ المصون ٣٦٢/٩ ، واللباب في علوم الكتاب ٣٩٤/١٩ .

^٢ يُنظَرُ : اللباب في علوم الكتاب ٣٩٤/١٩ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٠٩/١٨ ، والصّحاح ٥٤٩/٢ .

^٣ سورة آل عمران / ١٤٦ .

^٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١١٨ / ٤ .

^٥ يُنظَرُ : البحر المحيط ٣ / ٤١٠ ، والكشّاف ١ / ٣٣٤ ، و مفاتيح الغيب ٤ / ٤٠٧ .

^٦ يُنظَرُ : الكشّاف ١ / ٣٣٤ ، و مفاتيح الغيب ٤ / ٤٠٧ .

^٧ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١١٨ / ٤ .

وأرى أنه أشار هنا إلى قراءة ابن عباس بقوله: ((ويجوز في رائه الفتح، على القياس)) ، ولم يذكر قراءة ضمّ الراء (رَبِّيُونَ) التي قرأ بها علي ، وابن مسعود، وابن عباس، وعكرمة، والحسن، وأبو رجاء ، وعمرو بن عبيد ، وعطاء بن السائب، وهو من تغيير النسب. كما قالوا: دُهرى بضم الدال، وهو منسوب إلى الدهر الطويل . وذكر ابن جني: أنها لغة تميم، وأن كل القراءات لغات بمعنى واحد .

٢. قراءة (بِالْعُدْوَةِ) من قوله : ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ ، حيث أورد ابن عاشور فيهما قرائتين مشهورتين :

قراءة : الجمهور (الْعُدْوَةُ) بضم العين ، وقراءة : ابن كثير ، وأبي عمرو، ويعقوب (الْعُدْوَةُ) بكسر العين . وأن معناها صفة وادي بدر وشاطئه . وأتت أفصح . ويلاحظ من ذلك أنه أغفل القراءة الثالثة (الْعُدْوَةُ) بفتح العين ، قرأ بها الحسن البصري وقتادة وزيد بن علي وعمرو بن عبيد ، ولكنه لم يضعفها ، وهي قراءة قليلة وشاذة، حكاهما اللحياني عن يونس .

١ التحرير والتنوير ٤ / ١١٨ .

٢ يُنْظَرُ : البحر المحيط ٣ / ٤١٠ .

٣ يُنْظَرُ : المحتسب ١ / ١٧٣ ، و البحر المحيط ٣ / ٤١٠ .

٤ سورة الأنفال / ٤٢ .

٥ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ١٠ / ١٦ .

٦ يُنْظَرُ : لسان العرب مادة (عدا) ١٥ / ٣١ .

وأنكر بعض العلماء بعض هذه القراءات : حيث أنكر أبو عمر قراءة الضمّ، وحكى الأخفش: أنه لم يسمع من العرب إلا الكسر، وعدّ أبو عبيد الضمّ أكثرهما، وقال اليزيدي الكسر لغة أهل الحجاز .

والصحيح - والله أعلم - أنّها كلّها قراءات فصيحة ، ولا يعتد بمن خالفها طالما أنّها وافت شروط صحّة القراءات؛ وإن كانت القراءة الثالثة (أَلَدَوَة) بفتح العين أقلهن قوّة.

٣. قراءة (رَبَوَة) من قوله : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ

اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَأْتَتْ أَكْطُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٦٥﴾ ، ومن قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ ، ذكر فيها: قراءة جمهور العشرة (رَبَوَة) بضم الراء، وهي لغة قريش ، وقراءة ابن عامر وعاصم (رَبَوَة) بفتح الراء، وهي لغة

تميم ، وجوّز بقراءة ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنه ، وأبو إسحاق السبيعي (رَبَوَة) بكسر الراء .

وأضاف أبو حيّان قراءة ابن أبي إسحاق بضم الراء والألف (رَبَاوَة)، وقراءة زيد بن عليّ والأشهب العقيلي والفرزدق والسلمي في نقل صاحب اللوامح (رَبَاوَة) بفتحها وبالألف. وقراءة (رَبَاوَة) بكسرهما وبالألف .

^١ يُنظَر : تفسير البحر المحيط ٤ / ٤٩٩ .

^٢ سورة المؤمنون / ٥٠ .

^٣ سورة البقرة / ٢٦٥ .

^٤ يُنظَر : البحر المحيط ٦ / ٤٠٨ .

^٥ والحسن وأبي عبد الرحمن .

^٦ يُنظَر : تهذيب اللغة ١٥ / ٢٧٣ ، وحجّة القراءات / ١٤٦ .

^٧ يُنظَر : التحرير والتنوير ٣/٥٢ ، ١٨/٦٧ ، واللّباب في علوم الكتاب ١٢/١ ، وإرشاد العقل السليم ١/٣٢٣ ، وتفسير

البحر المديد ١ / ٢٢٥ .

^٨ يُنظَر : البحر المحيط ٦ / ٤٠٨ ، وزاد المسير ١ / ٢٤٧ ، والمحزّر الوجيز ١ / ٣٢٩ .

وعدَّ ابن عاشور (الرَّبْوَةُ) بضم الراء وفتحها وكسرهما لغات بمعنى: مكان من الأرض مرتفع دون الجبيل. وأنَّ تخصيص الجنَّة بأثما في ربوة يفيد أنَّ أشجارها أحسن منظراً، وأزكى ثمراً؛ وذكر أنَّ لهذا القيد فائدتين؛ إحداهما: قوَّة وجه الشبه، كما أفاده قول (ضِعْفَيْنِ)، والثانية: تحسين المشبَّه به الراجع إلى تحسين المشبَّه في تحيُّل السامع .^١

وجاء في المحيط في اللغة: أنَّ رَبَا الشيءُ يَرْبُو رَبْواً ، وأنَّ الرَّابِيَّةُ، والرَّبْوَةُ والرَّبْوَةُ والرَّبَاوَةُ والرَّبْوَةُ كُلُّهَا لغات بمعنى: ما ارتَفَعَ من الأرضِ .^٢

وذكر الطبري في (الرَّبْوَةُ) لغات ثلاث، (رَبْوَةٌ) بضم الراء، وقرأ بها عامَّة قراء أهل المدينة والحجاز والعراق. و (رَبْوَةٌ) بفتح الراء، وقرأ بها بعض أهل الشام، وبعض أهل الكوفة، ويقال إنَّها لغةٌ لتميم. و (رَبْوَةٌ) بكسر الراء . وجوَّز قرائي الفتح والضم؛ لأنَّ قراءة الناس في أمصارهم بإحدهما. وأنَّ قراءة الضمِّ عنده أشدُّ إيثارة؛ لأنَّها أشهرُ اللغتين عند العرب. ورفض قراءة الكسر محتجاً برفض القراء بها ، وهذا غير صحيح، فقراءة الكسر قراءة ابن عبَّاس رضي الله عنه، وأبو إسحاق السبيعي وجوَّزها كثير من علماء القراءات، ووافقهم في ذلك ابن عاشور، ورفض بعض القراءات مشهور عند الطبري - على جلالته وقدر علمه - وهذا غير جائز، لأنَّه مفاضلة بين كلام الله تعالى، وأرى - والله أعلم - أنَّ الطبري لا يقصد ذلك، وإنَّما يرى أنَّ ما اتفق عليه القراء لا يجوز مخالفته، وهو ما اصطلح عليه بالتواتر، فيرى أنَّ ما اتفق عليه القراء لا يجوز مخالفته، ويعده شاذاً، ولولا تقدُّم الطبري على الإجماع الذي انعقد بعده على قبول قراءة الأئمَّة العشرة، وعلى عصر العلماء الذين وضعوا شروط قبول القراءة الثلاثة: صحَّة السند، وموافقة الرسم العثماني، وموافقة اللُّغة العربيَّة ولو بوجه، لما رفض بعض القراءات المتواترة .^٥

١ يُنظَر: التحرير والتنوير ٣ / ٥٢ ، ١٨ / ٦٧ .

٢ يُنظَر: المحيط في اللغة ، صاحب بن عباد ٢ / ٤٤٢ ، والصحاح مادة (ربا) ، ومختار الصحاح مادة (ربا) .

٣ يُنظَر: تفسير القرآن العظيم ١ / ٦٩٥ .

٤ يُنظَر: جامع البيان ٥ / ٥٣٦ ، وتفسير القرآن العظيم ١ / ٦٩٥ .

٥ يُنظَر: علم القراءات / ٣٣٠ - ٣٣٤ .

٥. بين الضمّ والسكون

ومن القراءات التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره متناوبة بين الضمّ والسكون :

١. قراءة (هُزُؤًا) من قوله ﷺ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُجُوا بقرهٗ ^ط

قَالُوا أَنْتَخَذْنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ذكر ابن عاشور قراءة الجمهور (هُزُؤًا) بضمّتين على الأصل، وهمز بعد الزاي وصلاً ووقفاً، وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر والكسائي وشعبة وعاصم ويعقوب في رواية رويس .^٢

وقراءة حمزة عن عاصم (هُزُؤًا) بإسكان الزاي وبالهزم وصلاً، وقراءته أصلها الضمّ كقراءة الجماعة إلاّ أنّه حَقَّفَ كقولهم في (عُنُق) (عُنُق) . وقيل : بل هي أصلٌ بنفسها، ليست مخففةً من ضم؛ لأنّ التثقيل بتتابع الضمّتين ، والتخفيفُ بإبدال الضمة الثانية سكون في كلِّ اسمٍ ثلاثيٍّ أوله مضمومٌ ، كـ(العُسر) ، و (اليُسْر) ، و (الهزء)، ومثله ما كان من الجمع على (فُعَل) كـ(كُتِب) ، و(رُسِل) ، و (عُوْن) وهما لغتان صحيحتان تُقَلُّ ذلك عن مكّي عن الأخفش عن عيسى بن عمر .^٤

^١ سورة البقرة / ٦٧ ، وفي (هزوا) في سورة البقرة / ٢٣١ ، والمائدة / ٥٧ ، والمائدة / ٥٨ ، الكهف / ٥٦ ، ١٠٦ ، الأنبياء / ٣٦ ، والفرقان / ٤١ ، ولقمان / ٦ ، والجاثية / ٩ ، ٣٥ .

^٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ١/٥٤٧ ، ٣٥٣/١٥ ، والسبعة في القراءات / ١٥٧ ، الكشف عن وجوه القراءات ١/٢٤٧ ، والنشر ٢/٢١٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١/٤٤٧ ، ومعاني القرآن ، للأخفش ١/٧٩ ، والسبعة في القراءات ١/١٥٩ ، وحجة القراءات ١/١٠١ ، وعلل القراءات ١/٥٠ ، والحجّة للقراء السبعة ٢/١٠٢ ، والكشف عن وجوه القراءات ١/٢٤٧ ، والدُّرُّ المصون ١/٣١٤ ، واللِّباب في علوم الكتاب ١/٣٦٥ .

^٣ وإسماعيل ، وخلف في اختياره ، والقزاز ، عن عبد الوارث والمفضل ، يُنظَر : البحر المحيط / ١ / ٣٢٢ .

^٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ١/٥٤٧ ، ٣٥٣/١٥ ، واللِّباب في علوم الكتاب ١/٣٦٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١/٤٤٧ ، ومعاني القرآن ، للأخفش ١/٧٩ ، والسبعة في القراءات ١/١٥٩ ، وحجة القراءات ١/١٠١ ، وعلل القراءات ١/٥٠ ، والحجّة للقراء السبعة ٢/١٠٢ ، والكشف عن وجوه القراءات ١/٢٤٧ ، والدُّرُّ المصون ١/٣١٤ .

وذكر ابن عاشور أيضاً عن حمزة (هُزُواً) بتخفيف الهمز واواً في الوقف، وتخفيفها ليس قياساً، وإنما القياس إلقاء حركتها على الساكن قبلها ((هُزاً)) بنقل حركتها إلى الزاي قبلها ثم حذفها، وقد أتبع هنا رسم المصحف، حيث رُسِمَت في المصحف واواً. ولذلك لم تُبَدَل في (جزءاً) واواً وقفاً؛ لأنها لم تُرَسَم فيه واواً .

وذكر ابن عاشور قراءة حفص عن عاصم (هُزُواً) بضم الهاء والزاي وتخفيف الهمز واواً في الوصل والوقف ، وهو قياس مطَّرد في كلِّ همزة مفتوحة مضموم ما قبلها ك(جُون) في (جُون) ، ويجوز تخفيف الهمزة وجعلها بين الواو والهمزة .

ومذهب حمزة وهشام تسهيل الهمزة الساكنة والمتحركة في الطرف عند الوقف عليها، وفي الوصل تحقيقها ، ويبدلونها واواً إذا سهلاً وما قبلها مضموم في حال تحريكها وسكونها ك (لُولُو كَانْتُمْ) ، ولم ترد في القرآن ساكنة ، بل وردت مضمومة في قوله ﷻ : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكُونٌ ﴾ ٢٤ ، وإذا سهلاً وما قبلها مكسور أبدلها في الحالين ياء، كما في (وَهَيَّيْ لَنَا) من قوله ﷻ : ﴿ إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيَّيْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ ١٠ ، وفي (نَبِيٌّ عِبَادِي) من قوله ﷻ : ﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَتَى أَنَا الْغَفُورَ الرَّحِيمُ ﴾ ٤٩ ، وإذا سهلاً وما قبلها مفتوح أبدلها ألفاً في الحالين ك (إِن يَشَأْ) من قوله ﷻ : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴾

١ يُنظَر : التحرير والتنوير ١/٥٤٧، والكشف عن وجوه القراءات ١/١١٦، والعنوان ٦٩/، والمهدب ١/٦٠، والتبصرة ٤٢٣/، وإتحاف فضلاء البشر ١٣٩/، وإيضاح الوقف والابتداء ٤٠٣-٤٠٤، والمحزر الوجيز ١/٣٤٠، ومعجم القراءات، للخطيب ١/١٢١.

٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ١/٥٤٧، ١٥/٣٥٣، والجامع لأحكام القرآن ١/٤٤٧، والمحزر الوجيز ١/٩٦.

٣ سورة الطور / ٢٤ .

٤ سورة الكهف / ١٠ .

٥ سورة الحجر / ٤٩ .

﴿١٣٣﴾ ، و (بَدَأَ) من قوله ﷻ : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ

اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٢٠﴾ ، ويمتنع في الحرف المبدل من الهمز الروم والإشمام ؛ لكونه ساكناً محضاً ، فإذا سُكِّنَ ما قبل الهمزة، وسهلاها أسقطاها بعد نقل حركتها على ذلك الساكن، وإن كان ذلك الساكن أصلياً غير ألف، ك(دِفء) من قوله ﷻ

: ﴿ وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ ﴿٥﴾ ، و(يُضِيءُ)

من قوله ﷻ : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي

زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ

لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٣٥﴾ فإن كان الساكن زيد للمد، وكان ياءً أو واواً أبداً الهمزة

مع الياء ومع الواو وأدغما ما قبلها فيها ك(قُرُوءٍ) من قوله ﷻ : ﴿ وَالْمُطَلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ

بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

^١ سورة النساء / ١٣٣، وفي سورة الأنعام / ١٣٣، وسورة إبراهيم / ١٩، وسورة الإسراء / ٥٤، وسورة فاطر / ١٦، وسورة الشورى / ٣٣.

^٢ سورة العنكبوت / ٢٠ .

^٣ هو الإتيان ببعض الحركة بصوت يسمعه القريب دون البعيد. وقدر الباقي من الحركة بالثلث. ولا يكون الروم إلا في الكسرة أو الضمة سواء كان الحرف مشدداً أو مخففاً أو كان منوناً أو غير منون ولا يكون في الفتحة. مثل ﴿ أَهَكَذَا عَزَّشِكِ ﴾ (النمل / ٤٢) ، ولا بد حين الوقف بالروم من حذف التنوين من المنون. مثل قوله تعالى ﴿ لَقِيَ حُسْرًا ﴾ (العصر / ٢) .

^٤ هو ضم الشفتين من غير صوت يُعيد الوقف على الحرف الأخير من الكلمة ساكناً إشارة إلى الضم، بحيث يدركه المبصر دون الأعمى. ولا يكون الإشمام إلا على الحرف المرفوع أو المضموم ولا يكون في الحرف المفتوح أو المكسور.

^٥ سورة النحل / ٥ .

^٦ سورة النور / ٣٥ .

الْأَخْرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرِدْهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَهِنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ
 عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ، و (بَرِيءٌ) من قوله ﷺ : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ
 اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْنَكُم لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ
 إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ، و (النَّسِيءُ) من
 قوله ﷺ : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُجَلِّونَهُ عَامًا
 وَيُحَكِّرُونَهُ عَامًا لِيُؤَاطِعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءٌ
 أَعْمَلِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ ويجوز الروم والإشمام في الحرف
 المتحرك بحركة الهمزة، وفي المبدل منها غير الألف إن انضما والروم إن انكسرا ، والإسكان إن
 انفتحا كالهمزة سواء، وإن كان الساكن ألفاً سواء كانت مبدلة من حرف أصلي أو كانت زائدة
 أبدلت الهمزة بعدها ألفاً بأيّ حركة تحركت ثم حذفت إحدى الألفين للساكن، وإن شئت زدت
 في المدِّ والتمكين لتفصيل بذلك بينهما ولم تحذف، وبه ورد النص عن حمزة من طريق خلف
 وغيره، وذلك ك (وَالسَّمَاءِ) من قوله ﷺ : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً
 وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ
 تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ، و (إِذَا جَاءَ) من قوله ﷺ : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ
 حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿٦١﴾ ، و (عَلَىٰ سَوَاءٍ)
 من قوله ﷺ : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ

١ سورة البقرة / ٢٢٨ .

٢ سورة الأنعام / ١٩ .

٣ سورة التوبة / ٣٧ .

٤ سورة البقرة / ٢٢ .

٥ سورة الأنعام / ٦١ .

﴿٥٨﴾ ، ومنه (السُّفَهَاءُ) من قوله ﷺ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ

كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ ، و(الْمَاءَ) من قوله ﷺ:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾﴾ ، و(شُهَدَاءَ) من قوله ﷺ: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ

شُهَدَاءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾ .

وجاءت عن عاصم رواية أخرى عن أبي بكر (هُزُؤًا) بالضم مع الهمز موافقاً للجمهور ،

وكذلك قرأ (كُفُؤًا) ، و (جُزُؤًا) .

وهناك قراءات لم يذكرها ابن عاشور - كعادته في التعامل مع القراءات الشاذة - :

١. قراءة ((هُزًا)) بضم الهاء وتشديد الزاي من غير همزة ، عن أبي جعفر ، وشيبة .

٢. قراءة أبي عمرو وأهل الشام والحجاز (هُزُؤًا) بالثقل والهمز .

واختار الكسائي ، وأبو عبيد ، وأبو حاتم ((هُزُؤًا)) و ((كُفُؤًا)) منقلبات بغير همز .

وكلّهما لغات صحيحة فصيحة جاءت بمعنى واحد وهو الاستهزاء .

و(الهُزُؤُ) بضم الهمزة والزاي و بإسكان الزاي مصدر هزأ به هزأً وهو هنا مصدر بمعنى

المفعول كالصيد والخلق. والهُزُؤُ : مصدر هَزَأَ ، أي اتخذوا ذلك مستهزأً به. والاستهزاء بالآيات

هو الاستهزاء عند سماعها، كما يفعلون عند سماع آيات الإخبار بالبعث وعند سماع آيات الوعيد

والإنذار بالعذاب .

٨

١ سورة الأنفال / ٥٨ .

٢ سورة البقرة / ١٣ .

٣ سورة الواقعة / ٦٨ .

٤ سورة النور / ١٣ .

٥ يُنْظَرُ : هيمان الزاد / ١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ .

٦ يُنْظَرُ : السبعة في القراءات / ١ - ١٥٩ - ١٦٠ ، والحجّة في القراءات السبع / ١ - ٨١ - ٨٢ .

٧ يُنْظَرُ : اللّباب في علوم الكتاب / ١ - ٣٦٥ ، والمحرّر الوجيز / ١ - ٩٦ ، والدُّرُّ المصون / ١ - ٣١٤ .

٨ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير / ١ - ٥٤٧ ، ١٥ / ٣٥٣ .

٢. ومن القراءات التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره متناوبة بين الضمّ والسكون قراءة

(الْيُسْر) و (الْعُسْر) من قوله ﷺ: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى

لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ

مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ

الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

﴿ حيث ذكر ابن عاشور قراءة الجمهور: (اليُسْر) و (العُسْر) بضم الياء، والعين وسكون السين

فيهما، وهو أكثر استعمالاً من الضمّ، وقراءة أبي جعفر (اليُسْر) و (العُسْر) بضم السين ضمة

اتباع، واختلف النُّحاة في الأصل؛ أهو السكون والضمّ على الاتِّباع، أم أنّ الأصل الضمّ

والسكون للتخفيف؟ والثاني أرجح، كما هي عادة العرب، في الميل إلى التخفيف بالإسكان .

وكما سبق عن كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم وأوسطه ساكن أنّ من العرب من يثقله

ومنهم من يخفّفه ، يُنقل ذلك عن عيسى بن عمّار .^٤

٣. ومن القراءات التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره متناوبة بين الضمّ والسكون قراءة

(جُرءًا) من قوله ﷺ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَئِم تُوْمِن قَال

بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمِئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فخذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ

مِّنْهُنَّ جُرءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعِيًا وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ، ومن قوله ﷺ: ^٥

^١ سورة البقرة / ١٨٥ .

^٢ ويجي بن وثاب ، وابن هرمز ، وعيسى بن عمر . يُنظر : تفسير البحر المحيط ٢ / ٢٠٧ ، والدُّرُّ المصون ٢ / ٢٨٥ .

^٣ يُنظر: التحرير والتنوير ٢/١٧٥، والكشاف ١/١٦٤، وروح المعاني ٢/١٣٠، وهيمان الزاد ٢/٢٠٥، والدُّرُّ المصون ٢/٢٨٥ .

^٤ يُنظر : غرائب القرآن ١/٤٣٤، و معاني القرآن، للأخفش ١/٧٩، ومختار الصحاح (ع س ر) ١/٢٠٥، والمحرر الوجيز

١ / ٢٠٢، والدُّرُّ المصون ٢/٢٨٥ .

^٥ سورة البقرة / ٢٦٠ .

﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴾^{١٥} فقد ذكر ابن عاشور في

قراءة الجمهور (جُزْءًا) بإسكان الزاي على الأصل مع الهمز ، وهي لغة بكر بن وائل، ولغة من

لغات بني تميم، فهم يَخْفَفُونَ إذا توالى الضمتان بحذف الثانية، كما يفعلون مع الواوين .

وقراءة أبي بكر عن عاصم (جُزْءًا) بضم الزاي مع الهمز؛ لمجانسة ضم الجيم ، وعدَّ

ابن عاشور هاتين القراءتين لغتين، معناها واحد وهو (النصيب، والبعض) ، وهذا عام عند

العرب في كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم ، فمن العرب مَنْ يثقله لمجانسة ضم الحرف

السابق، ومنهم مَنْ يَخْفِفُه للتخلص من توالي الضمّتين على الأصل، نحو اليُسْر، والعُسْر،

والرُجْس، وهناك لغة ثالثة أيضاً عن أبي جعفر (جُزْءًا) مشدّد الزاي من غير همزٍ، وقرأ بها ابن

شهاب الزهري؛ حيث إنّه لما حُدِفَت الهمزة بعد نقل حركتها إلى الزاي تخفيفاً، وَقَفَ على الزاي

ثُمَّ ضَعِفَت، كما تقول في الوقف: هذا فرجٌ، ثُمَّ أُجْرِيَ الوصل مجرى الوقف، وَوَقَفَ عليها حمزة

بالنقل؛ بإبدال الهمزة ألفاً على تقدير نقل حركتها فقط، وفيه لغة رابعة بكسر الجيم لم يقرأ بها

أحد، وكلّها لغات صحيحة فصيحة بمعنى واحد .

٤ . ومن القراءات التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره متناوبة بين الضمّ والسكون قراءة

(عُدْرًا) و (نُدْرًا) من قوله ﷺ : ﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتِكِ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ

^١ سورة الزخرف / ١٥ .

^٢ وفيه لغة بالإسكان والواو بدل الهمز قياساً على هزوا ، وهو شاذ لا يصحُّ، وكذا لغة خُفِّفَت فيها الهمزة بين بين ضعيفة.

يُنظَر : الحجّة في القراءات السبع / ٨٢ ، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر / ٢٩٧ .

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ٤٠/٣ ، والكتاب (باب ما يسكن استخفافاً وهو في الأصل متحرك) ١١٣/٤ - ١١٤ ، والتذكرة

في القراءات الثمان / ٢٧٤ ، والبحر المحيط ٣١١/٢ .

^٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ٤٠ / ٣ .

^٥ يُنظَر : التحرير والتنوير ٤٠/٣ ، الجامع لأحكام القرآن ٣٠١/٣ ، والنبيان في إعراب القرآن ١١١/١ ، ومعالم التنزيل

٣٢٤/١ ، والكشّاف ٢٣٠/١ ، والبحر المحيط ٣٩/٣ ، والحجّة في القراءات السبع / ٨٢ ، وإتحاف فضلاء البشر في

القراءات الأربعة عشر / ٢٩٧ ، والنشر في القراءات العشر ٥٤٥/١ ، واللّباب في علوم الكتاب ٢٨٨/٣ ، والدُّر

المصون ٥٧٧/ ٢ .

لَدُنِّي عُدْرًا ﴿٧٦﴾ ، ومن قوله ﷺ : ﴿عُدْرًا أَوْ نُدْرًا ﴿٦﴾﴾ ، فقد نقل قراءة الجمهور (عُدْرًا)

بإسكان الذال، وقراءة رُوْح عن يعقوب (عُدْرًا) بضمها على الإتياع لحركة العين.

وأورد في (نُدْرًا) قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وأبي بكر عن عاصم وأبي جعفر ويعقوب (نُدْرًا) بضم الذال وهو الغالب فيه .

وقراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم وخلف (نُدْرًا) بإسكان الذال على الوجهين المذكورين في (عُدْرًا) . ونرى أنّ في (عُدْرًا^٣) و (نُدْرًا) قراءات :

الأولى : قراءة حفص عن عاصم ، وأبي عمرو ، وحمزة والكسائي، و خلف، ووافقهم اليزيدي والأعمش (عُدْرًا) و (نُدْرًا) بإسكان الذال (تخفيفاً) في كليهما، والإسكان لغة تميم وأسد وعامة قيس .
٤

الثانية : قراءة أهل الحجاز والحسن ، وزيد بن ثابت وابن خارجه وطلحة (عُدْرًا) و(نُدْرًا) برفع الذال (تثقيلاً) في كليهما، والضّم لغة أهل الحجاز .
٥

الثالثة : قراءة عاصم ، والحرميّان (ابن كثير ونافع) وابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر، (عُدْرًا) خفيفة، و (نُدْرًا) مثقّلة ، والحجة لهم في ذلك أنّهم أتوا باللغتين ليعلم جوازهما، وإجماعهم على تخفيف الأولى يوجب تخفيف الثانية، وأنّه يجوز أنّ يكون كلُّ منهما أصلاً لآخر،

١ سورة الكهف / ٧٦ .

٢ سورة المرسلات / ٦ .

٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٩ / ٤٢٢ - ٤٢٣ .

٤ يُنظَر : معاني القرآن ، للفرّاء ٥ / ١٧٢ ، والحجّة في القراءات السبع / ٣٦٠ ، والسبعة في القراءات ١ / ٦٦٦ ، وحجّة القراءات / ٧٤٢ ، وإتحاف فضلاء البشر ١ / ٢٦٤ ، والدُّرُّ المصون ١ / ٣٩٤٢ - ٥٧٢٠ .

٥ يُنظَر : معاني القرآن ، للفرّاء ٥ / ١٧٢ ، والحجّة في القراءات السبع / ٣٦٠ ، وحجّة القراءات / ٧٤٢ ، وإتحاف فضلاء البشر ١ / ٢٦٤ ، والدُّرُّ المصون ٧ / ٥٣٢ .

وَأَنْ يَكُونَ أَصْلَيْنِ، وَيَجُوزُ فِي كُلِّ مِنَ الْمُثَقَّلِ وَالْمُخَفَّفِ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا، وَأَنْ يَكُونَ جَمْعًا سَكَّنَتْ
عَيْنُهُ تَخْفِيفًا .^١

رابعاً : قراءة روح عن يعقوب ووافقته الحسن (عُدْرًا) مثقلة بضم العين مع الذال،
و(نُذْرًا) خفيفة بإسكان الذال .^٢

^١ يُنظَرُ : معاني القرآن، للفراء ١٧٢/٥، ومعاني القرآن، للأخفش ٧٩/١، والحجّة في القراءات السبع / ٣٦٠، والسبعة في
القراءات ٦٦٦/١، وحجّة القراءات / ٧٤٢، وإتحاف فضلاء البشر ٢٦٤/١، والدُّرُّ المصون ٥٣٢/٢ .
^٢ يُنظَرُ : إتحاف فضلاء البشر ١ / ٧٦٢ ، والنشر في القراءات العشر ٢ / ٢٤٧ ، والبدور الزاهرة / ٣٥٧ .

المبحث الثالث

الإدغام والإبدال

أولاً : الإدغام

الإدغام : هو ظاهرة صوتية مهمّة في القراءات القرآنيّة ، وَهُوَ - كما عرّفه - ابن السراج، وأبو علي الفارسي وصلُّ َحرفٍ ساكنٍ بحرفٍ مثله مِنْ موضعه مِنْ غيرِ حركةٍ تفصلُ بينهما ولا وقف، فيصيرانِ بتداخلهما كحرفٍ واحدٍ ، ترفعُ اللسانَ عَنْهما رفعةً واحدةً، ويشتدُّ الحرفُ، بحيث ترى أَنَّ كُلَّ حرفٍ شديدٍ يقومُ في العروضِ والوزنِ مقامَ حرفينِ الأوَّلِ مِنْهُما ساكنٌ، وذلك مثل : مُدَّ، وَعَضَّ ، وفِرَّ .

ويزيد ابن جني ذلك وضوحاً بأن جعل المعنى الجامع لهذا كُلُّه تقريب الصوت من الصوت، حيث يتمُّ إخفاء الساكن الأوَّل في الثاني حتَّى ينبأ اللسان عنهما نبوة واحدة، وزالت الوقفة التي كانت تكون في الأوَّل لو لم يُدغم في الآخر .

وتوجد مصطلحات مهمّة في درس الإدغام منها: المثلان، أو المتماثلان، والمتقاربان، والمتجانسان ، والإدغام الصغير، والإدغام الكبير، والإدغام التام، والإدغام الناقص. وانفرد ابن جني بمصطلحات خاصّة؛ ك(الإدغام الأكبر) ويعني بهما الإدغام بنوعيه الصغير والكبير، و(الإدغام الأصغر) ويعني به تأثر الصوت بصفة غيره، ومماثلته له مماثلة غير تامّة، مثل إمالة

^١ يُنظر : الكتاب ٤ / ١٠٤ - ١٠٥ ، ٤٣١ ، والأصول في النحو، ابن السراج: أبو بكر، محمد بن السري، (٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط ٣، ١٩٩٦ م / ٣ / ٤٠٥ . والتكملة / ٦٠٨ ، والصحاح (دغم) ٥ / ١٩ ، والعين ٤ / ٣٩٥ ، وشرح الهداية، للمهدوي ١ / ٧٥ .

^٢ يُنظر : الخصائص ٢ / ١٣٩ - ١٤٠ .

^٣ هذا المصطلح أضافه المجوّدون المتأخرون ، وهما ما اتفقا مخرجاً ، وأما المتقاربان فهما ما اتفقا صفة ، لا مخرجاً . يُنظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد / ٣٩٦ .

الألف، وتحوُّل التاء إلى طاء في جوار الأصوات المطبقة، أو إلى دال بعد الأصوات المجهورة، كازدهر، واصطبر .^١

علة الإدغام :

إنَّ علة الإدغام التخفيف؛ لأنَّه يصعب على اللسان إذا لفظ بالحرف من مخرجه، أن يعود مرَّةً أخرى إلى المخرج نفسه ليلفظ بحرف آخر مثله. وشبَّهه الخليل بمشي المقيّد الذي يرفع رجله من موضع ثم يعيدها إليه ، وشبَّهه بعضهم بمن قطع مسافة ثم رجع القهقري، وشبَّهه بعضهم بإعادة الحديث مرّتين، وكلُّ ذلك ثقيل. فأسكن الحرف الأول وأدغم في الثاني، ليعمل اللسان مرة واحدة، فهو تخفيف وتقليل الكثير .^٣

الوصف الصوتي للإدغام

الإدغام - كما سبق - ظاهرة صوتيّة مهمّة في القراءات القرآنيّة ، فحينما يتجاور صوتان لا حركة بينهما فهما إمّا من جنسين مختلفين ، أو من جنس واحد، فإن كانا من جنسين مختلفين فالإظهار هو الأصل ، فتلتقي أعضاء النطق لنطقه ، ثمّ تتفرّق لتلتقي مرّةً أخرى لنطق الصوت الذي يليه ، أمّا إن كانا من جنس واحد فإنّ أعضاء النطق تلتقي لنطق الصوت الأوّل وتظلُّ في لقاءها حتّى تنطق الصوت الذي يليه (المدغم فيه) مثل :

بَيْتَ = ن ب ت يث تلتقي الشفتان مع نطق الباء الأولى فلا تنفرجان لتلتقيا لنطق الثانية ؛ بل تظلان منطقتين حتّى تسمع الثانية بعد انفجارها إثر انفراج الشفتين .

^١ يُنظر : الخصائص ٢ / ١٣٩ - ١٤١ ، والإدغام مفهومه وأنواعه وأحكامه، أبو أوس إبراهيم الشمسان، مجلة جامعة الإمام (العدد ٢٥) المحرّم ١٤٢٠هـ / ٢ .

^٢ يُنظر : الكتاب ٣ / ٥٣٠ .

^٣ يُنظر : إعراب السبع ١ / ٥٦ ، وحجّة القراءات / ٨٤ ، والكشف عن وجوه القراءات ١ / ١٣٤ ، وشرح الهداية ١ / ٨١ ، والموضح ١ / ١٩٤ ، والجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، (أصل الكتاب رسالة دكتوراة من كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة حلب ٢٠٠٥ م)، عبد البديع النيرباني، دار الوثائقي - دمشق / ١٠٣ .

ومن ذلك نلاحظ الفرق الزمني في النطق بين الحرف المدغم ، والحرف غير المدغم، ففي نطق (نَبَتْ) مثلاً، نرى أنّ انفجار الصوت في نطق الباء المدغمة يتأخّر عن انفجار الصوت في نطق الباء غير المدغمة . ولذلك يُعَدُّ بعض المتأخّرين الصوت المشدّد صوتاً واحداً، وهذا قد يصحّ على المستوى الصوتي فقط ، لا على المستوى الوظيفي . ولا يجتمع الصوتان المدغمان في مقطع واحد ، وإنما يجتمعان في مقطعين متواليين، حيث يكون أولهما قفلاً للمقطع الأول، وآخرهما مفتاحاً للمقطع الثاني ، كما في (عَلَّم) مثلاً :

عَلَّم = ع / ل / ل / م - / مقطوع قصير مغلوق / مقطوع قصير مفتوح / مقطوع قصير مفتوح]

حيث أفُفِلت اللام الأولى المقطع الأول ، وفتحت اللام الأخرى المقطع الثاني .

إدغام المثلين

هو إدغام صوتين متَّفِقين في كلِّ الصفات الصوتيّة، كإدغام الباء في الباء^٣ في مثل قوله ﷺ: ﴿أَذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَاَلِقْهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾^{٢٨}، والمثلان: هما الصوتان اللذان اتحدا في الاسم والرسم كالكافين في نحو (مَنْاسِكُكُمْ)، والهائين في نحو ((وَتَحْسِبُونَهُ هَيِّنًا)) وسميا بذلك لأنَّ اسمهما واحد، وذاتهما في الرسم واحدة، وهذا التعريف أشمل من قولهم في تعريف المثلين بأنَّهما الحرفان اللذان اتفقا مخرجاً وصفة؛ لعدم دخول الياءين والواوين في نحو (فِي يَوْم) ، والواوين في نحو (قَالُوا وَهُمْ) مع اتحادهما في الاسم والرسم، وهما من المثلين ، وإن اختلفا في المخرج والصفة .

^١ مثل فندريس . يُنظَر : اللغة / ٤٩ ، ودراسات في علم أصوات العربيَّة / ٣٠ - ٣١ .

^٢ يُنظَر : الإدغام مفهومه وأنواعه وأحكامه / ٢ - ٣ .

^٣ يُنظَر : الإدغام مفهومه وأنواعه وأحكامه / ٧ .

^٤ سورة النمل / ٢٨ .

^٥ هداية القاري ، عبدالفتاح السيد عجمي المرصفي ، الأستاذ المساعد بقسم القراءات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

القراءات القرآنية في إدغام المتماثلين :

فقد ذكر ابن عاشور في الإدغام المتماثلين قراءات عدّة، منها:

١. قراءة (أَضْطَرَّ) من قال ﷻ : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٧٣) ، ومن قوله ﷻ : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمَ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَإِنْ تَسَنَّقَسُمُوا بِالْأَلْزَمِ ذَلِكَ كُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣) ، ومن قوله ﷻ : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٤٥) ، ومن قوله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١١٥) ، فقد ذكر فيها قراءتين: ٤

١ سورة البقرة / ١٧٣ .

٢ سورة المائدة / ٣ .

٣ سورة الأنعام / ١٤٥ .

٤ سورة النحل / ١١٥ .

القراءة الأولى : قراءة (أَضْطَرَّ) بضمّ الطاء، ونسبها إلى الجمهور، وخرّجها على أنّ أصله اضْطَرَّ، فسكّن الراء الأوّل ليدغم في الراء الثاني مع بقاء حركة الطاء كما هي، فلم تُنقل حركة الراء إليها.

القراءة الثانية : قراءة (أَضْطَرَّ) بكسر الطاء، ونسبها إلى أبي جعفر، وخرّجها على أنّه تمّ نقل حركة الراء الأولى (الكسرة) إلى الطاء بعد طرح حركة الطاء .^١

٢ . من القراءات التي ذكرها ابن عاشور في الإدغام المتماثلين قراءة (مَنَسِكُكُمْ) من قوله ﷺ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكُكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ (٢٠٠) ، فقد ذكر فيها ابن عاشور قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الإدغام (مَنَسِكُكُمْ) بإدغام الكاف في نظيرتها، وهو الإدغام الكبير، ونسبها إلى السوسي عن أبي عمرو. وشبهه أبو عمرو الداني الإعراب بحركة البناء، فحذفها للإدغام.

القراءة الثانية: قراءة (مَنَسِكُكُمْ) بفتح الكافين، ونسبها إلى جميع القراء عدا السوسي .
٣ . من القراءات التي ذكرها ابن عاشور في الإدغام المتماثلين قراءة (لَا تُضَاكَّرُ) من قوله ﷺ: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَاكَّرُ وَوَالِدَةٌ إِذَا بَوْلَدَهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ^٤ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ^٥ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ

^١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢ / ١٢١ .

^٢ سورة البقرة / ٢٠٠ .

^٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢ / ٢٤٤، والإدغام الكبير، لأبي عمرو الداني / ٤٠ .

أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ^ط وَأَنْتُمْ اللَّهُ وَأَعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور في 'قراءة (لَا تُضَاَرُّ) قراءة:

القراءة الأولى: قراءة (لَا تُضَاَرُّ) بإدغام الراء الأولى في الثانية إدغام المتماثلين، ونسبها إلى الجمهور، وخرَّجها على أنه تم فتح الراء مشددة واعتبار (لا) حرف نهي، و(تضارُّ) مجزوم بلا الناهية، وأنَّ الفتحة جاءت للتخلص من التقاء الساكنين الذي نشأ عن تسكين الراء الأولى؛ ليتأتى الإدغام، وأنَّ تسكين الراء الثانية للجزم، وحرَّك بالفتحة كونها أخفَّ الحركات .

القراءة الثانية: قراءة (لَا تُضَاَرُّ) برفع الراء، ونسبها إلى ابن كثير وأبي عمرو، وخرَّجها على أنَّ (لا) حرف نفي، والكلام خبر في معنى النهي، وأنَّ كلتا القراءتين يجوز أن تكون على نيَّة بناء الفعل للفاعل بتقدير: لا (تضارُّ) بكسر الراء الأولى، وبنائه للنائب بتقدير فتح الراء الأولى لا (تضارُّ).

القراءة الثالثة: قراءة (لَا تُضَاَرُّ) بإسكان الراء مخففة مع إشباع المدِّ، ونسبها إلى أبي جعفر، وخرَّجها على أنها من (ضَارُّ، يَضِيرُ)، لا من (ضَارُّ) المضاعف. وأنَّ وقع في (الكشاف) أنه قرأ (لَا تُضَاَرُّ) بالسكون مع التشديد على نيَّة الوقف أي إجراء للوصول مجرى الوقف، ولذلك اغتفر التقاء الساكنين .

٤ . من القراءات التي ذكرها ابن عاشور في الإدغام المتماثلين قراءة (تَيْمَمُوا) من قوله

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ^ط وَلَا تَيْمَمُوا الْخَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغِضُوا فِيهِ^ع وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ
حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور فيها قراءات:

١ سورة البقرة / ٢٣٣ .

٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢ / ٤٣٤ ، والكشاف ١ / ٢٠٦ ، والدُّرُّ المصون ٢ / ٤٦٧ .

٣ سورة البقرة / ٢٦٧ .

القراءة الأولى: قراءة (وَلَا تَيَمَّمُوا) بتشديد التاء ومدّ الألف في الوصل، ونسبها إلى البزّي عن ابن كثير، وابن فليح، وخرّجها على أنه تمّ تشديد التاء ومدّ الألف في الوصل على اعتبار الإدغام فيما بعدها؛ لأنّه كان في الأصل تاءان؛ تاء المخاطبة، وتاء الفعل، فأُدْغِمَتِ التاء الأولى في الثانية .

القراءة الثانية: قراءة (وَلَا تَيَمَّمُوا) بتاء واحدة خفيفة وصلّاً وابتداءً، ونسبها إلى الجمهور، وخرّجها على أنّ أصله (تَتَيَمَّمُوا) بتاءين من غير حذفٍ ولا إدغام، فحُذِفَتْ إحداها تخفيفاً، وأنّه توجد في هذا النحو: طريقان في التخفيف؛ إمّا الإدغام، وإمّا الحذف . وقل مثل

ذلك في أخواتها، وقد وردت في ثلاثة وعشرين موضعاً : (وَلَا تَفَرَّقُوا) في قوله ﷺ : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ، و (تَوْفَهُمْ) في قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧﴾ ، و في قوله ﷺ : ﴿ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ، و في قوله ﷺ : ﴿ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ

١ يُنظَر : التحرير والتنوير ٣ / ٥٧ ، ومفاتيح الغيب ٤ / ٢ ، والذُّرُّ المصون / ٩٨٨ .

٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ٣ / ٥٧ ، ومفاتيح الغيب ٤ / ٢ ، والذُّرُّ المصون / ٩٨٨ ، ٤٦٧٨ .

٣ سورة آل عمران / ١٠٣ .

٤ سورة النساء / ٩٧ .

٥ سورة النحل / ٢٨ .

أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ، و(تعاونوا) في قوله ﷻ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا مَحْلُوا شَعِيرِ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدَىٰ وَلَا الْقَلَيْدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ ، وفي فتنرك بكم، وفي تلقف، تولوا، تنازعوا، تربصون، فإن تولوا ، لا تكلم ، تلقونه ، تبرجن ، تبدل ، تناصرون ، تجسسوا، تنابزوا، لتعارفوا، تميز، تخيرون ، تلهى ، تلظى ، تنزل الملائكة، وذكر أبو علي: أن هذا الإدغام غير جائز؛ لأنَّ المدغم يسكن، وإذا سُكِّنَ لزم أن تجلب همزة الوصل عند الابتداء به، كما جلبت في أمثلة الماضي نحو: ((ادَّارَأْتُمْ)) ، و((ارتبتم)) ، و((اظَّيرنا)) ، لكن أجمعوا على أن همزة الوصل لا تدخل على المضارع. وجوز ابن عادل، والسمين الحلبي ذلك؛ لأنَّ الساكن الأول حرف لين، وهذا بخلاف قراءته في ((ناراً تلظى)) ، وفي ((إذْ تَلَقَّوْنَهُ)) ، فَإِنَّهُ فِيهِ جَمْعٌ بَيْنَ سَاكِنَيْنِ ، وَالْأَوَّلُ حَرْفٌ صَحِيحٌ .

٨

وقد اختلفوا في التاء المحذوفة على قراءة العائمة، هل المحذوف الثانية - وهو الأولى - لحصول الثقل بها، ولعدم دلالتها على معنى المضارعة ، ولضعفها بكونها بدلاً، وحصول التكرير بها ويؤيد ذلك سيوييه، وأبو البقاء ، وأبو حيّان ، أو المحذوفة الأولى واختاره هشام إذ زعم أن

١ سورة النحل / ٣٢ .

٢ سورة المائدة / ٢ .

٣ سورة البقرة / ٧٢ .

٤ سورة المائدة / ١٠٦ .

٥ سورة النمل / ٤٧ .

٦ سورة الليل / ١٤ .

٧ سورة النور / ١٥ .

٨ يُنظَر : اللّٰبَاب فِي عِلْمِ الْكُتَاب ٣ / ٣٠٨ ، و مفاتيح الغيب ٤ / ٢ ، واللّٰبَاب فِي عِلْمِ الْكُتَاب ٣ / ٣٠٨ .

المحذوفة هي التي للمضارعة، الدالة في مثل هذا على الخطاب ، ووجه أبو عبيد هذه القراءة على حذف تاء الفاعل وإبقاء تاء الخطاب، كقوله (وَتَعَاوَنُوا) ، و(مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ)، وأنشد قول الشاعر :

تَعَاطَسُونَ جَمِيعاً حَوْلَ دَارِكُمْ فُكُلَكُمْ يَا بَنِي حَمْدَانَ مَزْكُومٌ
وقال إنه أراد: تتعاطسون فحذف التاء الأولى، وقال بعضهم : أيهما أسقطت جاز لنيابة الباقية عنها .
٣

ونقول مثل ذلك في (تاء) القراءات التي نقلها ابن عاشور مثل (تاء): (تَظَاهِرُونَ)

من قوله ﷺ : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور فيها قراءات:

القراءة الأولى: قراءة (تَظَاهِرُونَ) بفتح التاء وتشديد الظاء مفتوحة دون ألف وتشديد الهاء مفتوحة، ونسبها إلى نافع وابن كثير وأبي عمرو.

القراءة الثانية: قراءة (تَظَاهِرُونَ) بضم التاء وفتح الظاء مخففة وألف وهاء مكسورة، ونسبها إلى حفص عن عاصم .

القراءة الثالثة: قراءة (تَظَاهِرُونَ) بفتح التاء وفتح الظاء مخففة بعدها ألف وفتح الهاء، ونسبها إلى حمزة والكسائي وأبي بكر عن عاصم وخلف .
٦

١ يُنْظَرُ : تفسير البحر المحيط ١ / ٣٧٨ .

٢ البيت من بحر البسيط . لا يُعْرَفُ قائله . يُنْظَرُ : البحر المحيط ١ / ٤٥٩ ، واللباب في علوم الكتاب ٢ / ٢٤٩ ، والدرّ المصون ١ / ٤٧٩ ، والكشف والبيان ١ / ٢٣٠ .

٣ يُنْظَرُ : مفاتيح الغيب ٤ / ٢ ، و الدرّ المصون ١ / ٤٧٩ ، اللّباب في علوم الكتاب ١ / ٤٣٢ ، والكشف والبيان ١ / ٢٣٠ .

٤ سورة الأحزاب / ٤ .

٥ ورُوِيَتْ عن مجاهد وقتادة .

٦ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ٢١ / ٢٥٧ .

وهناك قراءتان أخرى لم يذكرها ابن عاشور، وهي: قراءة (تُظَاهِرُونَ) بتشديد الظاء، أي بإدغام الظاء في التاء، قرأ بها باقي السبعة.

وقراءة (تُظَاهِرُونَ) بضم التاء وكسر الهاء، قرأ بها أبو حيوة، فهذه خمس قراءات، بمعنى واحد، وهو التعاون والتناصر .

٥. من القراءات التي ذكرها ابن عاشور في الإدغام المتماثلين قراءة (يَبْتَعِ) من قوله

﴿ وَمَنْ يَبْتَعِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ (٨٥) ، فقد ذكر ابن عاشور فيها قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة الإدغام (يَبْتَعِ عَيْرَ) بتسكين الغين الأولى، ثم إدغامها في الغين الأخرى مراعاة للفظ، وهو الإدغام الكبير، ونسبها إلى الشوسي عن أبي عمرو.

القراءة الثانية: قراءة (يَبْتَعِ عَيْرَ) بإظهار حرفي الغين في كل كلمة؛ لأنه بينهما فاصلاً، فلم يلتقيان في الحقيقة، ونسبها إلى جنيع القراء .

٦. من القراءات التي ذكرها ابن عاشور في الإدغام المتماثلين قراءة (يَضْرُكُمُ) من

قوله ﴿ إِنَّ تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرُكُمُ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (١٢٠) ، حيث ذكر ابن عاشور فيها قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة (يَضْرُكُمُ) بضم الضاد، وضمّ الراء مشددة، ونسبها إلى ابن عامر، وحمزة، وعاصم، والكسائي، وأبي جعفر، وخلف، وخرّجها على أنه من (ضُرَّه يَضُرُّه)، وأنَّ

١ يُنْظَرُ : تفسير البحر المحيط ١ / ٣٧٨ .

٢ سورة آل عمران / ٨٥ .

٣ التحرير والتنوير ٣ / ٣٠٣ .

٤ سورة آل عمران / ١٢٠ .

الضمّة هنا ضمّة اتّباع لحركة العين عند الإدغام للتخلّص^١ من التقاء الساكنين؛ سكون الجزم وسكون الإدغام، وهو اختيار سيبويه في مثل هذا ، وذكر أنّه يجوز في مثله من الأفعال المضمومة العين في المضارع ثلاثه وجوه في العريّة: الضمّ لاتباع حركة العين، والفتح لخفته، والكسر لأنّه الأصل في التخلّص من التقاء الساكنين ، ولم يُقرأ إلاّ بالضمّ في المتواتر .^٣

القراءة الثانية: قراءة (لا يَضْرُكُم) بكسر الضاد وسكون الراء، ونسبها إلى نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، ويعقوب، وخرّجها على أنّها من (ضاره يضيره) بمعنى (أضره) .^٤

٧. من القراءات التي ذكرها ابن عاشور في الإدغام المتماثلين قراءة (تَسَاءُلُونَ) من

قوله ﷺ : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١ ﴾ فقد ذكر ابن عاشور فيها قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة (تَسَاءُلُونَ) (بتشديد السين)، ونسبها إلى الجمهور، وخرّجها على أنّه تمّ إدغام تاء التفاعل (التاء الثانية) في السين لقرب المخرج، واتحاد الصفة وهي الهمس على إنّ أصلها (تَسَاءَلُونَ) .

القراءة الثانية: قراءة (تَسَاءُلُونَ) بتخفيف السين، ونسبها إلى حمزة وعاصم والكسائي وخلف، وخرّجها على أنّه تمّ حذف تاء الافتعال تخفيفاً .^٦

^١ أي إنّ ضمّة الراء لاتباع ضمّة الضاد .

^٢ يُنظَر : المحرّر الوجيز ١ / ٤٩٣ ، والحجّة للقراء السبعة ٣/٧٤ - ٧٥ ، والدُّرُّ المصون ٣/٣٧٤ - ٣٧٧ .

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ٤ / ٦٨ - ٦٩ ، والمحرّر الوجيز ١ / ٤٩٣ .

^٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ٤ / ٦٨ - ٦٩ .

^٥ سورة النساء / ١ .

^٦ يُنظَر : التحرير والتنوير ٤ / ٢١٧ ، ومعاني القرآن، للأخفش ١/٢٤٣ ، والحجّة للقراء السبعة ٣/١١٨ - ١٢٠ ، والدُّرُّ

المصون ٣/٥٥٣ .

ومثله في قراءة (تَزَاوُرُ) من قوله ﷺ : ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور فيها قراءات:

القراءة الأولى: قراءة (تَزَاوُرُ) بفتح التاء وتشديد الزاي بعدها ألف وفتح الواو، ونسبها إلى نافع وابن كثير وأبي عمرو وأبي جعفر، وخرَّجها على أن أصله (تَتَزَاوُرُ) بتاءين أدغمت تاء التفاعل في الزاي تخفيفاً.

القراءة الثانية: قراءة (تَزَاوُرُ) بتخفيف الزاي، ونسبها إلى عاصم وحمزة والكسائي وخلف، وخرَّجها على أنه تم حذف إحدى التاءين، وهي تاء المضارعة؛ للتخفيف اجتزاء برفع الفعل الدال على المضارعة.

القراءة الثالثة: قراءة (تَزَاوُرُ) بفتح التاء بعدها زاي ساكنة وفتح الواو وتشديد الراء بوزن (تَحْمَرُ)، ونسبها إلى ابن عامر ويعقوب. وكلها أبنية مشتقة من (الزَوْر) بالتحريك، وهو الميل عن المكان .

٢

ومثله في قراءة (بَلِ ادْرَاكُ) من قوله ﷺ : ﴿بَلِ ادْرَاكُ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي سَكِّ مِمَّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور قراءة الجمهور (ادْرَاكُ) بهمز وصل في أوله وتشديد الدال على أن أصله (تدارك) فأدغمت تاء التفاعل في الدال؛ لقرب مخرجها بعد أن سُكِّنَتْ واجتُلِبَ همز الوصل للنطق بالساكن. ونقل ابن عاشور عن الفَرَّاءِ وَشَمْرٍ: أَنَّهُ تَفَاعُلٌ مِنَ الدَّرِكِ بِفَتْحَتَيْنِ وَهُوَ اللَّحَاقُ .

٤

^١ سورة الكهف / ١٧ .

^٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٥ / ٢٧٨ ، والدُّرُّ المصون ٧/٤٥٦ - ٤٥٨ .

^٣ سورة النمل / ٦٦ .

^٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٠ / ٢٠ - ٢١ ، والقاموس المحيط (باب الكاف فصل الدال)/١٢١١ .

وذكر حيرة اللغويين والمفسرين في تصوير معنى الآية على هذه القراءة والتي أدت إلى إثارة حيرة الناظر في توجيه الإضرابين اللذين بعد هذا الإضراب، وكيف يكونان ارتقاء على مضمون هذا الانتقال، وذكروا وجوهاً مثقلة بالتكلف.

وقد خرّجها على هذا الاعتبار اللغوي أَنَّ مَعْنَى التَّدَارُكِ: هُوَ أَنَّ عِلْمَ بَعْضِهِمْ لِحَقِّ عِلْمِ بَعْضِهِمِ الْآخَرَ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ وَهُوَ جِنْسٌ لَمَّا أُضِيفَ إِلَى ضَمِيرِ الْجَمَاعَةِ حَصَلَ مِنْ مَعْنَاهُ عُلُومٌ عَدِيدَةٌ بَعْدَ أَصْنَافِ الْجَمَاعَاتِ الَّتِي هِيَ مَدْلُولُ الضَّمِيرِ فَصَارَ الْمَعْنَى: تَدَارَكْتُ عُلُومُهُمْ بَعْضُهَا بَعْضًا.

واعتبر ذلك صالح لمعنيين: أولهما: أن يكون التدارك وهو التلاحق الذي هو استعمال مجازي يساوي الحقيقة، أي تداركت علوم الحاضرين مع علوم أسلافهم، أي تلاحقت وتتابعت فتلقى الخلف عن السلف علمهم في الآخرة وتقلدوها عن غير بصيرة ولا نظر، وذلك أنهم أنكروا البعث؛ ويشعر لذلك قوله ﷺ عقبه: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وءِآبَاءُنَا أَيْتَانَا

لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وءِآبَاءُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾^١،
وقريب من هذا قوله ﷺ: ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴾^٢.

الوجه الثاني: أن يكون التدارك مستعملاً مجازاً مرسلًا في الاختلاط والاضطراب؛ لأنَّ التَّدَارُكَ والتلاحق يلزمه التداخل، كما إذا لحقت جماعة من الناس جماعة أخرى، أي لم يرسوا على أمر، واختلقت أقوالهم اختلافًا يؤذن بتناقضها، فهم ينفون البعث، ثم يزعمون أنَّ الأصنام شفعاؤهم عند الله من العذاب، وهذا يقتضي إثبات البعث، ولكنهم لا يعذبون ثم يتزودون تارة للآخرة ببعض أعمالهم التي منها: أنهم كانوا يجسسون الراحلة على قبر صاحبها، ويتزودون تارة تأكل ولا تشرب حتى تموت، فيزعمون أنَّ صاحبها يركبها، ويسمونها البليّة، فذلك من اضطراب أمرهم في الآخرة.

^١ سورة النمل / ٦٧ - ٦٨ .

^٢ سورة المؤمنین / ٨١ .

وَأَنَّ فِعْلَ الْمَضِيِّ عَلَى هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ عَلَى أَصْلِهِ . وَحَرْفُ (فِي) عَلَى هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ فِي تَفْسِيرِهَا عَلَى قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ مُسْتَعْمَلٌ فِي السَّبَبِيَّةِ ، أَيْ بِسَبَبِ الْآخِرَةِ .
 وَقَدْ جَوَّزَ وَجْهًا آخَرَ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ (اَدَّرَكَ) مَبَالِغَةً فِي (اَدَّرَكَ) وَمَفْعُولُهُ مَحْذُوفًا تَقْدِيرُهُ :
 (اِدَّرَاكَهُمْ) ، بِمَعْنَى أَنَّهُ حَصَلَ لَهُمْ عِلْمُهُمْ بِوَقْتِ بَعْثِهِمْ فِي الْيَوْمِ الَّذِي يَبْعَثُونَ فِيهِ ، أَيْ يَوْمَئِذٍ يُوقِنُونَ بِالْبَعْثِ ، فَيَكُونُ فِعْلُ الْمَضِيِّ مُسْتَعْمَلًا فِي مَعْنَى التَّحَقُّقِ ، وَيَكُونُ الْحَرْفُ (فِي) عَلَى أَصْلِهِ مِنَ الظَّرْفِيَّةِ .

وَالْقِرَاءَةُ الثَّانِيَّةُ : قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو وَأَبِي جَعْفَرٍ (بَلَّ اَدَّرَكَ) بِهَمْزٍ قَطْعٍ وَسُكُونِ الدَّالِ ، بِدُونِ إِدْغَامٍ ، وَمَعْنَاهُ ؛ انْتَهَى عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ . يُقَالُ : اَدَّرَكَ ، إِذَا فَنِيَ . وَذَكَرَ أَنَّ فِي ثَبُوتِ مَعْنَى (فَنِيَ) لِفِعْلِ (اَدَّرَكَ) خِلَافَ بَيْنِ أُمَّةِ اللُّغَةِ ، وَذَكَرَ إِثْبَاتَ ابْنِ الْمُظْفَرِ فِي رِوَايَةِ شَمْرِ عَنْهُ ، وَقَوْلِ شَمْرِ : وَلَمْ أَسْمَعْ لغيره ، وَإِثْبَاتِ الزَّمْخَشَرِيِّ حَيْثُ عَدَّهُ مِنْ قَوْلِكَ : اَدَّرَكَ الثَّمْرَةَ ؛ بِحَيْثُ تَكُونُ غَايَتُهَا الَّتِي عِنْدَهَا تَعْدَمُ ، وَأَثْبَتَ صَاحِبُ الْقَامُوسِ أَنَّ (اَدَّرَكَ) بِمَعْنَى بَلَغَ وَقْتَهُ وَانْتَهَى وَفَنِيَ . وَذَكَرَ عَنْ أَبِي مَنْصُورٍ : أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى غَيْرُ صَاحِيحٍ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ ، وَأَنَّهُ مَا عَلِمَ أَحَدًا قَالًا : اَدَّرَكَ الشَّيْءَ إِذَا فَنِيَ .

ثُمَّ عَقَّبَ ابْنُ عَاشُورٍ بِأَنَّهُ قَدْ ثَبِتَ فِي اللُّغَةِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : (اَدَّرَكَ الثَّمَارُ) ، إِذَا انْتَهَى نَضْجُهَا ، وَذَكَرَ قَوْلَ الْكُوشِيِّ فِي (تَبْصُرَةِ الْمُتَذَكَّرِ) : أَنَّ الْمَعْنَى فِي عِلْمِهِمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ اَدَّرَكَ الْفَاكِهِةَ ، إِذَا بَلَغَتْ النُّضْجَ ، وَذَلِكَ مُؤَدَّنٌ بِفَنَائِهَا وَزَوَالِهَا ، وَذَكَرَ عَنِ الرَّيِّدِيِّ نِسْبَةَ ذَلِكَ لِلْيَثِ وَابْنِ جَنِيٍّ ؛ حَيْثُ قَالَ : إِنَّ الَّذِي أَنْكَرَهُ الْأَزْهَرِيُّ عَلَى اللَّيْثِ ، أَثْبَتَهُ غَيْرٌ وَاحِدٍ مِنَ الْأَيْمَّةِ ، وَأَنَّ كَلَامَ الْعَرَبِ لَا يَأْبَاهُ ؛ حَيْثُ إِنَّ انْتِهَاءَ كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ ، فَإِذَا قَالُوا اَدَّرَكَ الدَّقِيقُ فَبَأَيِّ شَيْءٍ يُفَسَّرُ؟ أَيُقَالُ إِنَّهُ مِثْلُ اِدَّرَاكِ الثَّمَارِ وَالْقَدْرِ . وَإِنَّمَا يُقَالُ انْتَهَى إِلَى آخِرِهِ فَفَنِيَ ، ثُمَّ نَقَلَ عَنِ ابْنِ جَنِيٍّ فِي الشُّوَادِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : اَدَّرَكْتُ الرَّجُلَ وَادَّرَكْتُهُ وَادَّرَكَ الشَّيْءَ : إِذَا تَتَابَعَ فَنِيَ ، وَبِهِ فُسِّرَ قَوْلُهُ

^١ يُنْظَرُ : التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ٢٠ / ٢١ - ٢٢ .

^٢ يُنْظَرُ : التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ٢٠ / ٢١ - ٢٢ ، وَالْكَشَّافُ ٥ / ٩٩ ، وَالْقَامُوسُ الْمَحِيطُ / (بَابُ الْكَافِ فَضْلُ الدَّالِ) ١٢١١ .

تعالى : " إِنَّا لَمُدْرِكُونَ " وَأَنَّ التَّمَارَ إِذَا أَدْرَكَتْ فَقَدْ عُرِضَتْ لِلْفَنَاءِ ، وكذلك القَدْرُ وَكُلُّ شَيْءٍ
انتهى إلى حدّه فالفناء من لَوَازِمِ مَعْنَى الإِدْرَاكِ .

٨ . من القراءات التي ذكرها ابن عاشور في الإدغام المتماثلين قراءة (وَأَعْتَدْنَا) من
قوله ﷺ : ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ
مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ ٣٧ ، ومن قوله ﷺ : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ
الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ ١٥١ ، ومن قوله ﷺ : ﴿ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا
وَقَدْ نُهِوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبِطْلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ١٦١ ، ومن
قوله ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ
﴿ ٥ ﴾ ، وفي (عَدَدًا) من قوله ﷺ : ﴿ لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ
وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ ٢٨ ، وفي (أَعْتَدْنَا) من قوله ﷺ : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ
سَلْسِلًا وَأَغْلَلًا وَسَعِيرًا ﴾ ٤ ، فقد ذكر ابن عاشور^١ أنّ أصل (أَعْتَدْنَا) (أَعْدَدْنَا) حيث
أُبدلت الدال الأولى تاء لتقارب مخرجيهما، ولثقل الدالين عند فكّ الإدغام باتّصال ضمير الرفع،
وهكذا مادة (أَعَدَّ) في كلام العرب؛ إذا أدغموها لم يبدلوا الدال بالتاء؛ لأنّ الإدغام أخفّ، وإذا
أظهروا أبدلوا الدال تاء، ومن ذلك قولهم: (عَتَادٌ) لَعْدَةُ السِّلَاحِ، و (أَعْتَدُ) جمع عتاد . و في

^١ يُنظَرُ : تاج العروس / (باب الكاف درك) ٦٦٨٧ ، التحرير والتنوير ٢٠ / ٢٢ .

^٢ سورة النساء / ٣٧ .

^٣ سورة النساء / ١٥١ .

^٤ سورة النساء / ١٦١ .

^٥ سورة الملك / ٥ .

^٦ سورة الجن / ٢٨ .

^٧ سورة الإنسان / ٤ .

^٨ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٥ / ٥٣ ، و ٢٩ / ٢٢ .

(عَدَاً) من قوله ﷺ: ﴿لَيَعْلَمَنَّ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَاً﴾ (٢٨) ، ذكر أن (العَدَدَ) بالفكِّ اسم لمعدود، وبالإدغام مصدر (عَدَّ)، فالمعنى هنا: وأحصى كل شيء معدوداً، وهو نصب على الحال، بخلاف قوله ﷺ: ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدَاً﴾ (٩٤) ، وذكر أن العرب فرَّقوا بين المصدر والمفعول؛ لأنَّ المفعول أوغل في الاسميَّة من المصدر، فهو أبعد عن الإدغام لأنَّ الأصل في الإدغام للأفعال . وفي (أَعْتَدْنَا) من قوله ﷺ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ (٤) ، قال ابن عاشور: إنَّ أصل (أَعْتَدْنَا) أعددنا، بدالين، بمعنى هيأنا للكافرين، حيث يُقال: (اعتدَّ) كما يُقال: (أعدَّ)، قال جاء (وأعتدتُّ لهنَّ منَّكاً) من قوله ﷺ: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لهنَّ مَنَّكاً وَآتَتْ كُلَّ وَجْدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (٣١) ، ثمَّ ذكر تردُّد أئمة اللعنة في أنَّ أصل الفعل بدالين أو بتاء ودال، فلم يجزموا بأيِّهما الأصل لكثرة ورود فعل: (أعدَّ)، وفعل (اعتدَّ) في الكلام، ورجَّح أنَّهما فعلاَن نشأ من لغتين ، غير أنَّ الاستعمال خصَّ الفعل ذا التاء بعدة الحرب فقالوا: عَتَاد الحرب ولم يقولوا عَدَاد. وأمَّا (العُدَّة) بضمِّ العين فتقع على كلِّ ما يُعدُّ ويُهَيَّأ، يقال: أَعَدَّ لكلِّ حال عُدَّة. ويطلق العتاد على ما يُعدُّ من الأمور. والأكثر أنَّه إذا أريد الإدغام جيء بالفعل الذي عينه دال، وإذا وجد مقتضى فكَّ الإدغام لموجب مثل ضمير المتكلم جيء بالفعل الذي عينه تاء .

٦

١ سورة الجن / ٢٨ .

٢ سورة مريم / ٩٤ .

٣ يُنظَر: التحرير والتنوير ٢٩ / ٢٥١ .

٤ سورة الإنسان / ٤ .

٥ سورة يوسف / ٣١ .

٦ يُنظَر: التحرير والتنوير ٢٩ / ٣٧٧ .

٩. من القراءات التي ذكرها ابن عاشور في الإدغام المتماثلين قراءة (يَرْتَدُّ) من قوله ﷻ

: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِءَ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ؕ أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ؕ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ؕ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور فيها قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة فكّ الإدغام (مَنْ يَرْتَدُّ) بدالين باعتبار فكّ الإدغام، ونسبها إلى نافع، وابن عامر، وأبي جعفر، وهي لغة أهل الحجاز، ومرسومة في مصحف المدينة ومصحف الشام هكذا. وفكّ التضعيف؛ لأنّ لام الفعل ساكنة بالجزم، وإذا سُكِّنَتْ فالقياس ترك التضعيف؛ لأنّه لا يُدْغَمُ إلَّا في متحرّك، وهي أحد وجهين في مثله، حيث قد تَضَعَّفَ وتدغم وهي ساكنة ، بناء على التثنية والجمع.

القراءة الثانية: قراءة الإدغام (يَرْتَدُّ) بدال واحدة مشدّدة بالإدغام، ونسبها إلى بقیة القراء، وهي لغة تميم، وقد رُسِمَ بالتضعيف (يَرْتَدُّ) في مصحف مكة ومصحف الكوفة ومصحف البصرة، وخرّجها على أنّ الإدغام تمّ هنا بتحريك هذا الساكن بفتح على الدال للتخلّص من التقاء الساكنين لحقّة الفتح، وهذه الحركة العارضة تأتي في بعض الأحوال نحو: رُدًّا، رُدُّوا، رُدِّي، ولم يَرُدًّا ، ولم يَرُدُّوا، وارْدُدِ القوم، ثم حُمِلَ (لم يَرُدِّ)، و(رُدِّ) على ذلك، فالتميميون اعتبروا هذه الحركة العارضة، والحجازيون لم يَعتَبروها ، أو أنّ الإدغام تمّ هنا بناءً على التثنية والجمع؛ لأنّ المجزوم الذي يظهر تضعيفه في الواحد ، إذا ثنِّي أدغم. ويقال للواحد: (ارْدُدْ حقه)، فإذا ثنِّي قيل: (ردّا إليه حقه) ، ولا يُقَالُ : (ارْدُدَا)، وكذلك في الجمع: (رُدُّوا)، ولا يُقَالُ: (ارْدُدُوا)، فثبني العرب أحياناً الواحد على الاثنین، أو الجماعة .

٢

^١ سورة المائدة / ٥٤ .

^٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٦ / ٢٣٥ ، وجامع البيان ٤ / ٣١٦ ، و ٦ / ٢١٩ ، و ١٠ / ٤٢٠ ، والدُّرُّ المصون ٧ / ٣٨٧ - ٣٨٨ ، والتبيان في إعراب القرآن ١ / ٢١٩ ، وحجّة القراءات / ٢٣٠ ، وأوضح المسالك ٤ / ٤١١ .

وذكر أنّ الارتداد مطاوع الردّ، والردّ هو الإرجاع إلى مكان أو حالة، وجاء بقوله ﷺ: ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ (٣٣) . وأنّ الردّ قد يطلق بمعنى (التصيير) ومنه قوله ﷺ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُنَوِّقُكُمْ وَيُنَوِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَوَّلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (٧٠) . وذكر ملحوظة في إطلاق اسم الارتداد على الكفر بعد الإسلام على ما كانوا عليه قبل الإسلام من الشرك وغيره، ثمّ غلب اسم الارتداد على الخروج من الإسلام ولو لم يسبق للمرتدّ عنه اتّخاذ دين قبله .

٣

وقل مثل ذلك في قراءة (وَلِيْمَلِ) من قوله ﷺ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَآكُتُبُوهُ وَلِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلِيْمَلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمِلْ وَلِيَهُ بِالْعَدْلِ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٨٢) فقد ذكر

٤

١ سورة ص / ٣٣ .

٢ سورة النحل / ٧٠ .

٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ٦ / ٢٣٥ ، و ٢٨ / ٧٥ .

٤ سورة البقرة / ٢٨٢ .

ابن عاشور أن في (وَلِيْمَلِيْلٍ) لغتان؛ (أَمَلٌ) و (أَمَلَى) الأولى لغة أهل الحجاز وبني أسد ،
والثانية لغة تميم ، وأنَّ القرآن قد جاء بهما وذكر قوله ﷺ : ((وَلِيْمَلِيْلٍ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ)) ،
وقوله : ﴿ وَقَالُوا اسْطِطِرُّوا لِلأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فِيهِ تَمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥٤ ﴾
، وذكر أنَّ الأصل هو (أَمَلٌ) ثمَّ أبدلت اللام ياء لأَنَّها أخف؛ أي عكس ما فعلوا في
قولهم: (تَقَضَّى البازي) إذ أصله تَقَضَّض .

وذكر السمين الحلبي في: قوله (وَلِيْمَلِيْلٍ) أنه أمرٌ من (أَمَلٌ يُمَلُّ)، فلمَّا سَكَنَ الثاني جزماً
جَرى فيه لغتان؛ الفكُّ وهو لغة أهل الحجاز ، والإدغام وهو لغة تميم ، وكذا إذا سَكَنَ وفقاً نحو:
أَمَلٌ عليه وأَمَلٌ، وهذا مطرَّدٌ في كلِّ مضاعفٍ، مثل: (مَنْ يَرْتَدِّدُ)، و(ويرتدُّ) في قوله ﷺ : ﴿
يَتَأَيَّمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
أَعَزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝٥٤﴾ .

وقرئ بالإدغام شذوذاً (وَلِيْمَلِيْلٍ) لغة تميم ، فيقال : أَمَلٌ يُمَلُّ إملاً، وأَمَلَى يُمَلِّي إملاءً.
ودلَّل على (أَمَلٌ يُمَلُّ إملاً) بقول تميم بن أبي :
أَلَا يَا دِيَارَ الْحَبَشِيِّ بِالسَّبْعَانِ أَمَلٌ عَلَيْهِ بِالْبَلَى الْمَلْءَانِ

١ سورة الفرقان / ٥ .

٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ٣ / ١٠٣ .

٣ سورة المائدة / ٥٤ .

٤ البيت لتميم بن أبي ، مطلع قصيدة طويلة على بحر الطويل ، وختمها بقوله :

أَتَاهُنَّ لَبَانٌ بَبِيضٌ نَعَامَةٌ حَوَاهَا بِذِي اللَّصْبِيِّنِ فَوْقَ جَنَانِ

ويروى هذا البيت أيضاً لعمر بن أحمد الباهلي توفي بعد الهجرة بخمس وسبعين عاماً . وهو الشاهد رقم (١١٢٢) في

الدر المصون .

ودلّ على (وأملَى يُملَى إملاءً) بقوله: ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا ﴾^١
 فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ، ويقال: أَمَلْتُ وَأَمَلَيْتُ، ففعل: هما لغتان، وقيل:
 الياء بدل من أحد المثلثين، وأصل المادتين: الإعادة مرة بعد أخرى .^٢
 وذكر في تفسير اللفظين (الإملاء والإملال) عن صاحب (اللسان) و (القاموس) أنه
 بمعنى أن يُلقَى كلاماً على سامعه ليكتبه عنه. ثم عَقِبَ بأنه نشأ عن حصر نظرهم في هذه الآية
 الواردة في غرض الكتابة، وإلا فإن قوله تعالى: ﴿ فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾^٣
 تشهد بأن الإملاء والإملال يكونان لغرض الكتابة، ولغرض الرواية والنقل كما في آية الفرقان،
 ولغرض الحفظ كما يقال مَلَّ المؤدب على الصبي للحفظ، وهي طريقة تحفيظ العميان. ثم خُصَّ
 على أن تحرير العبارة أن يُفسَّرَ هذان اللفظان بإلقاء كلامٍ ليكتب عنه، أوليُروى، أوليُحفظ،
 والحق هنا ما حق، أي ثبت للدائن .^٤

ومثله في قراءة (وَلَا تُشْطِطُ) من قوله ﷺ: ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ ^ط
 خَصَمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحَكُمُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطُ وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ ﴾، جاء
 عن السمين الحلبي أن: العامة تقول: (ولا تُشْطِطُ) على ضَمِّ التاء وسكونِ الشين وكسرِ الطاء
 الأولى مِنْ (أَشْطَطَ، يُشْطِطُ) إذا تجاوز الحق. وذكر عن أبي عبيدة: (شَطَطْتُ فِي الْحُكْمِ؛
 وَأَشْطَطْتُ فِيهِ)، إذا جُرْتُ، فهو مِمَّا اتفق فيه فَعَلَ وَأَفْعَلَ ، وإِذَا فَكَّهَ على أحدِ الجائزَيْنِ كقوله:
 (مَنْ يَرْتَدِدْ). وأورد قراءة الحسن وأبي رجاء وابنِ أبي عبلَةَ (تَشْطِطُ) بفتحِ التاء، وضَمِّ الطاءِ مِنْ
 (شَطَطَ) بمعنى أَشْطَطَ. وقراءة قتادة (تُشِطُّ) مِنْ أَشْطَطَ رباعياً، إلاَّ أَنَّهُ أدغم، وهو أحدِ الجائزَيْنِ

^١ سورة الفرقان / ٥ .

^٢ يُنظَرُ : الدر المصون / ١٠٣٧ .

^٣ سورة الفرقان / من آية ٥ .

^٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٣ / ١٠٣ .

^٥ سورة ص / ٢٢ .

كقراءة مَنْ قَرَأَ (مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ)، وعنه أيضاً (تَشَطَّطٌ) بفتح الشين وكسر الطاء مُشَدَّدَةً (شَطَّطَ يُشَطِّطُ). والتثقيل فيه للتكثير. وقرأ زر بن حبيش (تُشَاطِطُ) من المفاعلة .^١

وكذا في قراءة (يُحَادِدِ) من قوله ﷺ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾^{٦٣} قال ابن عاشور: إنه تم فكُّ الدالين من (يُحَادِدِ) ولم يُدغَمَا (لأنَّه جاء مجزوماً)، وجاز فيه الوجهان؛ الفكُّ والإدغام، وأنَّ الفكَّ أشهر وأكثر في القرآن، وهو لغة أهل الحجاز، وقد ورد فيه الإدغام في (يُشَاقِّ) من قوله ﷺ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^٤ ، في قراءة جميع العشرة، وهو لغة تميم، وقد أُدغِمَ القافان في (يُشَاقِّ)؛ لأنَّ الإدغام والإظهار جائزان في مثله .^٤

١٠. من القراءات التي ذكرها ابن عاشور في الإدغام المتماثلين قراءة (تَذَكَّرُونَ) من

قوله ﷺ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَ كُمْ وَصَّانِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^{١٥٢} ، ومن قوله: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^{٢٤} ، ذكر ابن عاشور فيها قراءات:

^١ يُنظَرُ : الدر المصون / ٤٩٠٩ ، و التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٣٤ .

^٢ سورة التوبة / ٦٣ .

^٣ سورة الحشر / ٤ .

^٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٠ / ٢٤٦ ، ٢٨ / ٧٥ .

^٥ سورة الأنعام / ١٥٢ ، وسورة الأعراف / ٣ ، ٥٧ ، وسورة يونس / ٣ .

^٦ سورة هود / ٢٤٤،٣٠ ، وسورة النحل / ١٧،٩٠ ، وسورة المؤمنون / ٨٥ ، وسورة النور / ١،٢٧ ، وسورة النمل / ٦٢ ، وسورة الصافات / ١٥٥ ، وسورة الجاثية / ٢٣ ، وسورة الذاريات / ٤٩ ، وسورة الواقعة / ٦٢ ، وسورة الحاقة / ٤٢ .

القراءة الأولى: قراءة (تَذَكَّرُونَ) بتشديد الذال، ونسبها إلى نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر، وأبي جعفر، ويعقوب، وخرَّجها على أنه تمَّ إدغام تاء التَّفْعُل في الذال؛ لتقارب مخرجيهما تخفيفاً، وأنَّ أصله (تَتَذَكَّرُونَ)، وعدَّ هذا الإدغام إدغاماً سماعياً.

القراءة الثانية: قراءة (نَذَكَّرُونَ) بتخفيف الذال، ونسبها إلى عاصم في رواية حفص، وخلف، وحمزة، والكسائي، وخرَّجها على حذف التاء الثانية من أوَّل الفعل تخفيفاً، وزاد في قوله ﷺ: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا نَذَكَّرُونَ ﴾ (٦٢) قراءة روح عن أبي عمرو وهشام عن ابن عامر (يَتَذَكَّرُونَ) بتحتية في أوَّلها (ياء الغيبة) ثم فوقيَّة على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، ففي قراءة الجمهور نكتة توجيه الخطاب إلى المشركين مكافحة لهم، وفي قراءة روح وهشام نكتة الإعراض عنهم لأنهم استأهلوا الإعراض بعد تذكُّرهم .

وقل مثل ذلك في (أَدَارِكُوا) من قوله ﷺ: ﴿ قَالَ أَدْخُلُوا فِي أُمَّمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آدَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَبْتُمْ وَأُؤْتِلْتُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَسْلَلُونَا فَنَاتَمِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٨) حيث ذكر ابن عاشور أنَّ (أَدَارَكُوا) أصله (تَدَارَكُوا) فقلبت التاء ذالاً؛ لیتَّم إدغامها في الدال للتخفيف، وسكَّنت ليتحقَّق معنى إدغام المتحرِّكين للثقل، واجتلبت همزة

^١ سورة النمل / ٦٢ .

^٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ٨ / ١٨ ، ١٧٠ ، ١٨٤ ، و ١٢ / ٤٣ ، ٥٦ - ٥٧ ، و ١٨ / ١٤٥ ، و ٢٠ / ١٦ ، و ٢٣ / ١٨٥ ، ٢٥ / ٣٦٠ - ٣٦١ ، و ٢٩ / ٣٣٣ .

^٣ سورة الأعراف / ٣٨ .

الوصل لأجل الابتداء بالسّاكن، وهو قلب ليس بمتعيّن ، وأتما هو مستحسن، ويختلف عن قلب التّاء في (ادّان) و (ازداد) و(ادّكر) .

وقل مثل ذلك في (يَخْصِمُونَ) من قوله ﷺ : ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾^١ حيث ذكر ابن عاشور قراءة ورش عن نافع وابن كثير وأبي عمرو في رواية عنه (يَخْصِمُونَ) بتشديد الصاد مكسورة على اعتبار التّاء المبدلة صاداً والمسكنة لأجل الإدغام، ألقيت حركتها على الخاء التي كانت ساكنة.

وقراءة قالون عن نافع وأبي عمرو في المشهور عنه بإسكان الخاء سكوناً مختلساً (بالفتح) لأجل التخلص من التّقاء الساكنين وبكسر الصاد مشدّدة.

وقراءة عاصم والكسائي وابن ذكوان عن ابن عامر ويعقوب وخلف (يَخْصِمُونَ) بكسر الخاء وكسر الصاد مشدّدة، وأصله (يَخْتَصِمُونَ) فوقع إبدال التّاء صاداً لقرب مخرجيهما طلباً للتخفيف بالإدغام ، وأنّ (يَخْصِمُونَ) من الخصومة والخصام وهو الجدل.

وقراءة حمزة (يَخْصِمُونَ) بإسكان الخاء وكسر الصاد مخففة مضارع (خَصِم) قيل بمعنى جادل.

وقراءة أبي جعفر (يَخْصِمُونَ) بإسكان الخاء وبكسر الصاد مشدّدة على الجمع بين الساكنين. والاختصام: اختصاصهم في الخروج إلى بدر أو في تعيين من يخرج لما حلّ بهم من مفاجآت لهم، وهم يختصمون بين مصدّق ومكذّب للنذير .

ومثله في (يَسْمَعُونَ) من قوله ﷺ : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَا الْأَعْلَى وَيَقْدِفُونَ مِنْ كُلِّ

جَانِبٍ ﴾^٢ ، حيث ذكر ابن عاشور قراءة حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وخلف (لا

^١ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ٨ / ١٢١ .

^٢ سورة يس / ٤٩ .

^٣ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ٢٣ / ٣٤ - ٣٥ .

^٤ سورة الصافات / ٨ .

يَسْمَعُونَ) بإدغام السين في السين، وإدغام الميم في الميم مفتوحين على أن أصله (لَا يَسْمَعُونَ) فقلبت التاء سيناً توصلاً إلى الإدغام .

وقراءة الجمهور : (لَا يَسْمَعُونَ) بإسكان السين وتخفيف الميم، وقال: إنَّ القراءتين في معنى واحد. وما نقل عن أبي عبيد من التفرقة بينهما في المعنى والاستعمال لا يصح، ومعناها أنَّ الشهب تحول بين الشياطين وبين أن يسمعوها شيئاً من الملاء الأعلى ، وقد كانوا قبل البعثة المحمّديّة ربّما اختطفوا الخطفة فألقوها إلى الكهّان .^١

وكذا في (لِيَدَّبُرُوا) من قوله ﷻ : ﴿ كَتَبْنَا إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِيَدَّبُرُوا آيَاتِهِ

وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٢٩) ذكر ابن عاشور قراءة الجمهور (لِيَدَّبُرُوا) بياء الغيبة وتشديد الدال، وأصل (يَدَّبُرُوا) (يَتَدَبَّرُوا)، فقلبت التاء دالاً لقرب مخرجيهما ليتأتى الإدغام لتخفيفه، وذكر أن هذه صيغة تكلف مشتقة من الفعل (دَبَّرَ) بوزن (ضَرَبَ)، إذا تبع، فتدبَّره بمنزلة تتبَّعه، ومعناه: أنه يتعقب ظواهر الألفاظ ليعلم ما يدبر ظواهرها من المعاني المكونة والتأويلات اللائقة. وضمير (يَدَّبُرُوا) هنا عائد إلى (أولوا الألباب) على طريقة الإضمار للفعل المهمل عن العمل في التنازع، والتقدير: لِيَدَّبُرَ أولو الألباب آياته ويتذكروا .

قراءة أبي جعفر (لِيَتَدَبَّرُوا) ببناء الخطاب وتخفيف الدال وأصلها : (لِيَتَدَبَّرُوا) فحذفت إحدى التاءين اختصاراً .^٣

وكذا في (الْمُصَدِّقِينَ) من قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَبُوا اللَّهَ قَرَضًا

حَسَنًا يُضَعَّفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (١٨) فقد أورد ابن عاشور قراءة الجمهور (الْمُصَدِّقِينَ) بتشديد الصاد على أن أصله المتصدقين فأدغمت التاء في الصاد بعد قلبها

^١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٣ / ٩٢ .

^٢ سورة ص / ٢٩ .

^٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٣ / ٢٥٢ .

^٤ سورة الحديد / ١٨ .

صاداً؛ لقرب مخرجيهما تطلباً لحفّة الإدغام. وقراءة ابن كثير وأبي بكر عن عاصم بتخفيف الصاد على أنّه من التصديق.

وقراءة ابن كثير وابن عامر وأبي جعفر ويعقوب (يُضَعَّف) بدون ألف وبتشديد العين، حيث أدغموا العين في العين ، وقراءة الجمهور (يُضَعَف) بألف بعد الصاد .

وكذا في (يَزَكِّي) من قوله ﷺ : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ يَزَكِّي ﴾ ، ومن قوله ﷺ : ﴿ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزَكِّي ﴾ فأصله (يَتَزَكَّى) قلبت التاء زايّاً لتقارب مخرجيهما قصداً؛ ليتأتى الإدغام وكذلك فُعِلَ في (يَدَّكِر) من الإدغام .

وفي (بَلَّ رَانَ) من قوله ﷺ : ﴿ كَلَّا بَلَّ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ذكر ابن عاشور قراءة الجمهور بإدغام اللام في الراء بعد قلبها راء لتقارب مخرجيهما. وقراءة عاصم بالوقف على لام (بل) والابتداء بكلمة ران (بَلَّ رَانَ) تجنباً للإدغام. وقراءة حفص بسكتة خفيفة على لام (بل) ليبين أنّها (لام). وذكر عن الزجاج أنّ الإدغام أرجح .

١١. من القراءات التي ذكرها ابن عاشور في الإدغام المتماثلين قراءة (حَى) من قوله ﷺ : ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ۗ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۗ وَلَكِنَّ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ ۝ ١١ ﴾

١ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ٢٧ / ٣٩٥ - ٣٩٦ .

٢ سورة عبس / ٣ .

٣ سورة عبس / ٧ .

٤ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ٣٠ / ١٠٦ .

٥ سورة المطففين / ١٤ .

٦ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ٣٠ / ١٩٩ .

لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور فيها قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة (حَيَّ) بإدغام إحدى الياءين في الأخرى، ونسبها إلى أبي عمرو، وابن كثير برواية القواس، وابن عامر، وحفص عن عاصم، والكسائي، وخرَّجها على أنَّ بإدغام إحدى الياءين في الأخرى جاء على قياس الإدغام، للزوم الحركة في الثاني، ولكتابته في المصحف بياء واحدة.

القراءة الثانية: قراءة (حَيِّي) بإظهار الياءين، ونسبها إلى نافع، والبرقي عن ابن كثير، وأبي بكر عن عاصم، ونصير عن الكسائي، ويعقوب، وخلف، وأبي جعفر، وسهل، وحامد، وخرَّج الإظهار هنا على أنه جاء على الأصل؛ لامتناع الإدغام في مضارعه من (يَحْيَى) فجرى على مشاكلته. وأجاز بعض الكوفيين الإدغام في (وَلَا يَحْيَى) كما ورد في قوله ﷺ: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ ، وفي قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ ، وذكر ابن عاشور أنَّ الوجهين فصيحان .

١٢. من القراءات التي ذكرها ابن عاشور في الإدغام المتماثلين قراءة (لَا تَأْمَنَّا) من قوله ﷺ: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنْصِحُونَ﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور اتفاق القراء على قراءة (لَا تَأْمَنَّا) بنون مشددة مدغمة من نون (أَمِنَ)

١ سورة الأنفال / ٤٢ .

٢ يُنظَر : مفاتيح الغيب ٧ / ٤٠٧ .

٣ سورة طه / ٧٤ .

٤ سورة الأعلى / ١٣ .

٥ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٠ / ٢١ ، والجامع لأحكام القرآن ٨ / ٢٢ ، غرائب القرآن ٤ / ٨٤ .

٦ سورة يوسف / ١١ .

ونون جماعة المتكلمين ، وهي مرسومة في المصحف بنون واحدة . واختلفوا في كيفية النطق بهذه النون بين إدغام محض، وإدغام بإشمام، وقد رجَّح ابن عاشور هذا الوجه، وذكر وجهاً ثالثاً مرجوحاً هو إخفاء بلا إدغام ، وعدَّهما طريقتين للكَلِّ وليساً مذهبين .^١

١٣ . من القراءات التي ذكرها ابن عاشور في الإدغام المتماثلين قراءة (تُجِّي) من قوله

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، فقد

ذكر ابن عاشور فيها قراءتين:

القراءة الأولى: قراءة (تُجِّي) بنون واحدة وتشديد الجيم، ونسبها إلى ابن عامر، وأبي بكر عن عاصم، وخرَّجها على أنه تم إدغام النون في الجيم كما تدغم في اللام والراء. وأنَّ أبا حاتم والزهَّاج اعتبروا هذه القراءة لحن . ووجه أبو عبيد والفرَّاء وثعلب هذه القراءة بأنَّ (تُجِّي) سُكِّنَتْ ياءه ولم تحرك على لغة من يقول (بَقِي) و (رَضِي) فيسكَّن الياء كما في قراءة الحسن لـ (بَقِي) من قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴾ بتسكين ياء (بَقِي)^٢. وعن أبي عبيد والفتي أنَّ النون الثانية أدغمت في

الجيم . وذكر توجيه ابن جِّي متابعاً للأخفش الصغير بأنَّ أصل هذه القراءة (نُجِّي) بفتح النون الثانية وتشديد الجيم ، فحذفت النون الثانية لتوالي المثليين فصار (نُجِّي)، وأوَّل بعض النُّحاة هذه القراءة بأنَّ (نُجِّي) فعل مضى مبني للنائب، وأنَّ نائب الفاعل ضمير يعود إلى النجاء المأخوذ من الفعل ، أو المأخوذ من اسم الإشارة في قوله (وَكَذَلِكَ) . وانتصب (المؤمنين) (على المفعول به على رأي من يجوز إنابة المصدر مع وجود المفعول به . كما في قراءة أبي جعفر (لِيُجْرَى) بفتح الزاي من قوله ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ

^١ يُنظَر: التحرير والتنوير ١٢/٢٢٧ ، ٢٢٨ ، والحجَّة للقرَّاء السبعة ٤/٤٠٠ - ٤٠٢ ، والدُّرُّ المصون ٦/٤٤٧-٤٤٩ .

^٢ سورة الأنبياء / ٨٨ .

^٣ سورة البقرة / ٢٧٨ .

أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ بتقدير ليجزى الجزاء قوماً . ويرى
الزمخشري أنَّ النون لا تدغم في الجيم ، ومن فعل ذلك تمحل لصحته فجعله فعل ، وقال : نجى
النجاء المؤمنين ، فأرسل الياء وأسنده إلى مصدره، ونصب المؤمنين بالنجاء ، فهو متعسف بارد
التعسف .

القراءة الثانية: قراءة (نُجِّي) بإثبات النونين في النطق، ونسبها إلى الجمهور، وقد كُتِبَتْ
في المصاحف بنون واحدة، كما كتبت بنون واحدة في قوله ﷻ: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ
الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشْأَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ
الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤﴾ فحذف إحدى النونين في الخط مجرد تنبيه على اعتبار من
اعتبارات الأداء ، ووجه أبو علي هذا الرسم بأنَّ النون الثانية لما كانت ساكنة، وكان وقوع الجيم
بعدها يقتضي إخفاءها ؛ لأنَّ النون الساكنة تخفى مع الأحرف الشجرية وهي الجيم والشين
والضاد ، فلما أُخْفِيَتْ حُذِفَتْ في النطق فشابه إخفاؤها حالة الإدغام، فحذفها كاتب المصحف
في الخط لخفاء النطق بها في اللفظ ، أي كما حذفوا نون (إِنَّ) مع (لا) في نحو (إلاَّ فعلوه)
من حيث إنَّها تدغم في اللام .

١ سورة الجاثية / ١٤ .

٢ يُنظَر : الكشَّاف ٤ / ٢٥٤ ، والحجَّة للقراء السبعة ٥/٢٥٩ - ٢٦٠ ، والدُّرُّ المصون ٨/١٩١ - ١٩٤ .

٣ سورة يوسف / ١١٠ .

٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٧ / ١٣٣ - ١٣٤ .

ثانيا : الإبدال

هو جعل حرف مكان آخر في نفس الكلمة ، وهو منتشر عند العرب بكثرة، وموجود حتى في القرآن، والإبدال يكون عادة للأحرف المتقاربة اللفظ ، حيث تخلط في نطقها العرب، بدون تمييز بين حرف وآخر ، فالأحرف وكتابتها كما نعرفها اليوم إنما هي ظاهرة حديثة مقارنة بقديم اللغة نفسها . مثل فناء الدار ، وثناء الدار ، حيث جعل الثاء بدل الفاء، ومثل سُنْبُلَة قمح ، وسُمْبُلَة قمح ، حيث جعل الميم بدل النون ، ومثل أَرَأَقَ الدَمَ، وهَرَأَقَ الدَمَ حيث جعل الهاء بدل الهمزة ؛ وهو ظاهرة صوتية من ظواهر اللغة ، قائمة على اختلاف اللغات ، وهو من سنن العرب في كلامها .

أنواع الإبدال:

الإبدال الصرفي : وهو جعل حرف مكان آخر لضرورة لفظية ؛ إما لتسهيل النطق أو لمجازاة الصيغة الشائعة ، وهو إبدال مطرد ضروري عند جميع العرب ، ويقع في حروف معينة، وهذا النوع يكون لأغراض تصريفية موجبة ، وهو قياس شائع ، والحروف التي تبدل من غيرها أبداً، تسعة مجتمعة في : (هدأت موطياً) ، أمّا غيرها فإبدالها قليل ، ك (اطجع) في (اضطجع).

ومنه **الإبدال الصرفي الإعلالي** وهو : تغيير حرف العلة (الواو ، أو الياء ، أو الألف) والهمزة، مثل : سماء تقول سماو ، وبائع تقول بايع، وقائل تقول قاويل ، وصام تقول صوم. وهذا النوع من الإبدال لا يعيننا الآن.

الإبدال اللغوي : هو جعل حرف مكان آخر لغير ضرورة لفظية، وهو إبدال سماعيٌّ نادرٌ، ويقع في حروف كثيرة، وهو قائم على اختلاف اللغات ، لمعانٍ متَّفَقَةٍ ، مثل : الخثالة تبدل إلى الخفالة ، ولثام إلى لفام ، و الأيم إلى الأين ، و عَجَب إلى عَجَم .^١

^١ يُنظَر : الصاحبي / ٢٠٣ ، وشرح شافية ابن الحاجب ٣ / ١٩٧ ، وسرُّ صناعة الإعراب ١ / ١٩٧ ، والمخصَّص ١٣ / ٢٧٤ ، و المزهري في علوم اللغة ١ / ٤٦٠ ، وشرح المفصل ١٠ / ٧ .

والإبدال اللغوي قد يكون في بعض الأحيان قياسياً ، عندما يأتي بعد السين عينٌ أو غيرُ أو خاءٌ أو قافٌ أو طاءٌ جاز قلبُها صاداً ، وتكون هذه الحروفُ مُقارِبَةً للسين لا متباعدة عنها، وأن تكون السين هي الأصل ، فإن كانت الصاد هي الأصل لم يُجْزَ قلبُها سيناً؛ لأنَّ الأضعفَ يُقَلَّبُ إلى الأقوى ، لا العكس ، وإتِّمَّ قلبُها صاداً مع هذه الحروف ، لأنَّها حروفٌ مُسْتَعْلِيَةٌ والسينُ حرفٌ مُسْتَفْلٌ . فالصاد توافق السين في الهمس والصفير ، وتوافق هذه الحروف في الاستعلاء ، فيتجانس الصوت .^١

والإبدال اللغوي هو المراد هنا ، وقد ورد ذلك في القراءات القرآنيَّة ، ذكر منه ابن عاشور :

١ . بين العين والحاء

ذكر ابن عاشور في كلمة (ضبحاً) من قوله ﷺ : ((وَالْعَدِيدِ ضَبْحًا)) أَنَّ الضبح لا يطلق على صوت الإبل في قول أهل اللغة . وذكر عن المبرد وبعض أهل اللغة : أَنَّ من جعلها للإبل جعل (ضبحاً) بمعنى ضَبَعاً ، يُقال : ضبحت الناقة في سيرها وضبعت، إذا مدَّت ضبعيها في السير . وذكر عن أبي عبيدة : ضبحت الخيل وضبعت، إذا عدت، وهو أن يمدَّ الفرس ضبعيه إذا عدا ، وعدَّ (الضبح) لغة في (الضبع) وهو من قلب العين حاء . وذكر عن الزمخشري في (الكشاف) أَنَّهُ غير ثابت . وأنَّ صاحب (القاموس) اعتمده . وعلى تفسير (العاديات) بأنَّها الإبل يكون (الضبح) استعير لصوت الإبل، أي أَنَّهُ من شدة العدو قويت الأصوات المترددة في حناجرها حتى أشبهت ضبح الخيل، أو أريد بالضبح الضبع على لغة الإبدال .^٢

ونراه هنا ذكر الإبدال ولكن لم يذكر القراءات في هذه الكلمة .

^١ يُنظر : الصاحبي / ٢٠٣ ، وشرح شافية ابن الحاجب ٣ / ١٩٧ ، وسرُّ صناعة الإعراب ١ / ١٩٧ ، والمخصَّص ١٣ /

٢٧٤ ، و المزهري في علوم اللغة ١ / ٤٦٠ ، وشرح المفصل ١٠ / ٧ .

^٢ سورة العاديات / ١ .

^٣ يُنظر : التحرير والتنوير ٣٠ / ٤٩٩ .

٢ . بين السّين والصّاد

١ . ذكر ابن عاشور في قراءة (الصِّرَاطُ) من قوله ﷺ : ((أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

١ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾)) قراءة الجمهور (الصراط) باللغة الفصحى (بالصاد) ، وهي لغة أهل الحجاز ؛ حيث أبدلوا السين صاداً لقصد التخفيف في الانتقال من السين إلى الراء ، ثمّ إلى الطاء ، وذكر عن الجعبري في (لطائف الإشارات) أنّهم يفعلون ذلك في كلّ سين بعدها غين أو خاء أو قاف أو طاء ، وإتّما قلبوها هنا صاداً لتطابق الطاء في الإطباق والاستعلاء والتفخّم مع الراء استثقلاً للانتقال من سفلى إلى علو ، بخلاف العكس نحو (طسّنت) ؛ لأنّ الأوّل عمل والثاني ترك .

٢ وقراءة ابن كثير في رواية قنبل (السِّراط) بالسين ، ونطق به جمهور العرب إلّا أهل الحجاز ، والقراءة بالصاد هي الراجحة لموافقته رسم المصحف وكونها اللغة الفصحى ، وبها قرأ جمهور القراء . والصراط الطريق وهو بالصاد والسين وقد قرئ بهما في المشهورة .

٣ وقراءة حمزة في رواية خلف (الزِّراط) بالإشمام حيث قلبوا السين بين الصاد والزاي وهي لغة قيس . ومن العرب من قلب السين زايّاً خالصة ؛ كعذرة وكلب وبني القَيْن ، وهي لغة مرجوحة ولم يُقرأ بها .

وقد كتبت في المصحف بالصاد ، مع أنّها قرأت بالسين ، والزاي تنبيهاً على الأفضح فيها ، لأنّ الصحابة يكتبون بلغة قريش ، واعتمدوا على علم العرب . والذين قرأوا بالسين (السِّراط) تألّوا أنّ الصحابة لم يتركوا لغة السين للعلم بها ، فعادلوا الأفضح بالأصل ، ولو كتبوها بالسين مع أنّها الأصل لتوهّم الناس عدم جواز العدول عنه ؛ لأنّه الأصل والمرسوم كما كتبوا (المصيطر) بالصاد مع العلم بأنّ أصله السين ، وهذا مما يرجع الخلاف فيه إلى الاختلاف في أداء اللفظ ، لا

١ سورة الفاتحة / ٦ - ٧ .

٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ١/١٩٠ ، و الصاحبي /٢٠٣ ، وشرح شافية ابن الحاجب ٣/١٩٧ ، وسرّ صناعة الإعراب ١/١٩٧ ، والمخصّص ١٣/٢٧٤ ، و المزهري في علوم اللغة ١/٤٦٠ ، وشرح المفصّل ١٠ / ٧ .

٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ١/١٩٠ ، وجامع البيان ١/١٧٠ ، وجامع لأحكام القرآن ١/١٢٨ ، ومعالم التنزيل ١/٥٤ ، والكشاف ١/٨ .

في مادة اللفظ لشهرة اختلاف لهجات القبائل في لفظ مع اتحادهم. و(الصراط) اسم عربي ولم يقل أحد من أهل اللغة إنه معرّب، ودُكر عن النقاش وابن الجوزي في (الإتقان) أنه (الطريق) بلغة الروم، وأنّ أبا حاتم ذكر ذلك في كتاب (الزينة).

والمقصود بـ (الصراط المستقيم) الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه . وذلك في لغة جميع العرب ، فمن ذلك قول جرير بن عطية الحطفي :

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى صِرَاطٍ إِذَا عَوَّجَ الْمَوَارِدُ مُسْتَقِيمًا
أي : على طريق الحق . ومنه قول الهذلي أبي ذؤيب :

صَبَحْنَا أَرْضَهُمْ بِالْحَيْلِ حَتَّى تَرَكْنَاهَا أَدَقَّ مِنَ الصِّرَاطِ^٢

٢. ذكر ابن عاشور في (بسطة) من قوله ﷺ : ((وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ

بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ

وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) ، و من قوله ﷺ :^٣

﴿ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً^٤ فَأَذْكُرُوا لآلَاءِ اللَّهِ

^١ يُنظَر : ديوانه / ٥٠٧ ، وجامع البيان / ١ / ١٧٠ ، يمدح في هذا البيت هشام بن عبد الملك . والموارد جمع موردة: وهي الطرق إلى الماء . ويريد الطرق التي يسلكها الناس إلى أغراضهم وحاجاتهم ، كما يسلكون الموارد إلى الماء .

^٢ ليس في ديوانه ، ونسبه القرطبي في تفسيره لعامر بن الطفيل ، وليس في ديوانه ، فإن يكن هذليا ، فلعله من شعر المتنخل ، وله قصيدة في ديوان الهذليين ، على هذه القافية . ولعمرو بن معد يكرب أبيات مثلها رواها القالي في النوادر . يُنظَر : جامع البيان / ١ / ١٧٠ ، والجامع لأحكام القرآن / ١ / ١٢٨ ، وديوان الهذليين ١٨/٢ - ٢٨ ، والنوادر / ٣

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٦٦﴾^١ أنه ثبت في المصاحف (بَصْطَةٌ) بالصاد قبل الطاء، وأنه مرادف (بَسْطَةٌ) بالسین قبل الطاء. ووقع في آیات أخرى. وذكر أنّ الراغب أهمل (بَصْطَةٌ) الذي بالصاد. وأنّ ظاهر كلام القرطبي في هذه الآية أنّها بسین (بَسْطَةٌ)، ولم يؤيِّده على ذلك، ولكن يرى بأنّها وردت بالسین والصاد ، وما أدري كيف حكم على كلام القرطبي مع أنّ القرطبي جوّز أن تكون (بَصْطَةٌ) بالصاد لأنّ بعدها طاء .

٣

وقرأه (بَصْطَةٌ) بالصاد : أبو جعفر ونافع وابن كثير غير ابن مجاهد وأبي عون عن قنبل

وعاصم وعلي وسهل وشجاع وابن الأخرم عن ابن ذكوان الحلواني عن قالون مخيراً .

٤

ومثله (بَسَطْتَ)، و (بِبَاسِطٍ) من قوله ﷺ : ﴿لَيْنٌ بَسَطَتْ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^٢ ، و(يَبْسُطُ) من قوله ﷺ : ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ^٣ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾^٤ ، و (تَبْسُطُهَا) من قوله ﷺ : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾^٥ ، (أَسْطَعُوا) من قوله ﷺ : ﴿فَمَا أَسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾^٦ ، و(يَسْطُونَ) من قوله ﷺ : ﴿وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ

^١ سورة الأعراف / ٦٩ .

^٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٨ / ٢٠٥ - ٢٠٦ .

^٣ يُنظَرُ : الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٢٣٦ .

^٤ يُنظَرُ : غرائب القرآن ٣ / ٤٥٢ .

^٥ سورة المائدة / ٢٨ .

^٦ سورة الرعد / ٢٦ .

^٧ سورة الإسراء / ٢٩ .

^٨ سورة الكهف / ٩٧ .

يَكَاذُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۗ قُلْ أَفَأَنْتُمْ مِّنْ ذَالِكُمْ
 ٱ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۗ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾^١، وغيرها ونلاحظ أن هذا إبدال
 قياسي كما سبق.

٣. بين السِّين والصَّاد والزَّاي

ومن القراءات التي ذكرها ابن عاشور متفاوتة بين السِّين والصَّاد والزَّاي : قراءة (صراط)
 (من قوله ﷺ : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾^٢ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
 الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿١٥٨﴾ ، ذكر ابن عاشور أنَّ (الصِّرَاط) الطريق ، وهو
 بالصاد (الصِّرَاط) ، وبالسين (السِّرَاط) ، وأتته قد قرئ بهما في المشهور ، وأنَّ اللغة
 الفصحى فيها (بالصاد) وبها قرأ جمهور القراء ، وقرأ بالسين ابن كثير في رواية قنبل ، والقراءة
 بالصاد هي الراجحة لموافقتها رسم المصحف وكونها اللُّغة الفصحى .

ثمَّ بيَّن أنَّ سبب كتابتها في المصحف بالصاد مع أنَّ الأصل بالسين أنَّ الصحابة كتبوها
 بالصاد تنبيهاً على الأفصح فيها ، لأنَّهم يكتبون بلغة قريش ، واعتمدوا على علم العرب ،
 فالذين قرأوا بالسين تأولوا أنَّ الصحابة لم يتركوا لغة السين للعلم بها ، فعادوا الأفصح بالأصل ،
 ولو كتبوا بالسين مع أنَّها الأصل لتوهم الناس عدم جواز العدول عنه ؛ لأنَّه الأصل والمرسوم
 كما كتبوا (المصيِّط) بالصاد مع العلم بأنَّ أصله السين ، فهذا مما يرجع الخلاف فيه إلى
 الاختلاف في أداء اللَّفظ لا في مادة اللفظ لشهرة اختلاف لهجات القبائل في لفظ مع اتحاده
 عندهم .

وذكر أنَّ جمهور العرب نطقوا بالسين إلَّا أهل الحجاز نطقوه بالصاد مبدلة عن السين؛
 لقصد التخفيف في الانتقال من السين إلى الراء ، ثمَّ إلى الطاء ، قال في (لطائف الإشارات)

^١ سورة الحج / ٧٢ .

^٢ سورة الفاتحة / ٦ - ٧ .

عن الجعبري إنهم يفعلون ذلك في كل سين بعدها غين أو خاء أو قاف أو طاء ، وإنما قلبوها هنا صاداً لتطابق الطاء في الإطباق والاستعلاء والتفخم مع الراء استثقلاً للانتقال من سفل إلى علو، بخلاف العكس نحو (طست) ؛ لأنَّ الأوَّل عمل والثاني ترك .

وذكر أنَّ قيس أشموا السين حيث قلبوه بين الصاد والزاي ، وقرأ به حمزة في رواية خلف عنه . وأنَّ من العرب من قلب السين زايًا خالصة . ثم نقل عن القرطبي أنَّها لغة عُذرة وقلب وبني القَيْن ، ذكر أنَّها مرجوحة ، لم يُقرأ بها .

و(الصراط) اسم عربي ، ولم يقل أحد من أهل اللُّغة إنَّه معرَّب ، ولكن ذكر ابن عطية والسيوطي في الإِتقان عن النقاش وابن الجوزي أنَّه (الطريق) بلغة الروم ، وذكُر أنَّ أبا حاتم ذكر ذلك في كتاب (الزينة) له ، وبني على ذلك السيوطي فزاده في (منظومته في المعرب) ، وذكر ابن عطية عن القاضي أبومحمَّد أنَّ هذا ضعيفٌ جداً .^٢

و (الصراط) في هذه الآية مستعار لمعنى الحق الذي يبلغ به مدركه إلى الفوز برضاء الله؛ لأنَّ ذلك الفوز هو الذي جاء الإسلام بطلبه .^٣

٤ . بين الفاء والشاء

ذكر ابن عاشور الاختلاف في معنى (فومها) من قوله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ

لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا
وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلِهَا ^ط قَالَ آتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا
مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ ^ط وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَنةُ وَبَاءُ وَبَغْضَبٍ مِنَ اللَّهِ ^ط
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا

^١ يُنظَر : الجامع لأحكام القرآن ١ / ١٤٨ .

^٢ يُنظَر : المحرَّر الوجيز ١ / ٧٤ ، والإِتقان / ١٦٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١ / ١٤٨ .

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ١ / ٤٤ ، والقراءات القرآنية في المعجمات اللُّغوية / ٥٧٢ .

يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ أَنَّهُ هُوَ الثُّومُ بالمثلثة وإبدال الثاء فاءً ، وذكر أَنَّهُ شائع في كلام العرب حيث قالوا : جدث وجدف وثلغ وقلغ ، وأنَّ هذا هو الأظهر والموافق لما عُدَّ معه ولما في التوراة . وجاء عن الزمخشري ما يؤيد ذلك مدلل عليه بقراءة ابن مسعود: (وثومها) وهو للعدس والبصل أوفق ، وذكر أبو حيان عن الكسائي والفراء والنضر بن شميل أنَّ معنى (فومها): هو الثوم، حيث أبدلت الثاء فاء ، كما قالوا في مغفور: مغثور، وفي جدث: جدف، وفي عاثور: عافور . وقيل الفوم الحنطة ،^١ ومنه فوموا لنا، أي: اخبزوا. وذكر عن الزجاج لأحيحة بن الجلاح :

قَد كُنْتُ أَغْنِي النَّاسَ شَخْصاً وَاحِداً وردَ المدينةَ من مزارع فوم
ونرى ابن عاشور ذكر هذا الخلاف ولم يذكر القراءات في هذه الكلمة كعادته في تجاهل
القراءات الشاذة .

٦

١ سورة البقرة / ٦١ .

^٢ فلغ فلغ رأسه ، كمنع ، أهمله الجوهري وقال ابن دُرَيْدٍ : أي ثلغهُ ، أي : شدخهُ ، زاد الأزهريُّ بالعصا، وأوردَهُ يَعْقُوبُ في البَدَلِ ، أي : أن فاءَ فلغ بدلٌ من ثاءِ ثلغ ، وبكُلِّ مِنْهُمَا رُويَ الحديثُ : ((إِنِّي إِذَا آتَيْتُمُ رَأْسِي كَمَا تُفْلَغُ العِثْرَةَ)) أي يُكسِرُ، وأصل الفلغ الشقُّ والعِثْرَةُ نَبْتُ، وفلغهُ مثل ثلغهُ إذا شدخه حكاه يعقوب في البدل أي أنَّ فاءَ فلغ بدل من ثاءِ ثلغ يقال للقفيز بالسريانية فالغا، وأعرَبته العربُ فقالت فلجج . يُنظر : المحكم والمحيط الأعظم (غ ل ب) ٥ / ٥٣١ ، ولسان العرب (فلغ) ٨ / ٤٤٨ ، وتاج العروس (فلغ) ٢٢ / ٥٥٦ .

٣ يُنظر : الكشاف ١ / ٩٦ .

٤ يُنظر : البحر المحيط ١ / ٢٨٠ . والعاثور: ما أُعدَّ ليوقع فيه آخر. المحكم والمحيط الأعظم ٢ / ٨٧ .

٥ ويروى هذا الشطر (سَكَنَ المدينةَ عن زراعةِ قوم) ، وهو بيت مستقل من بحر الكامل .

٦ يُنظر : التحرير والتنوير ١ / ٥٢٢ .

الفصل الثّاني

المستوى الصّرفيّ في القراءات القرآنيّة

المبحث الأوّل : اختلاف أبنية الفعل الماضي والمضارع المجرّدين في
القراءات القرآنيّة

المبحث الثّاني : اختلاف أبنية الفعل المجرّد والمزيد في القراءات
القرآنيّة

المبحث الثالث : اختلاف أبنية المصّادر، والمشتقات، والجموع في
القراءات القرآنيّة

الفصل الثاني

المستوى الصَّرْفِيّ في القراءات القرآنيّة

المستوى الصَّرْفِيّ

يعدّ المستوى الصرفي أحد علوم اللُّغة العربيّة الرئيّسة والمهمّة ، وهو من مستويات اللغة المهمّة في فهم مدلول الجمل والعبارات والكلمات ، وقد وضع جنباً إلى جنب مع علم الأصوات والنحو . فالصرف يُعنى ببنية الكلمة وما لحروفها من أصالة ، وزيادة ، وصحّة، وإعلال، وشبه ذلك ، وقال أبو حيّان: إنّ علم النحو مشتمل على أحكام الكلمة، والأحكام على قسمين؛ قسم يلحقها حالة التركيب ، وقسم يلحقها حالة الإفراد ، فالأوّل قسمان؛ قسم إعرابي، وقسم غير إعرابي ، وسمي هذان القسمان علم الإعراب تغليياً لأحد القسمين، والثاني أيضاً قسمان؛ قسم تتغيّر فيه الصيغ لاختلاف المعاني نحو : (ضرب ، وضارب، وتضارب، واضطراب)، وكالتصغير ، والتكسير ، وبناء الآلات ، وأسماء المصادر، وغير ذلك، وهكذا جرت عادة النحويين بذكره قبل علم التصريف وإن كان منه ، وقسم تتغير فيه الكلمة لاختلاف المعاني كالنقص ، والإبدال ، والقلب ، والنقل ، وغير ذلك ، ومتعلّق التصريف من أنواع الكلمة الاسم المعرب ، والفعل المتصرّف ، فلا مدخل له في الحروف، ولا في الأسماء المبنية، ولا الأفعال الجامدة نحو ليس وعسى . فعلم النحو يهتمُّ بأحوال أواخر الكلمات العربيّة، وعلم الأصوات يهتمُّ بمخارج الأصوات ، وكيفية خروج هذه الأصوات من أعضاء النطق، وما يصاحب ذلك من

تغييرات في الوترين الصوتيين وغيرهما من أعضاء النطق. فعلم الصرف يهتم بالكلمة ، وعلم النحو بالجملة ، وعلم الأصوات بالصوت .^١

والمستوى الصرفي هو المورفولوجيا (Morphology) أو علم الصيغة، أو البنية الذي يعنى بالاشتقاق والتصريف . وتعتبر الكلمة هي الموضوع الأساسي في هذا المستوى فيدور البحث حول أصلها ، وصيغتها ، ووزنها ، ومعرفة الزائد والأصلي من أصواتها... الخ وقد برز مصطلح (المورفيم) (الوحدة الصرفية) (Morphem) في الدراسات اللغوية الحديثة، ومنه انطلق اللغويون المحدثون للتحليل الصرفي، وعُرف (المورفيم) بأنه أصغر وحدة لغوية ذات معنى، والمعاني التي يعبر عنها المورفيم هي معانٍ وظيفية تحدد نوع الكلمة من حيث الإسمية والفعلية أو نوعها من حيث التذكير والتأنيث، أو عددها وغير ذلك. ولا تقف (المورفيمات) عند الصيغ الصرفية، وإنما تتخطاها إلى حركات الإعراب والإلحاقات وغيرها.

وقد وصل علماء اللغة إلى هذا التحديد للمورفيم نتيجة لجهود مشكورة بذلها المهتمون بالدرس اللغوي، إذ كانت صعوبة تعريف الكلمة تعريفاً دقيقاً حافزاً قوياً إلى محاولة البحث عن مفهوم آخر للدلالة على أقل العناصر التي يتوسم فيها أن تكون وسيلة دقيقة للتحليل اللغوي، ويبدو أن جهودهم قد تكلفت بالاتفاق على أن الوحدة اللغوية التي يمكن أن تتخذ أساساً لهذا التحليل هي التي يمكن تسميتها بالمورفيم .

فالكلمة ليست أصغر وحدة لغوية لها شكل ودلالة معاً، إلا أن مكونات الكلمة هي الوحدات اللغوية ذات الشكل والدلالة التي تظهر في أماكن مختلفة، وتلك هي المورفيمات. وعلى ذلك فالكلمة بالمفهوم التقليدي لم تعد أصغر وحدة تحمل معنى في التحليل الصرفي، فهناك العديد من الوحدات الصرفية أقل من الكلمة تحمل معنى، وهذا ما دفع علماء اللغة إلى طرح المفهوم التقليدي للكلمة جانباً لعدم دقته، وظهور مصطلح المورفيم الذي يدل على أقل وحدة صرفية ذات معنى.

^١ يُنظر : همع الموامع ٣ / ٤٤٩ ، والافتراح في علم أصول النحو ، تحقيق أحمد محمد قاسم ، ط ١ ، القاهرة ، مطبعة

السعادة ، ١٩٦٧ م / ٨٦ .

وتُحدّد المورفيمات في اللغة بمقارنة أشكال الكلام ببعده ببعض وملحوظة ما يتكرّر منه والزيادة عليه، فعلماء اللغة نظروا إلى الكلمة في صور مختلفة كلّها تصلح لأن تندرج تحت مصطلح الكلمة.

وقد وقف الباحثون على صوّر (للمورفيمات) في اللغات المختلفة، وأهمّها نوعان رئيسان: (المورفيم الحر)، و(المورفيم المقيد).

المورفيم الحرّ (Free Morpheme) : هو الذي من الممكن أن يأتي مستقلاً مثل: (ض ر ب) في (ضربت) وغير ذلك ممّا يسمّى بالأصل أو الجذر .

المورفيم المقيد (Bound Morpheme) : الذي لا يأتي مستقلاً بنفسه، وإمّا يستعمل مع غيره، مثل: (التاء) في: (ضربت)، وغير ذلك ممّا يُسمّى بالسوابق أو الصدور، واللواحق أو الأعجاز، والدواخل أو الأحشاء.

وأشهر السوابق أو الصدور في العربيّة: حروف المضارعة، وهمزة التعدية، و(الألف) و(السين) و(التاء) في الاستفعال... إلخ.

وأشهر اللواحق أو الأعجاز: الضمائر المتصلة، و(نون) الوقاية، وحركات الإعراب وحروفه، وعلامات التأنيث... إلخ.

وأشهر الدواخل أو الأحشاء: (تاء) الافتعال، والتضعيف في مضعّف العين من الثلاثي... إلخ. وشرط الحشو أن يكون بين حرفين أصليين.

وتشتمل جموع التكسير على كثير من الصدور والأحشاء والأعجاز .

كما تنقسم المورفيمات إلى نوعين آخرين :

مورفيم صوتي : حيث يتحقق وجوده صوتياً .

- يظهر هذا المورفيم في إضافة عنصر صوتي يتكوّن من صوت واحد أو مقطع .

- وفي تبادل الأصوات الصائتة تتغيّر الحركات دون إضافة عنصر صوتي جديد .

¹ دراسات في علم اللغة، كمال محمد بشر، طبعة دار المعارف، ١٩٧٣م، و علم اللغة العام، أبو السعود أحمد الفخراي، مكتبة المنتبي الدمام ٢٠٠٥م، والعربية وعلم اللغة البنيوي، حلمي خليل.

- ويظهر في عنصر من عناصر الأداء كالتنغيم والنبر والوقف .
مورفيم الصفر : فهو لا تظهر له علامة صوتية دائما ، وإنما يستدلّ على وجوده من المعنى
الوظيفي أو الاستتار أو الحذف .^١

فالمستوى الصرفي إذا يعني بدراسة الأصول والزوائد، وبيان المشتق والجامد ، وتحديد أشكال الصيغ ، وحصر اللواحق وأماكن إلحاقها، والزيادات وأماكن زيادتها، ثمّ ما يلحق الصيغ من إعلال ، أو إبدال ، أو قلب ، أو حذف . وبهذا أُفرد الصرفيون العرب بمكانٍ بارزٍ بين اللغويين القدماء والمحدثين.

وسوف نعرض للمسائل الصرفية في القراءات القرآنية التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره، وتصنيفها في مباحث؛ المبحث الأول : اختلاف أبنية الفعل الماضي والمضارع المجردين في القراءات القرآنية، والمبحث الثاني : اختلاف أبنية الفعل المجرد والمزيد في القراءات القرآنية، والمبحث الثالث : اختلاف أبنية المصَادِر للفعل الواحد في القراءات القرآنية، وذلك ما اقتضته المادة العربية في تلك القراءات القرآنية.

^١ يُنظر : اللّغة العربيّة معناها ، ومبناها ، د. تَمَّام حَسَّان ، عالم الكتب ، ط ٣ ، ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨ م / ١٥ ، والتحليل الصرفي للنص السرياني، لأحمد الجمل .

المبحث الأول

اختلاف أبنية الفعل الماضي والمضارع المجردين في القراءات القرآنية

١. بين (فَعَلَ) و (فَعِلَ) بالفتح والكسر في الماضي

من بين ما تطرّق له ابن عاشور من القراءات القرآنية ما كان وجه الاختلاف فيها صرفياً، يتردّد بين (فَعَلَ) و (فَعِلَ) بالفتح والكسر في الماضي ؛ حيث إنّه وردت في الفعل الواحد قراءتان ، (فَعَلَ) بالفتح في الماضي ، وأخرى (فَعِلَ) بالكسر في الماضي، ويختلف وجه تخريج قراءة الفتح عن تخريج قراءة الكسر أحياناً .

وسأعرض هذه القراءات بصور واضحة لأغلب هذه الأبنية ، الشائع منها، والنادر على اختلاف صيغها ، وإليك نماذج ممّا أورده ابن عاشور في القراءات التي وردت في أبنية الأفعال في الماضي المتردّد بين (فَعَلَ) ، و (فَعِلَ) بالفتح والكسر ، ومنها :

١. قراءة (عَسَيْتُمْ) من قوله ﷺ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ

مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ لَهُمْ آيَاتٌ أَنْ يُبْعَثَ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ ، ومثلها : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ

وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ فقد ذكر ابن عاشور في قراءة (عَسَيْتُمْ) قراءتين :

١ سورة البقرة / ٢٤٦ .

٢ سورة محمد / ٢٢ .

القراءة الأولى : قراءة نافع (عَسَيْتُمْ) بكسر السين ، ووصفها أنَّها على غير قياس .
وعلَّل كسر السين بالتخفيف بإماتة سكون الياء . ثمَّ ذكر توجيه أبي علي الفارسي أنَّ فعله :
(عَسِي) مثل (رَضِي) ، ولا ينطقون به إلاَّ إذا أسند هذا الفعل إلى ضمير ، وهي لغة أهل
الحجاز ، وأنَّ بني تميم لا يسندونه إلى الضمير البتَّة ، بل يقولون : عَسَى أن تفعلوا .

ونراه ردَّ على من ضعَّفوا هذه القراءة كالطبري وغيره بقول أبي علي الفارسي ، حيث
احتج الفارسيُّ عليهم بأنَّها لغة عند العرب ، وعلى هذا وجَّه قراءة نافع ((فهل عَسَيْتُمْ)) بكسر
السين ، قال : لأتَّهم قد قالوا : (هو عَسِي بذلك) و (ما أعساه) ، و (أعس به) ، فقلوه (عَسِي
(يقوِّي (عَسَيْتُمْ) ألا ترى أنَّ (عَسِي) ك (حَرِي) و (شَجِي) ؟ وقد جاء (فَعَل) و (فَعِل) في
نَحْو (وَرَى الزَّنْد) و (وَرِي) فكذلك (عَسَيْتُمْ) و (عَسَيْتُمْ) فإنَّ أُسْنِدَ الفِعْلِ إلى ظاهرٍ فقياس (
عَسَيْتُمْ) ، وأنَّ يقول فيه (عَسِي زيدٌ) مثل (رَضِي زيدٌ) وإنَّ لم يُقْلَه فسائغٌ له أن يأخذ باللعنتين
فيستعمل إحداهما في موضع دون الأخرى كما فَعَلَ ذلك في غيرها .

قال الجوهري : ويقال (عَسَيْتُ أَنْ أَفْعَلَ ذلك) ، و (عَسَيْتُ) بالفتح والكسر ، وقرئ
بهما ؛ ((فهل عَسَيْتُمْ)) و ((عَسَيْتُمْ)) .

والقراءة الثانية : قراءة بقيَّة العشرة (عَسَيْتُمْ) بفتح السين ، وذكر الأزهري : قول
النحويين : أتَّهم يقولون (عَسَى) ولا يقولون (عَسِي) ، وذكر قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَهَلْ
عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ وذكر اتَّفاق القراء
أجمعين على فتح السين من قوله (عَسَيْتُمْ) إلاَّ ما جاء عن نافع أنَّه كان يقرأ ((فهل عَسَيْتُمْ
)) بكسر السين ، وكان يقرأ (عَسَى) بفتح السين من قوله ﷻ : ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ
أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ ﴾

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢ / ٤٨٦ ، ٢٦ / ١١٢ .

^٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٦ / ١١٢ ، والمحکم والمحيط الأعظم ٢ / ١٥٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٣ / ٢٤٤ .

^٣ سورة محمد / ٢٢ .

وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١١٩﴾ فدلّ موافقته القراء في

قراءة (عَسَى) على أنّ الصواب في قوله (عَسَيْتُمْ) فتح السين، لا كسرهما .^٢

وذكر ابن عاشور أنّهما لغتان في الفعل (عَسَى) إذا اتصل بها ضمير المتكلم،
أو المخاطب .^٣

ونرى أنّه لم يرحح أحد القراءتين على الأخرى - كما فعل غيره - حيث رجّحوا قراءة (عَسَيْتُمْ) بفتح السين على قراءة (عَسَيْتُمْ) بكسرهما ؛ محتجّين بإجماع الحجّة من القراء عليها،
وبعدم السماع في الكلام : (عَسَى أَخوكَ يَقومُ) ، بكسر السين وفتح الياء؛ فقالوا لو كان
صوابا كسرهما إذا اتصل بها مكّتي ، جاءت بالكسر مع غير المكّتي، وأنّ في الإجماع على فتحها
مع الاسم الظاهر، الدليل الواضح على أنّها كذلك مع المكّتي .

وهذا رأي لهؤلاء العلماء يحترم ويقدر، ولكن قراءة نافع بكسر السين (عَسَيْتُمْ) قراءة
صحيحة؛ لموافقتها لشروط صحّة القراءات المعروفة، وفي حجج المحتجّين لها الكفاية، على
صحّتها واعتمادها، ولذا أميل إلى صحّة قراءة القراءتين، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب، والقراءتان
لغتان في (عسى) أتت بمعنى واحد.

٢. ومّا ذكره ابن عاشور في القراءات التي وردت في أبنية الأفعال في الماضي المتردّد بين

(فَعَلَ)، و(فَعِلَ) بالفتح والكسر، قراءة (بَرَقَ) من قوله ﷺ: ﴿وَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ﴾^٤ ، حيث

١ سورة الأعراف / ١٢٩ .

٢ يُنظَرُ : لسان العرب (عسي) ١٥ / ٥٤ .

٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢ / ٤٨٦ ، ٢٦ / ١١٢ .

٤ يُنظَرُ : جامع البيان ٢٢ / ١٧٨ .

٥ سورة القيامة / ٧ .

ذكر قراءة الجمهور (بَرَقَ) بكسر الراء ، ومعناه : دُهِشَ وَجُتَّ ، وتَحَيَّرَ فزعاً ، وأصله من بَرَقَ الرجل بالكسر، يَبْرُقُ بَرَقاً إذا تأثَّرَ ناظره من تأمُّل البرق، والأصل فيه أن يكثر الإنسان من النظر إلى لمعان البرق، فيؤثِّر ذلك في ناظره، ثمَّ استُعْمِل ذلك في كلِّ حيرة، وإن لم يكن هناك نظر إلى البرق، كما قالوا : قمر بصره إذا فسد من النظر إلى القمر، ثمَّ استعير في الحيرة، وكذلك بعل الرجل في أمره، أي تحيَّر ودهش ، وأصله من قولهم : بعلت المرأة إذا فاجأها زوجها، فنظرت إليه وتحيَّرت ، ثمَّ استُعْمِل في كلِّ حيرة، ويُقال : (بَرَقَ يَبْرُقُ) فهو (بَرِق) من باب (فَرِحَ يَفْرُحُ) فهو من أحوال الإنسان .

٢

وذكر أنه أُسْنِد في الآية إلى البصر على سبيل المجاز العقلي تنزيلاً له منزلة مكان البرق؛ لأنه إذا بُهِتَ شَخَّصَ بصره . ثمَّ ذكر إسناد الأعشى البرق إلى العين في قوله :

كَذَلِكَ فَأَفْعَلُ مَا حَيَّيْتُ إِلَيْهِمْ وَأَقْدِمُ إِذَا مَا أَعْيُنُ النَّاسِ تَبْرُقُ

وذكر قراءة : نافع وأبي جعفر (بَرَقَ) بفتح الراء ، وهي قراءة أهل المدينة، وأبان عن عاصم ، ووجهها أنها من (البريق) بمعنى اللّمعان ، أي : لَمَعَ البصر من شدّة شخوصه، ومضارعه (يَبْرُقُ) بضم الراء من باب (نَصَرَ يَنْصُرُ) ، وإسناده إلى البصر حقيقة. وخلص إلى أنّ مآل معنى القراءتين واحد ، وهو الكناية عن الفزع والرعب ، كقوله ﷺ : ﴿ وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَوَّلْنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا

^١ قال الفراء : قرأ عاصم وأهل المدينة برق بكسر الراء ، وقرأها نافع وحده : فإذا بَرَقَ (بفتح الراء من البريق) ، أي شخص . يُنظَر : تهذيب اللغة ٣ / ٢١٩ .

^٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٩ / ٣٤٤ ، و غرائب القرآن ٧ / ٢٥١ ، ومفاتيح الغيب ١٦ / ١٨٤ ، والحجّة في القراءات السبع ١ / ٣٥٧ ، وحجّة القراءات ٧٣٦ / .

^٣ البيت ختم به الأعشى قصيدة طويلة من بحر الطويل يمدح فيها المحلّق بن حنّتم بن شدّاد بن ربيعة بدأها بقوله :

أَرَقْتُ وَمَا هَذَا السُّهَادُ الْمَوْزِقُ وَمَا بِي مِنْ سُقْمٍ وَمَا بِي مَعَشَقُ . ديوان الأعشى / ٢٢٥ .

^٤ يُنظَر : زاد المسير ٦ / ٩٨ ، والسبعة في القراءات ١ / ٦٦١ .

بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٧﴾ ، وردَّ ابن عاشور على ترجيح الطَّبري والفراء لقراءة الجمهور (

بِرِّقَ) على قراءة نافع وأبي جعفر (بَرِّقَ) - كما هي عادة الطَّبري والفراء في التَّرجيح بين القراءات - حيث قالوا : إنَّ أولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب كسر الراء (فَإِذَا بَرِّقَ) بمعنى : فزع فشُقَّ وفُتِحَ من هول القيامة وفزع الموت. محتجِّين بكثرة ورود أشعار العرب على ذلك ، وذكر إنشاد أبي عُبيدة الكلابي :

لَمَّا أَتَانِي ابْنُ صُبَيْحٍ رَاغِبَا أَعْطَيْتُهُ عَيْسَاءَ مِنْهَا فَبَرِّقَ

وذكر ابن جرير الطبري مستدلاً على ترجيحه أنَّه حَدَّثَ عن أبي زكريا الفراء أنَّه قال :
أنشدني بعض العرب :

فَنَفَسَكَ فَانَعٌ وَلَا تَنْعَانِي وَدَاوِ الْكُلُومَ وَلَا تَبْرِقِ

وردَّ ابن عاشور هذا الترجيح بأن لا وجه في ذلك، لا من جهة اللَّفظ، ولا من جهة المعنى، ولا من مقتضى التفسير ، فهو ترجيح باطل لا يصحُّ. والصحيح أنَّ القراءتين لغتان صحيحتان جاءتا وفق شروط صحَّة القراءات، ولا حجَّة للمعترضين على قراءة الفتح ((بَرِّقَ)) فهي قراءة ثابتة، وهما لغتان بمعنى واحد .

^١ سورة الأنبياء / ٩٧ .

^٢ يُنظَر : جامع البيان ٢٤ / ٥٥ ، وزاد المسير ٦ / ٩٨ .

^٣ نسبه الطبري في تفسيره ، لأبي عبيدة في مجاز القرآن ، والقرطبي في تفسيره ، والماوردي في تفسيره إلى أبي عُبيدة الكلابي . يُنظَر : جامع البيان ٢٤ / ٥٥ ، ومجاز القرآن ١ / ١٢٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩ / ٩٦ ، والنكت والعيون ٦ / ١٥٣ .

^٤ البيت لطرفة بن العبد من بحر المتقارب التام، ويروى (وَلَا تُبْرِقِ). يُنظَر: ديوان طرفة بن العبد / ٤٢ ، و الجامع لأحكام القرآن ١٩ / ٩٦ ، والكشف والبيان ١٠ / ٨٤ ، والدُّرُّ المصون ١٠ / ٥٦٨ ، واللباب في علوم الكتاب ١٩ / ٥٥٠ .

^٥ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٩ / ٣٤٤ ، وغرائب القرآن ٧ / ٢٥١ ، و تهذيب اللغة ٣ / ٢١٩ ، والحجَّة في القراءات السبع ٧ / ٣٥٧ ، وحجَّة القراءات ٧٣٦ / ٧٣٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩ / ٩٦ ، والنكت والعيون ٦ / ١٥٣ ، وزاد المسير ٨ / ٤١٨ ، ومعاني القرآن ، للفراء ٥ / ١٦٠ - ١٦١ ، وحجَّة القراءات ٧٣٦ / ٧٣٦ ، ولسان العرب (برق) ١٠ / ١٤ ، وتاج العروس (برق) ٢٥ / ٤٠ ، وفتح القدير ٥ / ٤٠٤ .

٢. بين (فَعَلَ) ، و (فَعُلَ) بالفتح والضمّ في الماضي

من بين ما تطرّق له ابن عاشور من القراءات القرآنيّة ما كان وجه الاختلاف فيها صرفياً، يتردّد بين (فَعَلَ) و (فَعُلَ) بالفتح والضمّ في الماضي ؛ حيث إنّه وردت في الفعل الواحد قراءتان : (فَعَلَ) بالفتح في الماضي ، وأخرى (فَعُلَ) بالضمّ في الماضي، وقد يختلف وجه تخريج قراءة الفتح عن تخريج قراءة الضمّ.

ومّا أوردته من القراءات التي وردت في أبنية الأفعال في الماضي المتردّد بين (فَعَلَ)، و(فَعُلَ) بالفتح والضمّ :

١. قراءة (مَكَّثَ) من قوله ﷻ : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحُطْ بِهِ ﴾

وَحِثُّكَ مِنْ سَيِّئِ بَنِي إِعْرَابٍ ﴿٢٢﴾ ، وقد وردت في ((مَكَّثَ)) قراءات، ذكر ابن عاشور منها قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة ضمّ الكاف ((مَكَّثَ)) قرأ بها الجمهور ، و (مَكَّثَ) بالضمّ جاء نادراً، وضمّ إشارة إلى شدّة الغيبة عن سليمان التيميّ ليوافق إفهام حركة الكلمة ما أفهمه تركيب الكلام ، و (مَكَّثَ) ، شَبَّهُوهُ بِ(ظَرَفَ) ؛ لأنّه فعلٌ لا يتعدّى، كما أنّ هذا فعلٌ لا يتعدّى، وقالوا : (المَكَّثَ) كما قالوا : (السُّعِلَ) وكما قالوا : (القُبْحُ)، إذا كان بناء الفعل واحداً . ورجّح أبو إسحاق الطبري والأزهريّ قراءة الضمّ محتجّين بأشهر اللغتين وأفصحهما ، وهناك لغة ثالثة بكسر الميم لم يذكرها ابن عاشور .

^١ سورة النمل / ٢٢ .

^٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٩ / ٢٤٨ .

^٣ يُنظَرُ : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ)، دار الكتب

العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م / ٦ / ١١٩ .

^٤ يُنظَرُ : الكتاب ١ / ٣٣٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣ / ١٨٠ .

^٥ يُنظَرُ : جامع البيان ١٩ / ٤٤٥ ، وتهديب اللغة ٣ / ٣٦٢ .

^٦ يُنظَرُ : جامع البيان ١٩ / ٤٤٥ ، وتهديب اللغة ٣ / ٣٦٢ ، والمفردات في غريب القرآن ٤٧١ / ٤٧١ ، ومعالم التنزيل ٦ / ١٥٥ ،

والكشاف ٥ / ٧٢ ، والمحزّر الوجيز ٥ / ١٥٩ ، وزاد المسير ٥ / ٢٠ ، ومفاتيح الغيب ١٢ / ٢٤ ، والتبيان في إعراب القرآن

ف(مَكْتُ) و (مَكْتُ) من باب (كَرَّمَ) و (نَصَرَ) ، (مَكْتُ مَكْتًا) مِنْ بَابِ قَتَلَ ، وَتَلَبَّثَ فَهُوَ (مَاكِتٌ) وَ (مَكْتُ مَكْتًا) فَهُوَ (مَكِيْتُ) ، مِثْلُ (قَرَبَ قُرْبًا) فَهُوَ (قَرِيبٌ) لُغَةً ، وَيَتَعَدَّى بِأَهْمَزَةٍ فَيُقَالُ (أَمَكَّنَهُ) ، قَالَ الْفَرَّاءُ : قَرَأَهَا النَّاسُ بِالضَّمِّ ، وَقَرَأَهَا عَاصِمٌ بِالْفَتْحِ ، وَقَالَ أَبُو مَنْصُورٍ : اللَّغَةُ الْعَالِيَةُ (مَكْتُ) وَهُوَ نَادِرٌ ، وَ (مَكْتُ) جَائِزَةٌ ، وَهُوَ الْقِيَاسُ ، وَالتَّمَكُّتُ : التَّلَبُّثُ ، وَ (تَمَكَّتْ) إِذَا انْتَهَرَ أَمْرًا وَأَقَامَ عَلَيْهِ ، فَهُوَ (تَمَكَّتْ) مُنْتَظِرٌ ، وَ (تَمَكَّتْ) تَلَبَّثَ ، وَ (الْمَكْتُ) الْإِقَامَةُ مَعَ الْإِنْتِظَارِ وَالتَّلَبُّثِ فِي الْمَكَانِ ، وَالاسْمُ (الْمَكْتُ) وَ (الْمَكْتُ) بِضَمِّ الْمِيمِ وَكسرها ، وَ(الْمَكِيَّتِي) مِثْلُ الْخِصْيَيْصِي الْمَكْتُ ، وَسَارَ الرَّجُلُ مُتَمَكِّتًا أَي مُتَلَوِّمًا ، وَرَجُلٌ مَكِيْتُ مَاكِتٌ ، وَالْمَكِيْتُ أَيْضًا الْمَقِيمُ الثَّابِتُ ، وَفِي الْحَدِيثِ : ((أَنَّهُ اتَّوَصَّأَ وَضُوءًا مَكِيَّتًا)) ، أَي بَطِيئًا مُتَأَنِّيًا غَيْرَ مُسْتَعْجِلٍ ، وَالْمَكِيْتُ أَيْضًا : الْمَقِيمُ الثَّابِتُ قَالَ كُتَيْبُ عَزَّةَ :

وَعَرَّسَ بِالسَّكْرَانِ يَوْمَيْنِ وَارْتَكَى يَجْرُ كَمَا جَرَّ الْمَكِيْتُ الْمَسَافِرُ
وَقَالَ أَبُو الْمُثَلَّمِ يَعَاتِبُ صَحْرًا :

أَنْسَلَ بَنِي شِعَارَةَ مَنْ لَصَّخِرِ فَإِنِّي عَنْ تَقْفُرِكُمْ مَكِيْتُ

٨٣٥/٢ ، وَالْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ ٣٤٠/١٠ ، وَ ١٨٠/١٣ ، وَأَنْوَارُ التَّنْزِيلِ ٤/٤٣٤ ، وَمَدَارِكُ التَّنْزِيلِ وَحَقَائِقُ التَّأْوِيلِ ، أَبُو الْبَرَكَاتِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّسْفِيُّ ، تَحْقِيقٌ : مَرْوَانَ مُحَمَّدَ الشَّعَارِ ، دَارُ النِّفَاسِ ، بَيْرُوتَ ، ط ، ٢٠٠٥ م ٤/٣ ، وَلِسَانُ الْعَرَبِ ١٩١/٢ ، وَالْمَصْبَاحُ الْمُنِيرُ ١٩/٩ ، وَالْبَحْرُ الْمَحِيطُ ٨/٤٥٩ ، وَالْجَوَاهِرُ الْحَسَانُ ٣/١٣٥ ، وَنَظْمُ الدَّرَرِ ٦ / ١١٩ ، وَبِحُرُوفِ الْعُلُومِ ، أَبُو الْبَرَكَاتِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ السَّمْرَقَنْدِيُّ الْفَقِيهَ الْحَنْفِيَّ ، تَحْقِيقٌ : د. مُحَمَّدٌ مَطْرُجِي ، دَارُ الْفِكْرِ ، بَيْرُوتَ ، (د. ت) ٣ / ٢٨٦ ، وَغَرَائِبُ الْقُرْآنِ ٦ / ١٠٣ ، وَاللِّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ ١٢ / ٣٠٨ ، وَإِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ ٥ / ١٨٠ ، وَتَاجُ الْعُرُوسِ ١ / ١٣١٠ ، وَفَتْحُ الْقَدِيرِ ٤ / ١٥٣ ، وَهَيْمَانَ الزَّادِ ١٠ / ٩٩ ، وَالتَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ١٠ / ٢٦٦ ، وَالْقِرَاءَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ فِي الْمَعْجَمَاتِ اللَّغَوِيَّةِ ٤٧٨ / ٤٧٩ .

١ يُنْظَرُ : لِسَانُ الْعَرَبِ ٢ / ١٩١ ، وَالْمَصْبَاحُ الْمُنِيرُ ٩ / ١٩ ، وَتَاجُ الْعُرُوسِ ١ / ١٣١٠ .

٢ الْبَيْتُ مِنْ بَحْرِ الطَّوِيلِ ، مِنْ قَصِيدَةٍ مَطْلَعُهَا : عَشِيَّتُ لَيْلِي بِالْبُرُودِ مَسَاكِنًا تَقَادَمَ فِاسْتَنْتَ عَلَيْهَا الْأَعَاصِرُ

وَخَتَامُهَا : بِأَحْسَنَ مِنْ أُمَّ الْخَوَيْرِثِ سُنَّةً عَشِيَّةَ دَمْعِي مُسْبِلٌ مُتْبَادِرُ

يُنْظَرُ : دِيْوَانُهُ ٧٧ ، وَالْمَحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ ٦ / ٧١٤ ، ٨٠١ ، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (مَكْتُ) ٥ / ٣٦٣ ، وَلِسَانُ الْعَرَبِ (مَكْتُ) ٢ / ١٩١ ، ٤ / ٣٧٢ .

٣ الْبَيْتُ لِأَبِي الْمُثَلَّمِ الْهَذَلِيِّ مِنْ أَبْيَاتٍ قَلِيلَةٍ عَلَى بَحْرِ الْوَافِرِ ، قَالَ فِي مَطْلَعِهَا :

أَلَا قَوْلًا لِعَبْدِ الْجَهْلِ إِنَّ الصَّ صَحِيحَةٌ لَا تُحَالِيهَا التَّلَوُّثُ

القراءة الثانية : قراءة فتح الكاف ((مَكَث)) قرأ بها عاصم ، وأبو عمرو في رواية الجعفي ، وسهل ، وروح عن يعقوب . ومَكَث : لغة ليست بالكثيرة ، وهي (القياس) على الأغلب والأشهر في الأفعال الماضية ، ولذلك جاءت الصفة على (مَآكِث) ، دون (مَكِيْث) ، واعتُذِر عنه بأنَّ (فاعلاً) قد جاء ل (فَعُل) بالضمِّ ، نحو : (حَمَضَ) (يَحْمُضُ) فهو (حَامِضٌ) ، و (حُتِرَ) (يَحْتُرُّ) فهو (حَاتِرٌ) ، و (فَرَهَ) (يَفْرَهُ) فهو (فَارَةٌ) . ويقال : (تَمَكَّثَ) إذا انتظر أمراً أو أقام عليه فهو مُتَمَكِّثٌ ومُنْتَظَرٌ ، ورجَّح ابن عطية هذه القراءة؛ محتجاً بأنها لغة القرآن في قوله : (مآكثين) من قوله تعالى : ((مَّكِيْثِيْنَ فِيْهِ اَبَدًا)) ، إذ هو من (مَكَثٌ) (يَمَكُثُ) (مُكُوْثًا) فهو (مَآكِثٌ) ، مثل (قَعَدَ) (يَقْعُدُ) (قُعُوْدًا) فهو (قَاعِدٌ) ، ولو كان من (مَكَثٌ) بضم الكاف لكان (مَكَثٌ) (يَمَكُثُ) فهو (مَكِيْثٌ) ، مثل (عَظُمَ) (يَعْظُمُ) فهو (عَظِيْمٌ) .

٥٤

وختمها بقوله : وَمَنْ يَكُ عَقْلُهُ مَا قَالَ صَخْرٌ يُصِيبُهُ مِنْ عَشِيْرَتِهِ حَبِيْثٌ

يُنْظَرُ : وتاج العروس (مكث) ٥ / ٣٦٢ ، ولسان العرب (مكث) ٢ / ١٩١ .

١ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ١٩ / ٢٤٨ .

٢ يُنْظَرُ : اللبّاب في علوم الكتاب ١٢ / ٣٠٨ .

٣ سورة الكهف / ٣ .

٤ يُنْظَرُ : الكتاب ١ / ٣٣٦ (باب بناء الأفعال) ، والمحرّر الوجيز ٥ / ١٥٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣ / ١٨٠ .

٥ يُنْظَرُ : جامع البيان ١٩ / ٤٤٥ ، وتهذيب اللغة ٣ / ٣٦٢ ، والمفردات في غريب القرآن / ٤٧١ ، ومعالم التنزيل ٦ / ١٥٥ ،

والكشاف ٥ / ٧٢ ، والمحرّر الوجيز ٥ / ١٥٩ ، وزاد المسير ٥ / ٢٠ ، ومفاتيح الغيب ١٢ / ٢٤ ، والتبيان في إعراب

القرآن ٢ / ٨٣٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٣٤٠ ، ١٣ / ١٨٠ ، وأنوار التنزيل ٤ / ٤٣٤ ، وتفسير النسفي ٣ / ٤ ،

ولسان العرب ٢ / ١٩١ ، والمصباح المنير ٩ / ١٩ ، وتفسير البحر المحيط ٨ / ٤٥٩ ، والجواهر الحسان ٣ / ١٣٥ ، ونظم

الدرر ٦ / ١١٩ ، وبحر العلوم للسمرقندي ٣ / ٢٨٦ ، وتفسير النيسابوري ٦ / ١٠٣ ، واللّباب في علوم الكتاب

١٢ / ٣٠٨ ، وإرشاد العقل السليم ٥ / ١٨٠ ، وتاج العروس ١ / ١٣١٠ ، وفتح القدير ٤ / ١٥٣ ، هيمان الزاد ١٠ / ٩٩ ،

والتحرير والتنوير ١٠ / ٢٦٦ ، والقراءات القرآنية في المعجمات اللغويّة ٤٧٨ / ٤٧٩ - .

القراءة الثالثة : بزيادة تاء ، وتشديد الكاف مشددة (فتمكث) قرأ بها ابن مسعود : ((فتمكث ثم جاء فقال)) ، وقرأ أبي بن كعب ((فتمكث ثم قال أحطت)) ، وكلاهما في الحقيقة تفسير لا قراءة ، لمخالفة ذلك سواد المصحف ، وما روي عنهما بالنقل الثابت .
ونرى أنّ ابن عاشور ذكر القراءتين ، وذكر أنّهما من باب (كَرَم) و (نَصَرَ) ، ولم يعقب عنهما ، وإنما تطرّق لمعنى المكث أنّه البقاء في المكان وملازمته زمنياً ما ، وأنّه أُطلق هنا على البُطء ؛ لأنّ الهدهد لم يكن ماكثاً بمكان ، ولكنه كان يطير ويتنقل ، فأطلق المكث على البُطء مجاز مرسل لأنّ المكث يستلزم زمنياً .

٣. بين (يَفْعَل) ، و (يَفْعُل) بالكسر والضمّ في المضارع

وهناك حالات يجوز فيها : ضمّ عين المضارع وكسرها على السواء ؛ وذلك إذا سلم من دواعي الكسر ، ودواعي الضمّ ، ودواعي الفتح ، ولم يشتهر عن العرب بوجه خاص ، مثل : عَتَلْ يَعْتُلْ ويعتُلُّ بالكسر .

١ . ومما تطرّق له ابن عاشور من القراءات القرآنيّة ما كان وجه الاختلاف فيها صرفياً ، يتردّد بين (يَفْعُل) و (يَفْعَل) بالكسر والضمّ في المضارع ، وهو من باب التناوب بين باي (ضَرَبَ) و (نَصَرَ) ، قراءة (يَعْرِشُونَ) من قوله ﷻ : ﴿ وَأَوْثِنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرَفَ الْأَرْضِ وَمَعْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا ^ط وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ^ط وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا

^١ يُنظَر : المحرّر الوجيز ٥ / ١٥٩ ، وزاد المسير ٥ / ٢٠ ، والبحر المحيط ٨ / ٤٥٩ ، والجواهر الحسان ٣ / ١٣٥ .

^٢ يُنظَر : المخصّص ٤ / ٢٧٧ - ٢٧٩ .

كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ، ومن قوله ﷺ : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا

وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ حيث ذكر قراءة جمهوراً القراء (يَعْرِشُونَ) بكسر الراء .
وذكر قراءة ابن عامر (يَعْرِشُونَ) بضم الراء، وقرأها أبو بكر عن عاصم ، وابن عباس ،
وشعبه ، والحسن ، وأبو رجاء ، ومجاهد ، والسلمي ، وعبيد بن نضلة بضم الراء كذلك، لكن لم
يذكرهم ابن عاشور ، وقال الكسائي إنها لغة تميم .

وهما لغتان فصيحتان معناهما واحد من الفعل الماضي (عَرَشَ) مفتوح العين ، وفقاً لقاعدة
الفعل الماضي المفتوح العين يجوز في عين مضارعه كسرهما وضمها قياساً إلا أن يمنع السماع من
ذلك ، ومعناه هنا هياً ، وأكثر ما يستعمل فيما يكون من إتقان الأغصان والخشب وترتيب

^١ سورة الأعراف / ١٣٧ .

^٢ سورة النحل / ٦٨ .

^٣ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمة والكسائي وحفص عن عاصم والحسن ومجاهد وأبو رجاء . يُنظَر : المحرَّر الوجيز في تفسير
الكتاب العزيز ٢ / ٥١٤ ، والبحر المحيط ٤ / ٣٧٦ ، وزاد المسير ٣ / ٢٥٣ .

^٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٣ / ١٦٦ ، وجامع البيان ١٣ / ٧٩ ، والكشف والبيان ٤ / ٢٧٣ ، وبحر العلوم ١ / ٥٦٠ ، ٢ / ٢٨١ ،
والبحر المحيط ٤ / ٣٧٦ ، ومعالم التنزيل ١ / ٢٧٣ ، وأنوار التنزيل ١ / ٥٤ ، وتفسير النيسابوري ٣ / ٤٨٩ ، وإبراز المعاني
من حرز الأمانى ٢ / ١٣٩ ، والتبيان في إعراب القرآن ١ / ٢٨٤ ، والتيسير في القراءات السبع ١ / ٨٢ ، والحجَّة في
القراءات السبع ١٦٢ / ١ ، والسبعة في القراءات ١ / ٢٩٢ ، ٣٧٤ ، والنشر في القراءات العشر ٢ / ٣٠٦ ، وتحرير التيسير
في القراءات العشر ٣٧٧ / ١ ، وحجَّة القراءات ١ / ٢٩٤ ، ٣٩٢ ، وحرز الأمانى ١ / ٤٩ ، وغرائب القرآن ٣ / ٣٠٤ ، وتاج
العروس ١٧ / ٢٥٧ ، والدُّرُّ المصون ٥ / ٤٤١ ، ٧ / ٢٦٢ .

^٥ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٣ / ١٦٦ ، وجامع البيان ١٣ / ٧٩ ، والكشف والبيان ٤ / ٢٧٣ ، والمحرَّر الوجيز في تفسير
الكتاب العزيز ٢ / ٥١٤ ، والبحر المحيط ٤ / ٣٧٦ ، ومعالم التنزيل ١ / ٢٧٣ ، وأنوار التنزيل ١ / ٥٤ ، وتفسير
النيسابوري ٣ / ٤٨٩ ، وإبراز المعاني من حرز الأمانى ٢ / ١٣٩ ، وإتحاف فضلاء البشر ١ / ٣٥٢ ، وإعراب القرآن ٢ /
١٤٧ ، والتبيان في إعراب القرآن ١ / ٢٨٤ ، والتيسير في القراءات السبع ١ / ٨٢ ، والحجَّة في القراءات السبع ١ / ١٦٢ ،
والسبعة في القراءات ١ / ٢٩٢ ، ٣٧٤ ، والنشر في القراءات العشر ٢ / ٣٠٦ ، وتحرير التيسير في القراءات العشر /
٣٧٧ ، وحجَّة القراءات ١ / ٢٩٤ ، ٣٩٢ ، وحرز الأمانى ١ / ٤٩ ، وغرائب القرآن ٣ / ٣٠٤ ، وتاج العروس ١٧ / ٢٥٧ ،
والدُّرُّ المصون ٥ / ٤٤١ ، ٧ / ٢٦٢ ، وفتح القدير الجامع ٢ / ٢٧٤ .

^٦ يُنظَر : من هذا البحث .

ظلالها ؛ ومنه العريش الذي صنع لرسول الله ﷺ يوم بدر ، من لفظة العرش . يقال : عَرَشَ يَعْرِشُ وَيَعْرِشُ (بكسر الراء وضمها) ، والكسْرُ لغة أهل الحِجَازِ ، وقد وصفها اليزيديُّ ، وأبو عبيدة بالفصاحة ، ووافقهما أبو السعود والآلوسي وأبوحيان ، وقال عنها الطبري : إنَّها أحبُّ القراءتين إليَّ ؛ لشهرتها في العامة ، ولكثرة القراءة بها ، ولأنَّها أصحُّ اللغتين .^٢

وهناك قراءة ثالثة لم يذكرهما ابن عاشور : (يُعْرِشُونَ) بضم الياء وفتح العين ، وكسر الراء مشددة على المبالغة والتكثير قرأ بها إبراهيم بن أبي عبلة .^٣

وقرأت شدوذاً (يُعْرِسُونَ) بالعين المعجمة والسین المهملة ، من قبيل الاختلاف في الأبواب ، من عَرَسَ الأشجار ، وعدّها الزمخشري وغيره تصحيفاً ، وهي أقرب لذلك .

٢ . ومما تطرّق له ابن عاشور من القراءات القرآنية ما كان وجه الاختلاف فيها صرفياً ، يتردّد بين (يَفْعُلُ) و (يَفْعُلُ) بالكسر والضمّ في المضارع ، وهو من باب التناوب بين بابي (

ضَرَبَ) و (نَصَرَ) ، قراءة (يَعْكُفُونَ) من قوله ﷻ : ﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مَوْسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ

تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ فقد ذكر قراءة جمهور القراء (يَعْكُفُونَ) بضم الكاف ، من (عَكَفَ ، يَعْكُفُ)^٢ بفتح العين في الماضي وضمّها في المضارع ، وكذلك روى الشطّي عن إدريس وهي لغة غالبية العرب .

^١ يُنظَر : الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ١٣٤ ، وإرشاد العقل السليم ٣ / ٢٦٧ ، ومعاني القرآن ، للأخفش ١ / ٣٣٥ ، والكشف والبيان ٤ / ٢٧٣ ، واللباب في علوم الكتاب ٩ / ٢٩٢ ، وبحر العلوم ١ / ٥٦٠ ، ٢ / ٢٨١ ، وروح المعاني ٦ / ٣٣٠ ، والبحر المحيط ٤ / ٣٧٦ ، وتفسير الفخر الرازي ١٤ / ٣٤٩ ، ومفاتيح الغيب ١٤ / ١٨١ ، وحجّة القراءات / ٣٩٢ ، ٢٩٤ ، والدُّرُّ المصون ٥ / ٤٤١ ، ٧ / ٢٦٢ .

^٢ يُنظَر : جامع البيان في تأويل القرآن ١٣ / ٧٩ .

^٣ يُنظَر : الكشف والبيان ٤ / ٢٧٣ ، و اللباب في علوم الكتاب ٩ / ٢٩٢ ، والمحزّر الوجيز ٢ / ٥١٤ ، والبحر المحيط ٤ / ٣٧٦ ، وزاد المسير ٣ / ٢٥٣ ، والدُّرُّ المصون ٥ / ٤٤١ ، ٧ / ٦٢٦ .

^٤ يُنظَر : البحر المحيط ٤ / ٣٧٦ ، وتفسير الفخر الرازي ١٤ / ٣٤٩ ، ومفاتيح الغيب ١٤ / ١٨١ ، وتاج العروس ١٧ / ٢٥٧ ، والدُّرُّ المصون ٥ / ٤٤١ ، ٧ / ٢٦٢ ، واللباب في علوم الكتاب ٩ / ٢٩٢ ، وروح المعاني ٦ / ٣٣٠ .

^٥ سورة الأعراف / ١٣٨ .

وذكر قراءة حمزة، والكسائي، وخلف (يَعْكُفُونَ) بكسر الكاف، من (عَكْفَ، يَعْكِفُ)^٥ بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع، وإذا ما نظرنا إلى حمزة، والكسائي، وخلف، وجدناهم يمتثلون قراءة الكوفة، حيث إنَّ هذه القراءة متمثِّبة مع لهجة (أسد) التي نرح بعضها إلى الكوفة. وعدَّ ابن عاشور القراءتين لغتين في مضارع (عَكْفَ) مفتوح العين على القياس، وقرأها كذلك الأخوان، والمفضل، وأبو عمرو في رواية عبد الوارث، ورواها كذلك الموطَّوعيّ وابن مقسم العطار، والقطيعي عن ادريس، ووافقهم الحسن والأعمش، فهما قراءتان معروفتان، ولغتان مشهورتان

^١ وهم: ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر ويعقوب، يُنظر: زاد المسير ٢٥٣/٣، والمحرَّر الوجيز ٤٤٨/٢، وزاد المسير ٢٥٣/٣.

^٢ يُنظر: التحرير والتنوير ٩ / ٨٠، وإبراز المعاني من حرز الأمانى ١٣٩/٢، والأحرف السبعة ٤٠/١، والتيسير في القراءات السبع / ٨٢، والحجَّة في القراءات السبع / ١٦٢، وتجبير التيسير في القراءات العشر / ٣٧٧، وحجَّة القراءات / ٢٩٤، وحرز الأمانى / ٤٩.

^٣ يُنظر: إتخاف فضلاء البشر ٢٨٩/١، والنشر في القراءات العشر ٣٠٦/٢، والمقتبس من اللهجات العربيَّة والقرآنيَّة، د. محمد سالم محيسن، مؤسسة شباب الجامعة، للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندريَّة ط ١٩٨٦م / ٦٨.

^٤ الوراق عن خلف، يُنظر: إتخاف فضلاء البشر ١ / ٢٨٩، والنشر في القراءات العشر ٣٠٦/٢.

^٥ يُنظر: التحرير والتنوير ٩ / ٨٠، وإبراز المعاني من حرز الأمانى (٦٩٦) ٢ / ١٣٩، والأحرف السبعة ٤٠/١، والتيسير في القراءات السبع / ٨٢، والحجَّة في القراءات السبع / ١٦٢، وتجبير التيسير في القراءات العشر / ٣٧٧، وحجَّة القراءات / ٢٩٤، وحرز الأمانى / ٤٩.

^٦ يُنظر: إتخاف فضلاء البشر ١ / ٢٨٩، والنشر في القراءات العشر ٣٠٦/٢، والمهذَّب في القراءات العشر وتوجيهها، د. محمد حسين، طبعة القاهرة ٢٥٠/١، والمقتبس من اللهجات العربيَّة والقرآنيَّة / ٦٨.

^٧ يُنظر: اللباب في علوم الكتاب ٩ / ٢٩٢ - ٢٩٣، والمحرَّر الوجيز ٢ / ٤٤٨، وزاد المسير ٣ / ٢٥٣، وإتخاف فضلاء البشر ١ / ٢٨٩، والبدور الزاهرة / ١٣٧، والعنوان في القراءات السبع / ١٥، والنشر في القراءات العشر ٣٠٦ / ٢، والمقتبس من اللهجات العربيَّة والقرآنيَّة / ٦٨.

^٨ يُنظر: التحرير والتنوير ٩ / ٨٠، والجامع لأحكام القرآن ٧ / ٢٧٣، والعين (عكف) ١ / ٢٠٥، ومعالم التنزيل ٣ / ٢٧٣، واللباب في علوم الكتاب ٣ / ٣١٨، ٩ / ٢٩٣، و زاد المسير ٣ / ٢٥٣، والكشف والبيان ٤ / ٢٧٣، ٥ / ٣٩، والمحرَّر الوجيز ٢ / ٤٤٨، وبحر العلوم ١ / ٥٦١، ومعاني القرآن، للأخفش ٣ / ١٣، ومعاني القرآن، للفرَّاء ٣ / ٢٣٧، ٥ / ٩٠، وإبراز المعاني من حرز الأمانى (٦٩٦) ٢ / ١٣٩، والنبيان في إعراب القرآن ١ / ٢٨٤، والأحرف السبعة ١ / ٤٠، والتيسير في القراءات السبع / ٨٢، والحجَّة في القراءات السبع / ١٦٢، وتجبير التيسير في القراءات العشر / ٣٧٧، وحجَّة القراءات / ٢٩٤، وحرز الأمانى / ٤٩.

بمعنى واحد، فبأيّ القراءتين قرأ القارئ فمصيب؛ لا تفاق معنيهما واستفاضتهما في منطق العرب . واختلف عن إدريس فرولى عنه الْمُطَوَّرِيّ وابن مقسم والقطيعي بكسرها .^٢

وهناك قراءة ثالثة لم يذكرها ابن عاشور : (يُعَكْفُونَ) بضم الياء وتشديد الكاف، قرأ بها ابن أبي عبلة .^٣

والعُكُوف: الملازمة بنية العبادة، وأصل العكوف والاعتكاف الثبات والإقامة، ومنه قوله ﷺ: ﴿وَلَا تَبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ ، وهي من (عَكْفَ) مفتوح العين يَعْكِفُ وَيَعْكُفُ، والمصدر منهما على (فَعَلَ) (عَكْفَ)، و (فُعُولُ) (عُكُوفٍ)؛ كونه لازم وواقع، كما تقول رَجَعْتُهُ فَرَجَعَ، فمصدر اللازم (عُكُوفٌ)، ومصدر الواقع (عَكْفٌ)، وقيل بمعنى أقام؛ ومنه قوله ﷺ: ﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ ، أي يُقِيمُونَ، ومنه قوله ﷺ: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُْحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنْنِسْفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ ، أي مُقِيمًا ، قَالَ الْعَجَّاجُ يَصِفُ حَمِيرًا وَفَحْلًا :

فَهُنَّ يَعْكُفْنَ بِهِ إِذَا حَجَا عَكْفَ النَّبِيطِ يَلْعَبُونَ الْفَنَزَجَا

^١ جامع البيان ٢٣ / ٢٤٦ .

^٢ يُنْظَرُ: التحرير والتنوير ٩ / ٨٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٧ / ٢٧٣ ، والعين (عكف) ١ / ٢٠٥ ، ومعالم التنزيل ٣ / ٢٧٣ ، واللباب في علوم الكتاب ٣ / ٣١٨ ، و زاد المسير ٣ / ٢٥٣ ، والكشف والبيان ٤ / ٢٧٣ ، ٣٩ / ٥ ، والمحَرَّرُ الوجيز ٢ / ٤٤٨ ، وبحر العلوم ١ / ٥٦١ ، ومعاني القرآن ، للأخفش ٣ / ١٣ ، ومعاني القرآن ، للفراء ٣ / ٢٣٧ ، ٥ / ٩٠ ، وإبراز المعاني من حرز الأمانى ٢ / ١٣٩ ، والتبيان في إعراب القرآن ١ / ٢٨٤ ، والأحرف السبعة ١ / ٤٠ ، والتيسير في القراءات السبع / ٨٢ ، والحجّة في القراءات السبع / ١٦٢ ، وتحرير التيسير في القراءات العشر / ٣٧٧ ، وحجّة القراءات / ٢٩٤ ، وحرز الأمانى / ٤٩ ، وفتح القدير ٢ / ٢٧٤ .

^٣ يُنْظَرُ: زاد المسير ٣ / ٢٥٤ .

^٤ سورة البقرة من / ١٨٧ .

^٥ سورة الأعراف من الآية : ١٣٨ .

^٦ سورة طه / من الآية ٩٧ .

^٧ ثور .

^٨ البيتان للعجاج بن رؤبة من قصيدة طويلة على بحر الرجز بدأها بقوله : (ما هاجَ أحراناً وشَجواً قَدْ شَجَا)

بمعنى : وَقَفْنَ وَتَبَتْنَ عَلَيْهِ ، ويقولون : اعْتَكَفَ فِي الْمَسْجِدِ ، وَالْأُولَى أَنْ يَقُولُوا : عَكَفَ فِي الْمَسْجِدِ ، كَمَا قَالَ ﷺ : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ ، وَقَوْمٌ عَكَفٌ وَعُكُوفٌ ، وَيُقَالُ : عَكَفَتِ الطَّيْرُ بِالْقَتِيلِ أَيِ يَقْبَلَنَ عَلَيْهِ ، فَهِيَ عُكُوفٌ ، كَذَلِكَ أَنْشَدَ أَبُو زُبَيْدٍ الطَّائِي ، وَرُوي عَنْ ثَعْلَبِ :
تَدْبُّ عَنْهُ كَفٌّ بِهَارَمَقُ طَيْرًا عُكُوفًا كَرُورِ الْعُرْسِ
حيث عنى بالطير هنا الدِّبَّانَ ، فَجَعَلَهُنَّ طَيْرًا ، وَشَبَّهَ اجْتِمَاعَهُنَّ لِلْأَكْلِ بِاجْتِمَاعِ النَّاسِ لِلْعُرْسِ ، وَعَكَفَتِ الْخَيْلُ بِقَائِدِهَا ، إِذَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ . وَجَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ : ((كَانَ يَعْتَكِفُ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ فِي الْمَسْجِدِ)) وَالاعْتِكَافُ فِي الْمَسْجِدِ : هُوَ الْإِقَامَةُ فِيهِ ، وَتَرْكُ الْخُرُوجِ مِنْهُ إِلَّا لِحَاجَةِ الْإِنْسَانِ ، وَقَوْمٌ عَكَوْفٌ : مَقِيمُونَ . وَقَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ الْهَدَلِيُّ يَصِفُ الْآثَابِيَّ :
فَهَنَّ عُكُوفٌ كَنُوحِ الْكَرِيمِ مَ قَدْ شَفَّ أَكْبَادَهُنَّ الْهَوِيَّ

وختمها بقوله : (فَيُودِي الْمُوْدِي وَيَنْجُو مِنْ نَجَا) .

يُنظَرُ : ديونه ٢٤/٢ ، والحجة للقراء السبعة ٣ / ٢٩٦ ، و العقد الفريد ٢ / ٣٨٢ ، و الاشتقاق / ١٠٤ ، والمحكم والمحيط الأعظم ١ / ٢٨٢ ، و المخصص ١ / ٢٥٠ ، ٣ / ٣٢٢ ، ٤ / ٤٤٣ ، ومقاييس اللغة ٤ / ١٠٨ .

١ سورة البقرة من آية / ١٨٧ .

٢ يُنظَرُ : المحكم والمحيط الأعظم ١ / ٢٨٣ ، وتاج العروس (عكف) ١٧٩/٢٤ .

٣ البيت لأبي زُبَيْدٍ الطَّائِي من قصيدة قصيرة على بحر المنسرح بدأها بقوله :

هَلْ كُنْتُ فِي مَنْظَرٍ وَمُسْتَمِعٍ عَنِ نَصْرِ بَهْرَاءِ غَيْرِ ذِي فَرْسٍ

وختمها بقوله : عَمَّا قَلِيلٍ عَلَوْنَ جُنَّتُهُ فَهَنَّ مِنْ الْوَيْغِ وَمُنْتَهَسِ

يُنظَرُ : المحكم والمحيط الأعظم ١ / ٢٨٣ ، وتاج العروس (عكف) ١٧٩/٢٤ ، ولسان العرب (عكف) ٩ / ٢٥٥ .

٤ قال الترمذي : حسن صحيح غريب ، وصححه الألباني . يُنظَرُ : الجامع الصحيح سنن الترمذي ٣ / ١٦٦ .

٥ من قصيدة قصيرة لأبي ذُوَيْبٍ الْهَدَلِيِّ على بحر المتقارب ، قال في مطلعها :

عَرَفْتُ الدِّيَارَ كَرَقَمِ الدَّوَا وَ يَزِيْرُهَا الْكَاتِبُ الْحِمِيْرِيُّ

وختمها بقوله : وَصَبْرٌ عَلَى حَدَثِ النَّائِبَاتِ وَجَلْمٌ رَزِينٌ وَقَلْبٌ ذَكِيٌّ

وَأَمَّا عَكَفَهُ عَنْ حَاجَتِهِ يَعْكَفُهُ، وَيَعْكَفُهُ عَكَفًا صَرَفَهُ وَحَبَسَهُ، وَيُقَالُ: إِنَّكَ لَتَعْكَفُنِي عَنْ حَاجَتِي، أَي تَصْرِفُنِي عَنْهَا، وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: ﴿وَالْهَدَىٰ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ﴾^١ فمجاهد وعطاء قالا محبوساً، قال الفراء: يُقال عكفته أعكفه عَكَفًا إِذَا حَبَسْتَهُ، وَقَدْ عَكَفْتَ الْقَوْمَ عَنْ كَذَا أَي حَبَسْتَهُمْ، وَيُقَالُ مَا عَكَفَكَ عَنْ كَذَا؟ وَشَعْرٌ مُعَكَّفٌ، أَي: مُجَعَّدٌ، وَعَكَفَ النَّظَامَ الْجَوْهَرَ: حَبَسَهُ لَا يَدْعُهُ يَتَفَرَّقُ. قَالَ الْأَعْشَى:

وَكَأَنَّ السُّمُوطَ عَكَفَهَا السِّلْدُ كُ بَعِطْفِي جَيْدَاءُ أُمَّ غَزَالِ

أَي حَبَسَهَا، وَلَمْ يَدْعُهَا تَتَفَرَّقُ، وَالْمِعَكَّفُ الْمِعْوَجُ الْمِعْطَفُ، وَعُكَيْفٌ اسْمٌ.

٣. وَمَا تَطَرَّقَ لَهُ ابْنُ عَاشُورٍ مِنَ الْقَرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ مَا كَانَ وَجْهَ الْاِخْتِلَافِ فِيهَا صَرَفِيًّا، يَتَرَدَّدُ بَيْنَ (يَفْعُلُ) وَ (يَفْعُلُ) بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ فِي الْمَضَارِعِ، وَهُوَ مِنْ بَابِ التَّنَاوُبِ بَيْنَ بَابِي (ضَرَبَ) وَ (نَصَرَ)، قِرَاءَةُ (يَبْطِشُونَ) مِنْ بَطَشَ: مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: ﴿أَلْهَمَّ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ﴾^٢ (١٩٥) حَيْثُ ذَكَرَ قِرَاءَتَيْنِ: ٤

يُنظَرُ: الْعِبَابُ الزَّاحِرُ (عَكَف) ٤٨١/١، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (عَكَف) ١٧٩/٢٤، وَتَهْذِيبُ اللَّغَةِ (عَكَف) ٩٥/١، وَلِسَانُ الْعَرَبِ (عَكَف) ٢٥٥/٩، وَالْمَحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ ٤/٢١، ٤٥١، ٦٢٢/٧، وَالْمَخْصَصُ ٧٧/٢. ١ سورة الفتح من آية: ٢٥.

٢ البيت من قصيدة طويلة للأعشى على بحر الخفيف بدأها بقوله: مَا بُكَاءُ الْكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ وَسُؤَالِي فَهَلْ تَرُدُّ سُؤَالِي وَخْتَمَهَا ب:

لَنْ تَرَالُوا كَذَلِكَمُ ثُمَّ لَا زِلَ تَهُمْ خَالِدًا خُلُودَ الْجِيَالِ
يُنظَرُ: دِيوانه ٥، وَالْعِبَابُ الزَّاحِرُ ٤٨١/١، وَالْمَحْكَمُ وَالْمَحِيطُ الْأَعْظَمُ (عَكَف) ٢٨٣/١، وَالْمَخْصَصُ ٣٧٠/١، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (عَكَف) ١٨٠/٢٤، وَتَهْذِيبُ اللَّغَةِ (عَكَف) ٩٥/١، وَالْعَيْنُ (عَكَف) ٢٠٦/١، وَلِسَانُ الْعَرَبِ (عَكَف) ٢٥٥/٩، وَمَقَائِيسُ اللَّغَةِ (عَكَف) ١٠٩/٤.

٣ يُنظَرُ: الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ ٢٧٣/٧، وَكِتَابُ الْعَيْنِ (عَكَف) ٢٠٥-٢٠٦، وَاللِّبَابُ فِي عِلْمِ الْكِتَابِ ٣١٨/٣، وَالْعِبَابُ الزَّاحِرُ (عَكَف) ٤٨١/١، وَالْمَصْبَاحُ الْمُنِيرُ (عَكَف) ٤٢٤/٢، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (عَكَف) ١٧٩/٢٤، وَتَهْذِيبُ اللَّغَةِ (عَكَف) ٩٥/١، وَلِسَانُ الْعَرَبِ (عَكَف) ٢٥٥/٩، وَأَسَاسُ الْبَلَاغَةِ (عَكَف) ٦٧٢/١.

٤ سورة الأعراف / ١٩٥.

القراءة الأولى: قراءة الجمهور (يَبْطِشُونَ) بكسر الطاء .

القراءة الثانية: قراءة أبي جعفر (يَبْطِشُونَ) بضم الطاء بدلاً من كسرها ووافق الحسن. وأتت
لغتان من الفعل الماضي (بَطَشَ) مفتوح العين؛ فيجوز فيها: ضم عين المضارع وكسرها على
السواء .

وقرأها أيضاً بالضم (يَبْطِشُونَ) أبو شيبة، ونافع في رواية عنه، ويزيد، ولم يذكرهم ابن
عاشور .

وهناك قراءة ثالثة لم يذكرها ابن عاشور وهي (نُبْطِشُ) بضم النون ، قرأ بها الحسن وأبو
رجاء وطلحة بخلاف عنه من باب الأفعال على معنى نحمل الملائكة عليهم السلام على أن
يبطشوا بهم ، أو نمكنهم من ذلك ، فالمفعول به محذوف للعلم وزيادة التهويل ، وجعل البطشة
على هذا مفعولاً مطلقاً على طريقة : (أَنْبَتَكَ مَنبَاتًا) ، وعدّها ابن جني وأبو حيان منصوبة
بفعل مضمر يدل عليه الظاهر ، أي : يوم نبطش من نبطشه ، فيبطش البطشة الكبرى، وجوّز
ابن جني نصبها على أنّها مفعول كأنه قيل : نقوي البطشة الكبرى عليه ونمكنها منهم ، كقولك
: (يَوْمَ نَسَلِطُ الْقَتْلَ عَلَيْهِمْ ، وَنُوسِعَ الْأَحَدَ مِنْهُمْ) ، وَبَطَشَ بِهِ ، يَبْطِشُ ، وَ يَبْطِشُ أَخْذَهُ

١ نافع والحسن والأعرج ، يُنْظَرُ : المحرّر الوجيز ٢ / ٤٩٠ ، وتفسير البحر المحيط ٤ / ٤٤١ ، وإتحاف فضلاء البشر في
القراءات الأربعة عشر / ٢٩٤ .

٢ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ٩/٢٢٢، والدُّرُّ المصون ٥/٥٤٢، واللباب في علوم الكتاب ٩/٤٢٧، والمحرّر الوجيز ٢/٤٩٠،
والبحر المحيط ٤/٤٣٥، ومعالم التنزيل ٣/٢٤٠، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر / ٢٩٤، والبدور
الزاهرة / ١٤٢، وتجبير التيسير في القراءات العشر / ٣٨٢ .

٣ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ٩ / ٢٢٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٧ / ٣٤٣ ، واللباب في علوم الكتاب ٩/٤٢٧، وإرشاد
العقل السليم ٣ / ٣٠٦ ، والبحر المحيط ٤ / ٤٣٥ ، وروح المعاني ٩ / ١٤٥ ، ٢٥ / ١٢٠ ، وزاد المسير ٣ /
٣٠٦ ، ومعالم التنزيل ٣ / ٢٤٠ ، ، وإتحاف فضلاء البشر / ٢٩٤ ، وتجبير التيسير في القراءات العشر / ٣٨٢ ،
وفتح القدير ٢ / ٣١٦ .

٤ يُنْظَرُ : الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٣٤٣ ، والدُّرُّ المصون ٥/٥٤٢، والمحرّر الوجيز ٢/٤٩٠، والبحر المحيط ٤/٤٤١،
وإعراب القرآن ، للنحاس ٢/١٦٩، وغرائب القرآن ٣/٣٥٤ .

بالعنف ، والسطوة ، كأَبْطَشَهُ ، والبطش : الأخذ الشديد في كل شيء والبأس ، أوالأخذ باليد بقوة ، والإضرار باليد بقوة .

ومثله في قراءة (يَبْطِشُ) من قوله ﷺ : ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسِيَّ أَتْرِيدُ أَنْ تَقْتَلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۗ إِنَّ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ۝١٩ ﴾ ، وكذا في قراءة (نَبْطِشُ) من قوله ﷺ : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ۝١٦ ﴾ ، والقراءة الشاذة ((يَبْطِشُ الْبَطْشَةَ)) قرأ بها الحسن، على البناء للمفعول ، و (الْبَطْشَةُ) بالرفع على النياب عن الفاعل ، ذُكِرَ الفاعل لأنَّ البطشة مجازية التأنيث .

٤ . ومما تطرَّق له ابن عاشور من القراءات القرآنية ما كان وجه الاختلاف فيها صرفياً، يتردَّد بين (يَفْعَلُ) و (يَفْعُلُ) بالكسر والضمِّ في المضارع ، وهو من باب التناوب بين بابي (ضَرَبَ) و (نَصَرَ) ، قراءة (يَلْمِزُكَ) من (لَمَزَ) : من قوله ﷺ : ﴿ وَمَنْ يَلْمِزْكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨ ﴾ ، ومثله قراءة (يَلْمِزُونَ) من قوله ﷺ : ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٩ ﴾ ، و قراءة (وَلَا نَلْمِزُوا) من قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا

١ يُنظَر: التحرير والتنوير ٩/٢٢٢، ١٩/١٦٨، ٢٥/٢٩٤، وإرشاد العقل السليم ٣/٣٠٦، وروح المعاني ٢٥/١٢٠.

٢ سورة القصص / ١٩ .

٣ سورة الدخان / ١٦ .

٤ يُنظَر: إرشاد العقل السليم ٣/٣٠٦، وروح المعاني ٢٥/١٢٠، والميسر في القراءات الأربع عشر / ٤٩٦ .

٥ سورة التوبة / ٥٨ .

٦ سورة التوبة / ٧٩ .

نَنَابِرُوا بِالْأَلْقَابِ بِسِّمِ الْأَسْمِ الْفُسُوقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ ،

حيث ذكر قراءة الجمهور (يَلْمِزُكَ) بكسر الميم ، من باب (ضَرَبَ) مضارعه (يَضْرِبُ) .
وذكر قراءة يعقوب وحده (يَلْمِزُكَ) بضم الميم بدلاً من كسره، ووافقه الحسن، من باب (نَصَرَ) (يَنْصُرُ) . فالقراءتان معروفتان،^١ ولغتان مشهورتان، ومعناهما واحد، فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب.

وهناك قراءة شاذة لم يذكرها ابن عاشور قرأ بها الْمُطَوَّعِي (يَلْمِزُكَ) وهذه القراءة على المبالغة . واللمز القدح والتعيب . وذكر أبو علي في الحجّة أنّ ثمة قراءة هي : ((يَلَامِزُكَ)) .
٥ . ومما تطرّق له ابن عاشور من القراءات القرآنية ما كان وجه الاختلاف فيها صرفياً، يتردّد بين (يَفْعُلُ) و (يَفْعُلُ) بالكسر والضمّ في المضارع ، وهو من باب التناوب بين باي (ضَرَبَ) و (نَصَرَ) ، قراءة (يَطْمِئِنُّ) من (طَمَثَ) : من قوله ﷺ : ﴿ فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْأَطْرَفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ ، ومن قوله ﷺ : ﴿ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ ﴿٧٤﴾ : حيث ذكر قراءة (الجمهور) (لَمْ يَطْمِئِنَّ) بكسر الميم، وهي قراءة الأكثر ، وهي رواية الحارث عن الكسائي .

١ سورة الحجرات / ١١ .

٢ يُنظَر : التحرير والتنوير / ١٠ ، ٢٣٢ ، ٢٧٥ .

٣ يُنظَر : التحرير والتنوير / ١٠ ، ٢٣٢ ، ٢٧٥ ، والحجّة في القراءات السبع / ١٧٦ ، والميسر في القراءات الأربع عشر / ٤٩٦ ، ومعاني القرآن، للأخفش / ١ / ٣٦٠ .

٤ يُنظَر : الميسر في القراءات الأربع عشر / ٤٩٦ .

٥ يُنظَر : التحرير والتنوير / ١٠ ، ٢٣٢ ، ٢٧٥ ، والحجّة في القراءات السبع / ١٧٦ .

٦ يُنظَر : الحجّة للقراء السبعة / ٤ / ١٩٨ .

٧ سورة الرحمن / ٥٦ .

٨ سورة الرحمن / ٧٤ .

٩ يُنظَر : التحرير والتنوير / ٢٧ / ٢٧٠ ، وإتحاف فضلاء البشر / ٥٢٨ ، والكشف عن وجوه القراءات / ٢ / ٣٠٣ ، والنشر / ٢ / ٣٨٢ ، والحجّة في القراءات السبع / ٣٤٠ ، وشرح الشاطبية / ٢٩٠ ، والمحزّر الوجيز / ١٤ / ٢١٣ ، والكشاف

وذكر قراءة أبي عمرو الدوري عن الكسائي (لَمْ يَطْمُئِنَّ) بضم الميم ، وهي أيضاً قراءة ابن مجاهد ، وعلي ، وسلمة بن عاصم ، وأبي حيوة الشامي ، والأعرج ، والشيرازي ، وطلحة ، وعيسى ، وأصحاب عبدالله بن مسعود ، وأبي حمدون وقتيبة ونصير عن الكسائي ، وعدّهما لغتين في مضارع (طَمَّتْ) . وذكر التخيير بين الضم والكسر عن الكسائي .

فالنقل مُضْطَرِبٌّ عن الكسائي ؛ حيث نُقِلَ عنه أنه وحده قرأ (لَمْ يَطْمُئِنَّ) بضم الميم ،

في قوله ﷺ : ﴿ فَيَنْ قَصِرَتْ الظُّرْفُ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ (٥٦) ، و(لَمْ يَطْمِئِنَّ)

بكسر الميم ، في قوله ﷺ : ﴿ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ (٧٤) ، وذكّر عن

أبي عبيدة أنّ الكسائي يرى الضمّ فيها والكسر ، وروى الأكثرون عنه التخيير في إحداهما من روايته ، بمعنى أنّه إذا ضمّ الأول كسر الثاني ، وإذا كسر الأول ضمّ الثاني ، والوجهان من التخيير وغيره ثابتان عنه نصاً وأداءً ، كما في النشر ، والحاصل أنّه نُقِلَ عن الكسائي ثلاثة مذاهب : ضمّ الأول وكسر الثاني من الروایتين ، والتخيير بينهما ، وكسر الأوّل وضمّ الثاني من رواية الليث ، وإذا أردت جمعها في التلاوة فاقراً الأوّل بالضمّ ثم بالكسر ، والثاني بالكسر ثم بالضمّ ، والباقون بكسرها فيهما ، وهما لغتان في مضارع (طَمَّتْ) ، ك(لَمَزَ) .

وهناك قراءتان لم يتطرّق لهما ابن عاشور كعادته في التعامل مع القراءات الشاذّة ، وهما :

١/٣١٩ ، وحجّة القراءات / ٦٩٤ ، وإعراب القراءات السبع وعللها / ٣٣٩/٢ ، وزاد المسير / ١٢٢/٨ ، والتذكرة في

القراءات الثمان / ٥٧٨ ، والبحر المحيط / ١٠/١٩٨ ، ومعجم القراءات ، للخطيب / ٩/٢٧٩ .

١ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير / ٢٧ / ٢٧٠ ، والبحر المحيط / ١٠ / ١٩٨ ، وروح المعاني / ٢٧/١٢٠ ، وتحفة الأقران / ١٧٨ ، ومعجم القراءات ، للخطيب / ٩/٢٧٩ .

٢ سورة الرحمن / ٥٦ .

٣ سورة الرحمن / ٧٤ .

٤ يُنْظَرُ : حجّة القراء السبعة / ٦ / ٢٥٢ - ٢٥٣ ، وإتحاف فضلاء البشر / ٥٢٨ ، والدُّرُّ المصون / ١٠/١٨٢ - ١٨٣ .

قراءة (لَمْ يَطْمِئْتُهُنَّ) بفتح الميم ، قرأ بها عاصم الجحدري ، وطلحة بن مصرف ، وهي شاذة ؛ إذ ليست عينه ولا لامه من حروف الحلق .^١

وقراءة (لَمْ يَطْمِئْتُهُنَّ) قرأ بها يعقوب في الوقف بهاء السكت ، بخلف عنه . وأصل الطمث الجماع المؤدي إلى خروج دم البكر ثم أطلق على كلِّ جماع ، وقيل الطمث دم الحيض ، والمعنى أنَّ الإنسيات لا يمسهنَّ إنس ، ولا الجنَّات لا يمسهنَّ جنٌّ ؛ لأنَّ الجنَّ لهم قاصرات الطرف من نوعهم في الجنة نفي الافتضاض عن الإنسيات والجنيات .^٢

٦ . ومَّا تَطَرَّقَ له ابن عاشور من القراءات القرآنيَّة ما كان وجه الاختلاف فيها صرفياً ، يتردَّد بين (يَفْعَلُ) و (يَفْعَلُ) بالكسر والضمِّ في المضارع ، وهو من باب التناوب بين باي (ضَرَبَ) و (نَصَرَ) ، قراءة (فَأَعْتَلُوهُ) من (عَتَلَ) : من قوله ﷺ : ﴿ خُذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾^{٤٧} حيث ذكر قراءة (فَأَعْتَلُوهُ) بضم التاء بدلاً من كسرها ونسبها إلى نافع وابن كثير وابن عامر (فَأَعْتَلُوهُ) من باب (نَصَرَ) ، وهي قراءة أيضاً لعبيد عن أبي عمرو ، وسهل ، ويعقوب ، وابن محيصة ، والحسن وقتادة والأعرج بخلاف عنهم ، وزيد بن علي وأبي جعفر بخلاف عنه .^٤

وقراءة (فَأَعْتَلُوهُ) بكسر التاء ونسبها للباقيين (وهم عاصم ، وأبو عمرو ، وحمزة ، والكسائي ، وعبيد عن هارون عن أبي عمرو ، وأبي جعفر ، وخلف ، والأعمش ، والحسن وقتادة والأعرج ثلاثتهم في رواية .^٥

^١ يُنظَر : البحر المحيط ١٠ / ١٩٨ ، وروح المعاني ١٢٠/٢٧ ، وتحفة الأقران ١٧٨/ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٢٧٩/٩ .

^٢ يُنظَر : النشر ١٣٥/٢ ، وإتحاف فضلاء البشر / ٥٢٨ .

^٣ سورة الدخان / ٤٧ .

^٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٥ / ٣١٥ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٤٣٧/٨ .

^٥ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٥/٣١٥ ، والسبعة في القراءات / ٥٩٣ ، وشرح الشاطبيَّة / ٢٨٤ ، والتيسير / ١٩٨ ، والنشر ٢/٣٧١ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤/٤٢٨ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/٢٦٤ ، وزاد المسير ٧/٣٥٠ ، ومعاني القرآن ، للقرآن ، للقرآن ٣/٤٣ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/٣٠٧ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٨/٤٣٧ .

وهما لغتان في مضارع " عَتَلَهُ " أي ساقه بجَفَاءٍ ، وَغِلْظَةً ، كَعَرَشَ ، يَعْرِشُ ، وَيُعْرِشُ . وَرَجَّحَ البقاعي : قراءة الضم (فَأَعْتَلُوهُ) كونها أدلُّ على تناهي الغلظة والشدة من قراءة الكسر (فَأَعْتَلُوهُ) . وَالْعُتْلُ : الْجَائِي الْعَلِيظُ قَالَ اللَّيْثُ : الْعَتْلُ أَنْ تَأْخُذَ تَلْيِيبَ الرَّجْلِ فَتَقْتُلَهُ ، أَيْ تَجْرُهُ إِلَيْكَ ، وَتَذْهَبَ بِهِ إِلَى حَبْسٍ أَوْ مَحْنَةٍ . وَأَخَذَ فُلَانٌ بِزِمَامِ النَّاقَةِ يَعْتَلُهَا ، وَذَلِكَ إِذَا قَبِضَ عَلَى أَسْلِ الزِّمَامِ عِنْدَ الرَّأْسِ ، وَقَادَهَا قَوْدًا عَنِيفًا (وَقَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ : عَتَلْتُهُ إِلَى السِّجْنِ وَأَعْتَلْتُهُ إِذَا دَفَعْتَهُ دَفْعًا عَنِيفًا) ، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ : إِتَمَّ لُغْتَانِ فَصِيحَتَانِ ، بِمَعْنَى : خَذُوهُ فَاقْصِفُوهُ كَمَا يُقْصَفُ الْحَطْبُ .^١

وهناك قراءة لم يذكرها ابن عاشور (حُدُوهُ فَأَعْتَلُوهُ) ، وهي قراءة ابن كثير في إشباع الحركات ، بإثبات الواو في الإدراج إلا أنَّ الاختيار حذفها ، واختلف النحويون في ذلك ، فمذهب سيبويه أنَّ الأصل (حُدُوهُ) بإثبات الواو ، إلا أنَّها حذفت لاجتماع حرفين من حروف المد واللين ، ومذهب غيره أنَّها حذفت من أجل الساكنين .^٢

٧ . وَمَا تَطَرَّقَ لَهُ ابْنُ عَاشُورٍ مِنَ الْقُرَآئَاتِ الْقِرَائِيَّةِ مَا كَانَ وَجْهَ الْاِخْتِلَافِ فِيهَا صَرَفِيًّا ، يَتَرَدَّدُ بَيْنَ (يَفْعَلُ) وَ (يَفْعُلُ) بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ فِي الْمَضَارِعِ ، وَهُوَ مِنْ بَابِ التَّنَاوُبِ بَيْنَ بَابِي (ضَرَبَ) وَ (نَصَرَ) ، قِرَاءَةً (يَعْزُبُ) مِنْ (عَزَبَ) : مِنْ قَوْلِهِ ﷺ : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ .^٣ حَيْثُ ذَكَرَ قِرَاءَتَيْنِ :

^١ يُنظَرُ : اللَّبَابُ فِي عِلْمِ الْكُتُبِ ٣٣٢/١٧ ، وَالسَّرَاحُ الْمُنِيرُ ٦٩٥/٣ ، وَإِتْحَافُ فَضْلَاءِ الْبَشَرِ ٥٠٠/ ، وَتَهْذِيبُ اللَّغَةِ (عتل)، وَمَعْجَمُ الْقُرَآئَاتِ ، لِلْخَطِيبِ ٤٣٨/٨ .

^٢ يُنظَرُ : الْكُتُبُ ١٨٩/٤ ، وَإِعْرَابُ الْقُرْآنِ ، لِلنَّحَّاسِ ١١٧/٣ ، وَإِتْحَافُ فَضْلَاءِ الْبَشَرِ ٥٠٠/ ، وَالنَّشْرُ ٣٠٤/١ - ٣٠٥ ، وَمَعْجَمُ الْقُرَآئَاتِ ، لِلْخَطِيبِ ٤٣٨/٨ .

^٣ سُورَةُ يُونُسَ / ٦١ .

القراءة الأولى: قراءة الجمهور (وهم أبو عمرو ، وابن عامر ، ونافع ، وابن كثير، وعاصم، وحزمة، وأبو جعفر ، ويعقوب) (يَعْرَبُ) بضم الزاي .

القراءة الثانية: قراءة الكسائي (يَعْرَبُ) بكسر الزاي بدلاً من ضمها ، وهي قراءة أيضاً لابن وثَّاب ، والأعمش ، وطلحة بن مصرف ، واعتبرهما وجهين في مضارع (عَرَبَ) ، وهما لغتان فصيحتان ، وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ، لاتفاق معنيهما واستفاضتهما في منطق العرب، غير أنَّ الطبري يميل إلى الضمِّ ؛ كونه أغلب على المشهورين من القراء . وهو كقولك : (يَعْرِشُ) و (يَعْرِشُ)، و(عَرَبَ يَعْرَبُ وَيَعْرَبُ) . أي : غَابَ حَتَّى حَفِيَ ، ومنه الروض العازبُ ؛ قال أبو تمام :

وَقَلَّ نَأْيٌ مِنْ حُرَّاسَانَ جَأَشَهَا فُقُلْتُ : اطمئني ، أَنْضِرُ الرَّوْضِ عَازِبُهُ

وقيل للغائب عن أهله : (عازب) ، حَتَّى قالوا لِمَنْ لا زوج له : عازب . وقال الرَّاعِبُ :

(العازِبُ) المتباعدُ في طلب الكلاء ، ويقال : رجل عزبٌ ، وامرأة عزبةٌ وعزبٌ .

٨ . ومَّا تطرَّق له ابن عاشور من القراءات القرآنيَّة ما كان وجه الاختلاف فيها صرفياً ،

يتردَّد بين (يَفْعَلُ) و (يَفْعُلُ) بالكسر والضمِّ في المضارع ، وهو من باب التناوب بين بابي (

ضَرَبَ) و (نَصَرَ) ، قراءة (وَلَمْ يَقْتَرُوا) من (قَتَرَ) : من قوله ﷺ : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا

^١ يُنْظَرُ : ديوانه / ٤٣ ، والبحر المحيط ١٤٨/٥ ، والدُّرُّ المصون ٢٢٩/٦ ، واللباب في علوم الكتاب ٣٦٣/١٠ ، وأخبار أبي تمام / ١٠ ، الأغاني ٤٢١/١٦ ، والحماسة البصريَّة / ١٧ ، وأما المرتضي / ٤٢ .

^٢ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ١١ / ٢١٤ ، وجامع البيان ١٥ / ١١٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٨ / ٣٥٦ ، والكشَّاف / ٢ / ٣٣٧ ، والكشف والبيان ٥ / ١٣٦ ، و اللباب في علوم الكتاب ١٠ / ٣٦٣ ، و بحر العلوم ١٢١/٢ ، والبحر المحيط ٥ / ١٧٢ ، ومعالم التنزيل ٤ / ١٣٩ ، وأنوار التنزيل ١ / ٢٠٥ ، و تفسير السراج المنير ٢٨/٢ ، ومفاتيح الغيب ١٧ / ٢٧٥ ، ومفاتيح الغيب ١٧ / ٩٩ ، وإتحاف فضلاء البشر / ٣١٦ ، والتيسير في القراءات السبع / ٨٧ ، والحجَّة في القراءات السبع / ١٨٢ ، والعنوان في القراءات السبع / ١٧ ، وتجويد التيسير في القراءات العشر / ٤٠٠ ، وحجَّة القراءات / ٣٣٤ .

لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتَرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿١٧﴾ ، حيث ذكر ثلاث قراءات ، وهي :

القراءة الأولى : قراءة نافع ، وابن عامر ، وأبي جعفر (وهي رواية أبي عبدالرحمن السلمي عن علي ، وعن الحسن ، وأبي رجاء ، ونعيم بن ميسرة ، والمفضل ، والأزرق ، والجعفي ، وهي رواية عن أبي بكر عن عاصم ويعقوب وسهل (لم يَقْتَرُوا) بضم التحتية وكسر الفوقية من (أَقْتَرَّ يُقْتَرُّ يُقْتَرُ) وهو مرادف التقتير ، وقد أنكر أبو حاتم لغة (أَقْتَرَّ) رباعياً ، وإنما يُقال (أَقْتَرَّ يُقْتَرُّ) إذا افتقر ، ومنه ((وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ)) من قوله ﷺ: ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ مَتَاعًا

بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٦﴾ ، وأنكر على أهل المدينة هذه القراءة ؛ لأنه لا يقع عنده في قراءتهم الشاذ ، وتأول لهم أن المسرف يفتقر سريعاً ، وهذا تأويل بعيد ، وغاب عنه ما حكاه أبو عمر الجرمي عن الأصمعي وغيره أنه يُقال للإنسان إذا ضَيَّقَ (قَتَرَ يَقْتَرُ و يَقْتَرُ) و (أَقْتَرَّ يُقْتَرُ) فعلى هذا تصحُّ القراءة . ورجَّح بعضهم فتح الياء ، كونها أصح وأشهر وأقرب متناولاً .

القراءة الثانية : قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو في رواية ، ويعقوب (وهي قراءة لمجاهد ، والحسن ، وابن محيصة ، واليزيدي) (لم يَقْتَرُوا) بفتح التحتية وكسر الفوقية بدلاً من ضمِّها من قتر من باب (ضَرَبَ) وهي لغة حسنة ومعروفة .

^١ سورة الفرقان / ٦٧ .

^٢ سورة البقرة / ٢٣٦ .

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٩ / ٧٢ ، وزاد المسير ١٠٢/٦ ، والتيسير في القراءات العشر ١٦٤/ والسبعة في القراءات ٤٦٦/ ، والكشف عن وجوه القراءات ١٤٧/٢ ، وإعراب النخاس ٤٧٥/٢ ، ومعاني القرآن ، للفراء ٢٧٢/٢ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٢٤/٢ ، والتذكرة في القراءات الثمان ٤٦٦/ ، والدُّرُّ المصون ٢٦٣/٥ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٣٧٦/٦ .

^٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٩ / ٧٢ ، وزاد المسير ١٠٢/٦ ، والتيسير في القراءات العشر ١٦٤/ ، والنشر ٣٣٤/٢ ، والسبعة في القراءات ٤٦٦/ ، والكشف عن وجوه القراءات ١٤٧/٢ ، والمحزَّر الوجيز ٤ / ٢٢٢ ، وإعراب النخاس

القراءة الثالثة : قراءة عاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف (وهي قراءة الحسن ، وطلحة ، والأعمش ، ويحيى بن وثَّاب ، وأبو عمرو في رواية) (لَمْ يَقْتَرُوا) بفتح التحتية وضم الفوقية من فعل (قَتَرَ) من باب (نَصَرَ) ، وقال عنها النحَّاس : إنَّها قراءة حسنة ، من (قَتَرَ يَقْتَرُ) ، وهذا القياس في الفعل اللازم ، ك(قَعَدَ يَقْعُدُ) .^١

وهناك قراءة رابعة لم يذكرها ابن عاشور (لم يَقْتَرُوا) بضم التحتية ، وفتح الفوقية على البناء للمفعول ، وهي قراءة لأبي عبدالرحمن .^٢

والإقتار والقتر : الإجحاف والنقص ممَّا تسعه الثروة ويقتضيه حال المنفق عليه . وكان أهل الجاهلية يُقْتَرُونَ على المساكين والضعفاء لأنَّهم لا يسمعون ثناء العظماء في ذلك . والقراءتان بمعنى واحد ، فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب ؛ لا تَفْاق معنيهما واستفاضتهما في منطق العرب .

وهناك قراءات عديدة لم يتطرَّق له ابن عاشور من القراءات القرآنية وقد كان وجه الاختلاف فيها صرفياً ، يتردَّد بين (يَفْعَلُ) و (يَنْفَعُلُ) بالكسر والضمِّ في المضارع ، وهو من باب التناوب بين بابي (ضَرَبَ) و (نَصَرَ) ، وهي قراءات غير سبعة ، منها :

٢/٤٧٥ ، ومعاني القرآن ، للفرَّاء ٢/٢٧٢ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/١٢٤ ، والتذكرة في القراءات الثمان /٤٦٦ ، والدُّرُّ المصون ٥/٢٦٣ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٦/٣٧٦ .

^١ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ١٩ / ٧٢ ، وزاد المسير ٦/١٠٢ ، والتيسير في القراءات العشر /١٦٤ ، والنشر ٢/٣٣٤ ، والسبعة في القراءات /٤٦٦ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/١٤٧ ، والكشَّاف ٢/٤١٥ ، وحجَّة القراءات /٥١٤ ، وإعراب النحَّاس ٢/٤٧٥ ، والمحزَّر الوجيز ٤ / ٢٢٢ ، ومعاني القرآن ، للفرَّاء ٢/٢٧٢ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/١٢٤ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٦/٣٧٦ .

^٢ يُنْظَرُ : المحزَّر الوجيز ٤ / ٢٢٢ .

^٣ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ١٩ / ٧٢ .

١. يَسْفِكُ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّىْ جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِيْفَةً ۗ قَالُوْۤا اَتَجْعَلُ فِيْهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيْهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ اِنِّىْۤ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿٣٠﴾ ﴾ حيثُ فُرِّت (وَيَسْفِكُ) بضم الفاء بدلاً من كسرهما .

٢. يَفْسُقُوْنَ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْۤا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِيْ قِيْلَ لَهُمْ فَاَنْزَلْنَا عَلٰى الَّذِيْنَ ظَلَمُوْۤا رِجْزًا مِّنَ السَّمَآءِ بِمَا كَانُوْۤا يَفْسُقُوْنَ ﴿٥٩﴾ ﴾ ، وَمِنْ قَوْلِهِ ﷺ : ﴿ وَالَّذِيْنَ كَذَبُوْۤا بِآيٰتِنَا يَمْسُوْۤهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوْۤا يَفْسُقُوْنَ ﴿٤٩﴾ ﴾ ، وَمِنْ قَوْلِهِ ﷺ : ﴿ وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِيْ كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ اِذْ يَدْعُوْنَ فِى السَّبْتِ اِذْ تَأْتِيْهِمْ حِيَتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُوْنَ لَا تَأْتِيْهِمْۙ كَذٰلِكَ نَبَلُوْهُمۙ بِمَا كَانُوْۤا يَفْسُقُوْنَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ ، وَمِنْ قَوْلِهِ ﷺ : ﴿ فَلَمَّا نَسُوْۤا مَا ذُكِّرُوْۤا بِهِۦٓ اَنْجَيْنَا الَّذِيْنَ يَهْتَوٰنَ عَنِ السُّوْءِ وَاٰخِذِنَا الَّذِيْنَ ظَلَمُوْۤا بِعَذَابٍ بَیْسٍۭ بِمَا كَانُوْۤا يَفْسُقُوْنَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ ، وَمِنْ قَوْلِهِ ﷺ : ﴿ اِنَّا مُنْزِلُوْنَكَ عَلٰى اَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَآءِ بِمَا كَانُوْۤا يَفْسُقُوْنَ ﴿٣٤﴾ ﴾ ، حَيْثُ فُرِّت (يَفْسُقُوْنَ) بكسر السين بدلاً من ضمِّها .

٣. يَنْعِقُ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْۤا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ اِلَّا دُعَاۗءَ وَنِدَاۗءٍ ۗ صُمُّ بِكُمْ عُمٰٓى فَهُمْ لَا يَعْقِلُوْنَ ﴿١٧١﴾ ﴾ حيثُ فُرِّت (يَنْعِقُ) بضم العين بدلاً من كسرهما .

١ سورة البقرة / ٣٠ .

٢ سورة البقرة / ٥٩ .

٣ سورة الأنعام / ٤٩ .

٤ سورة الأعراف / ١٦٣ .

٥ سورة الأعراف / ١٦٥ .

٦ سورة العنكبوت / ٣٤ .

٧ سورة البقرة / ١٧١ .

٤ . يرشُدون من قوله ﷺ : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (١٨٦) حيث قرئت (يُرْشِدُونَ) بكسر الشين بدلاً من ضمِّها. ونراه تحدّث عن معنى الرشد بأنّه إصابة الحقّ وأنّه من باب (نَصَرَ) ، و (فَرِحَ) ، و (ضَرَبَ) ، و أنّ الأشهر باب (نَصَرَ) ، ولكنه لم يشر إلى القراءات الواردة فيه .

٥ . يطهّرُن من قوله ﷺ : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٣٣٢) حيث قرئت (يَطْهَرْنَ) بكسر الهاء بدلاً من ضمِّها .

٦ . تعضّلوهن من قوله ﷺ : ﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحَنَّ أَرْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْنَ بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَمْ آزَكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٣٢) حيث قرئت (تَعْضُلُوهُنَّ) بكسر الضاد بدلاً من ضمِّها .

٧ . تدرّسون من قوله ﷺ : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ (٧٩) ، ومن قوله ﷺ : ﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴾ (٣٧) ، حيث قرئت (تَدْرُسُونَ) بكسر الراء بدلاً من ضمِّها .

١ سورة البقرة / ١٨٦ .

٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢ / ١٨٠ .

٣ سورة البقرة / ٢٢٢ .

٤ سورة البقرة / ٢٣٢ .

٥ سورة آل عمران / ٧٩ .

٦ سورة القلم / ٣٧ .

٨. نطمس من قوله ﷻ : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَيَّ أَدْبَارَهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ ^{٤٧} وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ^{٤٧} ﴾ حيث قرئت (نَطْمَسَ) بضم الميم بدلاً من كسرهما .

٩. يحسدون من قوله ﷻ : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ^{٥٤} فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ^{٥٤} ﴾ ، حيث قرئت (يَحْسُدُونَ) بالكسر بدلاً من ضمها كذلك .

١٠. يصدفون من قوله ﷻ : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ^{١٥٧} ﴾ ، ومن قوله ﷻ : ﴿ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِنَ رَبِّكُمْ وَهْدَىٰ وَرَحْمَةً ^{١٥٧} فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ^{١٥٧} سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ^{١٥٧} ﴾ ، حيث قرئت (يَصْدِفُونَ) بضم الدال بدلاً من كسرهما .

١١. يحشرهم من قوله ﷻ : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَلْمَعُشَرُ الْجِنَّةِ لَمَّا أَنتَكَّرْتُمْ ^{١٢٨} مِنَ الْإِنْسِ ^{١٢٨} وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ^{١٢٨} ﴾ ، ومن قوله ﷻ : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا ^{١٢٨}

١ سورة النساء / ٤٧ .

٢ سورة النساء / ٥٤ .

٣ سورة الأنعام / ٤٦ .

٤ سورة الأنعام / ١٥٧ .

٥ سورة الأنعام / ١٢٨ .

مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ، ومن قوله ﷻ : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ ، ومن قوله ﷻ : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾ ، ومن قوله ﷻ : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ حيث قُرئت (يَحْشُرُهُمْ) بكسر الراء بدلاً من ضمها .

١٢ . لأَصْلَبْتُمْ من قوله ﷻ : ﴿ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لأَصْلَبَنَّكُمْ

أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ حيث قُرئت (لأَصْلَبَنَّكُمْ) ، بضم اللام بدلاً من كسرهما .

١٣ . يَسْبِتُونَ من قوله ﷻ : ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ

يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴿١١٣﴾ ﴾ ، حيث قُرئت (يَسْبِتُونَ) بضم الباء بدلاً من كسرهما .

١٤ . فَاْفَرَّقَ من قوله ﷻ : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ

الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ حيث قُرئت (فَاْفَرَّقَ) بكسر الراء بدلاً من ضمها .

١٥ . يَنْكُتُونَ من قوله ﷻ : ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ

يَنْكُتُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ ، ومن قوله ﷻ : ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

حيث قُرئت (يَنْكُتُونَ) بكسر الكاف بدلاً من ضمها .

١ سورة يونس / ٤٥ .

٢ سورة الحجر / ٢٥ .

٣ سورة الفرقان / ١٧ .

٤ سورة سبأ / ٤٠ .

٥ سورة الأعراف / ١٢٤ .

٦ سورة الأعراف / ١٦٣ .

٧ سورة المائدة / ٢٥ .

١٦. تَكْنِزُونَ مِنْ قَوْلِهِ ﷻ : ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ حيث فُرِئَتْ (تَكْنِزُونَ) بضمّ النون بدلاً من كسرهما .

١٧. يَعْرُجُونَ مِنْ قَوْلِهِ ﷻ : ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾﴾ حيث فُرِئَتْ (يَعْرُجُونَ) بكسر الراء بدلاً من ضمّها .

١٨. تَحْرِقُ مِنْ قَوْلِهِ ﷻ : ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّكَ لَنْ تُحْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ حيث فُرِئَتْ (لَنْ تُحْرِقَ) بضم الراء بدلاً من كسرهما .

١٩. لَنَنْسِفَنَّهُ مِنْ قَوْلِهِ ﷻ : ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخَفِّفَهُ، وَأَنْظِرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ، ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿١٧﴾﴾ حيث فُرِئَتْ (لَنَنْسِفَنَّهُ) بضمّ السين بدلاً من كسرهما .

٢٠. يَسْبِقُونَهُ مِنْ قَوْلِهِ ﷻ : ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ حيث فُرِئَتْ (لَا يَسْبِقُونَهُ) بضمّ الباء بدلاً من كسرهما .

٢١. يَنْسِلُونَ مِنْ قَوْلِهِ ﷻ : ﴿حَقَّ إِذَا فَتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ ، ومن قوله ﷻ : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ حيث فُرِئَتْ (يَنْسِلُونَ) بضمّ السين بدلاً من كسرهما .

١ سورة الأعراف / ١٣٥ .

٢ سورة الزخرف / ٥٠ .

٣ سورة التوبة / ٣٥ .

٤ سورة الحجر / ١٤ .

٥ سورة الإسراء / ٣٧ .

٦ سورة طه / ٩٧ .

٧ سورة الأنبياء / ٢٧ .

٨ سورة الأنبياء / ٩٦ .

٢٢. تَنكِصُونَ مِنْ قَوْلِهِ ﷻ : ﴿ قَد كَانَتْ ءَايَاتِي تُنَالِي عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَيَّ أَعْقَابِكُمْ نَنكِصُونَ

﴿ ٦٦ ﴾ حَيْث قُرِئَتْ (تَنكِصُونَ) بِضَمِّ الْكَافِ بَدَلًا مِنْ كَسْرِهَا .

٢٣. قِرَاءَةٌ (تَأْسِرُونَ) مِنْ (أَسَرَ) مِنْ قَوْلِهِ ﷻ : ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿ ٦٦ ﴾ ،

حَيْث قُرِئَتْ (وَتَأْسِرُونَ) بِضَمِّ السَّيْنِ بَدَلًا مِنْ كَسْرِهَا كَذَلِكَ .

٢٤. يُنْزِفُونَ مِنْ قَوْلِهِ ﷻ : ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزِفُونَ ﴿ ٤٧ ﴾ ، وَمِنْ قَوْلِهِ ﷻ : ٤

﴿ لَا يُصَدِّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴿ ١٩ ﴾ ، الَّتِي قُرِئَتْ يُنْزِفُونَ بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ .

٢٥. تُعْزِرُوهُ مِنْ قَوْلِهِ ﷻ : ﴿ لِيَتَوَمَّنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُعْزِرُوهُ وَنُقَرِّبُوهُ وَنُسَبِّحُوهُ

بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿ ٩ ﴾ حَيْث قُرِئَتْ (تُعْزِرُوهُ) بِضَمِّهَا .

٢٦. سَنَفْرُغُ مِنْ قَوْلِهِ ﷻ : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴿ ٣١ ﴾ حَيْث قُرِئَتْ (سَنَفْرُغُ)

بِكَسْرِ الرَّاءِ بَدَلًا مِنْ ضَمِّهَا .

وَمِمَّا جَاءَ مَتَرَدِّدًا بَيْنَ (يَفْعَلُ) وَ (يَفْعُلُ) بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ فِي الْمَضَارِعِ ، وَهُوَ مِنْ بَابِ

التَّنَاوُبِ بَيْنَ بَابِي (ضَرَبَ) وَ (نَصَرَ) ، الْمَضْعَفُ الثَّلَاثِي .

المضَعَّفُ الثَّلَاثِي :

١ سورة يس / ٥١ .

٢ سورة المؤمنون / ٦٦ .

٣ سورة الأحزاب / ٢٦ .

٤ سورة الصافات / ٤٧ .

٥ سورة الواقعة / ١٩ .

٦ سورة الفتح / ٩ .

٧ سورة الرحمن / ٣١ .

المضَعَّف الثلاثي : هو الذي ضَعَّف حرفه الثاني ، نحو : مدّ، وعدّ، وسدّ، وقد اختلف المتقدِّمون في تسميته، وكذلك الحال في تصنيف أصحاب المعاجم له ، فقد سمَّاه الخليل بن أحمد بالثلاثي المنقَّل ، و سمَّاه ابن دريد بالثنائي الصحيح ، وخصَّه بباب جمع فيه ما كان منه في اللغة مما انتهى إليه ، واستهلَّ معجمه به ، وقال بذلك أيضاً الخليل، وقد بَوَّب عدَّة أبواب به (باب الثنائي الصحيح) . ونعته سيبويه بمضاعفّ بنات الثلاثة ، ونعته ابن جني بمضاعفّ الثلاثة ،

^١ حيث قال : إنّ العرب تشنُّقُ في كثير من كلامها أبنية المضاعف من بناء الثلاثي المنقَّل بِحَرْفِيّ التضعيف ومن الثلاثي المعتلّ ألا ترى أنّهم يقولون : صلَّ اللِّجَامُ يَصِلُّ صليلاً فلو حَكَيْتَ ذلك قُلْتَ : صَلَّ تَمُدُّ اللام وتثقلها وقد حَقَّقْتَهَا في الصلصلة وهما جميعاً صوت اللِّجَامِ فَالثَّقَلُ مَدٌّ والتضاعف ترجيعٌ يَحْفُ فلا يتمكن لأنَّه على حرفين فلا يتقدَّر التصريف حتى يُضَاعَفَ أو يُثَقَّلَ فيجزيُّ كثير منه مُتَّفَقاً على ما وصفت لك ويَجِيءُ منه كثير مختلفاً نحو قولك : صرَّ الجُنْدُبُ صريراً وصرَّصر الأخطبُ صرَّصره فكأنهم تَوَهَّمُوا في صوت الجُنْدُبِ مَدّاً وتَوَهَّمُوا في صوت الأخطبِ ترجيعاً ، ونحو ذلك كثيرٌ مختلفٌ. يُنظر : العين ١/٦٠-٦٤ .

^٢ حيث قال : (((باب الثنائي الصحيح) : ما جاء على بناء فَعَلٌ وفُعِلٌ وفِعْلٌ من الأسماء والمصادر . والثنائي الصحيح لا يكون حرفين إلاً والثاني ثقيل حق يصير ثلاثة أحرف : اللفظ ثنائي والمعنى ثلاثي . وإنما سُمِّي ثنائياً للفظه وصُورته ، فإذا صرَّت إلى المعنى والحقيفة كان الحرفُ الأول أحدَ الحروف المعجمة والثاني حرفين مثلين أحدهما مدغمٌ في الآخر نحو : بَتَّ بُيْتُ بِنَاءً ، في معنى قطع ، وكان أصله بَتَّتْ ، فأدغموا التاء في التاء فقالوا : بت ، وأصل وزن الكلمة فَعَلٌ ، وهو ثلاثة أحرف ، فلما مازجها الإدغام رجعت إلى حرفين في اللفظ ، فقالوا : بَتَّ ، فأدغمت إحدى التائين في الأخرى ؛ وكذلك كل ما أشبهها من الحروف المعجمة . يُنظر : جمهرة اللغة ١ / ١ ، ٣ ، ٥ - ١٤ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٧ ، ٦١ .

^٣ يُنظر : العين : حيث قال : ((باب الثنائي الصحيح العين مع القاف وما قبله مهمل ع ق)) (١ / ٦٢) ، و : ((حرف الهاء باب الثنائي الصحيح باب الهاء مع القاف ق ه مستعمل فقط قه)) (٣ / ٣٤١) ، و : ((حرف الخاء أبواب الثنائي الصحيح ، باب الخاء والقاف خ ق مستعمل فقط ، خق)) (٤ / ١٣١) ، و : ((حرف العين أبواب الثنائي الصحيح ، باب العين والقاف غ ق مستعمل فقط ، غق)) (٤ / ٣٤٠) ، و : ((حرف الكاف باب الثنائي الصحيح ، باب الكاف والشين ك ش ش ك مستعملان)) (٥ / ٢٦٩) ، و : ((باب الذال باب الثنائي الصحيح ، باب الذال والراء ذ ر ذ يستعملان ، ذر : الذرُّ)) (٨ / ١٧٥) ، ... ، و : ((باب التاء الثنائي الصحيح ، باب التاء والراء ث ر ث يستعملان ثر : عينٌ ثرةٌ أي غزيرة الماء وقد ثرَّتْ ثرُّ و [ثرُّ] ثراً وثرارةً وعين السحاب مثله وطعنةٌ ثرةٌ : واسعة)) (٨ / ٢١١) .

^٤ حيث ذكر (مضاعف بنات الثلاثة) في قوله : (((باب ما لحقته الزوائد من بنات الأربعة غير الفعل) ... ولا نعلم في الكلام على مثال فعال إلا المضاعف من بنات الأربعة الذي يكون الحرفان الآخران منه بمنزلة الأولين ، وليس في

وسمّاه ابن فارس المضاعف ، وقد دَرَجَ - في الأعمّ الأغلب - على إيراد الرباعي المضاعف مع الثلاثي المضعّف ، مثال ذلك أنّه أورد (بجح) في (بح) ، أما الأزهري في (تهديب اللغة) وابن سيده في (المحكم) ، فقد أورد المضعّف والمضاعف ضمن أبواب المضاعف في ائتلاف كل من الحروف مع غيره ؛ المضعّف أولاً ، ثمّ المضاعف ، والتزم الجوهري في (الصحاح) ، وتبعه ابن منظور في (لسان العرب) بإيراد الرباعي المضاعف ضمن الثلاثي المضعّف إنّ كان الأخير مستعملاً ، وأفردا من الرباعي المضاعف ما لم يستعمل منه ثلاثي مضعّف ، واستنّ الفيروز ابادي بابن منظور فصنّفه قريباً منه في (القاموس المحيط) على هنات له فيه . ثم جاء المحدثون فورثوا هذا التباين في التسمية ، فدعاه بعضهم بالمضعّف الثلاثي .^٣

والفعل المضعّف اللازم (غير الواقع) على (فَعَلَ) مستقبلة في الأكثر مكسور العين (يَفْعَلُ) ، نحو : (عَفَّ) (يَعِفُّ) ، و (حَفَّ) (يَحِفُّ) ، و (قَلَّ) (يَقِلُّ) .
و شدّ منه بالضمّ الأفعال الآتية : (هَبَّ) من نومه (يَهْبُ) ، و (طَلَّ) الدم (يَطْلُ) إذا بطل ، و جاءت أيضا أفعال بالكسر على الأصل ، وبالضمّ شذوذاً ، وهي : (جَدَّ) (يَجِدُّ) و (يَجْدُ) ، و (شَبَّ) (الْفَرَسُ يَشْبُ) و (يَشْبُ) (رفع يديه معاً) ، و (جَمَّ) (يَجْمُ) و (يَجْمُ) ، و (صَدَّ) عَنِّي (يَصِدُّ) و (يَصِدُّ) ، و (شَحَّ) (يَشْحُ) و (يَشْحُ) ، و (حَرَّ) العبد (يَحْرُ) و (يَحْرُ) إذا عُتِقَ ، و (شَدَّ) الشيء (يَشِدُّ) و (يَشِدُّ) إذا انفرد ، و (حَرَّ) الماء (يَحْرُ) و (يَحْرُ) خريرا إذا صوّت ، و (نَسَّ) الشيء (يَنْسُ) و (يَنْسُ) إذا يبس ، و (دَمَّ)

حروفه زوائد ، كما أنه ليس في مضاعف بنات الثلاثة نحو: رددت ، زيادةً . ويكون في الاسم والصفة)) الكتاب ١

/ ٤٠٤ - ٤٠٦ . يُنظَر : الكتاب ٢٩٤/٤ (ط. بولاق ٢/٣٣٨) ، والأصول في النحو ٣ / ٢١٨ .

^١ حيث قال : ((وإنما) حثت) أصل رباعي و (حثت) أصل ثلاثي ، وليس واحد منهما من لفظ صاحبه إلا أن (حثت) من مضاعف الأربعة ، و (حثت) من مضاعف الثلاثة)) يُنظَر : سرُّ صناعة الأعراب (حرف الحاء) ١٩٧/١ .

^٢ يُنظَر : مقاييس اللغة (بح) ١ / ١٧٣ ، و ٣ / ٣٥٥ .

^٣ يُنظَر : الفعل زمانه وأبنيته د. إبراهيم السامرائي / ١١٥ و ١٩٥ ، وبحوث في اللغة ١ / ١٢٤ .

(الرجل (يَدُمُّ) و (يَدُمُّ) إذا قبح منظره، و(دَرَّ) اللبن و المطر (يَدِرُّ) و (يَدُرُّ) ، و (شَطَّطَ) الدار (تَشْطُطُ) و (تَشْطُطُ) بعدت ، و (فَحَّتِ الْأَفْعَى تَفْحُحُ وَتَفْحُحُ) (صَوَّتَتْ) .
والفعل المضعف المتعدي (الواقع) أو في حكم المتعدي على (فَعَلَ) فمستقبله في الأكثر مضموم العين (يَفْعَلُ) ، نحو : (رَدَّ) (يَرُدُّ) ، و (عَدَّ) (يَعُدُّ) ، و(دَبَّ) (يَدْبُ) ، و (سَدَّ) (يَسُدُّ) ، و (دَزَّتْ) الشمس (تَذُرُّ) ؛ لأنَّه بمعنى أنارت غيرها ، و (هَبَّ) الريح (يَهْبُ) ، و (مَدَّ) النهر إذا زاد (يَمُدُّ) ؛ لأنَّ معناه ارتفع فغطَّى مكانا مرتفعاً عنه ، و شدَّ من ذلك بالكسر (حَبَّ) (يَحْبُّ) .

وشدَّتْ أفعال جاءت بالوجهين ، وهي : (شَدَّ) (يَشُدُّ) و (يَشِدُّ) ، و (عَلَّ) (يُعَلُّ) و (يِعَلُّ) إذا سقاه ثانياً ، و منهم من يحكي اللغتين في اللازم أيضاً ، و منهم من يقتصر على بنائه للمفعول ، و (تَمَّ) الحديث (يَتَمُّ) و (يَتَمُّ) ، و (صَدَّ) (يَصُدُّ) و(يَصِدُّ) ، و(هَرَّ) (يَهْرُ) و (يَهْرُ) (كَرِهَ) ، و (بَتَّ) (يَبْتُ) و (يَبْتُ) (قَطَعَ) ، و (أَضَنِّي) الأمر (يُوْضِنِي) و (يَيْضِنِي) إذا اضطرك ، و (شَطَّ) في حكمه (يَشْطُ) و(يَشْطُ) (جَارَ) ، و (شَجَّ) (يَشْجُ) و (يَشْجُ) ، و (رَمَّ) (يَرُمُّ) و(يَرُمُّ) (أَصْلَحَ) ، و (حَدَّتْ) المرأة على زوجها (تَحُدُّ) و (تَحُدُّ) ، و (حَلَّ) عليه العذاب (يَحْلُ) و (يَحْلُ) .

ومن القراءات التي ذكرها ابن عاشور وجاء فعلها متردداً بين (يَفْعَلُ) و (يَفْعَلُ) بالكسر والضمِّ في المضارع ، وهو من باب التناوب بين بابي (ضَرَبَ) و (نَصَرَ) ، من المضعف الثلاثي الآتي :

١ . قراءة (لَا يَضْرُكُكُمْ) من قوله ﷺ : ﴿ إِن تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِن تُصِيبْكُمْ

سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرُكُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ

^١ يُنظر : أدب الكاتب ١/ ٣٦٩ ، شرح أدب الكاتب، الجواليقي: أبو منصور، موهوب بن أحمد (٥٤٠هـ)، تحقيق ودراسة: د.

طبية حمد بودي، مطبوعات جامعة الكويت ط ١٤١٥-١٩٩٥م / ٤ ، المصباح المنير ٢ / ٦٨٤-٦٨٥ .

^٢ يُنظر : أدب الكاتب ١ / ٣٦٩ ، وشرح أدب الكاتب / ٤ ، وشرح شافية ابن الحاجب ١ / ١٣٤ ، والمصباح المنير ٢ /

٦٨٥ ، و المزهري في علوم اللغة ٢ / ٤ .

مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ، ومن قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا

أَهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ، حيث ذكر قراءة^٢ نافع ، وابن كثير ، وأبي عمرو ، ويعقوب (وهي قراءة أيضاً لحمزة ، ويعقوب ، وابن محيصن ، واليزيدي) : (لَا يَضُرُّكُمْ) بكسر الضاد وراء خفيفة مجزومة ، في جواب الشرط، وعدّه من (ضَارَهُ يَضِيرُهُ ضَيْراً) كـ (بَاعَهُ يَبِيعُهُ) ، فهو (ضَائِرٌ ، وَمَضِيرٌ) ، بالضاد الخفيفة بمعنى (أَضَرَّهُ) ، كما في قوله ﷺ : ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ لَنَا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ ، ويقال - أيضاً - : (ضَارَهُ يَضُورُهُ) ، ففي العين لغتان ، نحو : (قُلْتُ لَهُ أَقُولُهُ ، فَأَنَا قَائِلٌ ، وَهُوَ مَقُولٌ . وذكر ابن عطية أنّها لغة فصيحة .^٤

وقراءة ابن عامر، وحمزة، وعاصم، والكسائي، وأبي جعفر، وخلف (لَا يَضُرُّكُمْ) بضم الضاد وضم الراء مشددة ، وعدّه من (ضَرَّهُ يَضُرُّهُ) ، والضمّة ضمّة اتّباع لحركة العين عند الإدغام للتخلص من التقاء الساكنين؛ سكون الجزم وسكون الإدغام، فالأصل (يَضُرُّكُمْ) فأدغمت الراء في الراء ، ونقلت ضمّة الراء الأولى إلى الضاد، وضمّت الراء الأخيره اتّباعاً لأقرب الحركات إليها وهي الضاد ؛ طلباً للمشاكلة كقولهم: (مُدِّدٌ ، وَمُرٌّ يَا هَذَا) ، ومتى أدغم هذا النوع ، فإنّما أن تكون فائؤه مضمومةً ، أو مفتوحةً ، أو مكسورةً. وأنّه يجوز في مثله من المضموم العين في المضارع ثلاثه وجوه في العربيّة حالة الإدغام: الضمّ لاتّباع حركة العين ، والفتح لخفته ،

^١ سورة آل عمران / ١٢٠ .

^٢ سورة المائدة / ١٠٥ .

^٣ سورة الشعراء / ٥٠ .

^٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ٤ / ٦٨ - ٦٩ ، والسبعة في القراءات ٢٢٥ / ، والنشر ٢٤٢/٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤٦٤/١ ، والحجة للقرّاء السبعة ٧٤/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٤ / ١٨٤ ، وشرح الشاطبيّة ١٧٥/ ، ومعاني القرآن ، للقرّاء ٢٣٢/١ ، والكشف عن وجوه القراءات ٣٥٥/١ ، ومعاني القرآن ، للأخفش ٢٤١/١ ، ومشكل إعراب القرآن ١٥٥/١ ، واللباب في علوم الكتاب ٥ / ٥٠١ ، ٧ / ٥٥٩ ، والحجّة في القراءات السبع ١١٣ / ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١١٨/١ ، والمحزّر الوجيز ١ / ٤٩٨ ، والتذكّرة في القراءات الثمان ٢٩٢ / ، والكشف والبيان ٣ / ١٣٦ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٥٦٢/١ .

والكسر لأنه الأصل في التخلّص من التقاء الساكنين، فتقول : (مُدَّ ومُدُّ ومُدِّ) ، وأنشدوا على ذلك قول جرير :

فَعُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ مُمَيِّرٍ فَلَا كَعْبَاءَ بَلَعْتَ وَلَا كِلَابًا
بضم الضاد ، وفتحها ، وكسرها ، وقُرأت الآية بالأوجه الثلاثة .

وإن كانت فاءه مفتوحةً ، نحو (عَضَّ) ، أو مكسورة ، نحو (فِرَّ) ، كان في اللام وجهان : الفتح ، والكسر ؛ إذ لا وَجْهَ للضمِّ ، لكن لك في نحو (فِرَّ) أن تقول : الكسر من وجهين : إمَّا الاتِّباع ، وإمَّا التقاء الساكنين ، وكذلك لك في الفتح ، نحو (عَضَّ) وجهان ؛ إمَّا الاتِّباع ، وإمَّا التخفيف . هذا كله إذا لم يتصل بالفعل ضمير غائب ، فأمَّا إذا اتصل به ضمير الغائب ، نحو (رُدَّه) ففيه تفصيل ولغات ، وجزم ابن عاشور بأنه لم يُقرأ إلا بالضمِّ في المتواتر (لَا يَضُرُّكُمْ) .

وفي هذه القراءة أوجه :

الوجه الأول : أنَّ الفعلَ مرتفعٌ ، وليس بجوابٍ للشرط ، وإمَّا هو دالٌّ على جواب الشرط ، وذلك أنه على نيّة التقديم ؛ إذ التقدير : (لا يَضُرُّكُمْ إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا ، فَلَا يَضُرُّكُمْ) ، فحذف (فَلَا

^١ البيت من بحر الوافر . يُنظر : ديوان / ٨٢١ ، والكتاب ٣ / ٥٣٣ ، وخزانة الأدب وغاية الأرب ، تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراي ، تحقيق : عصام شعيتو ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ط ١٩٨٧ م ١٧٣ / ١ ، وخزانة الأدب / ١٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٤٨٢ / ٦ ، ٣٠٨ / ٩ ، ٥٤٣ ، والدرر اللوامع / ٦ / ٣٢٢ ، وجمهرة اللغة / ١٠٩٦ ، وشرح المفصل / ٩ / ١٢٨ ، واللباب في علوم الكتاب / ٥ / ٥٠٣ ، ١٤ / ٣٤٩ ، وشرح الأشموني / ٣ / ٨٩٧ ، وشرح شافية ابن الحاجب / ٢٤٤ ، والمقتضب / ١ / ١٨٥ ، والدُّرُّ المصون / ٢ / ٢٠٠ ، و شرح المفصل / ٤ / ٥٩٤ ، والعيني / ٤ / ٤٩٤ ، وشرح شواهد الشافية / ١٦٣ ، وهمع الهوامع / ٢ / ٢٢٧ ، والتصريح / ٢ / ٤٠١ .

^٢ يُنظر : التحرير والتنوير / ٤ / ٦٨ - ٦٩ ، والسبعة في القراءات / ٢٢٥ ، والنشر / ٢ / ٢٤٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه / ٤٦٤ ، والحجة للقراء السبعة / ٣ / ٧٤ ، والجامع لأحكام القرآن / ٤ / ١٨٤ ، وشرح الشاطبية / ١٧٥ ، ومعاني القرآن ، للفرّاء / ١ / ٢٣٢ ، واللباب في علوم الكتاب / ٥ / ٥٠٢ - ٥٠٣ ، ٧ / ٥٥٩ ، والكشف عن وجوه القراءات / ١ / ٣٥٥ ، والبحر المحيط / ٤ / ٤٢ ، ومعاني القرآن ، للأخفش / ١ / ٢٤١ ، ومشكل إعراب القرآن / ١ / ١٥٥ ، والمحرّر الوجيز / ١ / ٤٩٨ ، والحجّة في القراءات السبع / ١١٣ ، وإعراب القراءات السبع وعللها / ١ / ١١٨ ، والكشف والبيان / ٣ / ١٣٧ ، والتذكرة في القراءات الثمان / ٢٩٢ ، ومعجم القراءات ، للخطيب / ١ / ٥٦٢ .

يَضْرُكُمُ) الذي هو الجواب ، لدلالة ما تقدّم عليه ، ثم أُخْرِجَ ما هو دليل على الجواب، وهذا تخريج سيئوبه وأتباعه ، إنّما احتاجوا إلى ارتكاب ذلك، لما رأوا من عدم الجزم في فعل مضارع لا مانع من إعمال الجزم ، ومثله قول جرير :

يا أَفْرَعُ بْنَ حَاسِبٍ يَا أَفْرَعُ إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعِ أَحْوَكُ تُصْرَعُ^١
 برفع (تصرع) الأخير . وكذلك قول زهير بن أبي سلمى:

وَإِنْ أَتَاهُ حَلِيلٌ يَوْمَ مَسْأَلَةٍ يَقُولُ : لَا غَائِبٌ مَالِي وَلَا حَرْمٌ^٢

^١ البيت من بحر الرجز. يُنظَرُ : الكتاب ٦٧/٣، وشواهد المغني (٧٩٧) ، و شرح المفصل ١٥٨/٨، ومغني اللبيب ٥٥٣/٢، وخزانة الأدب ١٢٣/٢، ١٩/٨، ٢١، ٢٢، ٢٧، ٥٠/٩، والمقرب ٢٧٥/١، وشرح الأشموني ١٨/٤، والتصريح ٣٤٩/٢، وهمع الهوامع ٧٢/١، ٦١/٢، وأمالي ابن الشجري، ابن الشجري: أبو السعادات، علي بن حمزة العلوي (٥٤٢هـ)، تحقيق: محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٩٢م ٨٤/١، والمقتضب ٧١/٢، وضرائر الشعر ١١٥/، والإيضاح في شرح المفصل ٢٤٥/٢، شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، ابن مالك: محمد بن عبدالله، (٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، عالم الكتب، بيروت ط ٤ ١٩٨٣م / ٢٧٦، وارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)، تحقيق، وشرح، ودراسة: د. رجب عثمان محمّد، مراجعة: د. رمضان عبدالنوّاب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ط ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ١٨٧٤/، وشرح التصريح على التوضيح، الأزهرى : خالد بن عبد الله (٩٠٥هـ)، دار الفكر، بيروت، (د.ت) ٢٤٩/٢، ورغبة الأمل من كتاب الكامل، سيد بن علي المرصفي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة ط ١٩٩٨م ١١٠/٢، والدرر واللوامع ٤٧/١، والدُّرُّ المصون ٦٦/٢، واللباب في علوم الكتاب ١٥٢/٥، ٥٠٢، ٥٠٤.

^٢ البيت من بحر البسيط. يُنظَرُ: ديوان زهير / ١٥٣، ولسان العرب (خلل، وحرّم)، وخزانة الأدب ٥٠/٩، والدرر اللوامع ٨٢/٥، ووصف المباني / ١٠٤، وشرح أبيات سيئوبه، السيرافي: أبو محمد، يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله المرزبان (٣٨٥هـ) تحقيق: محمد علي الريح هاشم، راجعه: طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة دار الفكر، مكتبة الكليات الأزهرية ط ١٩٧٤م ٨٥/٢، وجمهرة اللغة / ١٠٨، والأنصاف في مسائل الخلاف ٦٢٥/٢، وشرح التصريح ٢٤٩/٢، ومغني اللبيب ٤٢٢/٢، وشرح شواهد المغني ٨٣٨/٢، والمقاصد النحوية ٤٢٩/٤، والمقتضب ٧٠/٢، وأوضح المسالك ٢٠٧/٤، وجواهر الأدب / ٣٠٢، وشرح المفصل ١٥٧/٨، وشرح عمدة الحفاظ وعدة الالفاظ، ابن مالك: محمد بن عبدالله (٦٧٢هـ)، تحقيق: عدنان عبد الرحمن الدوري، بغداد، مطبعة العاني ط ١٩٧٧م / ٣٥٣، وشرح شنور الذهب / ٤٥١، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني، (٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق ط ١٩٨٥م ٥٨٦/، وشرح الأشموني ٥٨٥/٣، وهمع الهوامع ٦٠/٢، والدُّرُّ المصون ٦٤/٢، واللباب في علوم الكتاب ١٥٠/٥، ٥٠٢، ١٠/٦، ٥٠٤/٥، ٣٨٢/١٢، ٥٩٦/١٣، ٤٨٥/١٤، ٥٩٩/١٨.

برفع (يقول) إلاَّ أنَّ هذا النوع مطَّرد ، بخلاف ما قبله أي : كون فعل الشرط والجزاء مضارعين ، فإنَّ المنقول عن سيبويه ، وأتباعه وجوب الجزم ، إلاَّ في ضرورة .

كقول جرير :

يا أَفْرَعُ بَنَ حَاسِبٍ يَا أَفْرَعُ إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعِ أَحْوَكُ تُصْرَعُ
وتخرجه هذه الآية على ما تقدّم عنه يدلّ على أنّ ذلك لا يُخصُّ بالضرورة .

الوجه الثاني : أنّ الفعل ارتفع لوقوعه بعد فاء مقدّرة ، وهي وما بعدها الجواب في الحقيقة ،

والفعل متى وقع بعد الفاء رُفِعَ ليس إلاَّ (وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ) ، من قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ

ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكِ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ

أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ، والتقدير :

فلا يضركم ، والفاء حذفت في غير محلّ النزاع . كقول كعب بن مالك :

مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرْهَا وَالشَّرُّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلَانِ

أي : فالله يشكرها ، وهذا الوجه نقله بعضهم عن المبرّد ، وفيه نظر ؛ من حيث إنهم لما

أنشدوا البيت المذكور نقلوا عن المبرّد أنّه لا يُجَوِّزُ حَذْفَ هذه الفاء لا ضرورة ولا غيرها ، وينقلون

عنه أنّه يقول : إمّا الرواية في هذا البيت :

^١ سبق تخرجه .

^٢ سورة المائدة / ٩٥ .

^٣ ويروى (سَيَانِ) ، و (سَوَاءَانِ) ، والبيت من بحر البسيط . يُنظَرُ : ديوانه / ٢٨٨ ، وشرح أبيات سيبويه ١٠٩/٢ ،

١٤٩ ، وخرزاة الأدب ٥٢/٩ ، ٥٤ ، ٨٠ ، ٣٨١/١١ ، وشرح شواهد المغني ١٧٨/١ ، ولسان العرب (بجل) ،

والمقتضب ٧٢/٢ ، ومغني اللبيب ٥٦/١٠ ، والمقاصد النحويّة ٤٣٣/٤ ، ونوادر أبي زيد ٣١/١ ، ولحسان بن ثابت

في الدُّرر ٨١/٥ ، والكتاب ٦٥/٣ ، والأشباه والنظائر ١١٤/٧ ، والخصائص ٢٨١/٢ ، وأوضح المسالك

٢١٠/٤ ، واللباب في علوم الكتاب ٣١٢/١ ، ٢٣٣/٣ ، ١٨٤/٥ ، ٥٠٢ ، ٣٨/٩ ، ٢٧٢/١٤ ، ٢٧٤/١٥ ،

٢١٥ ، ١٥٦ ، ٢٠٠/١٧ ، وسرُّ صناعة الإعراب ٢٦٤/١ ، وشرح شواهد المغني ٢٨٦/١ ، وشرح المفصل ٢/٩ ،

٣ ، والمحتسب ١٩٣/١ ، والمقرب ٢٧٦/١ ، والمنصف ١١٨/٣ ، وجمع الهوامع ٦٠/٢ .

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ فَالرَّحْمَنُ يَشْكُرُهُ وَالشَّيْءُ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلَانِ
وردوا عليه بأنه إذا صحّت رواية، فلا يقدر فيها غيرها ، ونقله بعضهم عن الفراء
والكسائي، وهذا أقرب.

الوجه الثالث : أنّ الحركة حركة اتّباع ؛ وذلك أنّ الأصل : (لا يَضْرُكُكُمْ) بفك إدغام الراء
وسكون الثاني جزماً، وإذا التقى مِثْلَانِ في آخر فعل سُكِّنَ ثانيهما -جزماً، أو وُفِّفَاً- فللعرب فيه
مذهبان؛ الجزم : وهو لغة تميم . والفك : وهو لغة أهل الحجاز. لكن لا سبيل إلى الإدغام إلّا
في متحرّك، فاضطرّ إلى تحريك المِثْلِ الثاني ، فحرّك بأقرب الحركات إليه، وهي الضمّة التي على
الحرف قبله، فحرّك بها ، وأدغم ما قبله فيه ، فهو مجزوم تقديراً، وهذه الحركة - في الحقيقة -
حركة اتّباع ، لا حركة إعراب ، بخلافها في الوجهين السابقين، فإنّها حركة إعراب .

وهناك قراءة لم يذكرها ابن عاشور ، كعادته في التعامل مع القراءات الشاذّة ، وهي :
١ . قراءة (لا يَضْرُكُكُمْ) بضمّ الضاد ، وفتح الراء المشدّدة ، والفتح هنا لالتقاء الساكنين،
وهي قراءة عاصم فيما روى عنه أبو زيد عن الفضل ، وهي حكاية عن المهدي ، ويرى مكّي

أنّ هذه القراءة (لا يَضْرُكُكُمْ) أحسن ، وأكثر استعمالاً من قراءة الضمّ (لا يَضْرُكُكُمْ) .

٢ . قراءة (لا يَضْرُكُكُمْ) بضمّ الضاد وكسر الراء المشدّدة على أصل التقاء الساكنين، قرأ بها

الضحّاك بن مزاحم ، والفضل الضبيّ عن عاصم ، وقد أنكر ابن عطية هذه القراءة .

^١ تقدّم تخريجه .

^٢ يُنظر : اللباب في علوم الكتاب ٥/٥٠٢ - ٥٠٣ ، والكتاب ٣/٥٣٣ ، والكامل ١/٢٦٧ ، وأوضح المسالك ٤/٢٠٧ ،
والفضل في صنعة الإعراب /٤٩٤ - ٤٩٥ ، والمقتضب /٤١ ، وحاشية الخضري على ابن عقيل ٣/٢٧٦ ، وشرح
الأشموني ٣/٥٨٥ ، وشرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٤٤ - ٢٤٥ ، وعلل النحو، الوراق: أبو الحسن، محمد بن عبد الله
(٣٨١هـ)، تحقيق: محمد جاسم محمد الدرويش، الرياض، مكتبة الرشيد ط ١٩٩٩م /٥٥٦ .

^٣ يُنظر : الكشّاف ١/٢٤٦ ، ومفاتيح الغيب ٨/٣٠٨ ، وإعراب القرآن ، والجامع لأحكام القرآن ٤/١٨٤ ، وللنحاس
٣٦٢/١ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١/٤٦٥ ، واللباب في علوم الكتاب ٥/٥٠٣ ، ومشكل إعراب القرآن ١/١٥٦ ،
والدّر المصون ٢/٢٠٠ ومعجم القراءات، للخطيب ١/٥٦٢ .

^٤ يُنظر : الجامع لأحكام القرآن ٤ / ١٨٤ ، واللباب في علوم الكتاب ٥/٥٠٣ - ٥٠٤ ، الكشف والبيان ٣ / ١٣٧ ،
ومشكل إعراب القرآن ١/١٥٦ ، وغرائب القرآن ١٤/٤١ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١/٤٦٥ ، والضبط فيه بكسر

٣. وقراءة (لا يَضْرُكُم) براءٍ واحدة مجزومة من (ضَارَ يَضُورُ) ، كـ (صَانَهُ يَصُونُهُ) ، قرأ بها الكسائي ، والضحاك ، والحسن البصري . وقال عنها مكى : إنَّ الكسائي حكى (يَضُورَه) فيجب أن يجوّز ضمَّ الضاد ، وذكر الفراء عن الكسائي أنَّه سمع بعض أهل العالية يقول : (لا يَنْفَعُنِي ذَلِكَ وَلَا يَضُورِنِي) ، ولا يُفْرَأُ حرف من كتاب الله مخالفٌ فيه الإجماع على قول رجلٍ من أهل العالية . والأغلب أنَّها ليست قراءة ، وقال الزجاج : إنَّ هذا غير جائز .^١

٤. قراءة (لا يَضْرُكُم) بفك الإدغام ، وجزم الراء قرأ بها أُبَيُّ بن كعبٍ ، وهي لغة أهل الحجاز ، خالفوا فيها سائر العرب .^٢

٥. وقراءة (لا يَضْرُكُم) بإسكان الضاد وضم الراء الأولى والثانية ، قرأ بها أبو حيوة .

وقل مثل ذلك في قراءة (لَنْ يَضْرُوكُمْ) من قوله ﷺ : ﴿ لَنْ يَضْرُوكُمْ إِلَّا آذَىٰ ^ط وَإِنْ يَفْتَلُوكُمْ يُولُوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴾ ، قراءة الجماعة (لَنْ يَضْرُوكُمْ) بضم الضاد ، وقراءة الْمُطَوِّعِي (لَنْ يَضْرُوكُمْ) بكسر الضاد .^٥

وكذا قراءة (فَلَنْ يَضْرَ) من قوله ﷺ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضْرَ اللَّهُ ^ع ﴾

الضاد ، وهو خطأ ، ومثله أيضاً في إعراب النحاس ٣٦٢/١ ، وحاشية الشهاب ٦٠/٣ ، والدُّرُّ المصون ٢٠٠/٢ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٥٦٣/١ .

^١ يُنْظَرُ : الكشف والبيان ١٣٧/٣ ، واللباب في علوم الكتاب ٥٥٩/٧ ، ومعاني القرآن ، للأخفش ٢١٤/١ ، ومعاني القرآن ، للفراء ٢٣٢/١ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤٦٥/١ ، ومشكل إعراب القرآن ١٥٦/١ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٥٦٣/١ .

^٢ يُنْظَرُ : إعراب النحاس ٣٦١/١ ، والجامع لأحكام القرآن ٤ / ١٨٤ ، والبحر المحيط ٤ / ٤٢ ، والمحزَّر الوجيز ٤٩٨/١ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٥٦٣/١ .

^٣ يُنْظَرُ : اللباب في علوم الكتاب ٧ / ٥٥٩ .

^٤ سورة آل عمران / ١١١ .

^٥ يُنْظَرُ : معجم القراءات ، للخطيب ٥٥٥/١ .

شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ . قراءة الجماعة (فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ) بضمّ الضاد،
وقراءة الأعمش الْمُطَوِّعِي (فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ) بكسر الضاد .^٢

وكذا قراءة (فَلَنْ يَضُرُّوكَ) من قوله ﷺ : ﴿ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ

فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا

وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٣﴾ ، حيث قرأها^٣
المُطَوِّعِي ، والحسن (يَضُرُّ) بكسر الضاد بدلا من ضمّها .^٤

٢ . ومن القراءات التي ذكرها ابن عاشور وجاء فعلها متردداً بين (يَفْعَلُ) و (يَفْعُلُ)

بالكسر والضمّ في المضارع، وهو من باب التناوب بين بابي (ضَرَبَ) و (نَصَرَ)، من المضعّف

الثلاثي قراءة (فِيحِلُّ) و (يَحِلُّ) من قوله ﷺ : ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ

فِيحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ ، فقد نقل فيهما قراءتين:

القراءة الأولى : قراءة الجمهور : (فِيحِلُّ) عليكم بكسر الحاء ، ومن (يَحِلُّ) عليه غضبي

بكسر اللام الأولى ، وعدّها فعلاً حَلَّ الدَّيْنِ ، حيث يقال : حلّ الدين ، إذا آن أجل أدائه ،

وقد وافق في هذا كثير من العلماء السابقين .^٦

والقراءة الثانية : قراءة الكسائي ، ووافقه الشنبوذي : (فَيَحِلُّ) بضمّ الحاء، و(يَحِلُّ)

بضمّ اللام على أنّه من (حَلَّ) بالمكان (يَحِلُّ) إذا نزل به .^٧

١ سورة آل عمران / ١٤٤ .

٢ يُنظَرُ : معجم القراءات ، للخطيب ١ / ٥٨١ .

٣ سورة المائدة / ٤٢ .

٤ يُنظَرُ : إتحاف فضلاء البشر / ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٥٧ .

٥ سورة طه / ٨١ .

٦ يُنظَرُ : التحرير والتنوير التحرير ١٦ / ٢٧٥ - ٢٧٦ .

٧ يُنظَرُ : التحرير والتنوير التحرير ١٦ / ٢٧٥ - ٢٧٦ ، والميسر في القراءات الأربع عشر / ٤٩٦ .

فابن عاشور نراه يميل إلى هذا التفريق في المعنى بين الفعلين ؛ ف(فَيَحِلُّ) بالكسر بمعنى حلَّ الدِّينِ ، و(يَحِلُّ) بالضمِّ (حَلَّ) بالمكان ، أي : نزل به ، وذكر ذلك التفريق في المعنى عن الزمخشري في الكشَّاف ، وعلَّق عليه بأنَّه لم يتعقبه .^١
 وقل مثل هذا في الآيات التالية في قراءة مضارع (حلَّ) :

من قوله ﷺ : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۗ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ، ومن قوله ﷺ : ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ، ومن قوله ﷺ : ﴿ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﷻ

وجاء التفريق في المعنى بين الفعلين المضارعين ل (حَلَّ) على النحو الآتي :

١ . (يَحِلُّ) بكسر الحاء ، و (يَحِلُّ) بكسر اللام الأولى ، وهي قراءة الجمهور ، بمعنى : حلَّ الدِّينِ يَحِلُّ مِنْ بَابِ (ضَرَبَ) ، إِذَا وَجِبَ قَضَاؤُهُ ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْحُلُولِ وَهُوَ فِي الْأَجْسَامِ ، ثُمَّ اسْتَعِيرَ لغيرها ، وشاع حتى صارت حقيقة ، ومنه قوله ﷺ : ﴿ وَلَا تَحْلِفُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ ﴾ ، ومنه ﴿ فَيَحِلُّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ﴾ ، و : ﴿ وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾

١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير التحرير ١٦ / ٢٧٥ - ٢٧٦ ، و الكشَّاف ٣ / ٨٠ .

٢ سورة الأعراف / ١٥٧ .

٣ سورة هود / ٣٩ .

٤ سورة الزمر / ٤٠ .

٥ سورة البقرة من آية / ١٩٦ .

، ومنه ﴿ وَيَجْلُ عَلَيْهِ عَدَابٌ مُّصَيِّمٌ ﴾ ، فهو بمعنى: يلزمكم تعضيبي ويجب لكم ويلحق ، وهو من الحلال : حلَّ يَجْلُ ، وقال الفراء: والكسر أحبُّ إليَّ من الضم؛ لأنَّ الضمَّ من الحلول بمعنى الوقوع . وَمَنْ قَرَأَ : يَجْلُلُ يقول : يَجِبُ . وَحَلَّ الدَّيْنُ عَلَيْهِ مَحَلًّا : وَجَبَ . وَيَجْلُ الْهَدْيُ يَوْمَ النَّحْرِ بِمَعْنَى . وَحَلَّتِ الْعُقُوبَةُ تَحِلُّ ، و(يَجْلُ) بالكسر: يجب، وجاء التفسير بالوجوب لا بالوقوع، وذكر نحو هذا أبو عبيدة وغيره .^٤

٢ . والفعل (يَجْلُ) بضمِّ الحاء ، و (يَجْلُلُ) بضمِّ اللام الأولى ، من باب (نَصَرَ) ، وهي قراءة الأعمش ، والكسائي ، وقتادة ، وأبي حيوة ، وطلحة ، و ابن عتبة ، بمعنى: النزول، مِنْ حَلَّ يَجْلُ حُلُولًا : نَقِيضُ الِازْتِحَالِ ، أَي : نَزَلَ ، ومنه : ﴿ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ﴾ ، وغضب الله : عقوباته ، ولذلك وصف بالنزول (هوى) هلك . وأصله أن يسقط من جبل فيهلك، وقيل : إذا قلت: (حَلَّ بِهَمَّ الْعَذَابُ) ، كانت (يَجْلُ) بالضمِّ ، لا غير ، وَمَنْ قَرَأَ : ((يَجْلُلُ عَلَيْهِ غَضَبِي)) يقول: يَنْزِلُ . وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ : ﴿ فَإِنْ

١ سورة طه من آية / ٨١ .

٢ سورة طه من آية / ٨١ .

٣ سورة الزمر : من آية / ٤٠ .

^٤ يُنظَرُ : الكشَّاف / ٣ / ٨٠ ، و معالم التنزيل / ٥ / ٢٨٨ ، والبحر المحيط / ٦ / ٢٤٦ ، وروح المعاني / ١٦ / ٢٤٠ ، وزاد المسير / ٥ / ٣١١ ، والدُّرُّ المصون / ٣٣٠٣ ، ومفاتيح الغيب / ٢٢ / ٨٥ ، ونظم الدرر / ٥ / ٣٥ ، وبحر العلوم / ٢ / ٤٠٧ ، وأنوار التنزيل / ٤ / ١٣٣ ، ومدارك التنزيل / ٣ / ٥٦ ، وتفسير النيسابوري / ٥ / ٣٠٨ ، والنكت والعيون / ٣ / ٤١٦ ، وإرشاد العقل السليم / ٤ / ٣٧٦ ، والدر المنثور / ٧ / ٢٦ ، والجواهر الحسان / ٢ / ٤٧٨ ، وتفسير الجلالين / ٥ / ٤٢٨ ، وروح البيان / ٨ / ١٦١ ، والوسيط لسيد طنطاوي / ٢٨٤٧ ، والمحرَّر الوجيز / ٤ / ٥٦ ، وهيمان الزاد / ٨ / ٢٦٤ ، وتصحيح التَّصْحِيفِ وتحريرُ التَّحْرِيفِ ، صلاح الدين خليل بن أبيك الصَّفْدي (٧٦٤ هـ) ، تحقيق : السِّيد الشَّرْقَاوي ، مراجعة: رمضان عبدالتَّوَّاب ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ط ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م / ١١١ ، والمحيط في اللغة (حل) / ١ / ١٥٨ ، والمصباح المنير (حل) / ١ / ١٤٧ ، وفتح القدير / ٣ / ٤٤٨ .

٥ سورة الرعد من الآية / ٣١ .

٦ سورة طه من آية / ٨١ .

طَلَّقَهَا فَلَا تَحُلْ لَهُ. مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ. فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ

يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ فبالضَّمِّ ، بمعنى : تَنْزِلُ .^٢

ولاحظ ابن عاشور على ابن مالك إهماله هذه الأفعال في (لاميتة) ، وعلى شارحها^٣

(بَحْرُق) عدم استدراكه ذلك في شرحه على هذه اللامية (الشرح الكبير) .^٤

ونراه عند تفسيره كلمة (تَحُلُّ) من قوله ﷺ : ﴿ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ ﴾ فسرها بمعنى^٥

تحل أنت مع الجيش قريباً من دارهم ، وأنَّ الحلول بمعنى : النزول ، وعدَّ تحلُّ : بضم الحاء مضارع

حلَّ اللزوم ، وأنه قد التزم فيه الضمُّ ، وأنَّ هذا الفعل مما استدركه بحرق اليميني على ابن مالك في

شرح لامية الأفعال ، ووصف استدراك بحرق بالوجهة .^٦

ثمَّ علق ابن عاشور على قول الفيومي في المصباح : أنَّ (حلَّ) العذاب (يحلُّ) ، و(يحلُّ)

(حُلُولاً) هذه وحدها بالضم مع الكسر ، والباقي بالكسر فقط ، أنه يخالف ما ذكر ، وأنه لا يعوَّل

٧

عليه .

١ سورة البقرة / ٢٣٠ .

٢ يُنظَر : الكشَّاف ٣ / ٨٠ ، و معالم التنزيل ٥ / ٢٨٨ ، وتاج العروس (حلل) ٢٨ / ٣٣٢ ، والبحر المحيط ٦ / ٢٤٦ ،

وروح المعاني ١٦ / ٢٤٠ ، وزاد المسير ٥ / ٣١١ ، والدُّرُّ المصون / ٣٣٠٣ ، والعين ٣ / ٢٧ ، ومفاتيح الغيب ٢٢ / ٨٥ ،

ونظم الدرر ٥ / ٣٥ ، وبحر العلوم ٢ / ٤٠٧ ، وأنوار التنزيل ٤ / ١٣٣ ، ومدارك التنزيل ٣ / ٥٦ ، وتفسير النيسابوري

٥ / ٣٠٨ ، والنكت والعيون ٣ / ٤١٦ ، وإرشاد العقل السليم ٤ / ٣٧٦ ، والدر المنثور ٧ / ٢٦ ، والجواهر الحسان ٢

٤٧٨ / ، وتفسير الجلالين ٥ / ٤٢٨ ، وروح البيان ٨ / ١٦١ ، والوسيط لسيد طنطاوي / ٢٨٤٧ ، والمحرَّر الوجيز

٤ / ٥٦ ، وهيمان الزاد ٨ / ٢٦٤ ، وتصحيح التصحيف وتحرير التحريف / ١١١ ، والمحيط في اللغة (حل) / ١

١٥٨ ، والمصباح المنير (حل) / ١ / ١٤٧ ، وفتح القدير ٣ / ٤٤٨ .

٣ لامية الأفعال .

٤ يُنظَر : التحرير والتنوير التحرير ١٦ / ٢٧٦ .

٥ سورة الرعد من الآية / ٣١ .

٦ يُنظَر : التحرير والتنوير التحرير ١٣ / ١٤٧ .

٧ يُنظَر : التحرير والتنوير التحرير ١٦ / ٢٧٦ ، و المصباح المنير (حل) / ١ / ١٤٧ ، وروح المعاني ١٢ / ٢٣٢ ، وتاج

العروس (حلل) ٢٨ / ٣١٣ ، ٣٣٢ .

وذكر ظاهر رأي الفيروزآبادي في القاموس المحيط : وهو أن (حَلَّ) بمعنى نَزَلَ يُسْتَعْمَلُ قاصراً ومتعدّياً، أي حَلَّ المكانَ وبه يَحْلُ وَيَحِلُّ ، نَزَلَ به كاحتلَّهُ ، وبه فهو حَالٌّ ، وأحلَّهُ المكانَ وبه وحلَّهُ إياه وحلَّ به : جعلَهُ يَحْلُ ، ثمَّ قال : إنَّه لم يقف لهم على شاهد في ذلك .
وعرّف الحلول : بالنزول والإقامة بالمكان ، وشبّهت إصابة آثار الغضب إياهم بحلول الجيش ونحوه بديار قوم .

وهناك قراءتان لم يذكرهما ابن عاشور :

الأولى : قراءة (فَيَحِلَّ) بضم الياء وكسر الحاء ، من قوله ﷺ : ﴿ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ﴾ جاء ذلك في (كتاب اللوامح)، قرأ بها قتادة، وعبد الله بن مسلم بن يسار، وابن وثاب، والأعمش، وحلَّ متعدِّ بنفسه ؛ كونه من الإحلال. وإذا كان من الإحلال فقد تعدَّى لواحد، والمتعدَّى إليه: (غَضَبِي)، وفاعله ضمير الطغيان، وتُرك الفاعل لشهرته، والتقدير: (فَيَحِلُّ عَلَيْكُمْ طُغْيَانُكُمْ غَضَبِي)، دَلَّ عليه ولا تَطْعُوا من قوله ﷺ : ﴿ وَلَا تَطْعُوا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ﴾ . ويجوز أن يُسند الفعل إلى (غَضَبِي) فيصير في موضع رفعٍ بفعله . وحذف المفعول للدليل عليه ، وهو (العذاب) ونحوه ، ومنعه آخرون .

والقراءة الثانية : قراءة ((لا يَحِلُّ عَلَيْكُمْ)) بـ ((لا)) الناهية وكسر الحاء ، وفتح اللام ، ونون التوكيد المشددة ، مِنْ (يَحِلُّ) ، قرأ بها ابن غزوان عن طلحة ، وذكر ذلك أبو علي الأهوازي في الإقناع ، أي : لا تتعرَّضوا للطُّغيان فيحقَّ عليكم غضبي ، وهو من باب (لا أَرَبَنَّكَ هنا) .

١ يُنظَر : التحرير والتنوير التحرير ١٦ / ٢٧٦ ، والقاموس المحيط (فصل الحاء) / ١٢٧٤ .

٢ يُنظَر : التحرير والتنوير التحرير ١٦ / ٢٧٦ .

٣ سورة طه من آية / ٨١ .

٤ سورة طه من آية / ٨١ .

٥ يُنظَر : البحر المحيط ٦ / ٢٤٦ ، والدُّرُّ المصون ٥/٥٤٢ ، وروح المعاني ١٦ / ٢٤٠ .

٦ يُنظَر : البحر المحيط ٦ / ٢٤٦ ، والدُّرُّ المصون ٥/٥٤٢ ، وروح المعاني ١٦ / ٢٤٠ .

ونراه في قراءة (وَأَهْشُ) من قوله ﷺ : ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴾ ﴿١٨﴾ ، تكلم عن تصريف الفعل (وَأَهْشُ) ، من غير أن يتطرق للقراءات فيه ، حيث قُرئت (وَأَهْشُ) بكسر الهاء بدلاً من ضمِّها .
 فقد فسّر (الهَشَّ) بالْحَبْطِ ، وأنه ضرب الشجرة بعضاً ليتساقط ورقها ، وأنَّ أصله متعدِّ إلى الشجرة فلذلك ضُمَّت عينه في المضارع ، ولما كثر حذف مفعوله ، وعُدِّي إلى ما لأجله يوقع الهش بعلى لتضمين (أهشَّ) معنى أسقط على غنمي الورق فتأكله ، أو أنها استعملت (على) بمعنى الاستعلاء المجازي كقولهم : هو وكيل على فلان .^٢

فابن عاشور يشير هنا إلى قاعدة الفعل المضعّف المتعدّي ، أو ما في حكم المتعدّي على (فَعَلَ) ، حيث إنَّ مستقبله في الأكثر مضموم العين (يَفْعَلُ) ، فهو يرى بأنَّ هذا الفعل جاء على حسب الأصل ، ولم يشدَّ ، وهو مارآه في قراءة (حلَّ) كما سبق .
 ونرى أنَّ ابن عاشور لم يتطرق إلى القراءات الأخرى التي شملت التبادل بين (يَفْعَلُ) و (يَفْعَلُ) بالكسر والضمِّ في مضارع المضعّف الثلاثي ، كون هذا التبادل يشيع في الأفعال السالمة ويقل في الأفعال المضاعفة ، ومن هذه القراءات التي لم يتطرق إليها:

١ . قراءة (تُحْسُ) من قوله ﷺ : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحْسُ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ ﴿١٨﴾ ، حيث قرأ الجمهور (تُحْسُ) بضمِّ التاء وكسرِ الحاء مِنْ (أَحْسَ) . وقرأ أبو حيوة وأبو جعفر وابن أبي عبله وأبو بحرية (تُحْسُ) بفتح التاء وضم الحاء . وقرأ بعضهم (تُحْسُ) بالفتح والكسر ، من (حَسَّه) ، أي : شَعَرَ به .^٤

^١ سورة طه / ١٨ .

^٢ يُنظَر التحرير والتنوير ١٦ / ٢٠٦ .

^٣ سورة مريم / ٩٨ .

^٤ يُنظَر : البحر المحيط ٢٠٩/٦ ، والدر المنثور ٥٤٧/٥ ، والدُرُّ المصون ٦٥٣/٧ ، واللباب في علوم الكتاب ١٦٢/١٣ ، و الكشف والبيان ٣ / ٧٤ ، و إتحاف فضلاء البشر / ٣٨٠ .

٢. صدّ من قوله ﷺ: ﴿فَمَنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِءِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾^{٥٥}
قرأها معظم السبعة بالضم .

٣. هَشَّ من قوله ﷺ: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾^{١٨} حيث قُرئت (وَأَهشُّ^٢) بكسر الهاء بدلاً من ضمِّها .

تداخل اللُّغات

التعريف :

يُعدُّ تداخل اللغات ظاهرة في لغات العرب، إذ تُركَّب لغة ثالثة من لغتين؛ وذلك أن يتلاقى أصحاب اللُّغتين فيسمع هذا لغة هذا، وهذا لغة هذا، فيأخذ كلُّ واحد من صاحبه إلى لغته فتركَّب لغةٌ ثالثة من تلك اللُّغتين، كأن يؤخذ الماضي من لغة، والمضارع أو الوصف من أخرى لا تُنطقُ بالماضي كذلك، فيحصل التداخل والجمع بين اللغتين، فينتج وزن جديد، ويجب أن يكون هذا الوزن غير مهمل في لغة العرب؛ لأنَّ إعمال تداخل اللغتين إنما يقبل إذا لم يفض إلى زنة مهجورة، لأنَّها إذا هجرت بالأصالة فهجرها في التداخل أولى. وبذلك خرجت كثير من الصيغ الفعلية والاسميَّة من صفة الشذوذ، بدعوى أنَّها من باب تداخل اللُّغات .^٣

وعند تدقيق النظر في ظاهرتي التداخل، والشذوذ، نرى أنَّ هناك تشابهاً بينهما كون الظاهرتين نادرتي الاستعمال، خارجتين عن القياس، غير أنَّه في ظاهرة التداخل عُرفت الأسباب،

^١ سورة النساء / ٥٥ .

^٢ سورة طه / ١٨ .

^٣ يُنظر : الخصائص من باب (تركب اللغات) ١ / ٣٧٦ - ٣٨٠ ، والمزهر في علوم اللغة ٢ / ٢٤٠ ، معاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٣ ، والمحتسب ٥/٢ ، وكتاب الأفعال ٤٢/٣ ، وتهذيب كتاب الأفعال، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية، تأليف، أبي القاسم علي بن جعفر السعدي المعروف بابن القطاع ط ٤ ، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣ م ٢٠/٣ ، والشافية في علم التصريف، جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر الدويني، تحقيق: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية، مكة المكرمة ط ٤ ، ١٩٩٥ م ١/١١٥ ، ١٢٥ ، وشرح شافية ابن الحاجب ١/٣٩ ، ١٢٥ ، و دراسات في النحو /٢٦٩ ، والتحرير والتنوير ٢٦/٣٤١ .

ووضعت العِلل، ولذا كثر التعاقب بين المصطلحين عند كثيرٍ من العلماء، حتى عند ابن جني الذي يُعدّ من أكثر العلماء حماسةً لهذه الظاهرة، وأدقّهم تعليلاً لها؛ حيث حاول أن ينفي صفة الشذوذ التي أطلقها كثير من العلماء على بعض المصطلحات التي جاءت على هذه الظاهرة، بل ووصفهم بأنهم سطحيّ النَّظر .^١

ومن بين ما تطرّق له ابن عاشور من القراءات القرآنيّة ما كان وجه الاختلاف فيها صرفياً، من باب تداخل اللُّغات :

١ . قراءة (يَقْنَطُ) من قوله ﷻ : ﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾

٥٦ ، حيث ذكر قراءة الجمهور (يَقْنَطُ) بفتح النون ، في كلِّ القرآن، من باب (قَنِطَ يَقْنَطُ) نحو (عَلِمَ يَعْلَمُ) ، وهي لغةٌ لبعض القبائل العربيّة ، ولم يفصل من هم الجمهور كعادته ، وهم ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر .^٢

وذكر ابن عاشور أيضاً قراءة أبي عمرو والكسائي ويعقوب وخلف (يَقْنِطُ) بكسر النون،^٣ وذكر أنّهما لغتان في فعل (قَنَطَ) ؛ لغة من باب (قَنَطَ يَقْنِطُ) ، نحو (ضَرَبَ يَضْرِبُ) . ولم يذكر ابن عاشور قراءة (قَنَطَ يَقْنُطُ) بضم النون، التي حكاها أبو عبيدة .^٤

١ يُنظَر : الخصائص من باب (تركب اللغات) ١ / ٣٨٠ ، والمزهر في علوم اللغة ٢ / ٢٤٠ ، والشافية ١ / ١٢٥ ، ودراسات في النحو / ٢٦٩ ، والقراءات القرآنية في المعجمات اللغويّة / ٤٨٥ .

٢ سورة الحجر / ٥٦ .

٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٤ / ٦٠ ، والبحر المحيط ٥ / ٤٥٩ ، وغرائب القرآن ١٤ / ٢٧ ، وحاشية الشهاب ٥ / ٤٩٩ ، والسبعة في القراءات / ٣٦٧ ، والتيسير / ١٣٦ ، والنشر ٢ / ٣٠٢ ، وحجّة القراءات / ٣٨٣ ، والكشّاف ٢ / ١٩٢ ، وجامع البيان ١٤ / ٢٨ ، وإتحاف فضلاء البشر / ٢٧٥ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢ / ٣٠١ ، ومعاني الأخصش ٢ / ٣٨٠ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٨١ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١ / ٣٤٦ ، والتذكرة في القراءات الثمان / ٣٩٦ ، ومعجم القراءات، للخطيب ٤ / ٥٦٦ - ٥٦٧ .

٤ ووافقهم البيهقي ، والحسن ، والأعمش ، وسهل . يُنظَر : الميسر في القراءات الأربع عشر / ٢٦٥ .

٥ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٤ / ٦٠ .

وأرى أنَّ القراءة الأولى - قراءة الجمهور (يَقْنَطُ) بفتح النون - التي ذكرها ابن عاشور هي من باب تداخل اللُّغات ، وإن كان ابن عاشور لم يشير إلى ذلك، فهي كما قال ابن جني: إنَّ قولهم (قَنَطَ يَقْنَطُ) بالفتح فيهما ، لغتان تداخلتا ؛ حيث إنَّ (قَنَطَ يَقْنَطُ) بفتح الماضي وكسر المضارع لغة ، مثل (ضَرَبَ يَضْرِبُ) ، و (قَنَطَ يَقْنَطُ) بكسر الماضي وفتح المضارع لغة أخرى، مثل (عَلِمَ يَعْلَمُ) ، ثمَّ تداخلتا فتركبت لغة ثالثة، (قَنَطَ يَقْنَطُ) بالفتح فيهما، ولم يقولوا (قَنَطَ يَقْنَطُ) بالكسر فيهما ؛ لأنَّ أخذاً إلى لغته لغة غيره قد يجوز أن يقتصر على بعض اللغة التي أضافها إلى لغته دون بعض .

وذهب جمهرة النُّحاة إلى أنَّ ما جاء على (قَنَطَ يَقْنَطُ) بالفتح فيهما، وهو ما أسموه (الباب الثالث)، لا بدَّ أن تكون العين أو اللام فيه من حروف الحلق، ووصفوا ما خالف ذلك بالشذوذ، وأنَّه ليس في كلام العرب (قَنَطَ يَقْنَطُ) بفتح الماضي والمستقبل ، إلَّا إذا كان فيه أحد حروف الحلق عيناً أو لاماً مثل (سَحَرَ يَسْحَرُ) ، إلَّا أمثلة شذت مثل: (عَشَى يَعْشَى)، و (قَلَى يَقْلَى) ، و (جَبَى يَجْبَى) ، و (رَكَنَ يَرْكُنُ) واختلفوا فيها فأولوها. وقد أجمعوا على شذوذ مثال واحد هو (أَبَى يَأْبَى) ، ولم يعتد ابن جني بشذوذ هذه الأمثلة التي جاءت في الظاهر على غير القياس، بل اتَّهم من قال بشذوذها بضعف النظر، وأنَّهم وقفوا عند الظاهر، ولم يتجاوزوه إلى أصولها الأولى . حيث قال: ((اعلم أنَّ هذا موضعٌ قد دعا أقواماً ضعفُ نظرهم ، وحَقَّتْ إلى تلَقِّي ظاهر هذه اللغة أفهامهم ، أن جمعوا أشياء على وجه الشذوذ عندهم وأدَّعوا أنَّها موضوعة في أصل اللغة)). وقد ذكر ممَّا قيل بشذوذه: قلى يقلي، وسلَى يسلي، وعشى

١ يُنظر: معاني القرآن، للأخفش ٦٣/٢، والمختص ٥/٢، والكشاف ٥٤٣/٢، وكتاب الأفعال ٤٢/٣، وتهذيب كتاب الأفعال ٢٠/٣، والشافية ١١٥/١، ١٢٥، وشرح شافية ابن الحاجب ٣٩/١، ١٢٥، ودراسات في النحو/٢٦٩.

٢ يُنظر: جامع البيان ١٧ / ١١٤ - ١١٥ ، وإعراب القرآن ، النخاس ٢ / ١٩٨ ، وكتاب الأفعال ١ / ٨ ، والمزهر في علوم اللغة ٢ / ٢٤٠ ، والمخصَّص ١٤ / ١٢٥ ، ودراسات في النحو ١ / ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، وليس في كلام العرب ، ابن خالويه : أبو عبد الله ، الحسين بن أحمد ، (ت ٣٧٠ هـ) تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ١٩٧٩ م / ٢٨ - ٢٩ .

٣ الخصائص من باب (تركب اللغات) ١ / ٣٧٩ .

يعشى، وجى يجى، وركن يركن ، وقنط يقنط، ومضى في تخريجها على الأصل، فقال : إهم قد قالوا (قَلَيْتُ الرَّجُلَ) بالفتح و (قَلَيْتُهُ) بالكسر. فمن قال: (قَلَيْتُهُ) بالفتح فإنه يقول (أَقْلِيهِ) بالكسر. ومن قال : (قَلَيْتُ الرَّجُلَ) بالكسر، قال: (أَقْلَاهُ) بالفتح، وكذلك من قال: (سَلَوْتُهُ) بالفتح ، قال : (أَسْلَوُهُ) بالضم، ومن قال: (سَلَيْتُهُ) بالكسر، قال: (أَسْلَاهُ) بالفتح. ثم تلاقى أصحاب اللغتين فسمع هذا لغة هذا، وهذا لغة هذا، فأخذ كلُّ منهما من صاحبه ما ضمَّ إلى لغته ، فتركبت هناك لغة الثالثة، كأنَّ من يقول: (سَلَا) بالفتح أخذ مضارع من يقول: (سَلِي) بالكسر فصار في لغته (سَلَا يَسَلَا) بالفتح فيهما .

وذكر ابن عاشور عن أبي علي الفارسي : أنَّ (قَنَطَ يَقْنِطُ) بفتح النون في الماضي وكسرهما في المستقبل من أعلى اللغات . ودلَّ على ذلك باجتماعهم على قراءة (قَنَطُوا) بفتح النون في قوله ﷺ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ ، وكذا حكاية أبي عبيدة تدلُّ أيضاً على أنَّ (قَنَطَ) بفتح النون أكثر؛ لأنَّ المضارع من (فَعَلَ) يجيء على (يَفْعَلُ وَيَفْعَلُ) مثل (فَسَقَ يَفْسُقُ وَيَفْسُقُ) ولا يجيء مضارع (فَعَلَ) على (يَفْعَلُ) .

وقد قال ابن عاشور : إنَّ كلتا القراءتين - (يَقْنِطُ) بفتح النون ، و(يَفْنِطُ) بكسر النون - صحيحتان، وعدَّهما من فصاحة القرآن حيث اختار كلُّ لغة في موضع كونها فيه أفصح، فهو يعد قراءة (يَقْنِطُ) بكسر النون ، لغة من باب (ضَرَبَ يَضْرِبُ) ، وقراءة (يَفْنِطُ) بفتح النون من باب (حَسِبَ يَحْسَبُ) ، فهو لا يراها من باب تداخل اللغات، وإنما يرى أنَّهما

١ يُنظَرُ : الخصائص من باب (تركب اللغات) ١ / ٣٧٦ - ٣٨٠ ، والمزهر في علوم اللغة ٢ / ٢٤٠ ، والمصباح المنير (باب القاف) (قَلَيْتُهُ) ٢ / ٥١٥ .

٢ سورة الشورى / ٢٨ .

٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٤ / ٦٠ ، ومفاتيح الغيب ٩ / ٣٢١ ، وأدب الكاتب / ٣٦٩ .

لغتان صحيحتان في (قَنَطَ) ، وأرى - والله أعلم - أنّ عدّها من باب تداخل اللُّغات أصوب
كما قدّمتُ .^١

ولم يَرِجِح ابن عاشور إحدى القراءتين على الأخرى، كما رجّح بعضهم، قراءة (وَمَنْ يَقْنِطُ) بكسر النون على قراءة (وَمَنْ يَقْنِطُ)؛ لإجماع الحجّة من القراء على فتحها في قوله: (مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا) بفتح النون، حيث عدّوا كسرهما في (وَمَنْ يَقْنِطُ) أولى إذا كان مجمعاً على فتحها في (قَنَطَ)؛ لأنّ (فَعَلَ) إذا كانت عين الفعل منها مفتوحة، ولم تكن من الحروف الستة التي هي حروف الحلق ، فإنّها تكون في يَفْعَل مكسورة أو مضمومة ، وزعموا أنّ الفتح لا يُعرف في ذلك من كلام العرب . ومن هؤلاء المرجّحين الطبري ، وأبي عبيدة القاسم بن سلام ؛ فقد رجّحوا قراءة الكسر (يَقْنِطُ) بكسر النون - وهي قراءة البصريين والكسائي وخلف، ولغة أهل الحجاز وأسد - على قراءة الباقيين من العشرة (يَقْنِطُ) بفتح النون، وهم نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وحزمة وأبو جعفر، وأرى - والله أعلم - أنّهم جاوزوا الصواب في ذلك، وقد خالفهم كثير من علماء القراءات المتخصّصين في ذلك، وكثير من المفسّرين، ومنهم ابن عاشور - كما سبق - حيث عدّ هذه القراءات من فصاحة القرآن في الاختيار ، والذي أذهب إليه أنّ هؤلاء العلماء الذين رجّحوا قراءة متواترة على أخرى متواترة مثلها لم يقصدوا المفاضلة بين كلام الله تعالى ، وإنّما - كما قال (نبيل آل اسماعيل) عندما ذكر ترجيح بعض العلماء بين القراءتين المتواترتين - إنّه يرى أنّ ما اتّفق عليه القراء هو ما لا يجوز مخالفته، وهو الذي يساوي التواتر حسب ما اصْطُلِحَ عليه بوصفه حدث بعد عصر الطبري، فهم يرون أنّ ما اختلف فيه بعض القراء ، كانفراد

١ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٤ / ٦٠ ، ٢١ / ١٠١ ، و الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٣٦ ، الكشّاف ٣ / ٣١٥ ، وزاد المسير ٤ / ٦٧ ، ومفاتيح الغيب ٩ / ٣٢١ ، و البحر المحيط ٧ / ١٩٧ .

٢ يُنظَر : جامع البيان ١٧ / ١١٤ - ١١٥ ، وإعراب النخّاس ٢ / ١٩٨ .

٣ يُنظَر : جامع البيان ١٧ / ١١٤ - ١١٥ ، وإعراب النخّاس ٢ / ١٩٨ ، وكتاب الأفعال ١ / ٨ ، وليس في كلام العرب / ٢٨ - ٢٩ .

٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٤ / ٦٠ ، و الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٣٦ ، والكشّاف ٣ / ٣١٥ ، وزاد المسير ٤ / ٦٧ ، ومفاتيح الغيب ٩ / ٣٢١ ، و البحر المحيط ٧ / ١٩٧ .

أحدهم بقراءة ، وإجماع الباقيين على قراءة أخرى، يعدّون المنفرد شاذاً، وما اتفق عليه الباقيون إجماعاً لا تجوز مخالفته، ولا الخروج عليه، وقد تقدّم هؤلاء العلماء على الإجماع على قراءة الأئمة العشرة، ولم يدركوا وضع شروط قبول القراءات الثلاثة، فلذلك يعذرون في ذلك .

وخرّج ابن عاشور قراءة الجمهور (يَقْنُطُونَ) بفتح النون من قوله ﷺ : ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنُطُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ على أنّها مضارع (قَنَطَ) مكسور النون من باب (حَسِبَ) .

وخرّج قراءة أبي عمرو والكسائي (يَقْنِطُونَ) بكسر النون على أنّها مضارع (قَنَطَ) من باب (ضَرَبَ)، وعدّها لغتين في (قَنَطَ) .

ويرى الطبري أنّ غالب مَنْ قرأوا (يَقْنِطُ) بفتح النون من قوله ﷺ : ﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنِطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ ﴿٥٦﴾ ، قد قرأوا (قَنَطُوا) بفتح النون من قوله ﷺ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ ﴿٢٨﴾ ، وقد خالف في ذلك الأعمش حيث قرأها (قَنَطُوا) ، وقرأها الكسائي (قَنَطُوا) بفتح النون، مع أنّه قرأ بكسر نون (يَقْنِطُ) ، وكذلك فعل أبو عمرو بن العلاء فقد قرأ الحرفين جميعاً على النحو الذي قرأه الكسائي .

وأرى أنّ ابن عاشور لم يتطرّق للقراءة الثالثة (يَقْنِطُ) بضمّ النون، من (قَنَطَ) بالفتح، من باب (نَصَرَ يَنْصُرُ)، وهي لغة تميم، كعادته في إغفال القراءات الشاذّة، وقد قرأ بها الأعمش وأبو

١ وهي : صحّة السند / وموافقة الرسم العثماني ، وموافقة اللّغة العربيّة ولو بوجه . يُنظَر : علم القراءات (نشأته - أطواره - أثره في العلوم الشرعيّة) / ٣٣٠ - ٣٣٤ .

٢ سورة الروم / ٣٦ .

٣ التحرير والتنوير ٢١ / ١٠١ .

٤ سورة الحجر / ٥٦ .

٥ سورة الشورى / ٢٨ .

٦ يُنظَر : وجامع البيان ١٧ / ١١٤ - ١١٥ .

عَمْرٍو وَالْأَشْهَبُ الْعُقَيْلِيُّ وَعَيْسَى بْنُ عَمَرَ وَعُبَيْدُ بْنُ عَمِيرٍ وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ وَطَاوُوسُ، وَيَجِي بِنِ
يعمر، وخارجة، وعصمة كلاهما عن أبي عمرو، والحسن، وأبو حيوة، وابن جبير، والليث وكلاهما
عن الكسائي فهو قانط، وهي لغة تميم .

ومَّا تَطَرَّقَ لَهُ ابْنُ عَاشُورٍ فِي إِطَارِ ظَاهِرَةِ (تَدَاخُلِ اللَّغَةِ) : مَاورد فِي مَادَةِ النَّيْلِ وَالنَّوَالِ فِي

قِرَاءَةِ (يَنَاهُكُمْ) مِنْ قَوْلِهِ ﷺ : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ أُولَٰئِكَ

يَنَاهُكُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكُذْبِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا آيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ

دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَيْنَا أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ ، حَيْثُ ذَكَرَ أَنَّ ٢

مَادَةِ (النَّيْلِ) وَ (النَّوَالِ) وَرَدَتْ وَاوِيَةَ الْعَيْنِ وَبَائِيَةَ الْعَيْنِ مِخْتَلِطَتَيْنِ فِي دَوَائِمِ اللَّغَةِ، غَيْرِ
مُفْصِحَةٍ عَنِ تَوْزِيعِ مَوَاقِعِ اسْتِعْمَالِهَا بَيْنِ الْوَاوِيِّ وَالْيَائِيِّ ، وَأَنَّ أَكْثَرَ مَعَانِي الْمَادَتَيْنِ مُتَرَادِفَةٌ، وَأَنَّهُ قَدْ
نَشَأَ مِنَ الْقَلْبِ فِي بَعْضِ التَّصَارِيفِ أَوْ مِنْ تَدَاخُلِ اللَّغَاتِ، فَقَدْ عَدَّهُ مِنْ تَدَاخُلِ اللَّغَةِ، أَوْ مِنْ
الْقَلْبِ فِي بَعْضِ التَّصَارِيفِ ، وَأَنَّ (نُلْتُ) بِضَمِّ النَّونِ مِنْ (نَأَلُ يَنْوُلُ)، وَتَقُولُ (نَلْتُ) بِكَسْرِ
النَّونِ مِنْ (نَأَلُ يَنْيَلُ) ، وَأَصْلُ النَّيْلِ إِصَابَةُ الْإِنْسَانِ شَيْئًا لِنَفْسِهِ بِيَدِهِ، وَنَوْلُهُ أَعْطَاهُ فَنَالَ،
فَالْأَصْلُ أَنَّ تَقُولُ نَالَ فُلَانٌ كَسِبًا ، وَقَدْ جَاءَ هُنَا بَعْضُ ذَلِكَ لِأَنَّ النَّصِيبَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ أَمْرٌ
مَعْنَوِي ، فَمَقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنَّ يَكُونُ النَّصِيبُ مَنُوعًا لَا نَائِلًا، لِأَنَّ النَّصِيبَ لَا يُحْصَلُ الَّذِينَ افْتَرَوْا
عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ، بَلْ بِالْعَكْسِ : الَّذِينَ افْتَرَوْا يَحْصَلُونَ، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ كَقَوْلِهِ ﷺ :

﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ النُّقُوعُ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ

لِتُشْكِرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ، وَقَوْلِهِ ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

١ يُنْظَرُ : الْمُحَرَّرُ الْوَجِيزُ ٤/١٣٥، وَزَادَ الْمَسِيرُ ٤/٤٠٦، وَالْمَحْتَسَبُ ٢/٥، وَمَعَانِي الْأَخْفَشِ ٢/٣٨٠، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابِهِ
٣/١٨١، وَإِعْرَابُ الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ وَعَلَّلَهَا ١/٣٤٦، وَالْحِجَّةُ فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعَةِ ٥/٤٧، وَإِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ
٥/٨٢، وَاللِّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ ١٠/٥٢، وَالْعِبَابُ الزَّآخِرُ ١/٣٠٧، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (ق ن ط) / ٤٩٨١ .

٢ سُورَةُ الْأَعْرَافِ / ٣٧ .

٣ سُورَةُ الْحَجِّ / ٣٧ .

أَتَّخِذُوا الْعَجَلَ سَيْنَاهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ

﴿ ١٥٢ ﴾ ، فتعيّن أن يكون هذا إما مجازاً مرسلأً في معنى مطلق الإصابة، وإما أن يكون استعارة مبنية على عكس التشبيه بأن شبه النّصيب بشخص طالب طلبه فناها، وإما يصار إلى هذا للتّبيه على أنّ الذي ينالهم شيءٌ يكرهونه، وهو يطلبهم وهم يفرون منه، كما يطلب العدوّ عدوه، فقد صار النّصيب من الكتاب كأنّه يطلب أن يحصّل الفريق .^٢

ومّا تطرّق له ابن عاشور في إطار ظاهرة (تداخل اللّغة) : ماورد في قراءة (مُتْم) من قوله

﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتِمْتُمْ لِمَعْفِرَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ﴿ ١٥٧ ﴾

﴿ ، ومن قوله ﴿ وَلَئِن مُّتِمْتُمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ ﴿ ١٥٨ ﴾ ، حيث ذكر قراءة^٤ نافع، وحمزة، والكسائي ، وخلف ، وهي أيضاً قراءة للأعمش ، وابن محيصن بخلاف عنه : (مُتْم) بكسر الميم على لغة أهل الحجاز ؛ لأنهم جعلوا ماضيه مثل (حَافَ)، اعتبروه مكسور العين وجعلوا مضارعه من باب (قَامَ) فقالوا: (يَمُوتُ)، ولم يقولوا : (يَمَاتُ) ، فعده من باب تداخل اللّغتين .

وأما سُفلى مضر فقد جاءوا به في الحاليين من باب : (قَامَ) فقرأوه : (مُتْم) بضمّ الميم. وبها قرأ ابن كثير ، وابن عامر ، وأبو عمرو ، وأبوبكر عن عاصم ، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب. ولم يكن حفص يرفع في القرآن غير هذين الحرفين في الآيتين السابقتين، فضمّ لأنّه فعّل بفتح العين من ذوات الواو، وكل ما كان كذلك فقياسه إذا أسند إلى ياء المتكلم وأخواتها أن

١ سورة الأعراف / ١٥٢ .

٢ يُنظَر : التحرير والتنوير / ٨ / ١١٤ .

٣ سورة آل عمران / ١٥٧ .

٤ سورة آل عمران / ١٥٨ .

٥ يُنظَر : التحرير والتنوير / ٤ / ١٤٣ ، والبحر المحيط / ٣ / ١٠٢ ، والتيسير / ٩١ ، والمبسوط / ١٧٠ ، والسبعة في القراءات / ٢١٨، والتبصرة في القراءات السبع / ٤٦٦ ، إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج / ٣٨٩، والكشف عن وجوه القراءات / ١ / ٣٦١-٣٦٢ ، وحجّة القراءات / ١٧٨ ، والنشر / ٢ / ٢٤٣، وإعراب القراءات السبع وعللها / ١ / ١٢١، والتذكرة في القراءات الثمان / ٢٩٧ ، والدُّرُّ المصون / ١ / ١٧٤ .

تضمَّ فَاوَهُ: إمَّا من أوَّل وهلة، وإمَّا بأن نبدلَ الفتحةَ ضمةً ثمَّ نَنقُلُهَا إلى الفاء على اختلاف بين التصريفيين ، فيُقَال في (قَامَ ، وَقَالَ ، وَطَالَ) : (قُمْتُ ، وَقُمْنَا ، وَقُفْنَا) ، و(طُلْتُ ، وَطُلْنَا) وما أشبهه ، ولهذا جاء مضارعُه على (يَفْعَلُ) مثل (يَمُوتُ) .^١

وزعم أبوحيَّان كعادته في الترجيح بين القراءات أنَّ الضم أقيس وأشهر، وأنَّ الكسر مستعمل كثيراً وأتته شاذ في القياس، وذكر أنَّ المازني عدَّه من (فعل يفعل)، نظير (دُمْتُ تَدُومُ)، و(فضلت تفضل) ، وكذا نقل عن أبي علي ، وأتت حكما عليه بالشذوذ. وأنَّ غيرهما نقل فيه لغتين إحداهما : (فَعَلَ يَفْعَلُ) ، مثل : (مَاتَ يَمُوتُ) . والأخرى : (فَعَلَ يَفْعَلُ) نحو (مَاتَ يَمَاتُ) ، أصله (مَوَتَ) . فعلى هذا ليس بشاذ، إذ هو كقولك : (خَافَ يَخَافُ) ، فأصله : (مَوَتَ يَمُوتُ) . فمن قرأ بالكسر فعلى هذه اللُّغة ولا شذوذ فيه، وهي لغة أهل الحجاز يقولون : (مِئْتُمُ) بكسر الميم من (مَاتَ يَمَاتُ)، ك(خَافَ يَخَافُ) ، والأصل : (مَوَتَ) بكسر العين ك(حَوْفَ) فجاء مضارعه على (يَفْعَلُ) بفتح العين، ويقولون : مِتُّ ومِتُّ ودِمْتُ ودِمْتُ؛ فمن قال مِتُّ قال يَمَاتُ، واستدلَّ بقول الشاعر في أرجوزته، يخاطب ابنته:

بُنَيَّتِي سَيِّدَةَ الْبَنَاتِ عَيْشِي وَلَا يُؤْمَنُ أَنْ تَمَاتِي


١ يُنظَر : التحرير والتنوير ٤ / ١٤٣ ، والبحر المحيط ٣ / ١٠٢ ، والتيسير ٩١ / ، والمبسوط ١٧٠ / ، والسبعة في القراءات ٢١٨ / ، والتبصرة في القراءات السبع ٤٦٦ / ، إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ٣٨٩ / ، والكشف عن وجوه القراءات ١ / ٣٦١-٣٦٢ ، وحجَّة القراءات ١٧٨ / ، والنشر ٢ / ٢٤٣ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١ / ١٢١ ، والتذكرة في القراءات الثمان ٢٩٧ / ، والدُّرُّ المصون ١ / ١٧٤ .

٢ وتروى : ولا يُؤْمَنُ ، البيت لا يُعرَفُ قائله ، وقد أنشده الجوهري في الصحاح ، وابن جنى في الخصائص، ولكنه رواه هكذا: ((بني يا سيدة البنات عيشي ولا يؤمن أن تماتي)) وبنيتي في رواية المؤلف تصغير بنت أضيف إلى ياء المتكلم، وهو منادى بحرف نداء محذوف ، و ((سيدة البنات)) جعله بعضهم نعتا للمنادى ، وأجاز فيه الرفع والنصب ، ويجوز أن يكون بدلاً أو عطف بيان أو منادى بحرف نداء محذوف ، و ((تماتي)) لغة في تموتين، فقد جاء هذا الفعل من باب (نَصَرَ يَنْصُرُ) ، ك(قَالَ يَقُولُ) ، قال عنه : ((قُلْ مُؤْمِنُوا بِعَيْظِكُمْ)) ومن باب : (فَرِحَ يَفْرَحُ) ، ك(خَافَ يَخَافُ) ، وقد قرئ في قوله عنه : ((يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا)) ، وفي قوله عنه : ((وَكَيْنَ مِثُّمُ أَوْ قَتَلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ)) بضم الميم على أنَّه من اللغة الأولى، وبكسرها على أنَّه من اللغة الثانية، قال الصاغاني في العباب: ((قد مات يموت، ويمات أيضاً، وأكثر من يتكلم بها طيبي، وقد تكلم بها سائر العرب))، وحكى يونس في هذه الكلمة لغة أخرى ك(باعَ يَبِيعُ) . يُنظَر : لسان العرب (موت) ٢ / ٩٠ ، وتاج العروس (ملت) ٥ / ٩٧ ،

فجاء بمضارعه على (يَفْعَلُ) بالفتح ، فعلى هذه اللُّغة يَلْزَمُ أن يُقال في الماضي المسند إلى التاء وإحدى أخواتها : (مِتُّ) بالكسر ليس إلاً ، وهو أننا نَقَلْنَا حركة الواو إلى الفاء بعد سَلْبِ حركتها دلالةً على بنية الكلمة في الأصل . وأنَّ هذا أولى مِنْ قول مَنْ يقول: إِنَّ (مِتَّ) بالكسر مأخوذٌ من لغة من يقول : (يَمُوت) بالضم في المضارع ، وجعلوا ذلك شاذاً في القياس كثيراً في الاستعمال، كالمازني وأبي علي الفارسي، ونقله بعضهم عن سيويه صريحاً، وإذا ثَبَتَ ذلك لغةً فلا معنى إلى ادِّعاء الشذوذ فيه . وذكر أبوحيان أيضاً أنَّ سفلى مضر يقولون: (مُتَّم) بضم الميم من (مَاتَ يَمُوتُ)، نقله الكوفيون .

٢

ومَّا تطرَّق له ابن عاشور في إطار ظاهرة (تداخل اللُّغة) رُدُّه توجيه من وجَّه قراءة الحسن

البصري (الحُبُك) بكسر الحاء وضمِّ الباء من قوله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾  بأثما من (تداخل اللُّغات)، حيث عدَّ هذا التوجيه ضعيفاً متكلِّفاً، كون هذا الوزن مهملاً في لغة العرب كلَّهم؛ لشدَّة ثقل الانتقال من الكسر إلى الضمِّ، وهو ما سلمت منه اللُّغة العربيَّة، وإنَّ إعمالَ تداخل اللغتين إمَّا يقبل إذا لم يفض إلى زنة مهجورة؛ لأثما إذا هجرت بالأصالة، فهجرها في التداخل من باب أولى. ورجَّح توجيه أبي حيان باتباع حركة الحاء لحركة تاء (ذاتِ)، وذكر عن بعض أئمَّة اللُّغة أنَّها شاذَّة معتبرين أنَّ راويها خطأ .

٤

والجامع لاحكام القرآن ١/٢٢٠، واللباب ١/٣٩٣، وأضواء البيان ٣/٣٩٣، شرح شواهد الشافية ٥٧/، والخصائص ١/٣٨٦، وشرح شافية ابن الحاجب ١/١٣٧، ٤/٥٧، والصحاح للجوهري ٢/٢٨٩، وجمهرة اللُّغة ٢/٢٤٨، والدُّرُّ المصون ١/١٧٤.

١ يُنظَر : البحر المحيط ٣/١٠٢ ، لسان العرب (موت) ٢/٩٠ ، والجامع لاحكام القرآن ١/١٥٣، والدُّرُّ المصون ١/١٧٤، واللباب في علوم الكتاب ١/٣٩٣ ، والتيسير ١/٩١، والمبسوط ١٧٠/، وأضواء البيان ٣/٣٩٣.

٢ يُنظَر : البحر المحيط ٣/١٠٢ - ١٠٣ .

٣ سورة الذاريات / ٧ .

٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٦ / ٣٤١ .

٤. بين (يَفْعَلُ) ، و (يَفْعَلُ) بالكسر والفتح في المضارع

من بين ما تطرّق له ابن عاشور من القراءات القرآنيّة ما كان وجه الاختلاف فيها صرفياً، يتردّد بين (يَفْعَلُ) و (يَفْعَلُ) بالكسر والفتح في المضارع ؛ حيث إنّه وردت في الفعل الواحد قراءتان ، (يَفْعَلُ) بالكسر في المضارع ، وأخرى (يَفْعَلُ) بالفتح. وقد ذكر ابن عاشور منها :

١. قراءة (يَحْسَبُهُمْ) من قوله ﷻ : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْقُفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَاِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (٢٧٣) ، حيث ذكر فيها قراءتين: قراءة (يَحْسَبُهُمْ) بكسر السين، قرأ بها نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي وخلف ويعقوب، وقراءة (يَحْسَبُهُمْ) بفتح السين أسندها إلى الباقيين، ولم يعددهم كعادته في ذكر القراء، حيث يحملهم تارة، ويفصلهم أخرى، وهم ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر، كما ذكرهم في قراءة (يَحْسَبُ) بفتح السين من قوله ﷻ : ﴿ يَحْسَبُ أَنْ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾ (٣) . وعدّ القراءتين لغتين فصيحيتين .^٣

ومثلها قراءة (يَحْسَبُ) من قوله ﷻ : ﴿ يَحْسَبُ أَنْ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾ (٣) ، حيث ذكر ابن عاشور فيها قراءتين : قراءة (يَحْسَبُ) بكسر السين ، وأسندها إلى الجمهور، ولم يعددهم كما عددهم في قراءة (يَحْسَبُهُمْ)، وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي وخلف ويعقوب.

١ سورة البقرة / ٢٧٣ .

٢ سورة الهمزة / ٣ .

٣ يُنْظَرُ : التحرير / ٣ ، ٧٥ ، ٣٠ / ٥٣٩ ، والبحر المحيط / ٢ / ٣٤٢ ، وإعراب القرآن ، لابن سيده ٢ / ٦٥ ، وروح

المعاني / ١٥ / ٢٢٤ .

٤ سورة الهمزة / ٣ .

وقراءة (يَحْسَبُ) بفتح السين، نسبها لابن عامر وعاصم وحمزة وأبي جعفر، وعددهما لغتين صحيحتين .

فقراءة (يَحْسَبُ) بكسر السين، لغة أهل الحجاز ، وبها قرأ رسول الله ﷺ، من (حَسِبَ يَحْسِبُ)، وهناك ألفاظٌ أُخرى جاءت في الماضي والمضارع بكسر العين منها: (نَعِمَ يَنْعِمُ)، و (يَسَّ يَيْسُ) ، و (يَسَّ يَيْسُ) ، و (يَسَّ يَيْسُ) من اليُوسَة، و(عَمِدَ يَعْمِدُ)، وقد سمها بعضهم بالشذوذ، كون قياسها كِلِّها الفتح، والصحيح أنَّها لغة فصيحة، كما ذكرنا، وقد قرأ بها اثنان من كبار النُّحاة (أبي عمرو، والكسائي)، وقارنا الحرمين نافع وابن كثير ، وكفى بهؤلاء حجة .

وقراءة (يَحْسَبُ) بفتح السين عددها سبويه أنَّها على القياس؛ لأنَّ قياسَ (فَعِلَ) بكسر العين (يَفْعَلُ) بفتحها لتتخالف الحركتان فيخفَّ اللفظ، وهي لغة تميم، ويراها أقيس، كما قال: ((وقد بنوا (فَعِلَ) على (يَفْعَلُ) في أحرف، كما قالوا: (فَعَلُ، يَفْعَلُ) فلزموا الضمَّة، وكذلك فعلوا بالكسرة فشبهه به. وذلك (حَسِبَ، يَحْسِبُ)، و(يَسَّ يَيْسُ)، و(يَسَّ يَيْسُ)، و(نَعِمَ يَنْعِمُ) ... والفتح في هذه الأفعال جيِّد، وهو أقيس)) ، ووافقته في ذلك أبوحيَّان، وابن سيده، وذكر ابن عطية عن أبي علي أنَّها أقيس كذلك ، وأنها حسنة بمجيء التسميع به، رغم أنَّه عددها شاذة عن القياس، وأنَّ اللغتين فصيحتان في الاستعمال .

١ يُنظَر : التحرير ٣ / ٧٥ ، ٣٠ / ٥٣٩ ، والدر المثور ٨ / ٦٢٤ .

٢ يُنظَر : الكتاب ٤ / ٣٨ ، وأدب الكاتب / ٣٧٢ ، وكتاب الأفعال ١ / ٩ ، واللباب في علوم الكتاب ٤ / ٤٣٥ ، وشرح الملوكي / ٤٢ ، وإعراب القرآن ، لابن سيده ٢ / ٦٥ ، والبحر المحيط ٢ / ٣٤٢ ، وشرح شافية ابن الحاجب ١ /

١٣٥ ، و المزهري في علوم اللغة ٢ / ١٠٢ ، والمحزَّر الوجيز ١ / ٣٦٩ ، والدُّرُّ المصون ٩ / ٢٨١ .

٣ الكتاب ٤ / ٣٨ - ٣٩ .

٤ يُنظَر : الدر المصون / ٦٢٩ ، والبحر المحيط ٢ / ٣٤٢ ، وإعراب القرآن ، لابن سيده ٢ / ٦٥ ، والمحزَّر الوجيز ١ / ٣٦٩ ، والعنوان في القراءات السبع / ١٠ .

٥ يُنظَر : الدر المصون / ٦٢٩ ، والمحزَّر الوجيز ١ / ٣٦٩ ، وحجَّة القراءات / ١٤٨ .

ومعنى الآية: أن الذين جمعوا المال يشبه حالهم حال من يحسب أن المال يقيهم الموت ويجعلهم خالدين؛ لأن الخلود في الدنيا أقصى متمناتهم، إذ لا يؤمنون بحياة أخرى خالدة .
وأما سين (تحسبتهم) فالقراءات مماثلة لما في سين (يحسبتن) ، وقل مثل ذلك في الآيات التالية:

١. قوله ﷻ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيُذَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (١٧٨) .

٢. قوله ﷻ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١٨٠) .

٣. قوله ﷻ: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٧٨) .

٤. قوله ﷻ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ (٥٩) .

٥. قوله ﷻ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ (٤٢) .

١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٣٠ / ٥٣٩ .

٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٤ / ١٩٥ .

٣ سورة آل عمران / ١٧٨ .

٤ سورة آل عمران / ١٨٠ .

٥ سورة آل عمران / ١٨٨ .

٦ سورة الأنفال / ٥٩ .

٧ سورة إبراهيم / ٤٢ .

٦. قوله ﷻ: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ آيَةً كَاطًا وَهُمْ رُفُودٌ وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ

بَسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ .

٧. قوله ﷻ: ﴿ لَا يُقْنِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ

بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ مَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ .

٥. بين (فَعَلَ) (يَفْعَلُ) من أصلين مختلفين

من بين ما تطرَّق له ابن عاشور من القراءات القرآنية ما كان وجه الاختلاف فيها صرفياً،
يتردد بين (فَعَلَ) بفتح العين ، و (يَفْعَلُ) بفتح حرف المضارعة وكسر العين، من أصلين
مختلفين؛ حيث إنَّه وردت في الفعل الواحد قراءتان، (فَعَلَ)، وأخرى (يَفْعَلُ) . وقد ذكر ابن
عاشور منها :

١. قراءة (يَلِتْكُمْ) من قوله ﷻ: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا

أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ

عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ حيث ذكر قراءتين : ٣

الأولى : قراءة (لَا يَلِتْكُمْ) بفتح حرف المضارعة وكسر العين وبغير همز ولا ألف، فأصلها
(لَا يَلِيْتُكُمْ) مثل (يَضْرِبُكُمْ) فاستثقلوا الكسرة على الياء فنقلوها إلى اللام، ودخل الجزم على
التاء فاجتمع ساكنان الياء والتاء ، فحذفت الياء لاجتماع الساكنين، ونسبها إلى جمهور القراء ،

١ سورة الكهف / ١٨ .

٢ سورة الحشر / ١٤ .

٣ سورة الحجرات / ١٤ .

ومعنى (لَا يَلْتَكُمُ) لا يُنْقِصُكُمْ ، ولا يظلمكم من أعمالكم شيئاً، من (لَاتٌ ، يَلِيْتُ)، من باب (ضَرَبَ يَضْرِبُ) ، كما قال أبو محمد الفقعسي :

وَلَيْلِيَّةٌ ذَاتٌ دُجِيٌّ سَـرِيْتُ وَأَمْ يَلْتَنِي عَن سُرَاهَا لَيْتٌ
وعدها لغة أهل الحجاز وبني أسد . ويقال: لاته مثل باعه، ف(يَلْتَكُمُ) على وزن (يَبِعُكُمْ)،
وقال قطرب: (وَلَيْتُهُ يَلْتُهُ) بمعنى صرفه عن وجهه، فيكون (يَلْتَكُمُ) على وزن (يَعِدُّكُمْ) .

^١ ويروى: ذات ندى سَرِيْتُ .

^٢ البيت من مشطور الرجز، لأبي محمد الفقعسي، ونسبه أبو عبيدة إلى رؤبة بن العجاج، ولم يوجد في ديوانه ولا في ديوان أبيه العجاج. وأورده صاحب لسان العرب في (حنن) ونسبهما إلى أبي محمد الفقعسي. ومعنى البيت: جاء في (لسان العرب : ليت) شاهداً على أنه لاته عن وجهه يليته ويلوته ليتنا : حبسه عن وجهه وصرفه، قال الراجز: "وليلة ذات سرى سریت" إلخ . وقيل معنى هذا : لم يلتني عن سراها أن أتدم فأقول: ليتني ما سريتها. وقيل معناه: لم يصرفني عن سراها صارف ، أي لم يلتني لانت ، فوضع المصدر موضع الاسم. وليلة ذات ندى سریت ... ولم يلتني عن سراها ليت ، والليت هاهنا : لم يثنني عنها نقص بي ، ولا عجز عنها. وفي (لسان العرب : ليت) : " ولاته عن وجهه يليته ويلوته لوتا : أي حبسه عن وجهه وصرفه . قال الراجز: "وليلة ذات ندى ... البيتین" أ . ه . وفي تهذيب اللغة : أن لم يلتني عنها نقص ولا عجز . وكذلك آلاته عن وجهه: فعل وأفعل: بمعنى . أ ه . و (في لسان العرب : سرى) السير الليل: عامته، وقيل السرى: سير الليل كله، تذكره العرب وتؤنثه . وسریت سرى ومسرى ، وأسريت: بمعنى: إذا سرت ليلاً . بالألف: لغة أهل الحجاز . وجاء القرآن العزيز بهما جميعاً . أ ه . وعلى هذا استشهاد المؤلف بالبيت . وقال السهيلي في الروض الأنف: اتفقت الرواة على تسميته إسرائاً ، ولم يسمه أحد منهم سرى، وإن كان أهل اللغة قد قالوا: سرى، وأسرى بمعنى واحد، فدل على أن أهل اللغة لم يحققوا في العبارة .. إلى أن قال : لا يجوز أن يقال: سرى بعبده، بوجه من الوجوه؛ فلذلك لم تأت التلاوة إلا بوجه واحد في هذه القصة. أ ه . يُنظَر: جامع البيان ٣٣٠/١٧، و١٥٩/١٨، و٣١٧/٢٢، و٤٧١/٢٢، والمحتسب ٢٩١/٢، ولسان العرب مادة (ليت) ٨٦/٢، ومادة (حنن) ١٢٨/١٣، والروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، السهيلي: أبو القاسم، عبد الرحمن، (٥٨١هـ)، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ط ١٩٩٣ م ٢٤٣/١ .

^٣ يُنظَر: التحرير والتنوير ٢٦ / ٢٦٦ ، وجامع البيان ٢٢ / ٣١٧ ، والحجّة في القراءات السبع / ٣٣٠ - ٣٣١ ، والتبيان في إعراب القرآن ١١٧٢/٢، وإبراز المعاني من حرز الأمانى ٢١٥/١، وحجّة القراءات / ٦٧٦ - ٦٧٧ ، وغرائب القرآن ١٦٩/٦، ومجاز القرآن ١١٦/١، ومشكل إعراب القرآن ٦٨١/٢ .

^٤ يُنظَر: غرائب القرآن ١٦٩/٦ .

وقد وافق في ذلك الفراء، وأبو حيان، واختلف معهما في أنها لغة بني أسد، وهم لا يرونها لغة لبني أسد، بل يعدون القراءة الثانية (لا يَأْتِيكُمْ) هي لغة بني أسد .^١

الثانية : قراءة (لا يَأْتِيكُمْ) بفتح حرف المضارعة وكسر العين، وبهمزة ساكنة بعد الياء، وإذا حَقَّفَ أبدلها ألفاً، ونسبها إلى أبي عمرو ويعقوب ، وهي قراءة الحسن والأعرج، ولم يذكرهما كعادته، وهي من (أَلَتْ ، يَأْلُتُ) ، تقديرها (أَبَقَ يَأْبُقُ) ، من باب (عَلِمَ يَعْلَمُ) ، ويقال : (أَلَتْه يَأْلِيْتُهُ أَلْتًا) مثل : أَمَرُهُ ، من باب (ضَرَبَ يَضْرِبُ ضَرْبًا) ، ويقال : أَلَتْه السلطان حَقَّهُ أَشَدَّ اللَّتِّ ، وعدّها لغة غطفان، وحجّة أبي عمرو على هذه القراءة قراءة (أَلَنْتَهُمْ) من قوله ﷺ : ﴿

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَنَّاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٣١﴾ لإجماع الجميع عليها ؛ فَرَدُّ ما اختلف فيه إلى ما أجمع عليه أولى .

وقد ردّ هذه القراءة ، وهذا الاستدلال الفراء ، والكسائي ، والطبري ، لحجّتين : الأولى : أنّ إجماع الحجة من الفراء على القراءة الأولى، وليس على هذه القراءة، الحجة الثانية : أنّها كتبت في المصاحف بغير ألف، وأنّ هذا ليس بموضع يجوز فيه سقوط الهمز، ولا تسقط الهمزة في مثل هذا الموضع؛ لأنّها ساكنة، والهمزة إذا سُكِّنَتْ ثبتت، كما ورد في : (يأتون) ، و (يأمرن) ، و^٧

١ يُنظَر : معاني القرآن ، للفراء ٣ / ٧٤ ، والبحر المحيط ٨ / ١١٧ ، وحجّة القراءات / ٦٧٦ .

٢ سورة الطور / ٢١ .

٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٦ / ٢٦٦ ، وجامع البيان ٢٢ / ٣١٧ ، وإصلاح المنطق / ١٣٦ ، والتبيان في إعراب القرآن ٢ / ١١٧٢ ، وإبراز المعاني من حرز الأمان ١ / ٢١٥ ، وحجّة القراءات / ٦٧٦ ، وغرائب القرآن ٦ / ١٦٩ ، ومجاز القرآن / ١١٦ .

٤ يُنظَر : معاني القرآن ، للفراء ٣ / ٧٤ .

٥ كما نقل عنه ذلك ابن زنجلة . يُنظَر : حجّة القراءات / ٦٧٦ .

٦ حيث رجّح القراءة الأولى عليها . يُنظَر : جامع البيان ٢٢ / ٣١٧ .

٧ ورد في قوله ﷺ : ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ (التوبة / ٥٤) ، وفي قوله ﷺ : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (الاسراء / ٨٨) ، وفي قوله ﷺ : ﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ

وكذا في (بِدَيْ) من قوله ﷻ : ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (١٩) ، فهذه من (أَبْدَأْتُ) ، ثُمَّ قَالَ : (بَدَأَ) من قوله ﷻ : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢٠) فهذه من (بَدَأْتُ) ، وزعم أنه لم يحمل أحد بعض هذه اللغات على بعض فتتفقا ، فكذلك قوله (لَا يَلِيْتَكُم) من (لَاتَ ، يَلِيْتُ) ، و (وَمَا أَلْنَبَهُمْ) من (أَلَتْ ، يَأْلُتُ) لغتان معروفتان في كلام العرب ، معناهما النقص ، ولا يحمل حرف في القرآن إذا أتى بلغة على آخر جاء بلغة خلافها إذا كانت اللغتان معروفتين في كلام العرب .^٣

ولم يرجح ابن عاشور إحدى القراءتين على الأخرى - كعادته - بل يرى بأن القراءتين صحيحتان، وهي كذلك، وأمّا اعتراض الفراء، ومن تبعه فلا عبرة به، فهم يردّون القراءة لمجرد أنّها لا توافق قواعدهم النحويّة ، وهذا - كما سبق - لا يعتبر حجّة في صحّة القراءة، فالقراءة سنّة متّبعة ، ولها شروط إذا توفّرت فُبلت القراءة ، وقد توفّرت هذه الشروط في هذه القراءة، فهي قراءة صحيحة .^٤

مِن رِّجَالِكُمْ ۗ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَآمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْعَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَحَدِهِمْ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ۗ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفَعَّلُوا فإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٩٦﴾ .

١ سورة العنكبوت / ١٩ .

٢ سورة العنكبوت / ٢٠ .

٣ يُنظَر : معاني القرآن ، للفراء ٣ / ٧٤ ، وجامع البيان ٢٢ / ٣١٧ - ٣١٨ ، وحجّة القراءات / ٦٧٦ .

٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٦ / ٢٦٦ ، وجامع البيان ٢٢ / ٣١٧ ، وإصلاح المنطق / ١٣٦ والتبيان في إعراب القرآن ٢

/ ١١٧٢ ، وإبراز المعاني من حرز الأمانى ١ / ٢١٥ ، وحجّة القراءات / ٦٧٦ .

٢. ومن بين ما تطرَّق له ابن عاشور من القراءات القرآنيَّة ما كان وجه الاختلاف فيها صرفياً ، يتردَّد بين (فَعَلَ) بفتح العين ، و (يَفْعَلُ) بفتح حرف المضارعة وكسر العين، من أصلين مختلفين :

قراءة (أَلَنَّهُمْ) من قوله ﷺ : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴾^١ حيث ذكر قراءتين :^٢

الأولى : قراءة الجمهور (أَلَنَّهُمْ) بهمزة وفتح اللام ، بمعنى نقصناهم ، ويقال : آلته حقه، إذا نقصه إياه من (لَاتَ ، يَلِيْتُ) ، وعدّها من باب (ضَرَبَ يَضْرِبُ) .^٣
 الثانية : قراءة ابن كثير (أَلِنَّاَهُمْ) بكسر اللام من (أَلَيْتَ ، يَأْلِتُ) ، وعدّها من باب (عَلِمَ يَعْلَمُ) ، ووافقه ابن محيَّصن ؛^٤

وهناك قراءة ثالثة : شاذَّة لم يذكرها ابن عاشور - كعادته في التعامل مع القراءات الشاذَّة - (لَتِنَّاَهُمْ) بإسقاط الهمزة ، ولايم مكسورة ، قرأ بها ابن شنبوذ، ك(بِعَنَّاَهُمْ)، يقال : (لَأْتُهُ ، يَلِيْتُهُ) ، ك(بَاعُهُ ، يَبِيعُهُ) ، وهي رواية الحلواني عن القواس وافته الحسن، وذكرها الفرَّاء، ونسبها إلى عبد الله، وأبي بن كعب، ودلَّل عليها بقول الحُطَيْبِة:
 أَبْلَغُ بَنِي تُعَلِّ عَنِّي مُعَلَّلَةٌ جَهْدَ الرِّسَالَةِ لَا أَلْتَأُ وَلَا كَذِبًا

١ سورة الطور / ٢١ .

٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٧ / ٥٠ ، ومعاني القرآن ، للفرَّاء ٣ / ٧٤ ، ٩٢ ، وإتحاف فضلاء البشر / ٥١٨ ، وحجَّة القراءات / ٦٨٢ ، ومجاز القرآن / ١ / ١١٨ .

٣ وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن : (وما ألتناهم) : أي ما نقصناهم ولا حبسنا منه شيئاً . يُنظَرُ : مجاز القرآن / ١ / ١١٨ .

٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٧ / ٥٠ ، وحجَّة القراءات / ٦٨٢ ، ومجاز القرآن / ١ / ١١٨ .

٥ يُنظَرُ : معاني القرآن ، للفرَّاء ٣ / ٧٤ ، ٩٢ ، وإتحاف فضلاء البشر / ٥١٨ .

٦ البيت للحطبيَّة من بحر البسيط ، من قصيدة يقول في مطلعها :

طافَتْ أَمَامَهُ بِالرِّكْبَانِ آوَنَةٌ يَا حُسْنَهُ مِنْ قَوَامٍ مَا وَثَّقَتْهَا
 وختمها بقوله : أَخْرَجَتْ جَارَهُمْ مِنْ قَعْرِ مُظْلِمَةٍ لَوْ لَمْ تُغْنَهُ نَوَى فِي قَعْرِهَا حِقْبًا

أي : لا نقصان ، ولا زيادة ، كما قال أبو محمد الفقعسي :

وَلَيْلِيَّةٌ ذَاتِ دُجَىٍّ سَرِيَتْ وَلَمْ يَلْتَنِ بِنِي عَنَّ سُرَاهَا لَيْتُ
 وَاللَّيْتُ هَا هُنَا مَصْدَرٌ لَمْ يَثْنِي عَنْهَا نَقْصٌ بِي وَلَا عَجْزٌ عَنْهَا ، وَكُلُّهَا لُغَاتٌ ثَابِتَةٌ بِمَعْنَى نَقْصٍ .

ثمَّ قال : إِنَّ لِأَبِي عَمْرٍو فِي تَحْقِيقِ هَمْزَةِ (وَمَا أَلْتَنَهُمْ) ، وَتَخْفِيفِهَا أَلْفَا رَوَايَتَانِ ، فَالْدُّورِيُّ
 رَوَى عَنْهُ تَحْقِيقَ الْهَمْزَةِ (وَمَا أَلْتَنَهُمْ) ، وَالسُّوسِيُّ رَوَى عَنْهُ تَخْفِيفِهَا (وَمَا أَلْتَنَاهُمْ) .

والمعنى : إن أخلصتم الإيمان كما أمركم الله ورسوله تقبل الله أعمالكم التي ذكرتم من أنكم
 جئتم طائعين للإسلام من غير قتال .

٤

وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن ، قال : وقوله : " وما ألتناهم " الألت : النقص . وفيه لغة أخرى : ((وما ألتناهم
 من عملهم من شيء)). وكذلك هي في قراءة عبد الله (ابن مسعود) وأبي بن كعب ، قال الشاعر : ((أبلغ بني ثعل
 ... البيت)). يقول : لا نقصان ولا زيادة . ونُسب في المحتسب للحطيفة ، وروايته في الشطر الأول : أبلغ لديك
 بني سعدٍ مغلغلة . ويروى : سراة مكان لديك ، ومغلغلة : رسالة تغلغل حتى تصل إليهم ، يُنظر : ديوان الحطيفة /
 ١٣٥ ، ومعاني القرآن ، للفراء ٣ / ٩٢ ، والمحتسب ٢ / ٢٩٠ .

١ ويروى: ذات ندى سريت .

٢ سبق تخريجه .

٣ يُنظر : معاني القرآن ، للفراء ٣ / ٩٢ ، وإتحاف فضلاء البشر / ٥١٨ ، والتبيان في إعراب القرآن ٢ / ١١٧٢ ، ومجاز
 القرآن / ١ / ١١٨ .

٤ يُنظر : التحرير والتنوير ٢٦ / ٢٦٦ .

٦. بين (يُفْعَلُ) بضم حرف المضارعة وكسر العين، و(يَفْعَلُ) بفتح

حرف المضارعة وضم العين

من بين ما تطرّق له ابن عاشور من القراءات القرآنيّة ما كان وجه الاختلاف فيها صرفياً، يتردّد بين (يُفْعَلُ) بضم حرف المضارعة وكسر العين، و (يَفْعَلُ) بفتح حرف المضارعة وضم العين؛ حيث إنّه وردت في الفعل الواحد قراءتان، (يُفْعَلُ)، وأخرى (يَفْعَلُ). وقد ذكر ابن عاشور منها :

١. قراءة (لِيَحْزُنْكَ) من قوله ﷻ : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنْكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ

وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَمْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ حيث ذكر قراءة نافع ، وشيخه أبي جعفر يزيد بن القعقاع (لِيَحْزُنْكَ) بضم الياء وكسر الزاي . وحجّة نافع أنّهما لغتان يقال: (حَزَنَ) (يَحْزُنُ) (كَ نَصَرَ يَنْصُرُ) ، و (أَحْزَنَ يَحْزُنُ) (كَ أَكْرَمَ يَكْرُمُ) لغتان.

وقراءة بقيّة القراء (لِيَحْزُنْكَ) بفتح الياء وضمّ الزاي ، وذكر أنّه يقال : (أَحْزَنْتُ الرَّجُلَ) بهمزة تعدية للفعل (حَزَنَ) ، و (حَزَنْتُهُ) . وأورد عن الخليل: أنّ معنى (حَزَنْتُهُ) جعلت فيه حُزناً ، كقولك : ذهنته . وأمّا التعدية فليست إلّا بالهمزة. وذكر عن أبي علي الفارسي: أنّ حَزَنْتُ الرَّجُلَ ، أكثر استعمالاً ، والأفيس (أَحْزَنْتُهُ) .

وكذلك قراءة (يَحْزُنْكَ) من قوله ﷻ : ﴿ وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن

يَصْرُوهَا اللَّهُ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ ، ومن قوله ﷻ : ﴿ يَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَسَمِعُوا لِلْكَذِبِ سَمْعُونَ

^١ سورة الأنعام / ٣٣ .

^٢ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ٧ / ١٩٨ ، ومفاتيح الغيب ٤ / ٤٨٠ .

^٣ سورة آل عمران / ١٧٦ .

لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكُمْ يَحْرِفُونَ أَلِكِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ
وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَأَحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ أَلَيْسَ شَيْئًا أُولَئِكَ
الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ، ومن قوله ﷺ: ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ، ومن قوله ﷺ: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنُكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ ، ومن قوله ﷺ: ﴿فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا
يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ ، فقد ذكر قراءة نافع وحده (يُحْزِنُكَ) بضم الياء وكسر الزاي مضارع (أَحْزَنَهُ)
الرباعي، إذا جعله حزينا. وذلك في سائر القرآن إلا في (يَحْزُنُهُمْ) من قوله ﷺ: ﴿لَا يَحْزُنُهُمْ
الْفِرْعُ الْأَكْبَرُ وَنَلَقْنَاهُمُ الْمَلَكَةَ هَذَا يَوْمَكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ، وافق
فيها جميع القراء فقرأها (يَحْزُنُهُمْ) بفتح الياء وضمّ الزاي .

وذكر قراءة بقیة القراء (يَحْزُنُكَ) بفتح الياء وضمّ الزاي مضارع (حَزَنَهُ) بفتح الزاي بمعنى
أَحْزَنَهُ من باب ما جاء فيه (فَعَلَ) و (أَفْعَلَ) بمعنى واحد ، حيث عدّها لغتين بمعنى واحد،
الأولى (يُحْزِنُكَ) لغة تميم ، والثانية (يَحْزُنُكَ) لغة قريش ، وذكر أنّ لغة تميم (يُحْزِنُكَ) أقيس،
وأنّ كليهما فُصحى، وأنّ لغة تميم من اللغات التي نزل بها القرآن، وهي لغة عُليا تميم، وهم بنو
دارم .

١ سورة المائدة / ٤١ .

٢ سورة يونس / ٦٥ .

٣ سورة لقمان / ٢٣ .

٤ سورة يس / ٧٦ .

٥ سورة الأنبياء / ١٠٣ .

٦ يُنظر: التحرير والتنوير ١٧٨/٢١، ٧٣/٢٣، و اللباب في علوم الكتاب ٤٤٢/٤، وروح المعاني ٣٢٩/٣، ومفاتيح الغيب ٤٨٠/٤ .

وقد خالفه بعضهم فعدهما لغتين مختلفتين؛ (فَحَزَنَهُ) بمعنى جَعَلَ فِيهِ حُزْنَ، ك (دَهَنَهُ) و (كَحَلَهُ)، أي: جعل فيه دهنًا وكحلًا ، و (أَحَزْنَتْهُ) إذا جعلته حزينا. ومثل حَزَنَهُ وَأَحَزَنَهُ فَتَنَهُ وَأَفْتَنَهُ، وقال بعضُ العربِ : أحزنت له الحُزْنَ ، وأحزنته: عَرَضْتَهُ لِلحُزْنِ، ومنهم أبو زيد والزمخشري. وأنَّ الحزن : همٌّ غليظٌ وتوجُّعٌ يرقُّ له القلب، حزنه وأحزنه بمعنى، وقال في القاموس: أو أحزنه: جعله حزينا، وحزنه : جعل فيه حزنا. فعلى هذا قراءة نافع من أحزن أشدَّ في المعنى من قراءة الجماعة .

واحتجَّ على زعم أبي زيد والزمخشري ومَن وافقهم : من أنَّ المستفيض (أَحَزَنَ) في الماضي و (يُحْزِنُ) في المستقبل، حيث إنَّهما عدَّا ذلك هو الشائع على ألسنة الناس، فقال: إنَّ القراءة رواية عن رسول الله ﷺ وسنةً متَّبعةً . واستدلَّ على احتجاجه بقول الله ﷻ: ﴿ قَدْ نَعَلِمَ إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴾ ، وقوله ﷻ: ﴿ قَالَ إِنِّي لِيَحْزُنَنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّمْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ ، وقد وافق ابن عاشور في هذا الرأي شهاب الدين: من أنَّ في (حَزَنَهُ) لغتين فاشيتين، لثبوتهما متوازيتين ، وإن كان أبو البقاء قال : إنَّ (أَحَزَنَ) لغة قليلة، ومن عجيب ما اتَّفَق أن نافعاً، يقرأ هذه المادة من (أَحَزَنَ) الرباعي إلا التي في سورة الأنبياء، وقد خالفه شيخه أبو جعفر يزيد بن القعقاع حيث يقرأها من (حَزَنَهُ) الثلاثي إلا التي في الأنبياء، وهذا من الجمع بين اللغتين ، وبما أنَّ القراءة سنةً متَّبعةً، وأنَّ في القراءة القرآنية الفصح والأفصح، وكلَّ ذلك من تيسير الله ﷻ القرآن للذِّكر، فلا التفات لقول أبي زيد ولا الزمخشري، ولا عبرة بما هو شائع .

^١ يُنظَر : نظم الدرر ٨ / ٤١١ .

^٢ سورة الأنعام / ٣٣ .

^٣ سورة يوسف / ١٣ .

^٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢١ / ١٧٨ ، ٢٣ / ٧٣ ، و اللِّبَاب في علوم الكتاب ٤ / ٤٤٢ ، وروح المعاني ٣ / ٣٢٩ ، و أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١ / ٤١٦ ، و زاد المسير ١ / ٤٥٩ .

ومثل ذلك في قراءة (لِيَحْزُنَ) من قوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾^{١٠} ، حيث ذكر قراءة نافع وحده (لِيُحْزِنَ) بضم الياء وكسر الزاي، باعتبار (الَّذِينَ ءَامَنُوا) مفعولاً. وذكر قراءة الباقيين (لِيَحْزُنَ) بفتح الياء وضم الزاي مضارع (حَزُنَ) باعتبار (الَّذِينَ ءَامَنُوا) فاعلاً وهما لغتان .

٢. ومما تطرَّق له ابن عاشور من القراءات القرآنيَّة ما كان وجه الاختلاف فيها صرفياً، يتردَّد بين (يُفْعَلُ) بضم حرف المضارعة وكسر العين ، و (يَفْعَلُ) بفتح حرف المضارعة وضم العين قراءة (يَخْرُجُ) من قوله ﷻ: ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ، وَإِذْنِ رَبِّهِ ؕ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكَدًا ۗ كَذَلِكَ نُنْصِرُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُشْكِرُونَ ﴾^{٥٨} ذكر قراءة جميع القرّاء عدا ابن وردان عن أبي جعفر (يَخْرُجُ) بفتح الياء وضمّ الراء مبنياً للفاعل من (خَرَجَ)، وفاعله: نباته على الإسناد المجازي .

وقراءة عيسى بن عمر ، والشطوي ، وابن وردان عن أبي جعفر (يُخْرِجُ نَبَاتَهُ) بضمّ التَّحْتِيَّة وكسر الرّاء على خلاف المشهور عنه ، وقيل إنّ نسبة هذا لابن وردان توهُم، وهو من (أَخْرَجَ)، و (نباتَهُ) ، بمعنى : فيُخْرِجُ اللهُ نَبَاتَهُ ، أو فيخرج الماء .^٤

وقرأ ابن أبي عبلة، وأبي حيوة ، وعيسى بن عمر، والسلمي عن أبي جعفر (يُخْرِجُ نَبَاتَهُ) بضم الياء وفتح الراء مبنياً للمفعول، ورفع (نَبَاتُهُ) نيابة عن الفاعل .^٥

^١ سورة المجادلة / ١٠ .

^٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٣٥/٢٨ ، وروح المعاني ٣٨٦/٢٠ ، ونظم الدرر ٤١١/٨ ، وبحر العلوم ٢٦٤/٤ .

^٣ سورة الأعراف / ٥٨ .

^٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٨٦/٨ ، والمحزّر الوجيز ٥٤/٣ ، والتبيان في إعراب القرآن ٥٧٦/١ ، وإعراب القرآن، لابن سيده ٥٧/٥ ، ومفاتيح الغيب ١٥٧/٧ ، وإعراب النخّاس ٦٢٠/١ ، وزاد المسير ٤٩٨/٢ ، والبحر المحيط ٣٦٩/٥ ، وروح المعاني ٢١١/٦ ، واللّباب في علوم الكتاب ٣٩٤/٧ ، وفتح القدير ٢٤٥/٢ ، ومعجم القراءات، للخطيب ٨٠/٣ .

^٥ يُنظَرُ : البحر المحيط ٣١٩/٤ ، والتبيان في إعراب القرآن ٥٧٦/١ ، وإرشاد المبتدي ٣٣١/١ ، وروح المعاني ١٤٧/٨ .

ووردت قراءة أخرى عن نفس القرّاء السابقين (ابن أبي عبلة، وأبي حيوة، وعيسى بن عمر،
والسلمي عن أبي جعفر) (يُخْرِجُ نباته) بضم الياء وكسر الراء ونصب تاء (نَبَاتُهُ) على المفعولية،
والفاعل ضمير البلد، أي: يخرجُه البلد وينبته، وقيل ضمير الله تعالى أوالماء .^١

وفي قوله (لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا) قرأ الجماعة (لَا يُخْرِجُ) بفتح الياء وضمّ الراء مبنياً للفاعل
من (خَرَجَ)، كما سبق.

وروى أبان عن عاصم وابن محيصن من طريق الأهوازي ، والمعدل قراءة (لا يُخْرِجُ) المنفي
بضم الياء وكسر الراء ونصب (نَكِدًا) حينئذٍ على المفعولية .^٢

وانفرد الشطوي عن ابن هارون عن الفضل عن أصحابه عن ابن وردان (لا يُخْرِجُ) بضمّ الياء
وفتح الراء على ما لم يسم فاعله ، ورفع (نَبَاتٌ) على النيابة عن الفاعل .^٣

وقال ابن عاشور في معنى هذه الآية : إنّ المفسّرَين حملوا ضمير (يَخْرِجُ) على أنّه عائد
للنبات، وجعلوا تقدير الكلام : (والذي خبث لا يخرج نباته إلا نكداً)، فحذف المضاف في
التقدير، وهو نبات ، وأقيم المضاف إليه مقامه ، وهو ضمير البلد الذي خبث، المستترُ في فعل
يخرج، ثمّ رجّح أن يكون (الذي) صادقاً على نبات الأرض، والمعنى : والتّبت الذي خبث لا
يخرج إلا نكداً، حيث رأى أنّ في الكلام احتباكاً إذ لم يذكر وصف الطّيب بعد نبات البلد
الطّيب، ولم تذكر الأرض الخبيثة قبل ذكر التّبات الخبيث ، لدلالة كِلا الضدّين على الآخر.
والتّقدير: والبلد الطّيب يخرج نباته طيباً بإذن ربّه ، والتّبات الذي خبث يخرج نكداً من البلد
الخبيث، واعتبر ذلك صنعاً دقيقاً لا يُهمَل في الكلام البليغ .^٤

^١ يُنظَر : التبيان في إعراب القرآن ٥٧٦/١، وإعراب القرآن، لابن سيده ٥٧/٥، والمحرّر الوجيز ٥٤٢/٥، وزاد المسير ٢/٢
٤٩٨، واللّباب في علوم الكتاب ٣٩٤/٧، والدّرُّ المصون ٢٨٧/٣، ومعجم القراءات ، للخطيب ٨٠/٣ .

^٢ يُنظَر : التبيان في إعراب القرآن ٥٧٦/١، وزاد المسير ٤٩٨/٢، وروح المعاني ٢١١/٦، ومعجم القراءات، للخطيب
٨٠/٣ .

^٣ يُنظَر : التبيان في إعراب القرآن ٥٧٦/١، والنشر ٢٧٠/٢، وروح المعاني ٢١١/٦، وإرشاد المبتدي ٣٣١/٣ .

^٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ٨ / ١٨٦ .

٣. ومما تطرَّق له ابن عاشور من القراءات القرآنيَّة ما كان وجه الاختلاف فيها صرفياً،
يتردَّد بين (يُفْعِلُ) بضم حرف المضارعة وكسر العين ، و(يَفْعُلُ) بفتح حرف المضارعة وضم
العين قراءة (يُصْدِرَ) من قوله ﷻ : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ
يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ
الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ، ومن قوله ﷻ : ﴿ يَوْمَئِذٍ يُصْدِرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا
لَّيْرًا أَعْمَلَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾ حيث أورد قراءة الجمهور ولم يسمِّهم وهم نافع، وابن كثير، وعاصم،
وحمزة، والكسائي، ويعقوب ، وخلف ، وابن محيصن، والأعمش، والأعرج، وطلحة، وابن أبي
إسحاق، وعيسى (يُصْدِرَ) بضم الياء وكسر الدال ، من (أَصْدَرَ) (يُصْدِرُ) مُعَدَّى بالهمزة،
والمفعول محذوف، أي : يُصْدِرُونَ مواشيهم، والمعنى: إِنَّ عَادَتْنَا أَنْ لَا نَسْقِي حَتَّى يَرُدَّ الرُّعَاءُ
مواشيهم بعد ريِّها عن الماءِ عجزاً عن مساجلتهم وحذراً عن مخالطة الرجالِ ، لا أننا لا نسقي
اليومَ إلى تلك الغايةِ ، وَحَذَفَ مَفْعُولَ السَّقْيِ وَالذُّودِ وَالْإِصْدَارِ ، لِأَنَّ الغرضَ هو بيانُ تلك
الأفعالِ أَنفِسِهَا ، فهي التي دعتُ موسى ﷺ إلى ما صنعَ في حَقِّهِمَا مِنَ المَعْرُوفِ ، فَإِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
إِنَّمَا رَحِمَهُمَا لِكُونِهِمَا عَلَى الذِّيَادِ لِلعِجْرِ والعَقَّةِ ، وَكَوْنِهِم عَلَى السَّقْيِ غَيْرَ مُبَالِغِينَ بِهَمَا ، وَمَا رَحِمَهُمَا
لِكُونِ مَذُودِهِمَا غَنَمًا وَمَسْقِيهِمَا إِبِلًا مثلاً .

و قراءة ابن عامر وأبي عمرو وأبي جعفر ، وأيضاً أبي أيوب والحسن، واليزيدي (يُصْدِرُ)
بفتح حرف المضارعة وضم الدال على إسناد الصدر إلى الرِّعَاءِ ، فهو من (صَدَرَ) (يُصْدِرُ) ضدَّ

١ سورة القصص / ٢٣ .

٢ سورة الزلزلة / ٦ .

٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٠٠/٢٠ ، وإرشاد العقل السليم ٢٢٥/٥ ، وزاد المسير ٤٥/٥ ، ومفاتيح الغيب ٧١/١٢ ،
وبحر العلوم ٣ / ٣١٣ / واللُّبَابُ فِي عُلُومِ الكِتَابِ ١٢ / ٣٧٢ ، وأنوار التنزيل ٤ / ٤٥٢ ، وتفسير النيسابوري ٦
/ ١٤٠ ، والقراءات العشر المتواترة / ٣٨٨ .

٤ وأضاف الرازي رواية عن عاصم ، والنيسابوري أضاف يزيد وأبا أيوب . يُنظَرُ : مفاتيح الغيب ١٢ / ٧١ ، وتفسير
النيسابوري ٦ / ١٤٠ .

(وَرَدَ) إذا رجع من الماء ، ومعناه لا نسقي حتى يرجع الرِّعاء بمواشيهم عن الماء، فنسقي بفضل مواشيهم ، لأنَّ لا نقدر أن نسقي، وأن نزاحم الرجال، وهذا يقتضي أن تلك عادتهما كل يوم سقي .

٤ . ومَّا تَطَرَّقَ له ابن عاشور من القراءات القرآنيَّة ما كان وجه الاختلاف فيها صرفياً، يتردَّد بين (يُفْعَلُ) بضم حرف المضارعة وكسر العين ، و (يَفْعُلُ) بفتح حرف المضارعة وضم العين قراءة (تَنْبُتُ) من قوله ﷺ : ﴿ وَشَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ وَصَبِغِ اللَّائِكِينَ ﴾ ، حيث ذكر قراءة الجمهور (وهم نافع ، وعاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، وأبو جعفر ، وخلف ، وروح عن يعقوب) (تَنْبُتُ) بفتح التاء وضمِّ الموحدة ، ولم يعلِّق عليها بشيء ، كونها واضحة ، وهو مدحاً للشجرة باعتبار ما هي عليه في نفسها، والباء هنا للتعدية؛ لأنَّ الفعل بعدها ثلاثي، ويجوز أن تكون في موضع الحال، أي: متلبِّسةً بالذُّهن، فهي متعلِّقة بمحذوف وقع حالاً من ضمير الشجرة ، أي تنبت متلبِّسةً بالذُّهن، وملاستها به باعتبار ملابسة ثمرها ، فإنَّه الملابس له في الحقيقة ، بمعنى تنبت هذه الشجرة بالماء الذي لا دهن

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٠ / ١٠٠ ، وإرشاد العقل السليم ٥ / ٢٢٥ ، وزاد المسير ٥ / ٤٥ ، ومفاتيح الغيب ١٢ / ٧١ ، وبحر العلوم ٣ / ٣١٣ / واللِّباب في علوم الكتاب ١٢ / ٣٧٢ ، وأنوار التنزيل ٤ / ٤٥٢ ، وتفسير النيسابوري ٦ / ١٤٠ ، والقراءات العشر المتواترة / ٣٨٨ .

^٢ سورة المؤمنون / ٢٠ .

^٣ يُنظَر : التيسير / ١٥٩ ، والكشف عن وجوه القراءات ١٢٧ / ٢ ، والنشر ٣٢٨ / ٢ ، والتبيان في إعراب القرآن ٩٥٢ / ٢ ، وحجَّة القراءات / ٤٨٥ ، والسبعة في القراءات / ٤٤٥ ، وإتحاف فضلاء البشر / ٣١٨ ، ومشكل إعراب القرآن ١٠٦ / ٢ ، وشرح الشاطبيَّة / ٢٥٤ ، والحجَّة في القراءات السبعة / ٢٥٦ ، ومعاني القرآن ، للأخفش ٤٠٢ / ٢ ، وغرائب القرآن ٥ / ١٨ ، والمحتسب ٨٩ / ٢ ، ومعاني القرآن ، للفرَّاء ١٩ / ١ ، ٢٣٢ / ٢ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٨٧ / ٢ - ٨٨ ، ومعاني الحروف / ٤٠ ، وتهذيب اللغة (نبت)، وفي لسان العرب ((يُنْبِثُ بالدهن)) بالياء، نقله من تذكرة أبي علي، و النكت والعيون ٥١ / ٤ ، ولسان العرب، وتاج العروس (نَبَتَ)، والتذكرة في القراءات الثمان ٤٥٠ / ، ومعجم القراءات، للخطيب ١٦٠ / ٦ .

^٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٨ / ٣٨ ، والنشر ٢ / ٣٢٨ ، والسبعة في القراءات / ٤٤٤ .

فيه أصلاً نباتاً بثمر الدهن ، وقيل : بمعنى الملايسلة والمصاحبة مثلها في قولك: رَكِبَ الأَمِيرُ بِجُنْدِهِ ، وَخَرَجَ زَيْدٌ بِسِلَاحِهِ ، وَجَاءَ بَيْتَابُ السَّقَرِ ، أَي تُنْبِتُ وَمَعَهَا الدُّهْنُ .^٢

وقد اختار الطبري هذه القراءة لاغيرها كعادته في الترجيح بين القراءات ، وحيثه في ذلك إجماع الحجة من القراء عليها، بيد أن ابن عاشور لا يوافق في ذلك ، كعادته في عدم الترجيح بين القراءات .^٤

وقراءة ابن كثير وأبي عمرو ورويس ويعقوب (وهي قراءة أيضاً لسهل ، والجحدري، وروح، والحسن ، وسلام ، وابن محيصن ، واليزيدي) (تُنْبِتُ) بضم التاء وكسر الموحدة ، وخرَّجها على لغة من يقول (أَنْبَتَ) بمعنى (نَبَتَ) ، أو على أنها بمعنى تُنْبِتُ هي ثمرها باعتبار حذف المفعول لفهم المعنى ، أي تُنْبِتُ إنباتاً ملتبساً ثمره بالدهن (تخرجه) .^٦

^١ يُنْظَرُ : جامع البيان ١٩ / ٢٣ ، واللِّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ ١١ / ٤٨٢ ، وَمَعَالِمُ التَّنْزِيلِ ٥ / ٤١٤ ، رُوحُ الْمَعَانِي ٢٢/١٨ ، وَزَادَ الْمَسِيرَ ٤ / ٤٠٨ ، وَمِفْتَاحُ الْغَيْبِ ١١ / ١٧٥ ، وَنَظْمُ الدَّرَرِ ٥ / ٤٠٠ ، وَبِحُرُوفِ الْعُلُومِ ٣ / ١٧٩ ، وَأَنْوَارُ التَّنْزِيلِ ٤ / ٣١٢ ، وَالنَّكَتُ وَالْعِيُونُ ٣ / ١٣٤ ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ ٤ / ٤٩٣ .

^٢ يُنْظَرُ : جامع البيان ١٩ / ٢٣ ، وَالْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ ١٢ / ١١٥ ، وَاللِّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ ١١ / ٤٨٢ ، وَالْجَوَاهِرُ الْحَسَنَةُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ٣ / ٤٩ ، وَنَظْمُ الدَّرَرِ ٥ / ٤٠٠ ، وَالْمَحْرَّرُ الْوَجِيزُ ٤ / ١٧١ ، وَمَعَالِمُ التَّنْزِيلِ ٥ / ٤١٤ ، وَالتَّبْيَانُ فِي تَفْسِيرِ غَرِيبِ الْقُرْآنِ ٣ / ٩٤ ، وَمَدَارِكُ التَّنْزِيلِ ٣ / ١١٩ .

^٣ قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ (تُنْبِتُ) بِفَتْحِ التَّاءِ .

^٤ يُنْظَرُ : جامع البيان ١٩ / ٢٣ .

^٥ يُنْظَرُ : التَّيْسِيرُ ١٥٩/ ، وَالْكَشْفُ عَنْ وَجْهِ الْقِرَاءَاتِ ١٢٧/٢ ، وَالنَّشْرُ ٣٢٨/٢ ، وَالتَّبْيَانُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ ٢ / ٩٥٢ ، وَحِجَّةُ الْقِرَاءَاتِ ٤٨٥/ ، وَالسَّبْعَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ ٤٤٥/ ، وَإِتْحَافُ فَضْلَاءِ الْبَشَرِ ٣١٨/ ، وَمَشْكَلُ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ ١٠٦/٢ ، وَشَرْحُ الشَّاطِئَةِ ٢٥٤/ ، وَالْحِجَّةُ فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعَةِ ٢٥٦/ ، وَمَعَانِي الْأَخْفَشِ ٢ / ٤٠٢ ، وَغُرَائِبُ الْقُرْآنِ ٥ / ١٨ ، وَالْمَحْتَسَبُ ٨٩/٢ ، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ ، لِلْفَرَّاءِ ١٩ / ٢٣٢ ، وَإِعْرَابُ الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ وَعَلَلِهَا ٨٧-٨٨ / ٢ ، وَمَعَانِي الْحُرُوفِ ٤٠/ ، وَتَهْذِيبُ اللُّغَةِ (نَبَتَ) ، وَفِي لِسَانِ الْعَرَبِ (يُنْبِتُ بِالْدُهْنِ) بِالْيَاءِ ، نَقَلَهُ مِنْ تَذَكُّرَةِ أَبِي عَلِيٍّ ، وَ النُّكْتِ وَالْعِيُونِ ٤ / ٥١ ، وَلِسَانِ الْعَرَبِ ، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (نَبَتَ) ، وَالتَّذَكُّرَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ الثَّمَانِ ٤٥٠/ ، وَمَعْجَمُ الْقِرَاءَاتِ ، لِلْخَطِيبِ ٦ / ١٦٠ .

^٦ يُنْظَرُ : التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ١٨ / ٣٨ - ٣٩ ، وَنَظْمُ الدَّرَرِ ٥ / ٤٠٠ ، وَأَنْوَارُ التَّنْزِيلِ ٤ / ٣١٢ ، وَالنَّشْرُ ٢ / ٣٢٨ ، وَالسَّبْعَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ ٤٤٤/ .

وفي هذه القراءة (تُنْبِتُ) بضم التاء وكسر الباء ثلاثة أوجه ، ذكر منها ابن عاشور وجهين، ولم يذكر الثالث ، وهي :

الوجه الأول : أَنَّ (أَنْبَتَ) فعلٌ لازم بمعنى (نَبَتَ) ، مِمَّا اتَّفَقَ فِيهِ (فَعَلَ) و (أَفْعَلَ) ، فهما لغتان مشهورتان عند العرب ، كما قال الفراء : نَبَتَتِ الْأَرْضُ ، وَأَنْبَتَتْ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، ووافقهُ الزَّجَّاجُ ، وَأَبِي إِسْحَاقَ ، وَالْهَمْزَةُ فِيهِ لَيْسَتْ لِلتَّعْدِيَةِ ، وَالْبَاءُ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْمَصْدَرِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْفِعْلُ ، وَ الْبَاءُ لِلْحَالِ ؛ وَاسْتَدَلُّوا عَلَيَّ (أَنْبَتَ) بِقَوْلِ زَهْرٍ :

رَأَيْتَ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ قَطِينًا هُمْ حَتَّى إِذَا أَنْبَتَ الْبَقْلُ
ويرون أَنَّ الْقَرَاءَتَيْنِ (تَنْبِتُ) و (تُنْبِتُ) بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وَالْمَعْنَى تَنْبُتُ وَمَعَهَا الدُّهْنُ ، كَمَا تَقُولُ جَاءَ عَمْرُوٌ بِالسِّيفِ ، أَي وَمَعَهُ السِّيفُ ، وَأَنْكَرَ ذَلِكَ الْأَصْمَعِيُّ ، مُعْتَبِرًا الرَّوَايَةَ (نَبَتَ الْبَقْلُ) بِدُونِ هَمْزَةٍ .

وَتُرْوَى (نَبَتَ) ، وَهِيَ كَدِ (فَأَسْرٍ بِأَهْلِكَ) و (فَاسِرَ) ، مِنْ قَوْلِهِ ﷺ : ﴿ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهُمَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ ، وَفِي قَوْلِهِ ﷺ : ﴿ فَاسْرِ

^١ البيت في (لسان العرب نبت) قال : ونبت البقل وأنبت بمعنى ، والبيت لزهير بن أبي سلمى في مدح هرم بن سنان، وقيله: إِذَا السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ بِالنَّاسِ أَجْحَفَتْ وَنَالَ كِرَامَ النَّاسِ فِي الْحَجْرَةِ الْأَكْلُ

أي إنَّ ذَوِي الْحَاجَاتِ يَقْصِدُونَهُمْ فِي زَمَنِ الْجَدْبِ ، حَتَّى يَأْتِيَ الرَّبِيعُ ، وَنَبَتَ الْبَقْلُ . يُنْظَرُ : شَرْحُ دِيْوَانِ زَهْرٍ / ١١١ ، وَجَامِعُ الْبَيَانِ ١٩ / ٢٣ ، وَلسان العرب مادة (نبت) ، ومعاني القرآن ٤ / ٤٥٣ ، ومعاني القرآن ، للفراء ٢٣٣/٢ ، والبحر المحيط ٦ / ٤٠٠ ، وروح المعاني ١٨ / ٢٢ ، وإرشاد العقل السليم ٤ / ٤٩٣ .

^٢ يُنْظَرُ : جَامِعُ الْبَيَانِ ١٩ / ٢٣ ، وَاللِّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ ١١ / ٤٨٢ ، وَالْكَشَّافُ ٤ / ٣٣٢ ، وَلسان العرب مادة (نبت) ، ومعاني القرآن ٤ / ٤٥٣ ، وروح المعاني ١٨ / ٢٢ ، والبحر المحيط ٨ / ٢٥٦ ، وزاد المسير ٤ / ٤٠٨ ، ومفاتيح الغيب ١١ / ١٧٥ ، وأنوار التنزيل ٤ / ٣١٢ ، وإرشاد العقل السليم ٤ / ٤٩٣ ، وفتح القدير ٣ / ٥٦٧ .

^٣ سورة هود / ٨١ .

بَاهْلِكِ يَقْطِعُ مِنَ الْيَلِّ وَاتَّبِعْ أَذْبَرَهُمْ وَلَا يَلْنِفَتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ . وَرَجَّحَ
الطبري ذلك .

الوجه الثاني : أن المفعول محذوف لفهم المعنى أي : تبتت زيتونها بالدهن ، أي : ومعه
الدهن ، وهو اختيار أبي على الفارسي ، والهمزة للتعدية ، وأنَّ (بالدهن) في موضع الحال من
المفعول أو من الضمير المستتر في الفعل (تبت) ، أي : ملتبساً بالدهن .

الوجه الثالث : الباء مزيدة في المفعول بمعنى : (تبتت الدهن) ، أي شجر الدهن ، أو حب
الدهن ، ونسبة الإنبات إلى الشجرة بل وإلى الدهن مجازية ، كما في (بأيديكم) من قوله ﷺ :

﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ، وفي
((بُظْمِرٍ)) من قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي
جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِمْ يُظْمِرْ نُذُقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ
﴿١٥﴾ ذكره أبو عبيدة ، وكقول القتال الكلابي :

هُنَّ الْحَرَائِرُ لَا رَبَّاتٌ أَحْمَرَةٌ سُوْدُ الْمُحَاكِرِ لَا يُفْرَأَنَّ بِالسُّوْرِ

^١ سورة الحجر / ٦٥ .

^٢ يُنظَر : جامع البيان ١٩ / ٢٣ ، واللِّبَاب في علوم الكتاب ١١ / ٤٨٢ .

^٣ همزة (أُنْبِت) .

^٤ يُنظَر : جامع البيان ١٩ / ٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٢ / ١١٥ ، واللِّبَاب في علوم الكتاب ١١ / ٤٨٢ ،
والكشَّاف ٤ / ٣٣٢ ، ولسان العرب مادة (نبت) ، روح المعاني ١٨ / ٢٢ ، والبحر المحيط ٨ / ٢٥٦ ، وزاد
المسير ٤ / ٤٠٨ ، ومفاتيح الغيب ١١ / ١٧٥ ، وإرشاد العقل السليم ٤ / ٤٩٣ ، وفتح القدير ٣ / ٥٦٧ .

^٥ سورة البقرة / ١٩٥ .

^٦ سورة الحج / ٢٥ .

^٧ كذا أورده صاحب خزانة الأدب بالحاء المهملة ، وقال : إنَّ الأحمرة جمع حمار (بالحاء المهملة) جمع قلَّة ، وأنه خص الحمير
لأنَّها رذال المال وشتره... وذكر أنَّهم صحَّفوا هذه الكلمة بالحاء المعجمة ، وقال والأخمة جمع خمار ، وهو ما تستر به
المرأة رأسها " كذا في الأصول ولسان العرب مادة " سور " بالحاء المعجمة . يُنظَر : الجامع لأحكام القرآن ١٢ /
١١٥ ، وخزانة الأدب ٩ / ١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ .

^٨ البيت للقتال الكلابي من بحر البسيط من أبيات له قليلة ختمها بهذا البيت ، وبدأها بقوله :

وقول النابغة الجعدي :

نَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أَرْبَابُ الْفَلَجِ نَضْرِبُ بِالْبَيْضِ وَنَرْجُو بِالْفَرَجِ

أي : ونرجو الفرج ، وكما قيل : أخذت ثوبه ، وأخذت بثوبه .^٢

ونسب ابن سيده : إلى كثير من الناس ذلك مستدلين بقول عنتره :

شَرِبْتُ مِمَّا الدُّحْرُضَيْنِ فَأَصْبَحْتُ زَوْرَاءَ تَنْفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدِّيلِمِ

أي: شربت ماء الدحرضين. ثم قال: إن هذا عند حدّاق أصحابنا على غير وجه الزيادة،

وإن تأويله عندهم: تنبت ما تنبته والدهن فيها، كما تقول : خرج زيد بثيابه عليه، وركب الأمير

بسيفه، أي وسيفه معه، وقال الخفاجي: ويحتمل تعدية أنبت بالباء لمفعول ثان .^٤

عَبَدَ السَّلَامُ تَأْمَلْ هَلْ تَرَى طُعْنًا إِيَّ كَبْرُثٍ وَأَنْتَ الْيَوْمَ ذُو بَصَرٍ

ويروى للرعاي النميمي من قصيدة له طويلة بدأها بقوله :

يَا أَهْلَ مَا بَالُ هَذَا اللَّيْلِ فِي صَفَرٍ يَزِدَادُ طَوْلًا وَمَا يَزِدَادُ مِنْ قِصَرٍ

يَجْتَابُ أَذْرَاهَا وَالْثَرْبُ يَرْكَبُهُ تَرَسُّمُ الْفَارِطِ الظَّمَانِ فِي الْأَثَرِ

^١ والفلج في الأصل النهر الصغير ، والماء الجاري. والمراد في البيت : موضع في أعلى بلاد قيس . ويروى (نضرب بالسيف)

. والبيض : جمع أبيض ، وهو السيف . والبيت شاهد على زيادة الباء في قوله بالفرج ، أي ونرجو الفرج . وهي

زائدة في المفعول به سماعًا . قال ابن عصفور في الضرائر : زيادة الباء هنا : ضرورة . وقال ابن السيد في شرح أدب

الكاتب لابن قتيبة : إنما عدى الرجاء بالباء ، لأنه بمعنى الطمع يتعدى بالباء ، كقولك: طمعت بكذا . قال

الشاعر:

طَمَعْتُ بِأَيْلَى أَنْ تَجُودَ وَإِنَّمَا تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمُطَامِعِ

وبنو جعدة يروى بالرفع على أنه خبر نحن ، وبالنصب على الاختصاص ، والخبر : أرباب.

يُنظَرُ : خزنة الأدب ٥٢١/٩ ، و هامش جامع البيان ١٩ / ٢٣ .

^٢ يُنظَرُ : اللباب في علوم الكتاب ٤٨٢/١١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١٥/١٢ ، ومعالم التنزيل ٤١٤/٥ ، وزاد المسير

٤٠٨/٤ ، وأنوار التنزيل ٣١٢/٤ ، ومعاني القرآن ٤٥٢/٤ ، والنكت والعيون ١٣٤/٣ ، وفتح القدير ٥٦٧/٣ .

^٣ البيت لعنترة من معلّته الشهيرة من بحر الكامل مطلعها :

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفَتِ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمِ .

^٤ يُنظَرُ : جامع البيان ٢٣/١٩ ، والكشاف ٣٣٢/٤ ، ولسان العرب (بنت)، روح المعاني ٢٢/١٨ ، وبحر العلوم ١٧٩/٣ .

وهناك قراءة ثالثة لم يذكرها ابن عاشور - كعادته في التعامل مع القراءات الشاذة - وهي قراءة الحسن والزهري وابن هرمز (وعامر بن قيس) (تُنْبِتُ) بضم أوله وفتح ما قبل آخره، مبنياً للمفعول من أنبتها الله و(بالدُّهْنِ) حال من المفعول القائم مقام الفاعل أي: ملتبسة بالدُّهْنِ .
 وقراءة رابعة لزرّ بن حبيش (وعبدالله بن مسعود) ((تَنْبِتُ الدُّهْنَ)) من (أَنْبَتَ) ، وسقوط الباء هنا يدلُّ على زيادتها في قراءة من أثبتها .
 وقرأ الأشهب وسليمان بن عبد الملك ((تَنْبِتُ بالدَّهَانِ)) وهو جمع (دُهْن) ك (رُمَحٍ ورمَاحٍ) ، أو مصدر ك (الدِّبَاغِ) .

وهناك قراءات تفسيرية ، لمخالفتها سواد المصحف المجمع عليه، ولم يُشر إليها ابن عاشور: وهي قراءة أبي بن كعب : ((تُثْمِرُ بالدُّهْنِ)) ، وقراءة عبد الله بن مسعود : ((تُخْرِجُ الدُّهْنَ)) أي تخرج من الأرض ودهنها فيها ، وقرأ أيضاً عبدالله بن مسعود وطلحة (يُخْرِجُ الدُّهْنَ) ، وقرأ عبدالله بن مسعود أيضاً (تُخْرِجُ الدُّهْنَ) وهذه القراءات كما قلت تفسيرية؛ لمخالفتها رسم المصحف المجمع عليه، وأيضاً الرواية الثابتة عن ابن مسعود وعن أبي بن كعب كقراءة الجمهور .

^١ يُنظر : جامع البيان ١٩ / ٢٣ ، واللّباب في علوم الكتاب ١١ / ٤٨٢ ، والبحر المحيط ٨ / ٢٥٦ ، والمختصّب ٨٨/٢ ، والكشّاف ٢ / ٣٦٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٢ / ١١٦ ، والمحزّر الوجيز ١٠ / ٣٤٥ ، والدُّرُّ المصون ٥ / ١٧٩ ، وإرشاد العقل السليم ٤ / ٤٩٣ .

^٢ يُنظر : الجامع لأحكام القرآن ١٢ / ١١٦ ، والمحزّر الوجيز ١٠ / ٣٤٥ ، وزاد المسير ٥ / ٥١ ، وإعراب القراءات الشواذ ٢ / ١٥٥ .
^٣ يُنظر : جامع البيان ١٩ / ٢٣ ، واللّباب في علوم الكتاب ١١ / ٤٨٢ ، والكشّاف ٤ / ٣٣٢ ، والبحر المحيط ٨ / ٢٥٦ ، والمحزّر الوجيز ١٠ / ٣٤٥ ، والدُّرُّ المصون ٥ / ١٨٠ ، وفتح القدير ٣ / ٥٦٧ .

^٤ يُنظر : الكشّاف ٢ / ٣٦٠ ، وحاشية الشهاب ٦ / ٣٢٦ ، وروح المعاني ١٨ / ٢٣ ، ومختصر في شواذ القرآن ٩٧ / ٩٧ .
^٥ يُنظر : جامع البيان ١٩ / ٢٣ ، واللّباب في علوم الكتاب ١١ / ٤٨٢ ، والكشّاف ٤ / ٣٣٢ ، والبحر المحيط ٨ / ٢٥٦ ، والنكت والعيون ٣ / ١٣٤ ، والمحزّر الوجيز ١٠ / ٣٤٥ ، وزاد المسير ٥ / ٥١ ، والدُّرُّ المصون ٥ / ١٨٠ ، وإعراب القراءات الشواذ ٢ / ١٥٥ .

^٦ يُنظر : البحر المحيط ٦ / ٤٠١ ، حيث جاءت عنده بالياء ، ومثله في مختصر في شواذ القرآن ٩٧ / ٩٧ ، ومعاني القرآن، للقرّاء ٢ / ٢٣٣ ، والكشّاف ٢ / ٣٦٠ ، وحاشية الشهاب ٦ / ٣٢٦ .

المبحث الثاني

اختلاف أبنية الفعل المجرد والمزيد في القراءات القرآنية

١. بين (فَعَلَ) و (أَفْعَلَ) بناءان مختلفان (ثلاثي ورباعي)

إنَّ (فَعَلَ) و (أَفْعَلَ) بناءان مختلفان ، أحدهما ثلاثيٌّ والآخر رباعيٌّ، ومنطقُ اللُّغة يقضي أن يكون كلٌّ منهما قد وُضِعَ لدلالةٍ معيَّنة، وهذا هو المشهور فيهما في اللُّغة الواحدة؛ لأنَّه لو لم يختلف المعنى لم تختلف الصيغة ، حيث إنَّ كلَّ عدولٍ عن صيغة إلى صيغة أخرى، لا بدَّ أن يصحبه عدول عن معنى إلى آخر ، كما يُقال الزيادة في المبني زيادة في المعنى. غير أنَّهما قد يتَّفقان أحياناً في الدلالة ، وأكثر ما يكون ذلك في لغتين ، أو لهجتين ، مختلفتين، فهناك أفعال تنطقها بعض القبائل العربيَّة على صيغة (فَعَلَ) في حين تنطقها قبائل أخرى بصيغة (أَفْعَلَ) ودلا لتهما عند الجميع واحدة، حيث إنَّ كلَّ صيغة منهما لغةٌ لقوم، ثم تختلط فتُستعمل اللُّغتان ، كما قال سيبويه: إنَّ صيغتي (فَعَلْتُ) و (أَفْعَلْتُ) قد يجيء المعنى فيهما واحداً، عندما تختلف اللُّغتان. وقد نُسِبَ هذا الزعم للخليل؛ حيث ينطقه قوم من العرب (فَعَلْتُ)، ويلحق قوم آخرون فيه الألف فينطقونه (أَفْعَلْتُ). كما أنَّه قد يجيء الشيء على (أَفْعَلْتُ) لا يُستعمل غيره .

وعلى هذا لا يكون البناءان بمعنى واحد، إلاَّ أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين، وعلى الأغلب حين يكون (فَعَلَ) و (أَفْعَلَ) بمعنى واحد، فإنَّ (فَعَلَ) لهجة أهل الحجاز،

١ يُنظَر : معاني الأبنية في العربية / ٧ .

٢ يُنظَر : شرح الملوكي في التصريف / ٧٠، والكتاب / ٤ / ٦١ ، والمخصَّص / ٤ / ٣٠٥ .

٣ يُنظَر: الكتاب / ٤ / ٦١، ومعاني الفراء / ٨٧ / ٢، وإعراب النخاس / ٣٤٢ / ٢، والمحتسب / ٣٦٣ / ١، والكشَّاف / ٥٤٢ / ٢، والبحر / ٣ / ٣٣٩، ٢٤٤ / ٦، تحاف فضلاء البشر / ٢ / ٢٨٤، والقراءات القرآنية في المعجمات اللغويَّة / ٤٨٨ - ٤٨٩ .

و(أَفْعَلٌ) لهجة بني تميم وأهل نجد، وذلك ما سنلاحظه في القراءات التي جاء فيها البناءان بدلالة واحدة؛ حيث إنه وردت في الفعل الواحد قراءتان، (فَعَلٌ) بالفتح في الماضي، وأخرى (أَفْعَلٌ) بزيادة همزة، من أصلين مختلفين، ويختلف وجه تخريج قراءة (فَعَلٌ)، عن قراءة (أَفْعَلٌ). وسأعرض هذه القراءات بصور واضحة لأغلب هذه الأبنية، الشائع منها، والنادر على اختلاف صيغها، وإليك نماذج مما أورده ابن عاشور في القراءات التي وردت في أبنية الأفعال في الماضي المتردد بين (فَعَلٌ) الثلاثي و (أَفْعَلٌ) الرباعي، ومنها:

١. قراءة ((نَسَخَ)) من قوله ﷺ: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور في قراءة ((نَسَخَ)) قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة ((نَسَخَ)) بِفَتْحِ التَّوْنِ الْأُولَى وَفَتْحِ السِّينِ، ونسبها إلى الجمهور . وَعَدَّهَا أَصْلَ مُضَارِعِ (نَسَخَ) بمعنى أزال . وقد وافق في ذلك القرطبي، حيث قال: إنه الظاهر المستعمل على معنى: ما نرفع من حكم آية ونبقي تلاوتها، وأنه يحتمل أن يكون المعنى: ما نرفع من حكم آية وتلاوتها .

١ سورة البقرة / ١٠٦ .

٢ يُنظَرُ: التحرير والتنوير ١/٦٥٥، والنشر ٢/٢١٩، والسبعة ١/١٦٨، والتبصرة في القراءات السبع ٤٢٨/، والكشف عن وجوه القراءات ١/٢٥٧، والعنوان ١/٧١، والكاظمي ١/٦٣، و جامع البيان ١/٣٨٠، والكشاف ١/٣٣٢، ومعاني القرآن، للفرّاء ١/٦٤، والجامع لأحكام القرآن ٢/٦٧، والرازي ٣/٢٢٦، وإتحاف فضلاء البشر ١/١٤٥، والتيسير ٧٦/، والمبسوط/١٣٤، والمحزّر الوجيز ١/٤٣٤، والبحر المحيط ١/٣٤٢، والتبيان في إعراب القرآن ١/١٠٣، والتبيان في تفسير القرآن ١/٣٩٢، والمكزّر ١/١٤، والدُّرُّ المصون ١/٣٣٤، وزاد المسير ١/١٢٧، وإرشاد المبتدي ٢٣١/، ومعجم القراءات ١/١٧٠ .

٣ يُنظَرُ: التحرير والتنوير ١/٦٥٥ .

٤ يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن ٢/٦٧ .

القراءة الثانية : قراءة ((نُنْسِخ)) بِضَمِّ النُّونِ الْأُولَى وَكَسْرِ السِّينِ، ونسبها إلى ابنِ عَامِرٍ، وقرأ بها أيضاً هشام، وشريح، والذماري ، وَعَدَّهَا مُضَارِعَ (أَنْسَحَ) مَهْمُوزًا بِهَمْزَةٍ التَّعْدِيَةِ أَيُّ نَأْمُرُ بِنَسْخِ آيَةٍ . وقد غَلَطَ أبو حاتم هذه القراءة، وهذه جرأة منه على عادته، في التعامل مع القراءات، وقال أبو عليِّ الفارسيّ: إِنَّهَا لَيْسَتْ لُغَةً؛ مَبْرَرًا ذَلِكَ بِأَنَّهُ لَا يُقَالُ: نَسَخَ وَأَنْسَخَ بِمَعْنَى، وَلَا هِيَ لِلتَّعْدِيَةِ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى يَجِيءُ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: مَا نَحْدُهُ مَنْسُوحًا، كَمَا يُقَالُ: (أَحْمَدْتُهُ) و(أَبْخَلْتُهُ)، أَي: وَجَدْتُهُ كَذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: وَلَيْسَ نَحْدُهُ مَنْسُوحًا إِلَّا بِأَنْ يَنْسَخَهُ، فَتَنَفَّقَ الْقَرَاءَتَانِ فِي الْمَعْنَى وَإِنْ اخْتَلَفَا فِي اللَّفْظِ، فَالْهَمْزَةُ عِنْدَهُ لَيْسَ لِلتَّعْدِيَةِ. وَجَعَلَ الزَّمخَشَرِيُّ وَابْنُ عَطِيَّةَ الْهَمْزَةَ لِلتَّعْدِيَةِ، إِلَّا أَنَّهُمَا اخْتَلَفَا فِي تَقْدِيرِ الْمَفْعُولِ الْأَوَّلِ الْمَحذُوفِ، وَفِي مَعْنَى الْإِنْسَاخِ. فَجَعَلَ الزَّمخَشَرِيُّ الْمَفْعُولَ الْمَحذُوفَ جَبْرِيلَ السَّلِيلَةَ، وَالْإِنْسَاخَ: هُوَ الْأَمْرُ بِنَسْخِهَا، أَي: الْإِعْلَامُ بِهِ. وَجَعَلَ ابْنُ عَطِيَّةَ الْمَفْعُولَ ضَمِيرَ النَّبِيِّ السَّلِيلَةَ، وَالْإِنْسَاخَ: إِبَاحَةَ النَّسْخِ لِنَبِيِّهِ، كَأَنَّهُ لَمَّا نَسَخَهَا أَبَاحَ لَهُ تَرْكُهَا، فَسَمِيَ تِلْكَ الْإِبَاحَةُ إِنْسَاخًا .^٤

وجاء عن ابن عطية: أَنَّ النسخ في كلام العرب على وجهين: أحدهما النقل كنقل كتاب من آخر، والثاني الإزالة، وقد استبعد الرأي الأول (النقل) من معنى هذه الآية، وأنه ورد في كتاب

^١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٦٥٥/١، والنشر ٢/٢١٩، والسبعة ١٦٨/١، والتبصرة في القراءات السبع ٤٢٨/١، والكشف عن وجوه القراءات ١/٢٥٧، والعنوان ٧١/١، والكافي ٦٣/١، وجامع البيان ١/٣٨٠، والكشاف ١/٣٣٢، ومعاني القرآن، للقرآء ١/٦٤، والجامع لأحكام القرآن ٢/٦٧، والرازي ٣/٢٢٦، وإتحاف فضلاء البشر/١٤٥، والتيسير ٧٦/١، والمبسوط/١٣٤، والمحزّر الوجيز ١/٤٣٤، والبحر المحيط ١/٣٤٢، والتبيان في إعراب القرآن ١/١٠٣، والتبيان في تفسير القرآن ١/٣٩٢، والمكزّر ١/١٤، والدُّرُّ المصون ١/٣٣٤، وزاد المسير ١/١٢٧، وإرشاد المبتدي ٢٣١/١، ومعجم القراءات ١/١٧٠.

^٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١/٦٥٥ .

^٣ أبو عليِّ الفارسيّ .

^٤ يُنظَرُ : الكشاف ١/٣٣٢، والجامع لأحكام القرآن ٢/٦٧، والحجة للقرآء السبعة ٢/١٨٥-١٨٦، والمحزّر الوجيز ١/١٧٦، والبحر المحيط ١/٥١٢، وزاد المسير ١/١٢٧، والدُّرُّ المصون ١/٣٣٤، واللباب في علوم الكتاب ٢/٣٦٥، وروح المعاني ١/٣٥٢.

الله تعالى في قوله ﷻ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^١ ، وأمّا الرأي الثاني الذي هو (الإزالة) جعله المراد في هذه الآية، وأنه منقسم في اللغة على ضربين: أحدهما يثبت النسخ بعد المنسوخ، كقولهم: نسخت الشمس الظل، والآخر لا يثبت كقولهم: ((نسخت الريح الأثر))، وورد النسخ في الشرع حسب هذين الضربين، والنسخ حقيقة هو الله ﷻ، ويسمى الخطاب الشرعي ناسخاً إذ به يقع النسخ. وخرّج ابن عطية القراءة على كَوْنِ الهمزة للتعدية مِنْ وَجْهِ آخَرَ، وهو مِنْ نَسَخِ الْكِتَابِ، وهو نَقْلُهُ مِنْ غَيْرِ إِزَالَةٍ لَهُ، قال: ويكونُ المعنى: ما نَكُتُبُ وَنُنزِّلُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، أو ما نُوخِرُ فِيهِ وَنَتْرَكُهُ فَلَا نُنزِّلُهُ، أيّ ذلك فَعَلْنَا، فَإِنَّمَا نَأْتِي بِخَيْرٍ مِنَ الْمُؤَخَّرِ الْمَتْرُوكِ أو بمثله، فيجيء الضميران في (منها)، وب(مثلها) عائدين على الضمير في (ننساها). وهذا الذي ذكره دُهولٌ عن القاعدة النحويّة، وهي أنّ اسم الشرط لا بدّ في جوابه من عائد عليه. وأنّ (ما) في قوله: (ما ننسخ) شرطية، وقوله: أو (ننساها)، عائد على الآية، وإن كان المعنى ليس عائداً عليها نفسها من حيث اللفظ والمعنى، إنّما يعود عليها لفظاً لا معنى، فهو نظير قولهم: عندي درهم ونصفه، فهو في الحقيقة على إضمار ما الشرطية. لتقدير: أو ما ننسا من آية، ضرورة أنّ المنسوخ هو غير المنسوء، لكن يبقى قوله: ((مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ)) مفلتاً من الجواب، إذ لا رابط فيه منه له، وذلك لا يجوز، فبطل هذا المعنى .^٢

واعترض مكّي على أن تكون الهمزة للتعدّي؛ لأنّ المعنى يتغيّر، ويصير المعنى ما ننسخك من آية يا محمد، وإنساخه إيّاها إنزالها عليه، فيصير المعنى ما نزل عليك من آية أو ننساها نأت بخير منها أو مثلها، فيؤول المعنى إلى أنّ كلّ آية أنزلت أتى بخير منها، فيصير القرآن كله منسوخاً وهذا لا يمكن، لأنّه لم ينسخ إلاّ اليسير من القرآن. فلما امتنع أن يكون (أفعل) و(فعل) بمعنى إذ

١ سورة الجاثية / من آية ٢٩ .

٢ يُنظَرُ : المحرّر الوجيز ٤٣٤/١، وجامع البيان ٣٨٠/١، والكشاف ٣٣٢/١، والجامع لأحكام القرآن ٦٧/٢، والبحر المحيط ٣٤٢/١، ومعاني القرآن، للقرّاء ٦٤/١، والرازي ٢٢٦/٣، وإتحاف فضلاء البشر ١٤٥/١، والتيسير ٧٦/١، والمبسوط ١٣٤/١، والتبيان في إعراب القرآن ١٠٣/١، والتبيان في تفسير القرآن ٣٩٢/١، والمكرّر ١٤/١، والدُرّ المصون ٣٣٤/١، وزاد المسير ١٢٧/١.

لم يسمع، وامتنع أن تكون الهمزة للتعدّي لفساد المعنى، لم يبق ممكناً إلا أن يكون من باب (أحمدته) و(أبخلته) إذا وجدته محموداً أو بخيلاً .^١

وخرّج ابن عاشور النسخ في هذه الآية على إزالة الشيء بشيء آخر، ونقله عن الراغب، وأنه عبارة عن إزالة صورة أو ذات وإثبات غيرها عوضها، مستدلاً على ذلك بقوله: ((نأت بخير منها أو مثلها))، وتقول: (نسخت الشمس الظل)؛ لأن شعاعها أزال الظل، وخلفه في موضعه، ونسخ الظل الشمس كذلك، لأن خيال الجسم الذي حال بين الجسم المستنير وبين شعاع الشمس الذي أناره قد خلف الشعاع في موضعه، واستدل بأنه يقال نسخت ما في الخلية من النحل والعسل إلى خلية أخرى، وأنه قد يطلق على الإزالة فقط دون تعويض، كقولهم: (نسخت الريح الأثر)، وقد يطلق على الإثبات لكن على إثبات خاص وهو إثبات المزيل، ونفى صحة أن يطلق على مجرد الإثبات في اللغة، وإن كان ظاهر كلام الراغب أوهمه، وجعل منه قوهم: (نسخت الكتاب)، إذا خطت أمثال حروفه في صحيفتك، إذ وجدوه إثباتاً محضاً، وعد هذا توهماً؛ لأن إطلاق النسخ على محاكاة حروف الكتاب إطلاقاً مجازياً بالصورة، أو تمثيلية بتشبيه الحالة بحالة من يُزيل الحروف من الكتاب الأصلي إلى الكتاب المنتسخ، ثم جاءت من ذلك النسخة، قال عليه السلام: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٢٩ ، وقال عليه السلام: ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ ١٥٤ ، وذكر أن قوهم: (الولد نسحة من أبيه) مجاز على مجاز. ونفى أن يطلق النسخ على الزوال بدون إزالة، فلا تقول: (نسخت الليل النهار)؛ لأن الليل ليس بأمر وجودي بل هو الظلمة الأصلية الحاصلة من انعدام الجرم المنير .^٤

^١ يُنظر: الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٦٧، والدر المنصور ١/ ٣٣٤.

^٢ سورة الجاثية / من آية ٢٩ .

^٣ سورة الأعراف / من آية ١٥٤ .

^٤ يُنظر: التحرير والتنوير ٦٥٦ - ٦٥٧ .

٢. من القراءات القرآنية التي أوردها ابن عاشور في أبنية الأفعال التي أصلها في الماضي يتردّد بين (فَعَلَ) الثلاثي و (أَفْعَلَ) الرباعي: قراءة (نُنَشِرُهَا) من قوله ﷻ: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنَشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور في قراءة (نُنَشِرُهَا) قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة ابن عامر وحمة وعاصم والكسائي وخلف (نُنَشِرُهَا) بضمّ النون والزاي المعجمة ، مضارع (أَنْشَرَهُ) إذا رفعه ، والنشز الارتفاع ، والمراد ارتفاعها حين تغلظ بإحاطة العصب واللحم والدم بها .

القراءة الثانية : قراءة (نُنَشِرُهَا) بضمّ النون الأولى والراء المهملة، وكسر الشين مضارع (أَنْشَرَ) رباعياً بالهمزة على وزن (أَفْعَلَ)، ونسبها إلى جمهور العشرة، وهم (الحرميان وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب) بمعنى الإحياء ، من قول القائل : أنشَرَ اللهُ الموتى، فهو يُنَشِرُهُمْ إِنْشَارًا ، ومنه قوله ﷻ: ﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾ ﴿٢٢﴾ ، فحصل من القراءتين معنيان لكلمة واحدة .

١ سورة البقرة / ٢٥٩ .

٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٣ / ٣٧ ، وجامع البيان ٥ / ٤٧٥ ، والبحر المحيط ٢ / ٣٠٥ ، وتفسير السراج المنير ١ / ١٤٤ ، وتفسير النيسابوري ٢ / ١٢٩ ، وأضواء البيان ٢٨ / ١٩ - ٢٠ ، والسبعة في القراءات ١ / ١٨٩ .

٣ نافع ، وابن كثير .

٤ سورة عبس / ٢٢ .

٥ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٣ / ٣٧ ، وجامع البيان ٥ / ٤٧٦ ، والبحر المحيط ٢ / ٣٠٥ ، والسراج المنير ١ / ١٤٤ ، وتفسير النيسابوري ٢ / ١٢٨ ، وأضواء البيان ٢٨ / ١٩ - ٢٠ ، والسبعة في القراءات ١ / ١٨٩ .

وذكر عند تفسيره لـ (فَأَنْشَرْنَا) عن ابن عباس إنكاره على من قرأ (نُنْشِرُهَا) بضمّ

النون والراء المهملة ، وكسر الشين ، وأنه تلا قوله ﷺ : ﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾ (٢٢) ، حيث إنه يرى أنّ أصل الهمزة فيه للتعدية ، وفعله المجرد نشر بمعنى حيي ، يُقال : نَشَرَ الْمَيْتَ ، برفع الميِّت ، ثم ساق قول الأعشى :

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ بِمَا رَأَوْا يَا عَجْبًا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ^٣
فرأى أنّ من الصواب إلحاق قوله ﷺ : ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ
نُنْشِرُهَا ﴾ بذلك ، وأصل النُّشْرُ بُسْط ما كان مطويًا ، وتفرّعت من ذلك معاني الإعادة
والانتشار .

وهناك قراءات أخرى لم يذكرها ابن عاشور - كعادته في التعامل مع القراءات الشاذة -
منها:

قراءة ابن عباس ، والحسن ، وأبي حيوة ، وأبان عن عاصم : (نُنْشِرُهَا) بفتح النون
وضمّ الشين ، بالراء المهملة ، من (نَشَرَ) على (فَعَلَ) ، جاءت بمعنى واحد مع قراءة (نُنْشِرُهَا)
بضمّ النون والراء المهملة ، وكسر الشين بمعنى : أحيا .

^١ من قوله ﷺ : ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُكَ ﴿١١﴾ ﴾ سورة الزخرف
. ١١ /

٢ سورة عبس / ٢٢ .

٣ البيت من قصيدة طويلة على السريع ، يقول في مطلعها :

شاقنك من قتلة أطلأها بالشيط فالوتر إلى حاجر
وختمها بقوله : باسلة الوقع سرايلها بيض إلى جانبه الظاهر

يُنظَر : ديوان الأعشى / ١٠٥ .

٤ سورة البقرة من آية / ٢٥٩ .

٥ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٥ / ١٧١ ، وجامع البيان ٥ / ٤٧٦ ، ومعاني القرآن ، للفرّاء ١ / ١٧٣ .

وهاتان القراءتان ؛ قراءة (نَنْشُرُهَا) بفتح النون وضمّ الشين، بالرّاء المهملة، وقراءة (نُنْشِرُهَا) بضمّ النون و ضمّ الرّاء المهملة، وكسر الشين جاءتا متردّتان في أبنية الأفعال الماضية المتردّد بين (فَعَلَ) الثلاثي (نَشَرَ) ، و (أَفْعَلَ) الرباعي (أَنْشَرَ) ، حيث إنّ هذين الوزنين يجمعان معنى واحداً ، وهما لغتان تمثّلان بيئتين مختلفتين، حيث الأولى تمثّل لغة أهل الحجاز ؛ إذ يُعرَف ميل بيئة الحجازيين إلى (فَعَلَ)، والثانية تمثّل لغة تميم؛ حيث يُعرَف ميل بيئة تميم إلى (أَفْعَلَ) .^٢

وروى أيضا عبد الوهاب عن أبان عن عاصم (نَنْشُرُهَا) بفتح النون وضمّ الشين مثل قراءة الحسن، وعن عبيد الله بن علي عن نصر عن أبيه عن أبان عن عاصم مثله أيضا .^٣

وأنكر الطبري قراءة (نَنْشُرُهَا) بفتح النون وضمّ الشين، بالرّاء المهملة؛ لشذوذها عن قراءة المسلمين، وخروجها عن الصحيح الفصيح من كلام العرب؛ لأنّ العرب لا تقول: نَشَرَ الموتى، وإنما تقول : أَنْشَرَ الله الموتى ، فنشروا هم، بمعنى: أحياهم فحيوا هم. مستدلاً بقوله ﷺ : ﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾^(٢٢) ، وبقوله ﷺ : ﴿ أَمْ أَتَّخِذُوا إِلَهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴾^(٢١) ، على أنّه إذا أريد به حيي الميت وعاش بعد مماته، قيل: (نَشَرَ)، ومنه قول الأعشى السابق .

١ يُنْظَر : معاني القرآن وإعرابه ١ / ٣٤٢ ، إعراب القرآن ، للنخّاس ١ / ٢٨٥ ، والبحر المحيط ٢ / ٣٠٥ ، اللّهجات العربيّة في التراث / ٦١٤ ، وأضواء البيان ٢٨ / ١٩ - ٢٠ ، ولهجة تميم / ١٨٠ ، والقراءات القرآنيّة في المعجمات اللّغويّة / ٤٨٩ ، والسبعة في القراءات ١ / ١٨٩ .

٢ يُنْظَر : معاني القرآن وإعرابه ١ / ٣٤٢ ، إعراب القرآن ، للنخّاس ١ / ٢٨٥ ، والبحر المحيط ٢ / ٣٠٥ ، اللّهجات العربيّة في التراث / ٦١٤ ، وأضواء البيان ٢٨ / ١٩ - ٢٠ ، ولهجة تميم / ١٨٠ ، والقراءات القرآنيّة في المعجمات اللّغويّة / ٤٨٩ .

٣ يُنْظَر : السبعة في القراءات ١ / ١٨٩ .

٤ سورة عبس / ٢٢ .

٥ سورة الأنبياء / ٢١ .

٦ يُنْظَر : جامع البيان ٥ / ٤٧٧ ، ٤٧٩ ، ومعاني القرآن ، للفرّاء ١ / ١٧٣ .

وكذا لم يذكر ابن عاشور قراءة النخعي : (نَنْشُرُهَا) بفتح النون ، وضم الشين والزاي ،
وُروى ذلك عن ابن عباس ، وقتادة ، قاله ابن عطية . وذكر السجاوندي ، عن النخعي أنه قرأ (
يَنْشُرُهَا) ، و (يُنْشِرُهَا) بفتح الياء وضمِّها مع الراء والزاي .^١

و (كَيْفَ) و (نُنْشِرُهَا) جميعاً في موضع الحال من العظام ، والعامل فيها (انْظُرْ)
تقديره انظر إلى العظام محياة ؛ لأنه لا يجوز أن تعمل فيه (انْظُرْ) كونه استفهام ، والاستفهام لا
يعمل فيه ما قبله ، ولكن كيف ونشرها جميعاً حال من العظام .^٢

وهذه القراءات جاءت من باب الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغيّر
معناها ولا يزيل صورتها ، وأيضاً من باب اختلاف اللَّفْظ والمعنى جميعاً مع جواز اجتماعهما في
شيء واحد؛ من أجل عدم تضاد اجتماعهما فيه : فمعنى (نَنْشُرُهَا) (بالزاي) أنه رفع بعض
العظام على بعض حتى قامت ، ومعنى (نَنْشُرُهَا) (بالراء) أن الله أحيا العظام ، فالمراد من
القراءتين العظام ؛ وذلك أن الله تعالى (أنشَرها) أي أحيها ، و (أنشَرها) أي رفع بعضها إلى
بعض حتى التأمّت ، فأخبر سبحانه أنه جمع لها هذين الأمرين؛ من إحيائها بعد الممات ، ورفع
بعضها إلى بعض لتلتئم ، فضمّن تعالى المعنيين في هذه القراءات ، وهذا يدلُّ على عظيم قدرته .
وكلّ هذه الأوجه المتعدّدة ينبغي أن تفهم على أنّها نوع من التيسير المتعلّق بلغات القبائل ساقه
الله للأُمَّة .^٣

فمن قرأ بالزاي فالحجّة له أنّ العظام إذا كانت بحالها لم تبَل ، فالزاي أولى بها؛ لأنّها ترفع
ثمّ تكسى اللحم ، والدليل على ذلك قوله تعالى وإليه النشور أي الرجوع بعد البلى .^٤
وجاءت بمعنى نحركها ونرفع بعضها إلى بعض للتركيب . والنشز ما ارتفع من الأرض ومنه
نشوز المرأة لأنّها ترتفع عن حد رضا الزوج ، (وكيف) في موضع الحال من العظام .^٥

١ يُنْظَر : البحر المحيط ٢ / ٣٠٥ .

٢ يُنْظَر : التبيان في إعراب القرآن ١ / ١١٠ .

٣ يُنْظَر : الحجّة في القراءات السبع ١ / ١٠١ ، و النشر في القراءات العشر ١ / ٣٩ .

٤ يُنْظَر : الحجّة في القراءات السبع ١ / ١٠١ ، و النشر في القراءات العشر ١ / ٣٩ .

٥ يُنْظَر : غرائب القرآن ٢ / ٢٧ .

٣. ومن القراءات القرآنيّة التي ذكرها ابن عاشور في أبنية الأفعال التي أصلها في الماضي يتردّد بين (فَعَلَ) الثلاثي و (أَفْعَلَ) الرباعي: قراءة ((فَأَذْنُوا)) من قوله ﷺ: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ^ط وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور في قراءة ((فَأَذْنُوا)) قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة ((فَأَذْنُوا)) بِهَمْزَةٍ وَصَلٍ وَفَتْحِ الدَّالِ، ونسبها إلى الجُمهُورِ، وهم ابن كثير، ونافع، وأبوعمر، والكسائي، وابن عامر، وعلي، والأعرج، وأبوعبدالرحمن، وشيبة، وعيسى، وأبوجعفر، وحفص عن عاصم، والمفضل . وقد وجّه هذه القراءة على أنّها أَمْرٌ مِنْ (أَذِنَ) ، بمعنى اعلّموا ذلك، وآستيقنوه، وقد رجّح الطبري هذه القراءة على قراءة ((فَأَذْنُوا))، كعادته في التفضيل بين القراءات .

وقال ابن عاشور عند تفسيره قوله ﷺ: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلْنَا مَبْعَدَكُمْ^ط﴾ : ((فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلْنَا مَبْعَدَكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبَهُمْ مَّبْعِدٌ مَّا تَوَعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ ، أَنَّ الْإِيدَانَ: الْإِعْلَامُ، وَخَرَّجَهُ عَلَى وَزْنِ (أَفْعَلَ)

١ سورة البقرة / ٢٧٩ .

٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٩٥/٣، والسبعة في القراءات ١٩٢/١، والكشف عن وجوه القراءات ٣١٨/١، والعنوان ٧٦/١، والنشر ٢٣٦/٢، وإتحاف فضلاء البشر ١٦٥/٢، والتبيان ٣٦٧/٢، وحجة القراءات ١٤٨/١، وجامع البيان ٧١/٣، والجامع لأحكام القرآن ٣٧٠/٣، والتيسير ٨٤/١، ومعاني القرآن، للفرّاء ١٨٩/٢، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٥٩/١، وإعراب القرآن، للنحاس ٢٩٤/١، والبحر المحيط ٣٣٨/٢، والتبصرة ٤٠٥/١، وشرح الشاطبيّة ١٦٧/١، والمبسوط ١٥٤/١، والمكزّر ٢٠/١، والحجّة في القراءات السبع ١٠٣/١، والمحزّر الوجيز ٤٩١/٢، وزاد المسير ٣٣٣/١، والتذكرة في القراءات الثمان ٢٧٨/١، ومعجم القراءات، للخطيب ٤٠٥/١.

٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٩٥/٣، ١٧٢/١٧ - ١٧٣.

٤ يُنظَرُ : جامع البيان ٧١/٣، ومعجم القراءات، للخطيب ٤٠٥/١.

٥ سورة الأنبياء / ١٠٩ .

مِنْ أَدْنٍ لِكَذَا بِمَعْنَى سَمِعَ. وَأَنَّ اسْتِثْقَافَهُ مِنْ اسْمِ الْأَدْنِ، وَهِيَ جَارِحَةُ السَّمْعِ، ثُمَّ اسْتَعْمِلَ بِمَعْنَى الْعِلْمِ بِالسَّمْعِ ثُمَّ شَاعَ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْعِلْمِ مُطْلَقًا .

القراءة الثانية: قراءة ((فَادِنُوا)) بِهَمْزَةٍ قَطْعٍ بَعْدَهَا أَلْفٌ وَبَدَالٍ مَكْسُورَةٍ، وَنَسَبَهَا إِلَى حَمْرَةَ وَأَبِي بَكْرٍ عَنْ عَاصِمٍ وَخَلْفٍ ، وَوَجَّهَ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ عَلَى أَنَّهَا أَمْرٌ مِنْ (أَدْنٍ) بِكَذَا إِذَا أَعْلَمَ بِهِ، أَيِ فَادِنُوا أَنْفُسَكُمْ وَمَنْ حَوْلَكُمْ . وَخَرَجَهَا عَلَى أَنَّهَا فِعْلٌ مُتَعَدٍّ بِالْهَمْزَةِ، وَأَنَّ الصَّيغَتَيْنِ اسْتَعْمَلْتَا كَثِيرًا فِي مَعْنَى الْإِنذَارِ، الَّذِي هُوَ الْإِعْلَامُ الْمَشُوبُ بِتَحْذِيرٍ. وَخَرَجَهُ عَلَى حَذْفِ مَفْعُولِ (أَدْنْتُمْ) الثَّانِي؛ لِذِلَالَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ((مَا تُوعَدُونَ)) عَلَيْهِ، أَوْ بِتَقْدِيرِ: أَدْنْتُمْ مَا يُوحَى إِلَيَّ لِذِلَالَةِ مَا تَقَدَّمَ عَلَيْهِ. وَأَنَّ الْأَظْهَرَ تَقْدِيرُ مَا يَشْمَلُ الْمَعْنَيْنِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَدَّ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾

، وَذَكَرَ أَنَّ مِنْ اسْتِعْمَالِ (أَدْنٍ) قَوْلَ الْحَارِثِ بْنِ حِلِزَةَ :

أَدْنْتَنَا بَيْنَهُنَّ أَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يُمْلَأُ مِنْهُ التَّوَاءُ

^١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٧٢/١٧ .

^٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٩٥/٣ ، والسبعة في القراءات ١٩٢/٢ ، والكشف عن وجوه القراءات ٣١٨/١ ، والعنوان ٧٦/١ ، والنشر ٢٣٦/٢ ، وإتحاف فضلاء البشر ١٦٥/٢ ، والتبيان ٣٦٧/٢ ، وحجة القراءات ١٤٨/١ ، وجامع البيان ٧١/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٧٠/٣ ، والتيسير ٨٤/١ ، ومعاني القرآن، للفرّاء ١٨٩/٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٥٩/١ ، وإعراب القرآن، للنحاس ٢٩٤/١ ، والبحر المحيط ٣٣٨/٢ ، والتبصرة ٤٠٥/١ ، وشرح الشاطبية ١٦٧/١ ، والمبسوط ١٥٤/١ ، والمكثّر ٢٠/١ ، والحجّة في القراءات السبع ١٠٣/١ ، والمحرّر الوجيز ٤٩١/٢ ، وزاد المسير ٣٣٣/١ ، والتذكرة في القراءات الثمان ٢٧٨/١ ، ومعجم القراءات، للخطيب ٤٠٥/١ .

^٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٩٥/٣ .

^٤ سورة هود/٥٧ .

^٥ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٧٢/١٧ - ١٧٣ .

^٦ يُنظَرُ : شرح المعلقات، للتبريزي ٤٣١/١ ، والخصائص ٢٤١/١ ، وشواهد الكشّاف ٣١٨/٤ ، واللباب في علل البناء والإعراب ١٣/٦٢٤ ، ١٧/١٥٤ ، والدُّرُّ المصون ٢/٦٤٠ ، ٨/٢١٦ .

وهي كقوله ﷺ: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَازِنْتُمْ كُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِيْٓٓٓٓ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ ١٠٩ ، بمعنى: اَعْلَمُوا غَيْرَكُمْ. اَفَقَدُ اَمَرَ الْمُخَاطَبُونَ بِتَرْكِ الرَّبِّ اَنْ يُعْلِمُوا غَيْرَهُمْ مِمَّنْ هُوَ عَلَى حَالِهِمْ فِي الْمَقَامِ بِالرَّبِّ بِمَحَارَبَةِ اللّٰهِ وَرَسُولِهِ، فَاَلْمَفْعُولُ هُنَا مُحَذَفٌ، وَقَدْ صَرَّحَ بِهِ الشَّاعِرُ فِي قَوْلِهِ:

اَذْنَتْنَا بِبَيْنِهَا اَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يَمْلُ مِنْهُ التَّسْوَاءُ

وفي قوله ﷺ: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَازِنْتُمْ كُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِيْٓٓٓٓ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ ١٠٩ ، وَقِيلَ : الْمَعْنَى صَبِرُوا عَالِمِينَ بِالْحَرْبِ، عَلَى اعْتِبَارِ اَنَّ الْهَمْزَةَ فِي ((فَاذْنُوْا)) لِلصَّبْرِ لَا لِلتَّعْدِيَةِ، وَالْمَعْنَى : صَبِرُوا عَالِمِينَ بِالْحَرْبِ، وَفِيهِ بُعْدٌ كَبِيرٌ .^٤

٤. مِمَّا أوردته ابن عاشور في القراءات التي وردت في أبنية الأفعال في الماضي المتردد بين

(فَعَلَ) الثلاثي و (أَفْعَلَ) الرباعي، قراءة (يُلْحِدُونَ) من قوله ﷺ: ﴿ وَلِلّٰهِ الْأَسْمَاءُ

الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ١٨٠ ،

ومن قوله ﷺ: ﴿ وَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّلسَّانِ الَّذِي يُلْحِدُونَ

إِلَيْهِ أَعْجَمِيُّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ ١٠٣ ، وكذا من قوله ﷺ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

١ سورة الأنبياء / ١٠٩ .

^٢ سبق تخريجه .

٣ سورة الأنبياء / ١٠٩ .

٤ يُنظَر : التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ١٧٢/١٧ - ١٧٣ ، وَاللِّبَابُ فِي عِلَلِ الْبِنَاءِ وَالْإِعْرَابِ ١٣/٦٢٤ ، ١٧/١٥٤ ، التَّبْيَانُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ ١/٢٢٤ ، وَالدُّرُّ الْمَصُونُ ٢/٦٤٠ ، ٨/٢١٦ .

٥ سورة الأعراف / ١٨٠ .

٦ سورة النحل / ١٠٣ .

يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِيَّ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ^ع أَعْمَلُوا مَا
 شِئْتُمْ ^ط إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ❁ فقد ذكر ابن عاشور في قراءة (يُلْحِدُونَ) قراءتين :

القراءة الأولى : (يُلْحِدُونَ) بِضَمِّ الياءِ وكسر الحاء ، مضارع (أَلْحَدَ) المهموز ، ونسبها
 إلى نافع والجمهور (وهم ابن كثير ، وابن عامر ، وأبو عمرو ، وعاصم والكسائي ، وأبو جعفر ،
 ويعقوب) ، وعدَّ هذه القراءة الأشهر ، وهو رأي للأخفش ، حيث ذكر أنَّ هذه القراءة هي
 الأكثر ، واستدلَّ بـ ((وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاِمِ يُظْلَمِ)) من قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنكِفِ فِيهِ وَالْبَادِ
 وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاِمِ يُظْلَمِ نُذِقْهُ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ ﴿٢٥﴾ ، وعدَّهما لغتين ، وكذا
 الكسائي عدَّهما لغتين من (لَحَدَ ، وَأَلْحَدَ) .

والقراءة الثانية: (يَلْحِدُونَ) بفتح الياءِ والحاء ، مضارع (لَحَدَ) المجرَّد من الهمز ، ونسبها إلى
 حمزة والكسائي (وكذا ابن وثَّاب ، والأعمش ، وطلحة ، وعيسى) ، وعدَّها مرادف (أَلْحَدَ) ، أي
 مال أو عدل عن القويم؛ فهو ممَّا جاء من الأفعال مهموز بمعنى المجرَّد ، كقولهم: (أَبَانَ) بمعنى
 (بَانَ) . ويقول بذلك أكثر أهل المعرفة بكلام العرب؛ حيث يرون أنَّ معناها واحدٌ ، وأتَّهما

١ سورة فصلت ٤٠ .

٢ سورة الحج / ٢٥ .

٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ٩ / ١٨٩ ، ١٤ / ٢٨٧ - ٢٨٨ ، وإتحاف فضلاء البشر / ٢٣٣ ، وحجَّة القراءات / ٢٣ ،
 ومعاني الأخفش ٢ / ٣١٥ ، والتيسير في القراءات / ١٤٤ ، والنشر ٢ / ٢٧٣ ، والكشف عن وجوه القراءات
 ١ / ٤٨٤ ، وشرح الشاطبيَّة / ٢٠٩ ، والسبعة في القراءات / ٢٩٨ ، والحجَّة في القراءات السبع / ١٦٧ ، وإعراب
 القراءات السبع وعللها ١ / ٢١٥ ، والمحزَّر الوجيز ٦ / ١٥٧ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٣ / ٢٢٣ .

٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ٩ / ١٨٩ ، ١٤ / ٢٨٧ - ٢٨٨ ، وإتحاف فضلاء البشر / ٢٣٣ ، وحجَّة القراءات / ٢٣ ،
 ومعاني الأخفش ٢ / ٣١٥ ، والتيسير في القراءات / ١٤٤ ، والنشر ٢ / ٢٧٣ ، والكشف عن وجوه القراءات
 ١ / ٤٨٤ ، وشرح الشاطبيَّة / ٢٠٩ ، والسبعة في القراءات / ٢٩٨ ، والحجَّة في القراءات السبع / ١٦٧ ، وإعراب
 القراءات السبع وعللها ١ / ٢١٥ ، والمحزَّر الوجيز ٦ / ١٥٧ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٣ / ٢٢٣ .

لغتان جاءتا في حرفٍ واحدٍ بمعنى واحد؛ كون (الإلحاد) في كلام العرب: العدول عن القصد، والجورُ عنه، والإعراض. ثم استعمل بعد ذلك في كل معوّج غير مستقيم، ولذا قيل للحد القبر: (لحد)؛ لأنه في ناحية منه، وليس في وسطه. فيقال: أَلْحَدَ فلانٌ يُلْحِدُ إلحادًا ، و لَحَدَ يَلْحَدُ لَحْدًا وُلُوحًا ، وإن كان استعمال (لُحود) قليل .

وقد فرّق الكسائي بين معنى القراءتين ، فهو يقرأ جميع ما في القرآن : (يُلْحِدُونَ) بضم الياء وكسر الحاء ، من (أَلْحَدَ) المهموز (يُلْحِدُ ، إلحاداً) ، ويرى أنّها بمعنى العدول عن القصد ، إلاّ التي في النحل ، فإنّه كان يقرأها : (يُلْحِدُونَ) بفتح الياء والحاء ، من (لَحَدَ) المجرّد (يَلْحَدُ ، لَحْدًا) ، ويرى أنّها بمعنى الركون إلى الشيء .

وقال الفرّاء: فَرِيءٌ (يُلْحِدُونَ) فمن قرأ (يُلْحِدُونَ) أراد يميلون إليه، و (يُلْحِدُونَ) يَعْتَرِضُونَ، قال وقوله: ((ومن يُرِدْ فيه بإلحاد بظلم))، أي: باعترض، وقال: الزجاج ومن يرد فيه بإلحادٍ، قيل الإلحاد فيه الشك في الله، وقيل كلُّ ظالم فيه مُلْحِدٌ، وفي الحديث: ((احتكأ الطعم في الحرم إلحاد فيه))، أي: ظلّم وعُدوانٌ، وأصل الإلحاد الميلُ والعدول عن الشيء .

٥. ومن القراءات القرآنيّة التي أوردتها ابن عاشور في أبنية الأفعال التي أصلها في الماضي

يتردّد بين (فَعَلَ) الثلاثي و (أَفْعَلَ) الرباعي: قراءة ((سُقِيكُمْ)) من قوله ﷻ: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ

^١ يُنظَر : جامع البيان ١٣ / ٢٨٣ .

^٢ من قوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ نَعَلْمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ

عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿٣٤﴾ (النحل) ، وهي قراءة عامة قرأها أهل الكوفة .

^٣ يُنظَر : جامع البيان ١٣ / ٢٨٣ - ٢٨٤ ، و معاني القرآن ، للنحاس ٣ / ١٠٨ ، ولسان العرب (لحد) ٥/٤٠٠٥ ، وتهذيب اللغة، وتاج العروس (لحد) ٩/١٣٥ ، والمفردات ، والصحاح (لحد) ، والتذكرة في القراءات الثمان/٣٤٩ ، والأفعال ، لابن القوطيّة /٩١ ، والدُّرُّ المصون ٣/٣٧٦ .

^٤ يُنظَر : لسان العرب (لحد) ٥ / ٤٠٠٥ .

فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّسُقْيِكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِعًا لِلشَّرِبِينَ

﴿ ٦٦ ﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور في قراءة ((نَسْقِيكُمْ)) قراءات:

القراءة الأولى : قراءة ((نَسْقِيكُمْ)) بِفَتْحِ الثُّونِ، ونسبها إلى نَافِعِ وَابْنِ عَامِرٍ وَأَبِي بَكْرٍ عَنِ عَاصِمٍ وَيَعْقُوبَ . وَقَدْ وَجَّهَ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ أَعْلَى أَنَّهَا مُضَارِعٌ (سَقَى) .^٣

وجاء عن الطبري أن قراءة ((نَسْقِيكُمْ)) بِفَتْحِ الثُّونِ، من سَقَاهُ اللهُ، فهو يَسْقِيهِ، وأنَّ العرب قد تدخل الألف فيما كان من السَّقْيِ غير دائم، وتنزعهما فيما كان دائماً .^٤

القراءة الثانية : قراءة ((نَسْقِيكُمْ)) بِضَمِّ الثُّونِ، ونسبها إلى ابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو وَحَفْصِ عَنِ عَاصِمٍ وَحَمْرَةَ وَالْكَسَائِيَّ وَخَلْفٍ، وقرأ بها أيضاً ابن محيصن، وأبو جعفر ، ووجه هذه القراءة على أَنَّهَا مُضَارِعٌ (أَسْقَى). ثم ذكر أَنَّهُمَا لُغَتَانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، يقال : سَقَيْتَهُ وَأَسْقَيْتَهُ بِنَفْسِ الْمَعْنَى . وقد رجَّح الطبري هذه القراءة؛ لأنها بمعنى أسقاهم شراباً دائماً. ونقل عن الكسائي أنه كان يقول: إنَّ العرب تقول: أسقيناهم تَهْرًا، وأسقيناهم لبنا: إذا جعلته شرباً دائماً، فإذا أرادوا أَنَّهُمْ أعطوه شربة قالوا: سقيناهم فنحن نَسْقِيهِمْ بغير ألف، وهو اختيار أبي عبيد. ويرى الطبري أن

١ سورة النحل / ٦٦ .

٢ يُنظَرُ :

٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٢٠/١٤ .

٤ يُنظَرُ : جامع البيان ٨٢/١٤ .

٥ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٢٠/١٤، والسبعة في القراءات / ٣٧٤، والكشف عن وجوه القراءات ٢/٢٨، والعنوان / ١١٨، والنشر ٢/٣٠٤، وإتحاف الفضلاء / ٢٧٩، والتبيان في تفسير القرآن ٦/٣٩٩، وحجة القراءات / ٣٩١، والكتاب ٢/١٧، وجامع البيان ١٤/٨٢، والجامع لأحكام القرآن ١٠/١٢٣، والتيسير ٨/١٣٨، ومعاني القرآن، للقرآء ٢/١٠٨، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/٢٠٨، وإعراب القرآن، للنحاس ٢/٢١٦، والبحر المحيط ٥/٣١١، ٥٠٨، ومجمَعُ البيان ١٤/٩٣، وغرائب القرآن ١٤/٨٢، والتبصرة / ٥٦٥، وشرح الشاطبية / ٢٣٣، والمبسوط / ٢٦٤، والحجَّة في القراءات السبع / ٢١٢، وإعراب القراءات السبع، وعللها ١/١٥٧، والمحرَّر الوجيز ٨/٤٥٥، وروح المعاني ١٤/١٧٧، وزاد المسير ٤/٤٦٢، والتذكرة في القراءات الثمان / ٤٠١، وإرشاد المبتدي / ٤٠٢، والمكرَّر / ٦٩، ومعجم القراءات، للخطيب ٤/٦٥٤ .

٦ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٢٠/١٤ .

العرب قد تدخل الألف فيما كان من السَّقِي غير دائم، وتنزعها فيما كان دائماً، ولكن يرى أن أشهر الكلامين عند العرب ما قال الكسائي، أن قول لبيد في صفة سحاب:

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ ، وَأَسْقَى مُمَيَّرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هِلَالٍ
يدل على ما قلنا من ذلك؛ حيث جمع اللغتين كليهما في معنى واحد، فإذا كان ذلك كذلك، فبأية القراءتين قرأ القارئ فمصيب، ثم ذكر أن أعجب القراءتين إليه قراءة ضمّ النون؛ لأن أكثر الكلامين عند العرب فيما كان دائماً من السقي (أسقى) بالألف فهو يُسْقِي، وأن ما أسقى الله عباده من بطون الأنعام دائم لهم غير منقطع عنهم. وعند القرطبي أن ضمّ النون لغة حمير .

القراءة الثالثة : قراءة ((تَسْقِيكُمْ)) بِمَثْنَاءِ فَوْقِيَّةٍ مَفْتُوحَةٍ عِوَضًا عَنِ النُّونِ عَلَى أَنَّ الضَّمِيرَ لِلْأَنْعَامِ، وَنَسَبَهَا إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ .

٦. ومن القراءات القرآنية التي أوردها ابن عاشور في أبنية الأفعال التي أصلها في الماضي يتردد بين (فَعَلَ) الثلاثي و (أَفْعَلَ) الرباعي: قراءة ((فَيَسْحَتَكُمْ)) من قوله ﷻ: ﴿ قَالَ

^١ البيت للبيد بن ربيعة العامري، وفي (لسان العرب: سقى)، قال: السقي: معروف، والاسم السُّقْيَا بالضم وسقاه الله الغيث وأسقاه، وقد جمعها لبيد في قوله: (سقى قومي بني مجد وأسقى مُمَيَّرًا والقبايل من هلال)، ويقال سَقَيْتَهُ لَشَفْتَهُ وَأَسْقَيْتَهُ لِمَاشِيَتِهِ وَأَرْضِهِ، وَالاسْمُ السَّقْيُ بِالْكَسْرِ وَالْجَمْعُ الْأَسْقِيَّةُ. وجاء عن الفراء: أن العرب تقول لكل ما كان من بطون الأنعام ومن السماء أو نهر يجري لقوم: (أسقيت). فإذا سقاك الرجل ماء لشفتك، قالوا: سقاه، ولم يقولوا: أسقاه، كما قال الله عز وجل: ((وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا)) (سورة الإنسان/٢١). وقال: ((وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي)) (سورة الشعراء/٧٩). وربما قالوا لما في بطون الأنعام وماء السماء: (سقى السماء وأسقى)، كما قال لبيد: ((سقى قومي بني مجد وأسقى مُمَيَّرًا والقبايل من هلال)). وقد اختلف القراء، فقرأ بعضهم نسقيكم، وبعضهم يسقيكم. يُنظَر : ديوانه ٧١/١، وحاشية أحمد ومحمود شاكر، على جامع البيان، مؤسسة الرسالة ط ١٧١/٢٣٧، ومعاني القرآن، للفراء ١٠٨/٢، ولسان العرب (سقى) ٣٩٠/١٤.

^٢ يُنظَر : جامع البيان ٨٢/١٤، والجامع لأحكام القرآن ١٠/١٢٣، ومعجم القراءات، للخطيب ٤/٦٥٤.

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٤/٢٢٠.

لَهُمْ مُوسَى وَيَلِكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴿٦١﴾ ،

فقد ذكر ابن عاشور في قراءة ((فَيُسْحِتَكُمْ)) قراءتين:

القراءة الأولى : قراءة ((فَيُسْحِتَكُمْ)) بِفَتْحِ الْيَاءِ وَالْحَاءِ، ولم يشر إلى حركة الحاء المهملة ، ونسبها إلى الجُمهُورِ، وهم ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر ورويس وابن عباس، وروح وزيد عن يعقوب، وأبو جعفر . وقد وجَّه هذه القراءة أعلى أُمَّهَا مُضَارِعٌ: (سَحْتَهُ) الثلاثي، إِذَا اسْتَأْصَلَهُ، وَأُمَّهَا لُغَةٌ أَهْلِ الْحِجَازِ .^٤

القراءة الثانية : قراءة ((فَيُسْحِتَكُمْ)) بِضَمِّ الْيَاءِ التَّحْتِيَّةِ وكسر الحاء المهملة، ونسبها إلى حَمَزَةٍ، وَالْكَسَائِيَّ، وَحَفْصٍ عَنِ عَاصِمٍ، وَخَلْفٍ، وَرُوَيْسٍ عَنِ يَعْقُوبَ، وَوَجَّه هذه القراءة على أُمَّهَا

١ سورة طه / ٦١ .

^٢ و ((فَيُسْحِتَكُمْ)) بِفَتْحِ الْيَاءِ وَالْحَاءِ، صرَّح بذلك السمين الحلبي في الدرِّ المصون، وضبطها الخطيب في معجمه كذلك، و((فَيُسْحِتَكُمْ)) بِفَتْحِ الْيَاءِ وكسر الحاء، ضبطها أبو القاسم الحسين بن محمد، في كتابه، المفردات في غريب القرآن، من (سَحْتَهُ، وَأَسْحَتَهُ)، ومنه (السُّحْتُ) للمحذور، الذي يلزم صاحبه العار، كأنه يُسْحِتُ دينه ومرءته، قال تعالى: ((أَكْأَلُونَ لِلْسُّحْتِ))، أي لِمَا يُسْحِتُ دينهم. وقال ﷺ: ((كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالْتَّائِرُ أَوْلَى بِهِ))، ومِمِّي الرِّشْوَةُ سُحْتًا، وروِي: ((كَسَبُ الْحِجَامِ سُحْتٌ))، فهذا لكونه ساحتا للمروءة لا للدين. يُنظَرُ : المفردات في غريب القرآن / ٢٢٥.

^٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٥٠/١٦، والسبعة في القراءات / ٤١٩، والكشف عن وجوه القراءات ٩٨/٢، والعنوان / ١٢٩، والتبيان في تفسير القرآن ١٨٢/٧، وحجة القراءات / ٤٥٤، والكتاب ٤٢١/١، وجامع البيان ١٣٥/١٦، والجامع لأحكام القرآن ٢١٥/١١، أدب الكاتب / ٤٣٦، المخصَّص ١١٩/١٢، والتيسير / ١٥١، ومعاني القرآن، للقرَّاء ١٨٢/٢، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٦١/٣، والبحر المحيظ ٢٥٤/٦، والتبصرة / ٥٩٢، وشرح الشاطبية / ٢٤٧، والمبسوط / ٢٩٥، والحجَّة في القراءات السبع / ٢٤٢، وإعراب القراءات السبع، وعللها / ١٤٦/١، والمحرَّر الوجيز ٤٥/١٠، وروح المعاني ٢١٠/١٦، وزاد المسير ٢٩٦/٥، والتذكرة في القراءات الثمان / ٤٣٠، وإرشاد المبتدي / ٤٣٤، والمكرَّر / ٨٢، ومعجم القراءات، للخطيب ٤٤٧/٥.

^٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٥٠/١٦.

١ مِنْ (أَسْحَتْهُ) الرباعي، وَأَنَّهَا لُغَةٌ نَجْدٍ وَبَنِي تَمِيمٍ، ووصف اللُّغَتَيْنِ بالفَصَاحَةِ . ويؤكِّد هذه القراءة قول الفرزدق التميمي:

وَعَضُّ زَمَانٍ يَا بَنَ مِرْوَانَ لَمْ يَدْعُ مِنْ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ مُجْلَفًا
وقراءة الباقيين مِنْ سَحْتِهِ ثلاثياً وهي لغة الحجاز. وأصل هذه المادة الدلالة على الاستقصاء والنفاذ. ومنه: (سَحَتَ الحَالِقُ الشَّعْرَ، وَ أَسْحَتْهُ) أي: استقصاه فلم يترك منه شيئاً، ويستعمل في الإهلاك والإذهاب، وسمي المال الحرام سحتاً؛ لأنه يسحت الطاعات، أي: يذهبها ويستأصلها. وقال الفرَّاء: أصله كلب الجوع، يقال: رجل مسحوت المعدة، أي: أكل؛ فكأن بالمسترشي وأكل الحرام من الشره إلى ما يعطى مثل الذي بالمسحوت المعدة من النهم. وقيل: سمي الحرام سحتاً، لأنه يسحت مروءة الإنسان. و(السُّحْت) و(السُّحْتِ) لغتان قُرئَ بهما؛ قرأ أبو عمرو وابن كثير والكسائي بضممتين (السُّحْتِ)، والباقون بضم السين وحدها (السُّحْتِ). وروى العباس بن الفضل عن خارجة بن مصعب عن نافع ((أَكَّالُونَ لِلْسُّحْتِ)) بفتح السين وإسكان الحاء، وهو مصدر من (سَحْتُهُ)؛ يقال: (أَسْحَتَ، وَسَحَتَ) بمعنى واحد. وقال الزجاج: (سَحْتُهُ) ذهب به قليلاً قليلاً.

٣

وإذا نظرنا إلى القراءتين نجد أنهما ترجعان إلى أصل الاشتقاق، حيث إنَّ القراءة الأولى مضارع (أَسْحَتْهُ) ، والقراءة الثانية (يُسْحِتُكُمْ) مضارع (سَحْتُهُ) ، قال أبو عبيدة معمر بن المثنَّى، والأخفش الأوسط: إنَّ (سحته وأسحته) بمعنى (سحقته، وأهلكته).

٤

١ يُنظَرُ: التحرير والتنوير ٢٥٠/١٦.

٢ يُنظَرُ: ديوانه ٥٥٦/١، والخصائص ١٩٩/١، والمختضب ١٨٠/١، وابن يعيش ٣١/١، ولسان العرب: (سحت)، وخزانة الأدب ٢٣٥/١، ١٤٦/٥، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٠، ٥٤٤/٨، والذُّرُّ المصون ٥٢٩/٢.

٣ يُنظَرُ: الجامع لأحكام القرآن ٦/١٨٣-١٨٤، ومعاني القرآن، للفرَّاء ١٨٢/٢، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٦١/٣، والذُّرُّ المصون ٦١/٨.

٤ يُنظَرُ: المهذَّب في القراءات العشر ١٤٢/٢، والمقتبس من اللهجات العربيَّة والقرآنيَّة ٦٩.

٧. ومن القراءات القرآنيّة التي أوردتها ابن عاشور في أبنية الأفعال التي أصلها في الماضي يتردّد بين (فَعَلَ) الثلاثي و (أَفْعَلَ) الرباعي: قراءة ((فَأَجْمَعُوا)) من قوله ﷺ: ﴿فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوْنَا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾^{٦٤} ، فقد ذكر ابن عاشور في قراءة ((فَأَجْمَعُوا)) قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة ((فَأَجْمَعُوا)) بِهَمْزَةٍ قَطْعٍ وَكَسْرِ الْمِيمِ، ونسبها إلى الجُمهُورِ، ورواه أيضاً الطُّعَيْي عن عُبيد، وهارون عن أبي عمرو . وقد وجّه هذه القراءة على أنّها أمرٌ مِنَ الفعل الرباعي: (أَجْمَعُ أَمْرُهُ)، إِذَا جَعَلَهُ مُتَّفَقًا عَلَيْهِ لَا يُخْتَلَفُ فِيهِ . وهو لغة في (جمع) قاله الأخفش . وَوَجَّهَ صِبْغَةَ الْأَمْرِ (فَأَجْمَعُوا) على أنّها مُسْتَعْمَلَةٌ فِي التَّسْوِيَةِ، أَي إِنَّ عَزْمَهُمْ لَا يَضِيرُهُ، بِحَيْثُ هُوَ يُعْرِبُهُمْ بِأَخْذِ الْأَهْبَةِ التَّامَّةِ لِمُقَاوَمَتِهِ .

وجاء عن الطبري أنّه وجّه بمعنى: فأحكموا كيدكم، واعزموا عليه، من قولهم: أجمع فلان الخروج، وأجمع على الخروج، كما يقال: أزمع عليه، وذكر أنّ منه قول الشاعر:

يا ليت شعري والمنى لا تنفع هل أغدوّن يوماً وأمري مجمع

١ سورة طه / ٦٤ .

^٢ يُنظَر: التحرير والتنوير ١٦/٢٥٥، والسبعة في القراءات ٤١٩، والكشف عن وجوه القراءات ٢/١٠٠، والعنوان ١٣٠، والنشر ٢/٣٢١، وإتحاف الفضلاء ٤/٣٠٤، والتبيان في تفسير القرآن ٧/١٨٢، وحجة القراءات ٤٥٦، وجامع البيان ١٦/١٣٨، والجامع لأحكام القرآن ١١/٢٢٠، والتيسير ١٨٥، ومعاني القرآن، للقراء ٢/١٠٨، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/٣٦٥، والبحر المحيط ٦/٢٥٦، وغرائب القرآن ١٦/١٢٣، والتبصرة ٥٩٢، وشرح الشاطبيّة ٢٤٧/٢، والمبسوط ٢٩٦، والحجّة في القراءات السبع ٢٤٤، وإعراب القراءات السبع، وعللها ٢/٤٠، والمحزّر الوجيز ١٠/٥١، وزاد المسير ٥/٣٠٠، وإرشاد المبتدي ٤٣٥، والمكزّر ٨٢، ومعجم القراءات، للخطيب ٥/٤٥٤ .


^٣ يُنظَر: التحرير والتنوير ١٦/٢٥٥ .

^٤ يُنظَر: التبيان في إعراب القرآن ٢/٨٩٥، ومعجم القراءات، للخطيب ٥/٤٥٤ .

^٥ يُنظَر: التحرير والتنوير ١١/٢٣٩ .

^٦ البيت في (لسان العرب: جمع) ولم ينسبه، قال وجمع أمره وأجمع عليه: عزم عليه، كأنّه جمع نفسه له، والأمر مجمع. ويقال أيضاً: أجمع أمرك ولا تدعه منتشرأ، وقال آخر: ((يا ليت شعري والمنى لا تنفع هل أغدوّن يوماً وأمري مجمع))

يعني بقوله: (مجمع)؛ قد أحكم وعزم عليه، ومنه قول النبي ﷺ: ((مَنْ لَمْ يُجْمَعْ عَلَى الصَّوْمِ مِنَ اللَّيْلِ فَلَا صَوْمَ لَهُ)).^١

القراءة الثانية : قراءة ((فَأَجْمَعُوا)) بِهَمْزَةٍ وَصَلٍ وَبِفَتْحِ الْمِيمِ، ونسبها إلى أَبِي عَمْرٍو، وقرأها أيضاً يعقوب في رواية، والزهري، وابن محيصن، وأبو حاتم، واليزيدي، ووجه هذه القراءة على أنها أَمْرٌ مِنْ (جَمَعَ)، كَقَوْلِهِ ﷺ: ﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴾  ، وهو من الجمع الذي هو ضدُّ التفريق .^٤

ثم ذكر أنّ إجماع الأمر: العزم على الفعل بعد التردد بين فعله وفعله ضده. وهو مأخوذ من (الجمع) الذي هو ضد (التفريق)؛ لأنّ المتردد في ماذا يعملهُ تكون عنده أشياء متفرقة، فهو يتدبّر ويتأمل، فإذا استقر رأيه على شيءٍ منها فقد جمع ما كان متفرقاً. فجعل الهمزة فيه

وقوله تعالى: ((فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ)) أي وادعوا شركاءكم، قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله؛ لأنه لا يقال أجمعت شركائي، إنما يقال جمعت، وذكر عن الفراء أنّ الإجماع: الإعداد والعزيمة على الأمر، قال ونصب شركائي بفعل مضمر، كأنك قلت: فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم، ونقل عن أبي إسحاق تغليب الفراء في إضماره ((وادعوا شركاءكم)). لأنّ الكلام لا فائدة له. لأنهم كانوا يدعون شركاءهم لأنّ يجمعوا أمرهم. قال والمعنى فأجمعوا أمركم مع شركاءكم، وإذا كان الدعاء لغير شيء فلا فائدة فيه قالوا والواو بمعنى مع. كقولك: ((لو يركب الناقة وفصيلها لرضعها)) للمعنى لو يركب الناقة مع فصيلها، قال ومن قرأ: ((فأجمعوا أمركم وشركاءكم)) بألف موصولة فإنه يعطف شركاءكم على أمركم، قال ويجوز: ((فأجمعوا أمركم مع شركاءكم)). يُنظر: حاشية أحمد ومحمود شاكر، على جامع البيان ٣٣٣/١٨، ولسان العرب (جمع) ٥٣/٨، (زني) ٣٥٦/١٤.

^١ يُنظر: وجامع البيان ١٣٨/١٦.

^٢ يُنظر: التحرير والتنوير ٢٥٥/١٦، والسبعة في القراءات ٤١٩/، والكشف عن وجوه القراءات ١٠٠/٢، والعنوان ١٣٠/، والنشر ٣٢١/٢، وإتحاف الفضلاء ٣٠٤/، والتبيان في تفسير القرآن ١٨٢/٧، وحجة القراءات ٤٥٦/، وجامع البيان ١٣٨/١٦، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٠/١١، والتيسير ١٨٥/، ومعاني القرآن، للقرآن ١٠٨/٢، ومعاني القرآن وإعراجه ٣٦٥/٣، والبحر المحيط ٢٥٦/٦، وغرائب القرآن ١٢٣/١٦، والتبصرة ٥٩٢/، وشرح الشاطبية ٢٤٧/، والمبسوط ٢٩٦/، والحجّة في القراءات السبع ٢٤٤/، وإعراب القراءات السبع، وعللها ٤٠/٢، والمحرر الوجيز ٥١/١٠، وزاد المسير ٣٠٠/٥، وإرشاد المبتدي ٤٣٥/، والمكرر ٨٢/، ومعجم القراءات، للخطيب ٤٥٤/٥.

^٣ سورة طه / ٦٠.

^٤ يُنظر: التحرير والتنوير ٢٥٦/١٦، والتبيان في إعراب القرآن ٨٩٥/٢.

لِلجَعْلِ، أَي جَعَلَ أَمْرَهُ جَمْعًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مُتَفَرِّقًا. وَيَقُولُونَ: جَاءُوا وَأَمَرُهُمْ جَمِيعٌ، أَي مَجْمُوعٌ غَيْرُ مُتَفَرِّقٍ بِوُجُوهِ الاختِلَافِ .

وجاء عن الطبري أنه من جمعت الشيء، كأنه وجهه إلى معنى: فلا تدعوا من كيدكم شيئاً إلا جئتم به. وذكر أن بعض قارئيه هذه القراءة يعتلّ فيما ذكر لي لقراءته ذلك كذلك بقوله: ﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴾^{٦٠} ، ثُمَّ رَجَّحَ الطبري قراءة الهمز (فَأَجْمَعُوا) على إثمها من أجمع؛ محتجاً بإجماع الحجة من القراء عليه، وأنّ السحرة هم الذين كانوا به معروفين، فقال: إنه لا وجه لأن يُقال لهم: أجمعوا ما دعيتم له ممّا أنتم به عالمون؛ لأنّ المرء إنما يجمع ما لم يكن عنده إلى ما عنده، ولم يكن ذلك يوم تزيّد في علمهم بما كانوا يعملونه من السحر، بل كان يوم إظهاره، أو كان متفرّقا ممّا هو عنده، بعضه إلى بعض، ولم يكن السحر متفرّقا عندهم فيجمعونه، وردّ على المحتجّين بقوله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴾^{٦٠} ، أنّ قوله (فَجَمَعَ كَيْدَهُ) بأنّه غير شبيه المعنى بقوله: (فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ)، وذلك أنّ فرعون كان هو الذي يجمع ويحتفل بما يغلب به موسى ممّا لم يكن عنده مجتمعاً حاضراً، فقيل: ((فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى)).

٢. (فَعَلَ) و (فَعَّلَ) بالتخفيف والتشديد

ومما ذكره ابن عاشور من القراءات القرآنيّة التي وردت في أبنية الأفعال في المجرّد والمزيد المتردّد بين (فَعَلَ) ، و (فَعَّلَ) بالتخفيف والتشديد قراءة :

١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٣٨/١١ .

٢ سورة طه /٦٠ .

٣ سورة طه /٦٠ .

٤ يُنظَرُ : وجامع البيان ١٣٨/١٦ .

١ . (فَرَقْنَا) من قوله ﷺ : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ

نُنظَرُونَ ﴿٥٠﴾ ، حيث ذكر اتِّفَاق القراءات المتواترة العشر على قراءة (فَرَقْنَا) بالتخفيف ، ولم يذكر قراءة التضعيف التي قرأ بها الزهري (فَرَقْنَا) بتشديد الرَّاء على (فَعَّلَ) ، وهي قراءة شاذة ، تفيد التكثير ، وإيما وجه هاتين القراءتين ، حيث قال: إِنَّ (فَرَّقَ) و(فَرَّقَ) بالتخفيف والتشديد بمعنى واحد ، فالتشديد يفيد تعدية ، ومعناه الفصل بين أجزاء شيء متَّصل الأجزاء ، غير أن (فَرَّقَ) يدلُّ على شدَّة التفرقة ؛ وذلك إذا كانت الأجزاء المفرقة أشدَّ اتصالاً ، وقد قيل إِنَّ (فَرَّقَ) للأجسام ، و (فَرَّقَ) للمعاني ، فالوجه أن (فَرَّقَ) بالتشديد لما فيه علاج ومحاوله ، وأن (فَرَّقَ) المخفَّف ، و (فَرَّقَ) المشدَّد كليهما حقيقة في فصل الأجسام ، وأمَّا في فصل المعاني الملتبسة فمجاز . وقد اتَّفقت القراءات المتواترة العشر على قراءة (فَرَقْنَا) بالتخفيف ، والتخفيف منظور فيه إلى عظيم قدرة الله تعالى فكان ذلك الفرق الشَّدِيد خفيفاً .

وقال الزمخشري: إِنَّ (فَرَقْنَا) فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم . وقد فُرىءَ : (فَرَقْنَا) ، بمعنى فصلنا . يقال : فرق بين الشيئين ، وفرق بين الأشياء ؛ لأنَّ المسالك كانت اثني عشر على عدد الأسباب .

وقال ابن عاشور في المقدمة الأولى لتفسيره حول (فَعَّلَ) و (فَعَّلَ) عندما تحدَّث عن معنى (التفسير) : إِنَّ التفسير مصدر (فَسَّرَ) بتشديد السين الذي هو مضاعف (فَسَّرَ) بالتخفيف من بابي (نَصَرَ) و(ضَرَبَ) الذي مصدره (الفسر) ، وكلاهما فعل متعدِّ فالتضعيف لم يأتٍ للتعدية ، وأنَّ المصدرين والفعلين متساويان في المعنى ، وقيل يختص المضاعف

١ سورة البقرة / ٥٠ .

٢ التحرير والتنوير ١ / ٤٩٤ .

٣ يُنظر: المحكم ٣/٢١٨، والمحزَّز الوجيز ١/٧٦، والمختصر ٥/، والمختص ١/٨٢، والجامع لاحكام القرآن ١/٣٨٧، ولسان العرب (فرق)، والبحر ١/١٩٧، ومختصر في شواذ القرآن ٥/، وإعراب القرآن، للنحاس ١/١٧٣، والمخصَّص ١٠/١٩ .

٤ يُنظر أنوار البروق في أنواع الفروق ١ / ٤ .

٥ التحرير والتنوير ١ / ٢٨٩ .

٦ يُنظر : الكشَّاف ١/٩٠ ، ومفاتيح الغيب ٢ / ٩٨ ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/٨٧ ، ومدارك التنزيل ١/٤٦ .

بإبانة المعقولات ، وكأنَّ وجهه أنَّ بيان المعقولين يكلف الذي بيّنه كثرة القول، كقول أوس بن حجر :

الْأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ لَكَ الْـ ظَنَّ كَأَنَّ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

فكان تمام البيت تفسيراً لمعنى الألمي ، وكذلك الحدود المنطقية المفسرة للمواهي والأجناس، لا سيما الأجناس العالمية الملقبة بالمقولات ، فناسب أن يخصَّ هذا البيان بصيغة المضاعفة ، بناء على أنَّ (فَعَّلَ) المضاعف إذا لم يكن للتعدية كان المقصود منه الدلالة على التكرير من المصدر ، وذكر عن أبي عمرو عثمان الدويني : و (فَعَّلَ) للتكرير غالباً ، وقد يكون التكرير في ذلك مجازياً واعتبارياً بأن ينزل كدَّ الفكر في تحصيل المعاني الدقيقة ، ثمَّ في اختيار أضبط الأقوال لإبانتها منزلة العمل الكثير ، واستدلَّ بقوله ﷺ : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ (٣٣) . فأما إذا كان فعل المضاعف للتعدية ؛ فإنَّ إفادته التكرير مختلف فيها ، والتحقيق أنَّ المتكلم قد يعدل عن تعدية الفعل بالهمزة إلى تعديته بالتضعيف ؛ لقصد الدلالة على التكرير ، لأنَّ المضاعف قد عرف بتلك الدلالة في حالة كونه فعلاً لازماً ، فقارنته تلك الدلالة عند استعماله للتعدية مقارنة تبعية . ولذلك قال في خطبة الكشّاف : ((الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظماً ، ونزله على حسب المصالح منجماً)) ؛ فقال المحققون من شراحه : جمع بين (أنزل) و (نزل) لما في (نزل) من الدلالة على التكرير ، الذي يناسب ما أراه العلامة من التدرج والتنجيم .

^١ القصيدة على بحر المنسرح مطلعها :

أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعَا إِنَّ الَّذِي تَحَذِرِينَ قَدْ وَقَعَا

^٢ (فَعَّلَ) في الغالب للتكرير كفتح الأبواب للتعيمير (رقم البيت : ٩٦) . يُنْظَرُ : الشافية / ٢٢ .

^٣ حيث قال : ((وفعل للتكرير غالباً نحو : غلقت ، وقطعت ، وجولت ، و طوّفت ، وموت المال)) الشافية / ١٩ ، وقال

أيضاً : ((فَعَّلَ) في الغالب للتكرير كفتح الأبواب للتعيمير)) (رقم البيت : ٩٦) الشافية / ٢٢ .

^٤ سورة الفرقان / ٣٣ .

^٥ يُنْظَرُ : الكشّاف / المقدمة .

^٦ مقدمة التحرير والتنوير / ١ / ٢ - ٣ .

ثم نقل عزواً (شهاب الدين القرافي) إلى شيخه (شمس الدين الحُسْرُو) أنَّ العرب فرَّقوا بين (فرَّق) بالتخفيف ، و (فرَّق) بالتشديد، فجعلوا الأوَّل للمعاني ، والثاني للأجسام ، فقال : ((وعزا شهاب الدين القرافي - في أوَّل (أنوار البروق) - إلى بعض مشايخه أنَّ العرب فرَّقوا بين (فرَّق) بالتخفيف ، و (فرَّق) بالتشديد ، فجعلوا الأوَّل للمعاني، والثاني للأجسام؛ بناء على أنَّ كثرة الحروف تقتضي زيادة المعنى أو قوته، والمعاني لطيفة يناسبها المخفَّف ، والأجسام كثيفة يناسبها التشديد ، واستشكله هو بعدم اطراده، وهو ليس من التحرير بالمحلِّ اللائق ، بل هو أشبه باللطائف منه بالحقائق ، إذ لم يراعِ العرب في هذا الاستعمال معقولاً ، ولا محسوساً ، وإمَّا راعوا الكثرة الحقيقية ، أو المجازية كما قرَّنا، ودلَّ عليه استعمال القرآن ، ألا ترى أنَّ الاستعمالين ثابتان في الموضع الواحد، كقوله تعالى: ﴿ وَرَأَى أَنَا فَرَقْتَهُ ﴾ ، قرىء بالتشديد ، والتخفيف ، وقال تعالى حكاية لقول المؤمنين: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾)) .

وقال شهاب الدين القرافيُّ بعد أن ذكر تفريق العرب بين (فرَّق) بالتخفيف و (فرَّق) بالتشديد : إنَّ الأوَّل في المعاني ، والثاني في الأجسام ، ووجهُ المناسَبَةِ فِيهِ أنَّ كثرة الحُرُوفِ عِنْدَ الْعَرَبِ تَقْتَضِي كَثْرَةَ الْمَعْنَى أَوْ زِيَادَتَهُ أَوْ قُوَّتَهُ ، وَالْمَعَانِي لَطِيفَةٌ وَالْأَجْسَامُ كَثِيفَةٌ فَنَاسَبَهَا التَّشْدِيدُ وَنَاسَبَ الْمَعَانِي التَّخْفِيفُ : وقد ((وَقَعَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى خِلَافَ ذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴾)) ، فَخَفَّفَ فِي

١ يعني الإمام شمس الدين الحُسْرُو شَاهِي ، يُنظَرُ غَمَزُ عِيُونِ الْبَصَائِرِ فِي شَرْحِ الْأَشْبَاهِ وَالنِّظَائِرِ ٨ / ٦٥ .

٢ الاسراء / من الآية ١٠٦ .

٣ بتشديد الرَّاءِ قِراءَةُ شَاذَةٌ ، وَهِيَ قِراءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ ؓ ، وَالشَّعْبِيُّ ، وَعَكْرَمَةُ ، وَقِتَادَةُ ، وَهِيَ أَيْضاً قِراءَةُ عَلِيِّ ، وَابْنِ مَسْعُودٍ ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَمُجَاهِدٍ وَأَبِي رَجَاءٍ ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ، وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَحَمِيدُ الْأَعْرَجِ . يُنظَرُ تَهْدِيدُ اللُّغَةِ ٩/١٠٥ ، وَجَامِعُ الْبَيَانِ ١٥ / ١٧٨ ، الصَّحَّاحُ وَلِسَانُ الْعَرَبِ (فرَّق) ، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ ، لِلْفَرَّاءِ ٢/١٣٣ ، إِعْرَابُ النَّحَّاسِ ٢/٢٦٣ ، وَالْمَخْتَصَرُ ٧٧/ ، وَالْمَحْتَسَبُ ٢/٢٣ ، وَالْبَحْرُ الْمَحِيطُ ٦/٨٧ .

٤ البقرة : من الآية ٢٨٥ .

٥ مقدمة التحرير والتنوير ١ / ٣ . وَيُنظَرُ غَمَزُ عِيُونِ الْبَصَائِرِ فِي شَرْحِ الْأَشْبَاهِ وَالنِّظَائِرِ ٨ / ٦٥ .

٦ سورة البقرة / ٥٠ .

١
 الْبَحْرِ وَهُوَ جِسْمٌ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ ٢٥ ، وَجَاءَ
 عَلَى الْقَاعِدَةِ ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ يَنْفَرَقَا يُعْنِ اللَّهُ كِلَا مَنِ سَعَتِهِ ٤ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا
 حَكِيمًا ﴾ ١٣٠ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ
 ٤ وَزَوْجِهِ ﴾ ، وَ ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ ١ ، وَلَا
 نَكَادُ نَسْمَعُ مِنَ الْفُقَهَاءِ إِلَّا قَوْلَهُمْ : مَا الْفَارِقُ بَيْنَ الْمَسْأَلَتَيْنِ ؟ وَلَا يَقُولُونَ : مَا الْمَفْرُقُ بَيْنَهُمَا ؟
 بِالتَّشْدِيدِ ، وَمُقْتَضَى هَذِهِ الْقَاعِدَةِ أَنْ يَقُولَ السَّائِلُ : أَفْرُقْ لِي بَيْنَ الْمَسْأَلَتَيْنِ ، وَلَا يَقُولَ فَرِّقْ
 لِي ، وَلَا بِأَيِّ شَيْءٍ تُفَرِّقُ ، مَعَ أَنَّ كَثِيرًا يَقُولُونَهُ فِي الْأَفْعَالِ دُونَ اسْمِ الْقَاعِلِ ((.

٥
 وقال شهاب الدين الحموي بعد أن نقل كلام (شهاب الدين القرآبي) السابق : ((أَقُولُ
 الْقَاعِدَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا الْحُسْرُو شَاهِي أَعْلِيَّةٌ لَا كَلِيَّةٌ ، كَمَا هُوَ شَأْنُ الْقَوَاعِدِ الْأَدْبِيَّةِ وَالْفِصْهِيَّةِ
 ٦ بِخِلَافِ قَوَاعِدِ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ ، فَإِنَّهَا كَلِيَّةٌ أَبَدًا)) .

٧
 وقال ابن منظور : ((روي عن عبيد بن عمير الليثي أَنَّهُ قرأ (فافرق) بيننا بكسر الراء،
 وفَرَّقَ بينهم كَفَرَّقَ هذه عن اللحياني ، وتَفَرَّقَ القوم تَفَرَّقًا ، وتَفَرَّقًا .. ، فَرَّقْتُ بين الشيئين أَفَرَّقُ
 فَرَقًا وفَرَقَانًا وفَرَّقْتُ الشيءَ تَفَرِّقًا وتَفَرِّقَةً فانفَرَقَ وافْتَرَقَ وتَفَرَّقَ ، قال: وفَرَّقْتُ أَفَرَّقُ بين الكلام،
 وفَرَّقْتُ بين الأجسام .. والفُرْقَةُ مصدر الافتراقِ قال ، الأزهري الفُرْقَةُ اسم يوضع موضع المصدر
 الحقيقي من الافتراقِ ... وفارَقَ الشيءَ مُفَارَقَةً وفِرَاقًا بآيْنُهُ، والاسم الفُرْقَةُ وتَفَارَقَ القومُ فَارَقَ
 بعضهم بعضًا، وفَارَقَ فلان امرأته مُفَارَقَةً وفِرَاقًا بآيْنِهَا، والفِرْقُ والفِرْقَةُ والفِرِيقُ الطائفة من الشيء

١ سورة المائدة / من آية ٢٥ .

٢ سورة النساء / ١٣٠ .

٣ سورة البقرة / من آية ١٢٠ .

٤ سورة الفرقان / ١ .

٥ أنوار البروق في أنواع الفروق / ٤ ، ويُنظَرُ / ١٧ - ١٨ .

٦ يُنظَرُ : أنوار البروق في أنواع الفروق / ٤ .

٧ غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر ٨ / ٦٥ .

الْمُتَفَرِّقِ ، وَالْفِرْقَةَ طَائِفَةً مِنَ النَّاسِ ، وَالْفَرِيقُ أَكْثَرُ مِنْهُ ... وَالْفَرَقُ تَفْرِيقٌ مَا بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ حِينَ يَتَفَرَّقَانِ ، وَالْفَرَقُ الْفَصْلُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ ؛ فَرَقَ يَفْرِقُ فَرَقًا فَصْلًا ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَلْفَرَقْتِ فَرَقًا ﴾ ٤ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ ﴾ أَي: فَصَلَّنَاهُ وَأَحْكَمْنَاهُ، مَنْ خَفَّفَ قَالَ : بَيَّنَّاهُ ، مِنْ فَرَقَ يَفْرِقُ ، وَمَنْ شَدَّدَ قَالَ : أَنْزَلْنَاهُ مُفَرَّقًا .. قُرِئَ (فَرَقْنَاهُ)، وَ(فَرَقْنَاهُ) أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ جَمَلَةً إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا ثُمَّ نَزَلَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي عَشْرِينَ سَنَةً، فَرَقَهُ اللَّهُ فِي التَّنْزِيلِ؛ لِيَفْهَمَهُ النَّاسُ، وَقَالَ اللَّيْثُ: مَعْنَاهُ أَحْكَمْنَاهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ ٤ ، أَي يُفَصَّلُ ، وَقَرَأَهُ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ مَخْفَفًا وَالْمَعْنَى أَحْكَمْنَاهُ وَفَصَلَّنَاهُ ، وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (فَرَقْنَاهُ) بِالثَّقِيلِ يَقُولُ لَمْ يَنْزَلْ فِي يَوْمٍ وَلَا يَوْمَيْنِ نَزَلَ مُتَفَرَّقًا، وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا (فَرَقْنَاهُ) مَخْفَفَةً ، (وَفَرَقَ) الشَّعْرَ بِالْمَشْطِ يَفْرِقُهُ وَيَفْرِقُهُ فَرَقًا، (وَفَرَقَهُ) سَرَّحَهُ، وَ (الْفَرَقُ) مَوْضِعُ الْمَفْرُقِ مِنَ الرَّأْسِ، وَ (فَرَقَ الرَّأْسَ) مَا بَيْنَ الْجَبِينِ إِلَى الدَّائِرَةِ) .

٤

١ سورة المرسلات / ٤ .

٢ الاسراء / من الآية ١٠٦ .

٣ سورة الدخان / ٤ .

٤ لسان العرب - ١٠ / ٢٩٩ ، (فرق) .

المبحث الثالث : اختلاف أبنية المصَادِر، والمشتقات،

والجموع في القراءات القرآنية

المصدر : هو الاسم الذي يأتي ثالثاً في التصريف متضمناً الحدث نحو : (ضَرَبَ يَضْرِبُ ضَرْباً) ، و (صَرَخَ يَصْرُخُ صُرَاخاً) ، و (عَوَى يَعْوِي عَوَاءً) ، و (يَبَسَ يَبْسُ يَبُوسَةً) ، و (دَخَرَخَ يُدَخِرُخُ دَخْرَجَةً) ، و (كَبَرَ يُكْبِرُ تَكْبِيراً) ، و (تَمَتَّى يَتَمَتَّى تَمْتِيّاً) ، و (اعشَوْشَبَ يَعشَوْشَبُ اعشِيشَاباً) ، ونحوها . (فَضْرَباً وَصُرَاخاً وَعَوَاءً وَيَبُوسَةً وَدَخْرَجَةً وَتَكْبِيراً وَتَمْتِيّاً وَاعشِيشَاباً) مصادر مختلفة جاءت ثالثاً في التصريف وقد تضمنت الحدث . فكلمة ضرباً دلّت على إحداث الضرب وكلمة عواء دلّت على إحداث الإعواء وقس على ذلك بقية الألفاظ المذكورة ونحوها .

أولاً: اختلاف أبنية المصَادِر للفاعل الواحد في القراءات القرآنية

١. (فَعَلٌ) بفتح الفاء ، و (فُعَلٌ) بضمِّها :

هذان بناءان للمصدر من الفعل الثلاثي المتعدّي على (فَعَلَ) و (فَعِلَ) بفتح العين في الماضي وكسرهما ، أحدهما قياسي وهو (فَعَلٌ) بفتح الفاء ، نحو : (قَتَلَ ، قَتَلًا) ، و (فَهَمَ ، فَهَمًا) ، والآخر سماعي ، نحو : (شَكَرَ ، شُكْرًا) ، و (شَرِبَ ، شُرْبًا) . وفي القراءات التي ذكرها ابن عاشور في كتابه التحرير والتنوير كثير من صور اختلاف أبنية المصادر للفاعل الواحد ، ومما ورد بالبنايين السابقين للمصدرين في القراءات القرآنية التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره :

^١ يُنظَر : نزهة الطرف شرح بناء الأفعال في علم الصرف / ٧٣ - ٧٤ .

١. قراءة (قَرِحٌ) من قوله ﷺ: ﴿إِنْ يَمَسَّكُمْ قَرِحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرِحٌ﴾

مَثَلُهُ، وَتِلْكَ الْآيَاتُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ

وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور^١ في قراءة (قرح) قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة فتح القاف (قَرِحٌ) ونسبها إلى جمهور القراء ، وهم ابن كثير ،

ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحفص عن عاصم ، وأبو جعفر ، ويعقوب ، وذكر أنها بالفتح لغة قريش (الحجاز) بمعنى الجرح ، وقد رجَّح الطبري هذه القراءة .^٣

القراءة الثانية : قراءة ضم القاف (قُرِحٌ) ونسبها إلى حمزة والكسائي ، وأبي بكر عن

عاصم ، وخلف ، وقرأ بها أيضاً الأعمش وعبدالله بن مسعود وأصحابه ، وهي لغة لغير قريش .

^١ سورة آل عمران / ١٤٠ .

^٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ٤ / ٩٩ ، وجامع البيان ٤ / ٦٧ ، والنشر ٢ / ٢٤٢ ، والكشاف ١ / ٣٥١ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١١ / ٤٧٠ ، ومعاني القرآن ، للأخفش ١ / ٢١٥ ، ومعاني القرآن ، للقرآني ، ١ / ٢٣٤ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١ / ١١٩ ، وحجّة القراءات / ١٧٤ ، وإعراب القرآن ، للنحاس ١ / ٣٦٦ ، والمحتسب ١ / ١٦٦ ، ومشكل إعراب القرآن ١ / ١٥٩ ، والحجّة في القراءات السبع / ١١٤ ، والحجّة للقراء السبعة ٣ / ٧٩ ، والكشف عن وجوه القراءات ١ / ٣٥٦ ، وشرح الشاطبية / ١٧٥ ، ومجمّع البيان ٤ / ٢٠٧ ، وزاد المسير ١ / ٤٦٦ ، وإتحاف فضلاء البشر ١٧٩ / ، والتيسير / ٩٠ ، والمخصّص ٥ / ٩٠ ، والبحر المحيط ٣ / ٦٢ ، والسبعة في القراءات / ٢١٦ ، والمحزّر الوجيز ٣ / ٣٣٩ ، وروح المعاني ٤ / ٦٧ ، والتذكرة في القراءات الثمان / ٢٩٣ ، والدُّرُّ المصون ٢ / ٢١٥ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ١ / ٥٧٨ .

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ٤ / ٩٩ ، وجامع البيان ٤ / ٦٧ .

^٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ٤ / ٩٩ ، وجامع البيان ٤ / ٦٧ ، والنشر ٢ / ٢٤٢ ، والكشاف ١ / ٣٥١ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١١ / ٤٧٠ ، ومعاني القرآن ، للأخفش ١ / ٢١٥ ، ومعاني القرآن ، للقرآني ، ١ / ٢٣٤ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١ / ١١٩ ، وحجّة القراءات / ١٧٤ ، وإعراب القرآن ، للنحاس ١ / ٣٦٦ ، والمحتسب ١ / ١٦٦ ، ومشكل إعراب القرآن ١ / ١٥٩ ، والحجّة في القراءات السبع / ١١٤ ، والحجّة للقراء السبعة ٣ / ٧٩ ، والكشف عن وجوه القراءات ١ / ٣٥٦ ، وشرح الشاطبية / ١٧٥ ، ومجمّع البيان ٤ / ٢٠٧ ، وزاد المسير ١ / ٤٦٦ ، وإتحاف فضلاء البشر ١٧٩ / ، والتيسير / ٩٠ ، والمخصّص ٥ / ٩٠ ، والبحر المحيط ٣ / ٦٢ ، والسبعة في القراءات / ٢١٦ ، والمحزّر الوجيز ٣ / ٣٣٩ ، وروح المعاني ٤ / ٦٧ ، والتذكرة في القراءات الثمان / ٢٩٣ ، والدُّرُّ المصون ٢ / ٢١٥ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ١ / ٥٧٨ .

وقراءة الفتح (قَرَحَ) رَجَّحَهَا كما سبق الطبري ، وأبو علي ، وردَّ عليهم ذلك أبو حيان ، ووافق ابن عاشور وغيره ، إذ كلا القراءتين متواترة . وهما لغتان . وقال الفراء: كأنَّ (القَرَحَ) بالضمِّ ألمُّ الجراحات ، وكأنَّ القَرَحَ بالفتح الجراح بأعيانها ، وذهب الكسائي والأخفش إلى أنَّهما واحد .

و (القَرَحَ) بفتح القاف في لغة قريش الجرح ، أو الجراحات وألمها ، وبضمِّها (القَرَحَ) في لغة تميم ، مثل : (الجُهْدُ ، والجُهْدُ) ، و (الضُّعْفُ ، والضُّعْفُ) ، و (الكَرْهُ ، والكَرْهُ) ، وجاء عن الأخفش : أنَّهما مصدران لِقَرَحَ يَقْرَحُ قَرَحًا ، وهما لغتان فصيحتان ، وأنَّه مستعمل هنا في غير حقيقته ، بل هو استعارة للهِزِمة التي أصابتهم ، فإنَّ الهزيمة تشبَّه بالثلمة وبالانكسار ، فشَبَّهت هنا بالقرح حين يصيب الجسد ، ولا يصحَّ أن يراد به الحقيقة لأنَّ الجراح التي تصيب الجيش لا يعبأ بها إذا كان معها النصر ، فلا شكَّ أنَّ التسلية وقعت عمَّا أصابهم من الهزيمة .

٢ . قراءة (كُرِهَ) من قوله ﷻ: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ

تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا

تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ، ومن قوله ﷻ: ﴿ أَغْيِرْ دِينَ اللَّهِ يَبْغُوكَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٨٣﴾ ، ومن قوله ﷻ: ﴿

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا

ءَاتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ

١ يُنظَرُ : معاني القرآن ، للأخفش ٢١٥/١ ، ومعاني القرآن ، للفراء ٢٣٤/١ ، والحجَّة للقراء السبعة ٧٩/٣ ، والبحر المحيط ٦٢/٣ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٥٧٨/١ .

٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٩٩ / ٤ ، واللغات في القرآن / ٢١ .

٣ يُنظَرُ : والحجَّة للقراء السبعة ٧٩/٣ ، والكشف عن وجوه القراءات ٣٥٦/١ .

٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٩٩ / ٤ ، والقراءات القرآنية في المعجمات اللغوية / ١٥٣ .

٥ سورة البقرة / ٢١٦ .

٦ سورة آل عمران / ٨٣ .

أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ، ومن قوله ﷺ: ﴿ قُلْ أَنْفِقُوا

طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُنْقَبَلَ مِنْكُمْ إِنِّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ ، ومن قوله ﷺ: ٢

٣ ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظَلَّلَهُمْ بِالْغُدُورِ وَالْأَصَالِ ﴿١٥﴾ ، ومن

قوله ﷺ: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا

طَائِعِينَ ﴿١١﴾ ، ومن قوله ﷺ: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا

وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ

أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي

فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ .

فقد ذكر ابن عاشور في قراءة (كُرْهٌ) من قوله ﷺ: ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ

كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ

يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ قراءتين ، حيث ذكر أنها فُرئت بالوجهين ، وهما:

٧ . القراءة الأولى : قراءة فتح الكاف (كُرْهٌ) ، ونسبها إلى جمهور القراء .

القراءة الثانية : قراءة ضم الكاف (كُرْهٌ) ، ونسبها إلى الكسائي وخلف ، وعدَّهما

٨

لغتان مشهورتان بمعنى واحد .

١ سورة النساء / ١٩ .

٢ سورة التوبة / ٥٣ .

٣ سورة الرعد / ١٥ .

٤ سورة فصلت / ١١ .

٥ سورة الأحقاف / ١٥ .

٦ سورة البقرة / ٢١٦ .

٧ يُنظر : التحرير والتنوير ٢ / ٣٢٠ ، ٤ / ٢٨٤ .

٨ يُنظر : التحرير والتنوير ٢ / ٣٢٠ ، ٤ / ٢٨٤ .

وذكر أنّ (الكُره) بضم الكاف : الكراهية ونفرة الطبع من الشيء ومثله الكره بالفتح على الأصح ، وقيل : الكُره بالضم المشقة ونفرة الطبع ، وبالفتح هو الإكراه وما يأتي على الإنسان من جهة غيره من الجبر على فعل ما بأذى أو مشقة ، ولم يكن هنا ولا في الآيات الأخرى معنى للإكراه تعيّن أن يكون بمعنى الكراهية وإبابة الطبع ، كما قال المهلهل بن ربيعة :
بُكْرُهُ سَرَاتِنَا يَا آلَ عَمْرٍو نُعَادِيكُمْ بِمُرْهَقَةِ النَّصَالِ
نُعَادِيهِنَّ يَوْمَ الرَّوْعِ عَنَّا وَإِنْ كَانَتْ مُثَلَّمَةَ النَّصَالِ
رووه بضم الكاف وبفتحها . وقوله تعالى بعد ذلك : ((وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ)) الوارد مورد التذييل : دليل على أنّ ما قبله مصدر بمعنى الكراهية ؛ ليكون جزئياً من جزئيات أن تكرهوا شيئاً .

وذكر عن الزمخشري أنّه تحمّل الحمل المفتوح في هذه الآية والآية الأخرى على المجاز ، وتقرير الطيبي والتفتازاني له بما فيه تكلف ، فقد قال الزمخشري : إنّ قوله تعالى : ((وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ)) من الكراهة بدليل قوله : ((وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا)) ، ثمّ إمّا أن يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة ، كقول الخنساء :
تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ ، حَتَّى إِذَا اذْكَرَتْ فَايْمًا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ

١ وفي رواية (صِقَالٍ) بدلا من (النَّصَالِ) .

٢ يُنظَرُ : ديوان الحماسة ١ / ٦١ ، والأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين ، و التذكرة السعدية / ٥ ، وشرح ديوان الحماسة، المرزوقي : أبو علي ، أحمد بن محمد بن الحسن ، (ت ٤٢١ هـ) نشره : أحمد أمين ، وعبد السلام هارون ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط ١ ، ١٩٥٣ م / ١ / ٥٩ .

٣ قوله ﷺ : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ .

٤ يُنظَرُ : ديوان الخنساء / ٧٨ ، وشرح ديوانها / ٢٢٩ ، والكتاب ١ / ٣٣٧ ، والكامل ١ / ٣٧٤ ، والمقتضب ٣ / ٢٣٠ ، وشرح أبيات سيبويه ١ / ١٨٨ ، والخصائص ٢ / ٢٠٣ ، وشرح المفصل ١ / ١١٥ ، والخصائص ٢ / ٢٠٣ ، ٣ / ١٨٩ .

كأنه في نفسه لفرط كراحتهم له . وإمّا أن يكون فعلاً بمعنى مفعول ك (الحُبْز) بمعنى (المخبوز) ، أي وهو مكروه لكم . وذكر الزمخشري أيضاً إنّ السلمي قرأ - بالفتح - (كُرْهٌ) على أن يكون بمعنى المضموم ، ك (الضَّعْف) ، و (الضُّعْف) ، وأنه يجوز أن يكون بمعنى الإكراه على طريق المجاز ، كأنهم أكرهوا عليه لشدة كراحتهم له ومشقته عليهم . وذكر أنّ منه قوله تعالى : ((حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا)) ، وعلى قوله تعالى : ((وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا)) جميع ما كلفوه ، فإنّ النفوس تكرهه وتفر عنه وتحب .

٢

ثمّ قال ابن عاشور : إنّ القتال كرهه للنفوس ؛ لأنّه يحول بين المقاتل وبين طمأنينته ولذاته ونومه وطعامه وأهله وبيته ، ويلجئ الإنسان إلى عداوة من كان صاحبه ويعرضه لخطر الهلاك أو ألم الجراح ، ولكنّ فيه دفع المذلّة الحاصلة من غلبة الرجال واستضعافهم ، وأنّ القتال من الضرورات التي لا يحبّها الناس إلّا إذا كان تركها يفضي إلى ضررٍ عظيم ، واستدلّ بقول العُقيلي :

وَنَبِّكِي حِينَ نَفْسُكُمْ عَلَيْنِكُمْ وَنَفْسُكُمْ كَانَتْ لَنَا لَا نُبَالِي

وذكر ابن عاشور في قراءة (كُرْهًا) من قوله ﷺ : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ

لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كُرْهًا وَلَا تَعْمَلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ

بِفَحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ

اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ قراءتين : ٤

القراءة الأولى : قراءة فتح الكاف (كُرْهًا) ، ونسبها إلى جمهور القراء .

، والمحکم والمحيط الأعظم ٢ / ١٦٩ ، ٤٢٧/٦ ، ٦٢٩/٨ ، وتاج العروس ٤ / ٢١٠ ، ٣١٦/١٩ ، ٢١٨/٣٠ ، وشرح نهج البلاغة ٧ / ١٩٩ ، ولسان العرب (لعب) ١ / ٧٣٩ ، (خدج) ٢ / ٢٤٨ ، (رهط) ٧ / ٣٠٥ ، (قبل) ١١ / ٥٣٤ ، (سوا) ١٤ / ٤٠٨ ، و علل النحو / ٣٦٣ .

١ سورة الأحقاف / ١٥ .

٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢ / ٣٢٠ ، والكشاف ١ / ٢٥٨ .

٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢ / ٣٢٠ - ٣٢١ ، وديوان الحماسة ١ / ٦٢ .

٤ سورة النساء / ١٩ .

٥ يُنظَر : التحرير والتنوير ٤ / ٢٨٤ .

القراءة الثانية : قراءة ضمّ الكاف (كُرْهَاً) ، ونسبها إلى الكسائي وخلف، وعدّهما لغتان مشهورتان بمعنى واحد .

وذكر ابن عاشور في قراءة (كُرْهَاً) من قوله ﷺ: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِضْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ١٥ قراءتين : ٢

٣ القراءة الأولى : قراءة فتح الكاف (كُرْهَاً) ، ونسبها إلى جمهور القراء .
٤ القراءة الثانية : قراءة ضمّ الكاف (كُرْهَاً) ، ونسبها إلى عاصم وحمزة والكسائي وابن ذكوان عن ابن عامر ويعقوب .

ثمّ قال : إنّ الكره بفتح الكاف وبضمها مصدر أكره ، إذا امتعض من شيء ، أي كان حمله مكروهاً لها ، أي حالة حمله وولادته لذلك .
ومن كلّ ذلك يمكن أن نخلص إلى أنّ :

(الكُرَّةُ) ، و (الكُرَّةُ) ذكره الله عزّ وجلّ في غير ما موضع من كتابه العزيز، واختلف القراء في فتح الكاف ، وضمّها ، فزوي عن أحمد بن يحيى أنّه قال قرأ نافع وأهل المدينة في سورة البقرة ((وهو كُرَّةٌ لكم)) من قوله ﷺ: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا

١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٤ / ٢٨٤ .

٢ سورة الأحقاف / ١٥ .

٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٦ / ٢٩ .

٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٦ / ٢٩ .

٥ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٦ / ٢٩ .

تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ بالضمّ في هذا الحرف خاصة ، وسائر القرآن بالفتح (كَرِهَ) ، وكان عاصم يضمُّ هذا الحرف أيضاً واللذين في الأحقاف : ((حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا)) من قوله ﷺ: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ، ويقرأ سائرهن بالفتح ، وكان الأعمش وحمزة والكسائي يضمُّون هذه الحروف الثلاثة ، والذي في النساء : ((لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كُرْهًا)) من قوله ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كُرْهًا وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَّيْ

أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ، ثم قرؤوا كلَّ شيء سواها بالفتح قال : وقال بعض أصحابنا نختار ما عليه أهل الحجاز أنّ جميع ما في القرآن بالفتح إلا الذي في البقرة خاصّة، فإنّ القرءاء أجمعوا عليه، قال أحمد بن يحيى: ولا أعلم بين الأخراف التي ضمّها هؤلاء، وبين التي فتحوها فرقاً في العربيّة، ولا في سنّة تبتّع، ولا أرى الناس اتفقوا على الحرف الذي في سورة البقرة خاصّة إلاّ أنّه اسم وبقية القرآن مصادرٌ ، وقد أجمع كثير من أهل اللغة أنّ (الكَرِهَ)، و(الكُرْهَ) لغتان ، فبأيّ لغة وقع فجائزٌ إلاّ الفرءاء، فإنّه زعم أنّ (الكُرْهَ) ما أكرهت نفسك عليه، و(الكَرِهَ) ما أكرهك غيرك عليه ؛ تقول : (جئتُكَ كُرْهًا) ، و(أدخَلتني كُرْهًا) . وقال الزجاج في : ((وهو كُرْهٌ لكم)) من قوله ﷺ: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ

لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

^١ سورة البقرة / ٢١٦ .

^٢ سورة الأحقاف / ١٥ .

^٣ سورة النساء / ١٩ .

وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ، يُقَالُ : كَرِهْتُ الشَّيْءَ (كَرِهًا) ، و (كُرْهًا) ، و (كَرَاهَةً) ، و (كَرَاهِيَةً) ، قال : وكلُّ ما في كتاب الله عز وجلّ من (الكره) فالفتح فيه جائز إلا في هذا الحرف الذي في هذه الآية فإنَّ أبا عبيد ذكر أنَّ القراءَ مُجْمَعُونَ على ضمِّه ، قال : ومعنى كَرَاهِيَتِهِمُ الْقِتَالَ أَنَّهُمْ إِتْمَا كَرَهُوهُ عَلَى جِنْسٍ غَلِظَهُ عَلَيْهِمْ وَمَشَقَّتِهِ ، لا أن المؤمنين يَكْرَهُونَ فَرَضَ اللَّهِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لا يَفْعَلُ إِلَّا مَا فِيهِ الْحِكْمَةُ وَالصَّلَاحُ . وقال الليث في (الكره) ، و (الكُره) إذا ضُمُّوا أو خَفَضُوا قالوا : (كُرْهٌ) وإذا فَتَحُوا قالوا : (كَرِهًا) تقول : فعلته على كُرْهٍ ، وهو كُرْهٌ ، وتقول : فعلته كَرِهًا . قال : والكُرْهُ المَكْرُوهُ ، قال الأزهري والذي قاله أبو العباس والزجاج فحسَنُ جَمِيلٌ ، وما قاله الليث فقد قاله بعضهم وليس عند النحويين بالبَيِّنِ الواضِحِ الفَرَاءِ (الكُره) بالضم المشقَّةُ ، يُقَالُ : قُئْتُ عَلَى كُرْهِ ، أي على مشقَّةٍ ، قال : ويقال أقامني فلان على كُرْهِ بالفتح إذا أكرهك عليه . قال ابن بري : يدلُّ على صحَّة قول الفراء قوله ﷺ : ﴿ أَفْغَيْرَ دِينِ

اللَّهِ يَبْعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ

﴿ ٨٣ ﴾ ، ولم يقرأ أحد بضم الكاف ، و ((كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ)) من قوله

ﷺ : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ

وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ ٢١٦ ﴾ ، ولم يقرأ أحد

بفتح الكاف فيصير (الكره) بالفتح فعل المضطرَّ ، و (الكُره) بالضم فعل المختار . وقال ابن

سيده : (الكُره) بالفتح الإباءُ والمشقَّةُ تُكَلِّفُهَا فَتَحْتَمِلُهَا ، و (الكُره) بالضم المشقَّةُ تَحْتَمِلُهَا مِنْ

١ سورة البقرة / ٢١٦ .

٢ سورة البقرة / ٢١٦ .

٣ سورة آل عمران / ٨٣ .

٤ سورة البقرة / ٢١٦ .

غير أن تُكَلِّفَهَا، يُقَالُ : فعلَ ذلك كَرِهًا ، وعلى كُرِهٍ، وحكى يعقوب: أَقَامَنِي على (كُرِهٍ)،
و(كُرِهٍ)، وقد كَرِهَهُ كَرِهًا وكُرِهًا وكرَاهَةً وكرَاهِيَةً ومَكْرَهًا ومَكْرَهَةً .

٣. قراءة (زَعَمِهِمْ) من قوله ﷺ: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ

وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ
لشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ

سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور في قراءة (زَعَمِهِمْ) قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة فتح الزاي (بِزَعْمِهِمْ) في الموضعين ، ونسبها إلى جمهور القراء ،
وهم نافع ، وابن كثير ، أبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، وهي لغة أهل الحجاز ، وقال
بعضهم هي الفصحى .

^١ يُنظَرُ : لسان العرب (كره) ١٣ / ٥٣٤ ، و التحرير والتنوير ٢ / ٣٢٠ ، و البحر المديد ١ / ٢٧١ ، والجامع لأحكام القرآن
١٦ / ١٩٣ ، والكشف والبيان ٢ / ١٣٧ ، والمحَرَّرُ الوجيز ٥ / ٨٥ ، والبحر المحيط ٢ / ١٤٣ ، ٧ / ٤٦٦ ،
والكشف والبيان ١ / ٢٤١ ، وتفسير السمعي ٥ / ١٥٣ ، وتفسير الفخر الرازي ١ / ٨٧٥ ، والنكت والعيون ٥ /
٢٧٦ ، وتفسير النيسابوري ٢ / ٢٤ ، وروح المعاني ٤ / ٢٤١ ، ٢٤ / ١٠٩ ، والكُلِّيَّات (معجم في المصطلحات
والفروق اللُّغَوِيَّة)، أبو البقاء أيُّوب بن موسى الحُسَيْنِي الكَفَوِي (١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري،
مؤسسة الرسالة، بيروت ط ٤ ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ١ / ٧٦٩ ، ومفاتيح الغيب ٦ / ٢٤ ، وبصائر ذوى التمييز ١ /
١٣١٣ ، وغرائب القرآن ١ / ٥٩٤ ، وشرح ديوان الحماسة ١ / ٥٩ ، والصِّحاح ٢ / ١١٤ ، والمصباح المنير ٢ / ٥٣٢ ،
والمغرب في ترتيب المغرب ٢ / ٢١٧ ، وتاج العروس (كرر) ١٤ / ٣٠ ، ومختار الصحاح ١ / ٥٨٦ ، وفتح القدير ٥ /
٢٢ .

^٢ سورة الأنعام / ١٣٦ .

^٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٨ / ٩٥ ، والسبعة في القراءات ٢٧٠ / ٢٧٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٧ / ٩٠ ، والكشف عن وجوه
القراء ١ / ٤٥٣ ، والكشَّاف ١ / ٥٢٨ ، والبحر المحيط ٤ / ٢٢٧ ، والنشر ٢ / ٢٦٣ ، وحرَجَةُ القراءات ٢٧٣ / ٢٧٣ ،
والحرَجَةُ في القراءات السبع ١٥٠ / ١٥٠ ، وغرائب القرآن ٨ / ٣٢ ، إتحاف فضلاء البشر ٢١٧ / ٢١٧ ، وإعراب القرآن ،
للنَّحَّاس ١ / ٥٨١ ، ومعاني القرآن ، للفرَّاء ١ / ٣٥٦ ، وزاد المسير ٣ / ١٢٩ ، وشرح الشاطبيَّة ١٩٩ / ١٩٩ ، والتيسير
١٠٧ / ١٠٧ ، ومجمَعُ البيان ٧ / ٢٠٣ ، وإرشاد المبتدي ١٩ / ٣١٩ ، والمحَرَّرُ الوجيز ٥ / ٣٥٧ ، والتذكرة في القراءات الثمان
٣٣٥ / ٣٣٥ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٢ / ٥٥٠ ، والدُّرُّ المصون ٣ / ١٨٥ ، وفتح القدير ٢ / ٢٤٠ .

القراءة الثانية : قراءة بضَمِّ الزاي (بِزُعْمِهِمْ) ، ونسبها إلى الكسائي ، ويحيى بن وثاب ، والأعمش ، والسلمي ، والشنبوذي ، وهي لغة أسد ، وتميم .

وذكر أَنَّ الزَّعْمَ : هو الاعتقاد الفاسد ، أو القريب من الخطأ ، كما في قوله ﷺ : ﴿

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ
يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا

بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ، وهو مثلث الزاي ، وَأَنَّ المشهور فيه فتح الزاي (زَعْمِهِمْ) ، ومثله (الرَّغْم) بالراء مثلث الراء ، و (زَعَمَ يَزْعُمُ زَعْمًا) مثلث الزاي ، وأكثر ما يُقال فيما يشكُّ فيه ، وقد يراد به مجرّد النقل عن الغير نحو : زعم سيبويه كذا . وقيل الفتح والضمُّ مصدران بمعنى واحد ، وقيل المفتوح مصدر والمضموم اسم .

و (زعم) الزاء والعين والميم أصلان : أحدهما القول من غير صحّة ولا يقين ، والآخر التكفّل بالشيء ، فالأوّل الزَّعْمُ بالفتح ، والرُّعْمُ بالضمِّ ، والزَّعْمُ بالكسر ، هو مثلث الزاي ، وهذا القول على غير صحّة ، ويرى أبو حيّان أَنَّ الكسر (بِزُعْمِهِمْ) لغة لبعض قيس ، وتميم ، ولم يقرأ

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ٨ / ٩٥ ، والسبعة في القراءات ٢٧٠ / ، والجامع لأحكام القرآن ٧ / ٩٠ ، والكشف عن وجوه القراء ١ / ٤٥٣ ، والكشّاف ١ / ٥٢٨ ، والبحر المحيط ٤ / ٢٢٧ ، والنشر ٢ / ٢٦٣ ، وحجّة القراءات ٢٧٣ / ، والحجّة في القراءات السبع ١٥٠ / ، وغرائب القرآن ٨ / ٣٢ ، إتحاف فضلاء البشر ٢١٧ / ، وإعراب القرآن ، للنحاس ١ / ٥٨١ ، ومعاني القرآن ، للفرّاء ١ / ٣٥٦ ، وزاد المسير ٣ / ١٢٩ ، وشرح الشاطبيّة ١٩٩ / ، والتيسير ١٠٧ / ، ومجمّع البيان ٧ / ٢٠٣ ، وإرشاد المبتدي ٣١٩ / ، والمحرّر الوجيز ٥ / ٣٥٧ ، والتذكرة في القراءات الثمان ٣٣٥ / ، والدُّرُّ المصون ٣ / ١٨٥ ، وفتح القدير ٢ / ١٨٧ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٢ / ٥٥٠ .

٢ سورة النساء / ٦٠ .

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ٨ / ٩٥ - ٩٦ ، ومعاني القرآن ، للفرّاء ١ / ٣٥٦ .

^٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ٨ / ٩٥ - ٩٦ ، ومقاييس اللغة ٣ / ٦ ، والبحر المحيط ٤ / ٢٢٧ ، والتبيان في تفسير القرآن ٤ / ٢٨٤ ، ومعاني القرآن ، للفرّاء ١ / ٣٥٦ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١ / ١٧٠ ، وروح المعاني ٨ / ٣٢ ، والمحرّر الوجيز ٥ / ٣٦٤ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٢ / ٥٥٠ ، والدُّرُّ المصون ٣ / ١٨٥ .

بها أحد ، ويرى الفراء مثل ذلك . قال الله جل ثناؤه : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي

لُبَّعَثٌ لَّمْ لُنْبُونٌ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ . وقال الأبيد يهجو حارثة بن بد اليربوعي

:

زَعَمَتْ غُدَانَةٌ أَنْ فِيهَا سَيِّدًا ضَحْمًا يُوَارِيهِ جَنَاحُ الْجُنْدِ

ومن الباب : زَعَمَ فِي غَيْرِ مَزْعَمٍ ، أَي طَمِعَ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ . قال عنتره بن شداد في معلقته :

عَلَّقْتُهَا عَرَضًا وَأَقْتُلُ قَوْمَهَا زَعَمًا لَعَمْرُؤُ أَيُّكَ لَيْسَ بِمَزْعَمٍ

والأصل الآخر : زَعَمَ بِالشَّيْءِ ، إِذَا كَفَلَ بِهِ . قال الشاعر :

تَقُولُ هَلَكْنَا إِنْ هَلَكْتَ وَإِنَّمَا عَلَى اللَّهِ أَرْزَاقُ الْعِبَادِ كَمَا زَعَمَ

^١ يُنْظَرُ : التحريير والتنوير ٨ / ٩٥ - ٩٦ ، ومقاييس اللغة ٣ / ٦ ، والبحر المحيط ٤ / ٢٢٧ ، والتبيان في تفسير القرآن ٤ / ٢٨٤ ، ومعاني القرآن ، للفراء ١ / ٣٥٦ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١ / ١٧٠ ، وروح المعاني ٨ / ٣٢ ، والمحزر الوجيز ٥ / ٣٦٤ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٢ / ٥٥٠ ، والدُّرُّ المصون ٣ / ١٨٥ .

^٢ سورة التغابن / ٧ .

^٣ وقيل هو زياد الأعجم . يُنْظَرُ : رسالة الصاهل والشاجح / ٥٨ .

^٤ يُنْظَرُ : الأغاني ١٢ / ١٠ ، والحيوان ، الجاحظ : أبو عثمان ، عمرو بن بحر ، (٢٥٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ط ٣ ، ١٩٦٩ م ٣ / ٣٩٨ ، ٦ / ٣٥١ ، ومعجم مقاييس اللغة ٣ / ١٠ ، وثمار القلوب ٣٢٥ / ، والكنايات للجرجاني / ١٢٩ ، والمستقصى في أمثال العرب ١ / ٢٨٥ ، ورسالة الصاهل والشاجح / ٥٨ .

^٥ يُنْظَرُ : ديوانه / ١٢٢ ، وخرزانه الأدب ٦ / ١٢٤ ، وشرح ديوان الحماسة ١ / ٣٧٤ ، ٣٨٥ ، ومجالس ثعلب / ٤٤ ، والمحكم والمحيط الأعظم ١ / ٥٣٦ ، و تاج العروس (عرض) ١٨ / ٤٠٣ ، (علق) ٢٦ / ١٩٧ ، (ززم) ٣٢ / ٣١٤ ، وتهذيب اللغة ١ / ٢٠٤ ، و جمهرة اللغة (زعم) ١ / ٤٥٣ ، و ، وشرح ديوان المتنبي / ١٧١ ، وكتاب العين (باب العين ، والزاي والميم) ١ / ٣٦٥ ، ولسان العرب (زعم) ١٢ / ٢٦٤ ، و معجم مقاييس ٤ / ٢٨٠ ، ومعجم القواعد العربية ٧ / ١٤ ، وجمهرة أشعار العرب / ٣٥٠ .

^٦ لَعَمْرُؤُ بن شَأْسٍ . يُنْظَرُ : لسان العرب (زعم) ١٢ / ٢٦٤ ، الفروق اللغوية / ١٨٦ ، والمحكم والمحيط الأعظم ١ / ٥٣٥ ، و تاج العروس (ززم) ٣٢ / ٣١٣ ، ومعجم الفروق اللغوية للعسكري ١ / ١٢٨ ، و همع الهوامع ١ / ٥٣٩ . وأنشد ابن فارس صدر البيت (تُعَايِنِي فِي الرِّزْقِ عَرْسِي وَإِنَّمَا) . يُنْظَرُ : معجم مقاييس اللغة ٣ / ١٠ .

أي كما كفل . ومن الباب الرَّعامة ، وهي السِّيادة ؛ لأنَّ السَّيِّدَ يَزْعُمُ بالأمر، أي يتكفل بها. وأصدقُ مِنْ ذلك قولُ الله جلَّ ثناؤه : ﴿ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ (٧٢) ، ويقال الرَّعامة حَظَّ السَّيِّدِ مِنَ الْمُعْنَمِ ، ويقال بل هي أفضل المال قال لبيد بن ربيعة العامري :
تَطِيرُ عَدَائِدُ الْإِشْرَاكِ شَفْعًا وَوَنُورًا وَالرَّعَامَةُ لِلْعُلَامِ .

٢. (فَعْلٌ) بفتح الفاء ، و (فِعْلٌ) بكسرها وإسكان العين :

(فَعْلٌ) بفتح الفاء وسكون العين هو مصدر قِيَاسِيٌّ مُطَرِّدٌ لِلْفِعْلِ الثَّلَاثِيِّ الْمُتَعَدِّيِّ، مالم يكن دالاً على حرفةٍ فَإِنَّهُ يكون على (فِعَالَةٌ) أيضاً ، فتقول : (سَقَى يَسْقِي سَقِيًّا وَسِقَايَةً)، نَصَّ على ذلك سَبِيؤِيهِ فِي مَوَاضِعَ ، فتقول : (رَدَّ يَزُدُّ رَدًّا) مفتوح العين في الماضي ومضمومها في المضارع ، و (ضَرَبَ يَضْرِبُ ضَرْبًا) مفتوح العين في الماضي ومكسورها في المضارع ، و (فَهَمَّ يَفْهَمُ فَهْمًا) مكسور العين في الماضي ومفتوحها في المضارع. وَزَعَمَ بعضهم أَنَّهُ لَا يَنْقَاسُ ، وهو غيرُ سَدِيدٍ . وَأَمَّا (فِعْلٌ) بكسر الفاء وسكون العين، فمصدر ما ذكر سماعاً. ومما ورد بالبنايين السابقين للمصدرين في القراءات القرآنية التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره :

١. قراءة (حِجُّ) من قوله ﷻ : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ ﴾

وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾

﴿ ، فقد ذكر ابن عاشور^٣ في قراءة (حِجُّ) قراءتين :

^١ سورة يوسف / ٧٢ .

^٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٨ / ٩٥ - ٩٦ ، وديوان لبيد / ١٢٨ ، ولسان العرب (عدد، شرك، زعم) ومقاييس اللغة ٦/٣ .

^٣ سورة آل عمران / ٩٧ .

القراءة الأولى : قراءة كسر الحاء (حَجَّج) ، ونسبها إلى حمزة ، والكسائي، وحفص عن عاصم، وأبي جعفر بكسر الحاء ، وذكر أَنَّ فيه لغتين ؛ كسر الحاء وفتحها ، بمعنى القصد، وأنه لم يُقْرَأ بكسر الحاء في القرآن إلا في هذه الآية ، والكسر لغة نجد ، وليست لغة ضعيفة كما زعم الحميري ؛ لكونها لغة عدد من القبائل العربيَّة ، وعليه أكثر القراء ، وجاء عن سيبويه : أنهم قالوا : حَجَّج حَجًّا ، كما قالوا ذَكَرَ ذِكْرًا .^١

القراءة الثانية : قراءة فتح الحاء (حَجَّج) قرأ بها : ابن عامر ، وابن كثير ، وعاصم في رواية أبي بكر ، وأبو عمرو ، ونافع ، وقال الأزهري : إنَّ قراءة الفتح أكثر ، وقال الزجاج : إنَّ حَجَّج البيت يُقْرَأ بفتح الحاء وكسرهما ، وإنَّ الفتح الأصل ، والفتح لغة أهل العالية والحجاز وأسد ، قال أبو حيان : إنَّ سيبويه جعل (الحَجَّج) بالكسر مصدراً نحو : ذَكَرَ ذِكْرًا وأنَّ الزجاج جعله اسم العمل ، وأنه لم يختلفوا في الفتح أنه مصدر .^٢

الحَجَّج : القصد، ورجل حَجَّجٌ، أي مقصود، وقد حَجَّجَ بنو فلانٍ فلاناً، إذا أطالوا الاختلاف إليه، هذا الأصل ، ثُمَّ تُعَوِّفُ استعماله في القصد إلى مكة للنسك ، والحَجَّجُ والحَجَّجُ لغتان بمعنى القصد ، وهما مصدران لـ (حَجَّجَ يَحَجُّجُ) ، يُقال : حَجَّجْتُ البيتَ أَحَجَّجُهُ حَجًّا وَحَجًّا ، فأنا حَجَّجٌ ، إذا قصدته . وَيُجْمَعُ على حَجَّجٍ ، ويُقال الحَجَّجُ بالكسر الاسم، والحَجَّجُ بالفتح

^١ يُنظر : التحرير والتنوير ٢١/٤ ، والكتاب ١٠/٤ ، ومفاتيح الغيب ١٥٢/٨ ، والبحر المحيط ١٠/٣ ، وإتحاف فضلاء البشر ٤٨٥/١ ، و المزهري في علوم اللغة ٢٧٦/٢ ، ولهجة تميم ١٤٠/ ، وشمس العلوم ٢٣٢/٢ ، والقراءات القرآنيَّة في المعجمات اللغويَّة / ٥٠٦ .

^٢ يُنظر: الكتاب ١٠/٤ ، وتهذيب اللغة (حج) ٤٢٠/١ ، ولسان العرب ٢/٢٢٦ ، وتهذيب اللغة ٣/٣٨٧ ، والحجَّة في القراءات السبع / ١١٢ ، والمفردات في غريب القرآن / ١٨٥ ، ومفاتيح الغيب ١٥٢/٨ ، والبحر المحيط ١٠/٣ ، وإتحاف فضلاء البشر ٤٨٥/١ ، و المزهري في علوم اللغة ٢٧٦/٢ ، ولهجة تميم / ١٤٠ ، وشمس العلوم ٢٣٢/٢ ، والوضَّح / ٣٣٨ .

^٣ يُنظر : والصَّحاح (حجر) ١ / ١١٥ ، والتبيان تفسير غريب القرآن / ١١٣ ، والحجَّة في القراءات السبع / ١١٢ ، و الكشف عن وجوه القراءات ١ / ٣٥٣ - ٣٥٤ .

^٤ يُنظر : الصَّحاح (حجر) ١ / ١١٥ ، والتبيان تفسير غريب القرآن / ١١٣ ، والمخصَّص ١ / ٤٩٠ ، والعين (باب الحاء مع الجيم) ٣ / ١٠ ، وتاج العروس (حجج) ٥ / ٤٦١ ، وتهذيب اللغة (حج) ١ / ٤٢٠ ، ، وتهذيب

المصدر ، والحِجَّةُ المَرَّةُ الواحدة ، وهو من الشواذ ؛ لأنَّ القياس بالفتح ، والحِجَّةُ: السَّنة ، والجمع الحِجَجُ ، وذو الحِجَّةِ شهر الحج ، والجمع ذَوَاتُ الحِجَّةِ وذواتُ القِعدةِ .^١

٢ . قراءة (بِشِقِّ) من قوله ﷺ: ﴿ وَتَحْمِلُ أَنْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ

إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور في قراءة (بِشِقِّ) قراءتين :

٣ القراءة الأولى : قراءة كسر الشين (بِشِقِّ) ، ونسبها إلى الجمهور ، بمعنى : المشقَّة ، والباء للملابسة ، والمشقَّة : التعب الشديد ، وشقَّ الأنفس : مشقَّتْها وغاية جهدها وورجَّح الطبري - كعادته في الترجيح بين القراءات - هذه القراءة (بِشِقِّ) ؛ لإجماع الحِجَّة من القراء عليها ، ونسب الشذوذ على ما خالفها ، وهي الأكثر في القراءة عند الفراء ، ولم يوافقهم ابن عاشور في هذا الترجيح .^٤

اللغة ٣/٣٨٧ ، والحِجَّة في القراءات السبع / ١١٢ ، والحِجَّة للقراء السبعة ٢/٣٨٠ ، والمفردات في غريب القرآن / ١٨٥ ، والموضَّح / ٣٣٨ ، والبحر المحيط ٣/١٠ .

^١ يُنظَر : الصِّحاح (حجر) ١ / ١١٥ ، والتبيان تفسير غريب القرآن / ١١٣ ، و المخصَّص ١ / ٤٩٠ ، والعين (باب الحاء مع الجيم) ٣ / ١٠ ، وتاج العروس (حجج) ٥ / ٤٦١ ، وتهذيب اللغة (حج) ١ / ٤٢٠ ، وتهذيب اللغة ٣/٣٨٧ ، والحِجَّة في القراءات السبع / ١١٢ ، والمفردات في غريب القرآن / ١٨٥ ، والموضَّح / ٣٣٨ .

^٢ سورة النحل / ٧ .

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٤ / ١٠٦ ، وجامع البيان ١٤ / ٥٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٧١ ، والكشاف ٢ / ١٩٨ ، والمحتسب ٢ / ٧ ، ومفاتيح الغيب ١٩ / ٢٣٤ ، ومعاني القرآن ، للفراء ٢ / ٩٧ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٩١ ، والبحر المحيط ٥ / ٤٧٦ ، والمحزَّر الوجيز ٨ / ٣٧٣ ، وروح المعاني ١٤ / ١٠٠ ، والميسر ٢٦٨ / ٢٦٨ ، ومجمَّع البيان ١٤ / ٥٢ ، والنشر ٢ / ٣٠٢ ، وحاشية الجمل ٢ / ٥٥٩ ، وغرائب القرآن ١٤ / ٤٢ ، والمبسوط / ٢٦٢ ، ومختصر في شواذ القرآن / ٧٢ ، وفتح القدير ٣ / ١٧٩ .

^٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٤ / ١٠٦ ، وجامع البيان ١٤ / ٥٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٧١ .

القراءة الثانية : قراءة فتح الشين (بِشَقِّ) ، قرأ بها مجاهد ، وأبو جعفر المدني ، والأعرج ، وعمرو بن ميمون ، وابن أرقم ، واليزيدي في اختياره .^١

وكسر الشين وفتحها في (شَقَّ) متقاربان ، وهما مصدران بمعنى المشقَّة ، وقيل: بالفتح المصدر ، وبالكسر الاسم ، ويجوز أن يكون بمعنى المصدر ، وهو من الشق في العصا ونحوها ؛ لأنه ينال منها كالمشقة من الإنسان . وهما لغتان ، تقول العرب (بشَقَّ ، و بشِقَّ) بفتح الشين وكسرها ، و (بَرَقَ وَبَرِقَ) ، (رِقَّ وَرَقَّ) ، و (رَطَلَ وَرِطَلَ) بفتح الراء وكسرها ، و (جَصَّ وَجِصَّ) بفتح الجيم وكسرها . ويُشَدُّ قول النمر بن^٢ تولى العكلي بكسر الشين وفتحها :
وَذِي إِبِلٍ يَسْعَى وَيُخْسِبُهَا لَهُ أَخِي نَصَبٍ مِنْ شَقِّهَا وَدُوُوبٍ
ويجوز أن يكون بمعنى المصدر ، من شققت عليه شقا . والشِقُّ أيضاً بالكسر النصف ، يقال: أخذت شِقَّ الشاة وشِقَّةَ الشاة . وقد يكون المراد من الآية هذا المعنى ؛ أي لم تكونوا بالغيه إلا بنقص من القوة وذهاب شق منها ، أي لم تكونوا تبلغوه إلا بنصف قوى أنفسكم وذهاب النصف الآخر . والشق أيضاً الناحية من الجبل . وفي حديث أم زرع : ((وجدني في أهل غنيمة بشق)) . قال أبو عبيد : هو اسم موضع . والشق أيضاً : الشقيق ، يقال : هو أخي وشق نفسي . وشق اسم كاهن من كهان العرب . والشق أيضاً : الجانب ؛ ومنه قول امرئ القيس :

^١ يُنظَرُ : جامع البيان ٥٦/١٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٧١/١٠ ، والكشاف ١٩٨/٢ ، والمختص ٧/٢ ، ومفاتيح الغيب ٢٣٤/١٩ ، ومعاني القرآن ، للقرآء ٩٧/٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١٩١/٣ ، والبحر المحيط ٤٧٦/٥ ، والمحزَّر الوجيز ٣٧٣/٨ ، وروح المعاني ١٠٠/١٤ ، والميسر ٢٦٨/٢ ، ومجمَع البيان ٥٢/١٤ ، والنشر ٣٠٢/٢ ، وحاشية الجمل ٥٥٩/٢ ، وغرائب القرآن ٤٢/١٤ ، والمبسوط ٢٦٢/٢ ، ومختصر في شواذ القرآن ٧٢/٢ ، وفتح القدير ١٧٩/٣ .

^٢ يُنظَرُ : جامع البيان ١٤ / ٥٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٧١ ، والمختص ٧/٢ ، ولسان العرب (شقق)، والبحر المحيط ٤٧٦/٥ ، وإتحاف فضلاء البشر ١٨١/٢ ، والقراءات القرآنية في المعجمات اللغوية / ٥٠٨ .

^٣ البيت من بحر الطويل. يُنظَرُ : لسان العرب (شقق) ، ومعاني القرآن ١ / ٣٥٦ ، والمحزَّر الوجيز ١٧٣/٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٧٢/١٠ ، والبحر المحيط ٤٧٦/٥ ، والدرُّ المصون ١٩٤/٧ ، واللباب في علوم الكتاب ١٢ / ١٥ .

^٤ يُنظَرُ : صحيح البخاري (٤٨٩٣) / ٥ / ١٩٨٨ ، صحيح مسلم (الجامع الصحيح)، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط ١٣٧٤ هـ-١٩٥٤ م (٦٤٥٨) / ٧ / ١٣٩ ، والجامع الصغير وزيادته ١٥ / ١ .

إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ بِشِقِّ وَشِقُّ عِنْدَنَا لَمْ يُحَوَّلْ
 فهو مشترك . وقال أبو عبيدة : (بِشِقِّ) بالكسر والفتح ، ومعناه : بمشقة الأنف .
 وقال ابن بري : إنَّ شاهد الكسر قول النمر بن تولب . و (شِقِّهَا) ، و (شِقِّهَا) بالكسر
 والفتح ، وكذلك قول العجاج :

أَصْبَحَ مَسْحُورٌ يُوَازِي شَقًّا^٣

و(شَقًّا)، و (شَقًّا) بالفتح والكسر . ويعني بقوله : يوازي شَقًّا : يقاسي مشقَّة. وذكر أنَّ
 بعض أهل العربية يذهب بالفتح إلى المصدر من شققت عليه أشقَّ شقا ، وبالكسر إلى الاسم.
 وقد يجوز أن يكون الذين قرءوا بالكسر (بِشِقِّ) أرادوا إلاَّ بنقص من القوَّة، وذهاب شيء منها
 حتى لا يبلغه إلاَّ بعد نقصها ، فيكون معناه عند ذلك : لم تكونوا بالغيه إلاَّ بشقِّ قوى أنفسكم
 ، وذهاب شقها الآخر ، ويحكى عن العرب : خذ هذا الشَّقَّ : لشقَّة الشاة بالكسر ، فأما في
 شَقَّتْ عليك شَقًّا فلم يحك فيه إلاَّ النصب .^٤

^١ وروي الشطر الثاني: ((بِشِقِّ وَتَحْتِي شِقُّهَا لَمْ يُحَوَّلْ))، وروى أبو عبيدة (انحرفت) بدلاً عن (انصرفت). البيت من معلَّته،
 من بحر الطويل. يُنظَر : ديوانه / ١٢، وإعراب القرآن، لابن سيده ٣ / ١٦٢، ووصف المباني / ٣١٦، وشرح القصائد
 العشر / ٧٤، والدُّرُّ المصون ١ / ١٣٣، واللباب في علوم الكتاب ١ / ٣٧٩، والشنقيطي / ٦٠، وتاريخ النقد الأدبي
 عند العرب / ٣٥٢.

^٢ يُنظَر : معاني القرآن ١ / ٣٥٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٧١ .

^٣ يُنظَر : ديوانه / ٤٤٠ (طبع ليسج سنة ١٩٠٣ م) ، وهو شاهد على أن الشِقَّ بالكسر بمعنى المشقَّة .

^٤ يُنظَر : جامع البيان ١٤ / ٥٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٧١ .

٣. (فُعْلٌ) بضمّ الفاء ، و (فِعْلٌ) بكسرها وإسكان العين :

(فُعْلٌ) بضمّ الفاء وسكون العين ، و (فِعْلٌ) بكسرها وإسكان العين هذان مصدران سماعيان للفِعْلِ الثَّلَاثِيّ الْمُتَعَدِّي الذي على وَزْنِ (فَعَلٌ) بفتح فائه وعَيْنِهِ مَعاً، حيث جَاءَ مَصْدَرُهُ على أَوْزَانٍ كَثِيرَةٍ ، مِنْهَا (فُعْلٌ) ، و (فِعْلٌ) :

فجاءَ على وَزْنِ (فُعْلٍ) بضمّ الفاء وسكون العين ، نَحْوُ : (كَفَرَ الصَّنِيعَةَ كُفْرًا) ، و (شَكَرَهُ شُكْرًا) ، و (ذَخَرَ مَالَهُ ذُخْرًا) ، و (حَزَنَهُ يَحْزُنُهُ حُزْنًا) مِنْ بَابِ نَصَرَ ، و (عَذَرَهُ عُدْرًا) ، و (سَكَرَ وَفُئِدَسَ وَنُكِرَ) ، و (رَهَبَهُ رُهْبًا) ، و (شَرِبَ الْمَاءَ شُرْبًا) .

وجاء (فِعْلٌ) بكسر الفاء وسكون العين نحو : (عَلِمَهُ عِلْمًا) ، و (حَفِظَهُ حِفْظًا) ، و (سَلَّمَهُ سِلْمًا) ، و (حَلِمَهُ حِلْمًا) . ومما ورد بالبنائين السابقين للمصدرين في القراءات القرآنية التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره :

١. قراءة (كِبْرَهُ) من قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا

لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ

عَظِيمٌ ﴿ ١١ ﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور في قراءة (كِبْرَهُ) قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة كسر الكاف (كِبْرَهُ) ، ونسبها إلى جمهور القراء ، وقال الخليل :

((يعني إثمه وخطأه)) .

^١ سورة النور / ١١ .

^٢ يُظَرَّ : التحرير والتنوير ١٨ / ١٧٣ ، وجامع البيان ١٨ / ٦٩ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤ / ٣٥ ، ومعاني القرآن ، للقراء ٢ / ٢٤٧ ، والكشاف ٢ / ٣٧٧ ، والنشر ٢ / ٣٣١ ، والمختصب ٢ / ١٠٣ - ١٠٤ ، وغرائب القرآن ١٨ / ٧٤ ، والجامع لأحكام القرآن ١٢ / ٢٠٠ ، وإعراب النحاس ٢ / ٤٣٤ ، والمحزّر الوجيز ١٠ / ٤٥٧ ، وزاد المسير ٦ / ١٨ ، ومختصر في شواذ القرآن ١ / ١٠١ ، والنكت والعيون ٤ / ٨٠ ، ومجمع البيان ١٨ / ١٩ ، وروح المعاني ١٨ / ١١٥ ، وإتحاف فضلاء البشر ٣ / ٣٢٣ ، ومفاتيح الغيب ٢٣ / ١٧٥ ، والبحر المحييط ٦ / ٤٣٧ ، والتذكرة في القراءات الثمان ٤٥٩ / ، واللباب في علوم الكتاب ١٤ / ٣١٩ ، والدُّرُّ المصون ٥ / ٢١٢ .

القراءة الثانية : قراءة ضمّ الكاف (كُبْرُهُ) ، ونسبها إلى يعقوب وحده، وقرأ بذلك أيضاً الحسن، وعمرة بنت عبد الرحمن ، والزهري ، وأبو رجاء ، ومجاهد ، وأبو البرهثيم، والأعمش، وحמיד ، وابن أبي عبلة ، وسفيان الثوري ، ويزيد بن قطيب ، ويعقوب، والزعفراني، وابن مقسم ، وسورة عن الكسائي ، ومحبوب عن أبي عمرو ، وأنَّ معناها: أشدّ الشيء ومعظمه، والكُبْرُ بضمّ الكاف إمّا هو من الولاء والنسب من قولهم : هو كُبر قومه، والكبر في هذا الموضع : هو ما وصفناه من معظم الإثم والإفك . فإذا كان ذلك كذلك، فالكسر في كافه هو الكلام الفصيح دون ضمّها ، وإن كان لضمّها وجه مفهوم .

وذكر أهما لغتان عند جمهور أئمة اللّغة بمعنى واحد ، وهما مصدران لـ (كُبْرُ الشّيءِ)، أي: عَظُمَ، وذكر عن ابن جنيّ والزجاج : أنَّ المكسور (كِبْرُهُ) بمعنى الإثم ، أو البداءة بالشيء أو بالإفك، وهو مصدر الكبير من الأمور ، والمضموم (كُبْرُهُ) بمعنى معظم الشيء، و(الكِبْرُ)، و (الكُبْرُ) مصدران لـ (كُبْرُ الشّيءِ) عظم ، لكن غلب في الاستعمال أنَّ المضموم في السنن والمكانة ، يُقال : هو كُبْرُ القوم بالضمّ ، أي : أكبرهم سناً أو مكانةً. وفي الحديث في قصة مُحَيِّصَةَ وَحُويِّصَةَ : ((الكُبْرُ الكُبْرُ)) ، أي يتكلّم أكبركم .

ورجّح الطبري قراءة الكسر (كِبْرُهُ) ، القراءة التي عليها عوامّ القرّاء؛ لإجماع الحجّة من القرّاء عليها .

^١ يُنظَر: التحرير والتنوير ١٧٣/١٨، وجامع البيان ٦٩/١٨، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٥/٤، ومعاني القرآن، للقرّاء ٢/٢٤٧، والكشّاف ٣٧٧/٢، والنشر ٣٣١/٢، والمختصّب ١٠٣/٢ - ١٠٤، وغرائب القرآن ٧٤/١٨، والجامع لأحكام القرآن ٢٠٠/١٢، وإعراب النحّاس ٤٣٤/٢، والمحزّر الوجيز ٤٥٧/١٠، وزاد المسير ١٨/٦، ومختصر في شواذ القرآن ١٠١/١، و النكت والعيون ٨٠/٤، ومجمع البيان ١٩/١٨، وروح المعاني ١١٥/١٨، وإتحاف فضلاء البشر ٣٢٣/٣، و مفاتيح الغيب ١٧٥/٢٣، والبحر المحيط ٤٣٧/٦، والتذكرة في القراءات الثمان ٤٥٩/٤، واللباب في علوم الكتاب ٣١٩/١٤، والدُّرّ للمصون ٢١٢/٥ .

^٢ يُنظَر: التحرير والتنوير ١٨ / ١٧٣ ، وجامع البيان ٦٩/١٨ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٥/٤ ، ومعاني القرآن، للقرّاء ٢/٢٤٧، والبحر المحيط ٤٣٧/٦ ، وصحيح البخاري (٦٥٠٢) ٦ / ٢٥٢٨ ، والسنن الكبرى، النسائي: أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب، (٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١٩٩١ م ١١٨/٨، ومختصر شعب الإيمان /١٤٠، واللباب في علوم الكتاب ٣١٩/١٤، والدُّرّ للمصون ٢١٢/٥ .

^٣ يُنظَر: جامع البيان ٦٩/١٨ .

٤ . (فَعَلٌ) ، و (فِعْلٌ) ، و (فُعْلٌ) بفتح الفاء وكسرها وضّمّها :

(فَعْلٌ) بفتح الفاء وسكون العين مصدر قياسي مُطَّرِدٌ لِلْفِعْلِ الثَّلَاثِيِّ الْمُتَعَدِّيِّ ، نَصَّ عَلَى ذَلِكَ سَبِيؤُهُ فِي مَوَاضِعَ ، فَتَقُولُ : (رَدَّ رَدًّا) ، و (ضَرَبَ ضَرْبًا) ، و (فَهِمَ فَهْمًا) . وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ لَا يَنْقَاسُ ، وَهُوَ غَيْرُ سَدِيدٍ . وَأَمَّا (فُعْلٌ) بِضَمِّ الْفَاءِ وَسُكُونِ الْعَيْنِ ، وَ(فِعْلٌ) بِكُسْرِهَا وَإِسْكَانِ الْعَيْنِ هَذَا مَصْدَرَانِ سَمَاعِيَّانِ لِلْفِعْلِ الثَّلَاثِيِّ الْمُتَعَدِّيِّ الَّذِي عَلَى وَزْنِ (فَعْلٌ) بِفَتْحِ فَائِهِ وَعَيْنِهِ مَعًا . وَمَا وَرَدَ بِالْأَبْنِيَةِ الثَّلَاثَةِ لِلْمَصْدَرِ فِي الْقُرْآنِ الَّتِي ذَكَرَهَا ابْنُ عَاشُورٍ فِي تَفْسِيرِهِ :

١ . قِرَاءَةُ (حَجْرًا) مِنْ قَوْلِهِ ﷺ : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ

وَيَقُولُونَ حَجْرًا نَحْجُورًا ﴾ (٢٢) ، فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ عَاشُورٍ فِي قِرَاءَةِ (حَجْرًا) ثَلَاثَ قِرَاءَاتٍ :

القراءة الأولى : قِرَاءَةُ كَسْرِ الْحَاءِ وَسُكُونِ الْجِيمِ (حَجْرًا) ، قَرَأَ بِهَا الْجُمْهُورُ .

القراءة الثانية : قِرَاءَةُ فَتْحِ الْحَاءِ وَسُكُونِ الْجِيمِ (حَجْرًا) ، قَالَ ابْنُ حَجْرٍ : ((وَحَكَى أَبُو الْبَقَاءِ الْفَتْحَ عَنْ بَعْضِ الْمَصْرِيِّينَ ، وَلَمْ أَرِ مِنْ نَقْلِهَا قِرَاءَةً)) ، وَلَا يُبْعَدُ أَنْ يَكُونَ نَصُّ أَبِي الْبَقَاءِ قَدْ أَصَابَهُ التَّصْحِيفُ ، وَأَنَّ قَوْلَهُ : بِالْفَتْحِ صَوَابُهُ بِالضَّمِّ ، فَالضَّمُّ عَلَى شَهْرَتِهِ فِي الْقِرَاءَةِ لَمْ يَذْكُرْهُ أَبُو الْبَقَاءِ ، وَمِثْلُ هَذَا لَا يَغِيبُ عَنْهُ ، وَقَرَأَ بِالْفَتْحِ (حَجْرًا) فِي قَوْلِهِ ﷺ : ﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمٌ أَحَرَّتْ حَجْرًا لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرِزْعِهِمْ وَأَنْعَمٌ حَرِمَتْ ظُهُورُهَا

^١ سورة الفرقان / ٢٢ .

^٢ يُنظَرُ : التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ١٩ / ٧ ، وَالْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ ٢١/١٣ ، وَالْكَشَافُ ٤٠٥/٢ ، وَالْبَحْرُ الْحَيْطُ ٤٩٣/٦ ، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ ، لِلْأَخْفَشِ ٢٨٧/١ ، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ ٦٢/٤ ، وَإِتْحَافُ فَضْلَاءِ الْبَشَرِ ٣٢٨/ ، وَحَاشِيَةُ الْجَمَلِ ٢٥٢/٣ ، وَلِسَانُ الْعَرَبِ (حَجْر) ، وَالْمَحَرَّرُ الْوَجِيزُ ٢٦/١١ ، ٥٢ ، وَفَتْحُ الْبَارِي ٣١/٩ ، ٣٤ ، زَادُ الْمَسِيرِ ٨٢/٦ ، وَمَخْتَصَرُ فِي شَوَازِ الْقُرْآنِ / ١٠٤ ، وَحَاشِيَةُ الشَّهَابِ ٤١٧/٦ ، وَرُوحُ الْمَعَانِي ٦/١٩ ، وَمَعْجَمُ الْقِرَاءَاتِ ، لِلخَطِيبِ ٣٣٧/٦ ، وَالدُّرُّ الْمَصُونُ ٢٥٠/٥ .

^٣ يُنظَرُ : التَّبْيَانُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ ٩٨٤/٢ ، وَفَتْحُ الْبَارِي ٣١/٩ ، وَرُوحُ الْمَعَانِي ٦/١٩ ، وَحَاشِيَةُ الْجَمَلِ ٢٥٢/٣ ، وَحَاشِيَةُ الشَّهَابِ ٤١٧/٦ ، وَمَعْجَمُ الْقِرَاءَاتِ ، لِلخَطِيبِ ٣٣٨/٦ .

وَأَنعَمُوا لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾

٢

الحسن وقتادة .

القراءة الثالثة : قراءة ضمّ الحاء وسكون الجيم (حُجْرًا) ، قرأ بها الحسن ، وأبو رجاء ، والضحّاك ، وقتادة ، والأعمش ، والخفاف عن أبي عمرو .^٣

وهناك قراءة رابعة: قرأ بها الْمُطَوِّعِيّ بضمّ الحاء والجيم (حُجْرًا)، وهي لغة في حجر .
وقال: إِنَّ قِرَاءَتِي فَتَحَ الحَاءَ وَضَمَّهَا عَلَى النُّدْرَةِ، فَهِيَ كَلِمَةٌ يَقُولُونَهَا عِنْدَ رُؤْيَا مَا يُخَافُ مِنْ إِصَابَتِهِ بِمَنْزِلَةِ الِاسْتِعَاذَةِ. وَذَكَرَ عَنِ الخَلِيلِ وَأَبِي عُبَيْدَةَ: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا رَأَى الرَّجُلَ الَّذِي يَخَافُ مِنْهُ أَنْ يَقْتُلَهُ فِي الأَشْهُرِ الحَرَمِ يَقُولُ لَهُ: ((حِجْرًا مَحْجُورًا))، أَي حَرَامٌ قَتَلِي، وَهِيَ عَوْدَةٌ. ((وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا)) يَعْنِي أَنَّ المَلَائِكَةَ يَقُولُونَ لِلْمَجْرَمِينَ حِجْرًا مَحْجُورًا ، حَرَامًا مَحْرَمًا عَلَيْكُمْ اليَوْمَ البَشَرِي أَنْ تَكُونَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ ؛ وَقَالَ أَبُو عَلِي الفَارِسِي: إِنَّهُ مِمَّا كَانَتِ العَرَبُ تَسْتَعْمَلُهُ ثُمَّ تَرَكَ قَوْلَهُمْ : ((حِجْرًا مَحْجُورًا))، وَهَذَا كَانَ عِنْدَهُمْ لِمَعْنِيَيْنِ، أَحَدُهُمَا: أَنْ يَقَالَ عِنْدَ الحَرَمَانِ إِذَا سَأَلَ الإِنْسَانَ فَقَالَ ذَلِكَ عِلْمَ السَّائِلِ أَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَحْرِمَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُ المِتْلَمَسِ: حَنَّتْ إِلَى نَخْلَةِ القُصُوى فَقُلْتُ لَهَا حِجْرًا حَرَامًا أَلَا تِلْكَ الدَّهَارِيسُ

١ سورة الأنعام / ١٣٨ .

٢ يُنظَرُ : البحر المحيط ٢٣١/٤ ، و الجامع لأحكام القرآن ٨٤/٧ ، وإعراب النخاس ٥٣٨/١ ، وروح المعاني ٣٤٤/٨ ، وتحفة الأقران ٧٩/٥ ، والمحزّر الوجيز ٣٦٣/٥ ، وحاشية الشهاب ١٢٩/٤ ، والدُّرُّ المصون ١٩٥/٣ ، وفتح القدير ١٦٧/٢ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٥٥٩/٢ ، ٣٣٨/٦ .

٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٩ / ٧ ، و الجامع لأحكام القرآن ٢١/١٣ ، والكشاف ٤٠٥/٢ ، والبحر المحيط ٤٩٣/٦ ، ومعاني القرآن ، للأخفش ٢٨٧/١ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٦٢/٤ ، وإتحاف فضلاء البشر ٣٢٨/١ ، وحاشية الجمل ٢٥٢/٣ ، ولسان العرب (حجر) ، والمحزّر الوجيز ٢٦/١١ ، ٥٢ ، وفتح الباري ٣١/٩ ، ٣٤ ، زاد المسير ٨٢/٦ ، ومختصر في شواذ القرآن / ١٠٤ ، وحاشية الشهاب ٤١٧/٦ ، وروح المعاني ٦/١٩ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٣٣٧/٦ ، والدُّرُّ المصون ٢٥٠/٥ .

٤ يُنظَرُ : إتحاف فضلاء البشر / ٣٢٨ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٣٣٧/٦ .

٥ البيت للمتلمس جرير بن عبد المسيح، من بحر البسيط، وحنت: اشتاقت، دهرس: حجت، ونخلة القصوى: موضع على ليلة من مكة، وقيل: هما نخلة الشامية ونخلة اليمانية؛ فالشامية واد ينصب من الغمير، واليمانية: واد ينصب من بطن

ومنه قولهم : حَجَرَ الْقَاضِي عَلَى فُلَانٍ ، وَحَجَرَ فُلَانٌ عَلَى أَهْلِهِ ؛ وَمِنْهُ حَجَرَ الْكَعْبَةَ ، لِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ إِلَيْهِ فِي الطَّوَافِ ، وَإِنَّمَا يُطَافُ مِنْ وَرَائِهِ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ حَمِيدِ بْنِ ثَوْرِ الْهَلَالِيِّ :
 فَهَمَمْتُ أَنْ أَلْقَى إِلَيْهَا مَحْجَرًا فَلَمِثْلَهَا يُلْقَى إِلَيْهِ الْمِحْجَرُ
 أي مثلها يُركب منه المِحْرَمُ .
 ٢

والمعنى الآخر : الاستعاذة، كان الإنسان إذا سافر فرأى ما يخاف قال : ((حَجْرًا مَحْجُورًا)) ، أي : حرام عليك التعرُّض لي .

و (حجر) مصدر : (حَجَرَهُ) ، إذا منعه ، قال : ((وَحَرَّتْ حِجْرٌ)) من قوله
 ﷻ : ﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمٌ وَحَرَّتْ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرِزْقِهِمْ وَأَنْعَمُ
 حَرَمَتْ طُهُورُهَا وَأَنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا
 يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ ، وذكر سيبويه أن ((حَجْرًا)) من المصادر المنصوبة غير المتصرفة، وأنه
 واجب إضمار ناصبها ، وأما رفع (حجر) في غير حالة استعماله للتعوذ فلا مانع منه لأنه
 الأصل ، وقد جاء في القرآن منصوباً لا على المفعولية المطلقة في قوله ﷻ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ
 الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ، فإنه

قرن المنازل، وهو طريق اليمن إلى مكة، وحجر: مثلث الحاء بمعنى حرام، و بسل عليك: الحرام، والدهاريس: جمع
 دهرس، مثلث الدال، وهي الداهية، والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن. يُنظر: جامع البيان ١٢/١٤٠،
 ومجاز القرآن ١/١٦٧، وأضواء البيان ٢٨/٧٠، والجامع لأحكام القرآن ١٣/٢١، والكشف والبيان ٤/١٩٥،
 والمحرَّر الوجيز ١١/٢٦، ومختارات ابن الشجري / ٣٢، ومجاز القرآن ١/٢٠٧، ومعجم، استعجم / ١٣٠٤ .

^١ وفي رواية الديوان ولسان العرب : (أغشى في موضع ألقى) ، والمحجر : الحرام ، قال في لسان العرب : (مثلها يؤتى إليه
 الحرام) . يُنظر : الديوان طبعة دار الكتب المصرية / ٨٤ ، ومعاني القرآن ، للفرَّاء / ٢٢٤ ، ولسان العرب (حجر
) ، والمحرَّر الوجيز ١١/٢٦ .

^٢ يُنظر : التحرير والتنوير ١٩ / ٧ ، وجامع البيان ١٢ / ١٤٠ ، والمحرَّر الوجيز ١١/٢٦ .

^٣ سورة الأنعام / ١٣٨ .

^٤ سورة الفرقان / ٥٣ .

معطوف على مفعول (جَعَلَ) ، وقال : ويقول الرجل للرجل : (أَتَفْعَلُ كَذَا) ، فيقول : (حَجْرًا) ، وهي من (حَجَرُهُ) إذا منعه ؛ لأنَّ المستعبد طالب من الله تعالى أن يمنع المكروه من أن يلحقه والأصل فيه فتح الحاء ، وقُرئ به كما قال أبو البقاء ، لكن لما خصُّوا استعماله بالاستعاذة أو الحرمان صار كالمثقل ، فلما تغيَّر معناه تغيَّر لفظه عمَّا هو أصله وهو (حَجْرًا) الفتح إلى الكسر (حَجْرًا) ، وقد جاء فيه الضمُّ أيضاً وهي قراءة أبي رجاء ، والحسن ، والضحاك ، ويُقال فيه : (حَجْرِي) بألف التأنيث أيضاً ؛ ومثله في التغير عن أصله : (قَعْدَكَ اللهُ تعالى) بإسكان العين وفتح القاف ، وحكى كسرهما (قَعْدَكَ اللهُ تعالى) عن المازني ، وأنكره الأزهري ، و (قعيدك) وهو منصوب على المصدرية ، والمراد : رقيبك وحفيظك اللهُ تعالى ، ثمَّ نقل إلى القسم ، فقيل : (قعدك أو قعيدك اللهُ تعالى لا تفعل) ، وأصله بإقعاد اللهُ تعالى : أي إدامته سبحانه لك ، وكذا : (عَمَّرَكَ اللهُ) ، و (عَمَّرَكَ اللهُ) بفتح الراء وفتح العين وضمها وهو منصوب على المصدرية ، ثمَّ اختصَّ بالقسم ، وأصله : (بتعميرك اللهُ تعالى) ، أي : بإقرارك له بالبقاء ، وما ذكر من أنَّه لازم النصب على المصدرية بفعل واجب الإضمار اعترض عليه بما أنشده الزمخشري للعجاج :

قَالَتْ وَفِيهَا حَيْدَةٌ وَدُعْرٌ عُودٌ بِرَبِّي مِنْكُمْ وَحُجْرٌ

فإن قلت : فإذا قد ثبت أنَّه من باب المصادر ، فما معنى وصفه بمحجور ؟ قلت : جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر ، كما قالوا : (شَعَرَ شَاعِرٌ) ، و (مَوَتْ مَائِثٌ) ، و (لَيْلٌ أَلَيْلٌ) ، و (ذَيْلٌ ذَائِلٌ) ، وذكر أنَّ مفعولاً هنا للنسب ، أي : (ذو حجر) وهو كفاعل يأتي لذلك ، وقيل : إنَّه على الإسناد المجازي وليس بذلك ، والمعنى أنَّهم يطلبون نزول الملائكة عليهم السلام وهم إذا رأوهم كرهوا لقاءهم أشدَّ كراهة وفزعوا منهم فزعاً شديداً ، وقالوا ما كانوا يقولونه عند نزول خطب شنيع وحلول بأس فظيع ، وقيل : ضمير يقولون للملائكة وروي ذلك

^١ يُنظر : ديوانه / ٣١٧ ، والكشاف / ٤٠٥/٢ ، ولسان العرب (حجر) ، و (عود) ، والبحر المحيط / ٤٩٣/٦ ، والصَّحاح (عور) / ٤/٢ ، والمختصَّص / ٤٦١/٣ ، وتهذيب اللغة (عاذ) / ٣٥٧/١ ، والحكم والمحيط الأعظم / ٣٣٥/٢ ، وتاج العروس (عوذ) / ٤٤٤/٩ ، (حجر) / ٥٤٩/١٠ ، ولسان العرب (حجر) / ٤ / ١٦٥ ، وترتيب اصلاح المنطق / ٢٧٢ ، والدُّرُّ المصون / ٢٥٠/٥ .

عن أبي سعيد الخدري ، والضحاك ، وقتادة ، وعطية ، ومجاهد قالوا : إنَّ الملائكة يقولون للكفار : (حَجْرًا مَحْجُورًا) ، أي : حراماً محرّماً عليكم البشرى أي جعلها الله تعالى حراماً عليكم . وفي بعض الروايات أنّهم يطلبون البشرى من الملائكة عليهم السلام فيقولون ذلك لهم ، وقال بعضهم : يعنون حراماً محرّماً عليكم الجنّة .^١

٥. (مَفْعَلٌ) بفتح الميم والعين، و (مَفْعِلٌ) بفتح الميم وكسر العين :

بناءً ان للمصدر الميمي من الفعل الثلاثي ، الأوّل (مَفْعَلٌ) بفتح العين قياسيً، والآخر (مَفْعِلٌ) بكسر العين سماعيً فيه ، فيصاغ المصدر الميمي من الفعل الثلاثي على وزن (مَفْعَلٌ) بفتح الميم والعين إلاّ إذا كان مثلاً صحيح اللام تحذف فاؤه في المضارع، فإنّه يُصاغُ على (مَفْعِلٌ) بفتح الميم وكسر العين . ومما ورد على هذين البنائين من المصادر في القراءات القرآنية التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره :

قراءة (مَطَّلَعٌ) من قوله ﷻ : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطَّلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلَعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ۗ ﴾ ، ومن قوله ﷻ : ﴿ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطَّلِعَ الْفَجْرِ ۗ ﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور في قراءة (مَطَّلَعٌ) قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة فتح الميم واللام (مَطَّلَعٌ) ، ونسبها إلى الجمهور ، وهم ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحمزة ، وأبو جعفر على أنّه مصدر ميمي ، أي

^١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٩ / ٧ ، وروح المعاني ١٩ / ٦ ، واللباب في علوم الكتاب ١٤ / ٥١٢ ، والكشاف ٢ / ٤٠٥ ، وإرشاد العقل السليم ٥ / ٩٧ ، والصّحاح (عور) ٢ / ٤ ، والمخصّص ٣ / ٤٦١ ، وتهديب اللغة (عاذ) ١ / ٣٥٧ ، والدّرُّ المصون ٥ / ٢٥٠ .

^٢ سورة الكهف / ٩٠ .

^٣ سورة القدر / ٥ .

طلوع الفجر ، أي ظهوره ، تقول العرب : طَلَعَتِ الشَّمْسُ طُلُوعاً وَمَطْلَعاً ، وهي لغة أهل الحجاز .^١

القراءة الثانية : قراءة فتح الميم وكسر اللام (مَطْلَع) ، ونسبها إلى الكسائي ، وخلف ، وقرأ بها أيضاً يحيى بن وثاب ، والأعمش ، وأبو رجاء ، وطلحة ، وابن محيصن بخلاف عنه ، وأبو عمرو بخلاف عنه بكسرها ، على معنى زمان طلوع الفجر ، توجيهها منهم ذلك إلى الاكتفاء بالاسم من المصدر ، وهم يبنون بذلك المصدر .^٢

ورجَّح الطبري ووافقه البغوي : قراءة فتح اللام (مَطْلَع) ؛ لصحَّة معناه في العربيَّة ، وذلك أنَّ (المَطْلَع) بالفتح هو الطُّلوع ، و (المَطْلَع) بالكسر : هو الموضع الذي تطلع منه ، ولا معنى للموضع الذي تطلع منه في هذا الموضع ، وقال الفراء : والفتح أقوى في قياس العربيَّة ؛ لأنَّ

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ٤٦٦/٣٠ ، وجامع البيان ١٦٨/٣٠ ، والنشر ٤٠٣/٢ ، والسبعة في القراءات ٦٩٣/٣ ، ومعاني القرآن ، للفرَّاء ٢٠٨/٣ - ٢٨١ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٤٨/٥ ، وحجَّة القراءات ٧٦٨/٣ ، والحجَّة في القراءات السبع ٣٧٤/٣ ، وشرح الشاطبيَّة ٣٠٣/٣ ، وإتحاف فضلاء البشر ٤٤٢/٤ ، والكشَّاف ٣٥١/٣ ، ومفاتيح الغيب ٣٧/٣٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣٤/٣٠ ، والعنوان ٢١١/٢ ، والبحر المحيط ٤٩٧/٨ ، والتيسير ٢٢٤/٢ ، ومجمَّع البيان ١٩٠/٣٠ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٥٠١/٢ ، وإعراب النخَّاس ٧٤٥/٣ ، والبيان ٥٢٤/٢ ، والتبيان في إعراب القرآن ١٢٩٦/٢ ، والكافي في القراءات السبع ٢٠٤/٤ ، وزاد المسير ١٩٤/٩ ، والتبيان في تفسير القرآن ٣٨٥/١٠ ، والمحزَّر الوجيز ١٩٣/١٥ ، وشرح شافية ابن الحاجب ١٧١/١ ، وإرشاد المبتدي ٦٤٢/٦ ، وغرائب القرآن ١٤١/٣٠ ، وروح المعاني ٢٥٣/٣٠ ، والتذكرة في القراءات الثمان ٦٣٤/٦ ، والدُّرُّ المصون ٥٥٠/٦ ، وفتح القدير ٤٧٢/٥ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٥١٩/١٠ .

^٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ٤٦٦/٣٠ ، وجامع البيان ١٦٨/٣٠ ، والنشر ٤٠٣/٢ ، والسبعة في القراءات ٦٩٣/٣ ، ومعاني القرآن ، للفرَّاء ٢٨٠/٣ - ٢٨١ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٤٨/٥ ، وحجَّة القراءات ٧٦٨/٣ ، والحجَّة في القراءات السبع ٣٧٤/٣ ، وشرح الشاطبيَّة ٣٠٣/٣ ، وإتحاف فضلاء البشر ٤٤٢/٤ ، والكشَّاف ٣٥١/٣ ، و مفاتيح الغيب ٣٧/٣٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣٤/٣٠ ، والعنوان ٢١١/٢ ، والبحر المحيط ٤٩٧/٨ ، والتيسير ٢٢٤/٢ ، ومجمَّع البيان ١٩٠/٣٠ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٥٠١/٢ ، وإعراب النخَّاس ٧٤٥/٣ ، والبيان ٥٢٤/٢ ، والتبيان في إعراب القرآن ١٢٩٦/٢ ، والكافي في القراءات السبع ٢٠٤/٤ ، وزاد المسير ١٩٤/٩ ، والتبيان في تفسير القرآن ٣٨٥/١٠ ، والمحزَّر الوجيز ١٩٣/١٥ ، و شرح شافية ابن الحاجب ١٧١/١ ، وإرشاد المبتدي ٦٤٢/٦ ، وغرائب القرآن ١٤١/٣٠ ، وروح المعاني ٢٥٣/٣٠ ، والتذكرة في القراءات الثمان ٦٣٤/٦ ، والدُّرُّ المصون ٥٥٠/٦ ، وفتح القدير ٤٧٢/٥ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٥١٩/١٠ .

(المَطَّلِعُ) بالفتح : الطلوع ، و (المَطَّلِعُ) بالكسر : الموضع الذي يطلع منه ، إلاَّ أنَّ العرب تقول : (طَلَعَتِ الشَّمْسُ مَطَّلِعاً) بالكسر ، وهم يريدون المصدر ، كما تقول : (أَكْرَمْتُكَ كَرَامَةً) ، فتجتزئ بالاسم عن المصدر .

وقيل : إنَّ (مَطَّلِعُ) بفتح اللام ، و (مَطَّلِعُ) بكسر اللام مصدران في لغة بني تميم . والفتح أكثر نحو المخرج والمقتل ، وقيل : إنَّ (مَطَّلِعُ) بفتح اللام المصدر ، و (مَطَّلِعُ) بكسر اللام اسم مكان لموضع الطلوع بالكسر عند أهل الحجاز ، وقيل : العكس .

وقال سيبويه : ((وقد كسروا المصدر في هذا كما كسروا في (يَفْعَلُ) ، قالوا : أَتَيْتُكَ عِنْدَ مَطَّلِعِ الشَّمْسِ ، أي عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ . وهذه لغة بني تميم ، وأمَّا أهل الحجاز فيفتحون . وقد كسروا الأماكن في هذا أيضاً ، كأنهم أدخلوا الكسر أيضاً كما أدخلوا الفتح . وذلك : المنبت ، والمَطَّلِعُ لمكان الطلوع . وقالوا : البَصْرَةُ مَسْقِطُ رَأْسِي ، للموضع . والسُّفُوطُ المَسْقِطُ)) وقد يختلف الناس في المطلع ؛ فبعض النَّاسِ يزعم أنَّ المطلع هو المكان الذي يطلع فيه ، ويجعل المطلع المصدر . وبعضهم يقول كما قال سيبويه ، وقال سيبويه قبل ذلك : ((وربما بنوا المصدر على المفعول كما بنوا المكان عليه)) .

وذكر ابن الجوزي عن ابن الأنباري : أنه لا خلاف بين أهل العربية في أنَّ (المَطَّلِعُ) بكسر اللام ، و (المَطَّلِعُ) بفتحها كلاهما يعني بهما المكان الذي تطلع منه الشمس . ويقولون : إنَّ ما كان على (فَعَلَ يَفْعُلُ) ، فالمصدر واسم الموضع يأتيان على (المَفْعَلُ) ، كقولهم : (المَدْخَلُ) للدخول ، والموضع الذي يُدْخَلُ منه ، إلاَّ أحد عشر حرفاً جاءت مكسورة إذا أريد بها المواضع ، وهي : المَطَّلِعُ ، والمَسْكِنُ ، والمُنْسِكُ ، والمَشْرِقُ ، والمَغْرِبُ ، والمَسْجِدُ ، والمنبت ،

^١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٤٦٦/٣٠ ، وجامع البيان ١٦٨/٣٠ ، ومعاني القرآن ، للفرَّاء ٢٨٠/٣ - ٢٨١ ، و مفاتيح الغيب ٣٧/٣٢ ، وزاد المسير ١٩٤/٩ ، والتبيان في تفسير القرآن ٣٨٥/١٠ ، ولسان العرب (طلع) ، وتهذيب تهذيب اللغة ١٦٨/٢ ، والبيان ٥٢٤/٢ ، ومعالم التنزيل ٨ / ٤٩٢ ، ودقائق التصريف / ١٢٣ .

^٢ يُنظَرُ : البحر المحيط ٤٩٧/٨ ، وفتح القدير ٤٧٢/٥ .

^٣ الكتاب ٤ / ٨٨ ، ٩٠ . يُنظَرُ : الأصول ١٤١/٣ ، وإعراب النخاس ٧٤٥/٣ - ٧٤٦ ، والمخصَّص ١٩٤/١٤ ، والقراءات القرآنية في المعجمات اللغوية / ٥١١ .

والمَجْزِر ، والمَفْرَق ، والمِسْقَط ، والمَهْبِل ، الموضع الذي تضع فيه الناقة ؛ وخمسة من هؤلاء الأحد عشر حرفاً سُمِعَ فيهنَّ الكسر والفتح : المَطْلَع ، والمَطْلَع . والمُنْسِك ، والمُنْسِك . والمَجْزِر ، والمَجْزِر . والمِسْكِن ، والمِسْكِن . والمُنْبِت ، والمُنْبِت . فقرأ الحسن على الأصل من احتمال المَفْعَل الوجهين الموصوفين (بفتح العين وكسرها) . وأنَّ قراءة العامة على اختيار العرب وما كثر على ألسنتها ، وخصَّت المَوْضِع بالكسر ، وآثرت المصدر بالفتح . وذكر عن أبي عمرو: أنَّ (المَطْلَع) بالكسر : الموضع الذي تطلع فيه ؛ و (المَطْلَع) بالفتح: الطُّلوع؛ قال ابن الأنباري : هذا هو الأصل ، ثمَّ إِنَّ العرب تَتَّسَع فتجعل الاسم نائباً عن المصدر، فيقروون: ((حتى مَطْلَع الفجر)) بالكسر وهم يعنون الطُّلوع ؛ ويقراً من قرأ ((مَطْلَع الشمس)) بالفتح على أنه موضع بمنزلة المدخل الذي هو اسم للموضع الذي يدخل منه .

وقال الألويسي : في قوله تعالى : ((حتى مَطْلَعِ الْفَجْرِ)) : إِنَّه غاية تَبَيُّن تعميم السلامة أو التسليم كلِّ الليلة ، فالجار متعلِّق بسلام ، و (مطلع) اسم زمان، وقد صرَّحوا أَنَّهُ من (يَفْعَلُ) بفتح العين ، و (يَفْعَلُ) بضمِّها على (مَفْعَل) مفتوح العين، وجوِّز كونه مصدرًا ميميًّا بمعنى الطلوع ، وأَنَّهُ يحتاج إلى تقدير مضاف قبله هو (وقت) أو ما في معناه لتتَّحد الغاية والمغيا ، فيكونان من جنس واحد ، وقد صحَّ تعلُّق الجار بذلك مع الفصل؛ لأنَّه ليس بمصدر نظراً للحقيقة ، وذكر عن الطبرسي وغيره أَنَّهُ أفاد أَنَّهُ لا بدَّ من تأويله بسالمة أو مسلمة ؛ ليصحَّ التعلُّق ، أمَّا لو أبقى على مصدرَيْته فلا يصحُّ للزوم الفصل بين الصلة والموصول ، وذهب بعضهم إلى أَنَّ الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدأ مغتفر، وجوِّز أن تتعلَّق الغاية بالتنزُّل على معنى أَنَّهُ لا ينقطع تنزلهم فوجاً بعد فوج إلى وقت طلوع الفجر، وتُعْجِبُ بأنَّه تعسَّف ؛ لأنَّ ((سَلامٌ هِيَ)) أجنبي وليس باعتراض فلا يحسن الفصل به، وجعله حالاً من الضمير المجرور في قوله تعالى ((فيها)) أي ذات سلامة أو سلام لا يخفى حاله وقيل يجوز أن يكون الوقف على سلام وهو خبر لمحدوف ((من كلِّ أمر)) متعلِّق به، وهي مبتدأ وحتى مطلع الفجر خبره ، ولم

^١ يُظَرَّ: زاد المسير ١٩٤/٩، وجامع البيان ١٦٨/٣٠، و مفاتيح الغيب ٣٧/٣٢، والتبيان في تفسير القرآن ٣٨٥/١٠، ومعالم التنزيل ٤٩٢/٨.

يجوز ذلك الطيبي والطبرسي وغيرهما ، قالوا : لعدم الفائدة بالإخبار عنها بأنها حتى مطلع الفجر إذ كل ليلة بهذه الصفة ، وأجيب بأنه لما أخبر عنها بأنها خير من ألف شهر ، وفهم أنها مخالفة لسائر الليالي في الصفة ، وكان ذلك مظنة توهم أن ذاتها في المقدار مغايرة لذوات الليالي فيه أيضاً دفع ذلك بقوله تعالى : ((هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ)) .^١

ونخلص إلى أن القراءتين (مَطَّلَع) و (مَطَّلِع) بفتح اللام وكسرها مصدران ، وهما لغتان فيه بمعنى : حتى طلوع الفجر ، فالفتح لغة أهل الحجاز ، وهي القياس ، والكسر لغة بني تميم ، وهي مسموعة عن العرب .^٢

٦. (فُعُولٌ) ، و (فَعُولٌ) ، بضمّ الفاء وفتحها :

(فُعُولٌ) ، و (فَعُولٌ) ، بضمّ الفاء وفتحها بناءان للمصدر من الفعل الثلاثي الذي على وزن : (فَعَلَ) اللازم فغالباً يكون مصدره على وزن : (فُعُول) بضمّ الفاء ، نحو : (رَكَعَ رُكُوعاً) ، و (قَعَدَ قُعُوداً) ، و (بَكَرَ بُكُوراً) وهذا مصدر قياسي ، وقد يأتي على (فُعُولٌ) ، بفتح الفاء سماعي ، نحو : (وَفَدَ وَفُوداً) ، و (قَبَلَ قَبُولاً) . ومما ورد على هذين المصدرين في القراءات القرآنية التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره :

قراءة (وَقُودٌ) من قوله ﷻ : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٢٤) ، ومن قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾ (١٠) ، ومن قوله ﷻ : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُورًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ ﴾

^١ يُنظَر : روح المعاني ٢٥٣/٣٠ ، وزاد المسير ١٩٤/٩ ، وجامع البيان ١٦٨/٣٠ ، و مفاتيح الغيب ٣٧/٣٢ ، والتبيان في تفسير القرآن ٣٨٥/١٠ ، ومعالم التنزيل ٤٩٢ / ٨ .

^٢ يُنظَر : الكتاب ٩٠/٤ ، والموجز في النحو ١٣٩/ ، والقراءات القرآنية في المعجمات اللغوية / ٥١١ - ٥١٢ .

^٣ سورة البقرة / ٢٤ .

^٤ سورة آل عمران / ١٠ .

شَدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ، ومن قوله ﷺ: ﴿النَّارِ ذَاتِ

الْوُقُودِ ﴿٥﴾ فقد ذكر ابن عاشور^٢ في قراءة (وَقُودٌ) قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة فتح الواو (الوُقُود) ، ولم ينسبها إلى أحد ، وقد قرأ بها جمهور القراء ، بل وصفها بأنها المتعيّنة ؛ لأنّ المراد الاسم .^٣

القراءة الثانية : قراءة ضمّ الواو (الوُقُود) ووصف هذه القراءة بالشذوذ ، وذلك على اعتبار الضم مصدرًا ، أو على حذف مضاف أي ذُؤُو وَقُودِهَا النَّاسُ ، قرأ بها الحسن البصري وعيسى بن عمرو ، ومجاهد ، وطلحة بن مصرف ، في آيتي البقرة والبروج .^٤

قال ابن عاشور: إنّ (الْوُقُودَ) بفتح الواو اسم لما تُوقد به النار من حطب ونفط ونحوه، و (الْوُقُودَ) بضمها مصدر وقيل بالعكس، وذكر عن ابن عطية أنّه حُكِيَ (الْوُقُودَ) بالضم (الْوُقُودَ) بالفتح في كلِّ من الحطب والمصدر. وقياس (فَعُولٌ) بفتح الفاء أنّه اسم لما يُفعل به ك (الْوُضوءِ، والْحَنُوطِ، والسَّعُوطِ، والْوَجُورِ) إلّا سبعة ألفاظ وردت بالفتح للمصدر وهي: (الْوُلُوعِ، والقَبُولِ، والْوُضوءِ، والطَّهَورِ، والْوَزُوعِ، واللَّغُوبِ، والْوُقُودِ) .^٥

قال الأخفش: إنّ (الْوُقُودَ) بفتح الواو: الحطب، و (الْوُقُودَ) بضمّها: الاتِّقَادُ وهو الفعلُ، قال: ومثل ذلك الوُضُوءُ، وهو الماء الذي يُتَوَضَّأُ به، و (الْوُضُوءُ) وهو الفعلُ، يقال: وَقَدْتُ النَّارَ تَقْدُ وُقُودًا بضمّ الواو، ووقّدا ووقّدة ووقّيداً ووقّدا ووقدانا، أي توقّدت. وأوقدتها أنا واستوقدتها أيضا. والاتقاد مثل التوقّد، والموضع موقّد، مثل مَجْلِسِ، والنار موقّدة. والوقدة: شدّة الحرِّ، وهي عشرة أيام أو نصف شهر. وقال النحّاس: يجب على هذا ألاّ يقرأ إلّا (وُقُودُهَا) بفتح الواو؛ لأنّ المعنى حطبها، إلّا أنّ الأخفش قال: وحكي أنّ بعض العرب يجعل (الْوُقُودَ) بفتح الواو،

^١ سورة التحريم / ٦ .

^٢ سورة البروج / ٥ .

^٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١ / ٣٤٤ .

^٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١ / ٣٤٤ .

^٥ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١ / ٣٤٤ ، ٣٠ / ٢٤٢ ، والتبيان في تفسير القرآن / ٤١ .

و(الْوُقُودُ) بضمِّها لغتان بمعنى واحد، يُقال (الْوُقُودُ)، و (الْوُقُودُ) يجوز أن يُعنى بهما الحَطْبُ، ويجوز أن يُعنى بهما الفعلُ، وقيل: (القُبُولُ)، و(الْوُلُوعُ) مَفْتُوحان وهما مَصْدَران شاذَّان، وما سِوَاهُما من المِصْدَرِ فَمَبْنِيٌّ على الضمِّ، وقال النحَّاس: وذهب إلى أنَّ الأوَّلَ أكثر، قال: كما أنَّ الوضوء الماء، والوضوء المصدر . وقال الزجاج: إنَّ الوقود الحطب ، وكلَّ ما أوقد به فهو وقود، والمصدر (الْوُقُودُ) مضموم، ويجوز (الْوُقُودُ) بالفتح، قالوا: وقدت النارُ وقوداً، مثل: قبلت الشيء قَبُولاً، فقد جاء في المصدر (فَعُولُ) والباب بالضم (فُعُولُ) وقال الأزهري: وقوله: ((النار ذات الوقود)) معناه التَّوقد فيكون مصدراً أحسن من أن يكون الوقود بمعنى الحطب. فالزجاج يرى أنَّ الوقود بفتح الواو - هنا - بمعنى الحطب ، ويمكن أن يكون مصدراً، وبذلك يكون المصدر وقوداً بفتح الواو وضمِّها ، والأصل فيه الضم .

فخلاصة القول: أنَّ من جعل الضمَّ لغةً في الفتح فمعناها عنده الحطب، ومن جعل الفتح لغة في الضمِّ فهما عنده مصدر بمعنى الاتقاد، ولكن كون المضموم (وُقُودُ) مصدراً أكثر من المفتوح (وُقُودُ)، وأحسن؛ لأنَّ المفتوح (وُقُودُ) يحتمل الاسميَّة والمصدرية، أمَّا المضموم (وُقُودُ) فلا يحتمل غير المصدرية .

ثانياً : اختلاف أبنية المشتقات، والجموع في القراءات

القرآنية

^١ يُنظر: الكتاب ٤/٤٢ ، والمقتضب ٢/١٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن ١/٢٣٦ ، وإعراب القرآن، للنحَّاس ١/١٥١ ، والعين ٧ / ٧٦ ، ولسان العرب (وضاً) ١/١٩٤ ، والصحاح (وضاً) ، و (وقد) ، ومعاني القرآن، للأخفش ٥١ / ، والعباب الزاخر ١ / ٥١ ، و المزهري في علوم اللغة ٢/٧٣ ، والنقد اللغوي في تهذيب اللغة للأزهري ، والقراءات القرآنية في المعجمات اللغوية / ٥١٢ .

^٢ يُنظر : الكتاب ٤/٤٢ ، والمقتضب ٢/١٢٧ - ١٢٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١/٢٣٦ ، والعين ٧ / ٧٦ ، ولسان العرب (وضاً) ١/١٩٤ ، ومعاني القرآن ، للأخفش ٥١ / ، والعباب الزاخر ١ / ٥١ ، والقراءات القرآنية في المعجمات اللغوية / ٥١٢ .

١ . الاسم بين جمعي القلة الكثرة :

من القراءات القرآنيّة التي ذكرها ابن عاشور وكان وجه الاختلاف فيها من قبيل التردّد بين جمعي القلة والكثرة، جاء ذلك في :

قوله : ((لِفَيْئِنِهِ)) من قوله ﷺ : ﴿ وَقَالَ لِفَيْئِنِهِ أَجْعَلُوا بِضَعْنَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا أُنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٦٢) ، فقد ذكر ابن عاشور في قراءة ((لِفَيْئِنِهِ)) قراءتين :

القراءة الأولى : ((لِفَيْئِنِهِ)) بحذف الألف بعد الياء ثمّ بقاء، بِوَزْنِ فِعْلَةٍ جَمْعُ تَكْسِيرٍ فَتَّى مِثْلِ أَخٍ وَإِخْوَةٍ، وذكر أنّها صيغة قلة، ونسبها إلى الجُمهور، وهم ابن كثير، ونافع، وأبو عمر، وابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر، وأبي جعفر، ويعقوب .

القراءة الثانية : ((لِفَيْئِنِهِ)) بِوَزْنِ إِخْوَانٍ، ونسبها إلى حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف، وذكر أنّها صيغة كثرة. وأنّ كليهما يُستعمل في الآخر .

جاء عن أبي عليّ الفارسي أنّ الفتيان جمع كثرة، والفتية : جمع قلة، فالتكثير بالنسبة إلى المأمورين، والقلة بالنسبة إلى المتناولين، وأنّ فتى : يجمع على فتيان، وفتية، ومثله أخ؛ فإنّه جمع على أخوة وإخوان؛ وخرجهما على أنّهما لغتان بمثل الصبيان والصبيّة .

١ سورة يوسف / ٦٢ .

٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٣ / ١٤، والحجّة للقراء السبعة ٤ / ٤٣٠، وإعراب القراءات السبع ١ / ٣١٢، وحجّة القراءات ٣٦١، وإتحاف فضلاء البشر ٢ / ١٥٠، والمحرّر الوجيز ٣ / ٢٥٩، والبحر المحيط ٥ / ٣٢٠، والدُّرُّ المصون ٦ / ٥١٧، واللباب في علوم الكتاب ١١ / ١٤٤، ومعجم القراءات، للخطيب ٤ / ٢٩٣ .

٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٣ / ١٤، والحجّة للقراء السبعة ٤ / ٤٣٠، وإعراب القراءات السبع ١ / ٣١٢، وحجّة القراءات ٣٦١، وإتحاف فضلاء البشر ٢ / ١٥٠، والمحرّر الوجيز ٣ / ٢٥٩، والبحر المحيط ٥ / ٣٢٠، والدُّرُّ المصون ٦ / ٥١٧، واللباب في علوم الكتاب ١١ / ١٤٤، ومعجم القراءات، للخطيب ٤ / ٢٩٣ .

٤ يُنظَر : الحجّة للقراء السبعة ٤ / ٤٣٠، والدُّرُّ المصون ٦ / ٥١٧، واللباب في علوم الكتاب ١١ / ١٤٤، ومعجم القراءات، للخطيب ٤ / ٢٩٣ .

٢. الاسم بين المصدرية واسم الفاعل :

من القراءات القرآنية التي ذكرها ابن عاشور وكان وجه الاختلاف فيها يتردد بين صيغتي المصدر واسم الفاعل، جاء ذلك في :

قوله : ((حَفِظًا)) من قوله ﷺ : ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَيَّ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَأَلَّهْ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾^{٦٤} ، فقد ذكر ابن عاشور في قراءة ((حَفِظًا)) قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة ((حَفِظًا))، بكسر الحاء وبدون ألفٍ، ونسبها إلى الجُمهُورِ، وهم: ابن كثير، ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر ، وخرَّجها على أنَّهَا مَصْدَرٌ مَنصُوبٌ عَلَى التَّمْيِيزِ. ولم يَجِزُوا فِيهَا غَيْرَ التَّمْيِيزِ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ جَعَلُوهَا حَالًا، لَكَانَتْ مِنْ صِفَةِ مَا يَصْدُقُ عَلَيْهِ (حَيْرٌ)، ولا يَصْدُقُ ذَلِكَ عَلَى مَا يَصْدُقُ عَلَيْهِ (حَيْرٌ)؛ لِأَنَّ الحَفِظَ مَعْنَى مِنَ المَعَانِي، وَمَنْ يَتَأَوَّلُ: (زَيْدٌ عَدْلٌ) عَلَى المَبَالِغَةِ أَوْ عَلَى حَذْفِ مِضَافٍ، أَوْ عَلَى وَقُوعِ المِصْدَرِ مَوْقِعَ الوَصْفِ يَجِيزُ فِي (حَفِظًا) أَيْضًا الحَالِيَّةَ بِالتَّأْوِيلَاتِ المَذْكُورَةِ، وفيه تَعَسُّفٌ .^٣

وجاء عن أبي عليِّ الفارسيِّ: أَنَّ تَخْرِيجَ هَذِهِ القِرَاءَةِ ((حَفِظًا))، عَلَى أَنَّهُ قَدْ ثَبِتَ قَوْلُهُ: ((وَنَحْفَظُ أَخَانَا)) مِنْ قَوْلِهِ ﷺ : ﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضَعَتِهِمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَانَ مَا نَبَغِي هَذِهِ بِضَعْنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزَادُ كَيْلَ

١ سورة يوسف / ٦٤ .

٢ يُنظَرُ : التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ١٣/١٤ ، وَإِعْرَابُ الْقُرْآنِ ، لِلنَّحَّاسِ ٢/٢٠٧ ، وَالتَّيْسِيرُ فِي القِرَاءَاتِ السَّبْعِ ١٠٥/١ ، وَالحِجَّةُ لِلقِرَاءَةِ السَّبْعَةِ ٤/٤٣٨ ، وَالحِجَّةُ ٤٣٨/٤٣٩ ، وَإِعْرَابُ القِرَاءَاتِ السَّبْعِ ١/٣١٤ ، وَاتِّحَافُ فَضلاءِ البَشَرِ ٢/١٥٠ ، وَالمَحَرَّرُ الوَجِيزُ ٣/٢٦٠ ، وَمَعْجَمُ القِرَاءَاتِ ، لِلخَطِيبِ ٤/٢٩٦ .

٣ يُنظَرُ : التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ١٣/١٤ ، وَالحِجَّةُ لِلقِرَاءَةِ السَّبْعَةِ ٤/٤٣٨ ، وَالبَابُ فِي عِلْمِ الكِتَابِ ١١/١٤٦-١٤٧ .

بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ لَّيَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ ، وقوله: ((وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) من قوله ﷺ: ﴿أَرْسَلَهُ
مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿١٢﴾ ، أنهم قد أضافوا إلى أنفسهم حفظاً،
فالمعنى على الحفظ الذي نسبوه إلى أنفسهم، وإن كان منهم تفريط في حفظهم ليوسف، كما أن
قوله: ((أَيْنَ شُرَكَاءِي)) من قوله ﷺ: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِي
الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ
﴿٢٧﴾ ، ومن قوله ﷺ: ﴿وَيَوْمَ يناديهم فيقول أَيْنَ شُرَكَاءِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ ،
لم يثبت لله تعالى شريكاً، ولكن المعنى على الشركاء الذين نسبتموهم إليّ؛ فكذلك المعنى على
الحفظ الذي نسبوه إلى أنفسهم، وإن كان منهم تفريط فإذا كان كذلك، كان معنى: الله خير
حفظاً من حفظكم الذي نسبتموه إلى أنفسكم لقولكم: ((وَتَحْفَظُوا أَخَانًا)) ، و ((وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ)) ، وإن كان منكم فيه تفريط، وأن إضافة خير إلى حفظ محال، ولكن تقول: حفظ
الله خير من حفظكم، لأن الله حافظ «٢»، بدلالة قوله: حافظات للغيب بما حفظ الله ومن
قوله ﷺ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا
مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّي تَخَافُونَ
نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَصْرِبُوهُنَّ فَإِنِ اطَّعَنَكُمْ فَلَا نَبْعُوهُنَّ
عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾ ﴿٣٤﴾ . .

٦٥

١ سورة يوسف / ٦٥ .

٢ سورة يوسف / ١٢ .

٣ سورة النحل / ٢٧ .

٤ سورة القصص / ٦٢ .

٥ سورة النساء / ٣٤ .

٦ يُنْظَرُ : الْحِجَّةُ لِلْقُرْآنِ السَّبْعَةِ ٤ / ٤٣٩ .

القراءة الثانية : قراءة ((حَفِظًا))، بإثبات الألف، وخرَّجها على أنَّها حالٌ لازمةٌ من اسمِ الجلالة، ونسبها إلى حمزةَ والكسائيِّ، وحفص عن عاصم . وفيه وجهان :^١
الأوَّل: أنَّه تميِّز؛ كقوله: هو خيرُهُم رجلاً، واللهِ ذرُّهُ فارساً! قال أبو علي الفارسي:
((فينبغي أن يكون: حافظاً منتصباً على التمييز دون الحال كما كان حفظاً كذلك)) . وهنا لا
تستحيل الإضافة في قوله: ((خيرٌ حَفِظًا)) ، و((خير الحافظين))، كما تستحيل في: ((خير
حفظاً))، قال أبو البقاء العكبري : ((ومثلُ هذا يُجوزُ إضافته)) ، وقد قرأ بذلك الأعمشُ:
((فإنَّه خيرٌ حافظٍ))، والله تعالى متَّصفٌ بأنَّ حفظه يزيدُ على حفظِ غيره؛ كقولك: هُوَ أفضلُ
عالمٍ .^٤

والثاني : أنَّه حالٌ، ذكَّر ذلك الرَّجَّاج، والزَّمخشرِيُّ، وأبوالبقاء، وغيرهما . قال الرَّجَّاج:^٥
((و(حَفِظًا) منصوب على الحال، ويجوز أن يكون حافظاً على التمييز أيضاً)) ، وقال أبوالبقاء:^٦
((وقيل هو حال)) ، وقال أبو حيَّان: وقد نقله عن الزَّمخشري وحده : ((وأجاز الزَّمخشري أن

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٣ / ١٤ ، والسبعة / ٣٥٠ ، وإعراب القرآن، للنحاس ٢ / ٢٠٧ ، والتيسير في القراءات
السبع / ١٠٥ ، والحجَّة / ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، والحجَّة للقراء السبعة ٤ / ٤٣٩ ، وإعراب القراءات السبع ١ / ٣١٤ ، وإتحاف
فضلاء البشر ٢ / ١٥٠ ، والمحزَّر الوجيز ٣ / ٢٦٠ ، والبحر المحيط ٥ / ٣٢٠ ، والدُّرُّ المصون ٦ / ٥١٨ ، واللُّباب في علوم
القرآن ١١ / ١٤٦ ، ومعجم القراءات، للنخطيب ٤ / ٢٩٦ .

^٢ الحجَّة للقراء السبعة ٤ / ٤٣٩ ، ويُنظَر : والمحزَّر الوجيز ٣ / ٢٦٠ .

^٣ التبيان في إعراب القرآن ٢ / ٥٥ . ويُنظَر : الحجَّة للقراء السبعة ٤ / ٤٣٩ ، والدُّرُّ المصون ٦ / ٥١٨ ، اللُّباب في علوم القرآن
١١ / ١٤٦ .

^٤ يُنظَر : الكشَّاف ٢ / ٤٨٦ ، والبحر المحيط ٥ / ٣٢٠ ، والدُّرُّ المصون ٦ / ٥١٨ ، اللُّباب في علوم القرآن ١١ / ١٤٦ .

^٥ يُنظَر : التبيان في إعراب القرآن ٢ / ٥٥ ، والكشَّاف ٢ / ٤٨٦ ، الدُّرُّ المصون ٦ / ٥١٨ ، اللُّباب في علوم القرآن
١١ / ١٤٦ .

^٦ معاني القرآن وإعرابه ٣ / ١١٨ .

^٧ التبيان في إعراب القرآن ٢ / ٥٥ .

يكون (حافظاً) حالاً وليس بجيدٍ؛ لأنَّ فيه تقييدَ خيرٍ بهذه الحال)) . وقال شهابُ الدِّين: ((ولا محذور، فإنَّ هذه الحال لازمةٌ؛ لأنَّها مؤكدةٌ لا مبيَّنةٌ وليس هذا بأوَّل حال وردت لازمةً)) ، والذي أميل إليه أنَّه يجوز إعرابها حالاً؛ لأنَّه كما قال السمين الحلبي إنَّها حال لازمةٌ؛ كونها مؤكدة لا مبيَّنة، وقد وردت الحال كثيراً لازمةً، وإنَّ كان إعرابها تمييزاً أظهر .^٣

وذكر الزمخشري وأبو حيَّان قراءةً ثالثة عن أبي هريرة : ((خير الحافظين)).

وذكر ابن عطية قراءةً رابعة عن ابن مسعود : ((فالله خير حافظاً وهو خير الحافظين)).

وهاتان القراءتان تفسيريَّة لقوله : ((فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا))، لا أنَّها قرآن . وهو أرحم الراحمين اعتراف بأنَّ الله هو ذو الرحمة الواسعة ، فأرجو منه حفظه ، وأن لا يجمع على مصيئته ومصيبة أخيه .^٤

٣. الاسم بين اسم الفاعل وصيغة المبالغة:

من القراءات القرآنيَّة التي ذكرها ابن عاشور وكان وجه الاختلاف فيها يتردَّد بين صيغتي اسم الفاعل والمبالغة، جاء ذلك في :

قوله : ((سَجِرٍ)) من قوله ﷻ : ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَجِرٍ عَلِيمٍ﴾ ، فقد ذكر

ابن عاشور في قراءة ((سَجِرٍ)) قراءتين :

^١ البحر المحيط ٥/٣٢٠. ويُظنَّر: الكشَّاف ٢/٤٨٦، والدُّرُّ المصون ٦/٥١٨، واللُّباب في علوم القرآن ١١/١٤٦.

^٢ الدُّرُّ المصون ٦/٥١٨.

^٣ يُنظَّر : إبراز المعاني من حرز الأمامي ٢/٢٠٦، والمحزَّر الوجيز ٣/٢٦٠، والدُّرُّ المصون ٦/٥١٨. اللُّباب في علوم القرآن ١١/١٤٦.

^٤ يُنظَّر : الكشَّاف ٢/٤٨٦، والبحر المحيط ٥/٣٢٠، والمحزَّر الوجيز ٣/٢٦٠.

^٥ سورة الأعراف / ١١٢.

القراءة الأولى : قراءة ((سَحْرِ)) بألف بعد السين على أنه اسم فاعل، ونسبها إلى الجُمهُورِ، وهم: ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر، وحجّة من قرأ ((سَاحِر)) قوله ﷺ :

﴿ وَالْقَى السَّحْرَةَ سَجِدِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ ، وقوله: ((سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ)) من قوله ﷺ :

﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَزِيمٍ

﴿١١٦﴾ ، وقوله ﷺ: ﴿ لَعَلْنَا نَتَّبِعَ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ ، والسحرة جمع ساحر،^٢

مثل: كتبة وكاتب، وفجرة وفاجر، واسم الفاعل من سحروا (سَاحِر)، والباء في قوله: ((بِكُلِّ

سَحْرِ)) يحتتمل أن تكون بمعنى (مع)، ويحتتمل أن تكون باء التعديّة والله أعلم .

القراءة الثانية : قراءة ((سَحَارٍ)) هنا، وفي قوله ﷺ : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُونِي بِكُلِّ

سَحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ ، ونسبها إلى حمزة وألكيسائي ، ولا خلاف أن قوله ﷺ: ﴿ يَا تَوَكَّ

بِكُلِّ سَحَارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ تُقرأ ((سَحَارٍ))، وخرّج ابن عاشور قراءة ((سَحَارٍ)) على أنّها

مُبَالَغَةٌ فِي مَعْرِفَةِ السَّحْرِ، فَيَكُونُ وَصْفٌ عَلِيمٍ تَأْكِيدًا لِمَعْنَى الْمُبَالَغَةِ؛ لِأَنَّ وَصْفَ عَلِيمٍ الَّذِي هُوَ مِنْ أَمْثَلَةِ الْمُبَالَغَةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى قُوَّةِ الْمَعْرِفَةِ بِالسَّحْرِ، وَخُذِفَ مُتَعَلِّقٌ عَلِيمٍ، لِأَنَّهُ صَارَ بِمَنْزِلَةِ أَفْعَالٍ

١ سورة الأعراف ١٢٠.

٢ سورة الأعراف / ١١٦.

٣ سورة الشعراء / ٤٠.

^٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٩ / ٤٥، والكشاف ٢ / ٣١١، ٣ / ٣١٧، والمحرّر الوجيز ٢ / ٥٠٤، ٣ / ١٥١، ٤ / ٢٧٧، وبحر

العلوم ١ / ٥٥٣، ٢ / ١٢٧، ومفاتيح الغيب ١٤ / ١٦٣، ومعجم القراءات، للخطيب ٤ / ٢٩٦.

٥ سورة يونس / ٧٩.

^٦ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٩ / ٤٥، السبعة ٢٨٩، والحجّة للقراء السبعة ٤ / ٦٣، ٦٤، وإعراب القراءات ١ / ١٩٩، وحجّة

القراءات ٢٩١ - ٢٩٢، والعنوان ٩٦، وشرح الطيبة ٤ / ٣٠٣، وشرح شعلة ٤ / ٣٩٤، وإتحاف فضلاء البشر

٢ / ٥٧، والكشاف ٢ / ١٣١، والمحرّر الوجيز ٢ / ٥٠٤، واللّباب في علوم الكتاب ٩ / ٢٥٦، وبحر العلوم ١ / ٥٥٣،

٢ / ١٢٧، ومعجم القراءات، للخطيب ٤ / ٢٩٦.

٧ سورة الشعراء / ٣٧.

السَّجَايَا. وَالْمَقَامُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ قُوَّةُ عِلْمِ السَّحْرِ لَهُ . وساحر وسَحَّار مثل 'عالم وعَلَام، وقد عُرِفَ أَنَّ: فَعَالًا مِثَال مَبَالِغَةَ. وَيُرْجِحُ (سَحَّار) أَنَّهُ مَجَاوِزٌ لِعَلِيم، وكلاهما مثال مبالغة، وقيل: الساحر: الذي يَعْلَمُ السَّحْرَ وَلَا يُعَلِّمُ، والسَحَّار: الذي يَعْلَمُ، وقيل: الساحر من يكون سحره في وقت دون وقت، والسَحَّار من يديم السحر.

وحجَّة من قرأ ((سَحَّارٍ)) أَنَّهُ قَدْ وَصَفَ بِعَلِيم، ووصفه به يدلُّ على تناهيه فيه وحذقه به، فحسن لذلك أن يذكر بالاسم الدال على المبالغة في السحر .
٢

٤. بين صيغتي الاسم واسم المصدر:

من القراءات القرآنيَّة التي ذكرها ابن عاشور وكان وجه الاختلاف فيها يتردَّد بين صيغتي الاسم واسم المصدر :

قوله : ((مَهْدًا)) من قوله ﷻ : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور^٣ في قراءة ((مَهْدًا)) قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة ((مَهَادًا)) بِكَسْرِ الْمِيمِ وَأَلْفٍ بَعْدَ الْهَاءِ الْمَفْتُوحَةِ، ونسبها إلى الجُمَّهُورِ، وهم ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر، ورويس، وزيد عن يعقوب ، وخرَّجه على أَنَّهُ اسْمٌ مِّمَعْنَى الْمَمْهُودِ، مِثْلُ الْفِرَاشِ الْمَفْرُوشِ، وَاللِّبَاسِ الْمَلْبُوسِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَمْعٌ مَّهْدٍ، وَهُوَ اسْمٌ لِمَا يُمَهَّدُ لِلصَّبِيِّ، أَي يُوضَعُ عَلَيْهِ وَيُحْمَلُ فِيهِ، فَيَكُونُ بِوَزْنِ كِعَابٍ جَمْعًا لِكِعْبٍ. وَمَعْنَى الْجَمْعِ عَلَى اعْتِبَارِ كَثْرَةِ الْبِقَاعِ، واختار أبو عبيدة وأبو حاتم والنحاس هذه القراءة ((مَهَادًا))

^١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٩ / ٤٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٧ / ٢٥٧ .

^٢ يُنظَرُ : معالم التنزيل ٣ / ٢٦٤ ، ومفاتيح الغيب ١٤ / ١٦٣ ، والدُّرُّ المصون ٥ / ٤٠٨ .

^٣ سورة طه / ٥٣ .

^٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٦ / ٢٣٦ ، والسبعة ٤١٨ / ٤١٨ ، والحجَّة في القراءات السبع ٢٤١ / ٢٤١ ، والكشف عن وجوه القراءات ٩٧ / ٢ ، والنشر ٢ / ٣٢٠ ، وإتحاف فضلاء البشر ٣ / ٣٠٣ ، واللُّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ ١٣ / ٢٧٦ ، ومعجم القراءات، للخطيب ٥ / ٤٤٢ .

((لا تَتَفَاهَهُمْ عَلَى قِرَاءَةِ قَوْلِهِ ﷻ : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا ۖ ﴾ ، ولم يختلفوا فيه أنه^١ بالألف . قال النَّحَّاسُ : (((مَهَادًا)) هنا أَوْلَى ؛ لِأَنَّ ((مَهْدًا)) مَصْدَرٌ ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ مَصْدَرٍ إِلَّا عَلَى حَذْفٍ ، أَي ذَاتَ مَهْدٍ)) .

٣

القراءة الثانية : قراءة ((مَهْدًا)) بِفَتْحِ الْمِيمِ وَسُكُونِ الْهَاءِ مِنْ غَيْرِ الْفَاءِ ، وَنَسَبَهَا إِلَى عَاصِمٍ ، وَحَمْزَةٍ ، وَالْكَسَائِيِّ ، وَخَلْفٍ ، وَقَرَأَ بِهَا أَيْضًا الْأَعْمَشُ وَطَلْحَةُ وَابْنُ أَبِي لَيْلَى ، وَقَرَأُوا كَذَلِكَ ((مَهْدًا)) مِنْ قَوْلِهِ ﷻ : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ، وَخَرَجَ (مَهْدًا) عَلَى أَهْلِهَا كَالْمَهْدِ الَّذِي يُمَهَّدُ لِلصَّبِيِّ ، وَهُوَ اسْمٌ بِمَصْدَرٍ مَهْدَةٌ ، عَلَى أَنَّ الْمَصْدَرَ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ ، كَالْخَلْقِ بِمَعْنَى الْمَخْلُوقِ ، ثُمَّ شَاعَ ذَلِكَ فَصَارَ اسْمًا لِمَا يُمَهَّدُ .

٦

فَمَنْ قَرَأَ (مَهْدًا) جَازَ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا ، كَالْفَرَشِ ، أَي : مَهْدَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا ، وَجَازَ أَنْ يَكُونَ عَلَى تَقْدِيرِ حَذْفِ الْمُضَافِ ، أَي : ذَاتَ مَهْدٍ . وَأَنَّ مَنْ قَرَأَ : ((مَهَادًا)) جَازَ أَنْ يَكُونَ

١ سورة النبأ / ٦ .

٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٦ / ٢٣٦ ، إعراب القرآن ، للنحاس ٣ / ٢٩ ، والبحر المحيط ٦ / ٢٥١ ، والكشف والبيان ٦ / ٢٤٧ ، واللُّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ ١٣ / ٢٧٦ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٥ / ٤٤٢ .

٣ الجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٠٩ .

٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٦ / ٢٣٦ ، وتيسير الداني ١٥١ / ١ ، وإعراب القرآن ، للنحاس ٣ / ٢٩ ، والسبعة ١٨ / ٤١٨ ، والحجّة في القراءات السبع ١ / ٢٤١ ، و الكشف عن وجوه القراءات ٢ / ٩٧ ، والنشر ٢ / ٣٢٠ ، والبحر المحيط ٦ / ٢٥١ ، وإتحاف فضلاء البشر ٣ / ٣٠٣ ، واللُّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ ١٣ / ٢٧٦ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٥ / ٤٤١ - ٤٤٢ .

٥ سورة الزخرف / ١٠ .

٦ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٦ / ٢٣٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٠٩ ، والبحر المحيط ٦ / ٢٥١ ، واللُّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ ١٣ / ٢٧٦ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٥ / ٤٤٢ .

مُفْرَدًا كَالْفِرَاشِ . وَجَازَ أَنْ يَكُونَ جَمْعَ (مَهْدٍ) مَصْدَرِ اسْتُعْمِلَ اسْتِعْمَالَ الْأَسْمَاءِ فَكُسِرَ . وَإِنَّ
مَعْنَى ((مِهَادًا))، أَي: فِرَاشًا وَفَرَّارًا تَسْتَقِرُّونَ عَلَيْهَا .

وجاء عن المفضل : أَمَّا ((مَهْدًا)) و ((مِهَادًا)) مَصْدَرَانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ يُقَالُ: مَهَّدْتُهُ
مَهْدًا وَمِهَادًا، وَفَرَشَ فَرَشًا وَفِرَاشًا . وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ: أَنَّ ((مِهَادًا)) اسْمٌ . وَالْمَهْدُ اسْمُ الْفِعْلِ . وَقَالَ
غَيْرُهُ (الْمَهْدُ) الْاسْمُ وَ(المِهَادُ) الْجَمْعُ كَالْفَرَشِ وَالْفِرَاشِ، وَأَجَابَ أَبُو عُبَيْدَةَ: بِأَنَّ الْفِرَاشَ اسْمٌ
وَالْفَرَشَ فِعْلٌ .

وَذَكَرَ ابْنُ عَاشُورٍ أَنَّ مَعْنَى الْقِرَاءَتَيْنِ وَاحِدٌ، وَهُوَ الَّذِي أَمِيلُ إِلَيْهِ؛ حَيْثُ جَعَلَ الْأَرْضَ
مَمْهُودَةً مُسَهَّلَةً لِلسَّيْرِ، وَالْجُلُوسِ، وَالْإِضْطِجَاعِ، وَلَا تُتَوَّى فِيهَا إِلَّا نَادِرًا يُمَكِّنُ بِحَنْبِهِ، كَقَوْلِهِ ﷻ:

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴾ .

٤ ٣

^١ يُنْظَرُ : الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ ١١ / ٢٠٩، وَالْبَحْرُ الْمَحِيطُ ٦ / ٢٥١ .

^٢ يُنْظَرُ : الْبَحْرُ الْمَحِيطُ ٦ / ٢٥١، وَالْكَشْفُ وَالْبَيَانُ ٦ / ٢٤٧، وَمِفْتَاحُ الْغَيْبِ ٢٢ / ٥٩، وَاللِّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ ١٣ / ٢٧٦ .

^٣ سُورَةُ نُوحٍ / ١٩ - ٢٠ .

^٤ يُنْظَرُ : التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ١٦ / ٢٣٦، وَمَعْجَمُ الْقِرَاءَاتِ، لِلْخَطِيبِ .

٥. بين اسم المكان واسم المفعول :

من القراءات القرآنية التي ذكرها ابن عاشور وكان وجه الاختلاف فيها يتردد بين صيغتي اسم المكان واسم المفعول، جاء ذلك في :

قوله : ((مَقَامًا)) من قوله ﷺ : ﴿ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِذَا أَمَرْنَا أُمَّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾^{٧٣} ، فقد ذكر ابن عاشور في قراءة ((مَقَامًا)) قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة ((مَقَامًا)) بِفَتْحِ الْمِيمِ، ونسبها إلى مَنْ عَدَا ابْنَ كَثِيرٍ، وهم عاصم في رواية أبي بكر، وحفص، وحمزة، والكسائي، وأبو عمرو، ونافع، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف . وخرَّجها عَلَى أَنَّهَا اسْمُ مَكَانٍ مِنْ قَامٍ، أُطْلِقَ مَجَازًا عَلَى الْحِظِّ وَالرَّفْعَةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ : ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾^{٤٦} ، وعده مأخوذاً مِنَ الْقِيَامِ الْمُسْتَعْمَلِ مَجَازًا فِي الظُّهُورِ وَالْمَقْدَرَةِ، وقيل إِنَّهُ مَصْدَرٌ مِنْ قَامٍ، ونصب على التمييز .^٤

القراءة الثانية : قراءة ((مَقَامًا)) بِضَمِّ الْمِيمِ، وهو مصدرٌ مِنْ أَقَامَ بِالْمَكَانِ، أو اسم مكان منه، وَهُوَ مُسْتَعْمَلٌ فِي الْكَوْنِ فِي الدُّنْيَا، وهو موضع الإقامة والمنزل . ونسبها إلى ابن

١ سورة مريم / ٧٣ .

^٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٦ / ١٥٤ ، والسبعة ٤١١ / ٤١٩ ، والتيسير ١٤٩ / ٢٥٨ ، والنشر ٢ / ٣١٩ ، وإتحاف فضلاء البشر ٣٠٠ / ٣٠٠ ، والكشف عن وجوه القراءات ٩١ / ٢ ، وحجّة القراءات ٤٤٦ / ٤٤٦ ، والتبصرة ٥٨٧ / ٥٨٧ ، وغرائب القرآن ٧٣ / ١٦ ، والكشّاف ٢٨٨ / ٢ ، والمبسوط ٢٩٠ / ٢٩٠ ، والتبيان في إعراب القرآن ٨٧٩ / ٢ ، والتبيان ١٤٢ / ٧ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢١ / ٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٤٢ ، والعنوان ١٢٧ / ١٢٧ ، والمحرّر الوجيز ٥١٧ / ٩ ، والبحر المحيط ٢١٠ / ٦ ، والدُّرُّ المصون ٧ / ٦٢٨ ، واللباب في علوم الكتاب ١٣ / ١٢٣ ، ومعجم القراءات، للخطيب ٥ / ٣٨٧ .

٣ سورة الرحمن / ٤٦ .

^٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٦ / ١٥٤ ، ومعجم القراءات، للخطيب ٥ / ٣٨٧ .

^٥ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٦ / ١٥٤ ، اللباب في علوم الكتاب ١٣ / ١٢٢ .

كثير، وقرأ بها أيضاً ابن محيصن، وحميد، وشبل بن عباد، والجعفي، وأبو حاتم عن أبي عمرو .
وَالْمَعْنَى: خَيْرٌ حَيَاةً .
٢

وفي كلتا القراءتين يحتمل أن يكون اسم مكانٍ أو اسم مصدر، إمّا من (قام) ثلاثياً، أو
من (أقام) ، أي: خير مكانٍ قيامٍ أو إقامةٍ .
٣

٦. الاسم بين الصفة المشبهة والمصدر :

من القراءات القرآنية التي ذكرها ابن عاشور وكان وجه الاختلاف فيها يتردد بين صيغتي
الصفة المشبهة والمصدر، جاء ذلك في :

قوله : ((حرجاً)) من قوله ﷻ : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ^ط
وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ^ع كَذَلِكَ
يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور في قراءة ((حرجاً))
((قراءتين :

^١ يُنظر : التحرير والتنوير ١٦ / ١٥٤ ، والسبعة / ٤١١ ، والتيسير / ١٤٩ ، وزاد المسير ٥ / ٢٥٨ ، والنشر ٢ / ٣١٩ ، وإتحاف
فضلاء البشر / ٣٠٠ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢ / ٩١ ، وحجّة القراءات / ٤٤٦ ، والتبصرة / ٥٨٧ ، وغرائب
القرآن ١٦ / ٧٣ ، والكشّاف ٢ / ٢٨٨ ، والمبسوط / ٢٩٠ ، والتبيان في إعراب القرآن ٢ / ٨٧٩ ، والتبيان ٧ / ١٤٢ ،
وإعراب القراءات السبع وعللها ٢ / ٢١ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ١٤٢ ، والعنوان / ١٢٧ ، والمحرّر الوجيز
٩ / ٥١٧ ، والبحر المحيط ٦ / ٢١٠ ، والدُّرُّ المصون ٧ / ٦٢٨ ، واللباب في علوم الكتاب ١٣ / ١٢٢ ، ومعجم
القراءات، للخطيب ٥ / ٣٨٧ .

^٢ يُنظر : التحرير والتنوير ١٦ / ١٥٤ ، ومعجم القراءات، للخطيب ٥ / ٣٨٧ .

^٣ يُنظر : الدُّرُّ المصون ٧ / ٦٢٨ ، واللباب في علوم الكتاب ١٣ / ١٢٢ .

٤ سورة الأنعام / ١٢٥ .

القراءة الأولى: قراءة ((حرجاً)) بِكسْرِ الرَّاءِ، ونسبها إلى نافعٍ، وعاصِمٍ في رواية أبي بكرٍ،
 وأبي جعفرٍ، وقرأ بها أيضاً ابن محيصة، والحسن، وعمر، وابن عباس، وسهل . وخرَجَ الحَرْجُ -
 بِكسْرِ الرَّاءِ - على أنها صفةٌ مُشَبَّهَةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: حَرَجَ الشَّيْءُ حَرْجًا، مِنْ بَابِ فَرَحٍ، بِمَعْنَى ضَاقَ
 ضَيْقًا شَدِيدًا، فَهُوَ كَقَوْلِهِمْ: دَنَفَ، وَقَمِنَ، وَفَرِقَ، وَحَدِرَ، وَكَذَلِكَ قَرَأَهُ .^٢

القراءة الثانية : قراءة ((حرجاً)) بِفَتْحِ الرَّاءِ. ونسبها إلى بقيَّةِ القراءِ، وهم أبو عمرو، وابن
 عامر، وابن كثير، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، ويعقوب ، وخرَجَها على أنها جاءت
 على صيغة المصدَرِ، مِنْ الوَصْفِ بِالمَصْدَرِ لِلْمُبَالَغَةِ، كَقَوْلِهِمْ: رَجُلٌ دَنَفَ - بِفَتْحِ النُّونِ - وَفَرَدَ -
 بِفَتْحِ الرَّاءِ .^٤

^١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٦٠/٨، وجامع البيان ٢٩/٨، والسبعة ٢٦٨/، والتيسير ١٠٦/، وزاد المسير ١٢٠/٣، والنشر
 ٢٦٢/٢، والكشف عن وجوه القراءات ٤٥٠/١، وحجَّة القراءات ٢٧١/، والحجَّة في القراءات السَّبْعِ ١٤٩/،
 ومعاني القرآن، للفرَّاء ٣٥٣/١، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٩٠/٢٢، والعنوان ٩٢/، والتبصرة ٥٠٣/، وغرائب القرآن
 ٣٢/٨، والبيان ٣٣٨/١، ومجمَّع البيان ١٨٩/٧، والكشَّاف ٥٢٦/١، ومشكل إعراب القرآن ٢٨٨/١، والبيان
 في إعراب القرآن ٥٣٧/١، والبيان ٢٦٣/٤، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٦٩/١، والنذكرة في القراءات
 الثمان ٣٣٤/، والجامع لأحكام القرآن ٨١/٧، والبحر المحيط ١٨/٤، والدُّرُّ المصون ١٤٤/٥، واللباب في علوم
 الكتاب ٤١٨/٨، ومعجم القراءات، للخطيب ٥٤٠/٢.

^٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٦٠/٨، ومعجم القراءات، للخطيب ٥٤٠/٢.

^٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٦٠/٨، وجامع البيان ٢٩/٨، والسبعة ٢٦٨/، والتيسير ١٠٦/، وزاد المسير ١٢٠/٣، والنشر
 ٢٦٢/٢، والكشف عن وجوه القراءات ٤٥٠/١، وحجَّة القراءات ٢٧١/، والحجَّة في القراءات السَّبْعِ / ١٤٩،
 ومعاني القرآن، للفرَّاء ٣٥٣/١، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٩٠/٢٢، والعنوان ٩٢/، والتبصرة ٥٠٣/، وغرائب القرآن
 ٣٢/٨، والبيان ٣٣٨/١، ومجمَّع البيان ١٨٩/٧، والكشَّاف ٥٢٦/١، ومشكل إعراب القرآن ٢٨٨/١، والبيان
 في إعراب القرآن ٥٣٧/١، والبيان ٢٦٣/٤، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٦٩/١، والنذكرة في القراءات
 الثمان ٣٣٤/، والجامع لأحكام القرآن ٨١/٧، والبحر المحيط ١٨/٤، والدُّرُّ المصون ١٤٤/٥، واللباب في علوم
 الكتاب ٤١٨/٨، ومعجم القراءات، للخطيب ٥٤٠/٢.

^٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٦٠/٨، ومعجم القراءات، للخطيب ٥٤٠/٢.

و((حَرْجاً)) بِكسْرِ الرَّاءِ ، و ((حَرْجاً)) بِفَتْحِهَا قراءتان بمعنى واحد، وهو المتزايد في الضيق، فهو أخصُّ من ((ضَيْقاً))، فكلُّ حَرْجٍ ضيقٌ من غير عكسٍ. والحَرْجُ فيما فسَّر ابن عَبَّاسٍ هو الموضوع الكثير الشجر الذي لا يصل إليه الراعيةُ، وكذلك صدر الكافر لا تصل إليه الحكمةُ، وهو في كسره ونصبه بمنزلة الوَحْدِ والوَحِدِ، والفَرْدِ والفَرْدِ، والدَّنْفِ والدَّنْفِ. وقال الزجاج: الحَرْجُ في اللغة أَضْيَقُ الضِّيْقِ، ومعناه أَنه ضَيْقٌ جَدًّا، قال: وَمَنْ قال رجل حَرْجُ الصدر، فمعناه ذو حَرْجٍ في صدره، ومن قال حَرْجٌ، جعله فاعلاً، وكذلك رجل دَنْفٌ، ذو دَنْفٍ، ودَنْفٌ نَعْتٌ، وعن الجوهري: ومكان حَرْجٌ وحَرْجٌ أَي مكان ضيق كثير الشجر والحَرْجُ الذي لا يكاد يُبْرَحُ القتالُ . ويُقال: رجل حَرْجٍ وحَرْجٍ، قال الشاعر:

لا حَرْجُ الصدرِ ولا عنيْفٌ^٣

وقال الفراء: ((هو في كسره ونصبه بمنزلة الوحد والوحد، والفرد والفرد، والدنف والدنف)) . وفرَّق الزجاج والفارسي بينهما فقالا: المفتوح مصدر والمكسور اسم فاعل. قال الزجاج: ((الحَرْجُ أَضْيَقُ الضِّيْقِ، فَمَنْ قال: رجل حَرْجٍ يعني بالفتح فمعناه ذو حَرْجٍ في صدره، ومن قال حَرْجٍ يعني بالكسر جعله فاعلاً وكذلك دَنْفٌ ودَنْفٍ)) . وقال الفارسي: ((مَنْ فتح الراء كان وصفاً بالمصدر، نحو: فَمَنْ وحَرْيٌّ ودَنْفٌ، ونحو ذلك من المصادر التي يوصف بها، ولا تكون كبطل؛ لأنَّ اسم الفاعل في الأمر العام إِنَّمَا يجيء على فَعِلٍ، ومن قرأ (حَرْجاً) - يعني بكسر الراء - فهو مثل دَنْفٍ وفرَّق بكسر العين)) . وقيل: الحَرْجُ بالفتح تجمع حَرْجَةٌ كقصبه

^١ يُنظَر: معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٢٩٠.

^٢ يُنظَر: معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٢٩٠، وتهذيب اللغة (حرج) ١/ ٤٨٣، ولسان العرب (حرج) ٢/ ٢٣٣، والدُّرُّ المصون ٥/ ١٤٢.

^٣ لا يُعْرَفُ قائله ، ولا الشطر الآخر. يُنظَر: تهذيب اللغة (حرج) ١/ ٤٨٣، والعين (باب الحاء والجيم والراء معهما) ٣/

٧٦، ولسان العرب (حرج) ٢/ ٢٣٣، والدُّرُّ المصون ٥/ ١٤٢، واللباب في علوم الكتاب ٨/ ٤١٨.

^٤ معاني القرآن، للفراء ١/ ٣٥٤. يُنظَر: الدُّرُّ المصون ٥/ ١٤٢، واللباب في علوم الكتاب ٨/ ٤١٨.

^٥ معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٣١٩. يُنظَر: الدُّرُّ المصون ٥/ ١٤٢-١٤٣، واللباب في علوم الكتاب ٨/ ٤١٨.

^٦ الحجَّة (خ) ٢/ ٤٤٦. يُنظَر: الدُّرُّ المصون ٥/ ١٤٢-١٤٣، واللباب في علوم الكتاب ٨/ ٤١٨.

وقصب، والمكسور صفة كدَنِف، وأصل المادة من التشابك وشدَّة التضايق، فإنَّ الحَرْجَةَ غَيْضَةٌ من شجر السَّلَمِ ملتفَّةٌ لا يُقَدِرُ أحدٌ أن يصل إليها قال العجاج:

عَايِنَ حَيَّاكَ الحِرَاجَ نَعْمَهُ يَكُونُ أَقْصَى شَلِّهِ مُحْرَجُهُ

الحِرَاجُ: جمع حِرَج، وحِرَج جمع حَرْجَة .

٧. الاسم بين الصفة المشبهة واسم الفاعل :

من القراءات القرآنيَّة التي ذكرها ابن عاشور وكان وجه الاختلاف فيها يتردَّد بين صيغتي الصفة المشبهة واسم الفاعل، جاء ذلك في :

قوله : ((مَلِك)) من قوله ﷺ : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور^١ في قراءة ((مَلِك)) قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة ((مَلِك)) بِفَتْحِ المِيمِ وَكَسْرِ اللَّامِ دُونَ أَلِفِ بَعْدِ المِيمِ، على وزن (فَعِل)، ونسبها إلى الجُمَّهُورِ، وهم ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحمزة، وأبو عمرو وزيد، وأبو الدرداء، وابن عمر، والمسور، وابن عبَّاس، ومجاهد، ويحيى بن وثَّاب، ومروان بن الحكم، والأعرج، وأبو جعفر، وشيبة، وابن جريج، والجحدري، وابن جُنْدَب، وابن محيصن، وهو اختيار أبي عبيد، وهي قراءة كثير من الصحابة، والتابعين، وهي عند الطبري أصحُّ القراءات، وهي رواية عن الكسائي، وقد رويت هذه القراءة عن النبي ﷺ ، وقال إناها رُوِيَتْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَصَاحِبِهِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فِي (كِتَابِ التِّرْمِذِيِّ)، وأما: صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ صَارَتْ اسْمًا لِصَاحِبِ المُلْكِ (بِضَمِّ المِيمِ)،

^١ يُنْظَرُ: ديوانه/٤٣٤، ولسان العرب(حج)٢/٢٣٣، والدُّرُّ المصون ٥/١٤٢-١٤٣، واللباب في علوم الكتاب ٨/١٨٨-٤١٨.

^٢ يُنْظَرُ : الدُّرُّ المصون ٥/١٤٢-١٤٣.

^٣ سورة الفاتحة / ٤ .

^٤ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ١/١٧٥، وجامع البيان ١/٦٥، والكشَّاف ١/٤٥، والمحزَّر الوجيز ١/١٠٣، والحجَّة للقراء السبعة ١/٥، والسبعة ١/١٠٤، والتبيان ١/٣٣، والإبانة ١/١٣٤، والمكزَّر ٨/، والكافي ١/١٤، والكشف عن وجوه القراءات ١/٢٧، والمبسوط ١/٨٦، والبحر ١/٢٠، وحاشية الشَّهاب ١/٩٧، وإعراب ثلاثين سورة ٢٣/، ومعجم القراءات، للخطيب ١/٩.

وَأَمَّا تَدُلُّ عَلَى تَمَثُّلِ الْهَيْئَةِ فِي نُفُوسِ السَّامِعِينَ؛ لِأَنَّ (الْمَلِكُ) يَفْتَحُ الْمِيمَ وَكَسَرَ اللَّامَ، هُوَ (ذُو الْمُلْكِ) بِضَمِّ الْمِيمِ، وَ(الْمُلْكُ) أَحْصُ مِنْ (الْمَلِكِ)، إِذِ (الْمُلْكُ) بِضَمِّ الْمِيمِ، هُوَ التَّصَرُّفُ فِي الْمَوْجُودَاتِ وَالْإِسْتِيْلَاءِ، وَيَخْتَصُّ بِتَدْبِيرِ أُمُورِ الْعُقَلَاءِ وَسِيَاسَةِ جُمْهُورِهِمْ وَأَفْرَادِهِمْ وَمَوَاطِنِهِمْ، فَلِذَلِكَ يُقَالُ: مَلِكِ النَّاسِ، وَلَا يُقَالُ: مَلِكِ الدَّوَابِّ أَوْ الدَّرَاهِمِ، وَأَمَّا (الْمَلِكُ) بِكَسْرِ الْمِيمِ، فَهُوَ الْإِحْتِصَاصُ بِالْأَشْيَاءِ وَمَنَافِعَهَا دُونَ غَيْرِهِ .

وذكر أن ابن عطيّة: حكى عن أبي عليّ عن بعض القراء أن أول من قرأ (ملك يوم الدين) مروان بن الحكم، فردّه أبو بكر بن السراج، على اعتبار أن الأخبار الواردة تبطل ذلك، فلعلّ قائل ذلك أراد أنه أول من قرأ بها في بلد مخصوص .

القراءة الثانية : قراءة ((ملك)) بألفٍ بعد الميم . ونسبها إلى عاصمٍ والكسائيّ ويعقوبَ وحلفٍ، وذكر أنّها رويت عن عثمانٍ وعليّ وابن مسعودٍ وأبي بن كعبٍ ومعاذ بن جبلٍ وطلحةٍ والزبيرِ، وأنّها رويت أيضاً عن الترمذيّ في (كتابه) أنّها قراءة عن النبيّ ﷺ وصاحبيه أيضاً . وأنّها على صيغة اسم الفاعل من (ملك) إذا اتّصف بالملك (بكسر الميم)، وذكر أنّ كليهما مشتق من (ملك)، فأصل مادّة (ملك) في اللّغة ترجع تصاريّفها إلى معنى الشدّ والضبط، ونقل قول ابن عطيّة : أنّه يتصرّف ذلك بالحقيقة والمجاز، والتحقّق والاعتبار .

¹ يُنظر : التحرير والتنوير ١/١٧٥، ومعجم القراءات، للخطيب ١/٨.

² يُنظر : التحرير والتنوير ١/١٧٥، والمحرّر الوجيز ١/١٠٣.

³ يُنظر : التحرير والتنوير ١/١٧٥، وجامع البيان ١/٥٠، ومعاني القرآن وإعرابه ١/٤٦، والمخصّص ١٤/٥١، ١٧/١٥٧ - ١٥٩، والتيسير ١٨/١٨، والسبعة ١٠٤/١٠٤، والنشر ١/٢٧١، وإتحاف فضلاء البشر ١٢٢/١٢٢، والكشاف ١/٤٥، والمحرّر الوجيز ١/١٠٣، والحجّة للقراء السبعة ٥/٥١، والعنوان ٦٧/٦٧، والسبعة ١٠٤/١٠٤، والبيان ١/٣٣، والإبانة ١٣٤/١٣٤، والبيان ١/٣٣، والمكرّر ٨/٨، والكافي ١٤/١٤، والكشف عن وجوه القراءات ١/٢٥، ٣١-٣٢، وإرشاد المبتدي ٢٠١/٢٠١، والمبسوط ٨٦/٨٦، والبحر ١/٢٠، وحاشية الشّهاب ١/٩٦، وإعراب ثلاثين سورة ٢٢/٢٢، ومعجم القراءات، للخطيب ١/٨.

⁴ يُنظر : التحرير والتنوير ١/١٧٥، والمحرّر الوجيز ١/١٠٣.

وعدّ كلتا القراءتين صحيحة ثابتة كما هو شأن القراءات المتواترة . ونقل تصدّي
المفسرين والمحتجّين للقراءات لبيان ما في كلٍّ من قراءة (ملك) بدون ألف، وقراءة (مالك)
بالألف، من خصوصيات بحسب قصر النظر على مفهومي كلمة ملك ومفهوم كلمة (مالك)،
وأهمّ غفلوا عن إضافة الكلمة إلى يوم الدين، وذكر أنّ إضافة الكلمة إلى يوم الدين جعلتهما
مستويتين في إفادة أنّه المتصرّف في شؤون ذلك اليوم دون شبهة مشارك. وأنّه لا محيص عن
اعتبار التوسّع في إضافة (ملك) أو (مالك) إلى (يوم) بتأويل شؤون يوم الدين. وأنّ (مالك) لُغة
في (ملك) ، ونقل عن صاحب (القاموس) : إنّ كأميرٍ وكَتِفٍ وصاحبٍ ذوالملك ويوم الدين
يوم القيامة، ومبدأ الدار الآخرة، فالدين فيه بمعنى الجزاء، قال الفند الزماني:

فَلَمَّا صَرَخَ الشُّرُّ فَأَمْسَى وَهُوَ عُزْرِيَانُ
وَلَمْ يَبْقَ سِوَى الْعُدْوَا نِ دَنَاهُمْ كَمَا دَانُوا

أي جازيناهم على صنعهم كما صنعوا مشاكلة، أو كما جازوا من قبل إذا كان اعتدائهم
ناشئاً عن ثأر أيضاً، وهذا هو المعنى المتعَيّن هنا وإن كان للدين إطلاقات كثيرة في كلام
العرب .

¹ وقد فصل ذلك في مقدمته السادسة .

² يُنظر : التحرير والتنوير ١/١٧٥، والقاموس المحيط باب الكاف (ملكه) ٣/٣١٠ .

³ في الحماسة، والأماي : ((فأمسى))، وفي الأغاني : ((وأمسى))، والبحري : ((فأضحى)).

⁴ يُنظر : التصريح ١/٣٦٢، وهمع الهوامع ١/٢٠٢، والدرر ١/١٧٠، وأماي القالي ١/٢٦٠، والعيني ٣/١٢٢، وديوان
الحماسة ١/٦، وديوان الحماسة بشرح التبريزي ١/٢٣ (قالها في حرب البسوس)، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي
٣٥/، والحيوان ٦/٤١٦، والدّرّ المصون ١/٥٣، واللباب في علوم الكتاب ١/١٩١، ونواهد الأبيكار وشوارد
الأفكار، حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي ١/١٩٣، واتفاق المباني وافتراق المعاني ١/١٩٢، الأغاني ٢٤/
٨٣، وخزانة الأدب ٣/٣٩٩، وزهر الآداب وثمر الألباب، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، تحقيق: أ.
د. يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ١/٢٤٤، وشرح نوح البلاغة
١٧/٤، ٢٢١/١٩ .

⁵ يُنظر : التحرير والتنوير ١/١٧٥ .

ثم قال : إِنَّ وَصْفَهُ تَعَالَى بِمَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ تَكْمِلَةٌ لِإِجْرَاءِ مَجَامِعِ صِفَاتِ الْعُظْمَةِ وَالْكَمَالِ عَلَى اسْمِهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ بَعْدَ أَنْ وُصِفَ بِأَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَذَلِكَ مَعْنَى الإِلَهِيَّةِ الْحَقَّةِ إِذْ يُفُوقُ مَا كَانُوا يَنْعَتُونَ بِهِ آهَتَهُمْ مِنْ قَوْلِهِمْ إِلَهٌ بَنِي فُلَانٍ، فَقَدْ كَانَتْ الأُمَّمُ تَتَّخِذُ آلهَةً خَاصَّةً لَهَا، كَمَا حَكَى اللهُ عَنْ بَعْضِهِمْ: ﴿ فَقَالُوا هَذَا آلهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى ﴾ ، وَقَالَ: ﴿ قَالُوا يَمُوسَى أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلهَةٌ ﴾ ، وَكَانَتْ لِبَعْضِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ آلهَةٌ خَاصَّةٌ، فَوُصِفَ اللهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ كُلِّهِمْ، ثُمَّ عَقَّبَ بِوَصْفِي الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لِإِفَادَةِ عِظَمِ رَحْمَتِهِ، ثُمَّ وَصَفَ بِأَنَّهُ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ، وَهُوَ وَصْفٌ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِمَّا قَبْلَهُ؛ لِأَنَّهُ يَنْبِئُ عَنْ عُمُومِ التَّصَرُّفِ فِي المَخْلُوقَاتِ فِي يَوْمِ الْجَزَاءِ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ أَيَّامِ الخُلُودِ، فَمَلِكٌ ذَلِكَ الزَّمَانِ هُوَ صَاحِبُ المُلْكِ الَّذِي لَا يَشِدُّ شَيْءٌ عَنِ الدُّخُولِ تَحْتَ مُلْكِهِ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَنْتَهِي مُلْكُهُ وَلَا يَنْقُضِي، فَأَيَّنَ هَذَا الوَصْفُ مِنْ أَوْصَافِ المُبَالِغَةِ الَّتِي يُفِيضُهَا النَّاسُ عَلَى أَعْظَمِ المُلُوكِ مِثْلَ مَلِكِ المُلُوكِ (شَاهَانِ شَاهٍ) وَمَلِكِ الزَّمَانِ وَمَلِكِ الدُّنْيَا (شَاهِ جَهَانٍ) وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ. مَعَ مَا فِي تَعْرِيفِ ذَلِكَ اليَوْمِ بِإِضَافَتِهِ إِلَى الدِّينِ (أَيِ الْجَزَاءِ) مِنْ إِدْمَاجِ التَّنْبِيهِ عَلَى عَدَمِ حُكْمِ اللهِ؛ لِأَنَّ إِثَارَ لُفْظِ الدِّينِ (أَيِ الْجَزَاءِ) لِلإِشْعَارِ بِأَنَّهُ مُعَامَلَةٌ العَامِلِ بِمَا يُعَادِلُ أَعْمَالَهُ المَجْزِيَّ عَلَيْهَا فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَذَلِكَ العَدْلُ الخَاصُّ قَالَ تَعَالَى:

﴿ أَلْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ أَلْيَوْمَ إِنَّكَ اللهُ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ (١٧) ،

فَلِذَلِكَ لَمْ يَقُلْ مَلِكٌ يَوْمَ الحِسَابِ، فَوُصِفَ بِأَنَّهُ مَلِكٌ يَوْمَ العَدْلِ الصَّرْفِ، وَصَفٌ لَهُ بِأَشْرَفِ مَعْنَى المُلْكِ فَإِنَّ المُلُوكَ تَتَخَلَّدُ مَحَامِدُهُمْ بِمِقْدَارِ تَفَاضُلِهِمْ فِي إِقَامَةِ العَدْلِ، وَقَدْ عَرَّفَ العَرَبُ المِدْحَةَ بِذَلِكَ. قَالَ النَّابِغَةُ يَمْدُحُ المَلِكِ عَمْرُو بْنُ الحَارِثِ العَسَاتِيَّيَ مَلِكِ الشَّامِ:

١ سورة طه / من آية ٨٨ .

٢ سورة الأعراف / من آية ١٣٨ .

٣ سورة غافر / ١٧ .

وَكَمْ جَزَانًا بِأَيْدٍ غَيْرِ ظَالِمَةٍ عُرْفًا يُعْرِفُ وَإِنْكَارًا بِإِنْكَارِ
 وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ حِلْزَةَ يَمْدُحُ الْمَلِكَ عَمْرَو بْنَ هِنْدٍ اللَّحْمِيِّ مَلِكَ الْحِيرَةِ:
 مَلِكٌ مُفْسِطٌ وَأَفْضَلُ مَنْ يَمُّ شَيْءٌ وَمِنْ دُونِ مَا لَدَيْهِ الْقَضَاءُ
 وَإِجْرَاءُ هَذِهِ الْأَوْصَافِ الْجَلِيلَةِ عَلَى اسْمِهِ تَعَالَى إِيمَاءٌ بِأَنَّ مَوْصُوفَهَا حَقِيقٌ بِالْحَمْدِ الْكَامِلِ
 الَّذِي أَعْرَبَتْ عَنْهُ جُمْلَةُ الْحَمْدِ لِلَّهِ، لِأَنَّ تَقْيِيدَ مُقَادِ الْكَلَامِ بِأَوْصَافٍ مُتَعَلِّقٍ ذَلِكَ الْمُقَادِ يُشْعِرُ
 بِمُنَاسَبَةِ بَيْنَ تِلْكَ الْأَوْصَافِ وَبَيْنَ مُقَادِ الْكَلَامِ مُنَاسَبَةً تُفْهَمُ مِنَ الْمَقَامِ مِثْلَ التَّعْلِيلِ فِي مَقَامِ هَذِهِ
 الْآيَةِ .
 ٣

٨. الاسم بين المصدر الميمي واسم الفاعل :

من القراءات القرآنية التي ذكرها ابن عاشور وكان وجه الاختلاف فيها يتروّد بين صيغتي
 المصدر الميمي واسم الفاعل، جاء ذلك في :

قوله : ((فَمُسْتَقَرٌّ)) من قوله ﷺ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ
 وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ (١٨) ، فقد ذكر ابن عاشور في قراءة ((فَمُسْتَقَرٌّ))
 ((قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة ((فَمُسْتَقَرٌّ)) بِفَتْحِ الْقَافِ، ونسبها إلى الجُمهُورِ، وهم نافع، وابن
 عامر، وعاصم، وحزمة، والكسائي، وأبو جعفر ، وخرّجها على أَنَّهَا مَصْدَرٌ مِيمِيٌّ، أي: استقرار،

^١ ديوان النابغة الذبياني، زياد بن معاوية بن ضباب، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ط ٤، ٢٠٠٩م / ١٨٣.

^٢ يُنظَرُ : ديوانه / ٣، والتحرير والتنوير / ١، ١٧٧، والمعلقات العشر / ٤ / ٢، والظاهر في معاني كلمات الناس / ١ / ٩٢، وشرح
 القصائد العشر / ٢٧٩.

^٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير / ١ / ١٦٧-١٧٧.

^٤ سورة الأنعام / ٩٨.

^٥ يُنظَرُ : التحرير والتنوير / ٧ / ٣٩٦، وجامع البيان / ٧ / ١٩٣-١٩٤، وإعراب النَّحَّاسِ / ١ / ٥٦٨، ومعاني القرآن، للأخفش
 / ٢ / ٢٨٢، ومعاني القرآن وإعرابه / ٢ / ٢٧٤، والحجّة في القراءات السبع / ٦ / ١٤٦، والتذكرة في القراءات الثمان / ٣٣٠،

وَمُسْتَوْدَعٌ كَذَلِكَ، وَرَفَعُهُمَا عَلَى أَنَّهُ مُبْتَدَأٌ حُذِفَ خَبْرُهُ تَقْدِيرُهُ: لَكُمْ أَوْ مِنْكُمْ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ خَبْرٌ لِمُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: فَأَنْتُمْ مُسْتَقَرُّ وَمُسْتَوْدَعٌ. وَالْوَصْفُ بِالْمَصْدَرِ لِلْمُبَالَغَةِ فِي الْحَاصِلِ بِهِ، أَيِ فَتَفَرَّعَ عَنِ إِنْشَائِكُمْ اسْتِقْرَارًا وَاسْتِيدَاعًا، أَيِ لَكُمْ، وَقِيلَ إِنَّهُ اسْمُ مَكَانٍ، أَيِ: فَلَكُمْ مَكَانٌ تَسْتَقِرُّونَ فِيهِ، وَهُوَ الصُّلْبُ، أَوْ الرَّحِمُ، أَوْ الْأَرْضُ .^١

القراءة الثانية : قراءة ((فَمُسْتَقَرُّ)) بِكَسْرِ الْقَافِ . ونسبها إلى ابنِ كثيرٍ ، وأبي عمرو ، وَرُوحَ عَنِ يَعْقُوبَ ، وَقَرَأَ بِهَا أَيْضاً ابْنُ عَبَّاسٍ ، وسعيد بن جبير ، وابن محيصن ، والحسن ، وعيسى ، والأعرج ، وشيبة ، والنخعي ، وسهيل ، واليزيدي ، وخزرجها على أَنَّ (الْمُسْتَقَرَّ) اسْمٌ فَاعِلٍ . وَ (الْمُسْتَوْدَعُ) اسْمٌ مَفْعُولٍ مِنْ اسْتَوْدَعَهُ بِمَعْنَى أَوْدَعَهُ، أَيِ فَمُسْتَقَرُّ مِنْكُمْ أَقْرَبُ نَاهُ فَهُوَ مُسْتَقَرُّ ، وَمُسْتَوْدَعٌ مِنْكُمْ وَدَعَانَاهُ فَهُوَ مُسْتَوْدَعٌ . وَ (الْاسْتِقْرَارُ) هُوَ الْقَرَارُ ، فَالْسَّيْنُ وَالْتَّاءُ فِيهِ لِلتَّأْكِيدِ مِثْلُ

وحجّة القراءات / ٢٦٢ ، والسبعة / ٢٦٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٤٦/٧ ، وإرشاد المبتدي / ٣١٥ ، ومجمّع البيان ١٤١/٧ ، والعنوان / ٩٢ ، ومشكل إعراب القرآن ٢٨٠/١ ، والبيان ٣٣٢/١ ، والكشف عن وجوه القراءات ٤٤٢/١ ، وإتحاف فضلاء البشر / ٢١٤ ، والنشر ٢٦٠/٢ ، والبيان في إعراب القرآن ٥٢٣-٥٢٤ ، والتيسير / ١٠٥ ، وشرح الشاطبية / ١٩٦ ، والكشاف / ٥١٩ ، والبحر المحيط ١٨٨/٤ ، والمحزّر الوجيز ٢٩٧/٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها / ١٦٦ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٤٩٧/٢ .

^١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٣٩٥/٧ - ٣٩٦ ، والبحر المديد ٣٩٧ / ٢ ، واللباب في علوم الكتاب ٣١٥/٨ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٤٩٧/٢ .

^٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٣٩٦/٧ ، وجامع البيان ١٩٣-١٩٤ ، وإعراب النَّحَّاس ٥٦٨/١ ، ومعاني القرآن ، للأخفش ٢٨٢/٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٧٤/٢ ، والحجّة في القراءات السبع / ١٤٦ ، والتذكرة في القراءات الثمان / ٣٣٠ ، وحجّة القراءات / ٢٦٢ ، والسبعة / ٢٦٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٤٦/٧ ، وإرشاد المبتدي / ٣١٥ ، ومجمّع البيان ١٤١/٧ ، والعنوان / ٩٢ ، ومشكل إعراب القرآن ٢٨٠/١ ، والبيان ٣٣٢/١ ، والكشف عن وجوه القراءات ٤٤٢/١ ، وإتحاف فضلاء البشر / ٢١٤ ، والنشر ٢٦٠/٢ ، والبيان في إعراب القرآن ٥٢٣-٥٢٤ ، والتيسير / ١٠٥ ، وشرح الشاطبية / ١٩٦ ، والكشاف / ٥١٩ ، والبحر المحيط ١٨٨/٤ ، والمحزّر الوجيز ٢٩٧/٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها / ١٦٦ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٤٩٧/٢ .

اسْتَجَابَ . يُقَالُ : اسْتَقَرَّ فِي الْمَكَانِ بِمَعْنَى قَرَّ ، وَهُوَ مَبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ الْخَبْرُ ؛ أَي : فَمِنْكُمْ مُسْتَقَرٌّ ؛ إِمَّا فِي الْأَصْلَابِ ، أَوْ الْبَطُونِ ، أَوْ الْقُبُورِ ، وَعَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ تَتَنَاسَقُ (وَمُسْتَوْدَعٌ) بِفَتْحِ الدَّالِ .

وَجَوَّزَ أَبُو الْبَقَاءِ فِي ((مُسْتَقَرٌّ)) بِكَسْرِ الْقَافِ أَنْ يَكُونَ اسْمَ مَكَانٍ وَبِهِ بَدَأَ . يَعْنِي : التَّقْدِيرُ : وَلَكُمْ مَكَانٌ يَسْتَقِرُّ ، وَهَذَا لَيْسَ بِظَاهِرِ الْبَيِّنَةِ ؛ إِذِ الْمَكَانُ لَا يُوصَفُ بِكَوْنِهِ مُسْتَقَرًّا بِكَسْرِ الْقَافِ ، بَلْ بِكَوْنِهِ مُسْتَقَرًّا فِيهِ . وَأَمَّا ((مُسْتَوْدَعٌ)) بِفَتْحِهَا ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْمَ مَفْعُولٍ ، فَيَقْدَرُ : فَمِنْكُمْ مُسْتَقِرٌّ فِي الْأَصْلَابِ ، وَمُسْتَوْدَعٌ فِي الْأَرْحَامِ ، أَوْ مُسْتَقِرٌّ فِي الْأَرْضِ ظَاهِرًا ، وَمُسْتَوْدَعٌ فِيهَا بَاطِنًا ، وَأَنْ يَكُونَ مَكَانًا ، فَيَقْدَرُ : فَمِنْكُمْ مُسْتَقِرٌّ ، وَلَكِنْ مَكَانٌ تَسْتَوْدَعُونَ فِيهِ ، وَأَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا ، فَيَقْدَرُ : فَمِنْكُمْ مُسْتَقِرٌّ وَلَكُمْ اسْتِيْدَاعٌ .

وَ (الاسْتِيْدَاعُ) : طَلَبُ التَّرْكِ ، وَأَصْلُهُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْوَدْعِ ، وَهُوَ التَّرْكُ عَلَى أَنْ يَسْتَرْجِعَ الْمُسْتَوْدَعُ . يُقَالُ : اسْتَوْدَعَهُ مَالًا إِذَا جَعَلَهُ عِنْدَهُ وَدِيْعَةً ، فَالاسْتِيْدَاعُ مُؤَدِّنٌ بِوَضْعِ مُوقَّتٍ ، وَالاسْتِيْقْرَارُ مُؤَدِّنٌ بِوَضْعِ دَائِمٍ أَوْ طَوِيلٍ .

ثُمَّ نَقَلَ اخْتِلَافَ الْمُفَسِّرِينَ فِي الْمُرَادِ بِالِاسْتِيْقْرَارِ وَالِاسْتِيْدَاعِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَعَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى أَكْثَرِ مُتَّفَقِي الْبَلَانِ . فَذَكَرْنَا تَفْسِيرَ ابْنِ مَسْعُودٍ : أَنَّ الْمُسْتَقَرَّ الْكُونُ فَوْقَ الْأَرْضِ ، وَالْمُسْتَوْدَعُ الْكُونُ فِي الْقَبْرِ . وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَكُونُ الْكَلَامُ تَنْبِيْهًُا لَهُمْ بِأَنَّ حَيَاةَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا يَعْتَبُهَا الْوَضْعُ فِي الْقُبُورِ ، وَأَنَّ ذَلِكَ الْوَضْعَ اسْتِيْدَاعٌ مُوقَّتٌ إِلَى الْبَعْثِ الَّذِي هُوَ الْحَيَاةُ الْأُولَى رَدًّا عَلَى الَّذِينَ أَنْكَرُوا الْبَعْثَ .

وَنَقَلَ تَفْسِيرَ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ الْمُسْتَقَرَّ فِي الرَّحِمِ وَالْمُسْتَوْدَعُ فِي صُلْبِ الرَّجُلِ ، وَأَنَّهُ نُقِلَ هَذَا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَيْضًا ، وَقَالَهُ مُجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ وَعَطَاءٌ وَإِبْرَاهِيمُ النَّحْعِيُّ ، وَفَسَّرَ بِهِ الرَّجَّاجُ .

^١ يُنْظَرُ : التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ٣٩٦/٧ ، وَاللِّبَابُ فِي عِلْمِ الْكِتَابِ ٨ / ٣١٥ .

^٢ يُنْظَرُ : التَّبْيَانُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ ١ / ٢٥٤ ، وَاللِّبَابُ فِي عِلْمِ الْكِتَابِ ٨ / ٣١٥ .

^٣ يُنْظَرُ : اللِّبَابُ فِي عِلْمِ الْكِتَابِ ٨ / ٣١٥ .

^٤ يُنْظَرُ : التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ٣٩٦/٧ .

^٥ يُنْظَرُ : التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ٣٩٦/٧ .

قَالَ الْفَحْرُ: وَمَا يَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ هَذَا الْقَوْلِ أَنَّ التُّطْفَةَ الْوَاحِدَةَ لَا تَبْقَى فِي صُلْبِ الْأَبِ زَمَانًا طَوِيلًا، وَالْجَنِينُ يَبْقَى فِي رَحِمِ الْأُمِّ زَمَانًا طَوِيلًا .^١

٩. الاسم بين صيغتي المصدر والمفعول:

من القراءات القرآنية التي ذكرها ابن عاشور وكان وجه الاختلاف فيها يتروّد بين صيغتي المصدر والمفعول، جاء ذلك في :

قوله : ((السَّجْنُ)) من قوله ﷺ : ﴿ قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنُّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾^{٣٣} ، فقد ذكر ابن عاشور في قراءة ((السَّجْنُ)) قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة ((السَّجْنُ)) بكسر السين، ونسبها إلى الجمهور ، وخرّجها على أنّها المفعول، فهو اسم للبيت الذي يُسَجَّنُ فيه، فقد جاء اسماً بصيغة المفعول، كالذبح، وأرادوا المسجون فيه. ولَفْظُ السَّجْنِ يُطْلَقُ عَلَى الْبَيْتِ الَّذِي يُوضَعُ فِيهِ الْمَسْجُونُ وَيُطْلَقُ عَلَى مَصْدَرِ سَجَنَ، ولهذا اتَّفَقَ جَمِيعُ الْقُرَّاءِ عَلَى كَسْرِ سِينِ السَّجْنِ فِي قَوْلِهِ ﷺ : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنُ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرِنِي أَعَصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرِنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْتَنَا بِنْأَوِيلِهِ ﴾^{٣٦} ؛ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى الْبَيْتِ الَّذِي

^١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٣٩٦/٧، والبحر المديد ٣٩٧/٢، وأيسر التفاسير ٩٦/٢.

^٢ سورة يوسف / ٣٣.

^٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٦٥ / ١٢، وإعراب القرآن، للنحاس ١٤٠/٢، ومعاني القرآن، للقراء ٤٤/٢، ومعاني القرآن وإعرابه ١٠٨/٣، والتذكرة في القراءات الثمان / ٢٨٠، والتبيان في إعراب القرآن ٧٣٢/٢، وإتحاف فضلاء البشر ٢٦٤/، والنشر ٢٩٥/٢، والكشاف ١٣٥/٢، والتبيان ١٣٤/٦، والجامع لأحكام القرآن ١٨٤/٩، والحرر الوجيز ٢٤١/٣، والبحر المحيط ٣٠٦/٥، وشرح التصريح ١٧٨/٢، وشرح الأشموني ١٥٨/٢، والدُّرُّ المصون ٤٩٣/٦، واللباب في علوم الكتاب ٩٥ / ١١.

^٤ سورة يوسف / ٣٦.

يُسَجَّنُ فِيهِ، لِأَنَّ الدُّخُولَ لَا يُنَاسِبُ أَنْ يَتَعَلَّقَ إِلَّا بِالْمَكَانِ لَا بِالْمَصْدَرِ، وَكَذَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿يَصَدِّجِي السِّجْنَءَ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^١، اتَّفَقَ الْفَرَاءُ عَلَى - كَسْرِ سَيْنِ - السِّجْنِ؛ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى الْبَيْتِ الَّذِي يُسَجَّنُ فِيهِ الْمُعَاقَبُونَ، لِأَنَّ الصَّاحِبَ لَا يُضَافُ إِلَى السِّجْنِ إِلَّا بِمَعْنَى الْمَكَانِ، وَالْإِضَافَةُ هُنَا عَلَى تَقْدِيرِ حَرْفِ الظَّرْفِيَّةِ، مِثْلُ: مَكْرُ اللَّيْلِ، أَيُّ يَا صَاحِبَيْنِ فِي السِّجْنِ .

القراءة الثانية : قراءة ((السِّجْنِ)) بِفَتْحِ السِّينِ . وَنَسَبَهَا إِلَى يَعْقُوبَ فَقَطْ، وَقَرَأَ بِهَا أَيْضاً عَثْمَانُ ، وَمَوْلَاهُ طَارِقُ ، وَزَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَالْمَرْهَرِيُّ ، وَابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ ، وَابْنُ هَرْمَزٍ ، وَيَعْقُوبُ ، وَخَرَّجَهَا عَلَى مَعْنَى الْمَصْدَرِ، أَيُّ إِنَّ السِّجْنَ أَحَبُّ إِلَيَّ، فَهُوَ مَصْدَرٌ مِنْ سَجَنَ، بِمَعْنَى الْحَبْسِ فِي مَكَانٍ مَحِيطٍ لَا يَخْرُجُ مِنْهُ .

١٠ . الاختلاف في الاشتقاق:

من القراءات القرآنية التي ذكرها ابن عاشور وكان وجه الاختلاف فيها يتردد في اختلاف الاشتقاق، جاء ذلك في :

^١ سورة يوسف / ٣٩ .

^٢ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ١٢ / ٢٥٧، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٧٤ .

^٣ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ١٢ / ٢٦٥، وإعراب القرآن، للنَّحَّاسِ ٢ / ١٤٠، ومعاني القرآن، للقرَّاء ٢ / ٤٤، ومعاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٠٨، والتذكرة في القراءات الثمان / ٢٨٠، والتبيان في إعراب القرآن ٢ / ٧٣٢، وإتحاف فضلاء البشر / ٢٦٤، والنشر ٢ / ٢٩٥، والكشَّاف ٢ / ١٣٥، والتبيان ٦ / ١٣٤، والجامع لأحكام القرآن ٩ / ١٨٤، والحرر الوجيز ٣ / ٢٤١، والبحر المحيظ ٥ / ٣٠٦، وشرح التصريح ٢ / ١٧٨، وشرح الأشموني ٢ / ١٥٨، والدُّرُّ المصون ٦ / ٤٩٣، واللباب في علوم الكتاب ١١ / ٩٥ .

^٤ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ١٢ / ٢٦٥ .

قوله: ((بَادِي)) من قوله ﷺ: ﴿ فَقَالَ أَمَلًا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَزَلْنَا إِلَّا

بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَزَلْنَاكَ إِلَّا أَلَدِينَ هُمْ أَرَادُوا لَكَ بِالرَّأْيِ وَمَا نَزَى لَكُمْ عَلَيْنَا

مِنْ فَضْلِ بَلِّ نَظْنُكُمْ كَذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور في قراءة ((بَادِي)) قراءتين:

القراءة الأولى : قراءة ((بَادِي)) بِيَاءٍ تَحْتِيَّةٍ فِي آخِرِهِ، وَنَسَبَهَا إِلَى الْجُمْهُورِ ، وَخَرَجَهَا عَلَى أَنَّهَا مُشْتَقَّةٌ مِنْ (بَدَا) الْمَقْصُورِ إِذَا ظَهَرَ، وَأَلْفُهُ مُنْقَلِبَةٌ عَنِ الْوَاوِ لَمَّا تَحَرَّكَتْ وَأَنْفَتَحَ مَا قَبْلَهَا، فَلَمَّا صَبِغَ مِنْهُ وَزُنُ فَاعِلٍ وَقَعَتِ الْوَاوُ مُتَطَرِّفَةً إِثْرَ كَسْرَةِ فُقِلِبَتِ يَاءً. وَالْمَعْنَى فِيمَا يَبْدُو لَهُمْ مِنَ الرَّأْيِ دُونَ بَحْثٍ عَنِ حَقَائِقِهِ وَدَقَائِقِهِ .

والحجة لمن قرأه بالياء أنه أخذه من بدا يبدأ إذا أخذ في فعل الشيء، فإن وقف عليه واقف استوى المهموز فيه وغيره فكان بياء ساكنة؛ لأنَّ الهمزة تسكن في الوقف وقبلها كسرة، فتقلب ياء والهمزة عند الوقف جائزة لا تمتنع؛ لأنها حرف صحيح، وإنما تسقط في الوقف إذا كان قبلها ساكن .

القراءة الثانية : قراءة ((بَادِي)) بِهَمْزَةٍ فِي آخِرِهِ. وَنَسَبَهَا إِلَى أَبِي عَمْرٍو فَقَطْ، وَقَرَأَ بِهَا أَيْضًا عَيْسَى الثَّقَفِيُّ ، وَخَرَجَهَا عَلَى أَنَّهَا مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْبَدَاءِ، وَهُوَ أَوَّلُ الشَّيْءِ. وَالْمَعْنَى: فِيمَا يَقَعُ أَوَّلَ

^١ سورة هود / ٢٧ .

^٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٢ / ٤٩ ، والحجّة للقرّاء السبعة ٤ / ٣١٦ ، والسبعة ٣٣٢ / ٣٣٢ ، وإعراب القراءات السبع ١ / ٢٧٨ ، وحجّة القراءات ٣٣٨ / ٣٣٨ ، وإتحاف فضلاء البشر ١٢٤ / ١٢٤ ، والكشاف ٢ / ٢٦٥ ، والمحرّر الوجيز ٣ / ١٦٣ ، والبحر المحيط ٤ / ٢١٥ ، والدُّرُّ المصون ٦ / ٣١٠ ، واللُّبَابُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ ١٠ / ٤٦٧ .

^٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٢ / ٤٨ ، والدُّرُّ المصون ٦ / ٣١٠ ، واللُّبَابُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ ١٠ / ٤٦٧ .

^٤ يُنظَرُ : الحجّة في القراءات السبع ١٨٦ / ١٨٦ ، والهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر ١ / ٢٣٦ .

^٥ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٢ / ٤٩ ، والحجّة للقرّاء السبعة ٤ / ٣١٦ ، والسبعة ٣٣٢ / ٣٣٢ ، وإعراب القراءات السبع ١ / ٢٧٨ ، وحجّة القراءات ٣٣٨ / ٣٣٨ ، وإتحاف فضلاء البشر ١٢٤ / ١٢٤ ، والكشاف ٢ / ٢٦٥ ، والمحرّر الوجيز ٣ / ١٦٣ ، والبحر المحيط ٤ / ٢١٥ ، والدُّرُّ المصون ٦ / ٣١٠ ، واللُّبَابُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ ١٠ / ٤٦٧ .

الرَّأْيِ، أَي دُونَ إِعَادَةِ النَّظَرِ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ مِنَ التَّمْوِيهِ، وبمعنى: ظاهر الرأي، من قولهم: ((بدا الشيء يبدو)) ، إذا ظهر، كما قال الراجز أبو نخيلة السعدي:

أَضْحَى حِجَابِي شَبَّهِي بِأَدِي بَدِي وَصَارَ لِلْفَحْلِ لِسَانِي وَيَدِي
(بادي بدي) بغير همز، وقال أيضاً:

٢

وَقَدْ عَلَّنِي دُرَّةً بِأَدِي بَدِي

ثُمَّ قَالَ : وَ (الرَّأْيِ) : نَظَرَ الْعَقْلِ، مُشْتَقٌّ مِنْ فِعْلِ (رَأَى)، كَمَا اسْتُعْمِلَ (رَأَى) بِمَعْنَى ظَنَّ وَعَلِمَ. يَعْنُونَ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ عَرَفْتَهُمْ دَعْوَتِكَ فَتَسَرَّعُوا إِلَى مُتَابَعَتِكَ وَلَوْ أَعَادُوا النَّظَرَ وَالتَّأَمَّلَ لَعَلِمُوا أَنَّكَ لَا تَسْتَحِقُّ أَنْ تَتَّبَعَ. وَأَنَّ انْتِصَابَ بِأَدِي الرَّأْيِ بِالنِّيَابَةِ عَنِ الظَّرْفِ، أَي فِي وَقْتِ الرَّأْيِ دُونَ بَحْثٍ عَنْ حَفِيَّهِ، أَوْ فِي الرَّأْيِ الْأَوَّلِ دُونَ إِعَادَةِ نَظَرٍ .

٣

وَإِضَافَةَ بِأَدِي إِلَى الرَّأْيِ مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ، وَمَعْنَى كَلَامِهِمْ: لَا يَلْبِثُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مُتَّبِعِكَ رُشْدَهُمْ فَيُعِيدُوا التَّأَمَّلَ فِي وَقْتٍ آخَرَ وَيُكْشِفَ لَهُمْ حَطُّوهُمْ .

٤

^١ يُنْظَرُ : وجامع البيان ١٥ / ٢٩٦ ، وتاريخ الطبري ٩ / ٢٧٣ ، وسمط اللالي ٢٩٣ / ٤٨٠ ، وفي اللسان (ذراً) ، وتهذيب إصلاح المنطق ٣٢ / ٢ ، والكتاب ٥٤ / ٢ ، ونوادر البيهقي ١٢٨ / ، والأغاني (ساسي) ١٥١ / ١٨ ، وتاريخ ابن عساكر ٣٢١ / ٢ ، ومجاز القرآن ٢٨٨ / ١ . والأبيات هي :

كَيْفَ التَّصَابِي فِعْلٌ مَنْ لَمْ يَهْتَدِ وَقَدْ عَلَّنِي دُرَّةً بِأَدِي بَدِي
وَرَثِيَّةٌ تَنْهَضُ فِي تَشَدُّدِي بَعْدَ انْتِهَاضِي فِي الشَّبَابِ الْأَمْلَدِ
وَبَعْدَ مَا أُذْكَرُ مِنْ تَأْوُدِي وَبَعْدَ تَمَشَّائِي وَتَطْوِيحِي يَدِي
وَمَشِيَّتِي تَحْتَ الْعُدَابِ الْأَسْوَدِ

ذكرها صاحب اللسان في (بدا) ، والتبريزي في تهذيب إصلاح المنطق، وزاد بعد قوله " ورثية تنهض في تشددي، وصار للفحل لساني ويدي، وأما البيت الأول قال عنه محمود شاكر: لم أجده في مكان، وأخشى أن تكون (بادي بدي) فيه موضوعة مكان كلمة أخرى ، ولا شك أن موضع هذين البيتين، ليس في الموضع الذي وضع أحدهما فيه صاحب اللسان والتبريزي. يُنْظَرُ: حواشي أحمد ومحمود شاكر على جامع البيان ١٥ / ٢٩٦ .

^٢ يُنْظَرُ : جامع البيان ١٥ / ٢٩٦ .

^٣ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ١٢ / ٤٨ - ٤٩ .

^٤ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ١٢ / ٤٨ - ٤٩ .

وقال أبو جعفر: وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا قراءة من قرأ: (بَادِي الرَّأْيِ) بغير همز (البادي)، وبهمز (الرأي)؛ لأنَّ معنى ذلك الكلام: إلا الذين هم أراذلنا، في ظاهر الرأي، وفيما يظهر لنا .

وهاتان القراءتان ثابتتان، فبأي قراءة قرأ القارئ فمصيب، ومآل معنئيهما واحد .

١١ . الاسم بين صيغتي المصدرية واسم الزمان واسم المكان:

من القراءات القرآنية التي ذكرها ابن عاشور وكان وجه الاختلاف فيها يتردّد بين صيغتي المصدرية واسم الزمان واسم المكان، جاء ذلك في :

قوله : ((بَجْرِنَهَا وَمُرْسِنَهَا)) من قوله ﷺ : ﴿ وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللَّهِ جَبْرِنَهَا وَمُرْسِنَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٤١) ، فقد ذكر ابن عاشور في قراءة ((بَجْرِنَهَا وَمُرْسِنَهَا)) قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة ((مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا)) بِضَمِّ الْمِيمَيْنِ فِيهِمَا، ونسبها إلى الجُمهُورِ ، وخرّجها على أُمَّهَا مَصْدَرًا أَجْرَى السَّفِينَةِ إِذَا جَعَلَهَا جَارِيَةً، أَي سَيَّرَهَا بِسُرْعَةٍ، وَأَرْسَاهَا إِذَا جَعَلَهَا رَاسِيَةً، أَي وَقَفَّهَ عَلَى الشَّاطِئِ. يُقَالُ: رَسَى إِذَا ثَبَتَ فِي الْمَكَانِ .

القراءة الثانية : قراءة ((بَجْرِنَهَا)) بِفَتْحِ الْمِيمِ، وخرّجها على أُمَّهَا مَفْعَلٌ لِلْمَصْدَرِ أَوْ الزَّمَانِ أَوِ الْمَكَانِ، ونسبها إلى حَمْرَةَ، وَالْكِسَائِيَّ، وَحَفْصِ عَن عَاصِمٍ، وَخَلْفٍ . وَقَرَأُوا ((مُرْسَاهَا))

^١ يُنظَرُ : جامع البيان ٢٩٦/١٥ .

^٢ يُنظَرُ: التحرير والتنوير ٤٩/١٢ ، وجامع البيان ٢٩٦/١٥ ، والدُّرُّ المصون ٣١٠/٦ ، واللُّبَابُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ ٤٦٧/١٠ .

^٣ سورة هود / ٤١ .

^٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٧٣ / ١٢ ، والسبعة ٣٣٣ ، والتيسير ١٢٤ / ٤ ، والحجّة للقراء السبعة ٣٢٩ / ٤ ، وإعراب القراءات السبع ٢٨٠ / ١ ، وحجّة القراءات ٣٤٠ / ٣ ، وإتحاف فضلاء البشر ١٢٥ / ٢ - ١٢٦ ، والمحزّر الوجيز ١٧٣ / ٣ ، والبحر المحيط ٢٢٥ / ٥ ، والدُّرُّ المصون ٣٢٦ / ٦ ، واللُّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ ٤٩٠ / ١٠ .

^٥ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٧٣ / ١٢ .

بِضَمِّ الْمِيمِ مِثْلَ قِرَاءَةِ الْجُمْهُورِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ: (مَرَسَاهَا) بِفَتْحِ الْمِيمِ. وَالْعُدُولُ عَنِ الْفَتْحِ فِي ((مَرَسَاهَا)) فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَعَ أَنَّهُ فِي الْفِيَّاسِ مُمَاتِلٌ (مَجْرَاهَا) وَجْهُهُ دَفْعُ اللَّبْسِ لِقَلْبًا يَلْتَبِسُ بِاسْمِ الْمَرَسَى الَّذِي هُوَ الْمَكَانُ الْمَعْدُ لِرُسُوِّ الشُّنَنِ .

٢

وقد قرأ ابن مسعود وعيسى الثقفي وزيد بن علي والأعمش ((مَرَسَاهَا)) بفتح الميم أيضاً . فالضَّمُّ فيهما لأَنَّهما مِّنْ أَجْرَى وَأَرْسَى، والفتح لأَنَّهما مِّنْ جَرَتْ وَرَسَتْ وهما: إمَّا ظرفا زمان أو مكان أو مصدران، على ما سبق من التقادير .

٤

وهناك قراءة: ((مُجْرِيهَا وَمُرْسِيهَا)) بكسر الرَّاءِ بعدهما ياء صريحة، قرأ بها الضحَّاك والنخعي وابن وثاب ومجاهد وأبو رجاء والكلبي والمحدري وابن جندب ، وهما اسما فاعلين مِّنْ أَجْرَى وَأَرْسَى، وتخريجُهما على أَنَّهُما بدلان من اسم الله. وقال ابن عطية ، وأبو البقاء ، ومكي : إِنَّهُمَا نعمتان لله تعالى، وهذا الذي ذكروه إِنَّمَا يَتَمُّ على تقدير كونهما معرفتين بتمحض

٦

^١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٢ / ٧٣، والسبعة / ٣٣٣، والتيسير / ١٢٤، والحجَّة للقراء السبعة ٤ / ٣٢٩، وإعراب القراءات السبع ١ / ٢٨٠، وحجَّة القراءات / ٣٤٠، وإتحاف فضلاء البشر ٢ / ١٢٥ - ١٢٦، والمحَرَّر الوجيز ٣ / ١٧٣، والبحر المحيط ٥ / ٢٢٥، والدُّرُّ المصون ٦ / ٣٢٦، واللُّباب في علوم الكتاب ١٠ / ٤٩٠.

^٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٢ / ٧٣، والسبعة / ٣٣٣، والتيسير / ١٢٤، والحجَّة للقراء السبعة ٤ / ٣٢٩، وإعراب القراءات السبع ١ / ٢٨٠، وحجَّة القراءات / ٣٤٠، وإتحاف فضلاء البشر ٢ / ١٢٥ - ١٢٦، والمحَرَّر الوجيز ٣ / ١٧٣، والبحر المحيط ٥ / ٢٢٥، والدُّرُّ المصون ٦ / ٣٢٦، واللُّباب في علوم الكتاب ١٠ / ٤٩٠.

^٣ يُنظَرُ : وإتحاف فضلاء البشر / ٢٥٦، والكشَّاف ٢ / ٢٦٩، والمحَرَّر الوجيز ٣ / ١٧٣، والبحر المحيط ٥ / ٢٢٥، والدُّرُّ المصون ٦ / ٣٢٦، واللُّباب في علوم الكتاب ١٠ / ٤٩٠.

^٤ يُنظَرُ : الدُّرُّ المصون ٦ / ٣٢٦.

^٥ يُنظَرُ : إتحاف فضلاء البشر / ٢٥٦، والكشَّاف ٢ / ٢٦٩، والمحَرَّر الوجيز ٣ / ١٧٣، والبحر المحيط ٥ / ٢٢٥، والدُّرُّ المصون ٦ / ٣٢٦، واللُّباب في علوم الكتاب ١٠ / ٤٩٠.

^٦ يُنظَرُ : المحَرَّر الوجيز ٩ / ١٥٣، والدُّرُّ المصون ٦ / ٣٢٦، واللُّباب في علوم الكتاب ١٠ / ٤٩١.

^٧ يُنظَرُ : التبيان في إعراب القرآن ٢ / ٣٩، والدُّرُّ المصون ٦ / ٣٢٦، واللُّباب في علوم الكتاب ١٠ / ٤٩١.

^٨ يُنظَرُ : مشكل إعراب القرآن ١ / ٤٠٣، والدُّرُّ المصون ٦ / ٣٢٦، واللُّباب في علوم الكتاب ١٠ / ٤٩١.

الإضافة. وقد جاء عن الخليل: أَنَّ كَلَّ إِضَافَةٌ غَيْرُ مُحَضَّةٍ قَدْ تُجْعَلُ مُحَضَّةً إِلَّا إِضَافَةُ الصِّفَةِ الْمَشْبُوهَةِ
فَلَا تَتَمَحَّضُ .^١

وقال مكِّي: ((ولو جُعِلت (مَجْرَاهَا) و(مُرْسَاهَا) في موضع اسم الفاعل لكانت حالاً
مقدرة، ولجاز ذلك وُلِّجَعَتْهَا في موضع نصبٍ على الحال من اسم الله تعالى)) ، وقد طَوَّلَ مَكِّي^٢
كلامه في هذه المسألة، وقال في آخرها: ((وهذه المسألة يُوقَفُ فيها على جميع ما كان في الكلام
والقرآن مِنْ نظيرها، وذلك لِمَنْ فَهَمَهَا حَقٌّ فَهَمَهَا وَتَدَبَّرَهَا حَقٌّ تَدَبَّرَهَا فَهِيَ مِنْ عُرْرِ الْمَسَائِلِ
المشكلة)) . وقال ابن عاشور: إِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا فِي مَحَلِّ نَصْبٍ بِالنِّيَابَةِ عَنْ
ظَرْفِ الزَّمَانِ، أَيْ وَقْتُ إِجْرَائِهَا وَوَقْتُ إِزْسَائِهَا. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ بِالْجَارِ
وَالْمَجْرُورِ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ، وَهُوَ رَأْيُ نُحَاةِ الْكُوفَةِ، وَلَمْ يَسْتَبْعِدْ ذَلِكَ .^٤

١٢ . الاسم بين القصر والمد:

من القراءات القرآنية التي ذكرها ابن عاشور وكان وجه الاختلاف فيها يتردد بين صيغتي
القصر والمد، ما يأتي :

قوله : ((زَكْرِيَّا)) من قوله ﷻ : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا
وَكَفَلَهَا زَكْرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا الْحَرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرَأُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ
هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور في قراءة
((زَكْرِيَّا)) قراءات :

^١ يُنظَرُ : الدُّرُّ المصون ٣٢٦/٦ ، واللُّبَابُ في علوم الكتاب ٤٩١/١٠ .

^٢ يُنظَرُ : مشكل إعراب القرآن ٤٠٣/١ ، والدُّرُّ المصون ٣٢٦/٦ ، واللُّبَابُ في علوم الكتاب ٤٩١/١٠ .

^٣ يُنظَرُ : مشكل إعراب القرآن ٤٠٣/١ ، والدُّرُّ المصون ٣٢٦/٦ ، واللُّبَابُ في علوم الكتاب ٤٩١/١٠ .

^٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٢ / ٧٤ .

° سورة آل عمران / ٣٧ .

القراءة الأولى : قراءة ((زَكْرِيَاءُ)) بِهَمْزَةٍ فِي آخِرِهِ، مَمْدُودًا وَيَرْفَعُ الهمزة، ونسبها إلى الجُمهور، وهم ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، ويعقوب، وأبو جعفر، وابن محيصن، واليزيدي، وابن عَبَّاس، والأعرج، والزهري، وشيبة، ومجاهد، وعبدالله بن يزيد، والحسن، وقتادة، وعيسى الثقفي، وسلام، وأيوب، وعمرو الهمداني، وعمرو بن فائد، والأعمش، وأبو وائل الأسدي، وأبان بن تغلب، وعيسى همدان، وإسحاق، والأزرق، وعبدالله بن مسعود، وأبي بن كعب . والقصرُ والمدُّ لغتان فاشيتان في الحجاز، وأما حركة الهمزة بضمٍ أو فتحٍ، فيرجع لصورة الفعل قبلها من حيث التخفيف والتشديد .

٢

القراءة الثانية : قراءة ((زَكْرِيَا)) بِالْقَصْرِ، ونسبها إلى حمزة، وَالْكَسَائِيَّ وَحَفْصَ عَن عَاصِمٍ، وَحَلْفٍ، وقرأ بها أيضاً أبو عبدالرحمن السلمي، ويحيى بن وثَّاب، والحسن، والأعمش، وطلحة الياضي، وشيبان، وعلي بن صالح بن حي، وعيسى همدان، وابن إدريس الأودي، وأبو رجاء العطارى، وابن مسعود .

٣

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ٣ / ٢٣٦، ومعاني القرآن وإعرابه ١ / ٤٠٣، وإعراب القرآن المنسوب إلى الرَّجَّاح ٩٤٦ / ٩٤٦، وإعراب القرآن، لِلنَّحَّاسِ ١ / ٣٢٦، والسبعة ٢٠٥، والكشف عن وجوه القراءات ١ / ٣٤١، والحجَّة للقرَّاء السبعة ٣ / ٣٤١، والنشر ٢ / ٢٩٣، وإتحاف فضلاء البشر ١٧٣، والتبيان في إعراب القرآن ١ / ٢٥٥، وشرح الشاطبية ١٧٠ / ١٧٠، والتبصرة ٤٥٨، وإرشاد المبتدي ٢٦١ / ٢٦١، ومجمِّع البيان ٦٧ / ٦٧، وغرائب القرآن ٣ / ١٧٥، والتذكرة في القراءات الثمان ٢٨٦ / ٢٨٦، والجامع لأحكام القرآن ٤ / ٧٠، والمحزَّر الوجيز ٣ / ٩٢، والبحر المحيط ٢ / ٤٤٢، والرازي ٨ / ٢٩، ومعجم القراءات، للخطيب ١ / ٤٨٣ .

^٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ٣ / ٢٣٦، ومعجم القراءات، للخطيب ١ / ٤٨٣ .

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ٣ / ٢٣٦، ومعاني القرآن وإعرابه ١ / ٤٠٣، وإعراب القرآن المنسوب إلى الرَّجَّاح ٩٤٦ / ٩٤٦، وإعراب القرآن، لِلنَّحَّاسِ ١ / ٣٢٦، والسبعة ٢٠٥، والكشف عن وجوه القراءات ١ / ٣٤١، والحجَّة للقرَّاء السبعة ٣ / ٣٤١، والنشر ٢ / ٢٩٣، وإتحاف فضلاء البشر ١٧٣، والتبيان في إعراب القرآن ١ / ٢٥٥، وشرح الشاطبية ١٧٠ / ١٧٠، والتبصرة ٤٥٨، وإرشاد المبتدي ٢٦١ / ٢٦١، ومجمِّع البيان ٦٧ / ٦٧، وغرائب القرآن ٣ / ١٧٥، والتذكرة في القراءات الثمان ٢٨٦ / ٢٨٦، والجامع لأحكام القرآن ٤ / ٧٠، والمحزَّر الوجيز ٣ / ٩٢، والبحر المحيط ٢ / ٤٤٢، والرازي ٨ / ٢٩، ومعجم القراءات، للخطيب ١ / ٤٨٣ .

القراءة الثالثة : قراءة ((زَكْرِيَاءَ)) بِهَمْزَةٍ فِي آخِرِهِ مَمْدُودًا وَنَصَبِ الْهَمْزَةِ، ونسبها إلى أبي
بَكْرٍ عَنِ عَاصِمٍ .^١

ويستفاد من هذه القراءات جواز قصر الممدود، ومدّ المقصور، وقد أجمع البصريون
والكوفيون على جواز قصر الممدود للضرورة، كقول الشاعر :

لا بدّ من صنعا وإن طال السفر^٢

وكان الخلاف بينهم في مدّ المقصور؛ حيث منعه البصريون، وأجازه الكوفيون .

١٣ . الاسم بين المصدر واسم المصدر:

من القراءات القرآنية التي ذكرها ابن عاشور وكان وجه الاختلاف فيها يتردد بين صيغتي
المصدر واسم المصدر، جاء ذلك في:

قوله : ((وَلَيْتِهِمْ)) من قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ
يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ لَّيْتِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ٣ / ٢٣٦، وإعراب القرآن، المنسوب إلى الرَّجَّاح ٩٢٦/، ومعاني القرآن وإعرابه ٤٠٣/١، وفي
معاني الفراء ٢٠٨/١: من شدّد جعل (زكريا) في موضع نصب، كقولك: (ضمّنها زكرياء)، ومن خفّف الفاء جعل
(زكريا) في موضع رفع))، ومجمّع البيان ٦٧/٢، وغرائب القرآن ١٧٥/٣، وإتحاف فضلاء البشر ١٧٣/، والبيان
٢٠١/١، وإرشاد المتبدي ٢٦١/، والمحرّر الوجيز ٩٢/٣، والتذكّرة في القراءات الثمان ٢٨٦/، والمكرّر ٢٢/،
والكافي ٧٥/، ومعجم القراءات، للخطيب ٤٨٣/١.

^٢ هذا صدر بيت من الرّجز وعجزه : (وَإِن تَحَيَّ كُلُّ عَوْدٍ وَدَبَّرَ) والشاعر هنا لا يُعرّف، وقصر صنعا لضرورة الوزن. يُنظَر:
حاشية الصّبّان ١٠٩/٤، وهمع الهوامع ١٥٦/٢، والبحر المحيط ١٠٢/٨، والتصريح ٢٩٣/٢، واللُّباب في علوم
الكتاب ٥١٣/١٧.

^٣ يُنظَر: التحرير والتنوير ٣/٢٣٦، وشذا العرف ١٢١/، والتوجيه اللغوي والبلاغي لقراءة عاصم .د. صبري المتولّي ٨٧/.

التَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ ، وكذا

((الْوَلِيَّةُ)) من قوله ﷺ : ﴿ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ ﴿٤٤﴾ ، فقد ذكر

ابن عاشور في قراءة ((وَلِيَّتِهِمْ)) ، و ((الْوَلِيَّةُ)) قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة ((وَلِيَّتِهِمْ)) بفتح الواو ، و ((الْوَلِيَّةُ)) بِفَتْحِ الْوَاوِ فِي الْمَشْهُورِ ، ونسبها إلى الجُمَّهُورِ ، وهم ابن كثير ، وأبو عمرو ، ونافع ، وابن عامر ، وعاصم ، والكسائي ، وخرَّجها عَلَى أَنَّهَا مَصْدَرٌ وَلِيٍّ ، إِذَا ثَبَتَ لَهُ الْوَلَاءُ ، وَأَنَّهَا اسْمٌ لِمَصْدَرٍ تَوَلَّاهُ .

القراءة الثانية: قراءة ((وَلَايَتِهِمْ)) ، و ((الْوَلَايَةُ)) بِكَسْرِ الْوَاوِ ، ونسبها إلى حمزة وحده ،

وقرأ بها أيضاً الأعمش ، وابن وثاب ، والأخفش ، وهي لغة ، وعندما ذكر ((الْوَلِيَّةُ)) نسبها إلى حمزة وَالْكَسَائِيَّ وَخَلَفَ . عَلَى أَنَّهَا اسْمٌ لِلْمَصْدَرِ ، أَوْ اسْمٌ بِمَعْنَى السُّلْطَانِ وَالْمُلْكِ .

^١ سورة الأنفال / ٧٢ .

^٢ سورة الكهف / ٤٤ .

^٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٨٦/١٠ ، ٣٢٩ / ١٥ ، ومعاني القرآن ، للأخفش ٣٢٥/٢ ، ومعاني القرآن ، للفرّاء ٢٩٤/٤ ، والسبعة ٣٠٩/٩ ، وإعراب القرآن ، للنجّاس ٦٨٩/١ ، ومشكل إعراب القرآن ٣٥٣/١ ، والكشف عن وجوه القراءات ٤٩٧/١ ، وحنجّة القراءات ٣١٤/١ ، والحنجّة في القراءات السبع ١٧٣/١ ، وإرشاد المبتدي ٣٤٩/١ ، والتبصرة ٥٢٥/١ ، والتبيان في إعراب القرآن ٦٣٣/٢ ، وغرائب القرآن ٢٦/١٠ ، ومجمّع البيان ١٨١/٩ ، والتيسير ١١٧/١ ، وزاد المسير ٢٧٧/٣ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢٣٩/٢ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢٣٤/١ ، والتذكرة في القراءات الثمان ٣٥٥/١ ، وحاشية الجمل ٢٥٩/١ ، والتبيان ١٦١-١٦٢/٥ ، والكشّاف ٢٥/٢ ، والمحرّر الوجيز ٣٨٩/٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٥٦/٨ ، وحاشية الشهاب ٢٩٤/٤ ، والبحر المحيط ٥٢٢/٤ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٣٣٣/٣ .

^٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٨٦/١٠ ، ٣٢٩ / ١٥ .

^٥ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٨٦/١٠ ، ٣٢٩ / ١٥ ، ومعاني القرآن ، للأخفش ٣٢٥/٢ ، ومعاني القرآن ، للفرّاء ٢٩٤/٤ ، والسبعة ٣٠٩/٩ ، وإعراب القرآن ، للنجّاس ٦٨٩/١ ، ومشكل إعراب القرآن ٣٥٣/١ ، والكشف عن وجوه القراءات ٤٩٧/١ ، وحنجّة القراءات ٣١٤/١ ، والحنجّة في القراءات السبع ١٧٣/١ ، وإرشاد المبتدي ٣٤٩/١ ، والتبصرة ٥٢٥/١ ، والتبيان في إعراب القرآن ٦٣٣/٢ ، وغرائب القرآن ٢٦/١٠ ، ومجمّع البيان ١٨١/٩ ، والتيسير ١١٧/١ ، وزاد المسير ٢٧٧/٣ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢٣٩/٢ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢٣٤/١ ، والتذكرة في القراءات الثمان

وجاء عن أبي علي الفارسي: أَنَّ الفتح في ((الوَلَايَةِ)) أجود، لأَنَّها في الدين، والكسر والفتح لغتان، وعن أبي الحسن الأخفش: أَنَّ الكسر في ((الوَلَايَةِ)) لغة، وليست بذلك، ولحن الأَخْفَشُ الأَصْمَعِي والأَعْمَشُ في قراءتهما ((الوَلَايَةِ)) بالكسر، وأخطأ عليه؛ لأَنَّها إذا كانت لغة فلم يلحن. قال القاضي أبو محمَّد: لا سيما ولا يظنُّ به إلا أَنَّهُ رواها. وعن أبي عبيدة أَنَّ ((الوَلَايَةَ)) بالكسر هي من وليت الأمر إليه، فهي في السلطان، والولاية: هي من المولى، يقال مولى بين الولاية بفتح الواو. وردَّ هذا أبو حيَّان على الأَصْمَعِيِّ، وقال: إِنَّه أخطأ في ذلك؛ لأَنَّها قراءة متواترة .

٢

وقد نقل ابن عاشور ذلك حيث قال: إِنَّ أبا عَلِيٍّ في ((وَلَايَتِهِمْ)): إِنَّ الفتح أجودُ هُنَا؛ لأنَّ (الوَلَايَةَ) الَّتِي بِكسرِ الواوِ فِي السُّلْطَانِ، يَعْنِي فِي وَايَاتِ الحُكْمِ وَالإِمَارَةِ. وَونقل أيضاً قولَ الرَّجَّاحِ: إِنَّه قَدْ يَجُوزُ فِيهَا الكَسْرُ، لأنَّ فِي تَوَلَّى بَعْضِ القَوْمِ بَعْضًا جِنْسًا مِنَ الصَّنَاعَةِ، كَالْقِصَارَةِ وَالْحِيَاطَةِ، وَذَكَرَ أَنَّ الزَّمخَشَرِي تَبِعَهُ فِي (الكَشَّافِ)، وَأَنَّهُ أَرَادَ إِبْطَالَ قَوْلِ أَبِي عَلِيٍّ الفَارِسِيِّ أَنَّ الفتحَ هُنَا أجودُ. ثمَّ أبطل قولَ أَبِي عَلِيٍّ الفَارِسِيِّ ، وَذَكَرَ أَنَّ الفتحَ وَالكسرَ وَجْهَانِ مُتَسَاوِيَانِ مِثْلَ (الدَّلَالَةِ) بِفَتْحِ الدَّالِ وَكسْرِهَا، وَهذا الذي يميل إليه الباحث .

٣

١٤ . الاسم بين صيغتي المصدر الميمي واسم الزمان:

من القراءات القرآنية التي ذكرها ابن عاشور وكان وجه الاختلاف فيها يتردّد بين صيغتي المصدر الميمي واسم الزمان، جاء ذلك في :

٣٥٥/، وحاشية الجمل ٢٥٩/، والتبيان ١٦١/٥-١٦٢/، والكشاف ٢٥/٢، والمحرّر الوجيز ٣٨٩/٦، والجامع لأحكام القرآن ٥٦/٨، وحاشية الشهاب ٢٩٤/٤، والبحر المحيط ٥٢٢/٤، ومعجم القراءات، للخطيب ٣٣٣/٣.

^١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٨٦/١٠ ، ٣٢٩ /١٥ .

^٢ يُنظَرُ : معاني القرآن، للأخفش ٣٢٥/٢، والمحرّر الوجيز ٥٥٦/٢، والبحر المحيط ٥٢٢/٤.

^٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٨٦/١٠، والكشاف ٢٥/٢، والجامع لأحكام القرآن ٥٦/٨، والمحرّر الوجيز ٥٥٦/٢، والبحر المحيط ٥٢٢/٤.

قوله : ((مَهْلِك)) من قوله ﷻ : ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (٤٩) ، و ((لَمَهْلِكِهِمْ)) من قوله ﷻ :

﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ (٥٩) ، فقد ذكر ابن عاشور في قراءة ((مَهْلِك)) ، و ((لَمَهْلِكِهِمْ)) قراءات:

القراءة الأولى : قراءة ((مُهْلِك)) بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِ اللَّامِ ، ونسبها إلى الجُمَّهُورِ ، وخرَّجها عَلَى أَنَّهَا مصدر الإهلاك أو مَكَانُهُ أو زَمَانُهُ ، وَ (الْمُهْلِكُ) بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِ اللَّامِ ، مَصْدَرٌ مِيمِيٌّ مِنْ (أَهْلَكَ) الرُّبَاعِيٌّ ، أَي جَعَلْنَا لِإِهْلَاكِنَا إِيَّاهُمْ وَقْتًا مُعَيَّنًا فِي عِلْمِنَا إِذَا جَاءَ حَلَّ بِهِمُ الْهَلَاكُ ، وفي الآية الأخرى شَهِدْنَا إِهْلَاكَ مَنْ أَهْلَكَهُمْ .

فأما من قرأ: ((مُهْلِك)) بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِ اللَّامِ ، فيحتمل ضربين ، يجوز أن يكون: إِهْلَاكَ أَهْلِهِ : أي: لم يشهد إِهْلَاكَ أَهْلِهِ ، ويجوز أن يكون الموضع أي: لم يشهد موضع الإهلاك .

وقال ابن عادل: يجوز في قراءة ((مُهْلِك)) بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِ اللَّامِ ، أن يكون مصدراً مضافاً لمفعوله أي لإهلاكهم ، وأن يكون زماناً ، ويبعد أن يراد به المفعول ، أي : وجعلنا للشخص ، أو للفريق المهلك منهم .

^١ سورة النمل / ٤٩ .

^٢ سورة الكهف / ٥٩ .

^٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٣٥٨/١٥ ، ٢٨٣ / ١٩ ، والسبعة / ٣٩٣ ، ٤٨٣ ، والتيسير / ١٤٤ / ١ ، والنشر ٣١١ ، والحجّة للقراء السبعة ١٥٦/٥ ، ٣٩٥ ، والوسيط ١٥٥/٣ ، وجامع أحكام القرآن ٨/١٠ ، والبحر المحيط ١٣٣/٦ ، واللُّباب في علوم الكتاب ٥١٨/١٢ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٥٣٣/٦ .

^٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٣٥٨/١٥ ، ٢٨٣ / ١٩ .

^٥ يُنظَرُ : الحجّة للقراء السبعة ٣٩٦/٥ .

^٦ يُنظَرُ : اللباب في علوم الكتاب ٥١٩ / ١٢ .

القراءة الثانية : قراءة ((مَهْلِك)) بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِ اللَّامِ، ونسبها إلى حَفْصٍ عَن عَاصِمٍ ، وخرَّجها عَلَى أَنَّهَا اسْمٌ زَمَانٍ عَلَى وَزْنِ مَفْعِلٍ، وَيَحْتَمِلُ الْمَصْدَرِيَّةَ وَالْمَكَانَ .
القراءة الثالثة : قراءة ((مَهْلِك)) بِفَتْحِ الْمِيمِ وَفَتْحِ اللَّامِ، ونسبها إلى أَبِي بَكْرٍ عَن عَاصِمٍ،
وقرأ بها أيضاً الأعمش، والبرجمي عن أبي بكر، والسلمي، والمفضل، وخرَّجها عَلَى أَنَّهَا مَصْدَرٌ
ميمي لهلك لا غير، مضاف لفاعله، وجَوَّزَ أَبُو عَلِيٍّ أَنْ يَكُونَ مِضَافاً لِمَفْعُولِهِ، وَقَالَ : إِنَّ (هَلِكًا)
يَتَعَدَّى دُونَ هَمْزٍ، وَأَنْشَدَ قَوْلَ الْعَجَّاجِ مِنَ الرَّجَزِ:

وَمَهْمَهُ هَالِكٍ مَنْ تَعَرَّجَا

ف(مَنْ) معمول ل(هالك)، وقد منع النَّاسُ ذلك، وقالوا: لا دليل في البيت؛ لجواز أن يكون ذلك من باب الصفة المشبهة، والأصل : هالك من تعرَّجَا.
ف(مَنْ تَعَرَّج) فاعل الهالك ، ثُمَّ أَضْمَرَ فِي (هَالِكٍ) ضَمِيرَ (مَهْمَهُ) وَنَصَبَ (مَنْ تَعَرَّج) نِصْبَ (الوجه) فِي قَوْلِكَ: ((مَرَرْتُ بِرَجُلٍ حَسَنِ الْوَجْهِ)) ثُمَّ أَضَافَ الصِّفَةَ، وَهِيَ (هَالِكٍ) إِلَى مَعْمُولِهَا، فَالِإِضَافَةُ مِنْ نِصْبٍ، وَالنِّصْبُ مِنْ رَفْعٍ، فَهُوَ كَقَوْلِكَ: ((زَيْدٌ مَنْطَلِقُ اللِّسَانِ، وَمَنْبَسُطُ الكَفِّ)) وَلَوْلَا تَقْدِيرُ النِّصْبِ ، لَامْتَنَعَتِ الإِضَافَةُ؛ إِذْ اسْمُ الْفَاعِلِ لَا يُضَافُ إِلَى مَرْفُوعِهِ، وَقَدْ يُقَالُ : لَا حَاجَةَ إِلَى تَقْدِيرِ النِّصْبِ ؛ إِذْ هَذَا جَارٍ مُجْرَى الصِّفَةِ الْمَشْبَهَةِ، وَالصِّفَةُ الْمَشْبَهَةُ تَضَافُ

¹ يُنظَرُ : التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ٣٥٨/١٥ ، ٢٨٣ / ١٩ ، والسبعة / ٣٩٣ ، ٤٨٣ ، والتيسير / ١٤٤ ، والنشر ٣١١ ، والحجَّة للقراء السبعة ١٥٦/٥ ، ٣٩٥ ، والوسيط ١٥٥/٣ ، وجامع أحكام القرآن ٨/١٠ ، والبحر المحيط ١٣٣/٦ ، واللُّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ ٥١٨/١٢ ، ومعجم القراءات، للخطيب ٥٣٢/٦ .

^٢ يُنظَرُ : التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ٣٥٨/١٥ ، ٢٨٣ / ١٩ .

^٣ يُنظَرُ : التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ٣٥٨/١٥ ، ٢٨٣ / ١٩ ، والسبعة / ٣٩٣ ، ٤٨٣ ، والتيسير / ١٤٤ ، والنشر ٣١١ ، والحجَّة للقراء السبعة ١٥٦/٥ ، ٣٩٥ ، والوسيط ١٥٥/٣ ، وجامع أحكام القرآن ٨/١٠ ، والبحر المحيط ١٣٣/٦ ، واللُّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ ٥١٨/١٢ ، ومعجم القراءات، للخطيب ٥٣٢/٦ .

^٤ وبعده: هائلة أهواله من أدلجا. يُنظَرُ : ديوانه / ٣٦٧ ، والخصائص ٢/ ٢١٠ ، والمقتضب ٤/ ١٨٠ ، والمحتسب ١/ ٩٢ ، و الحجَّة للقراء السبعة ٤/ ٣٧٩ ، ولسان العرب (هلك) ، وتهديب اللغة (هلك) ، والبحر المحيط ١٣٣/٦ ، والدُّرُّ الْمَصُونُ ٤/ ٤٦٧ ، واللُّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ ٥١٩/١٢ .

إلى مرفوعها، إلا أن هذا مبنيٌّ على خلافٍ آخر، وهو: هل يقع الموصول في باب الصفة أم لا؟
والصحيح جوازه، قال الفرزدق:

فَعُجِّتُهَا قَبْلَ الْأَحْيَارِ مَنْزِلَةً وَالطَّيِّبِ يَكُلُّ مَا التَّائَتْ بِهِ الْأُزُرُ^١
وقال عمر بن أبي ربيعة:

أَسِيلَاتُ أَبْدَانٍ دِقَاقٌ حُصُورُهَا وَثِيرَاتُ مَا التَّقَّتْ عَلَيْهَا الْمَلَا حِفٌّ^٢
وقال أبو حيان في قراءة أبي بكرٍ هذه ((مَهْلَكٌ)) بِفَتْحِ الْمِيمِ وَفَتْحِ اللَّامِ: ((إِنَّهُ زَمَانٌ))، ولم يذكر غيره، وجوّز غيره فيه الزمان و المصدر، وهو عجيبٌ؛ فإنَّ الفعل متى كسرت عينٌ مضارعه، فتحت في المفعول مراداً به المصدر، وكسرت فيه مراداً به الزمان والمكان، وكأَنَّهُ اشتبهت عليه بقراءة حفص؛ فإنَّها بكسر اللام كما تقدّم، فالمفعول منه للزّمان والمكان.

وجوّز أبو البقاء في قراءته أن يكون المفعول فيها مصدرًا، قال: ((وشدٌّ فيه الكسر كالمرجع))، وإذا قلنا: إِنَّهُ مصدرٌ؛ فهل هو مضافٌ لفاعله أو مفعوله؟ يجيء ما تقدّم في قراءة رفيقه، وتخرّجُ أبي عليٍّ، واستشهاده بالبيت، والرّدُّ عليه، كل ذلك عائد هنا.

قال أبو علي الفارسي: يقال: (هَلَكَ يَهْلِكُ)، والمصدر منه (مَهْلَكٌ)، كما أن المصدر من ضَرَبَ يَضْرِبُ مَضْرَبًا، بفتح الراء، واسم المكان: المَهْلِكُ، بكسر اللّام، فقول عاصم في رواية أبي بكر: ((مَهْلَكٌ)) بِفَتْحِ الْمِيمِ وَفَتْحِ اللَّامِ، أي: هلاك أهله، وقد حُكِيَ أَنَّهُ يقال: هلكني،

^١ يُنظَرُ : ديوانه ١/١٨٢، والبحر المحيط ٦/١٣٣، وشرح الأشموني ٣/٦، والتصريح ٢/٨٥، والدُّرُّ المصون ٤/٤٦٧،
واللُّباب في علوم الكتاب ١٢/٥١٩.

^٢ وينسب للهندي. يُنظَرُ : ديوان عمر بن أبي ربيعة ٤/٢٥٤، والبحر المحيط ٦/١٣٣، وروح المعاني ١٥/٣٠٧، والدُّرُّ المصون ٤/٤٦٨،
واللُّباب في علوم الكتاب ١٢/٥١٩.

^٣ يُنظَرُ : البحر المحيط ٦/١٣٣، والدُّرُّ المصون ٤/٤٦٧، واللُّباب في علوم الكتاب ١٢/٥١٩.

^٤ يُنظَرُ : التبيان في إعراب القرآن ٢/١٠٥.

^٥ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٥/٣٥٨، ١٩/٢٨٣، والتبيان في إعراب القرآن ٢/١٠٥، والحجّة للقراء السبعة ٥/١٥٦،
والبحر المحيط ٦/١٣٣، والدُّرُّ المصون ٤/٤٦٧، واللُّباب في علوم الكتاب ١٢/٥١٩.

بمعنى: أهلكني. وذكر أنهم زعموا ذلك لغة تميم، فيجوز في المهلك على هذا أن يكون مصدراً مضافاً إلى المفعول به، ويكون على قول من لم يجعل هلكه بمعنى أهلكه، مصدراً مضافاً إلى الفاعل، كما تقول: هلاك أهله. وأما رواية حفص عنه، فيحتمل ضربين: يجوز أن يكون: مهلك اسم المكان، فيكون المعنى: ما شهدنا موضع هلاكهم ومكانه، فيكون المهلك: كالمجلس، في أنه يراد به موضع الجلوس، وقال: إن فتح اللام التي هي عين من ((مهلك)) أقيس وأشيع، وقد جاء المصدر من باب (فعل يفعل) بكسر العين، قال: ((ويستلونك عن المحيض)) من قوله ﷺ :

﴿ وَيَسْتَلُونَكِ عَنِ الْمَحِيضِ قُلُّهُ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾

، وقال: ((إلى مرجعكم)) من قوله ﷺ : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِي مَرْيَمُ لَا تَهْزَنْ عَلَيْهِ وَرَافِعَكَ إِلَى مَطْهَرِكِ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُم بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ ، وقالوا: ما في بُرْكٍ مكيلاً، يريدون: الكيل، والأول أكثر وأوسع .

^١ سورة البقرة / ٢٢٢ .

^٢ سورة آل عمران / ٥٥ ، وسورة العنكبوت / ٨ ، ولقمان / ١٥ .

^٣ يُنظر : الحجّة للقراء السبعة ١٥٧/٥ ، ٣٩٥ .

الفصل الثالث

المستوى النحوي في القراءات القرآنية

المبحث الأول : الرفع والنصب في القراءات القرآنية

المبحث الثاني : النصب والجر في القراءات القرآنية

المبحث الثالث : بعض الظواهر النحوية في القراءات القرآنية

الفصل الثالث

المستوى النحوي

إنَّ علم النحو علم يُعرف به كَيْفِيَّةُ التَّركيبِ العربيِّ صحَّةً وسقماً، وكَيْفِيَّةُ ما يتعلَّق بالألفاظ من حيث وقوعها فيه ، وإنَّ الغرض منه الاحتراز عن الخطأ في التَّأليف، والاعتدال على فهمه ، والإفهام به .

والمستوى النَّحوي يعنى بالنَّحو في أيِّ لغة، وقد أطلق العلماء المحدثون على هذا النوع من التحليل (علم التنظيم أو التَّركيب) لما يميِّزه عن المجالات الأخرى لعلم اللُّغة .
وقد سطرَّ الشيخ عبدالقاهر الجرجاني في كتابه الشهير (دلائل الاعجاز) أنَّ نظريَّة نظم الجملة العربيَّة تقوم عنده على أسس ثلاثة :

- الملائمة أو التَّأليف بين الألفاظ في الجملة، وذلك عن طريق ملائمة اللفظة لمعناه .
 - تعليق الألفاظ بعضها ببعض، أي تركيبها، وذلك بربط كلِّ جزء من أجزاء الجملة بالآخر .
 - ترتيب الألفاظ في الجملة ، أي وضع كلِّ جزء في مكانه المناسب .
- ولقد تعدَّدت المذاهب الحديثة تجاه الجملة ، وحاول المحدثون وضع تصوُّر لتحليلها يفيد أكبر قدر من لغات العالم . وأشهر مذهبين هما :

المذهب التركيبي: حيث يرجع الفضل في تأسيس هذا المذهب إلى رائد علم اللُّغة الحديث (دوسوسير)، وظهرت من خلال هذا المذهب طرائق عديدة في التحليل اللُّغوي وهي:

- تحليل الجملة إلى مكوناتها المباشرة :

يرتبط هذا التحليل بالمدرسة الأمريكيَّة ورائدها (بلومفليد) ولاتنظر هذه المدرسة إلى الجملة على أنَّها كلمات متتابعة أفقيًّا ، وإنما على أنَّها طبقات من المكونات الكبرى المتراكمة بعضها فوق بعض .

- تحليل الجملة إلى عناصرها المباشرة: ويمثّل هذا الطريق (هوكت) ، ويُعدُّ كلَّ كلمة جزءاً من وحدة أكبر .

- تحليل الجملة بتصنيف عناصرها النحويّة: ويمثّل هذا الطريق (هارس) ، وتقوم فكرته في التحليل على (التصنيف والمعاقبة) .

المذهب التحليل التوليدي التحويلي: تنسب هذه النظرية إلى (نعوم تشومسكي) ، وقد مرّت هذه النظرية بمرحلتين:

- مرحلة التّوليد: يقصد بها أن يكون للقواعد التوليدية القدرة الذاتية على تمييز الجمل الصحيحة من سواها .

- مرحلة التحويل: تجعل لمعظم الجمل تركيبين (باطني وخارجي) .

وقد حاول النُّحاة تقسيم الكلام ، وبيان علامات كلِّ قسم ، ثمَّ كشفوا عن المعرب والمبني من هذه الأقسام ، وشرعوا بعد ذلك في بيان الأبواب النحويّة داخل الجملة، وما ينماز به كلِّ باب من علامات يُعرفُ بها ، ويُننو بعض المعاني الوظيفيّة التي تؤدّيها العناصر اللغويّة ، كالتذكير ، والتأنيث ، والتعريف ، والتنكير ، والإفراد ، والثنية ، والجمع، والتكلم، والحضور ، والغيبة ، وكالصرف وعدمه ، والعلامة الإعرابيّة ، وهلمّ جرا .

وهذا الجانب التحليلي - كما هو معروف - لا يمسّ معنى الجملة في عمومها ، لا من الناحية الوظيفيّة العامّة ، كالأثبات ، والنفي ، والشرط ، والتأكيد ، والاستفهام ، والتمنيّ، وغير ذلك . ولا من ناحية الدلالة الاجتماعيّة التي تنبني على اعتبار المقام في تحديد المعنى، وإن كانت تمسّ ناحية من نواحي الترابط بين أجزاء الجملة بروابط بنيويّة أو معنويّة ذكروها فرادى، ولم يعنوا بجمعها في نظام كامل .

إنّ دراسة النحو كانت تحليليّة لا تركيبية ، أي أنّها كانت تُعنى بمكونات التركيب، أي بالأجزاء التحليليّة فيه أكثر من عنايتها بالتركيب نفسه . فلم يعطوا عناية كافية للجانب الآخر

¹ يُنظر: اللُّغة العربيّة معناها ومبناها / ١١ ، ومنهج النُّحاة العرب، بحث تقدّم به د. تَمّام حَسّان إلى ندوة أساتذة دار العلوم، ١٩٦٥م.

من دراسة النحو ، وهو الجانب الذي يشتمل على طائفة من المعاني التركيبية، والمباني التي تدلُّ عليها ، فمن ذلك مثلاً معنى الإسناد بوصفة وظيفة ، ثمَّ باعتباره علاقة، ثمَّ تفصيل القول في تقسيمه على إسناد خبري، وإسناد إنشائي، وتقسيم الخبري إلى مثبت، ومنفي ومؤكَّد، وتقسيم الإنشائي إلى طلي وغير طلي، وغيره ممَّا يتَّصل بتحديد التركيب المناسب لكلِّ إسناد من حيث الأداة، والرتبة، والصيغة، والعلاقة. وللتعليق وسائله المختلفة معنويَّة كانت، كعلاقة الإسناد ذاته، وكالتخليص، والنسبة، والتبعيَّة، أم لفظيَّة للتعبير شكلياً عن هذه العلاقات، كالعلاقة الإعرابيَّة، والربط، والمطابقة، والصيغة، والرتبة، والأداة، والنغمة، وذلك مع تحديد مجالات المطابقة في العلامة الإعرابيَّة، والنوع، والعدد، والشخص، والتعيين، مع العناية الواجبة في كلِّ ذلك بالمعالم السياقيَّة بوصفها ظواهر لا تبدو إلَّا في التركيب.

وكان الأولى بالنُّحاة من حيث المبدأ أن ينظروا إلى التحليل باعتباره طريقاً للوصول إلى التركيب ، ذلك أنَّ المادَّة المدروسة تصل إلينا حين تصل في صورتها المركَّبة، ولكن الاعتبارات العمليَّة لدراسة هذه المادة تفرض على هذا السياق المركَّب أن ينحل إلى أصغر مكوناته وعناصره حتَّى يمكن الوصول إلى الخصائص التحليليَّة لهذه العناصر. والنتائج التي يوصل إليها بواسطة التحليل تحمل في طيِّها زعمًا اعتباطيًّا بصدقها واطرادها حتَّى في السياق، ولكن هذا ليس أكثر من زعم ، وكان على النُّحاة أنفسهم أن يدركوا ذلك، وأن يعلموا أنَّ هذا الزَّعم لا مبرر له إلَّا الاعتبارات العمليَّة للبحث، وأنَّ نتائج النظر إلى السياق تفرض عناصر جديدة على المكونات التحليليَّة هي حلول لما قد يكون بين النظام وبين السياق من تضارب، أو هي بعبارة أخرى معالم سياقيَّة أو ظواهر موقعيَّة لا وجود لها إلَّا في السياق المنطوق وبسببه. ولكن النُّحاة لم يفتنوا إلى طبيعة التعارض الممكن حدوثه بين النظام ومطالب السياق، أو بعبارة أخرى التعارض بين مطالب التحليل ومطالب التركيب، فوقعوا في أخطاء منهجيَّة كان من أخطرها في الزمن النحوي، حيث درسوا زمن الأفعال على المستوى الصرفي . وهي في عزلتها عن التراكيب ، ولم يختبروا نتائج دراستهم إلَّا في تركيب الجملة الخبريَّة البسيطة، فرأوا الماضي ماضياً دائماً ، والمضارع حالاً ، واستقبلاً دائماً، فوضعوا بذلك قواعدهم الزمنيَّة، ثمَّ اصطدموا بعد ذلك بأساليب الإنشاء

والإفصاح، فنسبوا وظيفة الزمن إلى الأدوات، وهي منه براء، وإلى الظروف، وهي تفيده معجمياً لا وظيفياً. وكذلك لم يفتنوا إلى أهمية بقية الظواهر السياقية في تحديد المعنى النحوي. وعلى هذا فالنحو بهذه الصورة هو تععيد أبواب المفردات، فالحاجة إذاً ماسّة إلى دراسة أبواب الجمل. وعندما ظهر الاتجاه البلاغي أدّى إلى دراسة المعنى، وكان من طلائع كتبه دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، الذي اعترف لآرائه بقدر غير يسير من الفضل على الجزء الخاص بتناول المعنى النحوي والدلالي من هذا الكتاب، حيث جرى الانتفاع أحياناً بعبارات هذا العلامة، وأحياناً أخرى بإشاراته. ولقد اتجهت عناية البلاغيين بالمعنى في النهاية إلى ثلاثة اتجاهات مطابقة لتقسيم علوم البلاغة الثلاثة: المعاني، والبيان، والبديع. فأما في دراسة (المعاني) فقد كان التركيب هو موضوع تلك الدراسة، فتناول البلاغيون أنواع التراكيب، من إثبات إلى نفي إلى استفهام وهلمّ جرّاً، لا على طريقة النحاة من التركيز على الأدوات، والمكونات الأخرى، ونسبة المعنى إليها، وإتّما على طريقة النظر في التركيب نفسه من جهة أسلوب وصفة وطرق التعبير به، وما فيه من إيجاز، وإطناب، ومساواة، وما فيه من فصل، ووصل، وقصر، وتقديم، وتأخير ممّا اعتبره النحاة خارج مجال اهتمامهم، والصحيح إنّه من صميم عملهم؛ حيث إنّهما دراسة لمعانٍ وظيفيّة أكثر صلة بالنحو منها بالنقد الأدبي، فالنحو العربي أحوج إلى علم المعاني، بل إنّ علم المعاني قمة الدراسة النحويّة. ولقد كانت مبادرة الجرجاني لدراسة النظم، وما يتّصل به من بناءٍ وترتيبٍ وتعليقٍ، من أكبر الجهود التي بذلها العلماء العرب في سبيل إيضاح المعنى الوظيفي في السياق، أو التركيب. ونجد أنّ دراسة عبد القاهر الجرجاني للنظم، وما يتّصل به تقف مع أحدث النظريات اللغويّة في الغرب، بل وتفوق معظمها في مجال فهم طرائق التركيب اللغوي، مع الفارق الزمني الواسع بين الاثنين.

¹ يُنظر: اللغة العربيّة معناها ومبناها / ١١-٢١، ومنهج النحاة العرب، بحث تقدّم به د. تَمّام حَسّان إلى ندوة أساتذة دار العلوم، ١٩٦٥م، والاقتراح، للسيوطي / ١٩-٢٠، ودلائل الإعجاز، والأغاني / ١٦-٧٩-٨١، والفهرست / ٤٠.

المبحث الأول

بين الرَّفْع والنَّصْب

طرق ابن عاشور من القراءات القرآنيّة ما كان وجه الاختلاف فيها إعرابياً، يتردّد بين الرَّفْع والنَّصْب ؛ حيث إنّه وردت في الاسم الواحد قراءتان ، مرفوعة تارة، ومنصوبة أخرى يختلف وجه تخريج قراءة الرفع عن تخريج قراءة النصب ، كأن يكون الرَّفْع على الخبر أو على الفاعل ، والنصب على المصدر أو الحال أو الظرف أو المفعول . أو يكون تخريجهما على أكثر من وجه إعرابي .^١

وسأعرض هذه القراءات ووجوه إعرابها المختلفة من خلال ما تطرّق له ابن عاشور في تفسيره ، وهي :

١. الرَّفْع على الابتداء ، والنَّصْب على المصدر :

جاء ذلك في قوله ﷻ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^٢ فقد ذكر ابن عاشور في ((الحمد)) قراءات ، وهي :

القراءة الأولى : قراءة الرَّفْع على الابتداء : ((الحمد لله)) برفع الدال وكسر لام لفظ الجلالة ، ونسبها لجميع القراءات المرويّة ، وذكر أنّه مرفوع على الابتداء ، وأنّ خبره لفظ الجلالة (لله)، واللام في لفظ الجلالة متعلّق بالكون والاستقرار العام كسائر المجرورات المخبر بها ، وعدّه من المصادر التي أتت بدلاً عن أفعالها في معنى الإخبار ، فأصله النصب على المفعوليّة المطلقة على أنّه بدل من فعله، وتقدير الكلام (نَحْمَدُ حَمْداً لله)، فلذلك التزموا حذف أفعالها معها.

^١ يُنظَر القراءات القرآنيّة في المعجمات اللُّغويّة / ٣٩٩ .

^٢ سورة الفاتحة / ٢ .

وذكر قول سيبويه في ما ينصب من المصادر على إضمار الفعل غير المستعمل إظهاره نحو قولك : (سقياً ورعياً وخيبهً وبؤساً) ، و (الحذر) بدلاً عن (اَحْذِرْ) فهذا لا يحتاج إلى متعلق ، وأما قولهم سقياً لك في نحو قول النابغة الذبياني :

أُنْبِئْتُ نُعْمًا عَلَى الْهَجْرَانِ عَاتِبَةً سَقِيًّا وَرَعِيًّا لِذَلِكَ الْعَاتِبِ الزَّرَّارِي

فقد ذكر المتعلق هنا ليبين المعنى بالدعاء ، ثم نقل قول سيبويه أيضاً فيما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره من المصادر في غير الدعاء ، من ذلك قولك حمداً وشكراً لا كفرةً وعجباً ، وإنما ينتصب هذا على إضمار الفعل كأنك قلت : (أَحْمَدُ اللَّهَ حَمْدًا) ، وإنما اختزل الفعل هاهنا ؛ لأنهم جعلوا هذا بدلاً من اللفظ بالفعل ، كما فعلوا ذلك في باب الدعاء ، وقد جاء بعض هذا رفعاً يُبتدأ به ثم يبنى عليه (أي يخبر عنه) ، وذكر أيضاً قول سيبويه فيما يختار فيه أن تكون المصادر مبتدأة مبنياً عليها ما بعدها ، وذلك قولك (أَلْحَمْدُ لِلَّهِ) ، و (العجب لك) ، و (الويلُ له) ، وإنما استحَبوا الرفع فيه ، لأنه صار معرفة ، وهو خبر (أي غير إنشاء) فقوي في الابتداء ، أي إنه لما كان خبراً لا دعاء وكان معرفة بأل تهيأت فيه أسباب الابتداء ؛ لأن كونه في معنى الإخبار يهيئ جانب المعنى للخبرية ، وكونه معرفة يصح أن يكون مبتدأ بمنزلة عبد الله ، والرجل ، والذي تعلم (من المعارف) ؛ لأن الابتداء إنما هو خبر ، وأحسنه إذا اجتمع معرفة ونكرة أن تبدأ بالأعرف ، وهو أصل الكلام ، وأنه لا يصنع ذلك بكل تركيب ، كما أنه ليس كل كلمة من هذه المصادر يدخل فيه الألف واللام ، فلو قلت مثلاً : (السَّقِيُّ لَكَ ، وَالرَّعِيُّ لَكَ) لم يجز ، وإنما يقتصر فيه على السماع . وأنَّ (أَلْحَمْدُ لِلَّهِ) وإن ابتدأته ففيه معنى المنصوب ، وهو بدل من اللفظ ب (أَحْمَدُ اللَّهَ حَمْدًا) . وذكر عن ناسٍ من العرب قولهم : (التراب لك والعجب

^١ يُنظَرُ : : كتاب سيبويه ١ / ٣١١ .

^٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١/١٥٦ ، وكتاب سيبويه ١/٣١١ ، والمدهش / ٥١٠ ، ومعجم الأفعال المتعدية بحرف / ٩٠ ، والجمل في النحو / ٨٦ ، والنحو الوافي ١ / ٣٣٤ - ٣٣٥ .

^٣ البيت من بحر البسيط . يُنظَرُ : ديوانه / ٢٠٢ ، وجمهرة أشعار العرب / ٣٤ ، والجمل في النحو / ٨٧ ، والكشاف / ١١٠ .

^٤ يُنظَرُ : كتاب سيبويه ١ / ٦٤ ، ٣١٨ ، وهمع الهوامع / ٢ / ١١٨ .

^٥ يُنظَرُ : كتاب سيبويه ١ / ٣٢٨ .

لك)، ف تفسير نصب هذا كتفسيره حيث كان نكرة، كأنتك قلت : (حمداً وعجباً)، ثم جئت
 بِ(لِكَ) لتبيّن من تعني، ولم تجعله مبنياً عليه فتبدئه . وذكر قول سيبويه هنا؛ لأنه أفصح كلام
 عن أطوار هذا المصدر في كلام العرب ، واستعمالهم ، ثم بعد ذلك نقل إشارة صاحب
 (الكشاف) لذلك، حيث قال : إنَّ أصله النصب بإضمار فعله^٢ على أنه من المصادر التي
 ينصبها العرب بأفعال مضمرة في معنى الإخبار كقولهم شكراً ، وكفراً ، وعجباً، ينزلونها منزلة
 أفعالها ويسدّون بها مسدّها ، ولذلك لم يستعملوها معها ، وذكر أنّ العدول بها عن النصب إلى
 الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره .^٣

ثمّ ذكر ابن عاشور أنّ عدول بلغاء العرب عن الأصل ، وهو النصب (حمداً لله)، إلى
 الرفع (الْحَمْدُ لِلَّهِ) ليتأتى لهم الدلالة على الدوام والثبات المستفاد من الجملة الاسميّة؛ والدلالة
 على العموم المستفاد في المقام من (ال) الجنسية ، والدلالة على الاهتمام المستفاد من التقديم.
 وأنّه ليس واحد من هذه الثلاثة بممكن الاستفادة منه لو بقي المصدر منصوباً؛ إذ النصب يدلُّ
 على الفعل المقدر ، وأنّ المقدر كالمفوض فلا تكون الجملة اسميّة ؛ إذ الاسم فيها نائب عن
 الفعل، فهو ينادي على تقدير الفعل فلا يحصل الدوام ، ولأنّه لا يصحّ معه اعتبار التقديم فلا
 يحصل الاهتمام ، ولأنّه وإن صحّ اجتماع الألف واللام مع النصب كما قرئ بذلك (الحمد لله)
 وقد نسبها سيبويه إلى تميم ، فالتعريف حينئذٍ لا يكون دالاً على عموم المحامد ؛ لأنّه إن قدر
 الفعل أحمداً بهمزة المتكلم فلا يعمُّ إلا تحميدات المتكلم دون تحميدات غيره، وإن قدر الفعل نحمد
 وأريد بالنون جميع المؤمنين بقرينة (اهدنا الصراط المستقيم) وبقريّة (إياك نعبد) فإنّما يعمُّ محامد

^١ يُنظر: كتاب سيبويه ١/٣٢٨-٣٢٩، والحكم والمحيط الأعظم (ترب) ٩/٤٨٠، ولسان العرب (ترب) ١/٢٢٩، ٢٢٧.

^٢ أي : ما ينصب من المصادر على إضمار الفعل غير المستعمل إظهاره .

^٣ يُنظر : التحرير والتنوير ١ / ١٥٦ - ١٥٧ ، وكتاب سيبويه ١ / ٣١١ ، وجامع البيان ١ / ٤٧ ، وتفسير الكشاف ١ / ٩ ،
 ومعاني القرآن ، للفرّاء ١ / ٣ ، والخصائص ٢ / ١٤٤ ، والمدهش ١ / ٥١٠ ، و معجم الأفعال المتعدية بحرف / ٩٠ ،
 والجمل في النحو / ٨٦ ، والنحو الواقي ١ / ٣٣٤ - ٣٣٥ ، والمحزّر الوجيز ١ / ٩٩ ، وزاد المسير ١ / ١٠ ، واللباب
 في علوم الكتاب ١ / ١٧٢ .

المؤمنين أو محامد الموحّدين كلّهم ، كيف وقد حمده أهل الكتاب، وحمده العرب في الجاهلية كما قال أمية بن أبي الصلت :

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا لَا انْقِطَاعَ لَهُ فَلَيْسَ إِحْسَانُهُ عَنَّا بِمَقْطُوعٍ
أَمَّا إِذَا صَارَ الْحَمْدُ غَيْرَ جَارٍ عَلَى فِعْلٍ فَإِنَّهُ يَصِيرُ الْإِخْبَارَ عَنِ جِنْسِ الْحَمْدِ بِأَنَّهُ ثَابِتٌ لِلَّهِ
فَيَعْمُ كُلَّ حَمْدٍ كَمَا سَيَأْتِي. فهذا معنى ما نُقل عن سيبويه أنّه قال : إنّ الذي يَرْفَعُ الْحَمْدَ يُخْبِرُ أَنَّ
الْحَمْدَ مِنْهُ وَمِنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ، وَالَّذِي يَنْصَبُ يُخْبِرُ أَنَّ الْحَمْدَ مِنْهُ وَحَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

ثمّ نقل قول الزمخشري أنّ العدول عن النصب إلى الرفع للدلالة على ثبات المعنى
واستقراره، ومنه قوله عليه السلام : ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾ (٢٥) حيث رفع
السلام الثاني للدلالة على أنّ إبراهيم عليه السلام حيّاهم بتحية أحسن من تحيتهم، امثالاً لقوله عليه السلام :
﴿ وَإِذَا حَيَّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ (٨٦) ؛
لأنّ إبراهيم أجابهم بالجملة الاسميّة التي تدلّ على الثبوت والاستقرار، عكس الجملة الفعلية التي
حيّوه بها والتي تدلّ على التجدّد والحدوث .

وبعد ذلك تطرّق إلى الإشكال الذي قد يحصل بسبب تقديم الحمد على لفظ الجلالة ،
حيث وقع الاهتمام بالحمد ، مع أنّ ذكر اسم الله تعالى أهم فكان الشأن تقديم اسم الله تعالى،
وإبقاء الحمد غير مهتم به ؛ حتى لا يلجأ إلى تغييره عن النصب إلى الرفع لأجل هذا الاهتمام،
فقال : إنّ سبب تقديم الحمد أنّ المقام هنا مقام الحمد إذ هو ابتداء أولى النعم بالحمد، وهي
نعمة تنزل القرآن الذي فيه نجاح الدارين ، فإنّ تلك المنّة من أكبر ما يحمده الله عليه من جلائل
صفات الكمال لا سيما وقد اشتمل القرآن على كمال المعنى واللفظ والغاية، فكان حضوره عند

^١ ويروى هذا البيت لسحيم عبد بن الحسحاس، يُنظر : خزانة الأدب ٢ / ٩١ ، و نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ
الطنطاوي .

^٢ يُنظر : التحرير والتنوير ١ / ١٥٨ .

^٣ سورة الذاريات / ٢٥ .

^٤ سورة النساء / ٨٦ .

^٥ يُنظر : الكشّاف ١ / ٥٢ ، والتحرير والتنوير ١ / ١٥٨ ، واللباب في علوم الكتاب ١ / ١٧٢ .

ابتداء سماع إنزاله وابتداء تلاوته مذكراً بما لمنزله تعالى من الصفات الجميلة، وذلك يذكّر بوجوب حمده ، وأن لا يُغفل عنه فكان المقام مقام الحمد لا محالة، فلذلك قُدِّم وأزيل عنه ما يُؤذِن بتأخّره لمنافاته الاهتمام، ثمَّ إن ذلك الاهتمام تأتّى به اعتبار الاهتمام بتقديمه أيضاً على ذكر الله تعالى اعتداداً بأهمية الحمد العارضة في المقام، وإنَّ ذكر الله أهمُّ في نفسه؛ لأنَّ الأهمية العارضة تقدّم على الأهميّة الأصليّة، لأنّها أمر يقتضيه المقام والحال، والآخر يقتضيه الواقع، وأنَّ البلاغة هي المطابقة لمقتضى الحال والمقام، ولأنَّ ما كان الاهتمام به لعارض هو المحتاج للتنبيه على عارضه إذ قد يخفى، بخلاف الأمر المعروف المقرّر فلا فائدة في التنبيه عليه بل ولا يفيد التنبيه على غيره .

وأيضاً أزال إشكال قول القائل : كيف يصحُّ كون تقديم الحمد وهو مبتدأ مؤذناً بالاهتمام مع أنّه الأصل ، وشأن التقديم المفيد للاهتمام هو تقديم ما حقه التأخير؟
فقد قال : إنّه لو سلّم ذلك فإنَّ معنى تقديمه هو قصد المتكلم للإتيان به مقدّماً مع إمكان الإتيان به مؤخّراً ؛ لأنَّ للبلغاء صيغتين متعارفتين في حمد الله تعالى ، وهي : (الحمدُ لله) كما في سورة الفاتحة ، والأخرى (لله الحمدُ) كما في قوله ﷻ : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

ثمَّ بعد ذلك أوضح فائدة العدول الثانية ، وهي : قصد العموم المستفاد عن معنى التعريف فيه ، حيث إنَّ التعريف فيه بالألف واللام (الحمدُ لله) تعريف الجنس؛ لأنَّ المصدر هنا في الأصل عوض عن الفعل فلا جرم أن يكون الدال على الفعل والساد مسدّه دالاً على الجنس، فإذا دخل عليه اللام فهو لتعريف مدلوله؛ لأنَّ اللام تدلُّ على التعريف للمسمّى، فإذا كان المسمّى جنساً فاللام تدلُّ على تعريفه. ومعنى تعريف الجنس أنّ هذا الجنس هو معروف عند السامع ، فإذا قلت مثلاً : (الحمدُ لله) ، أو (العجبُ لك) فكأنّك تريد أنّ هذا الجنس

^١ يُنظَر: التحرير والتنوير ١/١٥٨ - ١٥٩، واللباب في علوم الكتاب ١/١٧٠، والكتاب ١/٣٧٢، والكشّاف ١/٥٣.

^٢ سورة الجاثية / ٣٦ .

^٣ العدول عن (الله الحمدُ) إلى (الحمدُ لله) .

معروف لديك ولدى مخاطبك لا يلتبس بغيره ، كما أنك إذا قلت : (الرجل) وأردت معيّنًا في تعريف العهد النحوي فإنّك تريد أنّ هذا الواحد من الناس معروف بينك وبين مخاطبك، فهو في المعنى كالنكرة من حيث إنّ تعريف الجنس ليس معه كبير معنى، إذ تعين الجنس من بين بقيّة الأجناس حاصل بذكر لفظه الدال عليه لغة ، وهو كافٍ في عدم الدلالة على غيره، إذ ليس غيره من الأجناس بمشارك له في اللفظ ، ولا متوهّم دخوله معه في ذهن المخاطب بخلاف تعريف العهد الخارجي فإنّه يدل على واحد معيّن بينك وبين مخاطبك من بين بقيّة أفراد الجنس التي يشملها اللفظ ، فلا يفيد هذا التعريف أعني تعريف الجنس إلا توكيد اللفظ وتقريره وإيضاحه للسامع ؛ لأنّك لما جعلته معهوداً فقد دللت على أنّه واضح ظاهر ، وهذا يقتضي الاعتناء بالجنس وتقريبه من المعروف المشهور ، وأشار إلى أنّ هذا معنى قول الزمخشري : وهو نحو التعريف في (أَرْسَلَهَا الْعِرَاكُ) ومعناه الإشارة إلى ما يعرفه كلُّ أحد من أنّ الحمد ما هو ، والعراك ما هو من بين أجناس الأفعال ، وأنّه مأخوذ من كلام سيبويه . وليست لام التعريف^٢ هنا للاستغراق لما علمت أنّها لام الجنس ، ولذلك قال الزمخشري : (والاستغراق الذي توهّمه كثير من الناس وَهُمْ مِنْهُمْ) ، لأنّ المطلوب من العبّد إنشاء الحمد، لا الإخبار به ، وحينئذٍ يَسْتَحِيلُ كونها للاستغراق ، إذ لا يمكنُ للعبّد أن ينشئَ جميعَ المحامدِ منه ومن غيره ، بخلاف كونها للجنس ، غير أنّ معنى الاستغراق حاصل هنا بالمثل؛ لأنّ الحكم باختصاص جنس الحمد به تعالى لوجود لام تعريف الجنس في قوله : (الْحَمْدُ) ولام الاختصاص في قوله : (اللهُ) يستلزم انحصار أفراد الحمد في التعلّق باسم الله تعالى ، لأنّه إذا حُتِّصَ الجنسُ اختصت الأفراد ؛ إذ لو تحقّق فرد من أفراد الحمد لغير الله تعالى لتحقّق الجنس في ضمنه ، فلا يتمّ معنى اختصاص الجنس المستفاد من لام الاختصاص الداخلة على اسم الجلالة، ثمّ هذا الاختصاص اختصاص ادّعائي فهو بمنزلة القصر الادّعائي للمبالغة .

^١ يُنظَر : الكشّاف ١ / ٥٣ .

^٢ يُنظَر : الكتاب ١ / ٣٧٢ .

^٣ يُنظَر : الكشّاف ١ / ٥٣ .

^٤ يُنظَر : الكتاب ١ / ٣٧٢ ، والكشّاف ١ / ٥٣ ، واللباب في علوم الكتاب ١ / ١٧٠ .

وذكر أنّ اللام في قوله تعالى : (لله) يجوز أن يكون للاختصاص على أنه اختصاص ادعائي ، ويجوز أن يكون لام التقوية ، حيث قوّة تعلق العامل بالمفعول لضعف العامل بالفرعية وزاده التعريف باللام ضعفاً ؛ لأنّه أبعد شبهه بالأفعال، ولا يفوت معنى الاختصاص؛ لأنّه قد استفيد من تعريف الجزأين .

بعدها أوضح اختلاف العلماء في جملة (الحمد) هل هي خبر أو إنشاء ؟ فقال في ذلك : إنّ الإنشاء قد يحصل بنقل المركب من الخبريّة إلى الإنشاء ، كصيغ العقود مثل : (بعث واشترت) ، وكذلك أفعال المدح والذم والرجاء ك (عسى ونعم وبئس) ، وأفعال المدح والذم والرجاء قسماً ؛ منه ما استعمل في الإنشاء مع بقاء استعماله في الخبر ، ومنه ما حُصّ بالإنشاء ، فالأوّل كصيغ العقود ، فإنّها تستعمل أخباراً ، فنقول : (بعث الدار لزيد التي أخبرتك بأنّه ساومني إياها) فهذا خبر ، ونقول : (بعث الدار لزيد) ، أو (بعثك الدار بكذا) فهذا إنشاء بقرينة أنّه جاء للإشهاد أو بقرينة إسناد الخبر للمخاطب مع أنّ المخبر عنه حال من أحواله ، والثاني : كنعم وعسى .

ثمّ بُني على ذلك اختلاف العلماء في أنّ جملة (الحمد لله) هل هي إخبار عن ثبوت (الحمد لله) ؟ أو هي إنشاء ثناء عليه إلى مذهبين أساسيين ، هما : المذهب الأوّل : أنّ جملة (الحمد لله) جملة خبريّة . المذهب الثاني : أنّ جملة (الحمد لله) جملة إنشائيّة محضة لا إشعار فيها بالخبريّة . ثمّ قسّم علماء المذهب الأوّل : القائلين بأنّ جملة (الحمد لله) جملة خبريّة إلى فريقين ، وهما :

الفريق الأوّل : زعم أنّها خبر باقٍ على الخبريّة ولا إشعار فيه بالإنشائيّة ، ورُدّ عليه أنّ المتكلّم بها لا يكون حامداً لله تعالى مع أنّ القصد أنّه يثني ويحمد الله تعالى ، وأجيب بأنّ الخبر بثبوت الحمد له تعالى اعتراف بأنّه موصوف بالجميل إذ الحمد هو عين الوصف بالجميل ،

^١ يُنظر : التحرير والتنوير ١ / ١٥٩ .

^٢ يُنظر : التحرير والتنوير ١ / ١٦٠ .

ويكفي أن يحصل هذا الوصف من الناس وينقله المتكلم . وقال : إنه يمكن أن يُجاب أيضاً بأنَّ المخبر داخل في عموم خبره عند الجمهور من أهل أصول الفقه . و أنه أجب أيضاً بأنَّ كون المتكلم حامداً قد يحصل بالالتزام من الخبر يريدون أنه لازم عربي ؛ لأنَّ شأن الأمر الذي تضافر عليه الناس قديماً أن يقتدي بهم فيه غيرهم من كلِّ من علمه ، فأخبار المتكلم بأنه علم ذلك يدلُّ عرفاً على أنه مقتد بهم في ذلك ، وهذا وجه اللزوم ، وقد خفي ذلك على كثير ، أي فيكون مثل حصول لازم الفائدة من الخبر المقررة في علم المعاني ، مثل قولك : (سهرت الليلة) وأنت تريد أنك علمت بسهره ، فلا يلزم أن يكون ذلك إنشاء ؛ لأنَّ التقدير على هذا القول أنَّ المتكلم يخبر عن كونه حامداً كما يخبر عن كون جميع الناس حامدين ، فهي خبر لا إنشاء ، والمستفاد منها بطريق اللزوم معنى إخباري أيضاً . ويرد على هذا التقدير أيضاً أنَّ حمد المتكلم يصير غير مقصود لذاته بل حاصلاً بالتبع ، مع أنَّ المقام مقام حمد المتكلم لا حمد غيره من الناس ، وأجب بأنَّ المعنى المطابقي قد يُؤتى به لأجل المعنى الالتزامي ، لأنه وسيلة له ، ونظيره قولهم : طويل النجاد ، والمراد طول القامة ، فإنَّ طول النجاد أتى به ليدلُّ على معنى طول القامة .

والفريق الثاني : ذهب إلى أنَّ جملة (الحمد لله) هي خبر لا محالة إلاَّ أنه أريد منه الإنشاء مع اعتبار الخبرية كما يراد من الخبر إنشاء التحسُّر والتحزن في نحو : ((رَبِّ إِنِّي وَصَّعْتُهَا أُنْثَى)) من قوله ﷻ : ﴿ فَلَمَّا وَصَّعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَصَّعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَصَّعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ^ط وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾

، وقول جعفر بن علبنة الحارثي :

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُصْعِدٌ جَنِيْبٌ وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوْتَقٌ

^١ يُنظر : التحرير والتنوير ١ / ١٦٠ - ١٦١ .

^٢ سورة آل عمران : ٣٦ .

^٣ يُنظر : التحرير والتنوير ١ / ١٦١ ، ١٣١ / ٤ ، ١٤٠ / ٢٠ ، وروح المعاني ٢٣ / ١٨٧ ، والحامسة البصريَّة، البصري : صدر الدين، علي بن أبي الفرج بن الحسن (٦٥٦هـ)، تحقيق: عادل جمال سليمان، القاهرة، ١٩٧٨م / ١٥٨، وخزانة الأدب ٤ / ٤٠ ، وشرح ديوان الحماسة ١ / ١١ ، وديوان الحماسة ١ / ١١ ، والفروق اللغوية / ٥٥ ، وبحوث ودراسات

فيكون المقصد الأصلي هو الإنشاء ، ولكن العدول إلى الإخبار لما يتأتى بواسطة الإخبار من الدلالة على الاستغراق والاختصاص والدوام والثبات ووجه التلازم بين الإخبار عن حمد الناس وبين إنشاء الحمد واضح ممّا علمته في وجه التلازم على التقرير الأوّل، بل هو هنا أظهر لأنّ المخبر عن حمد الناس لله تعالى لا جرّم أنّه مُنشئٌ ثناء عليه بذلك ، وكونُ المعنى الالتزامي في الكناية هو المقصود دون المعنى المطابقي أظهر منه في اعتبار الخبريّة المحضة لما عهد في الكناية من أنّها لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة الأصل معه ، فدلّ على أنّ المعنى الأصلي إمّا غير مراد ، وإمّا مراد تبعاً ؛ لأنّ (مع) تدخل على المتبوع .^١

ثمّ ذكر المذهب الثاني : وهو أنّ جملة (الحمد لله) جملة إنشائيّة محضة لا إشعار فيها بالخبريّة، على أنّها من الصيغ التي نقلتها العرب من الإخبار إلى إنشاء الثناء، كما نقلت صيغ العقود وأفعال المدح والذم ، أي نقلاً مع عدم إماتة المعنى الخبري في الاستعمال، فإنّك قد تقول: (الحمد لله) جواباً لمن قال : (لمن الحمد ؟) ، أو (من أحمد ؟) ، ولكنّ تعهّد المعنى الأصلي ضعيف فيحتاج إلى القرينة . والحق الذي لا محيد عنه أنّ (الحمد لله) خبر مستعمل في الإنشاء، فالقصد هو الإنشائيّة لا محالة ، وعُدل إلى الخبريّة لتحمل جملة الحمد من الخصوصيات ما يناسب جلالة المحمود بها من الدلالة على الدوام والثبات والاستغراق والاختصاص والاهتمام ، وشيءٌ من ذلك لا يمكن حصوله بصيغة إنشاءٍ نحو قولك: (حمداً لله) ، أو (أحمداً لله حمداً) ، ومما يدلّ على اعتبار العرب إيّاها إنشاءً لا خبراً قول ذي الرّمّة:

ولما جرّت في الجزل جرّياً كأنّه سنا الفجر، أخذتُنا لخالقها شُكراً

في اللهجات العربية من إصدارات مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة ١١/٢ ، وتاج العروس (شعر) ١٢ / ١٨٢ ، ومعجم الفروق اللغوية للعسكري / ٣٦ ، ومعجم القواعد العربية ٢٥ / ٥٥ ، والإيضاح في علوم البلاغة / ٤٨ ، والبلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها / ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٦٩٣ ، والخلاصة في علوم البلاغة / ٥١ ، ومفتاح العلوم / ١ / ٨٠ ، ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص / ١ / ٤١ .

^١ يُنظر : التحرير والتنوير / ١ / ١٦١ .

^٢ يُنظر : ديوانه / ١٣٩ ، والتحرير والتنوير / ١ / ١٦٢ ، ٣١٥/١٦ ، ورسالة الصاهل والشاحح / ٣٨ ، ودواوين الشعر العربي على مّرّ العصور ٢١ / ٢٤ ، وشرح شواهد الإيضاح .

فقد عبّر عن ذكر لفظ الحمد أو الشكر بالإحداث، والإحداث يرادف الإنشاء لغة، فقوله (أَحَدُنَا) خبر حكى به ما عبّر عنه بالإحداث وهو حمّده الواقع حين التهاجها في الحطب .

القراءة الثانية : قراءة النصب ((الْحَمْدُ لِلَّهِ)) بنصب الدال وكسر لام لفظ الجلالة فقد قال عنها: إنّها مجدية هنا، وإن كانت شاذّة ؛ لأنّها دلّت على اعتبار عربيّ في تطوّر هذا التركيب المشهور، وأنّ بعض العرب نطقوا به في حال التعريف ولم ينسوا أصل المفعوليّة المطلقة، وقال سيبويه : إنّ عامّة بني تميم وناساً من العرب كثيراً يَنْصِبُونَهَا بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ. وهي قراءة سفيان ابن عيينة، ورؤبة بن العجاج، وهارون العتكي، وزيد بن علي، والحسن، وابن السميع ، على تقدير فعل محذوف ، فيقدر بـ (أحمد) ، أو (نحمد) وهي تدلّ على أنّ الحمد صادر من الشخص الحامد ، أو من جميع المؤمنين ، وذكر الطوسي أنّ نصب الدال لغة في قريش ، والحارث بن أسامة بن لؤي ، وذهب الفراء إلى أنّها قراءة لأهل البدو، وقراءة الرّفْع أعمّ وأشمل ؛ لأنّها اشتملت على جميع المحامد من المؤمنين ومن غير المؤمنين .

وهناك قراءة ثالثة لم يذكرها ابن عاشور - كعادته في التعامل مع القراءات الشاذّة - وهي: قراءة الخفض على الاتّباع : ((الْحَمْدُ لِلَّهِ)) بكسر الدال اتّباعاً لكسر اللام بعدها، قرأ بها الحسن البصري ، وزيد بن علي بن الحسين رضي الله عنه ورؤبة بن العجاج ، وأبوهنيك ، وهي قراءة شاذّة غريبة ؛ لأنّ فيها اتّباع حركة مُعْرَب وهو الدال ، لحركة غير إعراب ، وهي حركة لام لفظ الجلالة ، والأولى العكس ، ويعدّ ابن جنّي مثل هذا لعيّة ضعيفة ؛ لأنّ حركة الإعراب لا تستهلك لحركة

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ١ / ١٦٢ .

^٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ١ / ١٥٨ ، والكتاب ١ / ٣٢٩ ، ومعاني الفراء ١ / ٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١ / ٧ ، وإعراب النخاس ١ / ١١٩ - ١٢٠ ، وتهذيب اللّغة ٤ / ٤٣٤ - ٤٣٥ ، والمحتسب ١ / ٣٧ ، والكشّاف ١ / ٥٢ ، والمحزّر الوجيز ١ / ١٠٢ ، الجامع لأحكام القرآن ١ / ١٣٥ ، والبحر المحيظ ١ / ١٨ ، والقرآن العظيم ١ / ١٢٧ ، والنشر ١ / ٤٨ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١ / ٣٤ ، وتحفة الأقران ١ / ٨١ .

الاتباع إلا على مثل هذه اللغية ، وكسر الدال لغة في تميم وغطفان ، ولم يقرأ بها إلا أهل البوادي

وفيه قراءة رابعة: ((الحمد لله)) بفتح اللام اتباعاً لنصب الدال، وهي لغة بعض قيس .
وهذه القراءات الأربع وإن كانت سائغة في العربية فلا يقرأ إلا بقراءة الجمهور ((الحمد لله)) بضم الدال وكسر لام لفظ الجلالة؛ لأنَّ السنة تُتبع في القرآن، ولا يُلتفت إلى غير الرواية الصحيحة التي قرأ بها المشهورون بالضبط والثقة، وهذا ما عليه عامة المسلمين .

٢. من بين ما تطرَّق إليه ابن عاشور من القراءات القرآنية ما كان وجه الاختلاف فيها

إعرابياً ، يتردَّد بين الرفع على الابتداء ، والنصب على المصدر قراءة (وَصِيَّة) من قوله ﷻ :

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

﴿٢٤٠﴾ فقد ذكر فيها قراءات ، وهي :

القراءة الأولى : قراءة الرفع ((وَصِيَّةٌ)) ، ونسبها إلى نافع ، وابن كثير والكسائي ، وعاصم في رواية أبي بكر ، وأبي جعفر ، ويعقوب ، وخلف ، برفع (وصية) على الابتداء ، محوِّلاً عن المفعول المطلق ، وأنَّ أصله " وصية " بالنصب بدلاً من فعله ، فحوَّل إلى الرفع لقصد الدوام كقولهم : " حمدٌ وشكرٌ " ، و ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ

١ يُنظَر معاني القرآن، للفرَّاء ٣/١ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٧/١ ، وإعراب النَّحَّاس ١١٩/١ - ١٢٠ ، وتهديب اللُّغة ٤٣٤/٤ - ٤٣٥ ، والمختسب ٣٧/١ ، والكشَّاف ٤/١ ، والمحرَّر الوجيز ١٠٢/١ ، الجامع لأحكام القرآن ١٣٥/١ ، والبحر المحيط ١٣١/١ ، والقرآن العظيم ١٢٧/١ ، والنشر ٤٧/١ - ٤٨ ، وفتح القدير ٥/١ ، والقراءات القرآنية في المعجمات اللُّغوية / ٢٧٥ ، ٣٩٩ .

٢ يُنظَر : جامع البيان ٤٧/١ ، والنشر ٤٨ / ١ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٦/١ .

٣ يُنظَر : معاني القرآن وإعرابه ٤٥/١ ، وإعراب ثلاثين سورة / ١٩ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٥/١ .

٤ سورة البقرة / ٢٤٠ .

٥ سورة يوسف : ١٨ .

تَسْرِيحُ بِإِحْسَنِ ﴿١﴾ ، ولما كان المصدر في المفعول المطلق ، في مثل هذا ، دالاً على النوعية ، جاز عند وقوعه مبتدأً أن يبقى منكرًا ، إذ ليس المقصود فرداً غير معيّن حتى ينافي الابتداء ، بل المقصود النوع ، وعليه فقوله: (لأزواجهم) خبر .^٢

ويمكن تخريج قراءة الرفع على وجوه أربعة :

الوجه الأوّل : أنّه مبتدأ لخبر محذوف مقدّم عليه، أي : (عليهم وصيةٌ لأزواجهم) ، أو مؤخر عليه تقديره: (وصيةٌ لأزواجهم عليهم) ، أو مرفوعة بقوله : (لأزواجهم) ، والتقدير: (لأزواجهم وصيةٌ) ، أو (وصيةٌ لأزواجهم) وجاز الابتداء بالنكرة؛ لأنّ (وصيةٌ) دالاً على النوعية ، إذ ليس المقصود فرداً غير معيّن حتى ينافي الابتداء ، بل المقصود النوع ، فهي نكرة موصوفة في المعنى ، والتقدير : وصية منهم أو من الله ، أو (وصية) ، مبتدأ ول(أزواجهم) ، صفة ، والخبر محذوف تقديره : فعلیهم وصية لأزواجهم .^٣

الوجه الثاني : خبر بتقدير: وصيةٌ الذين يُتَوَقَّوْنَ أو حكمهم وصيةٌ أو(والذين يُتَوَقَّوْنَ) أهلٌ وصيةٌ ، أو الأمر أو المفروض وصية .

الوجه الثالث : مرفوعة بفعل محذوف مغير الصيغة تقديره (كُتِبَتْ عليهم الوصيةُ) ، واعتل في ذلك بأنّها كذلك في قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : ((كُتِبَتْ عليكم الوصيةُ لأزواجكم)) ، وقال أبو حيان في هذا : ((وينبغي أن يُحمل ذلك على أنّه تفسير معنى لا تفسير إعراب ، إذ ليس هذا من المواضع التي يضمّر فيها الفعل)) .^٤

الوجه الرابع : اسم كان تقديره ليكون منكم وصية .^٥

١ سورة البقرة : ٢٢٩ .

٢ يُنظَرُ التحرير والتنوير ٢ / ٤٧٢ .

٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢ / ٤٧٢ ، وإعراب النحاس ١ / ٢٧٤ ، والبيان ١ / ١٦٣ ، والبحر المحيط ٢ / ٤٦٤ .

٤ البحر المحيط ٢ / ٤٦٤ .

٥ يُنظَرُ شواذ القراءات ، لابن خالويه / ١٥ ، ومعاني القرآن ، للفراء / ١ / ١٥٦ ، والبحر المحيط ٢ / ٤٦٤ ، ومفاتيح الغيب

٣ / ٣٨٩ ، وروح المعاني ٢ / ٢٧٦ .

وقد رجَّح الطبري الوجه الأول ، بحجَّة أنّ " الوصيَّة " إذا رفعت فهي بمعنى: كتبت عليكم وصية لأزواجكم ؛ لأنَّ العرب تضمّر النكرات برفعها قبلها إذا أضمرت ، فإذا أظهرت بدأت به قبلها ، فتقول : " جاءني رجل اليوم " وإذا قالوا : " رجل جاءني اليوم " لم يكادوا أن يقولوه إلَّا والرجل حاضر يشيرون إليه بـ " هذا " ، أو غائب قد علم المخبر عنه خبره ، أو بحذف " هذا " وإضماره ، وقال : وإن حذفوه ، لمعرفة السامع بمعنى المتكلِّم ، كما قال الله تعالى : ﴿ سُوْرَةٌ أَنْزَلْنَاهَا ﴾ ، و ﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ، فكذلك ذلك في قوله : ﴿ وَصِيَّةٌ لِّأَزْوَاجِهِمْ ﴾ .

٣

القراءة الثانية : قراءة النَّصب ((وَصِيَّةٌ)) ونسبها إلى أبي عمرو ، وابن عامر ، وحمزة ، وحفص عن عاصم ، فيكون قوله : " لأزواجهم " متعلقاً به على أصل المفعول المطلق الآتي بدلاً من فعله لإفادة الأمر .

٤

ويمكن تخريج قراءة النصب على وجهين :

الوجه الأوَّل : نصب (وَصِيَّةٌ) على أنَّها مصدر مفعول مطلق مؤكِّد لفعل محذوف ، والتقدير : (أوصوا لمن وصيَّةٌ) ، أو (فليوصوا وصية لأزواجهم) .

الوجه الثاني : مفعول به ، والتقدير (كتب الله تعالى عليهم وصيَّةٌ) ، أو (أَلزَمُوا وَصِيَّةً) . ثمَّ ذكر ابن عاشور أنَّ ظاهر الآية أنَّ الوصيَّة وصيَّة المتوفِّين ، فتكون من الوصيَّة التي أمر بها من تحضره الوفاة مثل الوصيَّة التي في قوله ﷺ : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾

^١ سورة النور : ١ .

^٢ سورة التوبة : ١ .

^٣ يُنظَرُ جامع البيان في تأويل القرآن : ٢٥٢/٥ ، والمشكل / ١٣٢ ، و البيان / ١٦٣ ، والتبيان في تفسير القرآن / ١٩٢ .

^٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير / ٢ / ٤٧٢ ، وروح المعاني / ٢ / ٢٧٦ .

^٥ يُنظَرُ : معاني الأخفش / ١٧٨ ، ومعاني القرآن وإعرابه / ٣١٧/١ ، والسبعة في القراءات / ١٨٤ ، وتهذيب اللغة / ٢٩٢/٢ ، والحجَّة في القراءات السبع / ٩٨ ، ومشكل إعراب القرآن / ١ / ١٣٢ ، والتبيان في إعراب القرآن / ١ / ١٩٢ ، وتفسير القرآن العظيم / ١ / ٦٥٩ ، والجامع لأحكام القرآن / ٣ / ٢٢٧ - ٢٢٨ ، والنشر / ٢٩١ ، وروح المعاني / ٢ / ٢٧٦ .

﴿ ، فعلى هذا الاعتبار إذا لم يوص المتوفى لزوجته بالسكنى فلا سكنى لها، وأن الزوجة مع الوصية مخيرة بين أن تقبل الوصية ، وبين أن تخرج . وذكر عن ابن عطية : أن فرقة منهم ابن عباس والضحاك وعطاء والربيع ، يعدون قوله: ((وصية لأزواجهم)) أنها وصية من الله تعالى للأزواج بلزوم البيوت حولاً ، وهو كقوله: (يُوَصِّيْكُمْ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ) من قوله ﷺ : ﴿ يُوَصِّيْكُمْ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِكْرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبْوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ آبَاؤُهُ فَلِأُمَّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ وَأَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ، وقوله : (وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ) من قوله ﷺ : ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِيكُنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ، فذلك لا يتوقف على إيصال المتوفين ولا على قبول الزوجات، بل هو حكم من الله يجب تنفيذه، وعليه يتعين أن يكون (لأزواجهم) متعلقاً بوصية، وتعلقه به هو الذي سوغ الابتداء به، والخبر محذوف دل عليه المقام لعدم تأني ما قرّر في الوجه الأول، وأيضاً حسن الابتداء بالنكرة (وصية)؛

١ سورة البقرة / ١٨٠ .

٢ سورة النساء / ١١ .

٣ سورة النساء / ١٢ .

لأنَّه موضع تخصيص، كما حسن أن يرتفع (سلامٌ عليكم)، و(خيرٌ بينَ يديكَ)، لأنَّها مواضع دعاء، فجاز فيها الابتداء بالنكرة لما كان معناها كمعنى المنصوب. وعلى هذا وذاك، فالمعنى العام في القراءتين واحد؛ لأنَّ من نَصَب أراد (فليوصوا وصيَّةً لأزواجهم)، ومن رفع أراد فعليهم وصيَّةً لأزواجهم .^١

^١ يُنظَر التحرير والتنوير ٢ / ٤٧٢ - ٤٧٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١ / ٣١٧ ، و الحجَّة للقراء السبعة ٢ / ٢٥٧ ، والكشف عن وجوه القراءات ١ / ٢٩٩ .

٢. الرَّفْعُ عَلَى النِّعْتِ أَوِ الْخَبْرِ، وَالنَّصْبُ عَلَى الْحَالِ أَوِ الْمَدْحِ أَوِ الذَّمِّ

ومن القراءات القرآنية التي تطرَّق إليها ابن عاشور ما كان وجه الاختلاف فيها إعرابياً، يتردَّد بين الرَّفْعِ عَلَى النِّعْتِ أَوِ الْخَبْرِ، وَالنَّصْبِ عَلَى الْحَالِ أَوِ الْمَدْحِ أَوِ الذَّمِّ مِنْهَا قِرَاءَةٌ: (حَمَّالَةٌ) من قوله ﷺ: ﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةٌ الْحَطَبِ﴾^٤ حيث ذكر ابن عاشور فيها قراءتين: القراءة الأولى: قراءة الرَّفْعِ (حَمَّالَةٌ) نسبها للجمهور، وعدّها صفة لامراته، وجاز ذلك؛ لأنَّ إضافته حقيقيَّة، إذ المراد أنَّها صفتها في جهنم، أو أنَّها صفتها في الدنيا حيث إنَّها كانت تجلب حطب العضاة لتضعه في طريق النبي ﷺ، على طريقة التوجيه والإيماء إلى تعليل تعذيبها بذلك، وأُعرِبت خبراً لمبتدأ محذوف تقديره (هي حَمَّالَةٌ)، أو أنَّ المبتدأ (امراته)، وأُعرِبت عطف بيان أو بدلاً؛ لأنَّها أقرب من الجوامد لتمخُّص إضافتها.

القراءة الثانية: قراءة النَّصْبِ (حَمَّالَةٌ) ونسبها إلى عاصم، وهي قراءة للحسن، وزيد بن علي، والأعرج، وأبو حيوة، وابن أبي عبلة، وابن محيصن، وعيسى بن عمر، وابن أبي إسحاق، وأُعرِبت حالاً من (امراته)، بناءً على أنَّ الإضافة غير حقيقيَّة؛ إذ المراد أنَّها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع، وأنَّ فيه من التوجيه والإيماء ما في قراءة الرفع، وتعرب أيضاً بالنَّصْبِ عَلَى الذَّمِّ والشتم؛ لأنَّها مع كثرة ما لها كانت تحمل الحطب على ظهرها لشدة بُخلها فُعيِّرَتْ بالبخل، وقال سيبويه: ((لم يجعل الحَمَّالَةَ خبراً للمرأة، ولكنَّه كأنَّه

١ سورة المسد / ٤ .

٢ يُنظَرُ: يُنظَرُ: التحرير والتنوير ٣٠ / ٦٠٦، وجامع البيان ٢٤ / ٦٧٨، والنشر ٢ / ٤٠٤، الحجَّة في القراءات السبع ٣٧٧/، ومعالم التنزيل ٨ / ٥٨٣، ومعاني القرآن وإعرابه ٥ / ٣٧٥، وإعراب النَّحَّاسِ ٣ / ٧٨٥، والكشف عن وجوه القراءات ٢ / ٣٩٠، وحجَّة القراءات ٦٧٦ / ٧٧٦، ومعاني القرآن، للفرَّاء ٢ / ٣٥٠، والكشَّاف ٤ / ٨٢١، ومعاني القرآن، للأخفش ٢ / ٥٤٨، والبحر المحيِّط ٨ / ٥٢٧، وروح المعاني ٣٠ / ٢٦٣، ومشكل إعراب القرآن ٢ / ٥٠٧، ومفاتيح الغيب ٣٢ / ١٥٧، ومختصر في شواذ القرآن ١٠٨ / ١٨٢، وإرشاد العقل السليم ٩ / ٢١١، وأمالِي الشَّجَرِي ١ / ٣٤٤، وشذور الذَّهَبِ ٤ / ٤٣٤، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢ / ٥٤٢، والتذكرة في القراءات الثمان ٦٤٩ / ٦٤٩، واللباب في علوم الكتاب ٢٠ / ٥٥٤، ومعجم القراءات، للخطيب ١٠ / ٦٣٢.

قال اذكر حمالة الحطب شتماً لها ، وإن كان فعلاً لا يستعمل إظهاره)) ، كقوله : "ملعونين" ، وكذا أعربت على القطع من المرأة ؛ لأنَّ المرأة معرفة، وحمالة الحطب نكرة، وقيل : نصب على الحال من ((امرأته)) إذا جعلناها مرفوعة بالعطف على الضمير . ويضعف جعلها حالاً عند الجمهور من الضمير في الجار بعدها إذا جعلناها لـ ((امراته)) لتقدمها على العامل المعنوي ، واستشكل بعضهم الحالية، من أنَّ المراد به المعنى، فتتعرّف بالإضافة، فكيف يكون حالاً عند الجمهور؟ وأجيب بأنَّ المراد الاستقبال؛ لأنَّه ورد أنَّها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب النار، كما كانت تحمل الحطب في الدنيا .

٢

ورجَّح الطبري قراءة الرَّفَع ؛ لأنَّها أفصح الكلامين فيه ، وإلجماع الحجَّة من القراء عليه ، واستحبَّ الزمخشري قراءة النصب ؛ لأنَّ فيها توسل إلى رسول الله ﷺ بشتمها، ولم يرجِّح ابن عاشور قراءة على الأخرى كعادته في التعامل مع القراءات الصحيحة، وهذا الذي أميل إليه؛ لأنَّ القراءتين ثابتان، وكلتاها مراد معناهما، فلا ينبغي تفضيل قراءة على أخرى، وإنما هذا نوع من أنواع البلاغة القرآنيَّة، حيث يتنوع المعنى في الآية الواحدة .

٣

^١ الكتاب ٢ / ٧٠ ، (باب ما يجري من الشتم مجرى التعظيم وما أشبهه) .

^٢ يُنظر : التحرير والتنوير ٦٠٦/٣٠ ، وجامع البيان ٦٧٨/٢٤ ، والنشر ٤٠٤/٢ ، الحجَّة في القراءات السبع ٣٧٧/٣ ، ومعالم التنزيل ٥٨٣/٨ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٧٥/٥ ، وإعراب النحَّاس ٧٨٥/٣ ، والكشف عن وجوه القراءات ٣٩٠/٢ ، وحجَّة القراءات ٧٧٦/٦ ، ومعاني القرآن، للفرَّاء ٣٥٠/٢ ، والكشَّاف ٨٢١/٤ ، ومعاني القرآن، للأخفش ٥٤٨/٢ ، وروح المعاني ٢٦٣/٣٠ ، والبحر المحيط ٥٢٧/٨ ، ومشكل إعراب القرآن ٥٠٧/٢ ، ومفاتيح الغيب ٣٢ / ١٥٧ ، ومختصر في شواذ القرآن ١٠٨/١ ، وإرشاد العقل السليم ٢١١/٩ ، وأمالي الشجري ٣٤٤/١ ، وشذور الذَّهب ٤٣٤/٤ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٥٤٢/٢ ، والتذكرة في القراءات الثمان ٦٤٩/٢ ، واللباب في علوم الكتاب ٥٥٤/٢٠ ، ومعجم القراءات، للخطيب ٦٣٢/١٠ .

^٣ يُنظر : التحرير والتنوير ٦٠٦ / ٣٠ ، وجامع البيان ٦٧٨ / ٢٤ ، والكشَّاف ٨٢١ / ٤ ، ومفاتيح الغيب ١٥٧/٣٢ ، والبحر المحيط ٥٢٨ / ٨ .

وهناك قراءة ثالثة لم يشر إليها ابن عاشور كعادته في القراءات الشاذة ، وهي: قراءة (حَمَلَةٌ لِلْحَطْبِ) بالنصب والتنوين في (حَمَلَةٌ) ، وبلاد الجَرِّ في (لِلْحَطْبِ) وردت عن ابن مسعود ، وعياض .

وقراءة رابعة : (حَمَلَةٌ لِلْحَطْبِ) بالرفع والتنوين في (حَمَلَةٌ) ، وبلاد الجَرِّ الزائدة؛ لتقوية

العامل، كقوله ﷺ : ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ، في (للحطب) عن ابن مسعود .

وقراءة خامسة : (حَامِلَةٌ الْحَطْبِ) على وزن (فَاعِلَةٌ) مضافاً قرأ بها أبو قلابة،

وهي محتملة لقراءة العامة، وبعضهم ينون الأوّل وينصب الحطب به (حَامِلَةٌ الْحَطْبِ) .

٣. الرَّفْعُ عَلَى النَّعْتِ ، وَالنَّصْبُ عَلَى الْحَالِ

من القراءات القرآنيّة التي طرقها ابن عاشور ما كان وجه الاختلاف فيها إعرابياً، يتردّد

بين الرَّفْعِ عَلَى النَّعْتِ ، وَالنَّصْبِ عَلَى الْحَالِ قراءة : ((عَيْرٌ)) من قوله ﷺ : ﴿لَا يَسْتَوِي

الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَيْرٌ أُولَى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا

حيث ذكر ابن عاشور فيها قراءتين :

^١ يُنظَرُ : معاني القرآن ، للفرّاء ٢٩٩/٣ ، والكشّاف ٨٢١/٤ ، ومفاتيح الغيب ١٥٧/٣٢ ، والبحر المحيط ٨ / ٥٢٨ ، وروح المعاني ٣٠ / ٢٦٣ ، وإيضاح الوقف والابتداء ٩٩١/ ، والدُرُّ المصون ٥٨٦/٦ .

^٢ سورة هود / من آية ١٠٧ .

^٣ يُنظَرُ : الكشّاف ٨٢١/٤ ، والبحر المحيط ٨ / ٥٢٨ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٥٤٢/٢ ، وروح المعاني ٣٠/٢٦٣ ، والمحتسب ٣٧٥/٢ ، والمحرّر الوجيز ٥٩٩/١٥ ، واللباب في علوم الكتاب ٥٥٤/٢٠ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٦٣٢/١٠ .

^٤ يُنظَرُ : الدُرُّ المصون ١١ / ١٤٥ ، واللباب في علوم الكتاب ٥٥٤/٢٠ .

^٥ سورة النساء / ٩٥ .

القراءة الأولى : قراءة الرَّفْع ((غَيْرٌ)) بِالرَّفْعِ عَلَى النَّعْتِ ل ((أَلْقَعِدُونَ)) ، ونسبها إلى ابن كثير ، وأبي عمرو ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ، ويعقوب .^١

وذكر القرطبي عن الأخفش : أَنَّ ((غَيْرٌ)) زُفِعَتْ نَعْتاً ل ((أَلْقَعِدُونَ)) ؛ لِأَنَّهم لم يقصد بهم قوم بأعيانهم ، فصاروا كالنكرة فجاز وصفهم بـ ((غَيْرٌ)) ، والمعنى لا يستوي القاعدون غير أولي الضرر ، أي لا يستوي القاعدون الذين هم غير أولي الضرر ، أي : لا يستوي القاعدون الأصحاء ، ونسب ذلك إلى الزَّجَّاج .^٢

القراءة الثَّانِيَّة : قراءة النَّصْب ((غَيْرٌ)) بِنَصْبِ الرَّاءِ عَلَى الْحَالِ مِنْ ((أَلْقَعِدُونَ)) ، ونسبها لنافع ، وابن عامر ، وأبي جعفر ، وخلف .^٣

وجاز في ((غير)) الرفع على النعت ، والنصب على الحال ، أي لا يستوي القاعدون من الأصحاء ، أي في حال صحتهم ، وجازت الحال منهم ؛ لِأَنَّ لفظهم لفظ المعرفة ، وهو كما تقول : جاءني زيد غير مريض ، ولأَنَّ ((أَلْقَعِدُونَ)) تعريفه للجنس فيجوز فيه مراعاة اللَّفْظ ومراعاة المعنى .^٤

وَأُعْرِبَتْ قِرَاءَةُ النَّصْبِ ((غَيْرٌ)) نَصْباً عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ مِنْ ((أَلْقَعِدُونَ)) أَوْ مِنْ ((الْمُؤْمِنِينَ)) ، أَي إِلَّا أَوْلِيَّ الضَّرَرِ ، فَإِنَّهم يَسْتَوُونَ مَعَ الْمُجَاهِدِينَ .^٥

^١ يُنْظَرُ : التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ٥ / ١٧٠ .

^٢ يُنْظَرُ : الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ ٥ / ٣٤٣ .

^٣ يُنْظَرُ : التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ٥ / ١٧٠ .

^٤ يُنْظَرُ : التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ٥ / ١٧١ ، وَالْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ ٥ / ٣٤٤ .

^٥ يُنْظَرُ : الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ ٥ / ٣٤٤ .

٤. النَّصْبُ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ ، وَالرَّفْعُ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ

من القراءات القرآنيَّة التي طرقها ابن عاشور ما كان وجه الاختلاف فيها إعرابياً، يتردّد بين النَّصْبِ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ ، وَالرَّفْعِ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ قِراءَةً : (بَيْنَكُمْ) من قوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَؤُا لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾^(٩٤) حيث ذكر ابن عاشور فيها قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة النصب (بَيْنَكُمْ) بفتح النون ، ونسبها إلى نافع ، والكسائي، وحفص عن عاصم ، وقرأ بها أيضاً أبو جعفر ، والحسن البصري ، ويعقوب ، وابن مسعود وأصحابه ، وأبو موسى الأشعري ، وقتادة ، وأسلم بن زرعة الكلابي ، وشيبة ، ومجاهد، وعاصم الأسدي وطلحة اليامي ، وعيسى الهمداني ، وأبو رجاء العطاردي، ونعيم بن ميسرة، وشيبان بن عبدالرحمن النحوي ، والمفضل، وأعربها ظرف مكان دالاً على مكان الاجتماع والاتصال فيما يضاف هو إليه . وعلى هذه القراءة حذف فاعل تقطع ؛ لأنّ المقصود حصول التقطع ، ففاعله اسم مبهم ممّا يصلح للتقطع ، وهو الاتصال . فيقدّر : (لقد تقطّع الاتصال أو الحبل بينكم) . قال تعالى : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ أُتْبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾^(١٣٦) ، وقد صار هذا التركيب كالمثل بهذا الإيجاز . وقد شاع في كلام العرب ذكر التقطع مستعاراً للبعد وبطلان الاتصال تبعاً لاستعارة الحبل للاتصال ، كما قال امرؤ القيس :

تَقَطَّعَ أَسْبَابُ اللَّبَانَةِ وَالْهَوَىٰ عَشِيَّةً جَاوَزْنَا حَمَاءَ وَشَيْرَا

^١ سورة الأنعام / ٩٤ .

^٢ سورة البقرة / ١٦٦ .

^٣ يُنظَر : ديوان امرؤ القيس / ١٩ ، والتحرير والتنوير ٢ / ٩٨ ، ٧ / ٣٨٥ ، والحماسة البصرية / ٢١ ، و العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، ابن رشيق: أبو الحسن بن رشيق، القيرواني ، الأزدي (٣٩٠ - ٤٥٦ هـ)، تحقيق: محمّد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت ط ٥ ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ١ / ١٣٥ ، ورجال المعلقات العشر للغلابي،

فمن ثمّ حسن حذف الفاعل في الآية على هذه القراءة لدلالة المقام عليه فصار كالمثل .
ثمّ ذكر تقدير الزمخشري أنّ المصدر المأخوذ من (تقطّع) فاعلٌ، أي على إسناد الفعل إلى
مصدره بهذا التّأويل ، بمعنى : وقع التقطّع بينكم . وذكر رأي التفتزاني أنّ الأولى أنّه أسند إلى
ضمير الأمر لتقرّره في النفوس ، أي (تقطّع الأمرُ بينكم) ، وأنّه قريب من هذا ما يقال: إنّ
(بَيْنَكُمْ) صفة أقيمت مقام الموصوف الذي هو المسند إليه ، أي : (أمر بينكم) ، وعلى هذا
يكون الاستعمال من قبيل الضّمير الذي لم يذكر معاده لكونه معلوماً من الفعل كقوله: ((حَتَّى
تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ)) من قوله ﷺ : ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ
بِالْحِجَابِ ﴾ ٢٢ ، لكن هذا لا يعهد في الضّمير المستتر ؛ لأنّ الضّمير المستتر ليس بوجود في
الكلام ، وإنّما دعا إلى تقديره وجود معاده الدال عليه . فأما والكلام خليّ عن معاد وعن لفظ
الضّمير ، فالمتعيّن أن نجعله من حذف الفاعل كما تقرّر لك ابتداءً ، ولا يقال: إنّ (توارت
بالحجاب) ليس فيه لفظ ضمير إذ التاء علامة لإسناد الفعل إلى مؤنث؛ لأنّنا نقول : التّحقيق
أنّ التاء في الفعل المسند إلى الضّمير هي الفاعل .

٣

وخرّج الأخفش هذه القراءة على أنّ (بَيْنَكُمْ) فاعلٌ مبني على الفتح في محلّ رفع، حملاً
على أكثر أحوال الظروف ، وذكر العكبري وجهاً ثالثاً ، وهو أنّه وصفٌ لمحدوف ، أي (لقد
تقطّع شيءٌ بينكم أو وصل) . حيث ذكر في هذه القراءة ثلاثة أوجهٍ : أحدها : أنّه ظرّف لـ (
تَقَطَّعَ) ، وَالْفَاعِلُ مُضْمَرٌ ؛ أَي : تَقَطَّعَ الْوَصْلُ بَيْنَكُمْ ، وَدَلَّ عَلَيْهِ (شُرَكَاءُ) . وَالثَّانِي : هُوَ
وَصْفٌ مَحْدُوفٌ ؛ أَي : لَقَدْ تَقَطَّعَ شَيْءٌ بَيْنَكُمْ ، أَوْ وَصَلَ . وَالثَّلَاثُ : أَنَّ هَذَا الْمَنْصُوبَ فِي
مَوْضِعِ رَفْعٍ ، وَهُوَ مُعَرَّبٌ ، وَجَازَ ذَلِكَ حَمَلًا عَلَى أَكْثَرِ أَحْوَالِ الظَّرْفِ ، وَهُوَ قَوْلُ الْأَخْفَشِ ،

ودواوين الشعر العربي على مر العصور ٢٦٥/٩ ، والمحكم والمحيط الأعظم ٩/٨ ، وتاج العروس (شزر) ١٦٥/١٢ ،
وجمهرة اللغة ٣٨١/١ ، ولسان العرب ٤/٤٠٤ ، ولسان العرب (حما) ١٩٧ / ١٤ .

١ يُنظَر : الكشّاف ٤٥ / ٢ .

٢ سورة ص / ٣٢ .

٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ٧ / ٣٨٥ - ٣٨٦ .

ومثله عنده قوله : ((وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ)) من قوله ﷺ : ﴿ وَأَنَامِنَا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا ۝۱۱ ﴾ ، ومثله : ((يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ)) من قوله ﷺ : ﴿ لَن تَنْفَعَكُم أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝۳ ﴾ . وقال مكِّي مثل ذلك: إنَّ من نصب (بينكم) جعله مرفوعاً في المعنى بـ (تقطع) ، لكنَّه لما جرى في أكثر الكلام منصوباً تركه في حال الرفع على حاله منصوباً لكثرة استعماله كذلك .

القراءة الثانية : قراءة الرفع (بَيْنَكُمْ) بضمَّ النون ، ونسبها إلى بقية القراء ، وهم ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحمزة ، وعاصم في رواية أبي بكر ، وهي على إخراج (بئِن) عن الظرفية فصار اسماً متصرفاً من (البين) ، وهو الوصل أو الجمع ، وهو من الأضداد ، وأُسْنِد إليه التقطع على طريقة المجاز العقلي ، فالمعنى : لقد تقطع وصلُّكم ، أي: جمعُكم . وعلى هذا فـ (بَيْنَكُمْ) فاعلاً ، حيث خرج عن الظرفية إلى اسم للمكان الذي يجتمع ، أي انفصل المكان الذي كان محلَّ اتِّصالكم فيكون كناية عن انفصال أصحاب المكان الذي كان محلَّ اجتماع . والمكانية هنا مجازية مثل : ((لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)) من قوله ﷺ : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَانقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝۱ ﴾ فالمكانية هنا ليست حقيقية .

١ سورة الجن / ١١ .

٢ سورة الممتحنة / ٣ ، وهي قراءة بعض السبعة ، وكثير ممن هم وراء ذلك .

٣ يُنظَر: التبيان في إعراب القرآن ١/ ٥٢٢ ، ومعاني القرآن ، للأخفش ١/ ٢٣٧ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٢/ ٤٩٠ .

٤ يُنظَر: التحرير والتنوير ٧ / ٣٨٦ ، وجامع البيان ٧/ ١٨٥ ، والحجَّة في القراءات السبع / ١٤٥ ، ومعاني القرآن ، للأخفش ١/ ٢٣٧ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢/ ٢٧٣ ، ومعاني القرآن ، للقرآني ١/ ٣٤٥ ، ٢/ ٣٦٠ ، النشر ٢/ ٢٦٠ ، والجامع لأحكام القرآن ٧/ ٤٣ ، وتذكرة النُّحاة / ٣٨٧ ، والمختص ٢/ ١٩٠ ، وحجَّة القراءات / ٢٦١ ، وإعراب القرآن ، للزجاج ١/ ٣٠١ ، وإعراب القرآن ، للنحاس ١/ ٥٦٦ ، الكشَّاف ٢ / ٤٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٦٤ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٢/ ٤٩٠ .

٥ سورة الحجرات / ١ .

٦ يُنظَر: التحرير والتنوير ٧ / ٣٨٦ ، والتبيان في إعراب القرآن ١/ ٥٢٢ .

وهناك قراءة شاذة : ((لقد تقطع ما بينكم)) قرأ بها عبدالله بن مسعود ، ومجاهد ، والأعمش ، وأعرابوا (ما) موصولة ، أو موصوفة .^١

٥ . الرَّفْعُ عَلَى الْخَبْرِيَّةِ ، وَالنَّصْبُ عَلَى الْحَالِيَّةِ

١ . من القراءات القرآنية التي طرقها ابن عاشور ما كان وجه الاختلاف فيها إعرابياً يتردد بين الرفع على الخبرية ، والنصب على الحالية قراءة : (خَالِصَةً) من قوله ﷺ : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ كَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ حيث ذكر ابن عاشور^٢ فيها قراءتين :
القراءة الأولى : قراءة الرفع (خَالِصَةً) ونسبها إلى نافع وحده ، وقرأ بها ابن عباس ، وعدّها خبراً ثانياً عن (هي) ، أي : هي لهم في الدنيا وهي لهم خالصة يوم القيامة ، وذكر الرازي عن الزجاج : أن الرفع على أنه خبر بعد خبر ، كما تقول : (زيدٌ عاقلٌ لبيبٌ) ، والمعنى : قل هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة . وذكر عن أبي علي : ويجوز أن يكون قوله : (خَالِصَةً) خبر المبتدأ ، وقوله : (لِلَّذِينَ ءَامَنُوا) متعلقاً بخالصة ، والتقدير : هي خالصة للذين آمنوا في الحياة الدنيا .^٤

١ يُنظَرُ : الحجّة في القراءات السبع / ١٤٥ ، الكشّاف / ٢ / ٤٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها / ١ / ٦٤ ، ومعجم القراءات ، للخطيب / ٢ / ٤٩٢ .

٢ سورة الأعراف / ٣٢ .

٣ يُنظَرُ : مفاتيح الغيب / ١٤ / ٢٣٢ ، وزاد المسير / ٣ / ١٨٩ .

٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير / ٨ / ٩٦ - ٩٧ ، وجامع البيان / ٨ / ١٢٢ ، ومعالم التنزيل / ٣ / ٢٢٥ ، والكشف عن وجوه القراءات ، والنشر / ٢ / ٢٥٩ ، وإعراب القرآن ، للنحاس / ١ / ٦٠٩ ، وشرح الشاطبية / ٢٠٣ ، ومشكل إعراب القرآن / ١ / ٣١٢ ، والبيان في إعراب القرآن / ١ / ٥٦٤ ، وحجّة القراءات / ٢٨١ ، والحجّة في القراءات السبع / ١٥٤ ، والكشّاف / ١ / ٥٤٦ ، والجامع لأحكام القرآن / ٧ / ١٩٩ ، ومعاني القرآن ، للفرّاء / ١ / ٤٧٦ ، ومعاني القرآن وإعرابه / ٢ / ٣٣٣ ، وإعراب القراءات السبع وعللها / ١ / ١٨٠ .

والقراءة الثانية : قراءة النصب (خَالِصَةً) ، ونسبها إلى باقي العشرة ، وهم ابن كثير ، وابو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وأبو جعفر ، ويعقوب ، وعدّها حالاً من المبتدأ ، أي هي لهم الآن حال كونها خالصة في الآخرة ، وأنّ معنى القراءتين واحد ، وهو أنّ الزينة والطيبات تكون خالصة للمؤمنين يوم القيامة ، ففيه حذف تقديره : هي للذين آمنوا وللمشركين في الحياة الدنيا ، فإنّ أهل الشرك يشاركون المؤمنين في طيبات الدنيا ، وهي في الآخرة خالصة للمؤمنين لا حظاً للمشركين فيها ، وقيل : هي خالصة يوم القيامة من التنغيص والغم للمؤمنين ، فإنّما لهم في الدنيا مع التنغيص والغم .

وقال أبو حيّان : إنّ (خَالِصَةً) تنصب على الحال والتقدير (قُلْ هِيَ مُسْتَقَرَّةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا) في حال خلوصها لهم يوم القيامة ، وأنّما حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور الواقع خبراً لـ (هي) و (في الحَيَاةِ) متعلق بـ (آمنوا) ، أو إنّ المعنى : قل هي خالصة يوم القيامة لمن آمن في الدنيا . ولا يعني بيوم القيامة وقت الحساب . وأنّ (خلوصها) كونهم لا يعاقبون عليها ، وإلى هذا يشير تفسير ابن جبير ، وجوّزوا فيه أن يكون خبراً بعد خبر ، فالخبر الأوّل هو (لِلَّذِينَ ءَامَنُوا) و (في الحياة الدنيا) متعلّق بما تعلّق به (للذين) وهو الكون المطلق ، أي : قل هي كائنة في الحياة الدنيا للمؤمنين ، وإن كان يشركهم فيها في الحياة الدنيا الكفّار (وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ، وخالصة لهم يوم القيامة ، ويراد بيوم القيامة استمرار الكون في الجنة ، وأشار إلى أنّ في هذا المعنى أي : إنّما لهم ولغيرهم في الدنيا خالصة لهم يوم القيامة ، قول لابن عباس والضحاك وقتادة والحسن وابن جريح وابن زيد ، وأنّ الزمخشري وافق هذا المعنى في

^٤ يُنظَر : جامع البيان ١٢٢/٨ ، ومعالم التنزيل ٢٢٥/٣ ، ومفاتيح الغيب ٢٣٢/١٤ ، وزاد المسير ١٨٩/٣ .

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ٩٧ / ٨ ، وجامع البيان ١٢٢/٨ ، ومعالم التنزيل ٢٢٥/٣ ، والكشف عن وجوه القراءات ، والنشر ٢٥٩/٢ ، وإعراب القرآن ، للنحاس ٦٠٩/١ ، وشرح الشاطبية ٢٠٣/٣ ، وزاد المسير ١٨٩/٣ ، ومشكل إعراب القرآن ٣١٢/١ ، والتبيان في إعراب القرآن ٥٦٤/١ ، وحجّة القراءات ٢٨١/١ ، والحجّة في القراءات السبع ١٥٤/١ ، والكشّاف ٥٤٦/١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٩٩/٧ ، ومعاني القرآن ، للفرّاء ٤٧٦/١ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٣٣/٢ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٨٠/١ .

^٢ يُنظَر : جامع البيان ١٢٢/٨ ، ومعالم التنزيل ٢٢٥/٣ ، ومفاتيح الغيب ٢٣٢/١٤ ، وزاد المسير ١٨٩/٣ .

تفسيره ، ثم أجاب على من قال : إذا كان معنى الآية أنّها لهم في الدنيا على الشركة بينهم وبين الكفار فكيف جاء قوله (قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا) ؟ ، بقوله: إنّ الجواب من وجوه ، أحدها : أنّ في الكلام حذفاً تقديره : (قل هي للمؤمنين والكافرين في الدنيا خالصة للمؤمنين في القيامة لا يشاركون فيها) ، وأنّ هذا رأي الكرمانى ، الثاني: إنّ ما تعلق به (لِلَّذِينَ ءَامَنُوا) ليس كوناً مطلقاً بل كونه مقيداً يدلّ على حذفه مقابله وهو (خَالِصَةً) ، تقديره : قل هي غير خالصة للذين آمنوا ، وأنّ هذا رأي الزمخشري ، حيث قال: قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا غير خالصة لهم ؛ لأنّ المشركين شركائهم فيها، خالصة يوم القيامة لا يشركهم فيها أحد . ثمّ نقل ردّ الزمخشري على من قال : هلا قيل للذين آمنوا ولغيرهم ؟ بقوله : إنّ النية على أنّها خلقت للذين آمنوا على طريق الأصالة، وأنّ الكفرة تبع لهم ، كقوله تعالى : (وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتَعَهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ) ، وقال : إنّ جواب الزمخشري هو للتبريزي ، حيث إنّ التبريزي قال : إنّ معنى الآية أنّها للمؤمنين خالصة في الآخرة لا يشركهم الكفار فيها ، هذا وإن كان مفهومه الشركة بين الذين آمنوا والذين أشركوا، وهو كذلك ؛ لأنّ الدنيا عرض حاضر يأكل منها البرّ والفاجر إلماً أنّه أضاف إلى المؤمنين، ولم يذكر الشركة بينهم وبين الذين أشركوا في الدنيا ، تنبيهاً على أنّه إمماً خلقها للذين آمنوا بطريق الأصالة والكفار تبع لهم فيها في الدنيا . ولذلك خاطب الله المؤمنين بقوله تعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) . ثمّ نقل أبو حيان عن أبي عليّ في الحجّة : أنّه يصحّ أن يعلّق قوله (في الحياة الدنيا) بقوله (حَرَّمَ) ولا يصح أن يتعلّق بقوله: (أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ) ويجوز ذلك وإن فصل بين الصلة والموصول بقوله (هي للذين آمنوا)؛ لأنّ ذلك كلام يشدّ القصة وليس بأجنبي منها جداً كما جاز ذلك في قوله ﷺ : ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا ﴾

^١ يُنْظَرُ : الكَشَّاف ٥٤٦/١ .

^٢ يُنْظَرُ : الكَشَّاف ٥٤٦/١ .

^٣ يُنْظَرُ : الكَشَّاف ٥٤٦/١ .

^٤ سورة البقرة / ١٢٦ .

^٥ سورة البقرة / ٢٩ .

السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنَّ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ ، فقولُه : (وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) معطوف على (كَسَبُوا) داخل في الصلة التعلُّق بـ (أخرج) هو قول الأُخفش ، ويصحُّ أن يتعلَّق بقوله (وَالطَّيِّبَاتُ) ويصحُّ أن يتعلَّق بقوله (مِنَ الرَّزْقِ) . ووصف تقادير أبي عليِّ والأُخفش بأنَّ فيها تفكيك للكلام وسلوك به غير ما تقتضيه الفصاحة ، وأما تقادير أعجمية بعيدة عن البلاغة لا تناسب في كتاب الله ، بل لو قدَّرت في شعر الشنفرى ما ناسب ، وأنَّ النُّحاة الصَّرف غير الأدباء بمعزل عن إدراك الفصاحة . وأما تشبيه ذلك بقوله (وَالَّذِينَ كَسَبُوا) فليس ما قاله بمتعيّن فيه بل ولا ظاهر بل قوله (جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا) هو خبر عن النهي ، أي : جزاء سيئة منهم بمثلها وحذف (منهم) لدلالة المعنى عليه كما حذف من قولهم : (السَّمَنُ منوان درهم) ، أي : (منوان منه) .

٢

ثمَّ تحدّث ابن عاشور عن إعادة الضمير المستتر في (خالصة) على رأيين :
الرأي الأوّل : أنّ الضمير المستتر في (خالصة) عائد إلى الزينة والطيبات الحاصلة في الحياة الدّنيا بعينها ، أي : إنّها خالصة لهم في الآخرة ، ولا شك أنّ تلك الزينة والطيبات قد انقرضت في الدّنيا ، فمعنى خلاصها صفاؤها ، وكونه في يوم القيامة : هو أنّ يوم القيامة مظهر صفاؤها أي خلوصها من التبعات المنجّرة منها ، وهي تبعات تحريمها ، وتبعات تناول بعضها مع الكفر بالمنعم بها ، فالمؤمنون لما تناولوها في الدّنيا تناولوها بإذن ربّهم ، بخلاف المشركين فإنّهم يسألون عنها فيعاقبون على ما تناولوه منها في الدّنيا ؛ لأنّهم كفروا بنعمة المنعم بها ، فأشركوا به غيره كما في قوله ﷻ : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ ﴿٨٢﴾ ، وإلى هذا المعنى يشير تفسير سعيد بن جبیر . وقد رجّح هذا الرأي .

١ سورة يونس / ٢٧ .

٢ يُنظَر : البحر المحيط / ٤ / ٢٩٣ - ٢٩٤ .

٣ سورة الواقعة / ٨٢ .

وذكر أنّ الأمر فيه على قراءة رفع : (خَالِصَةً) أنّه إخبار عن هذه الزينة والطيبات بأنّها لا تعقب المتمتّعين بها تبعات ولا أضراراً ، وأمّا على قراءة النصب (خَالِصَةً) فهو نصب على الحال المقدرة .

الرأي الثاني : أن يكون الضمير في (خالصة) عائداً إلى الزينة والطيبات ، باعتبار أنواعها لا باعتبار أعيانها ، فيكون المعنى : ولهم أمثالها يوم القيامة خالصة .
وأنّ معنى الخلاص التّمحض أي: التّمحض عن مشاركة غيرهم من أهل يوم القيامة ، والمقصود أنّ المشركين وغيرهم من الكافرين لا زينة لهم ولا طيبات من الرزق يوم القيامة ، أي أنّها في الدنيا كانت لهم مع مشاركة المشركين إياهم فيها ، وهذا المعنى مروى عن ابن عباس وأصحابه ، وهو رأي مرجوحٌ عنده .

٢ . ومن بين ما تطرّق له ابن عاشور من القراءات القرآنيّة ما كان وجه الاختلاف فيها إعرابياً ، يتردّد بين الرفع على الخبريّة ، والنصب على الحالّيّة قراءة : (شَيْخًا) من قوله ﷻ : ﴿ قَالَتْ يَوٰنُوتٰىٓ ءِآلِذٰٓ وَاَنَا عَجُوٰزٌ وَّهٰذَا بَعْلِيٓ شَيْخًا ۗ اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيْبٌ ﴾^(٧٢) حيث ذكر ابن عاشور فيها قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة النصب (شَيْخًا) ، بنصبها على الحال من اسم الإشارة وأيّها مبنيّة للمقصود من الإشارة ، ولم ينسبها إلى أحد ، وهي قراءة الجمهور^٣ . وقال العكبري : إنّها حال مؤكّدة من (بعلي) ؛ إذ ليس الغرض الإعلام بأنّه بعليها في حال شيخوخته دون غيرها ، وهي حال مؤكّدة ، والعامل في الحال معنى الإشارة والتنبيه ، أو أحدهما ، وقيل : إنّ العامل فيه ما في اسم الإشارة من معنى الفعل ، وقال الزجاج : إنّ الحال هاهنا نصبها من لطيف النحو ، وذلك أنّك إذا قلت : (هذا زيد قائما يصلي) فإن كنت تقصد أن تحبر من لا يعرف زيدا أنّه زيد لم يجز

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ٨ / ٩٧ .

^٢ سورة هود / ٧٢ .

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٢ / ١٢١ .

^٤ يُنظَر : التبيان في إعراب القرآن ٢ / ٧٠٧ .

أن تقول: (هذا زيد قائماً)؛ لأنه يكون (زيداً) ما دام قائماً فإذا زال عن القيام فليس بزيد، وإنما تقول للذي يعرف زيدا: (هذا زيد قائماً) فيعمل في الحال التنبيه، والمعنى انتبه لزيد في حال قيامه، أو أشير لك إلى زيد في حال قيامه. وجاء عن ابن عطية الأندلسي مثل ذلك، حيث قال: إنَّ نصب (شيخاً) على الحال وهي حال من مشار إليه لا يستغنى عنها؛ لأنها مقصود الإخبار، وهي لا تصح إلا إذا لم يعني المتكلم أن يعرف بصاحب الحال، كأن يكون المخاطب يعرفه؛ وأما إذا قصد التعريف به لزم أن يكون التعريف في الخبر قبل الحال، وتجيء الحال على بابها مستغنى عنها، ومثال هذا قولك: (هذا زيد قائماً)، إذا أردت التعريف بزيد. أو كان معروفاً وأردت التعريف بقيامه، وأما إن قصد المتكلم أن زيدته إنما هي ما دام قائماً، فالكلام لا يجوز . وذكر الرازي عن الواحدي قوله: إنَّ هذا من لطائف النحو وغامضه، فإنَّ كلمة (هذا) للإشارة، فكان قوله (وهذا بعلي شيخاً) قائم مقام أن يُقال أشير إلى بعلي حال كونه شيخاً، والمقصود تعريف هذه الحالة المخصوصة وهي الشيخوخة . وقال أبو حيان، وابن عادل الدمشقي : إنَّ (شيخاً) انتصب على الحال عند البصريين، ومنصوب على خبر التقريب عند الكوفيين. وأنه لا يستغنى عن هذه الحال إذا كان الخبر معروفاً عند المخاطب؛ لأنَّ الفائدة إنما تقع بهذه الحال، أي لازمة عنده، أما إذا كان مجهولاً عنده فأردت أن تفيد المخاطب ما كان يجهله، فتجيء الحال على بابها مستغنى عنها، أي غير لازمة عنده .

٤

^١ يُنظَر : المحرَّر الوجيز ٣ / ٢٠٥ .

^٢ يُنظَر : مفاتيح الغيب ١٨ / ٢٣ .

^٣ يُنظَر : البحر المحيط ٥ / ٢٤٤، واللباب في علوم الكتاب ١٠ / ٥٢٧ .

^٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٢ / ١٢١، إعراب النحَّاس ٢ / ١٠٢، ٣ / ٢٢٠، والمحتسب ١ / ٣٢٤، جامع البيان ٩ / ٧٠، والكتشاف ٢ / ١٠٦، ومعاني القرآن، للأخفش ٢ / ٣٥٦، ومعاني القرآن وإعرابه ٣ / ٦٣-٦٤، ٤ / ١٢٥، ومعاني القرآن، للفرَّاء ١ / ١٢١، ٢ / ٢٣، و٣ / ١٧، ٨٢، ٤٠٣، ٢١٦، والبحر المحيط ٥ / ٢٤٤، واللباب في علوم الكتاب ١٠ / ٥٢٧، ومفاتيح الغيب ١٨ / ٢٣، والمحرَّر الوجيز ٣ / ٢٠٥، والبيان في إعراب القرآن ٢ / ٧٠٧، ومشكل إعراب القرآن ١ / ٤٠١، وروح المعاني ١٢ / ١٠٠، وإعراب القرآن وبيانه ٤ / ٣٩٨ .

القراءة الثانية : قراءة الرفع (شَيْخٌ) ونسبها إلى ابن مسعود ، برفع (شَيْخٌ) على أن (بعلي) بيان من (هذا) ، و (شيخ) خبر المبتدأ . وأنَّ معنى القراءتين واحد . حيث إنَّها مركبة من مبتدأ وخبر ؛ لأنَّ المعنى : هذا المشار إليه هو بعلي ، أي كيف يكون له ولد وهو كما ترى ، وقرأ بها أبيُّ بن كعب ، والأعمش ، والمُطَوِّعِي ، والأصمعي عن أبي عمرو .

وَذَكَرَ الْعُكْبَرِيُّ فِي إِعْرَابِ (شَيْخٌ) بِالرَّفْعِ عِدَّةَ أَوْجُهٍ ؛ الْأَوَّلُ : أَنْ يَكُونَ خَبْرًا لـ (هَذَا) ، وَ (بَعْلِي) بَدَلًا مِنْهُ ، أَوْ عَطْفَ بَيَانٍ . وَالثَّانِي : أَنْ يَكُونَ خَبْرًا لِلْمَبْتَدَأِ الثَّانِي (بَعْلِي) ؛ وَالجُمْلَةُ خَبْرٌ لِلْمَبْتَدَأِ الْأَوَّلِ (هَذَا) . وَالثَّلَاثُ : أَنْ يَكُونَ خَبْرًا لِلْمَبْتَدَأِ مَحْدُوفٍ وَ (بَعْلِي) خَبْرَ الْمُبْتَدَأِ (هَذَا) ، أَيُّ هُوَ شَيْخٌ . والرَّابِعُ : أَنْ يَكُونَ (شَيْخٌ) خَبْرًا ثَانِيًا . والخامس : أَنْ يَكُونَ (بَعْلِي) وَ (شَيْخٌ) جَمِيعًا خَبْرًا وَاحِدًا ، كَمَا تَقُولُ : هَذَا حُلُوٌ حَامِضٌ ، السادس : أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ (بَعْلِي) .

وذكر ابن عاشور على هذه القراءة نادرة لطيفة وهي: أنَّ أبا العباس المبرِّد دُعي عند بعض الأعيان في بغداد إلى مأدبة، فلمَّا فرغوا من الطَّعام غنَّت من وراء الستار جارية لرب المنزل بيتين:

وَقَالُوا لَهَا هَذَا حَبِيبُكَ مُعْرَضٌ ... فَقَالَتْ: أَلَا إِعْرَاضُهُ أَهْوَنُ الْحَطْبِ
فَمَا هِيَ إِلَّا نَظْرَةٌ وَابْتِسَامَةٌ فَتَصْطَلُّ رِجْلَاهُ وَيَسْفُطُ لِلْجَنبِ
فَطَرَبَ كُلُّ مَنْ بِالْمَجْلِسِ إِلَّا أَبَا الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدَ فَلَمْ يَتَحَرَّكَ، فَقَالَ لَهُ رَبُّ الْمَنْزِلِ: مَا لَكَ
لَمْ يُطْرَبِكَ هَذَا؟

^١ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ١٢ / ١٢١ ، إعراب النحَّاس ١٠٢/٢ ، ٢٢٠/٣ ، واتحاف فضلاء البشر / ٢٥٩ ، والمحتسب ٣٢٤/١ ، جامع البيان ٧٠/٩ ، والكشاف ١٠٦/٢ ، ومعاني القرآن ، للأخفش ٣٥٦/٢ ، الكتاب (هذا باب ما يجوز فيه الرفع مما ينتصب في المعرفة) ٢ / ٨٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٦٣/٣ - ٦٤ ، ١٢٥/٤ ، واللباب في علوم الكتاب ٥٢٧/١٠ ، ومعاني القرآن ، للفرَّاء ١٢/١ ، و ٢٣/٢ ، و ١٧/٣ ، ٨٢ ، ٤٠٣ ، ٢١٦ ، ومختصر بن خالويه / ٦٠ ، والمحرَّر الوجيز ٣ / ٢٠٦ ، ومفاتيح الغيب ١٨ / ٢٣ ، والتبيان في إعراب القرآن ٧٠٧/٢ ، والبحر المحيط ٢٤٤/٥ ، ومشكل إعراب القرآن ٤٠١/١ ، الأصول لابن السراج ١٥١/١ ، وروح المعاني ١٠٠/١٢ ، و إعراب القرآن وبيانه ٤ / ٣٩٨ .

^٢ يُنْظَرُ : التبيان في إعراب القرآن ٢ / ٧٠٧ .

فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ: مَعْدُورٌ يَحْسَبُنِي لَحْنْتُ فِي أَنْ قُلْتُ: مُعْرَضٌ - بِالرَّفْعِ - وَمَ يَعْلَمُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ
 بَنَ مَسْعُودٍ قَرَأَ ((وَهَذَا بَعْلِي شَيْخٌ))، فَطَرِبَ الْمُبْرَدُ هَذَا الْجَوَابَ .

٦. بين العطف على اسم (إِنَّ) نصباً وموضعه ، أو محلِّهِ رِفْعاً

١ . من القراءات القرآنية التي طرقها ابن عاشور ما كان وجه الاختلاف فيها إعرابياً يتردد
 بين العطف على اسم (إِنَّ) نصباً وموضعه ، أو محلِّهِ رِفْعاً قراءة: (وَالصَّابِغُونَ) من قوله ﷺ :
 ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصِرَى مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ
 صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ٦٩ .

وقد ذكر ﷺ كلمة (الصابغين) في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع: في قوله ﷺ: ﴿ إِنَّ

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصِرَى وَالصَّابِغِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ
 صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ٦٩ ، وفي قوله ﷺ:
 ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصِرَى مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ
 صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ٦٩ ، وفي قوله ﷺ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ
 هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصِرَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ ١٧ . وقد وردت فيها قراءتان :

١ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٢ / ١٢١ ، وتاج العروس (هلا) ٥٤٧/٤٠ .

٢ سورة المائدة / ٦٩ .

٣ سورة البقرة / ٦٢ .

٤ سورة المائدة / ٦٩ .

٥ سورة الحج / ١٧ .

القراءة الأولى: قراءة الرفع ((وَالصَّبِغُونَ))، وتُنسب إلى الجمهور^١، على أنها مرفوعة على الابتداء، والخبر محذوف، أي: كذلك، وعليه الأمصار. وحُرِّجَت على غير هذا، فقد ذهبوا إلى أنَّ خبر الصابئين والنصارى هو ((مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ))، ويقدرُّون لـ((الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا)) خبراً^٢.

القراءة الثانية: قراءة النَّصَب ((وَالصَّبِغِينَ))، وتُنسب إلى ابن كثير، ولكنها غير مشهورة عنه، وعثمان بن عفان، وابن محيصن، وعائشة، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، والجحدري، وسعيد بن جبيرة^٣.

فنى أن كلمة ((وَالصَّبِغِينَ)) في الآيتين السابقتين لهذه الآية جاءت بالنصب عطفاً على اسم إنَّ، ولكن في هذه الآية رفعها، فقال ((وَالصَّبِغُونَ)) مع أنها جاءت في نفس السياق. وقد تلمَّس ابن عاشور الفائدة البلاغية من الإتيان بلفظ (الصابئون) مرفوعاً، من قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّبِغُونَ وَالنَّصِرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^٤، فقال ما معناه:

^١ يُنظر: التحرير والتنوير ٢٦٧/٦، ومعاني القرآن، للقرآء ٣١٠-٣١١، ومعاني القرآن وإعرابه ١٩٢/٢، ومعاني القرآن، للأخفش ٢٦١-٢٦٢، وإعراب القرآن، للنجاس ٥١٠/١، والكشاف ٤٧٤/١، والبحر المحيط ٥١٣/٣، والتبيان في إعراب القرآن ٤٥١/١، ومشكل إعراب القرآن ٢٣٨/١، وروح المعاني ٢٠٣/٦، ومعجم القراءات، للخطيب ٣٢١/٢.

^٢ يُنظر: التحرير والتنوير ٦ / ٢٦٧، ومعجم القراءات، للخطيب ٣٢١/٢ .

^٣ يُنظر: التحرير والتنوير ٦٣١/٣، ومعاني القرآن وإعرابه ١٩٢-١٩٣، وإعراب القرآن، للنجاس ٥٠٩/١، والكشاف ٤٧٤/١، والبحر المحيط ٥١٣/٣، والتبيان في إعراب القرآن ٤٥١/١، والمحزَّر الوجيز ٥٢١/٤، وإتحاف فضلاء البشر ٢٠٢، ومشكل إعراب القرآن ٢٣٨/١، وروح المعاني ٢٠٣/٦، ومعجم القراءات، للخطيب ٣٢١/٢.

^٤ سورة المائدة / ٦٩.

إنَّ الرفع في هذا السياق غريب ، فيستوقف القارئ عنده : لماذا رفع هذا الاسم بالذات، مع أنَّ المألوف في مثل هذا أن ينصب ؟

فيقال : إنَّ هذه الغرابة في رفع الصابئين تناسب غرابة دخول الصابئين في الوعد بالمغفرة ؛ لأنَّهم يعبدون الكواكب ، فهم أبعد عن الهدى من اليهود والنصارى ، حتى إنَّهم يكادون يأسون من الوعد بالمغفرة والنجاة ، فنَبَّه بذلك على أنَّ عفو الله عظيم يشمل كلَّ من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً وإن كان من الصابئين .

وقال ابن عاشور عن قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصْرِيُّ مَن

ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ٦١ :

إنَّ موقع الآية دقيق ، ومعناها أدق ، وإعرابها تابع لدقَّة الأمرين ، فموقعها أدق من موقع

نظيرتها ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرِيُّ وَالصَّابِئِينَ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ٦٢ ،

ومعناها يزيد دقَّة على معنى نظيرتها تبعاً لدقَّة موقع هذه . وإعرابها يتعمَّد إشكاله بوقوع قوله : (والصابئون) بحالة رفع بالواو في حين أنَّه معطوف على اسم (إنَّ) في ظاهر الكلام . فحقَّق علينا أن نخصَّها من البيان بما لم يسبق لنا مثله في نظيرتها ٣ .

أولاً : موقع الآية : إنَّ لموقع الآية وجهين :

الوجه الأول : أن تكون استئنافاً بيانياً ناشئاً على تقدير سؤال يخطر في نفس السامع

لقوله ﷺ : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ

إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ وَلِيُزِيدَكُمْ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَىٰ

١ سورة المائدة / ٦٩ .

٢ سورة البقرة / ٦٢ .

٣ التحرير والتنوير ٦ / ٢٦٧ .

الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ ، فيسأل سائل عن حال من انقضوا من أهل الكتاب قبل مجيء الإسلام : هل هم على شيء أو ليسوا على شيء ، وهل نفعهم اتباع دينهم أيا مئذ ؛ فوقع قوله :
﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿٦٢﴾ جواباً
لهذا السؤال المقدر ، والمراد بالذين آمنوا المؤمنون بالله وبمحمد ﷺ أي المسلمون ، وإنما المقصود
من الإخبار الذين هادوا والصابئون والتصارى .

الوجه الثاني : أن تكون هذه الجملة مؤكدة لجملة ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا
وَاتَّقَوْا)) من قوله ﷺ : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ ﴿٦٥﴾ ، فبعد أن أتبع تلك الجملة بما أتبع به من الجمل عاد
الكلام بما يفيد معنى تلك الجملة تأكيداً للوعد ، ووصلاً لربط الكلام ، وليلحق بأهل الكتاب
الصابئون ، وليظهر الاهتمام بذكر حال المسلمين في جنات النعيم^٤ .

أمّا سبب التصدير بذكر الذين آمنوا في طليعة المعدودين فيرجعه الشيخ محمد الطاهر إلى
إدماج التنويه بالمسلمين في هذه المناسبة؛ لأنّ المسلمين هم المثال الصّالح في كمال الإيمان
والتحرّز عن الغرور وعن تسرّب مسارب الشرك إلى عقائدهم كما بشر بذلك النبي ﷺ في خطبة
حجة الوداع بقوله: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَعْسُ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي
التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ)) فكان المسلمون؛ لأنّهم الأوحدون في الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل
الصّالح، أولين في هذا الفضل.

^١ سورة المائدة / ٦٨ .

^٢ سورة البقرة / ٦٢ .

^٣ سورة المائدة / ٦٥ .

^٤ التحرير والتنوير ٦ / ٢٦٨ - ٢٦٩ .

^٥ رواه مسلم .

ثانيا معنى الآية :

- ١ . يستهل تفسير الآية بشرح موقع (إِنَّ) في الآية : فافتتاحها بحرف (إِنَّ) هنا للاهتمام بالخبر لخلو المقام عن إرادة ردّ إنكار أو تردّد في الحكم أو تنزيل غير المتردّد منزلة المتردّد .
- ٢ . من هم المعنيون في قوله : ((مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)) ؟ فيجيب قائلا : تحيّر الناظرون في الإخبار عن جميع المذكورين بقوله : ((مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)) ، إذ من جملة المذكورين المؤمنون ، وهل الإيمان إلا بالله واليوم الآخر؟ وذهب الناظرون في تأويله مذاهب : والوجه عندي أنّ المراد بالذين آمنوا أصحاب الوصف المعروف بالإيمان واشتهر به المسلمون ، ولا يكون إلا بالقلب واللسان ؛ لأنّ هذا الكلام وعد بجزاء الله تعالى ، فهو راجع إلى علم الله ، والله يعلم المؤمن الحقّ والمتظاهر بالإيمان نفاقاً .
- ٣ . تناول ابن عاشور الآية بالتحليل كعادته حيث قال :

إِنَّ خبر (إِنَّ) محذوف ، وحذف خبر (إِنَّ) وارد في الكلام الفصيح غير قليل ، كما ذكر سيبويه في (كتابه)^٢ . وقد دلّ على الخبر ما ذكر بعده من قوله : ((فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)) ، ويكون قوله : ((وَالَّذِينَ هَادُوا)) عطف جملة على جملة ، فيجعل ((الَّذِينَ هَادُوا)) مبتدأ ، ولذلك حقّ رفع ما عطف عليه ، وهو ((والصابئون)) ، ويكون قوله : ((مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ)) مبتدأ ثانياً ، وتكون (مَنْ) موصولة ، والرابط للجملة بالتي قبلها محذوفاً ، أي : من آمن منهم ، وجملة ((فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ)) خبراً عن (مَنْ) الموصولة ، واقتراها بالفاء ؛ لأنّ الموصول شبيه بالشرط . وذلك كثير في الكلام ، كقوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ

^١ التحرير والتنوير ٦ / ٢٦٩ .

^٢ يُنظَر : الكتاب ٢ / ١٥٥ - ١٥٦ ، ومغني اللبيب ، عن كتب الأعراب ، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، دار الفكر ، بيروت ط ٦ ، ١٩٨٥ م / ٦١٧ . وحاشية الصبّان شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، ومعه شرح الشواهد ، للعيني ، تحقيق : طه عبدالرؤف سعد ، المكتبة التوفيقية ١ / ٥٦٩ ، ودليل السالك إلى ألفية ابن مالك ، عبد الله الفوزان ، دار المسلم ط ٩ / ١٩٩٨ م / ١٤٤ .

وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ، ووجود الفاء فيه يعيّن كونه خبراً عن (مَنْ) الموصولة وليس خبر (إِنَّ) .

ومعنى ((مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)) من آمن ودّام ، وهم الذين لم يغيروا أديانهم بالإشراك وإنكار البعث ؛ فإنّ كثيراً من اليهود خلطوا أمور الشرك بأديانهم وعبدوا الآلهة كما تقول التّوراة . ومنهم من جعل عُزيراً ابناً لله ، وإنّ النّصارى أهّوا عيسى وعبدوه ، والصابئة عبدوا الكواكب بعد أن كانوا على دين له كتاب . ثمّ إنّ اليهود والنّصارى قد أخذوا في عقيدتهم من الغرور في نجاتهم من عذاب الآخرة بقولهم : ((نحن أبناء الله وأحبّاءه))^٢ وقولهم : ((لن تمسنا النار إلّا أيّاماً معدودة))^٣ ، وقول النّصارى : إنّ عيسى قد كفّر خطايا البشر بما تحمّله من عذاب الطّعن والإهانة والصّلب والقتل ، فصاروا بمنزلة من لا يؤمن باليوم الآخر ؛ لأنّهم عطّلوا الجزاء ، وهو الحكمة التي فُدرّ البعث لتحقيقها .

٤ . قد أدرك ما قد يدور في أذهان بعض المشككين أو الطاعنين فانبرى يدافع عن القرآن والرسول ﷺ والمسلمين فقال وأبدع :

فمّمّا يجب أن يُوقن به أنّ هذا اللفظ كذلك نزل ، وكذلك نطق به النبي ﷺ وكذلك تلقّاه المسلمون منه وقرؤوه ، وكُتب في المصاحف ، وهم عرب حُلّص ، فكان لنا أصلاً نتعرّف منه أسلوباً من أساليب استعمال العرب في العطف وإن كان استعمالاً غير شائع، لكنّه من الفصاحة والإيجاز بمكان ، وذلك أنّ من الشائع في الكلام أنّه إذا أتى بكلام موكّد بحرف (إنّ) وأتى باسم (إنّ) وخبرها ، وأريد أن يعطف على اسمها معطوفاً هو غريب عن ذلك الحكم جيء

^١ سورة البروج / ١٠ .

^٢ سورة المائدة / من آية ١٨ .

^٣ سورة البقرة / من آية ٨٠ .

^٤ يُنظر: التحرير والتنوير ٦/٢٦٩-٢٧١، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، (١٠٩٣هـ)،

تحقيق: محمد نبيل طريفي، أميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ١٠/٣٢٣.

بالمعطوف الغريب مرفوعاً ؛ ليدلّوا بذلك على أنّهم أرادوا عطف الجمل لا عطف المفردات ،
فيقدّر السامع خبراً يقدره بحسب سياق الكلام .

ومن ذلك : ((ورسوله)) من قوله ﷺ : ﴿ وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ
الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ

فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ ، أي ورسوله
كذلك ، فإنّ براءته منهم في حال كونه من ذي نسبهم وصهرهم أمر كالغريب ليظهر منه أنّ
أصرة الدّين أعظم من جميع تلك الأواصر ، وكذلك هذا المعطوف هنا لما كان الصابئون أبعد عن
الهدى من اليهود والنصارى في حال الجاهلية قبل مجيء الإسلام ؛ لأنّهم التزموا عبادة الكواكب ،
وكانوا مع ذلك تحقّق لهم النّجاة إن آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا صالحاً ، كان الإتيان بلفظهم
مرفوعاً تنبيهاً على ذلك . لكن كان الجري على الغالب يقتضي أن لا يؤتى بهذا المعطوف
مرفوعاً إلاّ بعد أن تستوفي (إنّ) خبرها ، إمّا كان الغالب في كلام العرب أن يؤتى بالاسم
المقصود به هذا الحكم مؤخراً ، فأما تقديمه كما في هذه الآية فقد يترأى للنّاظر أنّه ينافي المقصد
الذي لأجله خولف حكم إعرابه ، ولكن هذا أيضاً استعمال عزيز ، وهو أن يجمع بين مقتضيي
حالين ، وهما للدّلالة على غرابة المخبر عنه في هذا الحكم ، والتنبيه على تعجيل الإعلام بهذا
الخبر فإنّ الصابئين يكادون ييأسون من هذا الحكم ، أو ييأس منهم من يسمع الحكم على
المسلمين واليهود ، فنّبّه الكلّ على أنّ عفو الله عظيم لا يضيق عن شمولهم ، فهذا موجب التّقديم
مع الرّفيع ، ولو لم يقدّم ما حصل ذلك الاعتبار ، كما أنّه لو لم يرفع لصار معطوفاً على اسم (إنّ)
فلم يكن عطفه عطف جملة . وقد جاء ذكر الصابئين في سورة الحجّ مقدّماً على النّصارى
ومنصوباً ، فحصل هناك مقتضى حال واحدة وهو المبادرة بتعجيل الإعلام بشمول فصل القضاء
بينهم وأنّهم أمام عدل الله يساؤون غيرهم .

١ سورة التوبة / ٣ .

وكون (الصابئون) مرفوعة ، وهي معطوفة على منصوبات ، فهذا مذهب للعرب في كلامها معروف ، على أنّ (الصابئون) مرفوع على الابتداء ، وخبره محذوف ، ويكون المعنى على هذا الاعراب : إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت ، والصابئون كذلك . ثمّ عقب ذلك كلّه بقوله : ((وَعَمِلَ صَالِحًا)) ، وهو المقصود بالذات من ربط السلامة من الخوف والحزن به ، فهو قيد في المذكورين كلّهم من المسلمين وغيرهم ، وأول الأعمال الصالحة تصديق الرسول والإيمان بالقرآن ، ثمّ يأتي امتثال الأوامر واجتناب المنهيات كما قال ﷺ :

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٣﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾ .

٢ .

٢ . من بين ما تطرّق له ابن عاشور من القراءات القرآنيّة ما كان وجه الاختلاف فيها إعرابياً ، يتردّد بين العطف على اسم (إنّ) نصباً وموضعه ، أو محلّه رفعاً قراءة : (وَالسَّاعَةُ) من قوله ﷺ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَالسَّاعَةَ لَأَرْبَبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نُنظَرُ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيِقِّينَ ﴾ ﴿٣٢﴾ حيث ذكر ابن عاشور^٣ فيها قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة الرفع (وَالسَّاعَةُ) ونسبها إلى الجمهور ، عطفاً على جملة (إِنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا) . وهي مروية أيضاً عن الأعمش ، وأبي عمرو ، وعيسى ، وأبي حيوة ، والعبسي ، والمفضل ، وهم عامة قرّاء المدينة ، والبصرة ، وبعض قرّاء الكوفة .

^١ سورة البلد / ١٢ - ١٧ .

^٢ التحرير والتنوير ٦ / ٢٦٧ - ٢٧٢ ، وخزانة الأدب ١٠ / ٣٢٣ ، ٣٣٦ - ٣٣٨ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ، أبو البركات الأنباري ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد . القاهرة (د.ت) ١ / ١٨٦ ، وأسرار العربيّة ، لأبي البركات الأنباري ، تحقيق: فخر صالح قدارة ، دار الجيل ، بيروت ط ١٩٩٥م / ١٤٦ .

^٣ سورة الجاثية / ٣٢ .

^٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٥ / ٣٧٢ .

ويروى في الرفع ثلاثة أوجه :

الأول : الابتداء ، وما بعدها من الجملة المنفية (لَأَرِيْبَ فِيهَا) خبرها .
الثاني : العطف على محل اسم (إِنَّ) عند من يعتبر لاسم إن موضعاً ، لأنهم قالوا إنه قبل دخولها عليه مرفوعٌ بالابتداء .

الثالث : أنه عطف على محل (إِنَّ) واسمها معاً ، عند من يرى أن ل (إِنَّ) واسمها موضعاً ، وهو الرفع بالابتداء ، كالفارسيّ والزمخشريّ . وقال ابن خالويه : إنَّ العطف على محل (إِنَّ) وما عملت فيه ؛ لأنَّ التقدير (وعد الله حق) ، فقد قال به أبو علي في الحجّة . وقال بعض النحاة ، إنه لا يعطف على موضع " إِنَّ " إلا إذا كان العامل الذي عطّته " إِنَّ " باقياً ، وكذلك هي على موضع الباء في قوله (فلسنا بالجبال ولا الحديد) ، فلما كانت (ليس) باقية جاز العطف على الموضع قبل دخول الباء ، ويظهر نحو هذا النظر من كتاب سيبويه ، فقد بوّب باباً على هذا (باب ما يُجرى على الموضع لا على الاسم الذي قبله) ، وذكر أنّ ممّا جاء من الشعر في الإجراء على الموضع قول عُقَيْبَةَ الأَسَدِي :

مَعَاوِيَ إِنَّنَا بَشَرٌ فَأَسْجِحْ فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحَدِيدِ

١ يُنظَر : جامع البيان ٢٢ / ٨٦ ، وشرح الشاطبية / ٢٨٥ ، والحجّة في القراءات السبع ١ / ٣٢٦ ، ومشكلة إعراب القرآن ٢ / ٢٩٨ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤ / ٤٣٥ ، والكشاف ٤ / ٢٩٦ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢ / ٢٦٩ ، والنشر ٢ / ٣٧٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٧٦ ، والدُّرُّ المصون ٩ / ٦٥٦ ، وزاد المسير ٧ / ٣٦٦ ، والتبيان في إعراب القرآن ٢ / ١١٥٣ ، وحجّة القراءات ٦٦٢ / ٦٦٢ ، ومجمّع البيان ٢٥ / ١٣٩ ، والبحر المحيط ٨ / ٥١ ، والتبصرة في القراءات السبع ٦٧٥ / ٦٧٥ ، وإعراب القرآن ، للنحاس ٣ / ١٤٠ ، ومعاني القرآن ، للفرّاء ٢ / ٣٢٩ ، و٣ / ٤٧ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢ / ٣١٥ ، وغرائب القرآن ٢٥ / ٧٤ ، والتذكرة في القراءات الثمان ٥٥٣ / ٥٥٣ ، وإعراب القرآن وبيانه ٩ / ١٦١ .

٢ يُنظَر : الدر المصون ٩ / ٦٥٦ ، والتبيان في إعراب القرآن ٢ / ١١٥٣ ، وإعراب القرآن وبيانه ٩ / ١٦١ .

٣ يُنظَر : الكشاف ٤ / ٢٩٦ ، والدُّرُّ المصون ٩ / ٦٥٦ .

٤ يُنظَر : الحجّة في القراءات السبع ٣٢٦ / ٣٢٦ ، والحجّة للقراء السبعة ٦ / ١٦٩ .

٥ أسجح أي أحسن وسهّل . البيت من شواهد سيبويه ، وأنشده (ولا الحديد) ، بالنصب ، كما أنشده أبو القاسم ، ورد ذلك عليه . وقيل الشعر مخفوض القوافي ، وهو :

لأنَّ الباء دخلت على شيء لو لم تدخل عليه لم يُخَلَّ بالمعنى ، ولم يُجْتَجَّ إليها وكان نصباً ، وذكر من ذلك أيضاً قول العرب : (لا مال له قليل ، ولا كثير) فقد رفعوه على الموضع . كان الاختيار فيما أتى بعد ذلك الرفع لأنَّ ه حرف دخل على المبتدأ وخبره ودليله على ذلك . وقال ابن خالويه : إنَّ الحجة لمن رفع ، أنَّ من شرط (إنَّ) إذا تمَّ خبرها قبل العطف عليها كان الاختيار فيما أتى بعد ذلك الرفع ؛ لأنَّه حرف دخل على المبتدأ وخبره ودليله على ذلك ((أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ)) من قوله ﷺ : ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ حَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَيْرٌ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

مُعَاوِيَ إِنَّا بَشَرٌ فَاسْجِحْ فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحَدِيدِ
أَكَلْتُمْ أَرْضَنَا فَجَرَدْتُمُوهَا فَهَلْ مِنْ قَائِمٍ أَوْ حَصِيدِ
أَتَرْجُونَ الْخُلُودَ إِذَا هَلَكْنَا وَلَيْسَ لَنَا وَلَا لَكَ مِنْ خُلُودِ
فَهَبْنَا أُمَّةً هَلَكْتَ ضِياعاً يَزِيدُ أَمِيرَهَا وَأَبُو يَزِيدِ
ذُرُوعًا حَوْنِ الْإِمَامَةِ وَاسْتَقِيمُوا وَتَقَدِّمُوا الْأَرَاذِلَ وَالْعَبِيدِ

وزعم من احتج لسبويه : أنَّ هذا البيت من شعر منسوب لعبد الله ابن الزبير الأسدي ، ويقال : إنَّه للكُميت بن معروف الأسدي يقول فيه :

رَمَى الْحَدَثَانُ نَسْوَةَ آلِ عَمْرِوٍ بِمِقْدَارِ سَمْدَنْ لَهْ شُمُودَا
فَرَدَّ شُعُورَهِنَّ السُّودَ بِيضًا وَرَدُّهُنَّ الْجُوهَرَ الْبِيضَ سُودَا
أَدِيرُوهَا بَنِي حَرْبٍ عَلَيْكُمْ وَلَا تَرْمُوا بِهَا الْغُرَضَ الْبَعِيدَا

وليس ينكر أن يكون البيت من الشعرين جميعاً ؛ لأنَّ الشعراء قد يستعير بعضهم كلام ، وربما أخذ البيت بعينه ولم يغير كقول الفرزدق :

تَرَى النَّاسَ مَا سَرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانًا إِلَى النَّاسِ وَقَفُّوا

فإنَّ هذا البيت لجميل بن عبد الله ، انتحله الفرزدق . يُنظَرُ : الحلل في شرح أبيات الجمل ١/١٠-١١ ، وأمالي القاضي ٢٨٦/٢ ، والأمالي في لغة العرب ٣٧/١ ، والشعر والشعراء ١١/١ ، والعقد الفريد ١٥/١ ، ٣٢٥/٢ ، ٣٤٧ ، وخزانة الأدب ٢٢٨/٢ ، ١٥٣/٤ ، ٣٢٤/١٠ ، ٤٢٢/١١ ، وسمط اللآلي / ٤٢ .

١ يُنظَرُ : كتاب سبويه ١ / ٦٦ - ٦٨ ، ٢٩٢/٢ - ٣٤٤ ، ٩١/٣ ، والدُّرُّ المصون ٦٥٦/٩ ، والتبيان في إعراب القرآن ٢ / ١١٥٣ ، وإعراب القرآن وبيانه ٩ / ١٦١ ، و المحرَّر الوجيز ٥ / ٩٠ .

﴿ ، فَأَمَّا حَجَّةَ حَمِزَةٍ فَإِنَّهُ لَعَطْفٌ بِالْوَاوِ لَفْظُ السَّاعَةِ ؛ لِأَنَّهَا مِنْ تَمَامِ حِكَايَةِ قَوْلِهِمْ ، وَعَلَى ذَلِكَ كَانَ الْجَوَابُ لَهُمْ فِي قَوْلِهِ قَلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ . ٢

وَأَرَى أَنَّ الْوَجْهَ الْأَوَّلَ فِي تَخْرِيجِ قِرَاءَةِ رَفْعِ (وَالسَّاعَةُ) أَرْجَحُ ، لِأَنَّ الْوَجْهَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ فِيهِمَا تَكْلُفٌ فِي التَّأْوِيلِ ، وَقَدْ مَنَعَ أَبُو حَيَّانَ ذَلِكَ . ٣

القراءة الثانية : قراءة النصب (والسَّاعَةُ) ونسبها إلى حمزة فقط ، وقرأ بذلك عامة قرّاء الكوفة ، ورويت عن أبي عمرو وعيسى والأعمش ، وخرّجه علي أنه معطوف على (إِنَّ وَعَدَ اللَّهُ) من العطف على معمولي عامل واحد ، حيث عطف بالواو لفظ الساعة ؛ لأنها من تمام حكاية قولهم ، وعلى ذلك كان الجواب لهم في قوله قلتم ما ندري ما الساعة . ٦

وذكر الرازي عن الأخفش أن قراءة الرفع (الساعة) أجود في المعنى ، وأكثر في كلام العرب إذا جاء بعد خبر (إِنَّ) ؛ لأنه كلام مستقل بنفسه بعد مجيء الكلام الأول بتمامه . ٧

١ سورة التوبة / ٣ .

٢ يُنظَرُ : الحَجَّةُ فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ ١ / ١٣٠ ، ٣٢٦ .

٣ يُنظَرُ : الْبَحْرُ الْمَحِيطُ ٨ / ٥١ ، وَالذُّرُّ الْمَصُونُ ٩ / ٦٥٦ ، وَالتَّبْيَانُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ ٢ / ١١٥٣ ، وَإِعْرَابُ الْقُرْآنِ وَبَيَانُهُ ٩ / ١٦١ .

٤ يُنظَرُ : جَامِعُ الْبَيَانِ ٢٢ / ٨٧ .

٥ يُنظَرُ : الْمَحَرَّرُ الْوَجِيزُ ٥ / ٨٩ .

٦ يُنظَرُ : التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ٢٥ / ٣٧٢ ، وَجَامِعُ الْبَيَانِ ٢٢ / ٨٦ ، وَشَرْحُ الشَّاطِئَةِ ٢٨٥ / ٢٨٥ ، وَالحَجَّةُ فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ ١ / ٣٢٦ ، وَمَشْكَلَةُ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ ٢ / ٢٩٨ ، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ ٤ / ٤٣٥ ، وَالكَشَافُ ٤ / ٢٩٦ ، وَالكَشْفُ عَنِ وَجْهِ الْقِرَاءَاتِ ٢ / ٢٦٩ ، وَالنَّشْرُ ٢ / ٣٧٢ ، وَالجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ ١٦ / ١٧٦ ، وَالذُّرُّ الْمَصُونُ ٩ / ٦٥٦ ، وَزَادَ الْمَسِيرُ ٧ / ٣٦٦ ، وَالتَّبْيَانُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ ٢ / ١١٥٣ ، وَحَجَّةُ الْقِرَاءَاتِ ٢ / ٦٦٢ ، وَمَجْمَعُ الْبَيَانِ ٢٥ / ١٣٩ ، وَالْبَحْرُ الْمَحِيطُ ٨ / ٥١ ، وَالتَّبَصُّرَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ ٦٧٥ ، وَإِعْرَابُ الْقُرْآنِ ، لِلنَّحَّاسِ ٣ / ١٤٠ ، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ ، لِلْفَرَّاءِ ٢ / ٣٢٩ ، وَ٣ / ٤٧ ، وَإِعْرَابُ الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ وَعَلَّلَهَا ٢ / ٣١٥ ، وَغَرَائِبُ الْقُرْآنِ ٢٥ / ٧٤ ، وَالتَّذَكُّرَةُ فِي الْقِرَاءَاتِ الثَّمَانِ ٥٥٣ ، وَإِعْرَابُ الْقُرْآنِ وَبَيَانُهُ ٩ / ١٦١ .

٧ يُنظَرُ : مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ ٢٧ / ٢٣٥ .

والصحيح أن القراءتين مستفيضتان في قراءة الأمصار صحيحتا المخرج في العربية متقاربتا المعنى ، فأبتهما قرأ القارئ فمصيب .^١

وهناك قراءة شاذة : قرأ بها ابن مسعود وهي : (وَأَنَّ السَّاعَةَ لَأَرِيْبَ فِيهَا) ، حيث أضاف (أَنَّ) قبل الساعة ، وكذلك قرأ أيضا الأعمش .^٢

٢. من بين ما تطرّق له ابن عاشور من القراءات القرآنية ما كان وجه الاختلاف فيها إعرابياً، يتردّد بين العطف على اسم (إِنَّ) نصباً وموضعه، أو محله رفعاً قراءة: (وَالْبَحْرُ) من قوله ﷻ : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(٢٧) حيث ذكر ابن عاشور^٣ فيها قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة الرفع (وَالْبَحْرُ) ونسبها إلى الجمهور ، وهم ابن كثير ، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، أي عامّة قراء المدينة والكوفة، وخرّجها ابن عاشور على أنّ الجملة الاسميّة (وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ) في موضع الحال والواو والحال وهي حال من ، ما في الأرض من شجرة، أي : تلك الأشجار كائنة في حال كون البحر مداداً لها، والواو يحصل بها من الربط والاكتفاء عن الضمير لدلالاتها على المقارنة، وهذا رأي أبي حيّان .^٤

وهناك تخريج آخر لقراءة الرفع (وَالْبَحْرُ) لم يذكره ابن عاشور ، وهو العطف على (أَنَّ) وما في حيّانها . فلـ (أَنَّ) الواقعة بعد (لو) توجيهان:

١. مذهب سيبويه الرفع على الابتداء ، فيكون تقدير العطف : (وَلَوْ الْبَحْرُ) . إلاّ أنّ أبا حيّان قال : إنّه لا يلي (لو) المبتدأ اسماً صريحاً إلاّ في ضرورة ، كقول عدي بن زيد:

١ يُنظَر : جامع البيان ٢٢ / ٨٧ .

٢ يُنظَر : المحرّر الوجيز ٥ / ٨٩ .

٣ سورة لقمان / ٢٧ .

٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢١ / ١٨٣ ، وجامع البيان ٢٠ / ١٥٣ ، والكتاب ، والبحر المحيط ٧ / ١٨٦ ، وزاد المسير ٦

/ ٣٢٦ ، والمحرّر الوجيز ٤ / ٣٥٤ ، ومعالم التنزيل ٦ / ٢٩٢ .

٥ يُنظَر : الكتاب ١ / ٤٦٢ .

لو بغير الماءِ حَلَقِي شَرْقٌ كُنْتُ كَالْعَصَّانِ بِالماءِ اغْتِصَارِي
وَأَنَّ هَذَا القَوْلَ يُؤَدِّي إِلَى ذَلِكَ . ثُمَّ أَجَابَ بِأَنَّهُ يُعْتَفَرُ فِي المَعطُوفِ مَا لَا يُعْتَفَرُ فِي
المَعطُوفِ عَلَيْهِ كَقَوْلِهِمْ : (رُبَّ رَجُلٍ وَأَخِيهِ يَقُولَانِ ذَلِكَ) .^٣

٢ . مذهبُ المبرِّدِ أَنَّهُ مرفُوعٌ عَلَى الفَاعِلِيَّةِ بِفِعْلِ مَقَدَّرٍ ، وَعَلَيْهِ يَكُونُ تَقْدِيرُهُ : (وَلَوْ ثَبَّتَ
الْبَحْرُ) ، وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ يَكُونُ جَمَلَةٌ (يَمُدُّهُ) جَمَلَةٌ حَالِيَةٌ مِنَ البَحْرِ .^٤

وِيرَى الزَّمخَشَرِيُّ : أَنَّ قِرَاءَةَ الرِّفْعِ تَكُونُ عَطْفًا عَلَى مَحَلِّ (أَنَّ) وَمَعْمُولَهَا عَلَى تَقْدِيرِ : وَلَوْ
ثَبَّتَ كَوْنُ الأشْجَارِ أَقْلَامًا ، وَثَبَّتَ أَنَّ البَحْرَ مَمْدُودًا بِسَبْعَةِ أَمْجَرٍ . وَعَلَّقَ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ أَبُو
حَيَّانَ قَائِلًا : أَنَّ هَذَا لَا يَتِمُّ إِلَّا عَلَى رَأْيِ المَبْرِّدِ ، حَيْثُ إِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ (أَنَّ) فِي مَوْضِعِ رِفْعِ عَلَى
الْفَاعِلِيَّةِ . وَذَكَرَ أَبُو حَيَّانَ أَيْضًا عَنْ بَعْضِ النُّحَوِيِّينَ : أَنَّهُ عَطَفَ عَلَى (أَنَّ) ؛ لِأَنَّهَا فِي مَوْضِعِ
رِفْعٍ بِالابتداءِ ، وَأَنَّهُ لَا يَتِمُّ إِلَّا عَلَى رَأْيِ مَنْ يَقُولُ : إِنَّ (أَنَّ) بَعْدَ (لَوْ) فِي مَوْضِعِ رِفْعِ عَلَى
الابتداءِ ، وَ (لَوْ) لَا يَلِيهَا المَبْتَدَأُ اسْمًا صَرِيحًا إِلَّا فِي ضَرُورَةٍ شَعَرَ ، نَحْوَ قَوْلِهِ :

لَوْ بَغَيْرِ المَاءِ حَلَقِي شَرْقٌ كُنْتُ كَالْعَصَّانِ بِالماءِ اغْتِصَارِي

^١ يُنظَرُ : البَحْرُ المَحِيطُ ٧ / ١٨٦ .

^٢ البَيْتُ لَعَدِي بنِ زَيْدٍ مِنْ قَصْبِدَةَ لَهُ مِنْ بَحْرِ الرَّمْلِ :

يَقُولُ فِي مَطْلَعِهَا : أَبْلِغِ النُّعْمَانَ عَنِّي مَأْلَكًا إِنِّي قَدْ طَالَ حَبْسِي وَإِنْتِظَارِي

ثُمَّ جَاءَ بِهَذَا البَيْتِ : لَوْ بَغَيْرِ المَاءِ حَلَقِي شَرْقٌ كُنْتُ كَالْعَصَّانِ بِالماءِ اغْتِصَارِي

يُنظَرُ : دِيوانُهُ / ٩٣ ، وَالكِتَابُ ١ / ٤٦٢ ، وَخِزانَةُ الأَدَبِ ٣ / ٥٩٤ ، وَهَمْعُ المَوَامِعِ ٢ / ٦٦ ، وَالدَّررُ ٢ / ٨١ .

^٣ يُنظَرُ : الدَّر المَصُونُ ٩ / ٦٨ ، وَالبَحْرُ المَحِيطُ ٧ / ١٨٦ .

^٤ يُنظَرُ : الدَّر المَصُونُ ٩ / ٦٨ ، وَالبَحْرُ المَحِيطُ ٧ / ١٨٦ ، وَالمَقْتَضِبُ ٣ / ٧٧ ، وَالكَامِلُ ٣ / ١٤٠ ، وَشَرَحَ الأَبْيَاتِ المَشْكَلَةَ ، لِلْفَارِسِيِّ / ٥٨٢ .

^٥ يُنظَرُ : الكَشَّافُ ٣ / ٥٠٧ .

^٦ يُنظَرُ : البَحْرُ المَحِيطُ ٧ / ١٨٦ ، وَالمَحْرَزُ الوَجِيزُ ٤ / ٣٥٤ .

^٧ سَبَقَ تَخْرِيجُهُ .

فإذا عطف (والبحر) على أن ومعموليهما - وهما رفع بالابتداء - لزم من ذلك أن (لو) يليها الاسم مبتدأ ، إذ يصير التقدير : ولو البحر ، وذلك لا يجوز إلا في الضرورة ، إلا أنه قد يُقال : إنه يجوز في المعطوف عليه نحو : (رَبِّ رَجُلٍ وَأَخِيهِ يَقُولَانِ ذَلِكَ) .
والقراءة الثانية : قراءة النصب (والبَحْر) ونسبها إلى أبي عمرو ، ويعقوب ، وهم قراء البصرة عطفاً على اسم (إن) (ما) . وقرأ بها أيضاً ابن أبي إسحاق ، وعيسى .
فَقِرَاءَةُ النَّصْبِ تُخَرِّجُ أَيْضاً عَلَى وَجْهَيْنِ :

الوجه الأول : العطف على اسم (أن) أي : (ولو أن البحر) ، و (يَمُدُّهُ) الخبرُ .
الوجه الثاني : النصبُ بفعلٍ مضمِرٍ يُقَسِّرُهُ (يَمُدُّهُ) والواوُ حينئذٍ للحال . والجملةُ حالِيَّةٌ ، ولم يُخْتَجْ إلى ضميرٍ رابطٍ بين الحالِ وصاحبِها ، للاستغناء عنه بالواوِ . والتقديرُ : ولو أن الذي في الأرضِ حالِ كونِ البحرِ ممدوداً بكذا .

والصحيح أن القراءتين مستفيضتان في قراءة الأمصار صحيحتنا المخرج في العربية متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب . وذكر ابن الجوزي عن الزجاج : أن الرفع حسن على معنى : والبحرُ هذه حاله .

وهناك قراءة ثالثة شاذة لم يذكرها ابن عاشور ، قرأ بها عبد الله ابن مسعود (وبَحْرٌ) بالتنكير بالرفع ، والواو للحال ، أو للعطف على ما تقدم ؛ وإن كان الواو واو الحال ، كان بحر ، وهو نكرة ، مبتدأ ، وقد سَوَّغَ الابتداءَ بها وهي نكرة وقوعُها بعد واو الحال ، وهو معدودٌ من مسوغات الابتداء بالنكرة . وأنشدوا :

^١ يُنظَرُ : البحر المحيط ٧ / ١٨٦ ، والدُّرُّ المصون ٩ / ٦٦ - ٦٧ .

^٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢١ / ١٨٣ ، وجامع البيان ٢٠ / ١٥٣ ، ومعالم التنزيل ٦ / ٢٩٢ ، والمحرر الوجيز ٤ / ٣٥٤ ، والسبعة في القراءات ٥١٣ / ٢ ، والنشر ٢ / ٣٤٧ ، ٧ / ١٩١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٤ / ٧٧ ، والتيسير ١٧٧ / ١٧٧ .

^٣ يُنظَرُ : الدر المصون ٩ / ٦٦ ، ونظم الدرر ٦ / ٣٠ .

^٤ يُنظَرُ : جامع البيان ٢٠ / ١٥٣ .

^٥ يُنظَرُ : زاد المسير ٦ / ٣٢٦ .

^٦ لم أعرف قائله .

سَرِينَا وَنَجْمٌ قَدْ أَضَاءَ فَمُذْ بَدَا مُحْيَاكَ أَحْفَى ضَوْؤُهُ كَلَّ شَارِقِ
 وبهذا يظهرُ فسادُ قولِ مَنْ قال : إِنَّ في هذه القراءةِ يتعيَّنُ القولُ بالعطفِ على (أَنْ) ، كأنه
 تَوَهَّمُ أنه ليس ثمَّ مُسَوِّغٌ .

٢

٧. اسم (إِنَّ) بين الرَّفْعِ والنَّصْبِ

من القراءات القرآنيَّة التي طرفها ابن عاشور ما كان وجه الاختلاف فيها إعرابياً، يتردَّد
 في اسم (إِنَّ) بين الرَّفْعِ والنَّصْبِ، ومنها قراءة: (هَذَا) من قوله ﷺ : ﴿ قَالُوا إِنَّ هَذَا ن
 لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ﴾ فقد وردت في
 قراءة ((إِنَّ هَذَا)) القراءات التالية :

القراءة الأولى : ((إِنَّ هَذَا)) بتخفيف (إِنَّ) ، والألفِ ، وتشديدِ نون (هَذَا) ،
 قرأ بها ابن كثير ، ونسبها ابن خالويه إلى حفصٍ أيضاً ، ولم يُذكرها أحدٌ غيره، ولم يصح سندها
 إليه .

^١ يُنظَر : مغني اللبيب / ٤٢٣ ، و الدرر اللوامع / ٧٦/١ ، والجدول في إعراب القرآن / ١٢ / ٣١٣ ، و إعراب القرآن وبيانه
 / ٤٠١ ، و الدر المصون / ١ / ٩٦١ ، واللباب في علوم الكتاب / ٥ / ٦١٣ ، ٤٦٠/١٥ ، وإرشاد العقل السليم
 / ٢ / ١٠١ ، والبحر المحيط / ٣ / ٩٥ ، والسراج المنير / ١ / ٢٠٨ ، وروح المعاني / ٤ / ٩٤ ، ١٠٠/٢١ ،
 إعراب القرآن ، لابن سيده / ٧ / ١٦٤ ، وجمع الهوامع / ١ / ٣٨٣ ، ومعجم القواعد العربية / ٢٥ / ١٦٦ ، ومغني اللبيب
 / ٦١٣ ، والفصول المفيدة في الواو المزيدة / ١٦٥ ، والمذكرات النحوية / ١ / ١٧٦ ، والواو المزيدة / ١٦٥ ، وجامع
 الدروس العربية / ١ / ٥٧ ، وحاشية الخضري على ابن عقيل / ٣ / ٩٢ ، ودليل السالك إلى ألفية ابن مالك / ٣١١
 ، وشرح ابن عقيل / ١ / ٢٢١ .

^٢ يُنظَر : الكشاف / ٣ / ٥٠٧ ، والبحر المحيط / ٧ / ١٨٦ ، و الدر المصون / ٩ / ٦٩ - ٧٠ .
^٣ سورة طه / ٦٣ .

^٤ يُنظَر : إعراب القراءات السبع وعللها / ٢ / ٣٩ .

^٥ يُنظَر : الكشف عن وجوه القراءات / ٢ / ١٠٠ ، والسبعة في القراءات / ٣١٩ ، والنشر / ٢ / ٣٢١ ، والمحرَّر الوجيز / ١٠ / ٤٧ -
 ٤٨ ، وإعراب القراءات السبع وعللها / ٢ / ٣٩ ، والتبيين في إعراب القرآن / ٢ / ٨٩٥ ، وحاشية الشهاب / ٦ / ٢١٢ ، وغرائب

القراءة الثانية : ((إِنْ هَذَا)) بتخفيف (إِنْ) ، والألفِ ، وتَخْفِيفِ نونِ (هَذَا) ،
قرأ بها حفص عن عاصم ، وقرأها أيضاً أبو بجرية ، وأبو حيوة ، والزهري ، وابن مُحَيْصِن ، وحميد
، وابن سعدان ، وإسماعيل بن قسطنطين ، والخليل بن أحمد ، والمفضل ، وأبان ، والأخفش ،
وهذه القراءة سلمت من مخالفة المصحف ومن فساد الإعراب ، ويكون معناها ما هذان إلاً
ساحران ، وهذا رأي الكوفيين . وقال أبو حيان : إِنْ (إِنْ) مَخْفَفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ ، و (هَذَا)
مبتدأ ، و (لساحران) الخبر ، وجاءت اللام للتفريق بين (إِنْ) النافية ، و (إِنْ) المَخْفَفَةُ مِنَ
الثقيلة ، وذلك على رأي البصريين .^١

القراءة الثالثة : ((إِنْ هَذَا)) بتشديد (إِنْ) ، وبالياء وتَخْفِيفِ نونِ (هَذَا) ، قرأ
بها أبو عمرو ، ورويت أيضاً عن عثمان ، وعائشة رضي الله عنهما وغيرهما من الصحابة ؛
وكذلك قرأ الحسن ، وسعيد بن جبير ، وإبراهيم النَّخَعِي ، وغيرهم من التابعين ؛ ومن القُرَّاء
عيسى بن عمر ، وعاصم الجَحْدَرِي ؛ فيما ذكر النحاس . وهذه القراءة موافقة للإعراب مخالفة
لخط المصحف .^٤

القرآن ١٢٣/١٦، والجامع لأحكام القرآن ٢١٦/١١، والحجّة في القراءات السبع ٢٤٢/٢، ومعاني القرآن، للقراء
١٨٣/٢، وحجّة القراءات/٤٥٤، والتذكرة في القراءات الثمان/٤٣٢، والتلخيص/٣٢٨.

^١ يُنظَر : جامع البيان ١٣٧/١٦ ، والسبعة في القراءات ٤١٩/١ ، والنشر ٣٢١/٢ ، الكشّاف ٣٠٦/٢ ، والبحر ٢٥٥/٦
، وإتحاف فضلاء البشر ٢٤٨/٢ ، و الجامع لأحكام القرآن ٢١٦/١١ ، والكشف عن وجوه القراءات ٩٩/٢ ،
ومعاني القرآن وإعرابه ٣٦١/٣ ، ومعاني القرآن ، للقرّاء ١٨٣/٢ ، والحجّة في القراءات السبع ٣٤٢/٣ ، وحجّة
القراءات /٤٥٤ ، ومشكل إعراب القرآن ٦٩/٢ - ٧٠ ، وإعراب القرآن ، للنحاس ٣٤٣/٢ ، والتيسير ١٥١/١ ،
والنكت والعيون ٤١٠/٣ ، وتأويل مشكل القرآن /٥٢ ، والتذكرة في القراءات الثمان /٤٣٢ ، ومعجم القراءات ،
للخطيب ٤٤٨/٥ .

^٢ يُنظَر : زاد المسير ٢٩٧/٥ ، ومفاتيح الغيب ٧٤/٢٢ .

^٣ يُنظَر : إعراب القرآن ٤٣/٣ .

^٤ يُنظَر : الكشف عن وجوه القراءات ١٠٠/٢ ، والنشر ٣٢١/٢ ، والمحزّر الوجيز ٤٧/١٠ - ٤٨ ، وإعراب القراءات
السبع وعللها ٣٩/٢ ، والتبيان في إعراب القرآن ٨٩٥/٢ ، وحاشية الشهاب ٢١٢/٦ ، وغرائب القرآن
١٢٣/١٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢١٦/١١ ، والحجّة في القراءات السبع ٢٤٢/٢ ، ومعاني القرآن ، للقرّاء

القراءة الرَّابِعة : ((إِنَّ هَذَا)) بتشديد (إِنَّ) ، والألفِ ، وتَخْفِيفِ نونِ (هَذَا) ، قرأ بها نافع ، وابن عامر ، وأبوبكر ، والأخوان ، وأبوجعفر ، ويعقوب ، وخلف ، فوافقوا المصحف وخالفوا الإعراب .^١

وذكر ابن عاشور تلك القراءات ، حيث تحدّث عن قراءة الرفع (هَذَا) بإثبات الألف ، ونسبها إلى جميع القراء . مشدّدة أو مخفّفة ، وأنّ أكثر مشهوري القراءات المتواترة قرأوا بتشديد نون (إِنَّ) ، ما عدا ابن كثير ، وحفصاً عن عاصم ، فهما قرءا (إِنَّ) بإسكان النون على أنّها مخفّفة من الثقيلة .^٢

ثمّ تحدّث عن القراءة الرابعة : ((إِنَّ هَذَا لَسَجْرَيْنِ)) بتشديد (إِنَّ) ، والألفِ ، وتَخْفِيفِ نونِ (هَذَا) ، التي قرأ بها نافع ، وابن عامر ، وأبوبكر ، والأخوان ، وأبوجعفر ، ويعقوب ، وخلف ، وهم قرءا أهل المدينة والكوفة ، وذكر أنّ للمفسرين في توجيه هذه القراءة آراء بلغت الستة ، ذكر منها رأيين ، هما :

الرأي الأوّل : ووسمه بأنّه أظهرها ، وهو أن تكون (إِنَّ) حرف جواب بمعنى : (نَعَمْ ، وَأَجَلٌ) ، و (هَذَا) مبتدأ ، و (لَسَجْرَيْنِ) خبره ، وهو استعمال من استعمالات (إِنَّ) كَثْرَ وروؤه ، أي اتبعوا لما استقرّ عليه أمرهم بعد النجوى ، ودلّل على ذلك بقول الشاعر عبيد الله بن قيس الرقيّات :

١٨٣/٢ ، وحجّة القراءات / ٤٥٤ ، والسبعة في القراءات / ٣١٩ ، والنكت والعيون / ٤١٠/٣ ، والتذكرة في القراءات الثمان / ٤٣٢ ، والتلخيص / ٣٢٨ .

^١ يُنظَر : جامع البيان / ١٣٦/١٦ - ١٣٧ ، والسبعة في القراءات / ٤١٩ ، والجامع لأحكام القرآن / ٢١٦/١١ ، والنكت والعيون / ٤١٠/٣ ، وإعراب القرآن ، للنحاس / ٣٤٣/٢ ، والنشر / ٣٢١/٢ ، وحاشية الشهاب / ٢١٢/٦ ، ومشكل إعراب القرآن / ٦٩/٢ ، والكشاف / ٣٠٦/٢ ، ومعاني القرآن ، للأخفش / ٤٠٨/٢ ، ومعاني القرآن ، للقرّاء / ١٠٦/١ ، و١٨٣/٢ ، شرح الكافية الشافية ، ابن مالك : محمد بن عبد الله ، (٦٧٢ هـ) ، تحقيق : عبد المنعم أحمد هريدي ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ط ١ ، (د.ت) / ١٨٨ ، والكشف عن وجوه القراءات / ٩٩/٢ ، وهمع الهوامع / ١٣٣/١ ، ١٨٠/٢ ، والجني الداني / ٣٩٨ ، وحاشية الجمل / ٩٩/٣ ، وتأويل مشكل القرآن / ٢٥ ، ٥٠ ، وإعراب القراءات السبع ، وعللها / ٣٧/٢ .

^٢ يُنظَر : التحرير والتنوير / ١٦ / ٢٥١ - ٢٥٢ .

بَكَرَ الْعَوَاذِلُ فِي الْمَشْيُوبِ يُلْمُ نَبِيَّ وَأَلْوَمُهُ نَنَّهُ
وَيَقْلُن شَيْبٌ قَدْ عَـلَاكَ وَقَدْ كَبِرَتْ فَقَلْتُ إِنَّهُ

أي أجل أو نعم ، والهاء في البيت هاء السكّت ، وبقول عبد الله بن الزبير لأعرابي
استجده فلم يعطه ، فقال الأعرابي : لَعَنَ اللَّهُ نَاقَةَ حَمَلْتَنِي إِلَيْكَ . قال ابن الزبير : ((إِنَّ
وَرَاكِبَهَا)) ، أي نعم أَنَّ اللَّهَ لَعَنَ النَّاقَةَ وَرَاكِبَهَا . وهذا التوجيه من مبتكرات أبي إسحاق الزجاج
ذكره في تفسيره . وقال : عرضته على عالمنا وشيخينا وأستاذينا محمد بن يزيد (يعني المبرّد)،
وإسماعيل بن إسحاق بن حمّاد (يعني القاضي الشهير) فقبلاه ، وذكرنا أنّه أجود ما سمعاه في
هذا . وقلت : لقد صدقا وحقّقا، وما أورده ابن جنيّ عليه من الرّد فيه نظر .^٤

وعلى هذا التوجيه يكون قوله تعالى : (إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) حكايةً لمقال فريق من
المتنازعين ، وهو الفريق الذي قبل هذا الرأي ؛ لأنّ حرف الجواب يقتضي كلاماً سبقه .
ودخلت اللام على الخبر : إمّا على تقدير كون الخبر جملة حذف مبتدأها ، وهو
مدخول اللام في التقدير ، ووجود اللام ينبئ بأنّ الجملة التي وقعت خبراً عن اسم الإشارة جملة
قسَمِيَّة؛ وإمّا على رأي من يجيز دخول اللام على خبر المبتدأ في غير الضرورة .
وقد اعترض بعضهم على هذا التخريج من وجهين :

^١ يُنظَر : ديوانه /٦٦ ، وشرح أبيات سيبويه ٣٧٥/٢ ، وشرح المغني ١/١٢٦ ، ولسان العرب (أنن) ، والأزهيّة في علم
الحروف ، لعلي بن محمّد النحوي الهروي (٤١٥هـ) ، مطبوعات مجمّع اللّغة العربيّة بدمشق ، تحقيق عبد المعين
المللحي ط ٤ ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م /٢٥٨ ، والأغانى ٤/٢٩٦ ، وخزانة الأدب ١١/٢١٦ ، ٢١٧ ، وجمهرة اللّغة
٦١/ ، وسمط اللّالي ٩٣٩/ ، والكتاب ٣/١٥١ ، واللمع في العربية ، ابن جني : أبو الفتح : عثمان ، (٣٩٢هـ) ، تحقيق :
حامد المؤمن بيروت ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربيّة ط ٤ ١٩٨٥ م /١٢٦ ، وشرح المفصّل ٣/١٣٠ ، ٦/٨ ،
٧٨ ، ١٢٥ ، والدُّرّ المصون ٢/٥٧٣ ، اللّباب في علوم الكتاب ٧/٤٤٣ .

^٢ يُنظَر : أساس البلاغة ١/٣٧ ، تاج العروس (زبر) ١١/٤٠٣ ، وهمع الهوامع ١/٥١٠ ، وحروف المعاني ٥٦/ ، وشرح
الكافية ، للرّضي ٤/٤٣١ ، والمحيط في اللّغة ٢/٤٧٩ ، و ، ومغني اللبيب ٥٧/ .

^٣ نقل هذا عن المبرّد الزجاج في معاني القرآن ٣/٣٦٣ .

^٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٦ /٢٥٢ ، والدُّرّ المصون ٨ / ٦٦ .

^٥ يُنظَر : الدر المصون ٨ / ٦٦ .

أحدهما : أنه زعم عدم ثبوتِ (إِنَّ) بمعنى نعم ، وأنَّ ما ذكر من تفسير لَهْذِينَ
الشاهدين السابقين مُؤَوَّلٌ : أمَّا البيئُ فَإِنَّ الهَاءَ اسْمُهَا ، والخَيْرُ محذوفٌ لفهم المعنى وأنَّ تقديرُهُ:
إِنَّه كذلك . وأمَّا قولُ ابنِ الزبيرِ فعَدَّهُ مِنْ حَذْفِ المعطوفِ عليه وإبقاءِ المعطوفِ وحذفِ خبرِ
(إِنَّ) للدلالةِ عليه ، وأنَّ تقديره : إِنَّهَا وصاحبها ملعونان .

الثاني : أنَّ دخولَ اللامِ على خبرِ المبتدأ غيرِ المؤكِّدِ بـ (إِنَّ) المكسورة لا يقعُ إلاَّ ضرورةً ،
كقولِ رؤبة بنِ العجاج :

أُمُّ الحَلِّيسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَةٌ تَرْضَى مِنَ اللحمِ بَعْظِمَ الرَّقَبَةِ
ويُجابُ عنه : بأنَّ (لَساحِرانِ) يجوزُ أَنْ يكونَ خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ دَخَلَتْ عليه هذه
اللامُ تقديرُهُ : لهما ساحران . وقد فعل ذلك الزجاج كما ستأتي حكايته عنه .
وهذه الاعتراضات فيها من التكلف مافيها ، وتخرِج ابن عاشور هو الأرجح ؛ لموافقتِه
للمعنى .

الرأي الثاني : جعلوا (إِنَّ) حرفَ توكيدٍ ونصب ، و (هذان) اسمُها ، و(لَساحِرانِ)
خبرُها ، وأنَّ إعرابِ اسمِها المثنى جَرى على لغة (كنانة وبنو الحارث بن كعب وبنو الهُجَيم وبنو
العنبر وزُبَيد وعُدرة ومُراد وحَثَم) الذين يجعلون علامة إعرابِ المثنى الألفَ في أحوالِ الإعرابِ
كلِّها ، وهي لغة مشهورة في الأدب العربي ، وحكى هذه اللغة الأئمة الكبارُ كأبي الحَطَّاب ،
وأبي زيد الأنصاري ، والكسائي . وقال أبو زيد : إِنَّه سَمِعَ من العربِ مَنْ يَقْلِبُ كلَّ ياءٍ يفتح ما

^١ وهو الوجه الثاني الذي يرد على تخرِج المبرد السابق

^٢ يُنظَر : ديوانه / ١٧٠ ، وشرح المفضَّل ٣ / ١٣٠ ، ولسان العرب (شهرت) ، وهمع الهوامع ١ / ١٤٠ ، والدرر ١ / ١١٧ .
والشهرية : الكبيرة .

^٣ يُنظَر : معاني القرآن ٣ / ٣٦٣ ، قال : ((وقوع اللام في الخبر جائز ، والمعنى : لأم الحليس عجوز)) .

^٤ يُنظَر : الدر المصون ٨ / ٦٦ .

^٥ من أوجه تخرِج قراءة الجمهور ((إِنَّ هذان)) ، وهو الرأي الثاني الذي ذكره ابن عاشور .

قبلها ألفاً ، ويجعلون المثني كالمقصور فيُثَبِّتون له ألفاً في جميع أحواله ، ويُقَدِّرون إعرابه بالحركات ، ولها شواهد كثيرة منها قول المتلمس :

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ يَرَى مَسَاغاً لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا
أي : لنابئيه . وقول أبي النجم :

إِنَّ أَبَاهُ وَأَبَا أَبَاهُ قَدْ بَلَغَا فِي الْمَجْدِ غَايَتَاهَا
أي : غايتيهما ، إلى غير ذلك من الشواهد .
٤

الرأي الثالث : أن اسمها ضميرُ القصة وهو (ها) التي قبل (دان) وليست بـ (ها) التي للتنبية الداخلة على أسماء الإشارة ، والتقدير : إنَّ القصةَ دانٍ لساحران . وقد رُذِّ هذا التوجيه من وجهين ، أحدهما : من جهة الخطِّ ، وهو أنه لو كان كذلك لكان ينبغي أن تُكْتَبَ (إِهَّا) فيصلوا الضميرَ بالحرفِ قبله كقوله تعالى : ((فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ)) فكتبتهم إيها مفصولةً من (إنَّ) متصلةً باسم الإشارة يمنع كونها ضميراً ، وهو واضح . الثاني : أنه يؤدي إلى دخول لام الابتداء في الخبر غير المنسوخ . وقد يُجاب عنه بما تقدّم .
٧

الرأي الرابع : أن اسمها ضميرُ الشأنِ محذوفٌ ، والجملةُ من المبتدأ والخبر بعده في محلِّ رفعٍ خبراً لـ (إنَّ) ، التقديرُ : إنَّه ، أي : الأمرُ والشأنُ . وقد ضَعَّفَ هذا بوجهين ، أحدهما : حَذْفُ اسمِ (إنَّ) ، وهو غيرُ جائزٍ إلا في شعرٍ ، بشرطِ أن لا تباشِرَ (إنَّ) فعلاً كقول الأخطل :

^١ يُنظَرُ : النُّوادر في اللغة، أبو زيد: سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري، (٢١٥هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت ط ٤
١٩٦٧م / ٥٨ .

^٢ يُنظَرُ : ديوانه / ٢ ، وشرح المفصل ١٢٨/٣ ، وشرح الأشموني ٧٩/١ ، والنكت والعيون ١٩/٣ .

^٣ يُنظَرُ : وشرح المفصل ٥١/١ ، وخزانة الأدب ٣٣٧/٣ ، والتصريح ٦٥/١ ، وجمع الهوامع ٣٩/١ ، والدرر اللوامع ١٢/١ .

^٤ يُنظَرُ : شرح المفصل ١٢٨/٣ ، والدر المصون ٦٨/٨ - ٦٩ .

^٥ من أوجه تخريج قراءة الجمهور ((إنَّ هذانِ)) ، وهو رأي أشار إليه ابن عاشور ، ولم يذكره .

^٦ سورة الحج / من آية ٤٦ .

^٧ يُنظَرُ : الدر المصون ٨ / ٦٦ .

^٨ من أوجه تخريج قراءة الجمهور ((إنَّ هذانِ)) ، وهو رأي أشار إليه ابن عاشور ، ولم يذكره .

إِنَّ مَنْ يَدْخُلُ الْكَنِيسَةَ يَوْمًا يَلْقَ فِيهَا جَاذِرًا وَظَبَاءً
والوجه الثاني : دخول اللام في الخبر . وقد أجاب الزجاج بأنها داخلة على مبتدأ

٣

محذوفٍ تقديره : لهما ساحران . وهذا قد استحسنته شيخه المبرد ، أعني جوابه بذلك .
الرأي الخامس ، والسادس : وهو رأي الفراء حيث إنه يعُدُّ الألف دعامة ، وليست بلام
الفاعل ، وقال : زدت عليها نوناً ولم أغيرها ، كما قلت الذي ، ثم زدتها عليها نوناً فقلت :
جاءني الذين عندك ، ورأيت الذين عندك ، وقال النَّحَّاس : إنه قيل شَبَّهت الألف في قولك (هذان)
بالألف في (يفعلان) فلم تغيّر ، قال أبو إسحاق : إنَّ النحويين القدماء يقولون الهاء
ههنا مضمرة ، والمعنى : إنه هذان لساحران . ثم قال النَّحَّاس : سألت أبا الحسن بن كيسان عن
هذه الآية ، فقال : إن شئت أحببتك بجواب النحويين ، وإن شئت أحببتك بقولي ، فقلت :
بقولك ، فقال : سألتني إسماعيل بن إسحاق عنها فقلت : القول عندي أنه لما كان يُقال (هذا

^١ حُجِّجَ هذا البيت على أنَّ اسم (إنَّ) ضمير شأن ، والجملة الشرطية بعدها خبرها ، وإنما لم يجعل (مَنْ) اسمها لأنها
شرطية بدليل جزمها الفعلين ، والشرط له الصدر في جملته ، فلا يعمل فيه ما قبله ، وقد كثر فيها حذف ضمير
الشأن . ومنه حديث : ((إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوَّرُونَ)) ، وليست (مِنْ) زائدة في اسم (إنَّ)
خلافاً للكسائي ، ولا تدخل على خبر طلبي ولا إنشائي ، وأمّا نحو : ((إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ)) (النساء/ ٥٨) ،
و ((إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) (التوبة / ٩) ، فهو إما على تقدير القول كقوله : ((إِنَّ الَّذِينَ قَتَلْتُمْ أَمْسِ
سَيِّدُهُمْ لَا تَحْسَبُوا لِيَلَهُمْ عَنْ لِيَلِكُمْ نَامًا)) ، أو على استعمال نعم وشبهها خبراً لا لإنشاء ، واستثنى في مغني
اللبيب (أنَّ) المفتوحة المخففة ، فيكون خبرها جملة دعائية كقراءة : ((أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا)) ، بسكون النون .
وغضب كفرح ، وقولهم : (أما إن جزاك الله خيراً) . يُنظَرُ: خزانة الأدب ١/٤٣٥ ، ٤٠٤/٥ ، ٤٧٤/١٠ ، والجامع
لأحكام القرآن ١١/٢٢٦ ، وحاشية الخضري على ابن عقيل ١/٢٩٤ ، والدُرُّ المصون ٨/٦٦ - ٦٧ ، واللباب في
علوم الكتاب ٥/٤٨٧ ، واللباب في علوم الكتاب ٩/٥١٧ ، ١٣/٢٩٨ ، والمحَرَّرُ الوجيز ٢/٦٠٩ ، وروح المعاني
١٦/٢٢٢ ، والحلل في شرح أبيات الجمل / ٥٢ ، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه ١/٢٠٤ ، وحياة الحيوان
الكبرى ١/٢٢١ ، وسمط اللآلي / ٦٧ ، ومع الهوامع ١/٤٩٧ ، ومغني اللبيب / ٥٦ ، ٧٦٧ ، وشرح الكافية ،
للرُّضِيِّ ، تعليق: يوسف حسن عمر ، جامعة قازيونس ، بنغازي ط ١ ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ١ / ٢٧١ ، ٤٦٨/٢ ،
٣٧٦ ، ١٥٧/٤ .

^٢ يُنظَرُ: معاني القرآن ٣/٣٦٣ .

^٣ يُنظَرُ: الدر المصون ٨ / ٦٦ - ٦٧ .

^٤ من أوجه تخريج قراءة الجمهور ((إنَّ هذان)) ، وهو رأي أشار إليه ابن عاشور ، ولم يذكره .

(في موضع الرفع والنصب والخفض على حال واحدة ، وكانت التشنية يجب أن لا يغيّر لها الواحد ، أجريت التشنية مجرى الواحد ، فقال : ما أحسن هذا لو تقدّمك بالقول به حتى يؤنس به ، فقلت : فيقول القاضي به حتى يؤنس به ، فتبسم . قال النَّحَّاسُ : القول الأوّل أحسن ، إلاّ أنّ فيه شيئاً ؛ لأنّه إنّما قال : إنّما يُقال نعم زيد خارج ، ولا يكاد يقع اللام هنا ، وإن كان النحويون قد تكلموا في ذلك فقالوا اللام ينوي بها التقديم ، وقال أبو إسحاق المعنى : إنّ هذان لهما ساحران ، ثمّ حذف المبتدأ كما قال رؤبة بن العجاج :

(أُمُّ الْخَلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَةٌ) تَرْضَى مِنَ اللَّحْمِ بَعْضَ الرَّقَبَةِ

والقول الثاني من أحسن ما حملت عليه الآية إذ كانت هذه اللغة معروفة ، وقد حكاها من يرتضى علمه وصدقه وأمانته ، منهم : أبو زيد الأنصاري وهو الذي يقول إذا قال سيبويه : حدثني من أثق به ، فإنّما يعنيني ، وأبو الخطاب الأخفش وهو رئيس من رؤساء أهل اللغة روى عنه سيبويه وغيره ، ومن بين ما في هذا قول سيبويه ، واعلم أنّك إذا ثنيت الواحد زدت عليه زائدتين ؛ الأولى منهما حرف مد ولين وهو حرف الإعراب ، قال النَّحَّاسُ : فقول سيبويه وهو حرف الإعراب ، يوجب أن الأصل أن لا يتغيّر إنّ هذان جاء على أصله؛ ليعلم ذلك وقد قال الله جل وعز : ((استحوذ عليهم الشيطان)) ولم يقل استحاذا ، فجاء على هذا ليدلّ على الأصل ، إذ كان الأئمة قد رووها ، وتبيّن أنّها الأصل ، وهذا بيّن جداً .^٢

ثمّ تحدّث ابن عاشور عن القراءة الثالثة : قراءة النصب (إنّ هذَينِ) بتشديد نون (إنّ) ، وبالياء بعد ذال هذين ، ونسبها إلى أبي عمرو من العشرة ، والحسن البصري من الأربعة عشر، ثمّ نقل عن القرطبي: أنّها مخالفة للمصحف. ثمّ علق ابن عاشور على قوله: بأنّ ذلك لا يطعن في هذه الرواية ؛ لأنّها رواية صحيحة ، وافقت وجهاً مقبولاً في العربيّة. وأنّ المصحف الإمام ما رسموه إلاّ اتّباعاً لأشهر القراءات المسموعة المروية من زمن النبي ﷺ وقراء أصحابه ، فإنّ حفظ القرآن في صدور القراء أقدم من كتابته في المصاحف ، وما كتب في أصول المصاحف إلاّ

^١ سبق تخريجه. يُنظَر : ص / ٥٠٢ من نفس البحث.

^٢ يُنظَر : إعراب القرآن ، للنحّاس ٣ / ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ .

من حفظ الكاتين ، وما كُتب المصحف الإمام إلا من مجموع محفوظ الحفظ ، وما كتبه كُتاب
الوحي في مدّة نزول الوحي .^١

ثمّ تحدّث عن القراءة الأولى : قراءة (إن هَذَا) بإسكان نون (إن) على أنّها مخففة
من الثقيلة ، وبإثبات الألف في (هذان) وبتشديد نون (هاذان) ، ونسبها إلى ابن كثير .
ثمّ تحدّث عن القراءة الثانية: في (إن) بكسر الهمزة وتخفيف نون (إن) مسكّنة على أنّها
مخففة (إن) المشدّدة. ووجّه ذلك أن يكون اسم (إن) المخففة ضمير شأن محذوفاً على المشهور.
وتكون اللّام في (لساحران) اللّام الفارقة بين (إن) المخففة وبين (إن) النافية .^٢

ثمّ عدّ نزول القرآن بهذه الوجوه الفصيحة في الاستعمال ضرب من ضروب إعجازه؛
لتجري تراكيبه على أفانين مختلفة المعاني متّحدة المقصود . وأنّه لا التفات إلى ما روي من ادّعاء
أنّ كتابة (إن هاذان) خطأ من كاتب المصحف ، وروايتهم ذلك عن أبان بن عثمان بن عفّان
عن أبيه ، وعن عروة بن الزبير عن عائشة ، وليس في ذلك سند صحيح. حسبوا أنّ المسلمين
أخذوا قراءة القرآن من المصاحف وهذا تغلّل ، فإنّ المصحف ما كتب إلا بعد أن قرأ المسلمون
القرآن نيّفاً وعشرين سنة في أقطار الإسلام ، وما كتبت المصاحف إلا من حفظ الحقاظ ، وما
أخذ المسلمون القرآن إلا من أفواه حُقاظه قبل أن تكتب المصاحف وبعد ذلك إلى اليوم، فلو
كان في بعضها خطأ في الخطّ لما تبعه القرّاء، ولكان بمنزلة ما تُرك من الألفات في كلمات كثيرة
، وبمنزلة كتابة ألف الصلاة ، والزكاة، والحياة، والرّبا بالواو في موضع الألف وما قرأوها إلا
بألفاتها .^٣

ويمكن أن نقف وقفةً أمام هذه الشبهة التي تتعلّق بهذه الآثار الواردة عن بعض الصحابة
، فنقول :

^١ يُنظر : التحرير والتنوير ١٦ / ٢٥١ - ٢٥٢ .

^٢ يُنظر : التحرير والتنوير ١٦ / ٢٥٤ .

^٣ يُنظر : المصدر السّابق .

^٤ يُنظر : المصدر السّابق .

١. إنَّ إسناده الأثر الذي نقل عن طريق عائشة -رضى الله عنها - جاء في الإتيان: إنه إسناده صحيح على شرط الشيخين . وفي هذا الحكم نظر حيث إنَّ أبا عبيد رواه عن أبي معاوية الضرير ، واسمه : محمد بن خازم التميمي . وثق العلماء حديثه عن الأعمش ، فقال وكيع : ما أدركنا أحداً كان أعلم بأحاديث الأعمش من أبي معاوية . وكذا قال ابن معين وغيره ، لكنهم عابوا أحاديثه عن غير الأعمش ، وقالوا : إنَّها مضطربة ، فقال ابن خراش : هو في الأعمش ثقة وفي غيره فيه اضطراب . وقد صرح الإمام أحمد بأنَّ أحاديثه عن هشام بن عروة بالذات فيها اضطراب ، واعتمد البخاري روايته عن الأعمش واحتج بها ، وأمَّا روايته عن هشام بن عروة ، فلم يذكرها إلا في المتابعات لا في الأصول .^١

وهذا يسقط الرواية من أساسها ، ويجعلها غير صالحة للاحتجاج ، فكيف القول بأنَّها على شرط الشيخين .

٢. أمَّا الأثرين الآخرين فقد قال السيوطي : هي مُشكَّلة جداً . ثمَّ أضاف : كيف يُظنُّ بالصحابة أولاً أنَّهم يلحنون في الكلام فضلاً عن القرآن ، وهم الفصحاء اللدُّ ؟ ثمَّ كيف يُظنُّ بهم ثانياً في القرآن الذي تلقَّوه من النبي ﷺ كما أنزل وحفظوه وضبطوه وأتقنوه؟ ثمَّ كيف يُظنُّ بهم ثالثاً اجتماعهم كلَّهم على الخطأ وكتابته ؟ ، ثمَّ كيف يُظنُّ بهم رابعاً عدم تنبَّههم ورجوعهم عنه ؟ ثمَّ كيف يُظنُّ بعثمان ﷺ أنَّه ينهى عن تغييره ؟ ، ثمَّ كيف يُظنُّ أنَّ القراءة استمرت على مقتضى ذلك الخطأ ، وهو مروى بالتواتر خلفاً عن سلف ؟ هذا ما يستحيل عقلاً وشرعاً وعادةً .

ثمَّ علَّق السيوطي على الرواية المنقولة عن عثمان ﷺ بقوله : إنَّ ذلك لا يصح عن عثمان ، فإنَّ إسناده ضعيف مضطرب منقطع ؛ ولأنَّ عثمان جعل - المصحف الذي جمعه - إماماً للناس يقتدون به ، فكيف يرى فيه لحناً ويتركه لتقييمه العرب بألسنتها ؟

فإذا كان الذين تولوا جمعه وكتابته لم يقيموا ذلك وهم الخيار فكيف يقيمه غيرهم؟ ثمَّ إنَّ عثمان لم يكتب مصحفاً واحداً ، ولكن كتب عدَّة مصاحف ، فإن قيل : إنَّ اللحن وقع فيها

^١ يُظنُّ : تهذيب التهذيب، ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (٥٢٨هـ) ط ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٣٧/٩ وما بعدها . هدي الساري ١٩٢/٢ .

جميعاً فبعيد اتفاقها على ذلك ، أو في بعضها ، فهو اعتراف بصحة بعضها . ولم يذكر أحد من الناس أنّ اللحن كان في مصحف دون مصحف ، ولم تأت المصاحف مختلفة قطّ إلا فيما هو من وجوه القراءة وليس ذلك بلحن .

٣. إنّ هذه الروايات تخالف المتواتر عن عثمان رضي الله عنه في نسخ المصاحف ، وجمع القرآن من الدقة والتحري ونهاية الثبوت ، بل يُرَدّها ما أخرجه أبو عبيد نفسه عن عبدالله بن هانئ البربري مولى عثمان قال : كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف ، فأرسلني بكتف شاة إلى أبيّ بن كعب فيها (لم يتسن) ، وفيها (لا تبديل للخلق) ، وفيها (فأمهل الكافرين) ، قال : فدعا بالدواة فمحي أحد اللامين فكتب (لخلق الله) ، ومحا (فأمهل) وكتب (فمهل) ، وكتب (لم يتسنه) ، فكيف يتفق ما جاء في الرواية التي نقدناها ، مع هذه الرواية الثانية التي تصف عثمان رضي الله عنه بالدقة في مراجعة ما كان يكتبه النساخ ، وتصحيح ما كانوا يخطئون فيه ، وأنّه لم يترك هذه الأخطاء لتقييمها العرب كما تقول الرواية الواهية .

٤. وعلى فرض صحة هذه الآثار ، فكلمة (لحن) فيها لا يقصد بها المعنى المعروف للحن ، وهو الخروج على قواعد النحو ، وإنما يعني بها كما يقول العلماء : القراءة واللغة والوجه ، كما ورد عن عمر قوله : أبيّ أقرأنا ، وإنّا لندع بعض لحنه - أي قراءته .

ويذكر السيوطي أنّ قول عثمان - إنّ صحّ - فإنما ينصرف إلى كلماتٍ كُتبت على هيئةٍ

مخصوصةٍ ، ورسمٍ معيّنٍ يخالف النطق مثل ((لَأَذْبَحَنَّهُ)) ، ومثل ((بِأَيِّدٍ)) فإنّها كتبت

^١ يُنظر : الإتيان في علوم القرآن ١/١٨٤ نقلاً عن أبي عبيد .

^٢ سورة الروم / ٣٠ .

^٣ سورة الطارق / ١٧ .

^٤ سورة البقرة / ٢٥٩ .

^٥ يُنظر : مناهل العرفان ١/٣٨٧ ، ورسم المصحف / ١٣٥ .

^٦ سورة النمل من آية ١٧ .

^٧ سورة الذاريات من آية ٤٧ .

بياءين ، فلو قُرئ ذلك بظاهر الخطِّ لكان لحناً . فهذا معنى قول عثمان رضي الله عنه إِنَّ به لحناً ستقيمه العرب بألسنتها ، فهو أشبه بالتنبيه إلى ضرورة أن يؤخذ القرآن الكريم عن طريق التلقين والمشافهة ، بواسطة شيخ ، وألاً يكون الاعتماد فقط على كتابة المصحف ، فإنه كتب على هيئة مخصوصة تخالف النطق في أكثر الأحيان . فلا يجوز أن يفتح هذا الباب ؛ فلو فتح لقال مَنْ شاء ما شاء في كتاب الله الحكيم .

٢

وهناك قراءات تفسيرية لا يجوز القراءة بها لمخالفتها لرسم المصحف ، لم يذكرها ابن عاشور ، وهي :

١. قراءة ((إِنْ هَذَا سَاحِرَانِ)) بكسر (إِنْ)، وإسقاط اللام، تُنسب إلى ابن مسعود .
٢. قراءة ((أَنْ هَذَا سَاحِرَانِ)) بفتح (أَنْ) ، وإسقاط اللام ، تُنسب إلى ابن مسعود ؛ على أنها وما في حيزها بدلٌ من (النجوى) كذا قاله الزمخشري ، وتبعه أبو حيان ولم ينكره^٦. وفيه نظرٌ ؛ لأنَّ الاعتراضَ بالجملة القولية بين البدلِ والمبدلِ منه لا يصحُّ . وأيضاً فإنَّ الجملة القولية مفسرةٌ للنجوى في قراءة العامة، وكذا قاله الزمخشريُّ أولاً فكيف يصحُّ أَنْ يُجْعَلَ (أَنْ هَذَا سَاحِرَانِ) بدلاً من (النجوى) .
٣. قراءة ((إِنْ هَذَا إِلَّا سَاحِرَانِ)) ، تُنسب إلى أبي بن كعب .

٨

^١ يُنظر : الإتيان في علوم القرآن ١/١٨٤ .

^٢ يُنظر : بحث بعنوان (بين بعض القراءات القرآنية وبعض القواعد النحوية) ، أ.د/ أحمد سعد الخطيب .

^٣ يُنظر : التبيان في تفسير القرآن ٧/١٨٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١١/٢١٦ ، وإعراب القرآن ، للنحاس ٢/٣٤٣ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/٣٩ .

^٤ يُنظر : الكشاف ٢/٥٤٣ .

^٥ يُنظر : البحر المحيط ٦/٢٥٥ .

^٦ ذكرها الكسائي، والفراء . يُنظر : معاني القرآن ، للفراء ٢/١٨٤ ، ومفاتيح الغيب ٢٢/٧٤ ، والدرُّ المصون ٨/٦٨ .

^٧ نصَّ الفراء في معاني القرآن ٢/١٨٤ على أنَّ قراءة عبدالله هذه بإسقاط جملة القول ((وأسروا النجوى أنَّ هَذَا سَاحِرَانِ)) وعلى هذا يسقط اعتراض السمين .

^٨ يُنظر : الدر المصون ٨ / ٦٩ .

^٩ يُنظر : معاني القرآن وإعرابه ٣/٣٦١ .

- ٤ . قراءة ((إِنْ ذَانِ إِلَّا سَاحِرَانِ)) ، تُنسب إلى أبي بن كعب ، وعبدالله بن مسعود .
- ٥ . قراءة ((إِنْ ذَانِ لَسَاحِرَانِ)) ، تُنسب إلى أبي بن كعب .
- ٦ . قراءة ((إِنْ ذَيْنِ لَسَاحِرَانِ)) ، ذكر هذه القراءة العكبري .
- ٧ . وقراءة ((وَأَسْرُوا النَّجْوَى أَنْ هَذَا سَاحِرَانِ)) منصوبة الألف بجعل ((أَنْ هَذَا))
تبييناً للنجوى، وقد ذكر هذه القراءة ابن قتيبة، أن هذه القراءة في مصحف عبدالله بن
مسعود .
٤
- ٨ . قراءة ((إِنْ ذَانِ لَسَاحِرَانِ)) ، وتُنسب إلى عبدالله بن مسعود .

٨ . النَّصْبُ عَلَى الْمَفْعُولِ ، وَالرَّفْعُ عَلَى الْفَاعِلِ

- ١ . من بين ما تطرّق له ابن عاشور من القراءات القرآنية ما كان وجه الاختلاف فيها
إعرابياً، يتردّد بين النَّصْبِ عَلَى الْمَفْعُولِ ، وَالرَّفْعِ عَلَى الْفَاعِلِ ، ومنها قراءة: ((سَيْلُ)) من قوله
ﷻ : ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَيِّلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ فقد وردت في قراءة ((سَيْلُ
((القراءات التالية :

^١ ونسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة لابن مسعود. يُنظر : معاني القرآن، للفرّاء ١٨٤/٢ ، والقراءات الشاذة ٨٨/ ،
والكشاف ٣٠٦/٢ ، والبحر المحيط ٢٥٥/٦ ، وإعراب النحاس ٣٤٣/٢ ، وتأويل مشكل القرآن ٥٢/ ، والجامع
لأحكام القرآن ٢١٦/١١ ، وروح المعاني ٢٢١/١٦ ، والنكت والعيون ٤١٠/٣ ، ومختصر في شواذ القرآن ٨٨/ ،
وإعراب القراءات السبع وعللها ٣٩/٢ .

^٢ يُنظر : البحر المحيط ٢٥٥/٦ ، ومفاتيح الغيب ٧٥/٢٢ ، وروح المعاني ٢٢١/١٦ ، وإعراب القراءات الشواذ ٧٧/٢ .
^٣ يُنظر : إعراب القراءات الشواذ ٧٧/٢ .

^٤ يُنظر : معاني القرآن ، للفرّاء ١٨٤/٢ ، والكشاف ٣٠٦/٢ ، والبحر ٢٥٥/٦ ، وتأويل مشكل القرآن ٥٣/ ، والجامع
لأحكام القرآن ٢١٦/١١ ، وشرح اللّمع للأصفهاني، أبي الحسن علي بن الحسين الباقلوي، (٥٤٣ هـ)، تحقيق : د.
إبراهيم بن محمّد أبو عبادة ، إدارة الثقافة والنشر بجامعة محمد بن سعود، الرياض ط ١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م
٧٤/١ ، ٨٨ ، والدّر المصون ٣٦/٥ .

^٥ يُنظر : المقتضب ٣٦٤/٢ ، والمحرّر الوجيز ٤٨/١٠ ، وإعراب القراءات الشواذ ٧٧/٢ .

٦ سورة الأنعام / ٥٥ .

القراءة الأولى: ((لَتَسْتَبِينَ سَبِيلَ)) بفتح اللام على المفعوليّة ل((تَسْتَبِينَ))، فالسين والتاء للطلب، ونسبها لنافع، وأبي جعفر، والفاعل ضمير مستتر في الفعل يعود على النبي ﷺ .

القراءة الثانية: ((وَلَتَسْتَبِينَ سَبِيلَ)) بالتاء في ((تَسْتَبِينَ)) ، ويرفع ((سَبِيلَ)) ونسبها لابن عامر ، وابن كثير ، وأبي عمرو ، وحفص ، عن عاصم ، على أنّ التاء في ((تَسْتَبِينَ)) علامة للتأنيث ؛ لأنّ السبيل مؤنّثة في لغة عرب الحجاز ، وعلى أنّ ((تَسْتَبِينَ)) من (استبان) القاصر بمعنى (بَانَ) ف ((سَبِيلُ)) فاعل ((تَسْتَبِينَ))، أي لتتضح سبيلهم لك وللمؤمنين ، فالسين والتاء ليسا للطلب بل للمبالغة مثل استجاب .^٢

القراءة الثالثة: ((لَيْسْتَبِينَ سَبِيلُ)) بالياء ، ورفع اللام على أنّه فاعل (يستبين) ، ونسبها إلى حمزة ، والكسائي ، وأبي بكر عن عاصم ، وخلف بياء الغائب ، وقد ذكّر الفعل ؛ لأنّ السبيل يُذكر ويؤنّث ، وذكر الأخصّش أنّ التذكير لغة تميم ، وقيل إنّها لغة نجد أيضاً، فالسين والتاء ليسا للطلب بل للمبالغة مثل استجاب .^٣

^١ يُنظر : التحرير والتنوير ٧ / ٢٦١ ، وجامع البيان ٧ / ١٣٤ ، والكشاف ١ / ٥٠٨ ، مشكل إعراب القرآن ١ / ٢٦٩ ، والبحر المحيط ٤ / ١٤١ ، ومعاني القرآن، للفرّاء ١ / ٣٣٧ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢ / ٢٥٤ ، ومفاتيح الغيب ١٣ / ٦ ، وغرائب القرآن ٧ / ١١٤ ، وحجّة القراءات ٢ / ٢٥٣ ، ومعجم القراءات، للخطيب ٢ / ٤٣٩ .

^٢ يُنظر : التحرير والتنوير ٧ / ٢٦٠ - ٢٦١ ، وجامع البيان ٧ / ١٣٤ ، والكشاف ١ / ٥٠٨ ، مشكل إعراب القرآن ١ / ٢٦٩ ، والتبيان في إعراب القرآن ١ / ٥٠١ ، والبحر المحيط ٤ / ١٤١ ، ومعاني القرآن، للفرّاء ١ / ٣٣٧ ، ومعاني القرآن، للأخصّش ١ / ٢٧٦ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢ / ٢٥٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٦ / ٤٣٧ ، ومفاتيح الغيب ١٣ / ٦ ، وغرائب القرآن ٧ / ١١٤ ، وحجّة القراءات ١ / ١٤١ ، وحجّة القراءات ٢ / ٢٥٣ ، والنشر ٢ / ٢٥٨ ، والكشف عن وجوه القراءات ١ / ٤٣٣ ، والمحزّر الوجيز ٥ / ٢١٦ - ٢١٧ ، وزاد المسير ٣ / ٥٠ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١ / ١٥٨ ، ومعجم القراءات، للخطيب ٢ / ٤٣٩ .

^٣ يُنظر : التحرير والتنوير ٧ / ٢٦٠ ، وجامع البيان ٧ / ١٣٤ ، والكشاف ١ / ٥٠٨ ، مشكل إعراب القرآن، ١ / ٢٦٩ ، والتبيان في إعراب القرآن ١ / ٥٠١ ، والبحر المحيط ٤ / ١٤١ ، ومعاني القرآن، للفرّاء ١ / ٣٣٧ ، ومعاني القرآن، للأخصّش ١ / ٢٧٦ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢ / ٢٥٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٦ / ٤٣٧ ، ومفاتيح الغيب ١٣ / ٦ ، وغرائب القرآن ٧ / ١١٤ ، وحجّة القراءات ١ / ١٤١ ، والنشر ٢ / ٢٥٨ ، والكشف عن وجوه القراءات ١ / ٤٣٣ ، والمحزّر الوجيز ٥ / ٢١٦ - ٢١٧ ، وزاد المسير ٣ / ٥٠ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١ / ١٥٨ ، ومعجم القراءات، للخطيب ٢ / ٤٣٩ .

القراءة الرابعة : ((لَيْسَتَيْنِ سَبِيلَ)) بالياء ، ونصب اللام على أنَّها مفعولٌ به، والفاعل ضمير مستترٌ يعود إلى النبي ﷺ ، قرأ بها زيد عن يعقوب ، ونافع .^١

^١ يُنظَر: التحرير والتنوير ٢٦١/٧، مشكل إعراب القرآن ٢٦٩/١، والمحزَّر الوجيز ٢١٦/٥، ومعجم القراءات، للخطيب ٤٣٩/٢.

٩. الرَّفْعُ عَطْفًا عَلَى ضَمِيرٍ مَرْفُوعٍ ، وَالنَّصْبُ عَلَى الْمَعِيَّةِ

١. من بين ما تطرَّق له ابن عاشور من القراءات القرآنيَّة ما كان وجه الاختلاف فيها إعرابياً ، يتردَّد بين الرَّفْعِ عَطْفًا عَلَى ضَمِيرٍ مَرْفُوعٍ ، وَالنَّصْبِ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ ، ومنها قراءة : ((وَشُرَكَاءَكُمُ)) من قوله ﷻ : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَعَايَتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾ فقد وردت في قراءة ((وَشُرَكَاءَكُمُ)) القراءات التالية :

القراءة الأولى : ((وَشُرَكَاءَكُمُ)) على النَّصْبِ ، ونسبها إلى الجمهور ، وهم ابن عامر ، وابن كثير ، ونافع ، عاصم ، وحمة ، والكسائي ، والأعرج ، وابو رجاء ، وعاصم الجحدري ، والزهري ، ورواية عن الأعمش ، على أنه مفعول معه . والواو هنا بمعنى (مع) ، أي أجمعوا أمركم ، ومعكم شركاءكم الذين تستنصرون بهم . وهناك تحريجات إعرابيَّة أخرى لـ ((شُرَكَاءَكُمُ)) لم يذكرها ابن عاشور ، فقد أُعْرِبَ عَطْفًا عَلَى (أَمْرَكُمْ) قبله . وأُعْرِبَ منصوباً بفعلٍ محذوفٍ ، بمعنى : واجمعوا شركاءكم . وجاء عن الكسائي والفرَّاء أنَّ التقدير : وادعوا شركاءكم .

١ سورة يونس / ٧١ .

٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٣٩/١١ ، وجامع البيان ٩٩/١١ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢٥٣/٢٥٣ ، والمختصب ٣١٤/١ ، ومفاتيح الغيب ١٤٤/١٧ ، وغرائب القرآن ١٠٥/١١ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٦٢/٨ ، ومجمَع البيان ٧٥/١١ ، ومختصر في شواذ القرآن ٥٧/٥٧ ، والنشر ٢٨٦/٢ ، ومعاني القرآن ، للفرَّاء ٤٧٣/١ ، ومشكل إعراب القرآن ٣٨٨/١ ، ومعاني القرآن ، للأخفش / ٣٤٦ ، وإعراب القرآن ، للنحاس ٦٧١/٢ ، و التبيان في إعراب القرآن ٦٨١/٢ ، وحاشية الشهاب ٤٨/٥ ، وحاشية الجمل ٣٦٤/٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٨/٣ ، والكشَّاف ٨١/٢ ، وإعراب القراءات السبع ، وعللها ٢٧١/١ ، والبحر المحيط ١٧٩/٥ ، والمحرَّر الوجيز ١٨٦/٧ ، وزاد المسير ٤٨/٤ ، وإيضاح ابن الحاجب ٣٢٤/١ ، وشرح المفصَّل ٥٠/٢ ، وشرح المقدمة المحتسبة ٣٠٩/٢ ، ٤٣١ ، وشرح المفصَّل ٥٠/٢ ، و٧٦/٣ ، وشرح اللمع ١٣١/١٣١ ، وروح المعاني ١٥٨/١١ ، والتذكرة في القراءات الثمان ٣٦٦/٣٦٦ ، وتحفة الأقران ٢٧/٢٧ - ٢٨ ، والدُّرُّ المصون ٥٤/٤ - ٥٥ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٥٩١/٣ .

القراءة الثانية : ((شُرَكَاءُكُمْ)) بالرفع ، ونسبها إلى يعقوب ، وقرأ بها أيضاً أبو عبد الرحمن السلمي ، والحسن ، وابن أبي إسحاق ، وعيسى ابن عمر ، وسلام ، ومكي يعقوب ، وأبو عمرو في رواية محبوب ، والأزرق عنه ، فقد قرأوا برفع ((شُرَكَاءُكُمْ)) وخرجه ابن عاشور ، على أنه معطوف على واو الجماعة في ((فَأَجْمَعُوا)) ، وسوغ الفصل بين الضمير وما عطف عليه بالمفعول . والمعنى : وليجمع شركاءكم أمرهم . وشركاءكم (مرفوعاً) ، وصيغة الأمر في قوله : (فأجمعوا) مستعملة في التسوية ، أي إنَّ عزمهم لا يضره بحيث هو يغريهم بأخذ الأهبة التامة لمقاومته . وزاد ذكر شركائهم للدلالة على أنه لا يخشاها لأنها في اعتقادهم أشدَّ بطشاً من القوم ، وذلك تهكم بهم ، كما قوله ﷺ : ﴿ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ (١٩٥) من قوله ﷺ : ﴿ أَلْهَمَّ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ (١٩٥) . وهناك تخرج إعرابي آخر ل ((شُرَكَاءُكُمْ)) لم يشر إليها ابن عاشور ، وهو : أنه مبتدأ لخبر محذوف تقديره : وشركاءكم فليجمعوا أمرهم .

٣

١ سورة الأعراف / ١٩٥ .

٢ سورة الأعراف / ١٩٥ .

٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٣٩/١١ ، وجامع البيان ٩٩/١١ ، وإتحاف فضلاء البشر / ٢٥٣ ، والمحتسب ٣١٤/١ ، ومفاتيح الغيب ١٤٤/١٧ ، وغرائب القرآن ١٠٥/١١ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٦٢/٨ ، ومجمع البيان ٧٥/١١ ، ومختصر في شواذ القرآن / ٥٧ ، والنشر ٢٨٦/٢ ، ومعاني القرآن ، للقرآء / ٤٧٣/١ ، ومشكل إعراب القرآن ٣٨٨/١ ، ومعاني القرآن ، للأخفش / ٣٤٦ ، وإعراب القرآن ، للتخاس ٦٧١/٢ ، و التبيان في إعراب القرآن ٦٨١/٢ ، وحاشية الشهاب ٤٨/٥ ، وحاشية الجمل ٣٦٤/٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٨/٣ ، والكشاف ٨١/٢ ، وإعراب القراءات السبع ، وعللها ٢٧١/١ ، البحر ١٧٩/٥ ، والمحزر الوجيز ١٨٦/٧ ، وزاد المسير ٤٨/٤ ، وإيضاح ابن الحاجب ٣٢٤/١ ، وشرح المفصل ٥٠/٢ ، ٧٦/٣ ، وشرح المقدمة المحتسبة ٣٠٩/٢ ، ٤٣١ ، وشرح المفصل ٥٠/٢ ، ٣٧٦ ، وشرح اللمع / ١٣١ ، وروح المعاني ١٥٨/١١ ، والتذكرة في القراءات الثمان / ٣٦٦ ، وتحفة الأقران / ٢٧ - ٢٨ ، والدُّرُّ المصون ٥٤/٤ - ٥٥ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٥٩١/٣ .

وقد استبعد بعضهم هذه القراءة ، منهم أبو جعفر النَّحَّاس ، والفرّاء ، لأنّها تخالف رسم المصحف ، كونها لم تكتب على واو ، وأيضاً من حيث المعنى ، حيث إنّ شركاءهم الأصنام ، وأنّ الأصنام لا تعمل ولا تجمع شيئاً .^١

١٠. النَّصْبُ عَلَى التَّخْصِيسِ بِالْمَدْحِ، وَالرَّفْعُ عَلَى الاسْتِثْنَاءِ

من بين ما تطرّق له ابن عاشور من القراءات القرآنيّة ما كان وجه الاختلاف فيها إعرابياً، يتردّد بين النَّصْبِ عَلَى التَّخْصِيسِ بِالْمَدْحِ، وَالرَّفْعِ عَلَى الاسْتِثْنَاءِ، ومنها قراءة: (وَالْمُقِيمِينَ) من قوله ﷻ: ﴿لَنْ كِنَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^{١١٢} فقد وردت في قراءة ((وَالْمُقِيمِينَ)) قراءتان :

القراءة الأولى : ((وَالْمُقِيمِينَ)) بالياء على النصب ، ونسبها إلى الجمهور^٢.

القراءة الثانية : ((وَالْمُقِيمُونَ)) بالواو على الرفع، ووصفها بالشذوذ، ونسبها إلى عائشة، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ، وَالْحَسَنِ، وَمَالِكِ بْنِ دِينَارٍ، وَالْجَحْدَرِيِّ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَعَيْسَى بْنِ عُمَرَ، وَعَمْرُو بْنِ عَبِيدٍ، وَعَقَّبَ عَلَيْهَا بِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ تُرَدَّ قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ ((وَالْمُقِيمِينَ)) الْمُجْمَعِ عَلَيْهَا بِهذه القراءة الشاذّة .^٣

^١ يُنظَر: معاني القرآن، للفرّاء ٤٧٣/١، والجامع لأحكام القرآن ٣٦٢/٨، وإعراب القرآن، للنحاس ٦٧١/٢.

^٢ سورة النساء / ١٦٢ .

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٩/٦، وجامع التبيان ١٩/٦، ومعاني القرآن، للفرّاء ١٠٦/١، ومعاني القرآن وإعرابه ١٣٠/٢-١٣١، ومختصر ابن خالويه / ٣٠، وإعراب القرآن، للنحاس ٤٧١/١-٤٧٢، والكشاف ٤٣٨/١، والبحر المحيط ٣٩٥/٣-٣٩٦، والتبيان ٣/٣٩٠، والتبيان في إعراب القرآن ٤٠٧/١، ومشكل إعراب القرآن ٢١٢/١، وشنور الذهب/٥٥، ومشكل القرآن ٥١/، والمحرّر الوجيز ٤/٢٩٠، وروح المعاني ٦/١٥، ودقائق التفسير ٢/٣٥١، ومعجم القراءات، للخطيب ٢/٣٢١.

^٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ٦ / ٢٩، وجامع التبيان ٦/١٩، ومعاني القرآن، للفرّاء ١٠٦/١، ومعاني القرآن وإعرابه ١٣٠/٢-١٣١، ومختصر ابن خالويه / ٣٠، وإعراب القرآن، للنحاس ٤٧١/١-٤٧٢، والكشاف ٤٣٨/١، والبحر المحيط ٣/٣٩٥-٣٩٦،

وقد ذكر ابن عاشور أنَّ عَطْفَ ((الْمُقِيمِينَ)) بِالنَّصْبِ ثَبَتَ فِي الْمُصْحَفِ الْإِمَامِ، وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَرَأُوهُ فِي الْأَقْطَارِ دُونَ نَكِيرٍ، وَخَرَّجَهَا عَلَى أَنَّهَا طَرِيقَةٌ عَرَبِيَّةٌ فِي عَطْفِ الْأَسْمَاءِ الدَّالَّةِ عَلَى صِفَاتٍ مَحَامِدَ، عَلَى أَمْثَالِهَا، فَذَكَرَ أَنَّهُ يَجُوزُ فِي بَعْضِ الْمُعْطُوفَاتِ النَّصْبُ عَلَى التَّخْصِيسِ بِالْمَدْحِ، وَالرَّفْعُ عَلَى الْاسْتِثْنَاءِ لِلِاهْتِمَامِ، كَمَا فَعَلُوا ذَلِكَ فِي التُّعُوتِ الْمُتَتَابِعَةِ، سَوَاءً كَانَتْ بِدُونِ عَطْفٍ أَمْ بِعَطْفٍ، وَأَنَّهُ كَقَوْلِهِ ﷺ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ

وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى

الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي

الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي

الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ، ونقل ابن عاشور قولَ سيبويه: ((بَابُ مَا يَنْتَصِبُ فِي التَّعْظِيمِ وَالْمَدْحِ وَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَهُ صِفَةً فَجَرَى عَلَى الْأَوَّلِ، وَإِنْ شِئْتَ قَطَعْتَهُ فَاِبْتَدَأْتَهُ)). وَأَنَّهُ ذَكَرَ مِنْ قَبِيلِ مَا نَحْنُ بِصَدَدِهِ هَذِهِ الْآيَةُ فَقَالَ: ((فَلَوْ كَانَ كُلُّهُ رَفْعًا كَانَ جَيِّدًا)) ، وَمِثْلُهُ: ((وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ)) ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُ الْحَزَنِيِّ: °

لَا يَبْعَدَنَّ قَوْمِي الَّذِينَ هُمُ سُمُّ الْعُدَاةِ وَأَفْئَةُ الْجُرُزِ

والتبيان ٣/٣٩٠، والتبيان في إعراب القرآن ١/٤٠٧، ومشكل إعراب القرآن ١/٢١٢، وشذور الذهب/٥٥، ومشكل

القرآن/٥١، والمحزر الوجيز ٤/٢٩٠، وروح المعاني ٦/١٥، ودقائق التفسير ٢/٣٥١، ومعجم القراءات، للخطيب ٢/٣٢١.

١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٦/٢٩.

٢ سورة البقرة /١٧٧.

٣ الكتاب ٢ / ٦٢ .

٤ الكتاب ٢ / ٦٣ .

٥ سورة البقرة / من آية ١٧٧ . يُنظَرُ : الكتاب ٢ / ٦٣ .

النَّازِلُونَ بِكُمْ لِمُغْرَبَاتِكُمْ وَالطَّيِّبِينَ مَعَاقِدَ الْأُرْدِ
 فِي رِوَايَةِ يُونُسَ عَنِ الْعَرَبِ: بَرَفِعِ (النَّازِلُونَ) وَنَضِبِ (الطَّيِّبِينَ)، لِتَكُونَ نَظِيرَ هَذِهِ الْآيَةِ.
 وَوَجَّهَ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ مِمَّا يَجْرِي عَلَى قَصْدِ التَّفَنُّنِ عِنْدَ تَكَرُّرِ الْمُتَتَابِعَاتِ، وَلِذَلِكَ تَكَرَّرَ وَفُوعُهُ فِي
 الْقُرْآنِ فِي مَعْطُوفَاتٍ مُتَتَابِعَاتٍ كَمَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَفِي قَوْلِهِ: ((وَالصَّابِغُونَ)) من
 قَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالصَّخِرِيُّونَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١١﴾ .

وَذَكَرَ ابْنُ عَاشُورٍ أَنَّهُ رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ وَأَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ أَنَّ نَضِبَ الْمُقِيمِينَ خَطَأً مِنْ
 كَاتِبِ الْمُصْحَفِ، وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
 وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ
 عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبَانَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ
 وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِغِينَ فِي الْبَأْسَاءِ
 وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ﴿١٧٧﴾ ، وَقَوْلُهُ: ((إِنَّ
 هَذَا لَسَاحِرَانِ)) من قَوْلِهِ ﷻ: ﴿قَالُوا إِنْ هَذَا لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ
 بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى﴾ ﴿١٦٣﴾ ، وَقَوْلُهُ: ((الصَّابِغُونَ)) من قَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِنَّ

^١ هذان بيتان من الكامل، من شعر الخرنق بنت بدر بن هفان وهي أخت طرفة بن العبد لأمه، وهو دعاء لمن بقي من قومها ومدح لهم بأعلى الصفات وأكرمها، هكذا قال بعضهم. وتنسب البيتان لزهير. يُنظر: الكتاب ١/١٤٠، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٨٨، والتصريح ١١٤/٢، والجمل ٨٢/٢، والمحتسب ١٩٨/٢، وأمالي ابن الشجري ١/٢٤٤، والإنصاف في مسائل الخلاف ١/٤٦٨، ٢/٧٤٣، وخرزانه الأدب ٢/٣٠١، والأصول في النحو ٢/٤٠، وهمع الهوامع ٢/١١٩، و شرح الكافية للرضي ٢/٣٢٣، وشرح نهج البلاغة ٥/٤٤.

^٢ سورة المائدة / ٦٩ .

^٣ سورة البقرة / ١٧٧ .

^٤ سورة طه / ٦٣ .

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ مِنَ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا
صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ، ورد ذلك معقياً عليه: أنه لا تُردُّ قِرَاءَةُ
الْجُمُهورِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهَا بِقِرَاءَةِ شَادَّةٍ .^٢

وجاء عن الزجاج أن: (والمقيمين الصلاة) نسق على " ما " والمعنى يُؤمنون بما أنزل إليك
وبالمقيمين الصلاة، أي: ويُؤمنون بالنبيين المقيمين الصلاة. وقال بعضهم إن: ((المقيمين)) عطف
على الهاء والميم، والمعنى: لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة يُؤمنون بما أنزل
إليك، ووصفه أنه عند النحويين رديء؛ لأنه عطف على الهاء والميم ولا يعطف بالظاهر المجرور
على المضمرة المجرور إلا في شعرٍ، وذهب بعضهم أن هذا وهم من الكاتب.

ونقل عن بعضهم: أن في كتاب الله أشياء ستصلحها العرب بألستها، ووصف هذا
القول بأنه بعيد جداً عند أهل اللغة؛ لأن الذين جمعوا القرآن أصحاب رسول الله ﷺ وهم أهل
اللغة وهم القدوة وهم قريبو العهد بالإسلام، فكيف يتركون في كتاب الله شيئاً يصلحه غيرهم،
وهم الذين أخذوه عن رسول الله ﷺ وجموعه، وهذا ساقط عمّن لا يعلم بعدهم وساقط عمّن
يعلم، لأنهم يُفتدى بهم، فهذا ممّا لا ينبغي أن يُنسب إليهم رحمة الله عليهم. والقرآن محكم لا حن
فيه، ولا تتكلم العرب بأجود منه في الإعراب، كما قال عز وجل: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ
يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ، وقال: ﴿يَلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ ، وذكر

^١ سورة المائدة / ٦٩ .

^٢ يُنظر: التحرير والتنوير ٢٩/٦، ومعاني القرآن، للتخاس ٢/٢٣٨، ومعاني القرآن وإعرابه ١٣٠/٢ - ١٣٢، ٤٢٧/٣،
والكشف والبيان ٣/٤١٤، والكشاف ٣/١٥٩، والجامع لأحكام القرآن ٢/٢٣٩، ١٣/٦، وتفسير القرآن
العظيم ٢/٤٦٨، واللباب في علوم الكتاب ٣/٢٠٩ - ٢١٠، ١٢٢/٧.

^٣ سورة فصلت / ٤٢ .

^٤ سورة الشعراء / ١٩٥ .

أَنَّ سيبويه والخليل وجميع النحويين في هذا باب يسمونه: ((باب المدح)). قد بينوا فيه صحة^١ هذا وجودته.

وقال النحويون: إذا قلت: ((مررت بزیدِ الكريم)). وأنت تريد أن تخلص زيدا من غيره فالجر هو الكلام حتى يُعرَفَ زيد الكريم، من زيد غير الكريم، وإذا أردت المدح والثناء فإن شئت نصبت فقلت: ((مررت بزیدِ الكريم)) كأنك قلت: ((اذكر الكريم))، وإن شئت قلت: ((بزیدِ الكريم))، على تقدير هو الكريم، وجاءني قومك المطعمين في المحل، والمغيثون في الشدائد، على معنى اذكر المطعمين، وهم المغيثون في الشدائد، ثم قال: وعلى هذا تقدير الآية، أي: المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة؛ لأنه لما قال: ((يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك)) علم أنهم يؤتون الصلاة ويؤتون الزكاة. فقال: ((والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة))، على معنى، أذكر المقيمين الصلاة، وهم المؤتون الزكاة، وأنشدوا بيت، الخزرق بنت بدر بن هفان:

لا يبعدن قومي الذين همو سُمُّ العداة وآفة الجزر
النازلون بكلٍ مُعتركٍ والطيبين معاقب الأزر

على معنى اذكر النازلين، رفعه ونصبه على المدح. وبعضهم يرفع النازلين وينصب الطيبين، وكله واحد جائز حسن. فعلى هذه الآية. وذكر أن من قال: إنه وهم، وأن ما بينه فيه الكفاية. وأن الذي ذكره من الاحتجاج في ذلك مذهب أصحابه البصريين.^٣

^١ يُنظر: الكتاب ٢ / ٦٢ .

^٢ يُنظر: الكتاب ١ / ٢٠٢، ٢٠٢ / ٦٢، وخزانة الأدب ٢ / ٣٠١، والعيني ٣ / ٦٠٢، وابن الشجري ١ / ٣٤٤، وهمع الهوامع ٢ / ١١٩ .

^٣ يُنظر: معاني القرآن وإعرابه ٢ / ١٣٠ - ١٣٢، ٣ / ٤٢٧، ومفاتيح الغيب ١١ / ٨٥ .

المبحث الثاني

بين النَّصْبِ وَالْجَرِّ

من القراءات القرآنيَّة التي طرقها ابن عاشور ما كان وجه الاختلاف فيها إعرابياً، يتردَّد بين النَّصْبِ وَالْجَرِّ ؛ حيث إنَّه وردت في الاسم الواحد قراءتان ، منصوبة تارة، ومجرورة أخرى يختلف وجه تخريج قراءة النَّصْبِ عن تخريج قراءة الجَرِّ ، كأن يكون النَّصْبِ على المفعوليَّة ، أو على الاستثناء ، أو على النَّداء ، والجر على الإضافة ، أو على الصِّفَةِ ، أو على الجوار . أو يكون تخريجهما على أكثر من وجه إعرابي .

وسأعرض هذه القراءات ووجوه إعرابها المختلفة في جزئيات من خلال ما تطرَّق له ابن عاشور في تفسيره ، وهي :

١. النَّصْبُ عَلَى النَّدَاءِ ، وَالْجَرُّ عَلَى الصِّفَةِ :

من القراءات القرآنيَّة التي طرقها ابن عاشور ما كان وجه الاختلاف فيها إعرابياً، يتردَّد بين النَّصْبِ عَلَى النَّدَاءِ ، وَالْجَرِّ عَلَى الصِّفَةِ ومن ذلك قراءة ((رَيْنَا)) من قوله ﷻ : ﴿ تَمَرَّمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ (٢٣) ، فقد ذكر ابن عاشور في ((رَيْنَا)) قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة ((رَبَّنَا)) بالجرّ نعتاً للفظ الجلالة ، ونسبها لجمهور القرّاء، وهم ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر ، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب، ويُعرب أيضاً بدلا، أو عطف بيان .^١

القراءة الثانية : قراءة ((رَبَّنَا)) بالنّصب على النّداء بحذف حرفه ، ونسبها إلى حمزة، والكسائي، وخلف، وفي النصب يظهر معنى الاستكانة والتضرّع، وأجاز ابن عطية النصب على المدح، وأجاز أبو البقاء النصب بإضمار أعني .^٢

ورجّح الطبري قراءة النّصب ((رَبَّنَا)) على النّداء من قرأ كونه جواباً من المسئولين المقول لهم: ((أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون)) ؟ وكان من جواب القوم لرّبهم: والله يا ربنا ما كنا مشركين، فنفوا أن يكونوا قالوا ذلك في الدنيا. يقول الله تعالى ذكره لمحمد ﷺ: ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ

٤٣

كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ^٣ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ .

ولم يريح ابن عاشور قراءة على الأخرى كعادته في التعامل مع القراءات الصحيحة، وهذا الذي أميل إليه؛ لأنّ القراءتين ثابتتان، صحيحتان، وكلاهما مراد معناهما، فلا ينبغي تفضيل قراءة على أخرى، وإمّا هذا هو نوع من أنواع البلاغة القرآنيّة المعجزة، حيث يتنوّع المعنى في الآية

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٧٧/٧، وجامع البيان ١٠٦/٧، والحجّة في القراءات السبع ١٣٧/١، وحجّة القراءات ٢٤٤/١، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٣٦/٢، ومعاني القرآن، للقرّاء ٣٣٠/١، ومعاني القرآن، للأخفش ٢٧٠/١، والكشّاف ٤٩٩/١، والكشف عن وجوه القراءات ٤٢٧/١، والبحر المحيط ٩٥/٤، والنشر ٢٥٧/٢، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٥٣/١، والتذكرة في القراءات الثمان ٣٢١/١، ومعجم القراءات، للخطيب ٤٠٦/٢ .

^٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٧٧ / ٧، وجامع البيان ١٠٦/٧، والحجّة في القراءات السبع ١٣٧/١، وحجّة القراءات ٢٤٤/١، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٣٦/٢، ومعاني القرآن، للقرّاء ٣٣٠/١، ومعاني القرآن، للأخفش ٢٧٠/١، والكشّاف ٤٩٩/١، والكشف عن وجوه القراءات ٤٢٧/١، والبحر المحيط ٩٥/٤، والنشر ٢٥٧/٢، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٥٣/١، والتذكرة في القراءات الثمان ٣٢١/١، ومعجم القراءات، للخطيب ٤٠٦/٢ .

^٣ سورة الأنعام / ٢٤ .

^٤ يُنظَر : وجامع البيان ١١ / ٣٠٠ .

الواحدة، فالآية واحدة، وكأتمها آيتين من حيث المعنى، فسبحان الله الذي تحدى خلقه أن يأتوا بآية من مثل هذا القرآن المعجز.

٢. النَّصْبُ عَلَى الْاسْتِثْنَاءِ ، وَالْجُرُّ عَلَى الصِّفَةِ :

من القراءات القرآنيّة التي طرقها ابن عاشور ما كان وجه الاختلاف فيها إعرابياً، يتردّد بين

النَّصْبِ عَلَى الْاسْتِثْنَاءِ ، وَالْجُرِّ عَلَى الصِّفَةِ ، ومن ذلك قراءة ((غَيْرِ)) من قوله ﷻ : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضَضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتٍ أَخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَاعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَابَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْوَالِدِ الَّذِينَ لَمْ يُظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يُضْرَبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور في ((غَيْرِ)) قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة ((غَيْرِ)) بالجرّ نعتاً ، أو بدلاً ، أو بياناً، ونسبها إلى الجمهور، وقيل جرّ على البدليّة لا الوصفية؛ لاحتياجها إلى تكلف جعل التابعين لعدم تعيينهم كالنكرة، كما قاله الزجاج، أو جعل غير متعرّفاً بالإضافة هنا مثلها في الفاحشة، وفيه نظر .

١ سورة النور / ٣١ .

٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٨ / ٢١٢ ، والكتاب ٢ / ٣٠٩ ، ٣٤٣ ، والمقتضب ٤ / ٣٩١ ، ٤٢٢ ، والسبعة في القراءات ٤٥٥ / ، والحجّة في القراءات السبع ٢٦١ / ، وحجّة القراءات ٤٩٧ / ، والكشف عن وجوه القراءات ٢ / ١٣٦ ، والنشر ٢ / ٣٣٢ ، ومعاني القرآن ، للفرّاء ٢ / ٢٥٠ ، وإعراب القرآن ، للنخّاس ٢ / ٤٣٩ ، والموضح ٥٧٣ ، ومشكل إعراب القرآن ٢ / ١٢٠ - ١٢١ ، والكشّاف ٢ / ١٣٦ ، والبيان ٢ / ١٩٥ ، والتبيان ٢ / ٩٦٩ ، وإتحاف فضلاء البشر ٤٢٤ / ، واللباب في علوم الكتاب ١٤ / ٣٥٩ ، وروح المعاني ١٨ / ١٤٥ .

القراءة الثانية : قراءة ((غَيْر)) بالنصب على الحال ، ونسبها إلى ابن عامر وأبي بكر عن عاصم وأبي جعفر ، وأُعْرِبَتْ نصباً على الاستثناء ؛ لأنه اسم فيه معنى حرف (إلاً) الاستثناء الأصلي المعروف ، في الدلالة على الاستثناء ، فجرى مجرى الاسم الذي بعد (إلاً) ، لأنه بمنزلة ؛ ولذا قالوا : كلُّ موضعٍ جاز فيه الاستثناء بـ (إلاً) جاز بـ (غير) وعلى هذا فإعرابها كإعراب المستثنى مع (إلاً) ، وحكمه بها الجرّ لإضافتها إليه ، وقيل على القطع عن الاستثناء ؛ لأنَّ (التابعين) معرفة ، و (غير) نكرة .^١

والمستثنى في غير الموجب إذا كان متصلاً بما قبله جاز نصبه على الاستثناء ، كما في قراءة النصب ((غَيْر)) ، وجاز فيه الاتباع للمستثنى منه كما في قراءة الجرّ ((غَيْر)) ، لكنَّ ((غَيْر)) فيها لا تكون مستثنى بل صفة للتابعين ، وجاز أيضاً نعت التابعين بـ ((غَيْر)) و ((التابعين)) معرفة ، و ((غير)) نكرة ؛ لأنَّ ((التابعين)) غير مقصود به قوم بأعيانهم ، معرفة غير معيّنة ، فلذلك جاز أن يوصف بـ ((غَيْر)) وهي مضافة إلى معرفة .^٢

وقد رجَّح الفراء والطبري قراءة الجرّ ((غَيْر)) نعتاً ، على قراءة النصب ((غَيْر)) على الاستثناء ؛ لأنَّ أتباع ((غَيْر)) لما قبلها أقوى في العربيّة .^٣

قال الطبري : ((والقول في ذلك عندي أنَّهما قراءتان متقاربتا المعنى مستفيضة القراءة بهما في الأمصار ، فبأيتنهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أنَّ الخفض في (غير) أقوى في العربيّة ، فالقراءة به أعجب إليّ)) . وهذا كلامٌ جميل من الطبري ، ولكن أقول كما قال : ((أنَّهما قراءتان متقاربتا

^١ يُنظر : التحرير والتنوير ١٨ / ٢١٢ ، والسبعة في القراءات / ٤٥٥ ، والحجّة في القراءات السبع / ٢٦١ ، وحجّة القراءات / ٤٩٦ ، و الكشف عن وجوه القراءات ١٣٦ / ٢ ، والنشر ٣٣٢ / ٢ ، ومشكل إعراب القرآن ١٢٠ / ٢ - ١٢١ ، والكشاف ١٣٦ / ٢ ، والبيان ١٩٥ / ٢ ، والتبيان ٩٦٩ / ٢ ، وإتحاف فضلاء البشر / ٤٢٤ ، واللباب في علوم الكتاب ١٤ / ٣٥٩ .

^٢ يُنظر : جامع البيان ١٨ / ١٢٣ ، ومعاني القرآن ، للفراء ٢ / ٢٥٠ ، والحجّة في القراءات السبع / ٢٦١ ، والقراءات القرآنيّة في المعاجم اللغويّة / ٤١٥ .

^٣ يُنظر : جامع البيان ١٨ / ١٢٣ ، ومعاني القرآن ، للفراء ٢ / ٢٥٠ ، وشرح ابن عقيل ١ / ٦١٠ ، وشرح التصريح ١ / ٣٤٩ ، والقراءات القرآنيّة في المعاجم اللغويّة / ٤١٥ .

^٤ يُنظر : جامع البيان ١٨ / ١٢٣ .

المعنى مستفيضة القراءة بهما في الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب)) وأن معنى القراءتين أيضاً مراد، فلا فضل لقراءة على أخرى، ولكن هذا من بلاغة القرآن وإعجازه اللغوي.

٣. النَّصْبُ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ ، وَالْجَرُّ عَلَى الْإِضَافَةِ :

١. من القراءات القرآنية التي طرقها ابن عاشور ما كان وجه الاختلاف فيها إعرابياً ،

يتردد بين النَّصْبِ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ ، وَالْجَرِّ عَلَى الْإِضَافَةِ ، ومن ذلك قراءة ((نُورِهِ)) من قوله ﷻ :

﴿ يُرِيدُونَ لِيطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾^٨ فقد ذكر ابن عاشور في ((نُورِهِ)) قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة النصب ((نُورُهُ)) ، وتنوين ((مُتِمُّ)) ، ونسبها إلى نافع وأبي عمرو، وابن عامر، وأبي بكر عن عاصم، وقرأ بها أيضاً الحسن ، وطلحة ، والأعرج، وابن محيصن، ويعقوب ، وأبو جعفر ، على إعمال اسم الفاعل .^٢

القراءة الثانية : قراءة الجرِّ ((نُورِهِ)) ، وبدون تنوين ((مُتِمُّ)) ، ونسبها إلى ابن كثير، وحمزة ، والكسائي ، وحفص ، وخلف بدون تنوين ، وجرَّ ((نُورِهِ)) على إضافة اسم الفاعل ((مُتِمُّ)) إلى مفعوله ((نُورِهِ)) ، ووصف القراءتين بالفصاحة ، كعادته في التعامل مع القراءات الصحيحة .^٣

١ سورة الصف / ٨ .

٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٨ / ١٩١ ، وجامع البيان ٥٧/٢٨ - ٥٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٨٥/١٨ ، و التبيان في إعراب القرآن ١٢٢٠/٢ ، والتيسير/ ٢١٠ ، والكشف عن وجوه القراءات ٣٢٠/٢ ، والكشَّاف ٢٢٧/٣ ، وإتحاف فضلاء البشر ٤١٥ - ٤١٦ ، وشرح الشاطبية/ ٢٩٣ ، والحجَّة في القراءات السبع/ ٣٤٥ ، وحجَّة القراءات ٧٠٧/ ، والبحر المحيط ٢٦٣/٨ ، والسبعة في القراءات/ ٦٣٥ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١٦٥/٥ ، ومعاني القرآن، للفرَّاء ١٥٣/٣ ، والتذكرة في القراءات الثمان/ ٥٨٧ ، وإعراب القرآن ، للنحاس ٤٢٣/٣ .

٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٨ / ١٩١ ، وجامع البيان ٥٧/٢٨ - ٥٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٨٥/١٨ ، و التبيان في إعراب القرآن ١٢٢٠/٢ ، والتيسير/ ٢١٠ ، والكشف عن وجوه القراءات ٣٢٠/٢ ، والكشَّاف ٢٢٧/٣ ، وإتحاف

وحذف التنوين من اسم الفاعل ((مُتَمِّمٌ)) الدال على الاستقبال، الجاري مجرى الفعل المضارع ؛ كونه يدلُّ على معناه، جائز للتخفيف ، ولا يغيّر بقاء التنوين وحذفه في المعنى شيئاً ، وإن اختلف الإعراب ، فمع التنوين ينصب مفعوله ، كما في قراءة النَّصَبِ ((نُورُهُ)) ، وبدون تنوين يضاف إليه مفعوله ، كما في قراءة الجِرِّ ((نُورِهِ)) . فالتنوين في هذه الحالة هو الأصل، وقد يُحذف للتخفيف كما هو في هذه الآية ، حيث قرأت بالحالتين ، فقد جاء عن سيبويه في اسم الفاعل قوله : إنَّ العرب يَسْتَحْفُونَ فيحذفون التنوين والنون من اسم الفاعل، ولا يغيّر ذلك من المعنى شيئاً ، وَيَنْجُرُّ المفعول لِزَوَالِ التنوين من الاسم ، ويدخل المفعول في الاسم بدلاً عن التنوين المحذوف ، فأشبهه قولك : (غلام عبدالله) في اللفظ ، وإن لم يكن مثله في المعنى والعمل ، ثم قال : إنَّ كَفَّ التنوين عن الاسم تخفيفاً لا يغيّر من المعنى، ولا يَجْعَلُهُ مَعْرِفَةً ، ثمَّ مثل على ذلك بـ ((ذَايِقَةُ الْمَوْتِ)) من قوله ﷺ : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَايِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ، و بـ ((إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ)) من قوله ﷺ : ﴿ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فَنِنَّةٌ لَهُمْ فَأَرْتَبَهُمْ وَأَصْطَبِرُ ﴿٢٧﴾ ، و بـ ((نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ)) من قوله ﷺ : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ ، و بـ ((غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ)) من قوله ﷺ : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ﷻ

فضلاء البشر / ٤١٥ - ٤١٦ ، وشرح الشاطبية / ٢٩٣ ، والحجّة في القراءات السبع / ٣٤٥ ، وحجّة القراءات / ٧٠٧ ، والبحر المحيط / ٢٦٣/٨ ، والسبعة في القراءات / ٦٣٥ ، ومعاني القرآن وإعرابه / ١٦٥/٥ ، ومعاني القرآن ، لفرّاء / ١٥٣/٣ ، والتذكرة في القراءات الثمان / ٥٨٧ ، وإعراب القرآن ، للنحاس / ٤٢٣/٣ .

١ سورة آل عمران / ١٨٥ .

٢ سورة القمر / ٢٧ .

٣ سورة السجدة / ١٢ .

إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ، فالمعنى معنى ((وَلَا ءَأَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ)) من قوله ﷺ : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَأَمَنُوا لَا مُحِلُّو شَعَائِرِ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَأَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ ، ثم قال: إِنَّ مَّا يُزِيدُ هَذَا بَيَانًا قَوْلَهُ ((هَدْيًا بَلَغَ الْكَعْبَةَ)) من قوله ﷺ : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَأَمَنُوا لَا نَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَلَغَ الْكَعْبَةَ أَوْ كَفَّرَهُ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ، و((عَارِضٌ مُّطْرِنًا)) من قوله ﷺ : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطْرِنًا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ ، فلو لم يكن هذا في معنى التكررة والتنوين لم تُوصَفَ به التكررة .

أما اسم الفاعل الدالُّ على الماضي ، فلا يجوز فيه إلاَّ حذف التنوين والإضافة، كقولك: (هذا كاتبٌ درسٍ أمسٍ) ، ولا يجوز (هذا كاتبٌ درساً أمسٍ) لأنَّه لا ينصب، كونه يجري مجرى الاسم الجامد (وهو العلم) كقولك : (هذا عبد الله ، ووهذا غلامٌ عمرو ، وهذا صاحبٌ هندٍ) حيث يصير الثاني من تمام الأوَّل ، ولا يجري جريان الفعل الذي هو بمعناه (الفعل

١ سورة المائدة / ١ .

٢ سورة المائدة / ٢ .

٣ سورة المائدة / ٩٥ .

٤ سورة الأحقاف / ٢٤ .

° يُنظَرُ : الكتاب ١ / ١٦٥ - ١٦٦ ، وحجَّة القراءات / ٧٠٧ - ٧٠٨ ، والموضَّح / ٦٨١ ، والمقتضب ٤ / ١٥٠ ، والقراءات القرآنية في المعاجم اللغويَّة / ٤١٥ .

الماضي) ، قال المبرّد : ((اسم الفاعل إذا كان ماضياً لا تنوّنه؛ لأنّه اسم ، وليست فيه مُضارَعَةٌ الفعل ، ولا يجوز أن تدخل عليه الألف واللام وتُضيقه؛ كما لم يجز ذلك في الغلام ، فهو كالأسماء التي لا معنى للفعل فيها)) .

وجاء عن سيبويه : أنّه إذا أخبر أنّ الفعل قد وقع وانقطع فهو بغير تنوين البتّة؛ لأنّه إنّما أُجْرِي مَجْرَى الفِعْلِ المضارع له ، كما أشبهه الفعلُ المضارعُ في الإعراب فكلُّ واحد منهما داخل على صاحبه ، فلمّا أراد سوي ذلك المعنى جرى مجرى الأسماء التي من غير ذلك الفعل، لأنّه إنّما شُبِّهَ بما ضارَعَهُ من الفعل كما شُبِّهَ به في الإعراب . ومثّل بقولك : هذا ضاربُ عبدِ الله وأخيه ، وجهُ الكلام وحُدّه الجرُّ لأنّه ليس موضعاً للتنوين ، وكذلك بقولك: هذا ضاربُ زيدٍ فيها وأخيه ، وهذا قاتلُ عمروٍ وأمّسٍ وعبدِ الله ، وهذا ضاربُ عبدِ الله ضرباً شديداً وعمروٍ .

وُروِي عن الكسائي وهشام ابن معاوية الضرير من الكوفيين، أنّهم أجازا إعمال اسم الفاعل، سواء بمعنى الحال أو الاستقبال أو الماضي ، ولم يفرّقوا في ذلك .

٢ . من بين ما تطرّق له ابن عاشور من القراءات القرآنيّة ما كان وجه الاختلاف فيها إعرابياً ، يتردّد بين التّصْبِ عَلَى المَفْعُولِيَّةِ ، وَالجَرِّ عَلَى الإِضَافَةِ ، ومن ذلك قراءة ((بَلِّغْ أَمْرِهِ)) من قوله ﷺ : ﴿ وَرِزْقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ فقد ذكر ابن عاشور في ((بَلِّغْ أَمْرِهِ)) قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة النصب ((أَمْرُهُ)) ، وتنوين ((بَالِغٌ)) ، ونسبها إلى الجمهور، على إعمال اسم الفاعل ، والتنوين على الأصل ؛ لأنّه للمستقبل ، وإنّما لا ينوّن في الماضي . قال

١ فلا يجوز أن تقول : (هذا غلامٌ زيداً) .

٢ المقتضب ٤ / ١٤٨ ، و يُنظَر : شرح الكافية ، للرضي ١٩٩ / ٢ .

٣ كتاب ١ / ١٧١ .

٤ يُنظَر : شرح الكافية ، للرضي ١٩٩ / ٢ ، والقراءات القرآنية في المعاجم اللغويّة / ٤١٥ .

٥ سورة الطلاق / ٣ .

الفراء : يجوز التنوين وتركه ؛ كقوله تعالى : ((بَالِغٌ أَمْرِهِ)) ، و ((بَالِغٌ أَمْرُهُ)) ، و ((مُوهِنٌ كَيْدِ
الْكَافِرِينَ)) ، و ((مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ)) ، والتنوين هو الأصل .^١

القراءة الثانية : قراءة الجرِّ بالإضافة ((أَمْرِهِ^ع)) ، وبدون تنوين اسم الفاعل ((بَالِغٌ))
تخفيفاً ، ونسبها إلى حفص عن عاصم ، وقرأ بها أيضاً جبلة عن المفضل عن عاصم ، وأبان
وجماعة عن أبي عمرو ، ويعقوب ، وطلحة بن مُصَرِّف ، ويزيد بن علي ، والأعمش ، من إضافة
اسم الفاعل ((بَالِغٌ)) إلى مفعوله ((أَمْرِهِ^ع)) .^٢

وهناك قراءات أخرى لم يذكرها ابن عاشور كعادته في التعامل مع القراءات الشاذة، منها

:

١ . قراءة : ((بَالِغٌ أَمْرُهُ)) بتنوين (بَالِغٌ) ورفع (أَمْرُهُ) ، وقرأ بها ابن أبي عبلة وداود
بن أبي هند ، وأبو عمرو في رواية ، وفي تخریجها وجهان :
الوجه الأول : أن يُعَرَّبَ (بَالِغٌ) خبراً مقدّماً ، و (أَمْرُهُ) مبتدأ مؤخر ، والجملة خبر (إِنَّ).
الوجه الثاني : أن يُعَرَّبَ (بَالِغٌ) خبر (إِنَّ) و (أَمْرُهُ) فاعل به . قال الفراء : أي :
أمره بالغ .

^١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٨ / ٣١٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨ / ١٦١ ، وإعراب القرآن ، للنحاس ٣ / ٤٥٣ ، والنشر
٢ / ٣٨٨ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢ / ٣٢٤ ، والحجّة في القراءات السبع ٧ / ٣٤٧ ، ومعاني القرآن ، للفراء
١ / ٤٠٦ ، ٢ / ٤٢٠ ، ٣ / ١٦٣ ، ٢٣٤ ، واللباب في علوم الكتاب ١٩ / ١٥٩ ، وشرح الشاطبية ٢٩٤ / ٢٩٤ ، وإعراب
القراءات السبع وعللها ٢ / ٣٧٣ ، ومشكل إعراب القرآن ٢ / ٣٨٤ ، والبحر المحيط ٨ / ٢٨٣ ، والتبيان في إعراب
القرآن ٢ / ١٢٢٧ ، والسبعة في القراءات ٦٣٩ .

^٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٨ / ٣١٣ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨ / ١٦١ ، وإعراب القرآن ، للنحاس ٣ / ٤٥٣ ، والنشر
٢ / ٣٨٨ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢ / ٣٢٤ ، والحجّة في القراءات السبع ٧ / ٣٤٧ ، ومعاني القرآن ، للفراء
١ / ٤٠٦ ، ٢ / ٤٢٠ ، ٣ / ١٦٣ ، ٢٣٤ ، واللباب في علوم الكتاب ١٩ / ١٥٩ ، وشرح الشاطبية ٢٩٤ / ٢٩٤ ، وإعراب
القراءات السبع وعللها ٢ / ٣٧٣ ، ومشكل إعراب القرآن ٢ / ٣٨٤ ، والبحر المحيط ٨ / ٢٨٣ ، والتبيان في إعراب
القرآن ٢ / ١٢٢٧ ، والسبعة في القراءات ٦٣٩ .

وهناك رأي ضعيف : يُعْرَبُ فِيهِ (أَمْرُهُ) مَرْتَفِعٌ بِـ (بَالِغٌ) ، والمفعول محذوف ، والتقدير : بالغ أمره ما أراد ، فـ (قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) أي لكل شيء من الشدة والرخاء أجلا ينتهي إليه .^١

٣. قراءة : ((بَالِغًا أَمْرُهُ)) بنصب (بَالِغًا) ، ورفع (أَمْرُهُ) ، قرأ بها المفضل ، وفي تخريجها وجهان :

الوجه الأول : أن يُعْرَبَ (بَالِغًا) حالاً ، و جملة ((قَدْ جَعَلَ اللَّهُ)) خبر (إِنَّ) والتقدير : (إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا بَالِغًا أَمْرُهُ . وهذا أظهر الرأيين ، وهو تخريج الزمخشري .
الوجه الثاني : أن تُخْرَجَ عَلَى لُغَةٍ مِنْ يَنْصَبُ الْجُزْأَيْنِ (الْاسْمَ وَالْخَبَرَ) بِـ (إِنَّ) ، كقول عمر بن أبي ربيعة :

إِذَا اسْوَدَّ جُنْحُ اللَّيْلِ فَلْتَنَاتٍ وَلِتَكُنَّ حُطَاكَ حِقْفًا إِنَّ حُرَّاسَنَا أَسْدًا^٢
ويكون (قَدْ جَعَلَ) مستأنفاً كما في القراءة الشهيرة .

ومن رفع (أَمْرُهُ) فمفعول (بَالِغًا) محذوف ، تقديره : (ما شاء) .^٣

٣. من بين ما تطرَّق له ابن عاشور من القراءات القرآنية ما كان وجه الاختلاف فيها إعرابياً ، يتردد بين النَّصْبِ عَلَى الْمُفْعُولِيَّةِ ، وَالْجَرِّ عَلَى الْإِضَافَةِ ، ومن ذلك قراءة ((مُنْذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا)) من قوله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا ﴾^{٤٥} ، فقد ذكر ابن عاشور في ((مُنْذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا)) قراءتين :

^١ يُنْظَرُ : الباب في علوم الكتاب ١٩ / ١٦٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨ / ١٦٢ .

^٢ يُنْظَرُ : الجني الداني / ٣٩٤ ، و الدرر اللوامع ٢ / ١٦٧ ، وشرح شواهد المغني ١٢٢ / ١٢٢ ، و خزانة الأدب ٤ / ١٦٧ ، و ١٠ / ٢٤٢ ، و شرح الأشموني ١ / ١٣٥ ، و مغني اللبيب ٣٧ / ٣٧ ، و همع الهوامع ١ / ١٣٤ ، و الدرُّ المصون ٢ / ٦٤٣ ، و البيت من بحر الطويل .

^٣ يُنْظَرُ : الباب في علوم الكتاب ١٩ / ١٦٠ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨ / ١٦٢ .

^٤ سورة النازعات / ٤٥ .

القراءة الأولى: قراءة ((مُنذِرٌ مَن يَخْشَاهَا)) بإضافة ((مُنذِرٌ)) إلى ((مَن يَخْشَاهَا))، ونسبها إلى جمهور القراء، وهي قراءة أبي عمرو من غير رواية عبّاس، وهذه القراءة بالإضافة غير منونة؛ طلباً للتخفيف، وإلاً فأصله التنوين؛ لأنّه للمستقبل، وإمّا لا ينون في الماضي .

القراءة الثانية: ((مُنذِرٌ)) منوناً على أنّ ((مَن يَخْشَاهَا)) في موضع نصب مفعوله، ونسبها إلى أبي جعفر، وقرأ بها أيضاً شيبه، والأعرج، وابن محيصن، وحמיד، وعيَّاش عن أبي عمرو، وخالد الحذاء، وابن هرمز، وعيسى بن عمر، وطلحة، وابن مقسم، والحسن، وعبّاس عن أبي عمرو وحמיד، والمعنى: إمّا ينتفع بإنذارك من يخشى الساعة، وقال أبو علي: يجوز أن تكون الإضافة للماضي، نحو: (ضارب زيد أمس)؛ لأنّه قد فعل الإنذار. ورجّح الزمخشري - كعادته في الترجيح بين القراءات - هذه القراءة، وأنّ قراءة الإضافة ما هي إلاّ تخفيف، ووافقه أبو حيّان في ذلك .

وفي إضافة ((مُنذِرٌ)) إلى ((مَن يَخْشَاهَا))، أو نصبه به إيجازٌ حذف تقديره: منذرها فينتذر من يخشاها، وقرينة ذلك حالّةٌ للعلم المتواتر من القرآن بأنّ النبي ﷺ كان ينذر جميع الناس لا يخصّ قوماً دون آخرين، فإنّ آيات الدعوة من القرآن ومقامات دعوة النبي ﷺ لم تكن إلاّ عامّة. ولا يُعرف من يخشى السّاعة إلاّ بعد أن يؤمن المؤمن، ولو عرف أحد بعينه أنّه لا يؤمن أبداً لما وُجّهت إليه الدعوة، فتعيّن أنّ المراد: أنّه لا ينتفع بالإنذار إلاّ من يخشى الساعة،

^١ يُنظر: التحرير والتنوير ٣٠ / ٩٧، وجامع البيان ٣٠/٣٢، ومعاني القرآن وإعرابه ٥/٢٨٢، ومعاني القرآن، للفرّاء ٣/٢٣٤، والكشّاف ٣/٣١١ - ٣١٢، والجامع لأحكام القرآن ١٩ / ٢١٠، والبحر المحيط ٨/٤٢٤، والسبعة في القراءات ٦٧١/، وحاشية الجمل ٤/٤٨٦، وحاشية الشهاب ٨/٣١٩، وإعراب القراءات السبع، وعللها ٢/٤٣٧، وغرائب القرآن ٣٠/١٥، ومعجم القراءات، للخطيب ١٠/٢٩٦ .

^٢ يُنظر: التحرير والتنوير ٣٠ / ٩٧، وجامع البيان ٣٠/٣٢، ومعاني القرآن وإعرابه ٥/٢٨٢، ومعاني القرآن، للفرّاء ٣/٢٣٤، والكشّاف ٣/٣١١ - ٣١٢، والجامع لأحكام القرآن ١٩ / ٢١٠، والبحر المحيط ٨/٤٢٤، والسبعة في القراءات ٦٧١/، وحاشية الجمل ٤/٤٨٦، وحاشية الشهاب ٨/٣١٩، وإعراب القراءات السبع، وعللها ٢/٤٣٧، وغرائب القرآن ٣٠/١٥، ومعجم القراءات، للخطيب ١٠/٢٩٦ .

وَمَنْ عَدَاهُ تَمُرَّ الدَّعْوَةَ بِسَمْعِهِ فَلَا يَأْبَهُ بِهَا ، فَكَانَ ذَكَرَ ((مِنْ يَحْشَاهَا)) تَنْوِيهَاً بِشَأْنِ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَإِعْلَاناً لِمَزِيَّتِهِمْ ، وَتَحْقِيرًا لِلَّذِينَ بُقُوا عَلَى الْكُفْرِ .^١

وِيرَى الطَّبْرِي أَنَّ الْقَرَاءَتَيْنِ سَوَاءٌ ، فَبَأْيِ الْقَرَاءَتَيْنِ قَرَأَتْ فَمَصِيبٌ ، وَوَافِقُهُ ابْنُ عَاشُورٍ
عَلَى هَذَا ، وَأَنَا أَمِيلٌ لِهَذَا الرَّأْيِ ، وَلَا أَفْرِقُ بَيْنَ الْقَرَاءَاتِ الصَّحِيحَةِ ، وَلَا أَفْضَلُ بَيْنَهُمَا ؛ لِأَنِّي أَرَى
أَنَّ مَعْنِيَهُمَا مُرَادٌ ، فَهَمَا لَغْتَانِ مَشْهُورَتَانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، لِاتِّفَاقِ مَعْنِيَهُمَا وَاسْتِفَاضَتِهِمَا فِي مَنْطِقِ
العرب .^٢

٤ . النَّصْبُ عَطْفًا عَلَى اسْمٍ مَنْصُوبٍ ، وَالْجَرُّ عَطْفًا عَلَى ضَمِيرٍ جَرٍّ :

من القراءات القرآنية التي طرقها ابن عاشور ما كان وجه الاختلاف فيها إعرابياً، يتردد بين
النصب عطفًا على اسم منصوب ، والجر عطفًا على ضمير جرٍّ ، ومن ذلك قراءة ((وَالْأَرْحَامِ))
من قوله ﷻ : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ فقد
ذكر ابن عاشور في ((وَالْأَرْحَامِ)) قراءتين :

القراءة الأولى: قراءة النصب ((الْأَرْحَامِ)) عطفًا على لفظ الجلالة ((اللَّهِ)) ، ونسبها إلى
الجمهور. بمعنى أن ((الْأَرْحَامِ)) مأمورًا بتقواها على المعنى المصدرى؛ أي اتقائها، وهو على
حذف مضاف، أي اتقاء حقوقها، فهو من استعمال المشترك في معنياه، وعلى هذه القراءة
فالأية ابتداء تشريع، وهو ما أشار إليه قوله تعالى: ((وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا)) أي: اتقوا الله الذي
يسأل بعضكم بعضا به، بأن يقول له على سبيل الاستعطاف: أسألك بالله أن تفعل كذا، أو أن

^١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٣٠ / ٩٧ .

^٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٣٠ / ٩٧ ، وجامع البيان ٣٠/٣٢ ، والكشاف ٣١١/٣ - ٣١٢ ، والبحر المحيط ٨/٤٢٤ .

٣ سورة النساء / ١ .

تترك كذا. واتقوا الأرحام أن تقطعوها فلا تصلوها بالبر والإحسان، فإنَّ قطيعتها وعدم صلتها ممَّا يجب أن يُتَّقَى ويبعد عنه، وأتَمَّا الذي يجب أن يفعل هو صلتها وبرها .^١

القراءة الثانية : قراءة الجرِّ عطفاً على الضمير المجرور ((الأَرْحَام)) ، ونسبها إلى حمزة، وقرأها أيضاً إبراهيم النخعي ، وقتادة ، والمُطَوِّعِيّ ، ومجاهد ، والحسن البصري، وابن عبَّاس، وأبو رزين، ويحيى بن وثَّاب، وطلحة بن مصرف ، والأعمش ، وابن مسعود، والأصمغاني، والحلي عن عبد الوارث ، وأبان بن تغلب ، وأبو إياس هارون بن علي بن حمزة الكوفي . وأنَّه تعظيم لشأن الأرحام ؛ أي التي يسأل بعضكم بعضاً بها ، بأن يقول بعضكم لبعض مستعظفا أسألك بالله وبالرحم أن تفعل كذا . وقد كان من عادة العرب أن يقرنوا الأرحام بالله تعالى في المناشدة والسؤال ، فيقولون: أسألك بالله وبالرحم، أو (ناشدتك الله والرَّحْم)، وأنَّه ظاهر محمل هذه الرواية، وإنَّ لم يرتضها جمهور النُّحاة؛ استعظاماً لعطف الاسم على الضمير المجرور بدون إعادة الجار؛ محتجِّين بأنَّ الضمير المجرور المتصل بمنزلة الحرف، والحرف لا يصحُّ عطف الاسم الظاهر عليه ، ولأنَّ الضمير المجرور، كبعض الكلمة لشدة اتصاله بها ، وكما أنَّه لا يجوز أن يعطف على بعض الكلمة ، فكذلك لا يجوز أن يعطف عليه . إلى غير ذلك ممَّا قالوه في تضعيف هذه القراءة . وذكر قول المبرِّد في ذلك مستنكراً عليه ، عندما ردَّ هذه القراءة ، كعادة المبرِّد مع القراءات التي تخالف قواعده النحويَّة التي أسَّسها ، حيث أساء المبرِّد مع هذه القراءة حين قال : لو قرأ الإمام بهاته القراءة لأخذت نعلي وخرجت من الصلاة ، وقد استنكر ابن

^١ التحرير والتنوير / ٤ / ٢١٧ - ٢١٨ ، وجامع البيان / ٤ / ١٥١ ، والسبعة في القراءات / ٢٢٦ ، والكشَّاف / ١ / ٣٧٢ ، والتيسير / ٩٣ ، الكشف عن وجوه القراءات / ١ / ٣٧٥ ، والمحتسب / ١ / ١٧٩ ، والنشر / ٢ / ٢٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن / ٥ / ٢ ، والوافي في شرح الشاطبية / ٢٤٢ ، والبحر المحيط / ٣ / ١٥٧ ، ومشكل إعراب القرآن / ١ / ١٧٦ - ١٧٧ ، وزاد المسير / ٢ / ٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه / ٢ / ٦ ، ومعاني القرآن، للفرَّاء / ١ / ٢٥٢ ، وإعراب القراءات السبع وعللها / ١ / ١٢٨ - ١٢٩ ، وحجَّة القراءات / ١٨٨ ، والحجَّة في القراءات السبع / ١١٨ ، وجمع الهوامع / ٥ / ٢٦٨ ، والإنصاف / ٤٦٣ ، وشرح المفصَّل / ٢ / ٥١ ، ٢٧ / ٣ ، ٢٨ ، ٥٣ / ٨ ، ١٠٥ / ٩ ، وشرح الكافية / ١ / ١٩٧ ، ٣٢٠ ، وشرح ابن عقيل / ٣ / ٢٤ ، وشرح الأشموني / ٢ / ١١٨ ، ومعجم القراءات، للخطيب / ٥ / ٢ .

^٢ المبرِّد والرَّجَّاح هم أكثر النُّحاة اجترأ على هذه القراءة ، وقد قال الرَّجَّاح في ردِّه هذه القراءة: ((الخفض في الأرحام خطأ في العربيَّة لا يجوز إلا في اضطرار الشعر، وخطأ في الدين؛ لأنَّ النبي ﷺ قال لا تحلفوا بأبائكم)) نقله عنه البغوي في

عاشور على المبرّد هذا القول الشنيع في ردّه هذه القراءة ، وهي التي قرأ بها أحد القراء السبعة (حمزة) ، ووصفه بأنّه من ضيق عطنه ، وغروره بأنّ العريّة منحصرة فيما يعلمه .

خلاصة آراء المنكرين لقراءة الجرّ عطفاً على الضمير المجرور ((الأرْحَام)):

فقد أنكر قراءة الجرّ عطفاً على الضمير المجرور ، وحرّم القراءة بها المبرّد ، حيث قال : ((لو صليت خلف إمام يقرأ بالكسر حملت نعلي ومضيت)) . وتبعه في ذلك جماعة آمنهم : ابن عطية ، فقال : إنّ هذه القراءة عند رؤساء نحويي البصرة لا تجوز ؛ لأنّه لا يجوز عندهم أن يعطف ظاهر على مضمّر مخفوض ، ثمّ نقل عن الزجاج أنّ المازني ، أنكر ذلك ؛ لأنّ

تفسيره . يُنظر : الجامع لأحكام القرآن ٥/٥ ، والتذكرة المهديّة عن أبي علي الفارسي ، والمقتضب ١/١٢٠ ، ومعالم التنزيل ١/١٥٩ ، زاد المسير ٣/٢ ، وأنوار التنزيل ١/١٣٨ ، تفسير النسفي ١/٢٠٢ ، وتفسير القرآن العظيم ١/٥٩٦ ، والدر المنثور ٢/٤٢٤ ، وإرشاد العقل السليم ٢/١٣٩ ، وروح المعاني ٤/١٨٤ ، الجواهر الحسان ١/٣٤٦ ، وتفسير آيات الأحكام /١٩٠ ، وفتح القدير ١/٦٢٦ ، والقراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية ٣٤٨/١ ، والقراءات المعجميّة في القراءات /٤١٨ .

^١ التحرير والتنوير ٤/٢١٧ - ٢١٨ ، و جامع البيان ٤/١٥١ ، والسبعة في القراءات /٢٢٦ ، والكشاف ١/٣٧٢ ، والتيسير ٩٣/١ ، الكشف عن وجوه القراءات /٣٧٥ ، والمختصّب /١٧٩ ، والنشر ٢/٢٢٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٥/٢ ، والوافي في شرح الشاطبية /٢٤٢ ، والبحر المحيط ٣/١٥٧ ، ومشكل إعراب القرآن ١/١٧٦ - ١٧٧ ، وزاد المسير ٢/٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢/٦ ، ومعاني القرآن ، للفرّاء /٢٥٢ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/١٢٨ - ١٢٩ ، وحجّة القراءات /١٨٨ ، والحجّة في القراءات السبع /١١٨ ، وهمع الهوامع ٥/٢٦٨ ، والإنصاف /٤٦٣ ، وشرح المفصّل ٢/٥١ ، ٢٧/٣ - ٢٨ ، ٥٣/٨ ، ١٠٥/٩ ، وشرح الكافية ١/١٩٧ ، ٣٢٠ ، وشرح ابن عقيل ٣/٢٤ ، وشرح الأشموني ٢/١١٨ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٥/٢ .

الكامل في اللغة والأدب ٢ /٧٤٩٢ .

^٢ هذه مسألة خلافيّة بين نحويي البصرة ، ونحويي الكوفة " فذهب نحويو البصرة أنّ لا يجوز العطف على الضمير المخفوض إلّا بإعادة الخافض ، ولا يميزون العطف بغير حرف الجرّ ، إلّا في الشعر ، ويحملونه على حذف حرف الجرّ ، ويرى سيبويه : جواز الإشارك في الشعر بين الظاهر والمضمّر مع المرفوع والمجرور عند الضرورة .

وذهب نحويو الكوفة : إلى جواز العطف على الضمير المخفوض بدون إعادة الخافض في نحو : (مَرَزْتُ بِكَ وَرَيْدٍ) ، وجرى عندهم مجرى : (مَرَزْتُ بَرَيْدٍ وَعَمْرٍ) ، واستدلوا على ذلك بالقياس والسماع ، فالقياس على عطف

المعطوف والمعطوف عليه شريكان ، يجلُّ كل واحد منهما محلَّ صاحبه . فكما لا يجوز : (مررت بزيدوك)، فكذلك لا يجوز : (مررت بك وزيد) . وذكر عن سيبويه قبحهما، وأنها لا تجوز إلا في الشعر كما قال :

فَالْيَوْمَ قَرَّبْتَ تَهْجُونََا وَتَشْتُمُنَا فَادْهَبْ فَمَا بِكَ وَالْأَيَّامِ مِنْ عَجَبٍ
وكما قال مسكين الدارمي :

نُعَلِّقُ فِي مِثْلِ السَّوَارِي سُوُوفَنَا وَمَا بَيْنَهَا وَالْكَعْبِ غَوُطَ نَفَائِفِ

الظاهر على الظاهر ، وليس مثل عطف المضمرة على الظاهر ، لأنك هنا - وإن لم تكرر - لزم مجيء الضمير المخفوض غير متصل ، وهذا لا يكون في المخفوض ، وأما السماع فقوله - سبحانه وتعالى : ((وَأَنْتُمْ اللَّهُ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ)) (النساء: من الآية ١) بالخفض على قراءة حمزة ، وهو معطوف على الضمير ، وبقوله - سبحانه وتعالى : ((وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفِّرَ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)) (البقرة: من الآية ٢١٧) ، وهو معطوف على (به) . وقد أجاز جماعة من النحاة العطف على المضمرة المجرور ، دون إعادة الخافض ، منهم الأخفش ، وأبو علي الشلوبين ، وابن مالك . يُنظر : البسيط في شرح جمل الزجاجي، ابن أبي الربيع: أبوالحسين، عبيد الله بن أحمد الإشبيلي (٦٨٨هـ)، تحقيق: عياد بن عيد الثبتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط ١، ١٩٨٦ م ١/٣٤٥ - ٣٤٧ ، والإنصاف ٢/٤٦٣ ، والكتاب ٢/٣٨٢ - ٣٨٣ .

^١ البيت لعمر بن معدى كرب الزبيدي ، وقيل : للأعشى، وقيل : لخفاجة بن ندبه ، وقيل : لعباس بن مرداس ، من بحر البسيط ، وقرب الفرس ، أي : أسرع . يقول فالיום دنوت مسرعاً في هجونا بعد بطئك عنه ، ويُروى: (وقد بتت) ، أي : قد صرت تهجوناً ، فاذهب على طريقتك فإنها سمة اللثام وشيمة الأيام ، فلا عجب من ذلك، وهو أمر تخلية ومشاركة . فعطف (الأيام) على الضمير المجرور (الكاف) في (بك) ، وهو دليل على جوازه بدون إعادة الجار، وإن منعه الجمهور . يُنظر : الكتاب ٢/٣٨٣، والإنصاف ٢/٤٦٤، والحجة في القراءات السبع ١١٨/، وحجة القراءات ١٩٠/، والمقرب ١/٥٠، وخزانة الأدب ٥/١٢٣ - ١٢٦، ١٢٨، ١٢٩، ١٣١، وشرح الأشموني ٢/٤٣٠، وشرح أبيات سيبويه ٢/٢٠٧، وشرح ابن عقيل ٣/٥٠٣، وشرح عمدة الحفاظ ٢/٦٦٢، وشرح المفصل ٣/٧٨، ٧٩، وهمع الهوامع ٢/١٣٩، والكامل ٣/٩٣١، والبحر المديد ٢/٣، والجامع لأحكام القرآن ٥/١٠، ١٤/٣، والكشف والبيان ٣/٢٤٢، واللباب في علوم الكتاب ٤/١٢، ١٤٦/٦، ٣٤٢/١٧، والمحرر الوجيز ٢/٥، والبحر المحيط ٢/١٥٧، ٣/١٦٦، والكشف والبيان ١/٥٤٣، ومفاتيح الغيب ٩/١٣٣، واللمع في العربية ٩٧، وشرح المفصل ٣/٧٨، وشرح الجمل، لابن عصفور ١/٢٤٧، وشرح الكافية الشافية ٣/١٢٥٠، وإيضاح شواهد الإيضاح، القيسي: أبو علي، الحسن بن عبد الله (ت : في القرن السادس الهجري)، تحقيق: محمد حمود الدعجاني، بيروت، دار الغرب الإسلامي ط ١، ١٩٨٧ م ١/٣٨٥، والدرر اللوامع ٢/٨١، والتحرير والتنوير ١٦/٢٩٨، وأضواء البيان ٥/١٨٣، والدُّرُّ المصون ١/٤٩٦ .

وأَنَّهُ استسهلها بعض النحويين. وذكر عن أبي علي : أَنَّ ذلك ضعيف في القياس. وزعم أَنَّهُ يردُّها من وجهين ؛ أحدهما : أن ذكر الأرحام مَّا يتساءل بها لا معنى له في الحض على تقوى الله تعالى ، ولا فائدة فيها أكثر من الأخبار بأنَّ الأرحام يتساءل بها ، وأنَّ هذا مَّا يغض من الفصاحة ، وإنَّما الفصاحة في أن يكون لذكر الأرحام فائدة مستقلة. والثاني: أن في ذكرها على ذلك تقرير التساؤل بها ، والقسم بحرمتها ، وأنَّ الحديث الصحيح يردُّ ذلك، فقد أخرج الشيخان عنه ﷺ : ((من كان حالفاً فليحلف بالله تعالى أوليصمت)) ، ثمَّ قال : إنَّ طائفة^٢ قالت إنَّما خفض والأرحام على جهة القسم من الله على ما اختص به (لا إله إلا هو) من القسم بمخلوقاته ، ويكون المقسم عليه فيما بعد من قوله: ((إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)) ، ووصف هذا الكلام بأنَّه ياباه نظم الكلام وسرده وإن كان المعنى يخرجهُ .^٣

ومنهم الطبري : حيث ذكر أنَّ قراءة ((والأرحام)) بالخفض عطفاً على الهاء التي في قوله : ((بِهِ)) كأنَّه أرادهُ ؛ واتقوا الله الذي تساءلون به وبالأرحام ، حيث عطف بظاهر على مكثي مخفوض ، فاعتبر هذا غير فصيح من الكلام عند العرب ، محتجاً أنَّ العرب لا تنسق بظاهر على مكثي في الخفض إلا في ضرورة شعر ، لضيق الشعر ، وأمَّا الكلام فلا شيء يضطرُّ المتكلم إلى اختيار المكروه من المنطق والرديء في الإعراب منه ، ثمَّ ذكر ما جاء في الشعر من ردِّ ظاهر على مكثي في حال الخفض فذكر قول مسكين الدارمي :

نُعَلِّقُ فِي مِثْلِ السَّوَارِيِّ سُوْفَنَا وَمَا بَيْنَهَا وَالْكَعْبِ غَوُطُ نَفَائِفِ

^١ وفي رواية : تعلق في مثل السواري سيوفنا وما بينها والكعب منا تنائف
يُنظَر : ديوان مسكين الدارمي / ٥٣ ، والحيوان ٤٩٤/٦ ، والإنصاف / ٤٦٥ ، وشرح المفصل ٧٩/٣ ،
والعيني ١٦٤/٤ ، وشرح الأشموني ١١٥/٣ . الغوط : جمع غائط ، وهو المطمئن من الأرض ، ونفائف : جمع نفنف ،
وهو الهواء بين الشيعين ، أي : إنَّ قومه طوال ، وأنَّ السيف كأنَّه على سارية ، وبين السيف والأرض غائط ،
ومهوى أي : مسافة .

^٢ أخرجه البخاري ٥٣١/١١ في الأيمان والنذور (٦٦٤٦) ، ومسلم ١٢٦٦/٣ - ١٢٦٧ في الأيمان (١٦٤٦/٣) .

^٣ يُنظَر : المحرَّر الوجيز ٥ / ٢ - ٦ .

^٤ سبق تخريجه .

فعطف بـ (الكعب) وهو ظاهر على الهاء والألف في قوله : (بينها) وهي مكنية . ثم ذكر أنه لا يستجيز لقارئ أن يقرأ بغير قراءة النصب ، لما قد بيننا أن العرب لا تعطف بظاهر من الأسماء على مكني في حال الخفض إلا في ضرورة شعر على ما قد وصفت قبل .
وضعفها الزمخشري حيث قال : والجرّ على عطف الظاهر على المضمر ليس بسديد؛ لأنّ الضمير المتصل متصل كاسمه ، والجار والمجرور كشيء واحد ، فكانا في قولك : (مررتُ بهِ وزيد) و (هذا غلامُهُ وزيد) شديدي الاتصال ، فلمّا اشتدّ الاتصال لتكرّره أشبه العطف على بعض الكلمة ، فلم يجز ووجب تكرير العامل ، كقولك : (مررتُ بهِ وبزيدِ) و (هذا غلامُهُ وغلامُ زيدِ) ، ثمّ قال : ألا ترى إلى صحّة قولك : (رأيتُكَ وزيداً) و (مررتُ بزيدٍ وعمرو) لما لم يقو الاتصال ، لأنّه لم يتكرّر .

وقد وصف من خرّج هذه القراءة على تقدير تكرير الجار ، كقول الشاعر :

فاليومَ قَرَّبْتَ تَهْجُونََا وَتَشْتُمُنَا فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالْأَيَّامِ مِنْ عَجَبِ
بأنّه متمخّل يريد أن يجد مخرجاً ولو لم يكن صحيحاً ، وكذلك وصف من خرّجها بالرفع على أنّه مبتدأ خبره محذوف ، كأنّه قيل : (والأرحام كذلك) ، على معنى : والأرحام ممّا يُتقى ، أو والأرحام ممّا يُساءل به .

وخطأ هذه القراءة الزجّاج ، فقال : إنّ الجرّ في الأرحام خطأ في العربيّة لا يجوز إلاّ في اضطرار شعر . وأنّه خطأ في أمر الدين عظيم ؛ لأنّ النبي ﷺ قال : ((لا تحلفوا ، بأبائكم)) فكيف يكون تتساءلون به وبالرحم على ذا .

وذكر ابن الجوزي عن الزجّاج والفرّاء ذلك ، وعن الأنباري أنّ حمزة إمّا أراد الخبر عن الأمر القديم الذي جرت عادتهم به فالمعنى الذي كنتم تتساءلون به وبالأرحام في الجاهلية ، وذكر

^١ وجامع البيان ٣ / ٥٦٥ .

^٢ سبق تخرجه .

الكشّاف ١ / ٤٩٢ - ٤٩٣ .

معاني القرآن وإعرابه ٢ / ٦ ؛

أيضاً عن أبي علي : أن من جرَّ عطف على الضمير المجرور بالباء ، وأنه ضعيف في القياس قليل في الاستعمال ، وأن ترك الأخذ به أحسن .^١

وضَعَّفَهَا نصر بن علي بن محمد الفارسي النحوي ، حيث قال : ((والأرحام بالخفض ، قرأها حمزة وحده ، وهو ضعيف ؛ لأنه عطفه على الضمير المجرور بالباء ، وهذا يضعف من جهة القياس والاستعمال جميعاً)) .^٢

وَمَنْ ضَعَّفَهَا البيضاوي ، والنسفي محتجِّين بأن الضمير المتصل كاسمه متصل ، والجار والمجرور كشيء واحد ، فأشبهه العطف على بعض الكلمة .^٣

خلاصة آراء المدافعين عن قراءة الجرِّ عطفاً على الضمير المجرور ((الأرحام)):

فهذه القراءة مسندة إلى النبي ﷺ ، وقد قال بصحَّتها جمع من النحويين واللغويين ، منهم : ابن جنِّي ، وابن يعيش ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، وأبو حيَّان الأندلسي ، وابن زنجلة ، وغيرهم ، ويمكن أن نلخص آراءهم ، على النحو الآتي :

يقول ابن جنِّي : أن هذه القراءة ليست من الإبعاد والفحش والشناعة والضعف على ما رآه فيها وذهب إليه أبو العباس ، فإنَّ لحمزة أن يقول لأبي العباس : إنني لم أحمل الأرحام على العطف على المجرور المضمَر ، بل اعتقدت أن تكون فيه باء ثانية ، حتَّى كأني قلت : وبالأرحام ، ثمَّ حذف الباء لتقدُّم ذكرها ، كما حذف لتقدُّم ذكرها في نحو قولك : (بِمَنْ تَمُرُّ أُمُّ) ، و (عَلَى مَنْ تَنْزِلُ أَنْزَلُ) ، ولم يقل : (أُمُرُّ بِهِ) ، و (لَأَنْزِلُ عَلَيْهِ) ، لكن حذف الحرفين لتقدم ذكرهما .^٤

وقال ابن يعيش : إنَّ أكثر النحويين قد ضَعَّفَ هذه القراءة نظراً إلى العطف على المضمَر المخفوض ... ثمَّ قال : ويحتمل وجهين آخرين غير العطف على المكنى المخفوض : أحدهما : أن تكون الواو واو قسم ، وهم يقسمون (بالأرحام) ويعظِّمونها ، وأنه جاء التنزيل

^١ يُنظَر : زاد المسير ٣/٢ .

الموضح في وجوه القراءات وعللها ١ / ٤٠٢

^٢ يُنظَر : أنوار التنزيل ١ / ١٣٨ ، وتفسير النسفي ١ / ٢٠٢

يُنظَر : الخصائص ١ / ٢٨٥ .

على مقتضى استعمالهم ، ويكون قوله: ((إِنْ أَلَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)) ، جواب القسم. والوجه الثاني : أن يكون قد اعتقدوا أن قبله باء ثانية ، حتى كأنه قال وبالأرحام ، ثم حذف الباء لتقدم ذكرها .^١

وقال الفخر الرازي - بعد أن نقل وجوه احتياج النحويون في تضعيف قراءة حمزة - : إن هذه الوجوه ليست وجوها قوية في رفع الروايات الواردة في اللغات ؛ لأن حمزة أحد القراء السبعة ، وأنه لم يأت بهذه القراءة من عند نفسه ، بل رواها عن رسول الله ﷺ ، وذلك يوجب القطع بصحة هذه اللغة ، والقياس يتضاءل عند السماع لا سيما بمثل هذه الأقيسة التي هي أوهن من بيت العنكبوت ، وأيضاً ذكر لهذه القراءة وجهين :

الأول : أنها على تقدير تكرير الجار . كأنه قيل : (تساءلون به وبالأرحام) .

والثاني : أن ذلك ورد في الشعر ، ومنه قول الشاعر :

فَالْيَوْمَ قَرَّبْتَ تَهْجُونَا وَتَشْتُمُنَا فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالْأَيَّامِ مِنْ عَجَبٍ

وكما قال مسكين الدارمي :

نُعَلِّقُ فِي مِثْلِ السَّوَارِي سُوُوفَنَا وَمَا بَيْنَهَا وَالْكَعْبِ غَوُطُ نَفَائِفِ

ثم قال : إن العجب من هؤلاء النحاة أنهم يستحسنون إثبات هذه اللغة بمثل هذه الأبيات المجهولة ، ولا يستحسنوا إثباتها بقراءة حمزة ومجاهد ، مع أنهما كانا من أكابر علماء السلف في علم القرآن .

ثم واصل رده على العلماء الذين ردوا هذه القراءة ، ومنهم الزجاج ، الذي احتج على فساد هذه القراءة من جهة المعنى بقوله ﷺ : ((لا تحلفوا بأبائكم)) فإذا عطف الأرحام على المكثي عن اسم الله اقتضى ذلك جواز الحلف بالأرحام ، فقال : إنه يمكن الجواب عنه بأن هذا حكاية عن فعل كانوا يفعلونه في الجاهلية ؛ لأنهم كانوا يقولون : (أسألك بالله والرحم) ، وأن

شرح المفصل ٣ / ٧٨ .^١

^٢ سبق تخريجه .

^٣ سبق تخريجه .

هذه حكاية هذا الفعل عنهم في الماضي لا تنافي ورود النهي عنه في المستقبل، وأنَّ الحديث نهي عن الحلف بالآباء فقط ، وههنا ليس كذلك ، بل هو حلف بالله أولاً ، ثمَّ يقرن به بعده ذكر الرحم ، فهذا لا ينافي مدلول ذلك الحديث .^١

وقال القرطبي في دفاعه عن صحَّة هذه القراءة : ومثل هذا الكلام - أي من النحويين - مردود عند أئمة الدين ؛ لأنَّ القراءات التي قرأ بها أئمة القراء ثبتت عن النبي ﷺ تواتراً يعرفه أهل الصنعة ، وإذا ثبت شيء عن النبي ﷺ فمن ردَّ ذلك فقد ردَّ على النبي ﷺ واستقبح ما قرأ به . وأنَّ هذا مقام محذور ، ولا يقلد فيه أئمة اللُّغة والنحو ، فإنَّ العربيَّة تتلقَّى من النبي ﷺ ولا يشكُّ أحد في فصاحته . ثمَّ قال : والكوفي يجيزُ عطف الظاهر على الضمير المجرور ولا يمنع منه ، وذكر البيت المشهور :

فاليومَ قَرَّبْتَ تَهْجُؤَنَا وَتَشْتُمُنَا فَادْهَبْ فَمَا بِكَ وَالْأَيَّامِ مِنْ عَجَبٍ
وأبو حيَّان لم يكتفِ بالرَّدِّ على من ضَعَّف هذه القراءة ، بل يرُدُّ عليهم عامَّة ، وعلى ابن عطية خاصَّة فيقول : إنَّ ما ذهب إليه البصريون ، وتبعهم فيه الزمخشري ، وابن عطية ، من امتناع العطف على الضمير المجرور إلاَّ بإعادة الجار ، ومن اعتلَّاهم لذلك غير صحيح . بل الصحيح مذهب الكوفيين في ذلك ، وأنَّه يجوز . وأضاف أبو حيَّان : ((وأما قول ابن عطية : ويردُّ عندي هذه القراءة ... إلى آخر كلامه)) ، فجسارة قبيحة منه لأ تليق بحاله ، ولا بطهارة لسانه ، إذ عمد إلى قراءة متواترة عن رسول الله ﷺ ، قرأ بها سلف الأئمة ، واتصلت بأكابر قرَّاء الصحابة ، الذين تلقَّوا القرآن من رسول الله ﷺ بغير واسطة ، عثمان ، وعلي ، وابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأقرأ الصحابة أبي بن كعب رضي الله عنهم ، عمد إلى ردها هو بشيء خطر له في ذهنه ؛ وهذه الجسارة لا تليق إلاَّ بالمعتزلة كالزمخشري ، فإنَّه كثيراً ما يطعن في نقل القراء وقراءتهم . وحزمة ﷺ أخذ القرآن عن سليمان بن مهران الأعمش ، وحران بن أعين ، ومحمد بن عبد

^١ يُنظَر : مفاتيح الغيب ٩ / ٤٧٥ .

^٢ يُنظَر : الجامع لأحكام القرآن ٥ / ٤ .

^٣ سبق تخريجه . يُنظَر : الجامع لأحكام القرآن ٥ / ٥ .

^٤ يُنظَر : المحرَّر الوجيز ٢ / ٦ .

الرحمن بن أبي ليلى ، وجعفر بن محمد الصادق. ولم يقرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلا بأثر ، وكان حمزة صالحاً ، وربما ثقة في الحديث .

ومن المدافعين السمين الحلبي : حيث ذكر ثلاثة مذاهب للنُّحاة في قاعدة (العطف على الضمير المجرور) :

المذهب الأوّل: مذهب الجمهور من البصريين، فقالوا بوجوب إعادة الجار إلا في ضرورة.
المذهب الثاني : مذهب الكوفيين وتبعهم أبو الحسن ويونس والشلوبيون ، أنه يجوز ذلك مطلقاً .

والمذهب الثالث : مذهب الجزمي ، التفصيل ، وهو إن أُكِّد الضميرُ جاز العطفُ من غير إعادة الخافض نحو: (مررت بك نفسك وزيد) ، وإلا فلا يجوزُ إلا ضرورةً .
ثمَّ علّق على ذلك ، بأنه يجوز مطلقاً ، للأسباب الآتية :

١ . كثرة السماع الوارد به .

٢ . ضعف دليل المانعين .

٣ . اعتضاد ذلك بالقياس .

ثمَّ وضّح هذه الأسباب الثلاثة مفصّلاً :

أولاً - السّماع : فقال إنّه ورد ذلك في النثر ، كقولهم : (ما فيه غيره وفرسه) بجر

(فرسه) عطفاً على الهاء في غيره . ومنه ((وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقَيْنَ)) من قوله ﷺ : ﴿ وَجَعَلْنَا

لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقَيْنَ ﴾ (٢٠) ، و (من) عطف على (لكم) في قوله تعالى

في الآية نفسها : ((لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ)) .

ومنه ((وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ)) قوله ﷺ : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ

يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا

يُنظَر : مفاتيح الغيب ٣ / ١٦٥ - ١٦٧ .

٢ سورة الحجر / ٢٠ .

كُنِبَ لَهُنَّ وَتَرَعَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى
بِالْقِسْطِ^٤ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ ، حيث عطف (ما) على (فيهن)
فيهن) ، أي على الضمير المجرور فيها ، وهو يعنى قوله تعالى : ((قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ
وَمَا يُتْلَى...)). ثم قال: وفي النظم وهو كثيرٌ جداً ، فمنه قولُ العباس بن مرداس:
أَكْرُرُ عَلَى الْكُتَيْبَةِ لَا أَبْلِي أَفِيهَا كَانَ حَتْفِي أَمْ سِوَاهَا
ف (سواها) عطفٌ على (فيها) ، وذكر قول مسكين الدارمي :
تُعَلَّقُ فِي مِثْلِ السَّوَارِي سَيُوفُنَا وَمَا بَيْنَهَا وَالْأَرْضِ غَوُطٌ نَفَائِفُ
وقول الآخر :
هَلَا سَأَلْتَ بِذِي الْجَمَاجِمِ عَنْهُمْ وَأَبِي نُعَيْمِ ذِي اللَّوَاءِ الْمِخْرِقِ

١ سورة النساء / ١٢٧ .

٢ يُنظَرُ : الحماسة الشجرية ١/١٣٣ ، والإنصاف ١/٢٧٤ ٢/٥ ، وشرح ديوان الحماسة ١/١٥٨ ، وشرح التسهيل ، ابن مالك: محمد بن عبدالله ، (٦٧٢هـ) ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، وطارق فتح السيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط ٤ ، ٢٠٠١ م ٣/٢٣٤ ، وشرح الكافية الشافية ٣/١٢٥٢ ، والبحر المحيط ٢/٣٨٨ ، وخزانة الأدب ٢/٣٨٨ ، وشرح عمدة الحفاظ ٢/٦٦٣ .

٣ سبق تخريجه .

٤ لم أعرف قائله .

٥ البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن . قال : وقوله " وجعلنا لكم فيها معايش " : أراد الأرض " ومن لستم له برازقين " فمن في موضع نصب ، يقول : جعلنا لكم فيها معايش والعبيد والإماء ، وقد جاء أنهم الوحوش والبهائم ، ومن : لا يفرد بها البهائم ، ولا ما سوى الناس ، فإن يكن ذلك على ما روى فنرى أن أدخل فيهم المماليك ، على أنا ملكناكم العبيد والإبل والغنم وما أشبه ذلك ، مجاز ذلك ، وقد يقال إن " من " في موضع خفض ، يراد جعلنا لكم فيها معايش ولمن . وما أقل ما ترد العرب لمخفوض قد كني عنه ، وقد قال الشاعر : نعلق في مثل الواري سيوفنا ... وما بينها والكعب غوط نفائف

فرد الكعب على بينها . وقال الآخر : هلا سألت ... البيت ، فرد " أبي نعيم " على الهاء في عنهم .

قال الطبري : وهذا الموضع الذي أشار إليه الفراء ، وهو عطف اسم مخفوض على ضمير هو قوله تعالى " واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام " من سورة النساء . يُنظَرُ : جامع البيان ١٧ / ٨٣ ، ومعاني القرآن ، للفراء ٢/٨٦ ،

وقول الآخر :

١

بِنَا أَبَدًا لَا غَيْرِنَا تُدْرِكُ الْمَنَى وَتُكْشَفُ غَمَّاءُ الْخَطُوبِ الْفَوَاحِ

وقول الآخر :

٢

لَوْ كَانَ لِي وَزَهِيرٍ ثَالِثٌ وَرَدَّتْ مِنْ الْحِمَامِ عِدَانَا شَرًّا مَوْرُودٍ

وقال آخر :

٥

إِذَا أَوْقَدُوا نَارًا لِحَرْبِ عَادُوهُمْ فَقَدْ خَابَ مَنْ يَصْلَى بِهَا وَسَعِيرِهَا

وقال آخر :

٧

إِذَا بَنَى بَلٌّ أَنْيْسَانَ اتَّقَتْ فِتْنَةٌ ظَلَّتْ مُؤَمَّنَةً مِمَّنْ يُعَادِيهَا

وقال آخر :

٩

أَبَاكَ أَيُّهُ بِي أَوْ مُصَادِرٍ مِنْ حُمْرِ الْجِلَّةِ جَأْبٍ حَشُورٍ

والإنصاف ٦/٢ ، ١٢ ، وشرح التسهيل ٣/٢٣٤ ، وشرح عمدة الحفاظ ٢/٦٦٢ ، وشرح الكافية الشافية ٣/١٢٥٢ ، والبحر المحيط ٢/٣٨٧ ، وخزانة الأدب ٥/١٢٣ .

^١ البيت لرجل من طي لم أعرف قائله .

^٢ يُنظَرُ : شرح التسهيل ٣/٢٣٥ ، وشرح عمدة الحفاظ ٢/٦٦٤ ، وشرح الكافية الشافية ٣/١٢٥٣ ، وشواهد التوضيح والتصحيح ٥٦/ ، وشرح ألفية ابن مالك ٢/٢١٢ ، والبحر المحيط ٢/٣٨٧-٣٨٨ ، والعيني ٤/١٦٦ .

^٣ لم أعرف قائله .

^٤ يُنظَرُ : شرح التسهيل ٣/٢٣٥ ، وشرح عمدة الحفاظ ٢/٦٦٤ ، وشرح الكافية الشافية ٣/١٢٥٣ ، وشواهد التوضيح والتصحيح ٥٦/ ، وشرح ألفية ابن مالك ٢/٢١٢ ، والبحر المحيط ٢/٣٨٧-٣٨٨ ، والعيني ٤/١٦٦ .

^٥ لم أعرف قائله .

^٦ يُنظَرُ : شرح التسهيل ٣/٢٣٥ ، وشرح عمدة الحفاظ ٢/٦٦٤ ، وشرح الكافية الشافية ٣/١٢٥٣ ، وشواهد التوضيح والتصحيح ٥٦/ ، وشرح ألفية ابن مالك ٢/٢١٢ ، والبحر المحيط ٢/٣٨٧-٣٨٨ ، والعيني ٤/١٦٦ .

^٧ لم أعرف قائله .

^٨ يُنظَرُ : عمدة الحفاظ ٢/٦٢٢ ، والبحر المحيط ٢/١٥٧ ، واللباب في علوم الكتاب ٤/١٢ ، والذُّرُّ المصون ١/٥٣٠ .

^٩ لم أعرف قائله .

^{١٠} يُنظَرُ : الكتاب ٢/٣٠٢ ، والبحر المحيط ٢/١٥٧ ، ولسان العرب (أوب) ، واللباب في علوم الكتاب ٤/١٢ ، والذُّرُّ المصون ١/٥٣٠ .

وأنشد سيبويه :

فاليوم قَرَّبْتَ تَهْجُونََا وَتَشْتُمُنَا فَادَّهَبَ فَمَا بِكَ وَالْأَيَّامِ مِنْ عَجَبِ
ثم علّق على ذلك بأنّ كثرة ورود هذا وتصرفهم في حروف العطف ، فجاءوا تارة بالواو ،
وأخرى بـ (لا) ، وأخرى بـ (أم) ، وأخرى بـ (بل) دليل على جوازه .

ثانياً - ضَعْفُ الدليل : ذكر أنهم منعوا ذلك لأنّ الضمير كالتنوين ، فكما لا يُعْطَفُ
على التنوين لا يُعْطَفُ عليه إلا بإعادة الجار . ووجه ضعفه أنّه كان بمقتضى هذه العلة ألاّ
يُعْطَفَ على الضمير مطلقاً ، أعني سواء كان مرفوعاً الموضع أو منصوبه أو مجروره ، وسواء أُعيد
معه الخافض أم لا كالتنوين .

ثالثاً - القياس : ذكر أنّه تابع من التوابع الخمسة ، فكما يُؤكّد الضمير المجرور ويُبدل
منه فكذلك يُعْطَفُ عليه .
٣

ومن خلال ذلك يتّضح لنا أنّ قراءة حمزة (والأرحام) عطفاً على الضمير المجرور قبله قد
تأيد بأكثر من دليل ، فتحقّق بذلك إظهار ضعف رأي البصريين في ردّ هذه القراءة ، وضعف
قاعدتهم التي اعتمدوا عليها .
٤

وأيد ابن عاشور من أجاز هذه القراءة ، وهم الكوفيون ، ومن وافقهم من البصريين :
كيونس بن حبيب ، والأخفش الأصغر ، ومن المتأخرين ابن مالك ؛ حيث أجازوا عطف
الضمير المجرور بدون إعادة الضمير ، فقال ولا يمنع من ذلك ما قيل من امتناع العطف على
المجرور بدون إعادة الجار ؛ لعدم اتفاق أئمّة النحو عليه ، فالكوفيون لا يمنعونه ووافقهم بعض
المتأخرين مثل ابن مالك ، ثمّ قال : لقد أصاب ابن مالك في تجويزه العطف على المجرور بدون

^١ البيت لعمر بن معدى كرب الزبيدي ، وقد سبق تحريجه .

^٢ يقصد البصريين ومن وافقهم .

^٣ يُنظر : الدرّ المصون ٢ / ٣٩٣ - ٣٩٧ .

^٤ يُنظر : الجامع لأحكام القرآن ٥ / ٣ - ٤ ، والبحر المحيط ٢ / ١٤٧ - ١٤٨ ، ٣ / ٢٥٨ - ٢٥٩ ، ومفاتيح الغيب
٩ / ١٦٣ - ١٦٤ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ٣ / ٤٦٣ ، مسألة (٦٥) ، وشرح الأشموني ٢ / ١١٧ - ١١٨ ،
والخصائص ١ / ٢٨٥ ، شرح التصريح على التوضيح ٢ / ١٥١ - ١٥٢ .

إعادة الجار ، فتكون تعريضا بعوائد الجاهلية إذ يتساءلون بينهم بالرحم ، وأواصر القرابة ، ثم يهملون حقوقها ولا يصلونها ، ويعتدون على الأيتام من أخوتهم ، وأبناء أعمامهم ، فناقضت أفعالهم أقوالهم ، وشيء هذا شأنه حقيق بأن تراعى أواصره ووشائجه ، وهم لم يرقبوا ذلك .

وقد علق ابن عاشور عن هذه المسألة عند تفسيره لـ ((أَشَدَّ)) من قوله ﷺ : ﴿ فَإِذَا

قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ

النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّآءِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ ، فقد ذكر أنّ (أَشَدَّ) معطوفاً على (ذكر) المجرور بالكاف من قوله (كَذِكْرِكُمْ) ، وأنه لا يمنع من ذلك ما قيل من امتناع العطف على المجرور بدون إعادة الجار ؛ لأنّ ذلك غير متفق عليه بين أئمة النحو ؛ فالكوفيون لا يمنعون ، ووافقهم بعض المتأخريين مثل ابن مالك ، وعليه قراءة حمزة : ((وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِءِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾)) بجرّ (الأرحام) ،

وذكر عن الرمخشري تجويز ذلك هنا ، وفي ((كَخَشِيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشِيَةً)) ، من قوله ﷺ : ﴿

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَالِ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشِيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشِيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْفِتْنَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ

١ حيث قال في ألفيته :

وعود خافض لدى عطف على ضمير خفض لازما قد جعلنا

وليس عندي لازما إذ قد أتى في النثر والنظم الصحيح مثبنا

ألفية ابن مالك ، ويُنظر شرح ابن عقيل ٢٣٩/٣ .

٢ التحرير والتنوير ٢٤٦/٢ ، ٢١٨ / ٤ .

٣ سورة البقرة / ٢٠٠ .

٤ ووافقهم يونس ، والأخفش ، وقطرب ، والشلوبين ، والرازي ، وأبو حبان ، وابن هشام يُنظر الحجّة / ١١٨ ، الكامل

٣٨/٣ - ٣٩ ، البيان ٢٤١/١ ، البحر ١٤٧/٢ ، شرح التصريح على التوضيح .

٥ يُنظر: ألفية ابن مالك، وشرح ابن عقيل ٢٣٩/٣ .

٦ سورة النساء / ١ .

١ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ أَنْتَقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٧٧﴾ ، بأن يكون العطف على المجرور بالحرف بدون إعادة الجار ، وذكر عن بعض النحويين تجويز ذلك فيما إذا كان الجر بالإضافة لا بالحرف ، كما قاله ابن الحاجب في إيضاح المفصل ، وعليه ففتحة (أشد) نائبة عن الكسرة ؛ لأن (أشد) ممنوع من الصرف .
٣ وبعد هذا البيان لا بد لي من كلمة أقولها :
٤

فقد تمسك معظم النحويين بالقاعدة المعروفة لدى البصريين ، التي لا تجيز عطف الاسم الظاهر على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض . ولو أمعنا النظر في القرآن الكريم لرأينا شواهد كثيرة ، ورد فيها عطف الاسم الظاهر على الضمير المخفوض دون إعادة الخافض . ولا أدري لم أهملها النحاة؟! مع أنهم احتجوا بأبيات شعر سمعت عن بعض العرب، وبنصوص من كلام العرب الفصحاء ، وكتاب الله قمة الفصاحة والبيان . فمن الشواهد التي وردت في القرآن الكريم :

١ . ((وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)) ، من قوله ﷺ : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ

١ سورة النساء / ٧٧ .

٢ ولعلنا هنا خالف الصواب في نقله لرأي الزمخشري ، فالمعروف عن الزمخشري غير ذلك ، فهو يرى أن هذا الرأي ليس بسديد ، حين ذكر القراءات في (والأرحام) ، حيث قال : ((وقرئ)) (والأرحام)) بالحركات الثلاث ، فالنصب على وجهين : إما على : واتقوا الله والأرحام ، أو أن يعطف على محل الجار والمجرور ، كقولك : مررت بزيد وعمراً . وينصره قراءة ابن مسعود : «تسألون به وبالأرحام» ، والجر على عطف الظاهر على المضمير ، وليس بسديد؛ لأن الضمير المتصل متصل كاسمه ، والجار والمجرور كشيء واحد ، فكانا في قولك : (مررت به وزيد) و (هذا غلامه وزيد) شديدي الاتصال ، فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة ، فلم يجز ووجب تكرير العامل ، كقولك : (مررت به وبزيد) و (هذا غلامه وغلام زيد) ألا ترى إلى صحة قولك : (رأيتك وزيداً) و (مررت بزيد وعمرو) لما لم يقو الاتصال ، لأنه لم يتكرر ، وقد تمحل لصحة هذه القراءة بأنها على تقدير تكرير الجار ونظيرها ((الكشاف ٤٩٢/١) ، فيفهم من هذا غير الذي ذكره ابن عاشور والله أعلم .

٣ يُنظَرُ إيضاح المفصل

٤ التحرير والتنوير ٥٦٢/١ .

أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ^ج وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ^ظ وَلَا يَزَالُونَ يُقْبِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ^ط وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ، فـ ((المسجد))^١
بقراءة الجر معطوف على الهاء في (به) دون إعادة الخافض .

٢ . ((وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ)) ، من قوله ﷺ : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي

النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ^ط يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّىٰ النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَرَّعُونَ أَن تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوَالِدِينَ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ^ع وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ^ع عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ ، فقد أجاز^٣
الفرء أن تكون (ما) في موضع خفض ؛ لأنها معطوفة على الضمير المخفوض في (فيهن) أي
: يفتيكم الله فيهن ، وما يتلى عليكم غيرهن .

٣ . ((وَالْمُقِيمِينَ)) من قوله ﷺ : ﴿ لَنَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ

بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٢﴾ ، فالـ ((الْمُقِيمِينَ)) عند الكسائي في موضع خفض
بالعطف على الكاف في (إليك) ، والتقدير (يؤمنون بالكتب وبالْمُقِيمِينَ الصلاة ، وهم الأنبياء

١ سورة البقرة / ٢١٧ .

يُنظَر : الفريد في إعراب القرآن المجيد ١ / ٤٥٤ .

٣ سورة النساء / ١٢٧ .

معاني القرآن ١ / ٢٩٠ ، وَيُنظَر : الفريد في إعراب القرآن المجيد ١ / ٧٩٧ .

٥ سورة النساء / ١٦٢ .

، أو الملائكة) . وقيل : هو عطف على الكاف في قوله : (بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) ، أي يؤمنون بالذي أنزل إليك وإلى المقيمين الصلاة ، وهم الأنبياء .

٢

فهذه الآيات جاءت في القراءات السبعة المحكمة ، وهذا الذي جعل أبا حيان يقول عن قراءة حمزة : ((ومن ادّعى اللّحن فيها ، أو الغلط على حمزة فقد كذب)) .
ولذلك كان ابن مالك على صواب تام حين قال في ألفيته مخالفاً رأي البصريين ، ومؤيداً قراءة حمزة :

وَعَوُذٌ خَافِضٌ لَدَى عَطْفٍ عَلَى ضَمِيرٍ خَفُضٍ لِأَزْمَاقٍ جُعِلَا
وَلَيْسَ عِنْدِي لِأَزْمَاقٍ إِذْ قَدْ أَتَى فِي النِّظْمِ وَالنَّثْرِ الصَّحِيحِ مُثَبَّتَا
وحيثما عدّد أبو حيان مذاهب النُّحاة في جواز العطف على الضمير المخفوض دون إعادة الخافض قال : ((والذي نختاره ، أنه يجوز ذلك في الكلام مطلقاً ؛ لأنّ السَّماع يعضده ، والقياس يقوّيه ، أمّا السَّماع فما رُوي من قول العرب : (ما فيها غيره وفرسه) ، بجِزِّ الفرس ، عطفاً على الضمير في (غيره) والتقدير : (ما فيها غيره ، وغير فرسه)) .

والذي يظهر لي أنّ ردّ معظم النُّحاة البصريين لهذه القراءة ، ولغيرها من القراءات القرآنية المتواترة ، وبخاصّة ما أشكل منها كان بسبب اعتقادهم أنّ القراءات آراء تنبثق من أصحابها ، ولا يعدّونها متواترة عن رسول الله ﷺ ، وإن كانوا قد سلّموا بأفضلية القرآن الكريم وقراءاته مصدراً موثقاً من مصادر الاستشهاد في النحو ، ولكن موقفهم من القراءات اختلف بين النظرية والتطبيق ، فهم من حيث المبدأ مقتنعون بأنّ كلّ ما ورد وقُرئ به جاز الاحتجاج به في العربيّة ،

يُنظَر : الفريد في إعراب القرآن المجيد ١ / ٨١٨ .

يُنظَر : البيان في غريب إعراب القرآن ، الأنباري : أبو البركات ، عبد الرحمن بن محمد (٥٧٧هـ) ، تحقيق : طه عبد الحميد طه ، مراجعة : مصطفى السقا ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ط ١٩٨٠ ، ١ م / ٢٧٦ ، والفريد ١ / ٨١٨ .

البحر المحيط ٢ / ١٤٧ . ٣

ألفية ابن مالك . ويُنظَر : توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ٢ / ١٠٢٦ ، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٣ / ٢٣٩ ، دليل السالك إلى ألفية ابن مالك / ٦ ، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك ١ / ٢٢٢ .

البحر المحيط ٢ / ١٤٧ ، ويُنظَر : نظرية النحو القرآني / ٧٦ - ٧٧ .

ولكنهم حين بدأوا التطبيق والتفعيد خالفت كثرة منهم هذا المبدأ، فوقفوا من القراءات موقفاً أقلّ ما يُقال فيه : إنّه يتعارض مع منهجهم في الجمع والتفعيد، وهو منهج خلط بين عدد من اللهجات القبلية اعتقدوا صفاءها وشهرتها فاستقوا منها مادتهم، وقعدوا على أساسها قواعدهم . وهذا يدلُّ على أنّهم كانوا يعتقدون أنّ القراءات آراء تنبثق من أصحابها، ويؤيد ذلك ما قاله ابن المنير عند تعقيبه على الزمخشري لقراءة ابن عامر بالفصل بين المتضايين في قوله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ﴿

وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

﴿ برفع ((قتل)) وجرّ ((شركائهم)) على الإضافة إذ يقول ابن المنير : ((فهذا ظنُّ من الزمخشري أنّ ابن عامر قرأ قراءته هذه رأياً منه)) ، وكذلك ما نقله الشوكاني عن أبي غانم أحمد بن حمدان : ((إنّ قراءة ابن عامر هذه لا تجوز في العربيّة وهي زلّة عالم)) ، فهو بقوله هذا يوحي بأنّ ابن عامر هو الذي جاء بهذه القراءة من عنده . وقد غالى بعض النحاة في ردّ القراءات المتواترة، كما فعلوا مع هذه القراءة (الأرحام) بالخفض .

لذلك نرى أنّ موقف نحاة البصرة من القراءات امتداداً لذلك الموقف الخاطئ المؤسس بداية على إهمالها والانتقاص منها ، حتّى وإن تباينت مواقف بعضهم منها ، قبولاً أو رفضاً، فهم لم يعطوها حقّها من الاستشهاد ، بل كان هناك تغافل نسبيّ عن الاستشهاد بالقراءات القرآنيّة ، نرى ذلك في كثير من مؤلفاتهم ، كالمقتضب للمبرّد ، ومسائل أبي علي الفارسي ، وخصائص ابن جنيّ ، فهم لم يستشهدوا بالقراءات وحدها إلّا في القليل جداً من المسائل النحويّة ، ولم يكن موقف البصريين من القراءات موقفاً منهجياً مقبولاً ، فهم يحتجّون بها حين تتفق مع أصولهم ،

١ سورة الأنعام / ١٣٧ .

٢ يُنظر : ما قاله ابن المنير بمامش الكشّاف للزمخشري ٥٣/٢ .

٣ فتح القدير ١٨٨/٢ .

٤ يُنظر : النحو والقراءات ، للبيدي / ٣٢٢ .

وتساير قواعدهم وتتمشَّى مع منهجهم ، أمَّا حين تتعارض مع ما وصلوا إليه من قواعد فجزاؤها
الرفض والإنكار .

أمَّا موقف نحاة الكوفة على خلاف موقف نحاة البصرة ، فهي مهبط كثير من الصحابة ،
وموطن القراءات ، ومُرَبِّي كثير من أعلام القراء ، لذلك جعل الكوفيون من القراءات مصدراً من
مصادرهم اللغويَّة ، واعتدَّوا بها ، وجعلوها مرجعاً له وزنه إذا تعارضت مع القاعدة المشهورة
الشائعة ، واتخذوا الموازنة بين القراءات والقواعد أساساً لتصحيح القاعدة، وتعديلها عمَّا كانت
عليه عند البصريين .

وهذا على الرأي الغالب بين المدرستين ، ولكن نرى أحياناً أخرى أنَّ الأمر يختلف، فقد
نرى من البصريين من يقبل القراءة ، ويستدلُّ بها ، والعكس عند الكوفيين فقد نرى منهم من
يعارضها ، ويردُّها ، وخاصَّةً للأثر الذي تركه عليهم تلمذة بعضهم على أيدي البصريين، فإذا
كان سيويوه إمام أهل البصرة مثلاً يرى أنَّ القراءة سنَّة متَّبعة ، فهناك الفرء إمام أهل الكوفة
يرفض بعض القراءات ولا يتَّبِعها ، وإذا كان المازني البصري يُحَطِّئ قراءة ما، فإنَّك تجد الكسائي
الكوفي يقبل قراءة أخرى ، ويبني عليها قواعده ، وإذا كنَّا نرى المبرِّد ينكر على حمزة قراءة
(والأرحام) بالجرِّ ، والزجاج والزخشي يضعفها ، فإنَّ هناك من أيَّدها ودافع عنها ، فإنَّنا نرى
ابن جنيَّ يردُّ على المبرِّد إنكاره . وإذا كان الزخشي يردُّ قراءة ابن عامر في الفصل بين
المتضايفين في قوله تعالى : ((زين لكثير من المشركين)) ، فنرى أبا حيَّان يندِّد بفعل
الزخشي . وبذلك انقسم الثُّحاة إلى فريقين تجاه القراءات : فريق المحايدين الأثريين الذين
اعتمدوا القراءات القرآنيَّة ، فلم نقرأ - في ما وصل إلينا من آرائهم - ما يمسُّ قراءة مُعيَّنة بالطَّعن
أو التجريح ، وإمَّا جاءت كلُّ آرائهم - على قَلَّتْها - مُناصرة للقراءات، ومنهم : عبد الله بن أبي

^١ يُنظَر : الكتاب ١/١٤٨ .

^٢ يُنظَر : الخصائص ١/٢٨٥ .

^٣ يُنظَر : البحر المحيط ٦/١١٧ ، وأثر القرآن والقراءات في النحو / ٣٢٠ - ٣٢٦ .

إسحاق الحضرمي ، وعيسى بن عمر ، ويونس بن حبيب ، والخليل ابن أحمد الفراهيدي ،
والزجاجي ، والسيرافي، وأحمد ابن فارس .

والفريق الآخر هم فريق القياسيين ، وهو يضم أبرز النحاة وأشهرهم ، وأعمقهم تأثيراً في
الحياة اللغوية، ويجمعهم جميعاً أنهم لا يتحرّزون عن التهجم على القراءات إذا تعارضت مع ما
انتهت إليه قواعدهم ، ولا يتورّعون عن تلحين قارئ إذا لم تتفق قراءته مع مقاييسهم على الرغم
أنّ بعضهم يُعدُّ من أشهر رجال القراءات وأبرزهم ، كأبي عمر بن العلاء، والكسائي ، اللذين
اختارهما ابن مجاهد بين من اختار من القراء السبعة ، وأغلبهم ممن ألفوا في القراءات القرآنية حلاً
لمشكلاتها الإعرابية ، أو إيضاحاً لمعانيها ، أو تعليلاً لوجوهها التي فُرئت بها، كالفرّاء والزجاج ،
وابن خالويه ، والفارسي ، وابن جني.

فمثلاً سيبويه نرى أنّه نظرياً قرّر أنّ القراءة لا تخالف ؛ لأنّها سنّة متّبعة ، وقد كان هذا
المبدأ كفيلاً بأن يورثه احتراماً لكلّ ما ورد من قراءات ، واعتماداً لها في مجال التقييد اللغوي!
ومن خلال تعامله مع القراءات القرآنية اعتماداً على نصوصه التي أوردها في كتابه، يمكننا القول
إنّه لم يوفّق كلّ التوفيق في الالتزام بمبدئه القائل : إنّ القراءة سنّة لا تخالف. ويكفينا دليلاً على
ذلك موقفه من القراءات التي وصفها بالقبح والرداءة أو الضعف.

ونرى أنّ الكسائي يجتذبه منهجان متباينان : منهج مقيّد بالنقل، وليس للعقل عليه من
سلطان، وهو منهج أهل القراءة القائم على الرواية، ومنهج مقيّد بالعقل وهو منهج أهل العربيّة.
ويبدو أنّه انتهى إلى أن ينتهج في حياته منهجاً وسطاً بين المنهجين. لكنّه لم يسلم من الوقوع في
ما وقع فيه غيره من النحاة من طعن على القراءة، ورمي للقراء بالعجمة! كما لجأ الكسائي إلى
توجيه قراءة كثر الجدل حولها، واختلفت فيها الآراء، حتى كاد أوائل النحاة يتفقون على
تلحينها، وهي قراءة ((هؤلاء بناي هنّ أظهر لكم)) من قوله ﷺ: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ
إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَظْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ

¹ يُنظر : الكتاب ١/ ١٤٨ .

وَلَا تُخْرُونَ فِي ضَيْفِي^ط أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ بنصب ((أَطَهَرَ))، فلخرَّجها على

أسلوب التقريب ، بأن تجري ((هَوُؤَلَاءِ)) مجرى (كان) وترتفع ((بَنَاتِي)) بها، ويكون الاعتماد في الإخبار على الاسم المنصوب (أطهر). كما اعتبر الكسائي قراءة الجمهور (قد سمع) بإظهار الدال وعدم إدغامها في السين، في سورة المجادلة خاطئة، بل عَنَّفَ من قرأ بالبيان قائلاً: ((من قرأ (قد سمع) فبين الدال عند السين ، فلسانه عجمي ليس بعربي)) !

ونظر إلى من سبق مثل أبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة، الذين سار ذكرهم في الآفاق، وأحد النُّحاة الأوائل الذين لا يحدد تأثيرهم في بناء صرح النَّحو العربي، وتأسيس دعائمهم، وله قراءات كثيرة تحمل في منطوقها خروجاً على القواعد الشائعة، ومخالفة للأقيسة المتعارف عليها، ومنها : قراءته (بَغْتَةَ) في قوله ﷻ : ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَسَاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةٌ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴾ ﴿١٨﴾ ، قرأها ((بَغْتَةً)) بفتح الغين وشد التاء على رغم أن (فَعَلَّةٌ) لم تأتِ في المصادر ولا في الصفات ، وإنما هي مختصة بالاسم، ومنه (الشَّرْبَةُ) اسم موضع . فقد علَّق ابن جني على قراءة أبي عمرو هذه بقوله : ((ولا بدَّ من إحسان الظن بأبي عمرو ، لا سيما وهو القرآن ، وما أبعده عن الزيغ والبهتان)) .

فمتى يلتفت النُّحاة إلى القراءات القرآنيَّة ، ويعتمدونها أصلاً لا فرعاً ، في التأصيل والتفعيد للدرس النحوي ؛ كونها ناتجة من اختلاف اللهجات العربيَّة ، وتعكس لنا الواقع اللُّغوي الذي كان سائداً في شبه الجزيرة قبل الإسلام ، وأصل المصادر كلُّها في معرفة اللهجات العربيَّة ؛ لأنَّ منهج علم القراءات في طريقة نقلها يختلف عن كلِّ الطرق التي نقلت بها المصادر الأخرى كالشعر والنثر ، بل يختلف عن طرق الحديث . ومتى يبتعدوا عمَّا كان عليه نحاة العربيَّة القدماء الذين طعنوا في القراءات، وابتعدوا عن ذلك الموقف الخاطئ المؤسَّس بداية على القراءات

١ سورة هود / ٧٨ .

٢ سورة محمد / ١٨ .

٣ يُنظَر : الجامع لأحكام القرآن ٢٤١/١٦ ، والمختصب ٢٧١/٢ ، والكشَّاف ١٣١/٣ ، والبحر المحيط ٨٠/٨ ، والمحرَّر الوجيز ٤٠١/١٣ ، مختصر في شواذ القرآن / ١٤٠ ، روح المعاني ٥٢/٢٦ ، والدرِّ المصون ١٥٣/٦ .

والانتقاص منها، وإن تباينت مواقف بعضهم منها ، قبولاً أو رفضاً، فقد قدّموا عليها الشعر والنثر، على الرغم من أنّ القراءات توقيفية صحيحة السند إلى رسول الله ﷺ؟

^١ يُنظر : الكتاب ١/١٤٤ ، ١٤٨ ، والخصائص ١/٢٨٥ ، والبحر المحيط ٤/٢٣٠ ، ٦/١١٧ ، وشرح ألفية بن مالك ، للأشعري ٢/١٨١ ، ومفاتيح الغيب ٣/١٩٣ ، والنشر ١/١٠ ، والإتقان ١/٧٧ ، ١٨٣ ، ٢٣٧ ، والوافي في شرح الشاطبية / ١٦٧ ، والحجّة في القراءات السبع / ١٥٢ ، إتحاف فضلاء البشر / ٣٩٤ ، والدُّرُّ المصون ١/٥٢٩ - ٥٣١ ، ٢/٢٩٧ ، وإعراب القرآن ٣/٢٤٠ ، وقواعد التفسير ، جمعاً ودراسة ، خالد بن عثمان السبت ، دار ابن عقّان / ١ - ٩٤ ، ٩٥ ، وأثر القرآن والقراءات في النحو العربي / ٣٢٧ - ٣٣٠ ، ٣٤٧ - ٣٦٩ ، والكشّاف ٢/٥٤ ، ومفاتيح الغيب ٦/٥٩٤ ، والانتصاف لابن المنير ٢/٥٣ ، بذيل الكشّاف للزمخشري ، و تأويل مشكل القرآن / ٥٣ ، والمدارس النحويّة ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف، القاهرة ط ٧ ، (د.ت)/١٩ ، وعلم القراءات ، د.نبيل آل إسماعيل / ٤٠٥ - ٤١١ ، وموقف النُّحاة من القراءات : دراسة تأصيليّة ، صالح محبوب محمّد التنقاري . ٢٠١٠ م .

٥. النَّصْبُ عَطْفًا عَلَى الْمَفْعُولِ، وَالْجُرُّ عَطْفًا عَلَى الْجَوَارِ:

من القراءات القرآنيّة التي تناولها ابن عاشور وكان وجه الاختلاف فيها إعرابياً يتردّد بين النَّصْبِ عَطْفًا عَلَى الْمَفْعُولِ ، وَالْجُرِّ عَطْفًا عَلَى الْجَوَارِ ، ومن ذلك قراءة ((وَأَرْجَلَكُمْ)) من قوله ﷺ : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجَلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطْهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ فقد ذكر ابن عاشور في ((وَأَرْجَلَكُمْ)) قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة النصب ((وَأَرْجَلَكُمْ)) عطفًا على ((وَأَيْدِيَكُمْ)) ، فحكمها الغسل كالأوجه والأيدي ، كأنه قيل : ((وَاغْسِلُوا أَرْجَلَكُمْ)) ، ونسبها إلى نافع ، وابن عامر ، والكسائي ، وحفص عن عاصم ، وأبي جعفر ، ويعقوب ، وقرأ بها أيضاً ابن مسعود ، والأعشى ، وأبو بكر ، وابن عبّاسٍ والشافعي ، وعلي ، والمفضل ، وتكون جملة ((وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ)) معترضة بين المتعاطفين ، وذكر أنّ فائدة الاعتراض الإشارة إلى ترتيب أعضاء الوضوء ؛ لأنّ الأصل في الترتيب الذكري أن يدلّ على الترتيب الوجودي ، فالأرجل يجب أن تكون مغسولة ؛ إذ حكمة الوضوء وهي النقاء والوضاءة والتنظّف والتأهب لمناجاة الله تعالى تقتضي أن يبالغ في غسل ما هو أشدّ تعرّضاً للوسخ ، فالأرجل تلاقي غبار الطرقات ، وتفرز الفضلات بكثرة حركة المشي ، ولذلك كان النبي ﷺ يأمر بمبالغة الغسل فيها ، وقد نادى بأعلى

صوته للذي لم يُحسن غسل رجليه (وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ) ، وهذا هو رأي جمهور الفقهاء

القراءة الثانية : قراءة الجرِّ ((وَأَرْجُلِكُمْ)) ونسبها إلى ابن كثير ، وأبي عمرو ، وحمزة ، وأبي بكر عن عاصم ، وخلف ، وقرأ بها أيضاً أبو جعفر ، وأنس ، وعكرمة ، ويحيى بن وثَّاب ، والشعبي ، والباقر ، وقتادة ، وعلقمة ، والضَّحَّاك ، والأعمش ، وذكر في هذه القراءة عدَّة تأويلات للعلماء ؛ منها :

الرأي الأول : وجوب غسل الرجلين ، ونسبها لجمهور الفقهاء ، ونقل إجماع الفقهاء بعد عصر التَّابعين على وجوب غسل الرجلين في الوضوء ، وأنَّه لم يشدَّ عن ذلك إلاَّ الإمامية من الشيعة ، حيث قالوا : ليس في الرجلين إلاَّ المسح . ونسب هذا الرأي أيضاً لأنس بن مالك ،

^١ أخرجه مسلم في الصحيح ٢١٤/١ ، وكتاب الطهارة : باب وجوب غسل الرجلين بكاملهما الحديث (٢١٤/٢٦) ، ونحوه عند البخاري في الصحيح ١٤٣/١ ، وكتاب العلم : باب من رفع صوته بالعلم الحديث (٦٠) ، والعقب : مؤخر القدم .

^٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ٦ / ١٣٠ ، وجامع البيان ٦/ ٨١ ، ٨٣ ، والنشر ٢/ ٣٥٤ ، ومعاني القرآن ، للفرَّاء ١/ ٣٠٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢/ ١٥٢ ، والكشَّاف ١/ ٤٤٩ ، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٢٢١ ، وغرائب القرآن ٦/ ٣١ ، وزاد المسير ٢/ ٣٠١ ، وحاشية الجمل ١/ ٤٦٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٦/ ٩١ ، والكشف عن وجوه القراءات ١/ ٤٠٦ - ٤٠٧ ، وحجَّة القراءات ٢٢٣/ ، والحجة في القراءات السبع ١٢٩/ ، ومجمَّع البيان ٦/ ٣٤ ، والبحر المحيط ١/ ١٠٥ ، ٣/ ٤٣٧ ، وإعراب القرآن ، للنخَّاس ١/ ٤٨٥ ، وإعراب القراءات السبع ، وعللها ١/ ١٤٣ ، والتذكرة في القراءات الثمان ٣١٥ ، وشرح الشاطبية ١٨٦/ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ٣/ ٦٠٣ - ٦٠٩ ، والدُّرُّ المصون ٢/ ٤٩٣ .

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ٦ / ١٣٠ - ١٣١ ، وجامع البيان ٦/ ٨١ ، ٨٣ ، والنشر ٢/ ٣٥٤ ، ومعاني القرآن ، للفرَّاء ١/ ٣٠٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢/ ١٥٢ ، والكشَّاف ١/ ٤٤٩ ، ومشكل إعراب القرآن ١/ ٢٢١ ، وغرائب القرآن ٦/ ٣١ ، وزاد المسير ٢/ ٣٠١ ، وحاشية الجمل ١/ ٤٦٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٦/ ٩١ ، والكشف عن وجوه القراءات ١/ ٤٠٦ - ٤٠٧ ، وحجَّة القراءات ٢٢٣/ ، والحجة في القراءات السبع ١٢٩/ ، ومجمَّع البيان ٦/ ٣٤ ، والبحر المحيط ١/ ١٠٥ ، ٣/ ٤٣٧ ، وإعراب القرآن ، للنخَّاس ١/ ٤٨٥ ، وإعراب القراءات السبع ، وعللها ١/ ١٤٣ ، والتذكرة في القراءات الثمان ٣١٥ ، وشرح الشاطبية ١٨٦/ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ٣/ ٦٠٣ - ٦٠٩ ، والدُّرُّ المصون ٢/ ٤٩٣ .

^٤ في رواية ، وروى عنه رأي آخر يقول بالمسح ، وإن كان فيه مقال .

حيث قال : إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِالْمَسْحِ وَالسَّنَةِ بِالْغَسْلِ ، وَذَكَرَ أَنَّ هَذَا أَحْسَنُ تَأْوِيلٍ لِهَذِهِ الْقِرَاءَةِ ، فَيَكُونُ مَسْحُ الرَّجْلَيْنِ مَنْسُوحًا بِالسَّنَةِ ، فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى قَوْمًا يَتَوَضَّئُونَ وَأَعْقَابَهُمْ تَلُوحٌ ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ ((وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ)) مَرَّتَيْنِ . وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَوَّلَ الْمَسْحَ فِي الرَّجْلَيْنِ بِمَعْنَى الْغَسْلِ ، وَزَعَمُوا أَنَّ الْعَرَبَ تَسْمِي الْغَسْلِ الْخَفِيفِ مَسْحًا ، وَقَدْ رَدَّ هَذَا الرَّأْيُ ؛ لِأَنَّ هَذَا الْإِطْلَاقَ إِذَا صَحَّ لَا يَصَحُّ أَنْ يَكُونَ مُرَادًا هُنَا ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ فَرَّقَ فِي التَّعْبِيرِ بَيْنَ الْغَسْلِ وَالْمَسْحِ .

والذين أخذوا هذا الرأي خَرَجُوهُ عَلَى أَنَّهُ مَنْصُوبٌ فِي الْمَعْنَى عَطْفًا عَلَى الْأَيْدِي الْمَغْسُولَةِ ، وَإِنَّمَا حُفِّضَ عَلَى الْجَوَارِ ، كَقَوْلِهِمْ : ((هَذَا جُحْرٌ ضَبٌّ حَرْبٍ)) بَجَرٍ (حَرْبٍ) وَكَانَ مِنْ حَقِّهِ الرَّفْعُ ؛ لِأَنَّهُ صِفَةٌ فِي الْمَعْنَى لِلْجَحْرِ لَصِحَّةِ اتِّصَافِهِ بِهِ ، وَالضَّبُّ لَا يُوصَفُ بِهِ ، وَإِنَّمَا جَرُّهُ عَلَى الْجَوَارِ .

الرأي الثاني : مسح الرجلين دون الغسل ، وهذا على الأخذ بظاهر الآية، ونسبها إلى الإمامية من الشيعة ، وعد ذلك شذوذاً ، وهو خروج عن الإجماع ، وذكر أن ممن وافقهم في المسح الشعبي ، فقد استأنس لمذهبه بأن التيمم يمسح فيه ما كان يغسل في الوضوء، ويلغى فيه

^١ أخرجه مسلم في الصحيح ٢١٤/١ ، وكتاب الطهارة : باب وجوب غسل الرجلين بكاملهما الحديث (٢١٤/٢٦) ، ونحوه عند البخاري في الصحيح ١٤٣/١ ، وكتاب العلم : باب من رفع صوته بالعلم الحديث (٦٠) ، والعقب : مؤخر القدم .

^٢ وجوب الغسل .

^٣ يُنظَر : الكتاب ٦٧/١ ، ٤٣٦ ، وشرح التسهيل ٣٠٨/٣ .

^٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ٦ / ١٣٠ - ١٣١ ، وجامع البيان ٨١/٦ ، ٨٣ ، والنشر ٣٥٤/٢ ، ومعاني القرآن ، للفرّاء ٣٠٢/١ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١٥٢/٢ ، والكشاف ٤٤٩/١ ، ومشكل إعراب القرآن ٢٢١/١ ، وغرائب القرآن ٣١/٦ ، وزاد المسير ٣٠١/٢ ، وحاشية الجمل ٤٦٧/١ ، والجامع لأحكام القرآن ٩١/٦ ، والكشف عن وجوه القراءات ٤٠٦/١ - ٤٠٧ ، وحجّة القراءات / ٢٢٣ ، والحجة في القراءات السبع / ١٢٩ ، ومجمّع البيان ٣٤/٦ ، والبحر المحيط ١٠٥/١ ، ٤٣٧/٣ ، وإعراب القرآن ، للنحاس ٤٨٥/١ ، وإعراب القراءات السبع ، وعللها ١٤٣/١ ، والتذكرة في القراءات الثمان / ٣١٥ ، وشرح الشاطبية / ١٨٦ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ٦٠٣ - ٦٠٩ ، والدُّرُّ المصون ٤٩٣/٢ .

ما كان يمسح في الوضوء . ونسبها أيضاً لابن عباس ، وأنس بن مالك ، وعكرمة ، والشعبي ، وقتادة ، وذكر عن أنس بن مالك أنه بلغه أنّ الحجاج خطب يوماً بالأهواز فذكر الوضوء فقال : ((إنّه ليس شيء من ابن آدم أقرب من خبثه من قدميه ، فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما)) فسمع ذلك أنس بن مالك فقال : صدق الله وكذب الحجاج ، ثمّ ذكر قوله تعالى ! : ((**وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ**)) .

الرأي الثالث : التخيير بين غسل الرجلين ومسحهما ، ونسبها لابن جرير الطبري : حيث رأى التخيير بين الغسل والمسح ، وجعل القراءتين بمنزلة روايتين في الإخبار إذا لم يمكن ترجيح إحداها على رأي من يرون التخيير في العمل إذا لم يعرف المرجح .^٣

الرأي الرابع : الجمع بين المسح والغسل ، وينسب إلى داود الظاهري ، وهو قول الناصر للحق من الزيدية .

ومن هاتين القراءتين وتخرجهما اختلف العلماء في غسل الرجلين ومسحهما ، إلى هذه الآراء الأربعة السالفة الذكر ، ولكنّ الخلاف الكبير دار حول الرأيين الأولين (وجوب الغسل ،

^١ هذا هو الرأي الآخر المروي عن أنس ، ولكنّ هذا الرأي ضعّفه بعض العلماء .

^٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ٦ / ١٣٠ - ١٣١ ، وجامع البيان ٦ / ٨١ ، ٨٣ ، والنشر ٢ / ٣٥٤ ، ومعاني القرآن ، للفراء ١ / ٣٠٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢ / ١٥٢ ، والكشاف ١ / ٤٤٩ ، ومشكل إعراب القرآن ١ / ٢٢١ ، وغرائب القرآن ٦ / ٣١ ، وزاد المسير ٢ / ٣٠١ ، وحاشية الجمل ١ / ٤٦٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٦ / ٩١ ، واللباب في علوم الكتاب ٧ / ٢٢٧ ، والكشف عن وجوه القراءات ١ / ٤٠٦ - ٤٠٧ ، وحجّة القراءات ٢٢٣ / ، والحجة في القراءات السبع ١٢٩ / ، ومجمّع البيان ٦ / ٣٤ ، والبحر المحيط ١ / ١٠٥ ، ٣ / ٤٣٧ ، وإعراب القرآن ، للنحاس ١ / ٤٨٥ ، وإعراب القراءات السبع ، وعللها ١ / ١٤٣ ، والتذكرة في القراءات الثمان ٣١٥ / ، وشرح الشاطبية ١٨٦ / ، والإنصاف في مسائل الخلاف ٦٠٣ - ٦٠٩ ، والدّر المصون ٢ / ٤٩٣ .

^٣ لم أجد هذا الرأي في تفسير ابن جرير الطبري ، ولعلّ محمد بن جرير القائل بالتخيير هو محمد بن جرير بن رستم الشيعي صاحب (الإيضاح للمتشدّد في الإمامة) لا أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الشافعي الذي هو من أعلام أهل السنة ، والمذكور في تفسير هذا هو الغسل فقط ، لا المسح ولا الجمع ولا التخيير الذي نسبه البعض إليه .

^٤ لم يذكره ابن عاشور .

ووجوب المسح فقط) ، ويمثّل الرأي الأول (وجوب الغسل) ، ويتبنّاه جمهور الفقهاء والمفسرين ، ويمثّل الرأي الثاني (وجوب المسح فقط) ويتبنّاه الإماميّة (من الشيعة). وحجّة القائلين بوجوب غسل الرجلين : قراءة النصب ، وتخريجهم قراءة الجرّ على الجرّ بالجوار ، فقالوا : إنّه عطفتُ لفظيُّ بسبب المجاورة ، والمعنى للغسل ، عطفاً على (وجوهكم وأيديكم) ، حيث إنّ العامل فيهما جميعاً (اغسلوا) ؛ فالأرجل معطوفة على الرؤوس في الإعراب ، والحكم مختلف ، فالرؤوس ممسوحة والأرجل مغسولة ؛ لأنّها معطوفة في المعنى على الوجوه والأيدي ، كما في : (هذا جُحْرُ ضب خرب) . وحجّة القائلين بالمسح قراءة الجرّ ، فإنّها تقتضي كون الأرجل معطوفة على الرؤوس ، فقالوا : فكما وجب المسح على الرؤوس ، وجب المسح على الأرجل . وأبطلوا تخريج الآية على الجوار .

وجهان في غسل الرجلين ومسحهما

ولا يخفى أنّ بحث الغسل والمسح ممّا كثر فيه الخصام بين النحويين ، وغيرهم من اللغويين والفقهاء ، فسأحاول أن أبسط الكلام في تحقيق ذلك ، مستفيداً ممّن سبقني في هذا التحقيق ، فأقول وبالله تعالى التوفيق : إنّ القراءتين متواترتان بإجماع الفريقين بل بإطباق أهل الإسلام كلّهم ؛ قراءة النصب ((وَأَرْجُلَكُمْ)) عطفاً على ((وَأَيْدِيَكُمْ)) ، وقراءة الجرّ ((وَأَرْجُلِكُمْ)) ، ومن القواعد الأصوليّة عند الطائفتين أنّ القراءتين المتواترتين إذا تعارضتا في آية واحدة فلهما حكم آيتين ، فلا بدّ لنا أن نسعى ونجتهد في تطبيقهما أولاً مهما أمكن ، لأنّ الأصل في الدلائل الأعمال دون الإهمال كما تقرّر عند أهل الأصول ؛ ثمّ نطلب بعد ذلك الترجيح بينهما ، ثمّ إذا لم يتيسّر لنا الترجيح بينهما نتركهما ونتوجّه إلى الدلائل الأخرى من السنّة ، وقد ذكر الأصوليون أنّ الآيات إذا تعارضت بحيث لا يمكن التوفيق ، ثمّ الترجيح بينهما يرجع إلى السنّة فإنّها لما لم يمكن لنا العمل بها صارت معدومة في حقنا من حيث العمل ، وإن تعارضت السنّة كذلك نرجع إلى أقوال الصحابة وأهل البيت ، أو نرجع إلى القياس عند القائلين بأنّ قياس

المجتهد يعمل به عند التعارض ، فلمَّا تأملنا في هاتين القراءتين في الآية وجدنا التطبيق بينهما بالقواعد المذكورة آنفاً من وجهين :

الوجه الأوَّل - حمل المسح على الغسل : يحمل المسح على الغسل؛ لأنَّه لفظٌ مشترك يُطلَقُ بمعنى المسح ، ويُطلَقُ بمعنى الغسل ، كما صرَّح به أبو زيد الأنصاري وغيره من أهل اللغة ، حيث قال : ((المسحُ في كلام العرب يكون إصابةً للبلل ، ويكون غَسلاً ، يُقال مَسَحْتُ يَدِي بالماء ، إِذَا غَسَلْتُهَا ، وَمَسَّحْتُ بالماء ، إِذَا اغْتَسَلْتُ)) ؛ فيقال للرجل إذا تَوَضَّأَ : تَمَسَّحَ ، ويقال : مَسَّحَ اللهُ تَعَالَى مَا بَكَ ، أي أزال عنك المرض ، و(مَسَّحَ الأَرْضُ المَطَرَ) إذا غسلها ، ومَن قال بذلك أبو إسحاق النَّحوي ، حيث قال : ((الخَفْضُ على الجِوَارِ لا يجوز في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وإِثْمًا يجوز ذلك في ضرورة الشِّعْر ، ولكنَّ المَسَّحَ على هذه القراءة كالعَسَل . ومَّا يدلُّ على أَنَّهُ غَسَلٌ أَنَّ المَسَّحَ على الرَّجْلِ لو كانَ مَسَّحاً كَمَسَّحِ الرَّأْسِ لَمْ يَجُزْ تَحْدِيدُهُ إِلى الكَعْبَيْنِ كما جاز التحديدُ في اليَدَيْنِ إِلى المرافق ، قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ((وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ)) بغير تحديد في القرآن ، وكذلك في التَّيْمُمِ : ((فامسحوا بوجوهكم واءيديكم منه)) من غير تحديد ، فهذا كُلُّهُ يُوجِبُ غَسَلَ الرَّجْلَيْنِ)) ، فإذا عطفت الأرجل^٢ على الرؤوس في قراءة الجر لا يتعيَّن كونها ممسوحة بالمعنى الذي يدَّعيه الشيعة.

الاعتراض على حمل المسح على الغسل :

اعتُرِضَ على حمل المسح على الغسل بأمر منها :

١ . أَنَّ فائدة اللفظين في اللغة والشرع مختلفة ، وقد فرَّق الله تعالى بين الأعضاء المغسولة والممسوحة ، فكيف يكون معنى الغسل والمسح واحداً ؟

^١ يُنظَرُ : تاج العروس ٧ / ١١٩ .

^٢ سورة المائدة / ٦ .

^٣ تاج العروس (مسح) ٧ / ١١٨ - ١١٩ ، وتهذيب اللغة ٢ / ٥٠ . يُنظَرُ : الجامع لأحكام القرآن ٦ / ٩٢ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ١ / ٢٨٥ ، ومعجم القراءات / ٤٢١ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢ / ١٦٧ .

٢. أَنَّ الأرجل إذا كانت معطوفة على الرؤوس وكان الفرض في الرؤوس المسح الذي ليس بغسل بلا خلاف وجب أن يكون حكم الأرجل كذلك ، وإلا لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز .

٣. أَنَّهُ لو كان المسح بمعنى الغسل يسقط الاستدلال على الغسل بخير : ((أَنَّهُ ﷺ غَسَلَ رِجْلَيْهِ)) ؛ لَأَنَّهُ على هذا يمكن أن يكون مسحها فسمي المسح غسلًا .

٤. أَنَّ استشهاد أبي زيد بقولهم : تَمَسَّحَتْ للصلاة لا يجدي نفعاً لاحتمال أَنَّهُم لما أرادوا أن يخبروا عن الطهور بلفظ موجز ، ولم يجوز أن يقولوا : تَغَسَّلَتْ للصلاة ؛ لَأَنَّ ذلك يوهم الغسل ، قالوا بدله : تَمَسَّحَتْ ؛ لَأَنَّ المغسول من الأعضاء ممسوح أيضاً ، فتجاوزوا بذلك تعويلاً على فهم المراد ، وذلك لا يقتضي أن يكونوا جعلوا المسح من أسماء الغسل .

الرَّد عن هذه الاعتراضات الأربعة

أجيب عن هذه الاعتراضات الأربعة - على الترتيب - بما يلي :

أمَّا قولهم أَنَّ فائدة اللفظين في اللغة والشرع مختلفة ، بَأَنَّهُ لا ينكر اختلاف فائدة اللفظين لغة وشرعاً ، ولا تفرقة الله تعالى بين المغسول والممسوح من الأعضاء ، لكنَّ نرى أَنَّ حمل المسح على الغسل في بعض المواضع جائز ، وليس في اللغة والشرع ما يباه ، على أَنَّهُ قد ورد ذلك في كلامهم .

وأمَّا قولهم : أَنَّ الأرجل إذا كانت معطوفة على الرؤوس وكان الفرض في الرؤوس المسح الذي ليس بغسل بلا خلاف وجب أن يكون حكم الأرجل كذلك ، وإلا لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز ، فردُّوا بَأَنَّهُ يقدر لفظ امسحوا قبل أرجلكم أيضاً ، وإذا تعدد اللفظ فلا بأس بأن يتعدى المعنى ولا محذور فيه ، فقد نقل شارح (زبدة الأصول) من الإمامية أَنَّ هذا القسم من الجمع بين الحقيقة والمجاز جائز ، بحيث يكون ذلك اللفظ في المعطوف عليه بالمعنى الحقيقي ، وفي

^١ يُنظَر : روح المعاني ٦/٧٣ ، ولباب التأويل في معاني التنزيل ٢/١٨ ، ومفاتيح الغيب ١١/١٢٨ ، وتفسير النيسابوري ٣/١٣٢ ، وروائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن ، محمَّد علي الصابوني ، مكتبة الغزالي ، مؤسسة مناهل العرفان ، دمشق ، ط ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م / ٢٤٩ ، واللباب في علوم الكتاب ٧/٢٢٧ ، وغرائب القرآن ٢/٥٥٧ ، والدُّرُّ المصون ٢/٤٩٣ .

المعطوف بالمعنى المجازي ، وقد ذكروا في قوله ﷺ : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِينَ سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا ﴾ (٤٣) : إِنَّ الصلاة في المعطوف عليه بالمعنى الحقيقي الشرعي ، وهو الأركان المخصوصة ، وفي المعطوف بالمعنى المجازي ، وهو المسجد ؛ فإنه محل الصلاة ، وادّعى ذلك الشارح أنّ هذا نوع من الاستخدام ، وبذلك فسّر الآية جمع من مفسري الإمامية وفقهائهم ، وعليه فيكون هذا العطف من عطف الجمل في التحقيق ، ويكون المسح المتعلق بالرؤوس بالمعنى الحقيقي ، والمسح المتعلق بالأرجل بالمعنى المجازي ، على أنّ من أصول الإمامية كالشافعية جواز الجمع بين الحقيقة والمجاز ، وكذا استعمال المشترك في معنئيه ، ويحتمل هنا إضمار الجار تبعاً للفعل فتدبر ؛ ولا يشكّل أنّ في الآية حينئذ إبهاماً ؛ ويبعد وقوع ذلك في التنزيل ، لأننا نقول : إنّ الآية نزلت بعد ما فرض الوضوء ، وعلمه عليه الصلاة والسلام روح القدس إياه في ابتداء البعثة بسنين ، فلا بأس أن يستعمل فيها هذا القسم من الإبهام ، فإنّ المخاطبين كانوا عارفين بكيفية الوضوء ، ولم تتوقف معرفتهم بها على الاستنباط من الآية ، ولم تنزل الآية لتعليمهم بل سوقها لإبدال التيمم من الوضوء والغسل في الظاهر ، وذكر الوضوء فوق التيمم للتمهيد ؛ والغالب فيما يذكر لذلك عدم البيان المشيع .

وأما قولهم : أنّه لو كان المسح بمعنى الغسل يسقط الاستدلال على الغسل بخبر : ((أنّه ﷺ غسل رجليه)) ؛ لأنّه على هذا يمكن أن يكون مسحها فُسِّمِي المسح غسلًا ، فردُّوا بأنّ حمل المسح على الغسل لداع لا يستلزم حمل الغسل على المسح بغير داع ، فكيف يسقط الاستدلال ؟ سبحان الله تعالى هذا هو العجب العجاب .

وأما قولهم : أن استشهد أبي زيد بقولهم : تمسّحت للصلاة لا يجدي نفعاً لاحتمال أنهم لما أرادوا أن يجربوا عن الطهور بلفظ موجز ، ولم يجز أن يقولوا : تغسّلت للصلاة ؛ لأن ذلك يوهم الغسل ، قالوا بدله : تمسّحت ؛ لأنّ المغسول من الأعضاء ممسوح أيضاً ، فتجاوزوا بذلك تعويلاً على فهم المراد ، وذلك لا يقتضي أن يكونوا جعلوا المسح من أسماء الغسل . فردّوا بأنّه لا نسلم أنّ العدول عن تغسّلت لإيهامه الغسل ، فإنّ تمسّحت يوهم ذلك أيضاً بناءً على ما قاله من أنّ المغسول من الأعضاء ممسوح أيضاً سلمنا ذلك لكننا لم نقتصر في الاستشهاد على ذلك ، ويكفي مسح الأرض المطر في الفرض .

الوجه الثاني - أن الجرّ على الجوار : الوجه الثاني من الوجوه الناتجة عن تطبيق القواعد بين الوجهين الناتجين عن التأمل في القراءتين الواردتين في الآية في قوله (وأرجلكم) أن يبقى المسح على الظاهر ، وتجعل الأرجل على تلك القراءة معطوفة على المغسولات كما في قراءة النصب ، وأنّ الجرّ للمجاورة .^١

اعتراضات الطاعنين على من قال أن الجرّ على الجوار :

واعترض على هذا الوجه أيضاً ، بأمر منها :

١. أنّ الكسر على الجوار معدود في اللحن الذي قد يُتحمّل لأجل الضرورة في الشعر ، وكلام الله تعالى يجب تنزيهه عنه .

٢. أنّ الجرّ بالجوار لا يُصَار إليه إلّا َ عند أمن الالتباس ، ويمتنع إذا وجد اللبس كـ (قامَ غُلامٌ زَيْدٍ العَاقِلُ) فإذا جعلت (العاقل) نعتاً للغلام ، امتنع جرّه على الجوار لأجل اللبس ، وأنّه لا أمن فيما نحن فيه ، فلا يجوز أن يُصَار إلى ذلك .

٣. أنّ في العطف على المغسولات ؛ سواء كان المعطوف منصوب اللفظ أو مجروره ، الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بجملة أجنبية ليست اعتراضية ، وهو غير جائز عند النحاة ،

^١ يُنظر : روح المعاني ٦ / ٧٣ ، ولباب التأويل في معاني التنزيل ٢ / ١٨ ، ومفاتيح الغيب ١١ / ١٢٨ ، وتفسير النيسابوري ٣ / ١٣٢ ، وروائع البيان تفسير آيات الأحكام / ٢٤٩ ، واللباب في علوم الكتاب ٧ / ٢٢٧ ، وغرائب القرآن ٢ / ٥٥٧ ، والدُّرُّ المصون ٢ / ٤٩٣ .

على أنَّ الكلام حينئذ من قبيل : (ضَرَبْتُ زَيْدًا ، وَأَكْرَمْتُ خَالِدًا وَبَكْرًا) بِجَعْلِ بَكَرٍ عَطْفًا على زيد ، أو إرادة أَنَّهُ مَضْرُوبٌ لا مَكْرَم ، وهو مستهجن جدًا تنفر عنه الطباع ولا تقبله الأسماع ، فكيف يجنح إليه أو يحمل كلام الله تعالى عليه؟! ^١

٤. أَنَّ الْجَرََّ بِالْجَوَارِ إِنَّمَا يَكُونُ بَدُونِ حَرْفِ الْعَطْفِ ، وَأَمَّا مَعَ حَرْفِ الْعَطْفِ فَلَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ الْعَرَبُ ؛ لِأَنَّ الْخَفْضَ عَلَى الْجَوَارِ إِنَّمَا وَرَدَ فِي النِّعَةِ لَا فِي الْعَطْفِ ، وَقَدْ وَرَدَ فِي التَّوَكُّيدِ قَلِيلًا فِي ضَرُورَةِ الشَّعْرِ ، كَقَوْلِ ابْنِ الْغَرِيبِ:

يَا صَاحِبِ بَلِّغْ ذَوِي الرِّجَالِ كُلَّهُمْ أَنَّ لَيْسَ وَصَلٌ إِذَا انْحَلَّتْ عُرَى الذَّنْبِ
بِجَرَ ((كُلَّهُمْ)) وَهُوَ تَوْكِيدٌ لـ ((ذَوِي)) الْمَنْصُوبِ ، وَإِذَا لَمْ يَرِدْ ذَلِكَ إِلَّا فِي النِّعَةِ أَوْ مَا شَدَّ مِنْ غَيْرِهِ ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُخْرَجَ عَلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَقَدْ أَسهَبَ فِي إِيضَاحِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، وَذَكَرَ شَوَاهِدَهَا ابْنُ هِشَامٍ فِي (شَرْحِ التَّسْهِيلِ) . ^٢

وَمَنْ نَصَّ عَلَى ضَعْفِ تَخْرِيجِ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى الْجَوَارِ الزَّجَّاجِ ، وَالنَّحَّاسِ ، وَابْنِ خَالَوَيْهِ ، وَأَبُو حَيَّانٍ ، وَمَكِّيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، بَعْدَ أَنْ نَقَلَ عَنِ الْأَخْفَشِ وَأَبِي عُبَيْدَةَ أَهْمَا خَرَجَا الْخَفْضَ فِيهِ عَلَى الْجَوَارِ ، وَأَنَّ الْمَعْنَى الْغَسْلُ ، قَالَ : ((وَهُوَ بَعِيدٌ لَا يُحْمَلُ الْقُرْآنَ عَلَيْهِ)) ، وَقَالَ النَّحَّاسُ : ((وَهَذَا الْقَوْلُ ، أَيُّ الْعَطْفِ عَلَى الْجَوَارِ ، غَلَطٌ عَظِيمٌ لِأَنَّ الْجَوَارِ لَا يَجُوزُ فِي الْكَلَامِ أَنْ يُقَاسَ عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ غَلَطٌ ، وَنَظِيرُهُ الْإِقْوَاءُ)) ، وَقَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ : إِنَّ الْخَفْضَ

^١ يُنْظَرُ : الْكَلِمَاتُ ١ / ٣٣١ .

^٢ الْبَيْتُ مِنْ بَحْرِ الْبَسِيطِ . يُنْظَرُ : هَمْعُ الْهَوَامِعِ ٢ / ٥٥ ، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ ٢ / ٣٢٣ ، وَشَرْحُ آيَاتِ مَغْنِيِّ اللَّيْبِ ٨ / ٧٤ ، وَالدَّرَرُ الْوَامِعِ ٢ / ٧٠ ، وَاللِّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ ٧ / ٢٢٥ ، وَشَرْحُ التَّسْهِيلِ ٣ / ٣٠٨ ، وَالذُّرُّ الْمَصُونُ ٢ / ٤٩٤ .

^٣ يُنْظَرُ : شَرْحُ التَّسْهِيلِ ٣ / ٣٠٨ - ٣٠٩ .

^٤ يُنْظَرُ : الْبَحْرُ الْمَحِيطُ ٢ / ١٥٤ ، ٨ / ١٧٢ .

^٥ يُنْظَرُ : مَعَانِي الْقُرْآنِ ، لِلْأَخْفَشِ ١ / ٢٥٥ .

^٦ يُنْظَرُ : مَجَازُ الْقُرْآنِ ١ / ١٥٥ .

^٧ أَيُّ فِي قَوْلِهِ : ((وَأَرْجِلِكُمْ)) .

^٨ يُنْظَرُ : مَشْكَلُ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ / ٢٢٠ .

^٩ إِعْرَابُ النَّحَّاسِ ١ / ٨٥ ، يُنْظَرُ : الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ ٦ / ٩٤ .

على الجوار : ((مستعمل في نظم الشعر للاضطرار ، وفي الأمثال ، والقرآن لا يُحْمَلُ على
الضرورة وألفاظ الأمثال)) .^١

وكذلك فقد حاولوا أن ينقضوا حجج القائلين بجواز مجيء هذه القراءة على الجوار، فقالوا
معترضين على من قال : إِنَّ ((وَحُورٌ عَيْنٌ)) من هذا الباب فليس بشيء ، لأنه : إمَّا (أن)
يقدَّر عطفُهما على ما تقدَّم بتأويل ذكره الناس كما سيأتي أو بغير تأويل ، وإمَّا أن لا يعطفهما
، فإنَّ عطفَهما على ما تقدَّم وجب الجر ، وإن لم يعطفهما لم يَجْزِ الجر ، وأمَّا جرُّهما على ما
ذكره الناس فقييل : لعطفهما على المجرور بالباء قبلهما على تضمين الفعل المتقدِّم ((يتلذَّذون
ويَتَعَمُّونَ بِأَكْوَابٍ وكذا وكذا)) أولاً يُضَمَّن الفعل شيئاً ، ويكون لطواف الوالدان بالحوار العين
على أهل الجنة لذاذا لهم بذلك ، والجواب إمَّا يكون حيث يستحقُّ الاسم غير الجرِّ فيجرُّ لمجاورة
ما قبله ، وهذا - كما ترى - قد صرَّح هو به أنه معطوفٌ على (بأكواب) غاية ما في الباب أنه
جعلَه مختلفَ المعنى ، يعنى أنه عنده لا يجوزُ عطفُهما على (بأكواب) إلا بمعنى آخر وهو تضمينُ
الفعل ، وهذا لا يَقْدَحُ في العطفية . ثمَّ نقضوا تخريج قول النابغة على الجوار ، حين قال :

لَمْ يَبْقَ غَيْرُ طَرِيدٍ غَيْرٍ مُنْقَلِتٍ و مُوثِقٍ فِي حَبَالِ الْقَدِّ مَسْلُوبٍ

فقالوا : إنَّ جرَّ (موثقٍ) ليس لجواره لـ (مُنْقَلِتٍ) وإمَّا هو مراعاتٌ للمجرور بـ (غير) ، لأنَّهم نصُّوا على أنك إذا جئت بعد (غير) ، ومخفوضها بتابعٍ جاز أن يتبع لفظ (غير)
(وأن يتبع المضاف إليه ، وأنشدوا البيت ، ويروى : لَمْ يَبْقَ فِيهَا طَرِيدٌ غَيْرٌ مُنْقَلِتٍ .

الإجابات عن هذه الاعتراضات الأربعة

أجيب عن هذه الاعتراضات الأربعة - على الترتيب - بما يلي :

^١ الحجَّة في القراءات السبع / ١٢٩ .

^٢ البيت من بحر البسيط . وموثق : مقيد ، حبال القوم : الشراك المنصوبة . يُنظَر : ديوان النابغة / ٥٢ ، ومع الهوامع ٥٥/٢ ،
وخزانة الأدب ٣٢٣/٢ ، وشرح أبيات مغني اللبيب ٧٤/٨ ، و الدرر اللوامع ٧٠/٢ ، وشرح التسهيل ٣٠٨/٣ ،
والدُّرُّ المصون ٤٩٥/٢ ، واللباب في علوم الكتاب ٢٢٦/٧ .

^٣ يُنظَر : والدُّرُّ المصون ٢١٤/٤ ، واللباب في علوم الكتاب ٢٢٧/٧ .

١. أمّا قولهم : أنّ القول بالجوار لحن، رُدّ عليهم بأنّ إمام النُّحاة الأَخفش، وأبا البقاء، وسائر مهرة العربيّة، وأئمتها جوزوا جرّ الجوار، وقالوا بوقوعه في الفصيح، ولم ينكره إلاّ الزجاج، وأنّ إنكاره مع ثبوته في كلامهم يدلُّ على قصور تتبُّعه ، ومن هنا قالوا: المثبّت مقدّم على النافي .

٢. أمّا قولهم: أنّ الجرّ بالجوار لا يُصَار إليه إلاّ ّ عند أمن الالتباس، وأنّه لا أمن فيما نحن فيه، فلا يجوز أن يُصَار إلى ذلك، فردُّوا: بأنّه لا نسلِمُ أنّه إتِّمَّ يُصَار إليه عند أمن الالتباس، ولا ثقل في ذلك عن النُّحاة في الكتب المعتمدة، وإنّ قال بعضهم: إنّ شرط حسنه عدم الالتباس مع تضمّن نكته، وهو هنا كذلك؛ لأنّ الغاية دلّت على أنّ هذا المجرور ليس بممسوح، إذ المسح لم يوجد مغياً في كلامهم، ولذا لم يغني في آية التيمم، وإتِّمَّ يغني الغسل، ولذا غيبي في الآية حين احتيج إليه فلا يرد أنّه لم يغني غسل الوجه لظهور الأمر فيه، ولا قول المرتضى: إنّّه لا مانع من تغييه، والنكته فيه الإشارة إلى تخفيف الغسل حتى كأنّه مسح .^١

٣. أمّا قولهم : أنّ في العطف على المغسولات ؛ سواء كان المعطوف منصوب اللفظ أو مجرورة ، الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بجملة أجنبية ليست اعتراضية ، وهو غير جائز عند النُّحاة ، على أنّ الكلام حينئذ من قبيل : (ضَرَبْتُ زَيْدًا ، وَأَكْرَمْتُ خَالِدًا وَبَكْرًا) بِجَعَلِ بكر عطفًا على زيد ، أو إرادة أنّه مضروبٌ لا مكرم ، وهو مستهجن جدًّا تنفر عنه الطباع ولا تقبله الأسماع ، فكيف ينجح إليه أو يحمل كلام الله تعالى عليه !؟

ردُّوا : بأنّ لزوم الفصل بالجملة إمَّا يخلُّ إذا لم تكن جملة (وامسحوا) متعلِّقة بجملة المغسولات ، فإن كان معناها وامسحوا الأيدي بعد الغسل برؤوسكم ، فلا إخلال كما هو مذهب كثير من أهل السُنَّة من جواز المسح ببقية ماء الغسل ، واليد المبلولة من المغسولات ، ومع ذلك لم يذهب أحد من أئمّة العربيّة إلى امتناع الفصل بين الجملتين المتعاطفتين ، أو

^١ يُنظَر : لباب التأويل في معاني التنزيل ١٨/٢ ، ومفاتيح الغيب ١٢٨/١١ ، وتفسير النيسابوري ١٣٢/٣ ، وروائع البيان تفسير آيات الأحكام ٢٤٩/٢ ، وغرائب القرآن ٥٥٧/٢ ، والدُّرُّ المصون ٤٩٣/٢ ، واللباب في علوم الكتاب ٢٢٧/٧ ، وروح المعاني ٧٣/٦ .

معطوف ومعطوف عليه ، بل صرَّح الأئمة بالجواز ، بل نقل أبو البقاء إجماع النحويين على ذلك ، نعم توسط الأجنبي في كلام البلغاء يكون لنكتة وهي هنا ما أشرنا إليه، أو الإيماء إلى الترتيب ، وكون الآية من قبيل ما ذكر من المثال في حيز المنع ، وربما تكون كذلك لو كان النظم (وامسحوا رؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) والواقع ليس كذلك.

٤ . أمّا قولهم : أنّ الجرّ بالجوار يكون بدون حرف العطف ، فردّوا : بأنّهم صرّحوا بوقوعه في أمور كثيرة ، وذكروا نصوصاً كثيرة زعموا أنّها مقويّة لأرائهم، منها :
قول ذي الرُّمّة :

لَكَ أَمَّا ضَرَبْتَ فُدَامَ أَعْيُنِهَا فَطُنًّا بِمَسْتَحْصِدِ الْأُوتَارِ مَحْلُوجٍ^١

بجرّ (محلّوج) ، وهو صفة ل (طُنًّا) المنصوب .

وقول الحطيئة :

فَيَاكُمْ وَحَيَّةَ بَطْنِ وَاِدٍ هَمُوزِ النَّابِ لَيْسَ لَكُمْ بِسِيٍّ

بجرّ (هموز) وهو صفة ل (حَيَّة) المنصوب .

وقول امرئ القيس :

كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَانِينَ وَبَلِيهِ كَبِيرٌ أَنَّاسٍ فِي بَجَادٍ مُرْمَلٍ

^١ المستحصد : الذي أحكم فئله ، والمحلّوج : المندوف . يُنظَر : ديوانه / ٩٩٦ ، ومعاني القرآن ، للفرّاء ٧٤/٢ ، والإنصاف (مسألة رقم / ٨٤) / ٦٠٥ ، ٢١٠/٤ ، ولسان العرب (حمش) ، وأسرار العربيّة / ٣٣٨ ، وتذكرة النُّحاة / ٦١٠ ، وخزانة الأدب ٣٢٤/٢ ، ومعاني القرآن ، للفرّاء ٧٤/٢ ، واللباب في علوم الكتاب ٢٢٤/٧ ، وشرح التسهيل ٣٠٨/٣ ، والدُّرُّ المصون ٤٩٣/٢ . ورواية لسان العرب:

كأَمَّا ضَرَبْتَ قَدَامَ أَعْيُنِهَا قَطَنٌ بِمَسْتَحْمِشِ الْأُوتَارِ مَحْلُوجٌ

^٢ البيت من بحر الوافر . وَوَوِيَّت (ضموز) بدلاً من (هموز) ، والضموز الذي لا يجتر) و سي : مثل . يُنظَر : ديوان الحطيئة / ١٣٩ ، وشرح المفصل ٨٥/٢ ، والخصائص ٢٢٠/٣ ، والإنصاف في مسائل الخلاف / ٦٠٦ ، وخزانة الأدب ٣٢١/٢ ، وشرح أبيات مغني اللبيب ٧٤/٨ ، وشرح التسهيل ٣٠٨/٣ ، والدُّرُّ المصون ٤٩٤/٢ ، واللباب في علوم الكتاب ٢٢٤/٧ .

^٣ البيت من بحر الطويل ، وفي رواية : (كَأَنَّ أَبَانًا فِي أَفَانِينَ وَدَقِيهِ) . وثبير : جبل . وأفانين ودقه (على الرواية الثانية): أنواع مطره ، وبجاد : كساء ، ومزمل : مغطى . يُنظَر : ديوان امرئ القيس / ١٠٥ ، وأمالي ابن الشجري / ٩٠/١ ،

بجَرِّ (مُزْمَلٍ) وهو صفة (كبير) لأنه بمعنى الملتف .

وكلَّ هذه جُرَّت على المجاورة .

واستدلوا على رأيهم أيضاً بالقراءات القرآنية ، وذكروا منها ، قراءة الأعمش ، ويحيى بن

وثَّاب بجرِّ ((المتين)) من قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ ﴿٥٨﴾ فقد قرأ

الأعمش ، ويحيى بن وثَّاب ((المتين)) مجرورة مجاورة لـ ((الْقُوَّة)) وهو صفة لـ ((الرَّزَّاق)) .

ويؤيدُ هذا الرأي أبو البقاء حيث قال : إنَّ قراءة الجَرِّ ((وَأَرْجُلِكُمْ)) قراءة مشهورة

أيضاً كشهرة قراءة النصب ، وفيها وجهان : وذكر فيها الوجه الأوَّل عطفها على الرؤوس في

الإعراب ، وأنَّ الحُكْم مختلف ، فالرؤوس ممسوحة والأرجل مغسولة ، وهو ذلك الإعراب الذي

يقال عنه : (على الجوار) ، وقال : إنَّه : ليس بممتنع أن يقع في القرآن لكثرتِه ، فقد جاء في

القرآن والشعر . ودلَّ على رأيه بما جاء في القرآن (على الجوار)، وذكر منها :

قراءة ((وَحُورٍ عَيْنٍ)) من قوله ﷻ : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ ﴿٢٢﴾ على قراءة حمزة والكسائي

بالجَرِّ ((وَحُورٍ عَيْنٍ)) ، وهو معطوفٌ على قوله ﷻ : ﴿ يَا كُوفٍ وَأَبَارِيْقٍ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ

﴿١٨﴾ ، وهو مختلفُ المعنى ، إذ ليس المعنى : يَطُوف عليهم ولَّدان مخلَّدون بجورٍ عين . وقال

النابعة :

والمحتسب ١/١٩٢ ، ٢/١٣٥ ، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه ١/٢٩٩ ، وشرح المعلقات للتبريزي /١٢٧ ،

وتذكرة النُّحاة /٣٠٨ ، ٣٤٦ ، وشرح شواهد المغني ٢/٨٨٣ ، والأشباه والنظائر ٢/١٠ ، ولسان العرب (عقق)

، وخزانة الأدب ٢/٣٢٧ ، وشرح أبيات مغني اللبيب ٧/١١١ ، وشرح التسهيل ٣/٣٠٩ ، والدُّرُّ المصون ٢/٤٩٤ ،

واللباب في علوم الكتاب ٧/٢٢٤ .

^١ يُنظَر: شواذ ابن خالويه/١٤٥ ، وشرح التسهيل ٣/٣٠٨ ، والدُّرُّ المصون ٢/٤٩٤ ، واللباب في علوم الكتاب ٧/٢٢٤ .

^٢ سورة الذاريات / ٥٨ .

^٣ يُنظَر: التبيان في إعراب القرآن ١ / ٤٢٢ .

^٤ سورة الواقعة / ٢٢ .

^٥ يُنظَر: السبعة في القراءات / ٦٢٢ .

^٦ سورة الواقعة / ١٨ .

لَمْ يَبْقَ غَيْرُ طَرِيدٍ غَيْرٍ مُنْقَلِتٍ و مُؤْتَقٍ فِي حَبَالِ الْقَدِّ مَسْلُوبٍ

والقوافي مجرورة ، والجواز مشهورٌ عندهم في الإعراب .

ثم ذكر أشياء كثيرة زعم أنها مقويةٌ لمُدَّعاه ، منها :

٢

١. قَلْبُ الإِعْرَابِ فِي الصِّفَاتِ ، مِثْلُ : ((عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ)) مِنْ قَوْلِهِ ﷺ : ﴿وَالَّذِينَ

مَدِينًا أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا

الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ

مُحِيطٍ ﴿٨٤﴾ ، وَالْيَوْمُ لَيْسَ بِمُحِيطٍ ، وَإِنَّمَا الْمُحِيطُ هُوَ الْعَذَابُ ، وَمِثْلُهُ فِي : ((فِي يَوْمٍ

عَاصِفٍ)) مِنْ قَوْلِهِ ﷺ : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ

أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ

ذَلِكَ هُوَ الضَّلَلُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ و (عاصف) ليس في صفة اليوم بل من صفة

الريح .

٢. قَلْبُ بَعْضِ الْحُرُوفِ إِلَى بَعْضِ كَقَوْلِ ﷺ : ((ارْجَعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ))

وَالْأَصْلُ : (مَأْزُورَاتٍ) ، وَلَكِنْ أُرِيدَ التَّوَاحِي ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : (إِنَّهُ لَيَأْتِينَا بِالْعَدَايَا

١ البيت من بحر البسيط . وموثق : مقيد ، حبال القوم : الشرك المنصوبة . يُنظر : ديوان النابغة / ٥٢ ، ومع الهوامع ٥٥/٢

، وخزانة الأدب ٣٢٣/٢ ، وشرح أبيات مغني اللبيب ٧٤/٨ ، و الدرر اللوامع ٧٠/٢ ، وشرح التسهيل ٣٠٨/٣ ،

والدُّرُّ المصون ٤٩٥/٢ ، واللباب في علوم الكتاب ٢٢٦/٧ .

٢ جواز تخريج قراءة الجرِّ (وأرجلكم) على الجوار .

٣ سورة هود / من آية ٨٤ .

٤ سورة هود / ٨٤ .

٥ سورة إبراهيم / من آية ١٨ .

٦ سورة إبراهيم / ١٨ .

٧ أخرجه ابن ماجه ٥٠٣/١ ، في الجنائز : باب ما جاء في اتباع النساء الجنائز (١٥٧٨) ، وقال البوصيري في (زوائده

(٥١٧/١) : هذا إسنادٌ مختلفٌ فيه من أجل دينار وإسماعيل بن سليمان أورده ابن الجوزي في العلل المتناهية من هذا

وَالْعَشَايَا) ويعني أَنَّ الأَصْلَ : (بِالْعَدَاوَى) ؛ لِأَنَّهَا مِنَ الْعُدْوَةِ ، وَلَكِنْ لِأَجْلِ (يَاءِ) الْعَشَايَا جَاءَتْ بِالْيَاءِ دُونَ الْوَاوِ .

٣. تَأْنِيثُ الْمَذْكُورِ : وَقَدْ وَرَدَ هَذَا فِي الْقُرْآنِ مِثْلَ : (عَشْرٌ) فِي : ((فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا)) مِنْ

قَوْلِهِ ﷺ : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْرَى إِلَّا مِثْلَهَا

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ، فَحُذِفَ التَّاءُ مِنْ (عَشْرٌ) وَهِيَ مُضَافَةٌ إِلَى الْأَمْثَالِ وَهِيَ

مَذْكُورَةٌ ، وَلَكِنْ لَمَّا جَاوَرَتِ الْأَمْثَالُ ضَمِيرَ الْمُؤَنَّثِ أُجْرِيَ عَلَيْهَا حَكْمُهُ ، وَكَذَلِكَ وَرَدَ

تَأْنِيثُ الْمَذْكُورِ فِي الشَّعْرِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ :

لَمَّا أَتَى خَيْرُ الزَّبِيرِ تَوَاضَعْتُ سُوْرَ الْمَدِينَةِ وَالْجِبَالِ الْخُشَّعِ

وَفِي النَّثْرِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِمْ : (ذَهَبَتْ بَعْضُ أَصَابِعِهِ) يَعْنِي أَنَّ (سُوْرَ) مَذْكُورَةٌ وَ(بَعْضُ) أَيْضًا

كَذَلِكَ ، وَلَكِنْ لَمَّا جَاوَرَا الْمُؤَنَّثَ أُعْطِيََا حَكْمَهُ . وَمِنْهَا : ((قَامَتْ هِنْدُ)) لَمَّا لَمْ يَنْفَصِلُوا أَتَوَا

بِالنَّاءِ ، وَلَمَّا فَصَلُوا لَمْ يَأْتُوا بِهَا ، وَلَا فَرَقَ إِلَّا الْمَجَاوِرَةُ وَعَدْمُهَا .

٤. اسْتِحْسَاثُ النَّصَبِ فِي الْاِسْتِغَالِ بَعْدَ جُمْلَةٍ فَعْلِيَّةٍ ، فِي قَوْلِهِمْ : ((قَامَ زَيْدٌ وَعَمْرًا كَلَّمْتُهُ))

لِمَجَاوِرَةِ الْفِعْلِ .

٥. قَلْبُهُمُ الْوَاوُ الْمَجَاوِرَةُ لِلطَّرْفِ هَمْزَةٌ نَحْوُ : (أَوَائِلُ) بِخِلَافِ (طَوَاوِيسُ) لِتَبَعْدِهَا مِنْ مَجَاوِرَةِ

الطَّرْفِ .

ثُمَّ قَالَ : إِنَّ هَذَا مَوْضِعٌ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكْتُبَ فِيهِ أَوْرَاقٌ مِنَ الشَّوَاهِدِ ، وَأَنَّ النُّحَوِيْنَ قَدْ بَوَّأُوا لَهَا

بَابًا وَرَتَّبُوا عَلَيْهِ مَسَائِلَ وَأَصْلَوَهُ بِقَوْلِهِ : ((هَذَا جُحْرٌ ضَبٌّ حَرْبٍ)) . حَتَّى اِخْتَلَفُوا فِي جَوَازِ جَرِّ

التَّنْبِيَةِ وَالْجَمْعِ ، فَأَجَازَ الْاِتِّبَاعَ فِيهِمَا جَمَاعَةٌ مِنْ حُدَّاقِهِمْ قِيَاسًا عَلَى الْمُفْرَدِ الْمَسْمُوعِ ، وَلَوْ كَانَ لَا

وَجَهَ لَهُ بِحَالٍ لِاِقْتِصَرُوا فِيهِ عَلَى الْمَسْمُوعِ فَقَطْ ، وَيَتَأَيَّدُ مَا ذَكَرْنَاهُ أَنَّ الْجَرَّ فِي الْآيَةِ قَدْ أُجِيزَ غَيْرُهُ

الوجه ورواه الحاكم من طريق إسرائيل ، ومن طريق الحاكم البيهقي في السنن الكبرى ٧٧/٤ ، ورواه أبو يعلي الموصلي

في مسنده من حديث أنس بن مالك .

١ سورة الأنعام من آية / ١٦٠ .

٢ سورة الأنعام / ١٦٠ .

- وهو الرفع والنصب - والرفع والنصب غير قاطعين ولا ظاهرين، على أنّ حكمَ الرجلين المسحُ ، فكذلك الجرُّ يجب أن يكونَ كالنصب والرفع في الحكم دون الإعراب .^١

وقد ذكر بعض أهل هذا الرأي وجهاً آخر في التطبيق ، وهو أنّ قراءة الجرِّ محمولة على حالة التخفُّف ، وقراءة النصب على حال دونه ، واعترض عليها بأنّ الماسح على الخف ليس ماسحاً على الرجل حقيقة ولا حكماً ؛ لأنّ الخف اعتبر مانعاً سراية الحدث إلى القدم فهي طاهرة ، وما حلّ بالخفّ أزيل بالمسح فهو على الخفِّ حقيقة وحكماً، وأيضاً المسح على الخفِّ لا يجب إلى الكعبين اتفاقاً ، وأجيب بأنّه يجوز أن يكون لبيان المحل الذي يجزئ عليه المسح ، لأنّه لا يجزئ على ساقه ، نعم هذا الوجه لا يخلو عن بعد ، والقلب لا يميل إليه ، وإن ادّعى الجلال السيوطي أنّه أحسن ما قيل في الآية .^٢

وللإماميّة في تطبيق القراءتين وجهان أيضاً ، لكن الفرق بينهما وبين ما سبق من الوجهين اللذين عند أهل السنّة أنّ : قراءة النصب التي هي ظاهرة في الغسل عند أهل السنّة ، وقراءة الجرِّ تعاد إليها ، وعند الإماميّة بالعكس ، فالوجهان هما :

الوجه الأول : أن تعطف الأرجل في قراءة النصب على محلّ (وامسحوا برؤوسكم) فيكون حكم الرؤوس والأرجل كليهما مسحاً .

الوجه الثاني : أنّ الواو فيه بمعنى مع من قبيل استواء الماء والخشبة .

وكلا الوجهين يمكن بحثهما من وجوه :

الوجه الأول - العطف على المحلّ خلاف الظاهر : إنّ العطف على المحلّ خلاف الظاهر بإجماع الفريقين ، والظاهر العطف على المغسولات ، والعدول عن الظاهر إلى خلافه بلا دليل لا يجوز وإن استدثوا بقراءة الجرِّ ، قلنا : إنّها لا تصلح دليلاً لما علمت .

^١ يُنظر : والدُّرُّ المصون ٢/٤٩٥ ، واللباب في علوم الكتاب ٧/٢٢٦ - ٢٢٧ .

^٢ روح المعاني ٦ / ٧٣ ، ولباب التأويل في معاني التنزيل ٢ / ١٨ ، ومفاتيح الغيب ١١ / ١٢٨ ، وتفسير النيسابوري ٣ / ١٣٢ ، وروائع البيان تفسير آيات الأحكام / ٢٤٩ ، وغرائب القرآن ٢ / ٥٥٧ ، والدُّرُّ المصون ٢/٤٩٣ ، واللباب

في علوم الكتاب ٧ / ٢٢٧ .

الوجه الثاني - عطف (أَرْجُلَكُمْ) على محل (بَرُّوْكُمْ) يفهم منه معنى الغسل :
يجوز أن نفهم معنى الغسل لو عُطِفَ (وَأَرْجُلَكُمْ) على محل (بَرُّوْكُمْ)، إذ من القواعد المقررة
في العلوم العربيّة أنّه إذا اجتمع فعلاّن متغايران في المعنى ، ويكون لكلّ منهما متعلّق جاز حذف
أحدهما ، وعطف متعلّق المحذوف على متعلّق المذكور كأثّه متعلّقه ، ومن ذلك قول عبد الله بن
الزبيري:

يَا لَيْتَ بَعْلِكَ قَدْ عَادَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُحْمًا

والمعنى : متقلّداً سيفاً وحاملاً رُحماً ، ومنه قول الراعي :

إذا ما الغانياتُ برزْنَ يوماً وزجَّجْنَ الحواجِبَ والغَيونَا
فإنّه أراد وكحلن العيونَا ، لأن العيون لا تزجج ولكنها تكحل حين تزجج الحواجِبُ
وذلك من التزيّن، وقوله :

تراه كأن الله يجدع أنفه وعينيه إن مولاه تاب له وفر

يعني: ويفقأ عينيه ، ومن شواهد المشهورة قول الراجز :

علفتها تيناً وماءً بارداً حتى شتت هماله عينها
يعني: وسقيتها ماء بارداً ، ومن أمثلة ذلك في القرآن : ((وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ

((من قوله ﷺ : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ
فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ

نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ : أي وأخلصوا الإيمان، أو ألقوا الإيمان، ومثال

١ وهناك رواية (يَا لَيْتَ زَوْجِكَ قَدْ عَادَا) .

٢ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣ / ٨ ، ٧٣/٢٣ ، والتحرير والتنوير ٢١ / ٢٩٢ ، ٢٧ / ٢٩٦ ، والجامع لأحكام
القرآن ١٧ / ٢٠٥ .

٣ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣ / ٨ ، ٧٣/٢٣ ، والتحرير والتنوير ٢١ / ٢٩٢ ، ٢٧ / ٢٩٦ ، والجامع لأحكام
القرآن ١٧ / ٢٠٥ .

٤ سورة الحشر / ٩ .

ذلك في المخفوض قولهم : ما كل بيضاء شحمة ، ولا سوداء تمرة : أي ولا كل سوداء تمرة ، إلى ما لا يحصى كثرة .

الوجه الثالث – عدم جواز جعل الواو بمعنى مع بدون قرينة : إنَّ جعل الواو بمعنى مع بدون قرينة ممَّا لا يكاد يجوز، ولا قرينة ههنا على أنَّه يلزمه كما قيل: فعل المسحون معاً بالزمان، ولا قائل به بالاتفاق، بقي لو قال قائل: لا أقنع بهذا المقدار في الاستدلال على غسل الأرجل بهذه الآية ما لم ينضم إليها من خارج ما يقوي تطبيق أهل السنَّة فإنَّ كلامهم وكلام الإمامية في ذلك عسى أن يكون فرسا رهان، قيل له: إنَّ سنَّة خير الورى ﷺ وآثار الأئمة رضي الله تعالى عنهم شاهدة على ما يدَّعيه أهل السنَّة وهي من طريقهم أكثر من أن تحصى، وأمَّا من طريق غيرهم، فقد روى العياشي عن علي عن أبي حمزة قال: (سألت أبا هريرة عن القدمين فقال: تغسلان غسلاً)، وروى محمد بن النعمان عن أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال: ((إذا نسيت مسح رأسك حتى غسلت رجلك، فامسح رأسك ثم اغسل رجلك)) وهذا الحديث رواه أيضاً الكلبي وأبو جعفر الطوسي بأسانيد صحيحة بحيث لا يمكن تضعيفها ، ولا الحمل على التقية لأنَّ المخاطب بذلك شيعي خاص، وروى محمد بن الحسن الصفار عن زيد بن علي عن أبيه عن جدِّه أمير المؤمنين كرم الله تعالى وجهه أنَّه قال: جلست أتوضأ فأقبل رسول الله ﷺ، فلمَّا غسلت قدمي قال: ((يا علي خلِّ بين الأصابع))، وذكر الشريف الرضي عن أمير المؤمنين علي ﷺ في (نهج البلاغة) حكاية وضوئه ﷺ، وذكر فيه غسل الرجلين، وهذا يدلُّ على أنَّ مفهوم الآية كما قال أهل السنَّة، ولم يدَّع أحد منهم النسخ لثباته كما ظنَّه من لا وقوف له ، وأنَّ ما يزعمه الإمامية من نسبة المسح إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وأنس بن مالك وغيرهما كذب مفترى عليهم ، فإنَّ أحداً منهم ما روي عنه بطريق صحيح أنَّه جوَّز المسح، إلَّا أنَّ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فإنَّه قال بطريق التعجب: ((لا نجد في كتاب الله تعالى إلَّا المسح، ولكنَّهم أبوا إلَّا الغسل)) ومراده أنَّ ظاهر الكتاب يوجب المسح على قراءة الجرِّ التي كانت قراءته ، ولكنَّ الرسول ﷺ وأصحابه لم يفعلوا إلَّا الغسل، ففي كلامه هذا إشارة إلى قراءة الجرِّ مؤمَّلة متروكة الظاهر بعمل الرسول ﷺ والصحابة رضي الله تعالى عنهم، وأنَّ نسبة جواز المسح إلى أبي العالية وعكرمة والشعبي زور وبهتان أيضاً، وكذلك نسبة الجمع بين الغسل والمسح، أو التخيير بينهما إلى الحسن البصري، ومثله نسبة التخيير إلى محمد بن

جرير الطبري، وقد نشر رواة الشيعة هذه الأكاذيب المختلفة، ورواها بعض أهل السنة ممن لم يميّز الصحيح والسقيم من الأخبار بلا تحقّق ولا سند، واتّسع الخرق على الرّاقع، ولعلّ محمد بن جرير القائل بالتخيير هو محمد بن جرير بن رستم الشيعي صاحب (الإيضاح للمتشد في الإمامة) لا أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الشافعي الذي هو من أعلام أهل السنة، والمذكور في تفسير هذا هو الغسل فقط ، لا المسح ولا الجمع ولا التخيير الذي نسبه الشيعة إليه، ولا حجة لهم في دعوى المسح بما روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام ((أنّه مسح وجهه ويديه، ومسح رأسه ورجليه، وشرب فضل طهوره قائماً، وقال: إنّ الناس يزعمون أنّ الشرب قائماً لا يجوز، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله صنع مثل ما صنعت)) وهذا وضوء من لم يحدث؛ لأنّ الكلام في وضوء المحدث لا في مجرّد التنظيف بمسح الأطراف كما يدلُّ عليه ما في الخبر من مسح المغسول اتِّفاقاً ، وأمّا ما روي عن عباد بن تميم عن عمّه بروايات ضعيفة أنّه عليه السلام توضأ ومسح على قدميه، فهو كما قال الحفاظ: شاذّ منكر لا يصلح للاحتجاج مع احتمال حمل القدمين على الخفّين ولو مجازاً؛ واحتمال اشتباه القدمين المتخفّفين بدون المتخفّفين من بعيد، ومثل ذلك عند من اطلع على أحوال الرواة ما رواه الحسين بن سعيد الأهوازي عن فضالة عن حماد بن عثمان عن غالب بن هذيل قال: ((سألت أبا جعفر عليه السلام عن المسح على الرجلين فقال: هو الذي نزل به جبريل عليه السلام))، وما روي عن أحمد بن محمد قال: ((سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن المسح على القدمين كيف هو؟ فوضع بكفيه على الأصابع ثمّ مسحهما إلى الكعبين فقلت له: لو أنّ رجلاً قال بإصبعين من أصابعه هكذا إلى الكعبين أيجزئ؟ قال: لا إلا بكفّه كليهما)) إلى غير ذلك ممّا روته الإماميّة في هذا الباب، ومن وقف على أحوال رواّتهم لم يعوّل على خبر من أخبارهم .^١

وفي الأخير يمكن أن نصل إلى القول الراجح، وهو وجوب الغسل للرجلين؛ لتضافر الأدلّة على ذلك، والله أعلم.

^١ يُنظَر : ولباب التأويل في معاني التنزيل ١٨/٢، ومفاتيح الغيب ١١/١٢٨، وتفسير النيسابوري ٣/١٣٢، وروائع البيان تفسير آيات الأحكام ٢٤٩/٢، وغرائب القرآن ٥٥٧/٢، والنُّزُّ للمصون ٤٩٣/٢، واللباب في علوم الكتاب ٢٢٧/٧، روح المعاني ٦/٧٣ .

المبحث الثالث

ظواهر نحويّة عامّة

هناك ظواهر نحويّة كثيرة وردت في القراءات القرآنيّة، وذكرها ابن عاشور ؛ منها :

الحذف والإضمار، الصرف وعدمه، الحمل على المعنى، الوصف بالمصدر، تذكير الفعل مع الفاعل وتأنيثه، ياء المتكلم، الفصل بين المتضايقين، بين الإضافة والصفة، إجراء اسم الفاعل مجرى الفعل، تعريف الحال، الأمر باللام للحاضر المخاطب، الجمع بين النون والإضافة، التّصّب على الحال، الضمّ على التّداء والجرّ على البدل، زيادة (لا) لغرض المعنى، (غدوة) بين التعريف والتّكبير، بَدَل المعرفة من النكرة، (كان) بين التمام والنقص، وغيرها. ونظراً لكثرتها، فسأقتصر على بعضٍ ممّا تطرّق له ابن عاشور في تفسيره من القراءات القرآنيّة التي هي من قبيل الظواهر النحويّة العامّة :

أولاً : ظاهرة الحذف

ظاهرة الحذف من الظواهر النحويّة التي تشترك فيها اللغات الإنسانيّة ، وهي في اللّغة العربيّة أكثر ثباتاً ووضوحاً ؛ لأنّ اللّغة العربيّة من خصائصها الأصيلة الميل إلى الإيجاز والاختصار ، والحذف يعد أحد نوعي الإيجاز وهما : القصر والحذف ، وقد نفرت العرب ممّا هو ثقيل في لسانها ، ومالت إلى ما هو خفيف . وهو باب دقيق المسلك ، لطيف المآخذ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تُبَيِّن .^١

^١ يُنظَر : دلائل الإعجاز ١/ ١٢١ .

وهو إسقاط كلمة من بناء الجملة ، وقد تكون هذه الكلمة ركناً من أركانها كالمبتدأ أو الخبر أو الفعل أو الفاعل ، وقد تكون حرفاً ، وقد تُحذف الجملة ، إسقاط لصيغ داخل النصّ التركيبيّ في بعض المواضع اللغويّة .

الحذف والإضمار : من العلماء من يفرّق بينهما ، ومنهم من يخلط بينهما ؛ ولذلك قال أبو حيان : ((وهو موجود في اصطلاح النحويين ، أعني أن يسمى الحذف إضماراً)) . وقال الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي : ((وقد يستعمل كلٌّ منهما بمعنى الآخر كما يعلم بالاستقراء)) .

وبعض العلماء فرّق بين الحذف والإضمار ؛ ومنهم الفارسي ، حيث يقول : ((وقد يحذف حرفُ الجر ، فيصل الفعلُ إلى الاسم المحلوف به ، وذلك نحو : (الله لأفعلن) ، وربما أُضمر حرفُ الجر ، فقليل : (الله لأفعلن))) .

وانتقد ابن مضاء القرطبي هذا الخلط بين المصطلحين واستعمالهما بمعنى واحد، وفرّق بينهما ، حيث قال : ((الفاعل يضم ولا يحذف)) ، وذلك حيثما أمكن تقديره بضمير مستتر فهم يقصدون بالمضمّر ما لا بد منه ، وبالمحذوف ما يمكن الاستغناء عنه .

¹ يُنظر : الصحاح في اللغة ١/١٢٠، ولسان العرب ٩/٤٠، ودلائل الإعجاز ١/١٢١، وأسرار البلاغة ٣٧٩-٣٨٠، ودلائل الإعجاز ١/١٢١، والبحر المحيط ١/٦٤٣، والرد على النحاة ١٣٠.

² يُنظر : البحر المحيط ١/٦٤٣ .

³ يُنظر : حاشيته على تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل) تسمى "عناية القاضي وكفاية الرازي" ، وتقع في ثمانية مجلدات .
⁴ الأصول في النحو ٣/٤٣٢، يُنظر : الإنصاف في مسائل الخلاف ١/٣٩٣، وشرح الكافية، للرّضي ١/٤٨٤، والبحر المديد ٦/٣٥٣، والتسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمّد بن أحمد بن جُزّي الكلي (٧٤١ هـ) ضبط وتصحيح وتخرّيج: محمّد سالم هاشم، دار الكتب العلميّة، بيروت ط ١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥ م ١/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٥/١٤٣، ٢٣٠، والكشّاف ١/٦٦، ٦٧، ١١٠/٤، ٧٢، ٦٤٠، والمحرّر الوجيز ٢/٥٤٠، ٤/٥١٢، ٤/٥٨٦، والبحر المحيط ١/١٧١، ٧/٣١٠، معاني القرآن للأخفش ٢/٦٢، ومعاني القرآن للفراء ٤/١١٠، معاني القرآن، للنحاس ٦/٧٤، ١٤١، واللباب في علوم الكتاب ١/٢٥٢، ٧/٥٧٧، ١١/٤٧٨.

⁵ يُنظر : الرد على النحاة ١٣٠ .

ويذكر البلاغيون ضرورة تقدير المحذوف ؛ حتى لا يُحمل الكلام على ظاهره ، وحتى يكون امتناع ترك الكلام على ظاهره ولزوم الحكم بالحذف راجع إلى الكلام نفسه ، لا إلى غرض المتكلم .^١

ويذكر علماء البلاغة للحذف ثلاث مزايا ، هي :

١- إيجاز العبارة .

٢- زيادة رونقها وصيانتها من الثقل والترهل الذين يحدثهما ذكرُ المعلوم للقرينة .

٣- بناؤها على إثارة فكر المتلقي وخياله في الاستدلال على جزء المعنى الذي لم يُذكر اللفظ الدالُّ عليه .

هذا ما يُذكر مزيةً عامةً للحذف ، ويبقى وراء كلِّ تعبير سرٌّ خاصٌّ به قائم على اختلاف المقامات والأحوال والأغراض .

أغراض الحذف:

إذا نظرنا في كتاب سيبويه وجدناه ينصُّ في مواضع كثيرة على ضرورة الحذف لأسباب أدخلها البحث الحديث في فنِّ البلاغة ، كالتخفيف والإيجاز والسعة ، ويبيِّن أنَّ العرب قد جرت عاداتها على الحذف ، وحبَّذته في غير موضع .

يقول سيبويه : ((واعلم أنَّهم ممَّا يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوِّضون ، ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يُستعمل حتى يصير ساقطاً ، وسترى ذلك إن شاء الله ، فممَّا حُذف وأصله في الكلام غير ذلك : (لَمْ يَكْ ، ولا أَدْر) وأشباه ذلك . وأمَّا استغناؤهم بالشيء عن الشيء فإنَّهم يقولون : (يَدْعُ) ، ولا يقولون : (وَدَع) استغنوا عنها بـ (تَرَكَ))) ، ويقول : ((وما حُذِف في الكلام لكثرة استعمالهم كثير ، ومن ذلك : (هَلْ مِنْ طَعَامٍ) أي : هل من طعام في زمان أو مكان، وإمَّا يريد : هل طعام ، فمن

^١ يُنظر : أسرار البلاغة ، الجرجاني : عبد القاهر بن عبد الرحمن ، (ت ٤٧٤هـ) ، قرأه وعلَّق عليه : محمود محمد شاكر ،

١ ، ١٩٩١م / ٣٧٩ - ٣٨٠ .

القاهرة ، مطبعة المدني ، جدة ، ط

^٢ الكتاب ١/ ٢٥ .

طعام في موضع طعام ، كما كان : ما أتاني من رجل ، في موضع : ما أتاني رجل ، ومثله جوابه : ما من طعام)) .^١

ويقول كمال الدين الأنباري : ((والحذف في كلامهم لدلالة الحال وكثرة الاستعمال أكثر من أن يُحصَى)) .^٢

الحذف نوعان رئيسان

وينقسم الحذف إلى نوعين رئيسين : أولهما يتصل بالصيغ ، والنوع الآخر يتصل بالتراكيب .

١. حذف المنادى وإضماره :

من القراءات القرآنيّة التي ذكرها ابن عاشور وكان وجه الاختلاف فيها من قبيل الظواهر النحويّة حذف المنادى وإضماره جاء ذلك في قوله ﷻ : ﴿ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ (٢٥) فقد ذكر ابن عاشور^٣ في ((أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ)) قراءات ، وهي :

القراءة الأولى : قراءة تشديد اللام ((أَلَا يَسْجُدُوا)) على أنّه مرّكب في الخط من (أنّ) و (لا) النافية كتبتا كلمة واحدة اعتباراً بحالة النطق بها على كلّ المعاني المرادة منها، و(أنّ) : ناصبة للفعل ، ولذا سقطت منه نون الرفع ، والنون من (أن) مدغمة في (لا) المزيدة للتأكيد ، وقيل في الإعراب غير هذا ، ونسبها إلى الجمهور كعادته ، ولم يوضّح من هم ، والقراءة وردت عن أبي عمرو ، وعاصم ، ونافع ، وحمزة ، وابن مسعود ، وهي اختيار أبي حاتم ، وأبي عبيد ، وذكر أنّ (يسجدوا) فعل مضارع منصوب . ويقدر لأم جر يتعلق بـ ((صدّهم عن السبيل))

^١ الكتاب ٢ / ١٣٠ .

^٢ الإنصاف في مسائل الخلاف ١ / ٧٣ .

^٣ سورة النمل / ٢٥ .

من قوله ﷻ : ﴿ وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ٢٤ ، أي صدَّهم لأجل أن لا يسجدوا لله ، أي فسجدوا للشمس .

وعن هذه القراءة ، يمكن أن نجد فيها أوجه كثيرة نفصلها على النحو الآتي :
أحدها : أنَّ (أَلَا) أصلها : أن لا ، فأن ناصبة للفعل بعدها ، ولذلك سقطت نون الرفع ، و (لَأ) بعدها حرف نفي ، وأن وما بعدها في موضع مفعول (يَهْتَدُونَ) على إسقاط الخافض أي : إلى أن لا يسجدوا ، و (لَأ) مزيدة كزيادتها في : (لِقَلَّ يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ) من فقوله ﷻ : ﴿ لَيْتَ لَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ ٢٩ ، والمعنى : فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا .
الثاني : أنه بدل من (أَعْمَالَهُمْ) ، وما بينهما اعتراض تقديره : وزَيْنَ لهم الشيطان عدم السجود لله .

الثالث : أنه بدل من (السَّبِيلِ) على زيادة (لَأ) أيضاً ، والتقدير : فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ .

الرابع : أنَّ (أَلَا يَسْجُدُوا) مفعولاً له ، وفي متعلقه وجهان :
أحدهما : أنه (زَيْنَ) أي : زَيْنَ لهم لأجل ألا يسجدوا .
والثاني : أنها متعلق بـ (صَدَّهُمْ) ، أي : صَدَّهُمْ لأجل أن لا يسجدوا ، وفي (لَأ) حينئذٍ وجهان :

أحدهما : أنها ليست مزيدة ، بل باقية على معناها من النفي .
والثاني : أنها مزيدة ، والمعنى : وزَيْنَ لهم لأجل توقعه سجودهم ، أو لأجل خوفه من سُجُودِهِمْ ، وعدم الزيادة أظهر .

١ سورة النمل / ٢٤ .

٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٩ / ٢٥٤ .

٣ يُنظَر : سورة الحديد / ٢٩ .

الخامس : أنه خبر مبتدأ مضمّر ، وهذا المبتدأ إمّا أن يُقَدَّر ضميراً عائداً على (أَعْمَاهُمْ) ، والقدير هي الّاء يسجدوا ، فتكون (لا) على بابها من النفي ، وإمّا أن يُقَدَّر ضميراً عائداً على (السَّبِيل) ، التقدير : هو أن لا يسجدوا ، فتكون (لا) مزيدة - على ما تقدّم - ليصح المعنى .

وعلى الأوجه الأربعة المتقدّمة لا يجوز الوقف على (يَهْتَدُونَ) ، لأنّ ما بعده إمّا معمول له أو لِمَا قبله من (زَيْن) و (صَدَّ) ، أو بدل ممّا قبله أيضاً من (أَعْمَاهُمْ) ، أو من (السَّبِيل) على ما قرّر ، بخلاف الوجه الخامس ، فإنّه مبنيّ على مبتدأ مضمّر ، وإن كان ذلك الضمير مُفسّراً بما سبق قبله ، وقد كتبت (الّاء) موصولة غير مفصولة ، فلم تُكْتَب (أَنَّ) منفصلة من (لا) ، فمن ثمّ : امتنع أن يُوقَف هؤلاء في الابتلاء والامتحان على (أَنَّ) وحدها ، لاتصالها بلا في الكتابة ، بل يُوقَف لهم على (الّاء) بجملتها ، كذا قال الفراء، والنحويون متى سُئِلوا عن مثل ذلك وقفوا لأجل بيان كل كلمة على حدّها ، لضرورة البيان، كونها كُتِبَت متصلة بـ (لا) غير مانع من ذلك . ثمّ قول الفراء : كتبت متصلة فيه تجوّز وتسامح ؛ لأنّ حقيقة هذا أن يُثْبِتُوا صورة ثونٍ ويصلونها بلاء ، فيكتبونها (أنّلا) ، ولكن لما أدغمت فيما بعدها لفظاً ، وذهب لفظها إلى لفظ ما بعدها قالوا ذلك تسامحاً .^١

وعن هذه القراءة : ((الّاء يسجدوا لله)) قال ابن الأنباري : (فَهْمٌ لا يَهْتَدُونَ) غير تام لمن شدد (الّاء) ؛ لأنّ المعنى : وزين لهم الشيطان الّاء يسجدوا . قال النحاس : هي (أَنَّ) دخلت عليها (لا) و (أَنَّ) في موضع نصب ؛ قال الأخفش : بـ (زَيْن) ، أي : وزين لهم لئلا يسجدوا لله . وقال الكسائي : بـ (فَصَدَّهُمْ) ، أي : فصدّهم الّاء يسجدوا . وهو في الوجهين مفعول له .

وقال اليزيدي وأبو الحسن علي بن سليمان الأخفش : (أَنَّ) بدل من (أَعْمَاهُمْ) في موضع نصب، وقال أبو عمرو : و (أَنَّ) في موضع خفض على البدل من السبيل، وقيل: العامل فيها (لا يَهْتَدُونَ)، أي: فهم لا يهتدون أن يسجدوا لله؛ أي: لا يعلمون أن ذلك واجب عليهم.

^١ يُنظَر : الباب في علوم الكتاب ١٥ / ١٤٥ - ١٤٦ .

وعلى هذا القول (لا) زائدة ؛ كقوله : ((مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ)) ، من قوله ﷺ : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ ١٢ ، أي ما منعك أن تسجد. وعلى هذه القراءة فليس بموضع سجدة ؛ لأن ذلك خبر عنهم بترك السجود، إمّا بالتزيين، أو بالصدّ، أو بمنع الاهتداء .

ورجّح النحّاس قراءة التشديد ((أَلَّا يَسْجُدُوا)) لأنّ الكلام بها متسق، والخبر فيها يتبع بعضه بعضاً لا انقطاع في وسطه .

القراءة الثانية: قراءة تخفيف اللّام ((أَلَّا يَسْجُدُوا))، ونسبها إلى الكسائي، وهي قراءة أيضاً لأبي جعفر، ورويس عن يعقوب، وابن عبّاس، والزهري، والسلمي، وطلحة، وحמיד، والأعرج، والحسن، والشنبوذي، والمُطَوِّعِي، وقتادة، وأبي العالية، والأعمش، وابن أبي عبلّة . وعدّ (ألاً) حرف للاستفتاح، ويتعيّن أن يكون (يسجدوا) مرّكباً من ياء النداء (يا) وفعل الأمر (اسجدوا) فهو مبني على حذف النون، والمنادى محذوف، أي: (يا هؤلاء)، أو (يا قوم)؛ لأنّ (يا) ينادى بها الأسماء دون الأفعال. وأنشد سيبويه :

يَا لَعَنَهُ اللَّهُ وَالْأَقْـمُ وَالْمُكَلِّمُ وَالصَّالِحِينَ عَلَى سَمْعَانَ مِنْ جَارِ

١ سورة الأعراف / ١٢ .

٢ يُنظَر : الجامع لأحكام القرآن ١٣ / ١٨٦ .

٣ يُنظَر : إعراب القرآن ٥١٨/٢ ، و الجامع لأحكام القرآن ١٨٦/١٣ ، والقراءات في المعاجم اللغويّة / ٤٣٥ .

٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٩ / ٢٥٥ ، وجامع البيان ٩٣/١٩ ، وإعراب القرآن ، للنحّاس ٥١٧/٢ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١١٥/٤ ، والكشف عن وجوه القراءات ١٥٦/٢ ، وشرح الشاطبيّة ٢٦١/٢ ، والنشر ٣٣٧/٢ ، وروح المعاني ١٩١/١٩ ، والحجّة في القراءات السبع / ٢٧٠ ، ومعاني القرآن، للفراء ٢٩٠/٢ ، ومعاني القرآن، للأخفش ٤٢٩/٢ ، والكتاب ١٦٥/٢ ، والكشّاف ٤٤٩/٢ ، والمحرّر الوجيز ١٩٤/١١ ، ومشكل إعراب القرآن ١٤٧/٢ ، وتأويل مشكل القرآن ٣٠٦ ، والبحر المحيط ٦٨/٧ ، ومفاتيح الغيب ١٩١/٢٤ ، و الجامع لأحكام القرآن ١٨٥/١٣ - ١٨٦ ، وحجّة القراءات / ٥٢٦ ، وهمع الهوامع ٩/١ ، ٤٤/٣ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٤٨/٢ ، والتذكّرة في القراءات الثمان / ٤٧٤ ، ومعجم القراءات، للخطيب ٥٠٥/٦ .

٥ البيت من بحر البسيط، ولم أعرف قائله. يُنظَر : يُنظَر الكتاب ٢٢٠/٢ ، وشرح المفصل ٢٤/٢ ، والتصريح ٣٨/١ ، وأخبار أبي القاسم الزجاجي / ٤٢ ، والجلس الصالح والأنيس الناصح ١٨٢/١ ، والكامل في اللغة والأدب ١٩٨/٣ ، إعراب

قال سيبويه : (يا) لغير اللعنة ، لأنه لو كان للعبة لنصبها ، لأنه كان يصير منادى مضافاً ، ولكن تقديره : يا هؤلاء لعنة الله ، والأقوام على سمعان . وحكى بعضهم سماعاً عن العرب : (أَلَا يَا اِرْحَمُوا أَلَا يَا اِصْدُقُوا) . يريدون : أَلَا يَا قَوْمِ اِرْحَمُوا اِصْدُقُوا ، فعلى هذه القراءة (اسْجُدُوا) في موضع جزم بالأمر ، والوقف في هذه على (أَلَا يَا) ثمَّ الابتداء : (أسجدوا) بهمزة مضمومة ، وحذفت همزة يا النداء ، وهمزة الوصل من (أسجدوا) خطأً على مراد الوصل ، إذ رسم المصحف يسجدوا بغير ألفين لما سقط لفظاً سقطاً خطأً . ولهم الوقف اختياراً على (أَلَا) وحدها ، وعلى (يا) وحدها ؛ لأنهما حرفان منفصلان . وجاء عن الكسائي أنه قال : ما كنت أسمع الأشياخ يقرأونها إلا بالتخفيف على نية الأمر . وجوّزوا أن يكون (أَلَا) كلمة واحدة بمعنى (هلاً) فإنَّ هاءها تبدل همزة ، وبها قرأ ابن مسعود : ((هَلَا تَسْجُدُونَ لِلَّهِ)) ، بمعنى ألا تسجدون ، بالثناء على الخطاب ، وقرأها أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ : ((أَلَا يَسْجُدُونَ لِلَّهِ)) ، فهاتان القراءةان حجة لمن خفف .

٣

وجاء عن الزجاج : أنَّ قراءة التخفيف تقتضي وجوب السجود دون التشديد . واختار أبو حاتم وأبو عبيدة قراءة التشديد . وقال : التخفيف وجه حسن إلا أنَّ فيه انقطاع الخبر من أمر سبأ ، ثمَّ رجع بعد إلى ذكرهم ، والقراءة بالتشديد خبر يتبع بعضه بعضاً لا انقطاع في وسطه . ونحوه قال النحاس ؛ حيث قال : إنَّ قراءة التخفيف بعيدة ؛ لأنَّ الكلام يكون معترضاً ، وقراءة التشديد يكون الكلام بها متسبباً ، وأيضاً فإنَّ السواد على غير هذه القراءة - على زعمه - ؛

القرآن، للنحاس ٢٠٧/٣، والأصول في النحو ٣٥٤/١، والإنصاف في مسائل الخلاف ١١٨/١، والمفصل في صنعة الإعراب ٧٢/، وشرح شذور الذهب، عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق ط ١٩٨٤م ١٤٧/١، واللامات، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحق الزجاجي، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط ١٩٨٥م ٣٧/.

^١ يُنظَر : الجامع لأحكام القرآن ١٣ / ١٨٧ ، والبحر المحيط ٦٩/٧ ، وإتحاف فضلاء البشر ٣٢٥/٢ .

^٢ يُنظَر : الجامع لأحكام القرآن ١٣/١٨٥-١٨٦ ، والكشف والبيان ٢٠٣/٧ ، ومعاني القرآن، للفراء ٢٥٦/٣ ، وإبراز المعاني من حرز الأماني ٣٣١/٢ ، وفتح القدير الجامع ١٩٠/٤ ، ومعجم القراءات، للخطيب ٥٠٥/٦ .

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٩ / ٢٥٥ ، ومفاتيح الغيب ١٩٢/٢٤ ، و الجامع لأحكام القرآن ١٣/١٨٦ ، والكشف والبيان ٧ / ٢٠٣ ، والكشف والبيان / ١٦٧٥ ، والقراءات في المعاجم اللغوية ٤٣٥/ .

لأنه قد حذف منه ألفان ، وإنما يختصر مثل هذا بحذف ألف واحدة نحو: يا عيسى بن مريم . وابن الأنباري قال : إنَّ أَلْفَ (اسجُدُوا) سقطت كما تسقط مع هؤلاء إذا ظهر ، ولما سقطت أَلْفَ (يا) واتصلت بها أَلْفَ (اسجُدُوا) سقطت ، فعَدَّ سقوطها دلالة على الاختصار ، وإثارة لما يخف وتقل ألفاظه .

وقال الجوهري في آخر كتابه : وقال بعضهم ومنهم أبو حيان : إنَّ (يا) إنما هو حرف تنبيه ، لا ندائية ، كأنه قال : ألا اسجدوا لله ، وأنه جُمع بينها وبين (أَلَا) للتأكيد ، وجاز ذلك لاختلاف الحرفين ، وقصد المبالغة في التوكيد ، فلما أدخل عليه (يا) للتنبيه سقطت الألف التي في (اسجُدُوا) لأنها أَلْفَ وصل ، وذهبت الألف التي في (يا) لاجتماع الساكنين ؛ لأنها والسين ساكنتان . كما قال ذو الرمة :^١

أَلَا يَا اسلَمِي يَا دَارَ مَيِّ عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجَزَعَائِكَ الْقَطْرُ
وقال الجرجاني : هو كلام معترض من الهدهد أو سليمان أو من الله . أي ألا ليسجدوا؛

كقوله ﷺ : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾^{١٤} ، قيل : إنه أمر أي ليغفروا . وتنتظم على هذا كتابة المصحف ؛ أي ليس ها هنا نداء . وقال ابن عطية : قيل هو من كلام الهدهد إلى قوله (الْعَظِيمِ) وهو قول ابن زيد وابن إسحاق ؛ ويعترض بأنه غير مخاطب ، فكيف يتكلم في معنى شرع . ويحتمل أن يكون من قول سليمان لما أخبره الهدهد عن القوم . ويحتمل أن يكون من قول الله تعالى ، فهو اعتراض بين الكلامين وهو الثابت مع التأمل ، وأما قراءة التشديد في (أَلَا) تعطي أنَّ الكلام للهدهد ،

^١ يُنظَر : الجامع لأحكام القرآن ١٣ / ١٨٧ - ١٨٨ ، والبحر المحيط ٦٩/٧ ، وإتحاف فضلاء البشر ٣٢٥/٢ .
^٢ البيت من بحر الطويل . يُنظَر : ديوان ذي الرمة / ٢٩٠ ، ومجاز القرآن ٩٤/٢ ، ومعاني القرآن للأخفش ٦٤٩/٢ ، وأمالى الشجري ١٥١/٢ ، والمقاصد النحوية ٦/٢ ، والتصريح ١٨٥/١ ، وهمع الهوامع ١١١/١ ، ٤/٢ ، ٧٠ ، وشرح شواهد المغني ٦١٧/٢ ، وشرح الأشموني ٣٧/١ ، ٢٢٨ ، و الدرر اللوامع ٨١/١ ، ٢٣/٢ ، ٨٦ ، والمحرر الوجيز ١٩٥/١١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨٧/١٣ ، والإنصاف ١٠٠/١ ، والبحر المحيط ٦٩/٧ ، ومغني اللبيب ٢٤٣/١ ، واللباب في علوم الكتاب ١٥ / ١٤٣ .

وقراءة التخفيف تمنعه ، والتخفيف يقتضي الأمر بالسجود لله عزَّ وجلَّ للأمر. جاء عن الزمخشري : أنَّ سجدة التلاوة واجبة فيهما جميعاً ؛ لأنَّ مواضع السجدة إمَّا أمر بها، أو مدح لمن أتى بها ، أو ذمُّ لمن تركها ، وإحدى القراءتين أمر بالسجود والأخرى ذمُّ للتَّارك، وبهذا قال ابن عاشور .

وقالوا أيضاً عن الكسائي أنَّه يقف على (أَلَا) ، وعلى (يا) ، وعلى (اسجدوا) ، وإذا ابتدأ (اسجدوا) ابتدأ بالضمِّ . وأيضاً يجوز الوقف على (يهتدون) في الآية السابقة ، وتبتدئ (أَلَا يسجدوا) على هذه القراءة ، ومعلوم في علم القراءات، أنَّه إذا قيل لك : قف على كل كلمة بانفرادها في قراءة الكسائي ، أنَّك تقف في قوله : (أَلَا يَسْجُدُوا) ، ثلاث وقفات ، الأولى : أن تقف على (أَلَا) . والثانية : أن تقف على (يا) . والثالثة : أن تقف على اسجدوا ، وهذا الوقف وقف اختبار لا وقف اختيار، وأمَّا على قراءة الجمهور ، فإنَّك تقف وقفين فقط : الأولى : على (أَلَا) ، ولا تقف على أن لأَنَّها مدغمة في (لا) ، والثانية : أنَّك تقف على (يَسْجُدُوا) .

وقال : إنَّه يجوز أن يكون المصدر المسبوك من ((أَلَا يَسْجُدُوا)) بدل بعض من (أعمالهم)، من قوله ﷺ : ﴿ وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ، وما بينهما اعتراض .^٣

^١ يُنظر : الجامع لأحكام القرآن ١٣ / ١٨٨ ، وإعراب القرآن ٢ / ٥١٨ ، والقراءات في المعاجم اللغويَّة / ٤٣٥ .

^٢ يُنظر : التحرير والتنوير ١٩ / ٢٥٥ ، وجامع البيان ١٩ / ٩٣ ، وإعراب القرآن ، للنخَّاس ٢ / ٥١٧ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤ / ١١٥ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢ / ١٥٦ ، وشرح الشاطبيَّة / ٢٦١ ، والنشر ٢ / ٣٣٧ ، وروح المعاني ١٩ / ١٩١ ، والحجَّة في القراءات السبع / ٢٧٠ ، ومعاني القرآن ، للفراء ٢ / ٢٩٠ ، ومعاني القرآن ، للأخفش ٢ / ٤٢٩ ، والكتاب ٢ / ١٦٥ ، والكشَّاف ٢ / ٤٤٩ ، والمحرَّر الوجيز ١١ / ١٩٤ ، ومشكل إعراب القرآن ٢ / ١٤٧ ، وتأويل مشكل القرآن / ٣٠٦ ، والبحر المحيط ٧ / ٦٨ ، ومفاتيح الغيب ٢٤ / ١٩١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣ / ١٨٥ - ١٨٦ ، وحجَّة القراءات / ٥٢٦ ، وجمع الهوامع ١ / ٩ ، ٣ / ٤٤ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢ / ١٤٨ ، والتذكرة في القراءات الثمان / ٤٧٤ ، وأضواء البيان ٣٠ / ٨ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٦ / ٥٠٥ .

^٣ سورة النمل / ٢٤ .

وَجَعَلَ (يسجدوا) مركباً من ياء النداء المستعملة تأكيداً للتنبية ، و (فَعَلَّل) أمر من السجود كقول ذي الرُّمَّة :

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا دَارَ مَيِّ عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجَزَعَائِكَ الْقَطْرُ

وذكر لا يلائم رسم المصحف إلا أن يُقال : إنه رسم كذلك على خلاف القياس .

وأن في منتهى هذه الآية موضع سجود تلاوة تحقيقاً للعمل بمقتضى قوله : (ألا يسجدوا لله) ، وسواء قرئ بتشديد اللام من قوله : (ألا يسجدوا) أم بتخفيفها ؛ لأن مآل المعنى على القراءتين واحد ، وهو إنكار سجودهم لغير الله ؛ لأن الله هو الحقيق بالسجود .

واختلف النحويون في ال (يا) على قولين :

أحدهما : وهو قول الفارسيّ إنّها لمجرد التنبية ، فلا يقدر مُنادى مَحْدُوفٌ ، ولذلك باشرت الحَرْفُ .

والثاني : أن المِنَادَى مَحْدُوفٌ ، وهذا الخلاف جَارٍ فيها إذا باشرت حَرْفاً أو فِعْلاً .

والذين رجّحوا أن تكون (يا) للتنبية - وهم الأخفش ، وأبو الحسن بن عصفور ، وأبو حيّان ، والقرطبي ، وغيرهم - كما في قراءة الكسائيّ ، قراءة تخفيف اللام ((أَلَا يَسْجُدُوا)) ، من قوله ﷻ : ﴿ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ

^١ البيت من بحر الطويل . يُنظَر : ديوان ذي الرُّمَّة / ٢٩٠ ، ومجاز القرآن ٩٤/٢ ، ومعاني القرآن للأخفش ٦٤٩/٢ ، وأمالي الشجري ١٥١/٢ ، والمقاصد النحويّة ٦/٢ ، والتصريح ١٨٥/١ ، ومع الهوامع ١١١/١ ، ٤/٢ ، ٧٠ ، وشرح شواهد المغني ٦١٧/٢ ، وشرح الأشموني ٣٧/١ ، ٢٢٨ ، و الدرر اللوامع ٨١/١ ، ٢٣/٢ ، ٨٦ ، والمحرّر الوجيز ١٩٥/١١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨٧/١٣ ، والإنصاف ١٠٠/١ ، والبحر المحيط ٦٩/٧ ، ومغني اللبيب ٢٤٣/١ ، واللباب في علوم الكتاب ١٥ / ١٤٣ .

^٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٩ / ٢٥٥ .

^٣ التحرير والتنوير ١٩ / ٢٥٦ .

^٤ يُنظَر : معاني القرآن ، للأخفش ٦٤٩/٢ ، والبحر المحيط ٦٩/٧ ، واللباب في علل البناء والإعراب ١٥ / ١٤٢ ، وأضواء البيان ٣٠ / ١٠ .

وَمَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ، قالوا : لِقَلَّ يُوَدِّي إِلَى حَذْفِ كَثِيرٍ مِنْ غَيْرِ بَقَاءِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْمَحذُوفِ ، لَأَنَّكَ تَرَى أَنَّ جُمْلَةَ النَّدَاءِ حَذَفَتْ ، فَلَوْ أَدْعَيْتَ حَذْفَ الْمَنَادَى ، وَهَمَّ يَرُونَ أَنَّ الْمَنَادَى لَا يَجُوزُ حَذْفُهُ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ حَذَفَ الْفِعْلَ الْعَامِلَ فِي النَّدَاءِ ، وَانْحَذَفَ فَاعِلُهُ لِحَذْفِهِ ، وَلَوْ حَذَفْنَا الْمَنَادَى ، لَكَانَ فِي ذَلِكَ حَذْفَ جُمْلَةِ النَّدَاءِ ، وَحَذْفَ مَتَعَلِّقِهِ وَهُوَ الْمَنَادَى ، فَكَانَ ذَلِكَ إِخْلَالًا كَبِيرًا . وَإِذَا أَبْقَيْنَا الْمَنَادَى وَلَمْ نَحْذِفْهُ ، كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى الْعَامِلِ فِيهِ جُمْلَةَ النَّدَاءِ . وَلَيْسَ حَرْفُ النَّدَاءِ حَرْفُ جَوَابٍ ، كَنَعَم ، وَلَا ، وَبَلَى ، وَأَجَلَ ؛ فَيَجُوزُ حَذْفُ الْجُمْلَةِ بَعْدَهُنَّ لِدَلَالَةِ مَا سَبَقَ مِنَ السُّؤَالِ عَلَى الْجُمْلَةِ الْمَحذُوفَةِ . فَهَمَّ يَرُونَ أَنَّ ال (يا) فِي هَذِهِ التَّرَاكِيِبِ حَرْفُ تَنْبِيهِ أَكَّدَ بِهِ (أَلَا) الَّتِي لِلتَّنْبِيهِ ، وَجَوَّزُوا ذَلِكَ لِإِخْتِلَافِ الْحَرْفَيْنِ ، وَلِقَصْدِ الْمُبَالَغَةِ فِي التَّوْكِيدِ . وَرُدُّوا عَلَى مَنْ قَالَ : إِنَّ قَبْلَهَا حَرْفُ تَنْبِيهِ آخِرٌ ، وَهُوَ (أَلَا) بِأَنَّ ذَلِكَ الْجَمْعَ بَيْنَهُمَا تَأْكِيدًا ، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ قَدْ وَجَدَ التَّأْكِيدَ فِي اجْتِمَاعِ الْحَرْفَيْنِ الْمُخْتَلَفِي اللَّفْظِ الْعَامِلِينَ كَمَا فِي قَوْلِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَعْفَرَ النَّهْشَلِيِّ :

فَأَصْبَحَنَ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ مِمَّا بِهِ أَصْعَدَ فِي عُلُوِّ الْهَوَى أَمْ تَصَوَّبَا

وَأَيْضًا فَقَدْ جَمَعُوا بَيْنَ الْحَرْفَيْنِ الْعَامِلِينَ الْمُتَّحِدِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى كَقَوْلِ مُسْلِمِ بْنِ مَعْبُدِ الْوَالِبِيِّ :

فَالَا وَاللَّهِ لَا يُلْفَى لِمَا بِي وَلَا لِلْمَا بِهِمْ أَبَدًا دَوَاءً

وَأَنَّهُ جَازَ ذَلِكَ ، وَإِنْ عُذَّ ضَرُورَةٌ أَوْ قَلِيلًا ، فَاجْتِمَاعُ غَيْرِ الْعَامِلِينَ ، وَهَمَّا مُخْتَلَفَا اللَّفْظِ ، يَكُونُ جَائِزًا ، وَلَيْسَ (يا) فِي قَوْلِهِ :

^١ سورة النمل / ٢٥ .

^٢ يُنظَرُ : دِيوَانُهُ / ٢١ ، وَمَغْنِي اللَّيْبِ / ٣٥٤/٢ ، وَشَرْحُ الْأَشْمُونِيِّ / ٨٣/٣ ، وَأَوْضَحُ الْمَسَالِكِ / ٨٩/٢ ، وَالتَّصْرِيحُ / ١٢/١٣٠ ، وَلِسَانُ الْعَرَبِ (صَعْد) ، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ / ٥٢٧/٩ - ٥٢٩ ، وَهَمْعُ الْهَوَامِعِ / ٢٢/٢ ، ٧٨/٣٠ ، ١٥٨ ، وَالْبَحْرُ / ١٣٦/٢ ، وَالدُّرُّ الْمَصُونُ / ٥١٦/١ ، وَاللِّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ / ٢١٠/٣ .

^٣ يُنظَرُ : خَزَانَةُ الْأَدَبِ / ٣٠٨/٢ ، ٣١٢ ، ١٥٧/٥ ، ٥٢٨/٩ ، ٥٣٤ ، ١٩١/١٠ ، ٢٦٧/١١ ، ٢٨٧ ، ٣٣٠ ، وَالدَّرَرُ الْهَوَامِعِ / ١٤٧/٥ ، ٥٣/٦ ، ٢٥٦ ، وَشَرْحُ شَوَاهِدِ الْمَغْنِيِّ / ٧٧٣ ، وَالصَّاحِبِيُّ فِي فِقْهِ اللُّغَةِ / ٥٦ ، وَالْإِنْصَافُ / ٥٧١ ، وَالْجَنِيُّ الدَّانِي / ٨٠ ، ٣٤٥ ، وَالْخِصَائِصُ / ٢٨٢/٢ ، وَسُرُّ صِنَاعَةِ الْإِعْرَابِ / ٢٨٢ ، ٣٣٢ ، وَوَصْفُ الْمَبَانِي / ٢٠٢ ، ٢٤٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، وَشَرْحُ التَّصْرِيحِ / ١٣٠/٢ ، ٢٣٠ ، وَالْمُحْتَسِبُ / ٢٥٦/٢ ، وَالْمَقَاصِدُ النَّحْوِيَّةُ / ١٠٢/٤ ، وَالْمَقْرَبُ / ٣٣٨/١ ، وَاللِّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ / ٤٥٩/٥ ، وَهَمْعُ الْهَوَامِعِ / ١٢٥/٢ ، ١٥٨ ، وَالدُّرُّ الْمَصُونُ / ١٨٣/٢ ، وَأَوْضَحُ الْمَسَالِكِ / ٣٤٣/٣ ، وَمَغْنِي اللَّيْبِ / ١٨١ .

يَا لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْأَقْـمُ وَالصَّالِحِينَ عَلَى سَمْعَانَ مِنْ جَارِ
حرف نداء عندهم ، بل هي حرف تنبيه جاء بعده المبتدأ ، وليس مما حذف منه المنادى
عندهم لما سبق .

وقد كثر مباشرة ال (يا) لفعل الأمر ، وقبلها (أَلَا) التي للاستفتاح ، كقول حميد بن
ثور الهلالي :

أَلَا يَا اسْلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي ثَلَاثَ تَحِيَّاتٍ وَإِنْ لَمْ تَكَلِّمْ
وقول ذي الرمة :

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا دَارَ مَيِّ عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجَزَعَائِكَ الْقَطْرُ
وقول جرير بن عطية بن الحطفي :

^١ البيت من بحر البسيط ، ولم أعرف قائله . يُنظَر : يُنظَر الكتاب ٢ / ٢٢٠ ، وشرح المفصل ٢ / ٢٤ ، والنصريح ١ / ٣٨ ،
وأخبار أبي القاسم الزجاجي / ٤٢ ، والجليس الصالح والأنيس الناصح ١ / ١٨٢ ، والكامل في اللغة والأدب
٣ / ١٩٨ ، إعراب القرآن ، للنحاس ٣ / ٢٠٧ ، والأصول في النحو ١ / ٣٥٤ ، والإنصاف في مسائل الخلاف
١ / ١١٨ ، والمفصل في صنعة الإعراب / ٧٢ ، وشرح شذور الذهب ١ / ١٤٧ ، واللامات / ٣٧ .

^٢ يُنظَر : اللباب في علوم الكتاب ١٥ / ١٤٣ ، وأضواء البيان ٣٠ / ١٠ .
^٣ البيت من بحر الطويل . يُنظَر : ملحق ديوان حميد بن ثور / ١١٣ ، وشرح المفصل ٣ / ٣٩ ، واللباب في علوم الكتاب
١٥ / ١٤٣ .

^٤ البيت من بحر الطويل . يُنظَر : ديوان ذي الرمة / ٢٩٠ ، ومجاز القرآن ٢ / ٩٤ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٤٩ ،
وأمالى الشجري ٢ / ١٥١ ، والمقاصد النحوية ٢ / ٦ ، والنصريح ١ / ١٨٥ ، وجمع الهوامع ١ / ١١١ ، ٤ / ٢ ، ٧٠ ،
وشرح شواهد المغني ٢ / ٦١٧ ، وشرح الأشموني ١ / ٣٧ ، ٢٢٨ ، و الدرر اللوامع ١ / ٨١ ، ٢٣ / ٢ ، ٨٦ ، والمحزّر
الوجيز ١١ / ١٩٥ ، والجامع لأحكام القرآن ١٣ / ١٨٧ ، والإنصاف ١ / ١٠٠ ، والبحر المحيط ٧ / ٦٩ ، ومغني اللبيب
١ / ٢٤٣ ، و اللباب في علوم الكتاب ١٥ / ١٤٣ .

^٥ ونسبه أبو الفرج الأصفهاني ، و المعاني بن زكريا إلى بشر في قصيدة مدح بها جارية قال في مطلعها :

وَذَاتِ دَلٍّ كَأَنَّ الْبَدْرَ صُورَتْهَا بَاتَتْ تُعْتِي عَمِيدَ الْقَلْبِ سَكَرَانَا
إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ قَتَلْنَا نَمَّ لَمْ يُحْيَيْنِ قَتْلَانَا

ويروى أيضاً لابن الرومي ، من قصيدة مطلعها : قل يا أبا حسن لا زلت في مني يا ماليء القلب والأذنين إحسانا
يُنظَر : ديوان بشر بن برد / ١٠٥٧ ، وديوان ابن الرومي / ٤٨٦٦ ، والأغاني ٣ / ١٥٩ ، والجليس الصالح
والأنيس الناصح ١ / ٨٩ ، و مصارع العشاق / ١٩٠ .

يا حَبَّذا جَبَلُ الرَّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ وَحَبَّذا سَاكِنُ الرَّيَّانِ مَنْ كَانَ
على القول بفعليّة " حَبَّذا " ولا يُفعل ذلك إلا ب (يا) خاصّة ، دون سائر حُرُوف
النِّداء ، لأنّها أمُّ البَابِ ، وقد كثرت مُباشرتها ل (لَيْتَ) دون سائر الحُرُوف .

وقد جاء ذلك وإن لم يكن قبلها (أَلَا) ، كقول العجّاج :^٢

يا دَارَ هِنْدٍ يا اسْلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي بِسَمْسَمٍ أَوْ عَن يَمِينِ سَمْسَمٍ
فعلم أنّ قراءة الكسائي قويّة ، لكثرة دَوْرِها في لغتهم ، وقد سمع ذلك في التثّرة، سَمِعَ
بَعْضُهُمْ يقول : (أَلَا يا ارْحَمُونِي ، أَلَا يا تصدَّقُوا علينا) ، وأمّا قوله :^٤
يا لَعْنَةُ اللهِ وَالْأَقْوامِ كُلِّهِمْ وَالصَّالِحِينَ عَلَي سَمْعَانَ مِنْ جَارِ

^١ البيت من بحر البسيط ، من قصيدة طويلة يقول في مطلعها :

بَانَ الحَلِيطُ، وَلَوْ طُوِّعْتُ ما بَانَ وَقَطَعُوا مِنْ جِبَالِ الوَصْلِ أَقْرانًا

يُنظَرُ : ديوان جرير / ٦٦٢ ، والحلل في شرح أبيات الجمل / ٢٣ ، والحماسة البصرية / ١٤٣ ، والزهرة / ٨٦ ،
والصبح المنبي عن حيثية المتنبي / ١١١ ، وحماسة الظرفاء / ١٤ ، وخزانة الأدب / ١١ / ٢٠٩ ، وصبح الأعشى في
صناعة الإنشاء ، القلقشندي ، أحمد بن علي القلقشندي ، دار الفكر ، دمشق ط ١ ، ١٩٨٧ م / ١٢ / ٣٨٤ ، وقرى
الضيف ، ابن أبي الدنيا ، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس ، أضواء السلف ، الرياض ط ١ ، ١٩٩٧ م
/ ٢٢٧ ، وقطب السرور في أوصاف الخمر ، الرقيق القيرواني / ٣٥ ، وبتيمة الدهر في تفسير سورة العصر ، أحمد بن
محمد الشرقاوي / ٥٦ .

^٢ وقيل لرؤبة .

^٣ البيت من الرجز . ويُروى : (يا دار سلمى) . يُنظَرُ : مجاز القرآن / ٢ / ٩٤ ، والخصائص / ٢ / ١٦٩ ، والإنصاف / ٢ / ١٠٢ ،
، وشرح المفصل / ١٠ / ١٣ ، ولسان العرب (سمس) ، و شرح شواهد الشافية / ٤ / ٤٢٨ ، واللباب في علوم الكتاب
/ ١٥ / ١٤٤ .

^٤ يُنظَرُ : معاني القرآن / ٢ / ٢٩٠ ، والبحر المحيط / ٧ / ٦٩ .

^٥ البيت من بحر البسيط ، ولم أعرف قائله . يُنظَرُ : يُنظَرُ الكتاب / ٢ / ٢٢٠ ، وشرح المفصل / ٢ / ٢٤ ، والتصريح / ١ / ٣٨ ،
وأخبار أبي القاسم الزجاجي / ٤٢ ، والجليس الصالح والأنيس الناصح / ١ / ١٨٢ ، والكامل في اللغة و الأدب و ٣
/ ١٩٨ ، إعراب القرآن ، للنحاس / ٣ / ٢٠٧ ، والأصول في النحو / ١ / ٣٥٤ ، والإنصاف في مسائل الخلاف
/ ١ / ١١٨ ، و المفصل في صناعة الإعراب / ٧٢ ، وشرح شذور الذهب / ١ / ١٤٧ ، واللامات / ٣٧ .

فمن خلال كلِّ الشواهد السابقة يحتمل أن تكون (يا) للنداء ، والمنادى محذوف، أو أن تكون للتنبيه ، فالذين قالوا أنَّها للتنبيه ذكرنا حججهم سابقاً .^١

وأما الآخرون (وهم سيويوه والجمهور) الذين قالوا بأنَّ الـ (يا) للنداء ، والمنادى محذوف، وأنَّه لا يجوز أن يكرَّر التنبيه ، وأنَّه معلوم أنَّ حذف المنادى مع إثبات أداة النداء، ودلالة القرينة على المنادى المحذوف مسموع في كلام العرب ، وقالوا في قراءة التخفيف المنسوبة إلى الكسائي ((أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ)) أنَّ (أَلَا) حرف تنبيه واستفتاح ، وأن تكون الـ (يا) حرف نداء فيوقف عليها بالألف على تقدير يا قوم ، ثمَّ يبتدئ (اسجدوا) وهو فعل أمر ، وكان حق الخط على هذه القراءة أن يكون هكذا (أَلَا يَا اسْجُدُوا) ولكن الصحابة رضي الله عنهم أسقطوا الألف من (يا) ، و همزة الوصل من (اسجدوا) خطأً ووصلوا الياء بسين اسجدوا فصارت صورة الخط ((أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ)) ، ووجه بعض أهل العلم إسقاطهما في الخطِّ ، بأنَّهما لما سقطتا في اللفظ ، سقطتا في الكتابة ، قالوا: ومثل ذلك في القرآن كثير . وأنَّ المنادى محذوف ، وتقديره : أَلَا يَا هؤُلاءِ اسجدوا، وأنَّ حذف المنادى مع ذكر أداة النداء أسلوب عربي معروف ، ثمَّ ذكروا هذه الأمثلة السابقة ، وقول عنتره في معلقته^٢:

يَا شَاةَ مَا قَنَصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ حُرْمَتٌ عَلَيَّ وَلَيْتَهُمَا لَمْ تَحْرُمِ

يعني : يا قوم انظروا شاة قنص . وقول ذي الرمة السابق :

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا دَارَ مَيِّ عَلَيَّ الْبَلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجِرْعَائِكَ الْقَطْرُ

^١ يُنظَر : اللباب في علوم الكتاب ١٥ / ١٤٢ - ١٤٥ .

^٢ يُنظَر : الكتاب ٢ / ٢٢٠ ، وشرح المفصل ٢ / ٢٤ ، والتصريح ١ / ٣٨ ، وأخبار أبي القاسم الزجاجي / ٤٢ ، والجليس الصالح والأنيس الناصح ١ / ١٨٢ ، والكامل في اللغة والأدب ٣ / ١٩٨ ، وشرح شذور الذهب ١ / ١٤٧ ، والتسهيل لعلوم التنزيل / ١٣٢٠ ، واللامات / ٣٦ ، وفتح القدير ٤ / ١٥٤ ، وأضواء البيان ١٩ / ١٨٧ ، ٨ / ٣٠ .

^٣ يُنظَر : خزانة الأدب ٦ / ١٢٣ ، ١٢٥ ، وتاج العروس (شبهه) ٣٦ / ٤٢٣ ، (شوي) ٣٨ / ٤٠١ ، وتهذيب اللغة (وشى) ٤ / ١٣١ ، و لسان العرب (شوه) ١٣ / ٥٠٨ ، وشرح الكافية، للرُّضِي ٣ / ٥٥ ، والحماسة البصرية / ١٠ ، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه ١ / ١٠٣ ، و جمهرة أشعار العرب / ٥٠ ، وحياة الحيوان الكبرى ١ / ٣٧٤ .

^٤ البيت من بحر الطويل . يُنظَر : ديوان ذي الرِّمَّة / ٢٩٠ ، ومجاز القرآن ٢ / ٩٤ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢ / ٦٤٩ ، وأمالي الشجري ٢ / ١٥١ ، والمقاصد النحويَّة ٢ / ٦ ، والتصريح ١ / ١٨٥ ، وجمع الهوامع ١ / ١١١ ، ٤ / ٢ ، ٧٠ ،

يعني : يا هذه اسلمي ، وذكروا أيضاً من القرآن ، منها : أن أداة النداء في قوله : (يا ويلتنا) ينادى بها محذوف ، وأن ما بعدها مفعول فعل محذوف ، والتقدير كما ذكره : يا من بحضرتنا انظروا هلكتنا ، وقال ابن مالك : إن وليها دعاء كهذا البيت أو أمر نحو (ألا يا اسجدوا) فهي للنداء لكثرة وقوع النداء قبلهما نحو (يا آدم اسكن) (يا نوح اهبط) ونحو (يا مالك ليقض علينا ربك) وإلا فهي للتببيه .^١

واعلم أن الوقف عند الكسائي على (يَهْتَدُونَ) تام ، وله أن يقف على (أَلَا يَا) معاً ، ويتدئ (أَسْجُدُوا) بهمزة مضمومة . وله أن يقف على (أَلَا) وحدها ، وعلى (يَا) وحدها ، لأنهما حرفان منفصلان وهذا الوقفان وقفا اختبار لا اختيار ؛ لأنهما حرفان لا يتم معانها إلا بما يتصلان به ، وإنما فعله القراء امتحاناً وبياناً . فهذا توجيه قراءة الكسائي ، والخطب فيها سهل .^٤

٢ . حذف النون :

أ . حذف نون الوقاية

وشرح شواهد المغني ٦١٧/٢ ، وشرح الأشموني ٣٧/١ ، ٢٢٨ ، و الدرر اللوامع ٨١/١ ، ٢٣/٢ ، ٨٦ ، والمحزر الوجيز ١٩٥/١١ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨٧/١٣ ، والإنصاف ١٠٠/١ ، والبحر المحيط ٦٩/٧ ، ومغني اللبيب ٢٤٣/١ ، واللباب في علوم الكتاب ١٥ / ١٤٣ .

^١ يُنظَر : شرح شذور الذهب ١ / ١٤٧ ، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، ابن مالك : محمد بن عبدالله ، (ت ٦٧٢ هـ) ، تحقيق : محمد كامل بركات ، القاهرة ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٨ م / ١٧٩ ، وشواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك / ٤ - ٦ ، ومغني اللبيب / ٤٨٩ ، وأضواء البيان ١٩ / ١٨٧ .

^٢ يُنظَر : الهدى في بيان الوقف والابتداء / ٢٨٤ ، واللباب في علوم الكتاب ١٥ / ١٤٤ .

^٣ يُنظَر : الكشاف ٣ / ١٤٠ ، واللباب في علوم الكتاب ١٥ / ١٤٤ .

^٤ يُنظَر : اللباب في علوم الكتاب ١٥ / ١٤٥ ، وإبراز المعاني / ٤٢٣ - ٤٢٤ .

من القراءات القرآنية التي ذكرها ابن عاشور وكان وجه الاختلاف فيها من قبيل الظواهر النحوية حذف نون الوقاية جاء ذلك في :

١. قوله ﷻ : ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا

تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ

﴿ ٨٠ ﴾ فقد ذكر ابن عاشور في ((أُمَّحْجُونِي)) قراءات ، وهي :

القراءة الأولى : قراءة حذف النون ((أُمَّحْجُونِي)) ونسبها إلى نافع ، وابن عامر ، وأبي جعفر ، وهي قراءة أيضاً لابن ذكوان ، وهشام من طريق عبدان عن الحلواني والدواجني ، وأن أصله ((أُمَّحْجُونِي)) بنونين ؛ الأولى نون الإعراب (علامة الرفع)، والثانية (نون الوقاية) ، وفي مثل هذه الحالة ثلاث لغات : الفكُّ وتركهها على حالهما ، والإدغام، والحذف ، وهذه القراءة هي على لغة الحذف ، فحذفت إحدى النونين للتخفيف ، وذكر أن المحذوفة هي الثانية التي هي نون الوقاية على اختيار أبي علي الفارسي ؛ لأنَّ الأولى نون الإعراب ، وأما الثانية فهي موطئة لياء المتكلم فيجوز حذفها تخفيفاً ، كما قالوا : (لَيْتِي) في (لَيْتَنِي) . وأنَّ سيويوه يرى أنَّ المحذوفة هي الأولى (نون الإعراب) ؛ لأنَّ الثانية جُلبت لتحمّل الكسرة المناسبة للياء ونون الرفع لا تكون مكسورة ، وأيضاً ما كان فهذا الحذف مستعمل لقصد التخفيف .

١ سورة الأنعام / ٨٠ .

٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ٧ / ٣٢٧ ، والكتاب ٢ / ١٥٤ ، والسبعة في القراءات ٢٦١ / ، والكشف عن وجوه القراءات ٤٣٦ / ١ ، وشرح اللمع ٣٨١ / ، وغرائب القرآن ٧ / ١٣٧ ، وإعراب القرآن ، للنحاس ١ / ٥٦٠ ، والتبصرة والتذكرة ، لأبي محمد عبدالله بن علي بن إسحاق الصيمري ، من نحاة القرن الرابع الهجري ، تحقيق: فتحي أحمد مصطفى علي الدين ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ٤٢٨ / ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١ / ١٦٢ ، ورتب المباني ٣٦٣ / ، والحجة في القراءات السبع ١٤٣ / ، وحجّة القراءات ٢٥ / ، وحاشية الجمل ٢ / ٥٤ ، والتبيان في إعراب القرآن ١ / ٥١٣ ، والمبسوط ١٩٧ / ، والتبيان في تفسير القرآن ٤ / ١٨٧ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢١٢ / ، والمحرّر الوجيز ٥ / ٢٦٤ ، وشرح الشاطبية ١٩٤ / ، ومجمّع البيان ٧ / ١١٤ ، ومفاتيح الغيب ١٣ / ٥٩ ، والنشر ٢ / ٢٥٠ ، والكشف عن وجوه القراءات ١ / ٤٣٦ ، والبحر المحيط ٤ / ١٦٩ ، وروح المعاني ٧ / ٢٠٤ ، وزاد المسير ٣ / ٧٦ ، والدُرُّ المصون ١٦ / ٥ ، وشرح التسهيل ١ / ٣١ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٢ / ٤٦٨ .

٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ٧ / ٣٢٧ .

وذكر أنه جاء عن أبي عمرو بن العلاء : أنه لَحَنَ هذه القراءة ، ثم عَلَّقَ عليه : بأنه إن صحَّ ذلك عن أبي عمرو فهو مخطئ في زعمه ، وإلاَّ فَإِنَّ الخطأ عند مَنْ عزاه إليه .

واختلف النُّحاة في أيَّتَهما المحذوفة : فمذهب سيبويه ومَنْ تبعه أنَّ النون المحذوفة هي الأولى (نونُ الرفع) ، ومذهب الأخفش ومَنْ تبعه أنَّ النون المحذوفة هي الثانية (نون الوقاية) .

وسنبداً باستدلال سيبويه ومن تبعه على أنَّ المحذوفة هي نون الرفع : حيث قالوا بأنَّ نونَ الرفع قد عُهِدَ حَذْفُها دون ملاقاته مِثْلِ رَفْعاً ، ومنها : ما أنشد أبو

طالب :

فإنَّ يَكُ فَوْمٌ سَرَّهُمْ مَا صَنَعْتُمْ سَتَحْتَلِبُونَهَا لَأَقِحاً غَيْرَ بَاهِلٍ
أي : فستحتلبونها ، لا يقال : إنَّ النون حُذِفَتْ جزماً في جواب الشرط ؛ لأنَّ الفاء هنا واجبة الدخول لعدم صلاحية الجملة الجزائية شرطاً ، وإذا تقرَّر وجوبُ الفاء ، وإتْمَا حُذِفَتْ ضرورةً ثبت أنَّ نون الرفع كان مِنْ حقها الثبوت إلاَّ أنَّها حُذِفَتْ ضرورةً ، وأنشدوا أيضاً قوله :
أَيِّتُ أَسْرِي ، وَتَيِّتِي تَدْلُكِي وَجَهَّكَ بِالْعَنْبِرِ وَالْمِسْكِ الدُّكِّي
أي : تبيتين وتدلُكين ، وفي الحديث : ((والذي نفسي بيده لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حتى تَؤْمِنُوا ولا تَؤْمِنُوا حتى تَحَابُّوا)) ، ف (لا) الداخلة على (تدخلوا) و (تَؤْمِنُوا) نافية لا ناهية ،

١ يُنظَر : التحرير والتنوير ٧ / ٣٢٨ ، والجامع لأحكام القرآن ٧ / ٢٩ ، وإعراب النخاس ١ / ٥٦٠ .

٢ يُنظَر : الكتاب ٢ / ١٥٤ .

٣ البيت من بحر الطويل . الباهل : المطلقة بلا راع . يُنظَر : ديوان أبي طالب / ٦٤ ، وشرح الكافية الشافية ١ / ٢١١ ، والسيرة النبوية ، عبد الملك بن هشام بن أيُّوب الحميري المعافري ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجليل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١ هـ / ٢٧٨ ، والبحر المحيط ٢ / ٤٩٢ ، وشواهد التوضيح ١٧٣ ، واللباب في علوم الكتاب ٥ / ٣١٥ ، وإعراب القرآن ، لابن سيده ٣ / ٧٧ ، والدُّرُّ المصون ٣ / ٢٤٨ ، ١٦ / ٥ .

٤ يُنظَر : الدُّرُّ المصون ٥ / ١٦ ، واللباب في علوم الكتاب ٥ / ٣١٥ .

٥ البيت من الرجز ، ولم أعرف قائله . يُنظَر : الخصائص ١ / ٣٨٨ ، والمحاسب ٢ / ٢٢ ، ولسان العرب (لذلك) ، ورسف المباني ٣٦١ ، وجمع الهوامع ١ / ٥١ ، والتوضيح والتصحيح ١٧٣ ، وارتشاف الضرب ٢٤١٣ ، وشرح التصريح ١ / ١١١ ، وشرح الجمل ٢ / ٥٩٤ ، وضرائر الشعر ١١٠ ، والدرر اللوامع ١ / ٢٧ ، وخزانة الأدب ٨ / ٣٣٩ ، والدُّرُّ المصون ٣ / ٢٤٨ ، ١٧ / ٥ ، تقدَّم برقم ١٣٢٩ ، واللباب في علوم الكتاب ٥ / ٣١٥ .

لفساد المعنى عليه ، وإذا ثبت حذفها دون ملاقةٍ مثلٍ رفعاً ، فلا ينٌ تحذف مع ملاقةٍ مثلٍ
استثقالاً بطريق الأولى والأخرى ، وأيضاً فإنَّ النون نائبة عن الضمة ، والضمة قد عهد حذفها
في فصيح الكلام كقراءة أبي عمرو : ((يَا مُرْكُم)) من قوله ﷺ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَنْتَخِذْنَا هُزُوعًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾
﴿ و ((يَنْصُرُكُمْ)) من قوله ﷺ : ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ
فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ١٦٠ ، و ((يُشْعِرُكُمْ
)) من قوله ﷺ : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا
الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ١٦٩ ، وبابه بإسكان آخر
الفاعل ، وقول امرئ القيس :

فاليوم أشرب غير مُسْتَحَقِّبٍ إِثْمًا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِثٍ
وإذا ثبت حذف الأصل فليثبت حذف الفرع لئلا يلزم تفضيل فرع على أصله ، وأيضاً فإنَّ ادعاء
حذف نون الرفع لا يُجوز إلى حذف آخر ، وحذف نون الوقاية قد يجوز إلى ذلك ، وبيانه أنه
إذا دخل جازم أو ناصب على أحد هذه الأمثلة فلو كان المحذوف نون الوقاية لكان ينبغي أن
تُحذف هذه النون ؛ لأنها نون رفع وهي تسقط للناصب والجازم ، بخلاف ادعاء حذف نون الرفع
، فإنه لا يجوز إلى ذلك لأنه لا عمل له في التي للوقاية ولقائل أن يقول : لا يلزم من جواز

١ رواه أبو داود : الأدب ٥/٣٧٨ ، وابن ماجه : المقدمة ١/٢٦ ، وابن حنبل ١/١٦٥ .

٢ يُنظَر : سورة البقرة / ٦٧ ، ٩٣ ، ١٦٩ ، وسورة النساء / ٥٨ .

٣ الثانية : ((فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ)) .

٤ يُنظَر : سورة آل عمران / ١٦٠ ، وسورة الملك / ٢٠ .

٥ يُنظَر : سورة الأنعام / ١٠٩ .

٦ يُنظَر : ديوانه / ١٢٢ ، برواية : (فالיום أُسْقَى) ، والكتاب ٢/٢٩٧ ، و النوادر في اللغة / ٣١٣ ، والخصائص ١/٧٤

، والمحتمسب ١/١٥١ ، وشرح المفصل ١/٤٨ ، وشذور الذهب / ٢١٢ ، وجمع الهوامع / ١/٥٤ ، والدرر اللوامع

، والدُّرُّ المصون ١/٣٦٢ .

حَذَفَ الْأَصْلَ حَذْفُ الْفَرْعِ؛ لِأَنَّ فِي الْأَصْلِ قُوَّةً تَقْتَضِي جَوَازَ حَذْفِهِ بِخِلَافِ الْفَرْعِ ، وَعَلَى الْآخِرِ لَهُ أَنْ يَقُولَ : هَذَا مُعَارِضٌ بِالْغَاءِ الْعَامِلِ : وَذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْمَحذُوفُ (نُونُ الرَّفْعِ) لِأَجْلِ (نُونِ الْوَقَايَةِ) وَدَخَلَ الْجَازِمُ وَالنَّاصِبُ لَمْ يَجِدْ لَهُ شَيْئاً يَحْذِفُهُ ؛ لِأَنَّ النَّونَ حُذِفَتْ لِعَارِضٍ آخَرَ . وَاسْتَدَلُّوا لِسَبَبِيئِهِ أَيْضاً بِأَنَّ نُونَ الْوَقَايَةِ مَكْسُورَةٌ ، فَبَقَاؤُهَا عَلَى حَالِهَا لَا يَلْزِمُ مِنْهُ تَغْيِيرٌ بِخِلَافِ مَا لَوْ ادَّعَيْنَا حَذْفَهَا فَإِنَّهُ يَلْزِمُنَا تَغْيِيرُ نُونِ الرَّفْعِ مِنْ فَتْحٍ إِلَى كَسْرٍ ، وَتَقْلِيلُ الْعَمَلِ أَوَّلَى ، وَاسْتَدَلُّوا أَيْضاً بِأَنَّهَا قَدْ حُذِفَتْ مَعَ مِثْلِهَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نُونٌ وَقَايَةً كَقَوْلِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ بْنِ عُتْبَةَ اللَّهْمِيِّ:

كُلُّ لَهُ نِيَّةٌ فِي بُغْضِ صَاحِبِهِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ نَقْلُكُمْ وَتَقْلُونَا

أَي : وَتَقْلُونَا ، فَالْمَحذُوفُ نُونُ الرَّفْعِ لَا نُونُ (نَا) لِأَنَّهَا بَعْضُ ضَمِيرٍ ، وَعُورِضَ هَذَا بِأَنَّ نُونَ الرَّفْعِ أَيْضاً لَهَا قُوَّةٌ لِدَلَالَتِهَا عَلَى الْإِعْرَابِ ، فَحَذْفُهَا أَيْضاً لَا يَجُوزُ ، وَجَعَلَ سَبَبِيئِهِ الْمَحذُوفَةَ مِنْ قَوْلِ عَمْرٍو بْنِ مَعَدٍ يَكْرِبُ :

تَرَاهُ كَالْتَّعَامِ يُعَلُّ مِسْكَاً يَسُوءُ الْفَالِيَّاتِ إِذَا فَلَئِنِي

^١ يُنْظَرُ : الدُّرُّ الْمَصُونُ ١٧/٥ .

^٢ يُنْظَرُ : التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ٣ / ١٣٢ ، ٣٤/٤ ، ١٩٤/٩ ، ٣٤٨/١٦ ، ٦٢/٢٩ ، وَرُوحُ الْمَعَانِي ٢٠٤/٧ ، وَالتَّبْيَانُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ ٥١٣/١ ، وَشَرْحُ دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ ١ / ٦٧ ، ٧٥ ، وَشَوَاهِدُ شَرْحِ الْإِبْضَاحِ ، وَالْقُرْطُ عَلَى الْكَامِلِ ١٩٧/١ ، وَالدُّرُّ الْمَصُونُ ٥ / ١٨ ، وَجَوَاهِرُ الْأَدَبِ ١ / ٤٣٣ ، وَالْإِمْلَاءُ وَالتَّرْقِيمُ فِي الْكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، عَبْدِ الْعَلِيمِ إِبْرَاهِيمَ ، مَكْتَبَةُ غَرِيبِ ، الْفَجَالَةَ ، الْقَاهِرَةَ ، ط

^٣ الْبَيْتُ مِنْ بَحْرِ الْوَافِرِ . يُنْظَرُ : الْكِتَابُ ١٥٤/٢ ، وَالْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ ٢٩/٧ ، وَشَرْحُ الْكَافِيَةِ ، لِلرَّضِيِّ ٢ / ٤٥١ ، وَشَرْحُ الْمَفْصَلِ ٣ / ١٩ ، وَهَمْعُ الْهُوَامِعِ ١ / ٩٥ ، وَالْمَحْرَّرُ الْوَجِيزُ ٢ / ٦٢٤ ، ٣ / ٣٦٢ ، وَالْبَحْرُ الْمَحِيطُ ١ / ٥٨٥ ، ٤ / ٥٠٦ ، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْأَخْفَشِ ١ / ٢٠٠ ، وَإِعْرَابُ الْقُرْآنِ ، لِلنَّحَّاسِ ٢ / ٧٨ ، ٣٨٣ ، ٤ / ٢١ ، وَحِجَّةُ الْقُرَاءَاتِ ١ / ٢٥٨ ، ٣٨٣ ، وَمَجَازُ الْقُرْآنِ ١ / ٦١ ، وَالدَّرُّ الْوَامِعِ ١ / ٤٣ ، وَاتِّفَاقُ الْمَبَانِي وَافْتِرَاقُ الْمَعَانِي ٢ / ٢٠٢ ، وَالْحَوْرُ الْعَيْنِ ٢٦ / ٣٨٣ ، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ ٥ / ٣٦١ - ٣٦٢ ، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (فُلِي) ٣٩ / ٢٥٣ ، وَتَهْذِيبُ اللُّغَةِ ٥ / ١٨٥ ، وَتَوْضِيحُ الْمَقَاصِدِ وَالْمَسَالِكِ بِشَرْحِ أَلْفِيَةِ ابْنِ مَالِكٍ ، أَبُو مُحَمَّدٍ بَدْرُ الدِّينِ حَسَنُ بْنُ قَاسِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيِّ الْمُرَادِيِّ الْمِصْرِيِّ الْمَالِكِيِّ (٧٤٩هـ) ، شَرْحٌ وَتَحْقِيقٌ : عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلِيِّ سَلِيمَانَ ، دَارُ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ ط ١ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨ م ٣٧٩/١ ، وَجَمْهَرَةُ اللُّغَةِ ١ / ٢٢٥ ، وَلِسَانُ الْعَرَبِ (فَلَا) ١٥ / ١٦١ ، وَالدُّرُّ الْمَصُونُ ٢ / ١٤٥ ، ٥ / ١٨ ، وَاللِّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ ٩ / ٥٢٩ ، ٥٥٠/٩ .

يريد : فليُنْبَرِ ، نونَ الفاعل لا نونَ الوقاية ، واستدلَّ الأَخفش بأنَّ الثقلَ إنما حصل
بالثانية ، ولأنَّه قد اسْتُعْني عنها ، فإنَّه إنما أُتِيَ بها لتقيي الفعل من الكسر ، وهو مأمونٌ لوقوع
الكسر على نون الرفع ، ولأنَّها لا تدلُّ على معنى بخلاف نون الرفع ، وأيضاً فإنَّها تُحذفُ في نحو
: ليتني فيقال : ليتي ، كقول زيد الخير :

كَمُنِيَّةٍ جَابِرٍ إِذْ قَالَ لِيَتِي أَصَادِفُهُ وَأُتْلِفُ بَعْضَ مَالِي

واعلم أنَّ حذف النون في هذا النحو جائز فصيح ، ولا يُلتفت إلى قول مَنْ مَنَعَ ذلك
إلا في ضرورةٍ أو قليلٍ من الكلام ، ولهذا عَيَّبَ على مكي ابن أبي طالب حين قال : إنَّ الحذفَ
في العريَّةِ بعيدٌ ، وأنَّه قبيحٌ مكروه ، وأنَّه لا يجوز إلا في الشعر للوزن ، وأنَّ القرآن لا يُحتمل
ذلك فيه ؛ إذ لا ضرورة تدعو إليه .

وجاء عنه أيضاً : أنَّ من خَفَّفَ النونَ فإنَّما حذف الثانية التي دخلت مع الياء التي هي
ضمير المتكلم ؛ لاجتماع المثليين ، مع كثرة الاستعمال ، وأنَّه ترك نون الرفع ، وأنَّ في ذلك قبحاً ؛
لأنَّها قد كسرت لمجاورتها الياء ، وأنَّ حَقَّها الفتح ، فوقع في الكلمة حذف وتغيير . وتجاسر
بعضهم فقال : ((هذه القراءة - أعني تخفيف النون - لحنٌ)) وهذان القولان مردودان عليهما
لتواتر ذلك ، وقد قَدِّمْتُ الدليل على صحته لغةً ، وأيضاً فإنَّ الثقات نقلوا أنَّها لغةٌ ثابتةٌ للعرب
وهم غطفان فلا معنى لإنكارها .

^١ يُنظر : الكتاب ٣٨٦/١ ، ونوادير أبي زيد ٦٨/١ ، والمقتضب ٢٥٠/١ ، وشرح المفصل ٩٠/٣ ، ورتب المبانى ٣٠٠/١ ،
والمقرب ١٠٨/١ ، ولسان العرب (ليت) ، وهمع الهوامع ٦٤/١ ، و الدرر اللوامع ٤١/١ ، والدُّرُّ المصون ١٨/٥ .

^٢ يُنظر : والدُّرُّ المصون ١٨/٥ .

^٣ يُنظر : مشكل إعراب القرآن ٢٧٤/١ ، والكشف عن وجوه القراءات ٤٣٧/١ ، والدُّرُّ المصون ١٨/٥ ، وفتح القدير
١٣٤/٢ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٤٦٩/٢ .

^٤ يُنظر : مشكل إعراب القرآن ٢٧٣/١ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٤٦٩/٢ .

^٥ يُنظر : الدر المصون ١٩/٥ ، وشرح الكافية الشافية ٢١١/١ .

القراءة الثانية : بتشديد النون ((أَتْحَاجُونِي)) ونسبها إلى بقية القراء ، ولم يسمهم كعادته ، وهم ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ، ويعقوب ، وهشام بخلاف عنه ، وأصله : (أَتْحَاجُونِي) ، وذكر أن التشديد هنا تمَّ بإدغام نون الرفع في نون الوقاية لقصد التخفيف أيضاً ، ولذلك تمدّ الواو لتكون المدة فاصلة بين التقاء الساكنين ، لأنّ المدة خفة ، وأنّ هذا الالتقاء هو الذي يدعونه التقاء الساكنين على حدّه .^٢

وهناك قراءة ثالثة : لم يذكرها ابن عاشور ، بإظهار النونين ((أَتْحَاجُونِي)) قرأ بها عمرو بن خالد والضحاك عن عاصم ، وهي رواية ابن أبي حمّاد عن أبي بكر .^٣

٢. قوله ﷺ : ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ بُشِّرُونَ ﴾ ، فقد

ذكر ابن عاشور في ((تَبَشِّرُونَ)) قراءات ، وهي :

القراءة الأولى: قراءة كسر النون مخففة دون إشباع على حذف نون الرفع وحذف ياء المتكلم ((تَبَشِّرُونَ)) ونسبها إلى نافع، وهي قراءة لشبيهه، ووصف هذا بأنه تخفيف فصيح .
وتخريج هذه القراءة أنه عُدِّي الفعل فصار: ((تَبَشِّرُونَ)) فهنا نونان؛ النون الأولى نون الرفع ، والثانية نون الوقاية ، وقد اختلف النحاة في أيّ النونين محذوفة، هل هي نون الرفع -

١ يُنظَر : التحرير والتنوير ٣٢٧/٧ ، والكتاب ١٥٤/٢ ، والسبعة في القراءات ٢٦١/ ، والكشف عن وجوه القراءات ٤٣٦/١ ، وشرح اللمع ٣٨١/ ، وغرائب القرآن ١٣٧/٧ ، وإعراب القرآن ، للنحاس ٥٦٠/١ ، والتبصرة والتذكرة ٤٢٨/ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٦٢/١ ، ووصف المباني ٣٦٣/ ، والحجّة في القراءات السبع ١٤٣/ ، وحجّة القراءات ٢٥٧/ ، وحاشية الجمل ٥٤/٢ ، والتبيان في إعراب القرآن ٥١٣/١ ، والمبسوط ١٩٧/ ، والتبيان في تفسير القرآن ١٨٧/٤ ، وإتحاف فضلاء البشر ٢١٢/ ، والحرر والوجيز ٢٦٤/٥ ، وشرح الشاطبية ١٩٤/ ، ومجمّع البيان ١١٤/٧ ، و مفاتيح الغيب ٥٩/١٣ ، والنشر ٢٥٠/٢ ، والبحر المحيط ١٦٩/٤ ، وروح المعاني ٢٠٤/٧ ، وزاد المسير ٧٦/٣ ، والدُّرُّ المصون ١٦/٥ ، وشرح التسهيل ٣١/١ ، ومعجم القراءات، للخطيب ٤٦٨/٢ .

٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ٧ / ٣٢٨ ، و معجم القراءات ، للخطيب ٤٧٠/٢ .

٣ يُنظَر : المحرر الوجيز ٢٦٤/٥ ، والتقريب والبيان / ٣٠ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٤٧٠/٢ .

٤ سورة الحجر / ٥٤ .

٥ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٤ / ٥٩ .

كما قال ابن عاشور-، أم هي نون الوقاية؟ فقال بعضهم، ومنهم الأخفش: حذف النون الثانية (نون الوقاية) استخفافاً لاجتماع مثلين متحركين، فاتصلت الياء بنون الرفع، فانكسرت النون، ثم حذفت الياء لدلالة الكسرة عليها، ولم تحذف نون الرفع لأنَّ الفعل هنا مرفوع، فأبقيت علامته، وقال آخرون، ومنهم سيبويه، ونافع: إنَّ التي حذفت هي النون الأولى (نون الرفع)، وهذا الرأي الذي مال إليه ابن عاشور هنا، وإن كان لم يمل إلى أيِّ الرأيين فيما سبق. والذي أذهب إليه أنَّ النون المحذوفة هي نون الوقاية لا نون الرفع؛ لأنَّ التكرير والتثقيب يقع بها، وأيضا حذف الأولى لا يجوز؛ لأنها دلالة الرفع.

وقال مكِّي: وقد طعنَ في هذه القراءة قومٌ لبُعْدِ مَحْرَجِهَا فِي الْعَرَبِيَّةِ؛ لِأَنَّ حَذْفَ النونِ التي تصحب الياء لا يَحْسُنُ إِلَّا فِي شِعْرِ، وَإِنْ قُدِّرَ حَذْفُ النونِ الأولى حَذَفَتْ عِلْمَ الرفعِ من غيرِ ناصبٍ ولا جازمٍ؛ ولأنَّ نونَ الرفعِ كَسْرُهَا قَبِيحٌ، إِنَّمَا حَقُّهَا الفتحُ، وهذا الطعنُ لا يُلْتَفَتُ إليه لأنَّ ياءَ المتكلمِ قد كَثُرَ حَذْفُهَا مجتزأً عنها بالكسرة، وقد قُرئَ بذلك في قوله: ((أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي))، من قوله ﷺ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾، ووجهه: أنَّه لَمَّا اجتمع نونان إحداهما للرفع، والأخرى نونُ الوقاية، استثقل اللَّفظ: فمنهم مَنْ أَدغم، ومنهم مَنْ حذف. ثمَّ اختلف في المحذوفة: هل هي في الأولى أو الثانية؟

^١ يُنظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٩/٧، والبحر المحيط ٤٥٨/٥، والتبيان في إعراب القرآن ٧٨٥/١، وإتحاف فضلاء البشر ١٧٧/٢، وإعراب القرآن، للنحاس ١٩٧/٢، وشمس العلوم ٢٦٥/٢، والقراءات القرآنية في المعاجم اللغوية ٤٣٧/٤، والدرُّ المصون ١٦٥/٧.

^٢ يُنظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٩/٧، و الدر المصون ١٦٥/٧.

^٣ يُنظر: الدرُّ المصون ١٦٥/٧ - ١٦٦، للباب في علوم الكتاب ٤٦٩/١١، ومعجم القراءات، للخطيب ٥٦٤/٤.

^٤ يُنظر: الجدول في إعراب القرآن ٢٠٥/٢٤ - ٢٠٦، وإعراب القرآن وبيانه ٤٤٢/٨، والبحر المديد ٤٢٢/٦، وأضواء البيان ٦٢/١٦.

^٥ سورة الزمر / ٦٤ .

^٦ يُنظر: الدر المصون ١٦ / ٥ .

وَمَنْ غَلَطَ نَافِعًا أَبُو حَاتِمٍ، قَالَ: إِنَّ هَذَا يَكُونُ فِي الشَّعْرِ اضْطِرَارًا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ قِرَاءَةَ الْحَذْفِ هِيَ لُغَةٌ غَطْفَانٌ ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ: ((وَقَدْ كَسَرَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَجْعَلُوا النُّونَ مَفْعُولًا بِهَا)). وَقَالَ الشَّهَابُ: إِنَّ اعْتَرَضَ أَبُو حَاتِمٍ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ بِأَنَّ مِثْلَهُ لَا يَكُونُ فِي الشَّعْرِ، وَتَجَرَّأَ عَلَى غَلَطِهِ فِيهَا، وَقَالَ: كَسَرَ نُونِ الرَّفْعِ قَبِيحٌ. وَهَذَا مِمَّا لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ حَذْفَ الْيَاءِ فِي مِثْلِهِ اجْتِزَاءٌ بِالْكَسْرِ كَثِيرٌ فَصِيحٌ، وَقَدْ قَرَأَ بِهِ فِي مَوَاضِعٍ عَدِيدَةٍ .^٣

القراءة الثانية: قراءة كسر النون مشددة على حذف ياء المتكلم خاصة ((تُبَشِّرُونَ)) ونسبها إلى ابن كثير . فالأصل ((تُبَشِّرُونِي)) فالنون الأولى علامة الرفع، والثانية مع الياء في موضع نصب ، فأدغمت النون الأولى في الثانية تخفيفاً ، وحذفت ياء الإضافة . قال الأخفش : ((ولو قرئت : فَمِ تُبَشِّرُونَ ، بتثقيل النون كان جيداً ، ولم أسمعها ، كأنَّ النون أدغمت وحذفت الياء كما تحذف من رؤوس الآي نحو : ((بل لَمَّا يذوقوا عذاب)) من قوله ﷻ : ﴿ أَمْ نَزَلْنَا عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يذوقوا عذاب ﴾ (٨) ، يريد : عذابي . وذهب مكِّي في مشكل إعراب القرآن إلى أنَّ قراءة ابن كثير حسنة . وناقش العكبري قراءة نافع ((تُبَشِّرُونَ)) بكسر النون خفيفة ثمَّ قال : ((والقراءة بالتشديد أوجه)) .^٥

^١ يُنظَرُ : إبراز المعاني من حرز الأمان ٢ / ٩٧ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٢ / ٤٦٩ .

^٢ معاني القرآن، للفراء ٢ / ٩٠ .

^٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٤ / ٥٩ ، والكتاب ٢ / ١٥٤ ، والسبعة في القراءات ٣٦٨ / ، والنشر ٢ / ٣٠٢ ، والبحر المحيط ٥ / ٤٥٨ ، وحجّة القراءات ٣٨٣ / ، والجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٣٥ ، ومعاني القرآن، للأخفش ١ / ٢٣٥ ، ومعاني القرآن للفراء ٢ / ٩٠ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣ / ١٨١ ، والكشاف ٢ / ١٩١ ، والحجة في القراءات السبع ٦ / ٢٠٦ ، ومشكل إعراب القرآن ٢ / ٨ ، وإعراب النخاس ٢ / ١٩٧ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١ / ٣٤٤ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢ / ٣ ، والتبيان في إعراب القرآن ١ / ٥١٣ ، والمحرر الوجيز ٨ / ٣٢٤ - ٣٢٥ ، وروح المعاني ١٤ / ٦١ ، وغرائب القرآن ١٤ / ٢٦ ، وتأويل مشكل القرآن ٦٣ / وأما الشجري ٢ / ٢١٧ ، وأما ابن الحاجب ٣ / ٥٤ ، والعنوان ١١٦ / ، والتذكرة في القراءات الثمان ٦ / ٣٩٦ ، فتح القدير ٣ / ١٣٥ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٤ / ٥٦٤ .

^٤ سورة ص / ٨ .

^٥ التحرير والتنوير ١٤ / ٥٩ . يُنظَرُ : الدرُّ المصون / ٢٧٨١ ، واللباب في علوم الكتاب ١١ / ٤٦٩ .

القراءة الثالثة : قراءة فتح النون (تُبَشِّرُونَ) على حذف المفعول لظهوره من المقام، ونسبها إلى الباقيين ، وهم أبو عمرو ، وابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي، وهي علم الرفع. قال الزجاج : ((بفتح النون ، وهو أجودُ في القراءة)) . وقال العكبري : (('يقراً بفتح النون وهو الوجه ، والنون علامة الرفع)) . وقال مكِّي : ((وحجّة من خفف)) .

وقرأ الحسن ((تُبَشِّرُونِي)) أثبت ياء التكلّم مع تشديد النون ، وهذا على إدغام نون الرفع في نون الوقاية . ويرجح قراءة مَنْ أثبت مفعول ((تُبَشِّرُونَ)) وهو الياء .

وروي عن الحسن أنه قرأ ((فَبِمَ تَبَشِّرُونَ)) بفتح التاء وضّمّ الشين ، وعزيت إلى أحمد بن معاذ .

وروى أبو علي الضرير عن روح وغيره عن يعقوب ((تُبَشِّرُونِي)) بإثبات الياء، وهو مذهب يعقوب في القراءة ، وفي الفواصل وغيرها .

^١ معاني القرآن وإعرابه ١٨١/٣ .

^٢ التبيان في إعراب القرآن ٧٨٤/٢ .

^٣ الكشف عن وجوه القراءات ٣٠/٢ . ويُنظر : التحرير والتنوير ٥٩/١٤ ، والسبعة في القراءات ٣٦٧/ ، والكشاف ١٩١/٢ ، والكشف عن وجوه القراءات ٣٠/٢ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٤٨/٢ ، ٩٠ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١٨١/٣ ، ومعاني القرآن للأخفش ٢٣٥/١ ، وحجّة القراءات ٣٨٣/ ، والحجّة في القراءات السبع ٢٠٦/ ، ومشكل إعراب القرآن ٨/٢ - ٩ ، ومجمّع البيان ٣١/١٤ ، وشرح الشاطبيّة ٢٣٢/ ، والمبسوط ٢٦٠/ ، والتيسير ١٣٦/ ، والنشر ٣٠٢/٢ ، والبحر المحيط ٤٥٨/٥ - ٤٥٩ ، والتبيان في إعراب القرآن ٧٨٤/٢ ، وحاشية الحمل ٥٤٩/٢ ، ومفاتيح الغيب ٢٠١/١٠ ، والمحرّر الوجيز ٣٢٤/٨ ، وروح المعاني ٦٢/١٤ ، والحجّة للقراء السبعة ٤٥/٥ ، وغرائب القرآن ٢٧/١٤ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٥٦٣/٤ .

^٤ يُنظر : البحر المحيط ٢٥٨/٥ ، والمحرّر الوجيز ٣٢٤/٨ ، والدّر المصون ٢٧٨١/ ، واللباب في علوم الكتاب ٤٦٩/١١ ، وروح المعاني ٦٢/١٤ .

^٥ يُنظر : المحرّر الوجيز ٣٢٦/٨ ، وإعراب القراءات الشواذ ٧٤٨/١ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٥٦٦/٤ .

^٦ يُنظر : المبسوط ٢٦٠/ ، ومجمّع البيان ٣١/١٤ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٥٦٦/٤ .

٣. قوله ﷺ : ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ،
 فقد ذكر ابن عاشور في ((تُشَاقُّونَ)) قراءات ، وهي :

القراءة الأولى : قراءة كسر النون على حذف ياء المتكلم ((تُشَاقُّونَ)) ونسبها إلى نافع ، أي تعاندوني ، وذلك بإنكارهم ما أمرهم الله على لسان رسوله ﷺ .
 القراءة الثانية : بفتح النون وحذف المفعول للعلم ((تُشَاقُّونَ)) ونسبها إلى بقية القراء ، وهذه القراءة تعني : تعاندون من يدعوكم إلى التوحيد .
 ٢

٤ . قوله ﷺ : ﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ۚ ﴾
 فقد ذكر ابن عاشور في ((لَدُنِّي)) قراءات ، وهي :

القراءة الأولى : قراءة تشديد النون ((لَدُنِّي)) ، ونسبها إلى الجمهور ، وهم (ابن كثير أبو محمد عبد الله المكِّي ، وأبو عمرو زياد بن العلاء البصرى ، وعبدالله بن عامر اليحصبي ، وأبو بكر عاصم بن أبي النجود ، وحمزة بن حبيب الزيات ، وأبو الحسن علي بن حمزة الكسائي النحوي) ، وذكر عن ابن عطية : أنه نسب هذه القراءة إلى النبي ﷺ ، بمعنى أن فيها سنداً خاصاً مروياً فيه عن النبي ﷺ ، و ((لَدُنِّي)) هو ظرف مكان فالأكثر اتصاله بنون الوقاية ، وشدّدت النون ؛ لأنّ نون الوقاية مدغمة في نون (لدن) ، فالأصل وجوب الاتصال بنون الوقاية ، وقلّ حذفها ، ولذلك قال ابن مالك عن حذف النون :

وَفِي لَدُنِّي لَدُنِّي قَلَّ وَفِي قَدْنِي وَقَطْنِي الحُذْفُ أَيْضاً قَدْ يَفِي
 أشار بهذا إلى أنّ الفصحح في لدني إثبات النون ، ويقلّ حذفها .
 ١

١ سورة النحل / ٢٧ .

٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٤ / ١٣٦ ، والدُّرُّ المصون ٥ / ١٦ .

٣ سورة الكهف / ٧٦ .

٤ ألفية ابن مالك. ويُظَرُ : شرح ابن عقيل ١ / ١١٥ .

القراءة الثانية : على حذف النون ((لَدُنِّي)) ، ونسبها إلى نافع ، وأبي بكر ، وأبي جعفر ، على تخفيف النون بحذف نون الوقاية تخفيفاً مستدلاً بأنَّ (لَدُنْ) أثقل من (عَن) و (مَنْ) فكان التخفيف فيها مقبولاً دونهما ، كما في قول الشاعر :

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنَّهُمْ وَعَنِّي لَسْتُ مِنْ قَيْسٍ وَلَا قَيْسٌ مِنِّي

حيث حذفت نون الوقاية من (عَنِّي ، و مِنِّي) طلباً للتخفيف .^٣

ويرى النُّحاة أنَّ حذف النون في مثل هذه الحالة شاذٌّ ، ونادرٌ ، وخارجٌ عن القياس ، ولا يكون إلاَّ عند الضرورة الشعرية ، ولأنَّ القياس عنده : عَنِّي وَمِنِّي بتشديد النون فيهما ؛ لأنَّ الحروف المبنية على السكون ، مثل : (مِنْ و عَن) إذا أضيفت إلي ياء المتكلم ، وكذا الأسماء مثل : (قَدْ ، و قَطْ ، و لَدُنْ) وجبت النون حفظاً للسكون ؛ لكي لا يلتبس بالحروف والأسماء ذوات الحرفين المتحركة أوآخرها بحركة بناءٍ أو إعرابٍ مثل : (يَدٍ ، و هَنٍ) . وقد يترك ولكنَّه قليل لوروده في الشعر والنثر ، وقالوا بأنَّه لغة نادرة وأقلُّ شيوعاً ، كما في البيت السابق .

وقال ابن هشام عن هذا البيت : وفي النفس من هذا البيت شيء ؛ لأنَّنا لم نعرف له قائلاً ولا نظيراً لاجتماع الحذف في الحرفين .

ولذلك نسبه ابن الناظم إلى بعض النحويين ، ولم ينسبه إلى العرب . وفي التحفة : لم يجيء الحذف إلاَّ في بيتٍ لا يعرف قائله .^١

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٦ / ٦ ، : الكتاب ٢ / ٣٧٠ - ٣٧١ ، وخرانة الأدب ٥ / ٣٦٩ ، وإعراب النَّحَّاس ٢٨٧/٢ ، وشرح المفصَّل ٣/١٢٤ ، وشرح الأشموني ١/٨٦ - ٨٧ ، ودليل السالك إلى ألفية ابن مالك ٥٥/٥٥ ، وشرح الكافية، للرَّضِي ٢ / ٤٥٣ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/٢٤٠ .

^٢ البيت من الشواهد المجهولة القائل . يُنظَر : خزانة الأدب ٢/٢٣٢ ، و همع الهوامع ١/٢٥٩ ، ومعجم القواعد العربية ٢٦/٦٤ ، وأوضح المسالك ١/١١٨ ، وشرح ابن عقيل ١/١٤٤ ، وشرح الأشموني ١/٨٧ ، والجنى الداني في حروف المعاني ٢٤/ .

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٦/٦ ، والحجة في القراءات السبع ٢٢٨/ .

^٤ يُنظَر : الكتاب ٢/٣٧٠ - ٣٧١ ، وخرانة الأدب ٥/٣٦٩ - ٣٧٠ ، وإعراب النَّحَّاس ٢/٢٨٧ ، وشرح المفصَّل ٣/١٢٤ ، وشرح الأشموني ١/٨٦ - ٨٧ .

^٥ أَيُّهَا السَّائِلُ عَنَّهُمْ وَعَنِّي لَسْتُ مِنْ قَيْسٍ وَلَا قَيْسٌ مِنِّي

٥. قوله ﷺ : ﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ تَأْمُرُوْنَ عَبْدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ (٦٤) فقد ذكر ابن عاشور في ((تَأْمُرُوْنَ)) قراءات ، وهي :

القراءة الأولى : قراءة نون واحدة خفيفة ((تَأْمُرُوْنَ)) ونسبها إلى نافع ، على حذف واحدة من النونين اللتين هما نون الرفع ، ونون الوقاية ، على الخلاف في المحذوفة، وفتح نافع ياء المتكلم للتخفيف والتفادي من المدّ .

القراءة الثانية : قراءة تشديد النون مكسورة ((تَأْمُرُوْنَ)) ونسبها إلى الجمهور، حيث أدغمت النونان مع تسكين الياء للتخفيف .

القراءة الثالثة : قراءة تشديد النون مكسورة وفتح الياء ((تَأْمُرُوْنَ)) ونسبها إلى ابن كثير .

القراءة الرابعة: قراءة إظهار النونين وتسكين الياء ((تَأْمُرُوْنَ)) ونسبها إلى ابن عامر .

٦. قوله ﷺ : ﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَدِيهِ أَفٍ لِّكَمَا أَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيَلِكْ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (١٧) فقد ذكر ابن عاشور في ((أَعْدَانِي)) قراءات ، وهي :

القراءة الأولى : قراءة بفتح النونين ((أَعْدَانِي)) ، ونسبها إلى الجمهور .

القراءة الثانية : قراءة بإدغام النونين (أَعْدَانِي) ، ونسبها إلى هشام عن ابن عامر .

ب. حذف النون الواقعة فاء للفعل

^١ يُنظَر : الكتاب ٢/ ٣٧١ ، وخزانة الأدب ٥/ ٣٦٩ - ٣٧٠ .

^٢ سورة الزمر / ٦٤ .

^٣ قرأ نافع ، وابن عامر بتخفيف النون ، ((تأمروني)) ، وابن عامر بنونين ، والباقون مشددة النون . يُنظَر : السبعة في القراءات / ٥٦٣ ، ومعجم القراءات / ٢٧ . التحرير والتنوير ٢٤ / ٥٧ .

^٤ سورة الأحقاف / ١٧ .

^٥ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٦ / ٣٩ .

من القراءات القرآنيّة التي ذكرها ابن عاشور وكان وجه الاختلاف فيها من قبيل الظواهر النحويّة حذف النون الواقعة فاء للفعل جاء ذلك في :

١. قوله ﷺ : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّمُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

﴿ ٨٨ ﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور^١ في ((نُحْيِي)) قراءات ، وهي :

القراءة الأولى : قراءة حذف النون وتشديد الجيم ((نُحْيِي الْمُؤْمِنِينَ)) بضمّ النون وتشديد الجيم وسكون الياء ، ونسبها إلى ابن عامر ، وأبي بكر عن عاصم ، وقرأ بها أيضاً ابن عبّاس ، وحمّاد ، على اعتبار إدغام النون في الجيم كما تدغم في اللام والراء . والمعروف أنّ النون لا تدغم في الجيم لبعدهما بينهما ، ولا نظير له في كلام العرب ، وإنّما خفيت النون لأنّها ساكنة تخرج من الحياشيم ، فحذفت من المصحف ، وهي في اللفظ ثابتة، ومن قال بإدغامها فهو واهمٌ .^٣

وقد ضعّف النُّحاة هذه القراءة ، وعسر تخريج وجهها على معظم المصنفين .

١ سورة الأنبياء / ٨٨ .

^٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٧ / ١٣٤ ، وجامع البيان ١٧ / ٦٥ ، والكشاف ٢ / ٣٣٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٣٣٤ ، ومشكل إعراب القرآن ٢ / ٨٧ ، والبحر المحيط ٦ / ٣٣٥ ، وروح المعاني ١٧ / ٨٦ ، وزاد المسير ٥ / ٣٨٤ ، و مفاتيح الغيب ٢٢ / ٢١٧ ، والتبيان في تفسير القرآن ٧ / ٢٧٤ ، ومعاني القرآن للفرّاء ٢ / ٢١٠ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣ / ٣٤ ، والخصائص ١ / ٣٩٨ ، والمحتسب ٢ / ١٢١ ، وحجّة القراءات ٤٦٩ / ٤٦٩ ، والحجّة في القراءات السبع / ٢٥٠ ، والنشر ٢ / ٣٢٤ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢ / ١١٣ ، والتيسير / ١٥٥ ، والسبعة في القراءات / ٤٣٠ ، وحاشية الشهاب ٦ / ٢٧٠ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢ / ٦٥ ، والتذكرة في القراءات الثمان / ٤٤١ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٦ / ٤٨ .

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٧ / ١٣٤ ، والسبعة في القراءات / ٤٣٠ ، والحجة للقرّاء السبعة ٥ / ٢٥٩ ، وإعراب القرآن ، لابن سيده ٦ / ٣٤٣ ، والحجّة في القراءات السبع / ٢٥٠ ، والنشر في القراءات العشر ٢ / ٣٦٤ ، وحجّة القراءات / ٤٦٩ ، ٣٣٧ / .

^٤ يُنظَر : إبراز المعاني من حرز الأمان ٢ / ٢٩٣ .

وقد ذكر ابن عاشور هذا التضعيف ، وهذا العسر ؛ حيث نقل إنكار أبي حاتم والزجاج على هذه القراءة حيث عدّها لحناً . فقد قال الزجاج : إنّها لحن لا وجه له ؛ لأنّ ما لم يسمّ فاعله لا يكون بغير فاعل ، ثمّ ذكر أنّ بعضهم قال : المعنى (نجى النجاء المؤمنين)، ونقل إجماع النحويين كلهم على خطأ هذا ؛ لأنّه لا يجوز : (ضَرَبَ زَيْدًا) يريد: (ضَرَبَ الضَّرْبَ زَيْدًا) ، لأنّك إذا قلت : (ضَرَبَ زَيْدٌ) ، فقد علم أنّ الذي ضربه ضرب فلا فائدة في إضماره وإقامته مقام الفاعل ، وإنّما قال الزجاج ؛ ذلك لأنّ الفراء وأبا عبيد تحيلاً في تخريج وجه هذه القراءة على هذا ، فقد قال الفراء : القراء يقرءونها بنونين وكتابتها بنون واحدة وذلك لأنّ النون الثانية ساكنة ، ولا تظهر الساكنة على اللسان ، فلمّا خفيت حذفت ، وقد قرأها عاصم بنون واحدة ، ونصب المؤمنين كأنّه احتمل اللحن لا يعرف لها جهة إلّا تلك ؛ لأنّ ما لم يسمّ فاعله إذا خلا باسم رفعه إلّا أنّ يكون أضمر المصدر في: ((نَجَّى)) فنوى به الرفع ، ونصب (المؤمنين) فيكون كقوله : (ضَرَبَ الضَّرْبَ زَيْدًا) ، ثمّ يكتفى عن الضرب ، فتقول : (ضرب زيدا) وكذلك : (نجى النجاء المؤمنين) ، وذكر عن أبي عبيد أنّه قال : الذي عندنا فيه أنّه ليس بلحن ، وأنّ له مخرجين في العربيّة ؛ أحدهما : أن يريد (نُنَجِّي) مشدّدة لقوله : (ونجينا من الغم) ثمّ تدغم الثانية في الجيم ، والمخرج الآخر أنّ يريد (نجى) فعل ، فيكون معناه (نجى النجاء المؤمنين) ، فيكون نصب المؤمنين على هذا ثمّ ترسل الياء فلا ينصبها ، وقد أبطل الزجاج الوجه الثاني على ما سبق ، والأول: فاسد؛ لأنّه قدّر الكلمة مشدّدة الجيم ، ثمّ جوّز أنّ تدغم النون الثانية في الجيم ، ولا يتصوّر الإدغام في حرف مشدّد ، ولم يكن له حاجة إلى تقدير الكلمة مشدّدة الجيم ، بل لو ادّعى أنّ الأصل ما قرأ به الجماعة بتخفيف الجيم ثمّ زعم الإدغام لكان أقرب على أنّه أيضاً ممتنع، وقال النحاس: هذا القول لا يجوز عند أحد من النحويين لبعده النون من الجيم ، فلا تدغم فيها فلا يجوز في : ((من جاء بالحسنة)) من قوله ﷺ : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٦٠) أن يُقرأ : (مجاء

١ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٧ / ١٣٤ .

٢ سورة الأنعام / ١٦٠ ، والنمل / ٨٩ ، والقصص / ٨٤ .

بالحسنة) . وجاء عن الزمخشري : أنَّ النون لا تدغم في الجيم ، وأنَّ من تمحلَّ لصحته ، فجعله (فعل)، وقال: (نَجَّى النَّجَاءَ الْمُؤْمِنِينَ) فأرسل الياء (سكَّنها) ، وأسنده إلى مصدره ، فتمتعتِّف بارد التعسُّف ، وقال مكِّي : فيه بعد من وجهين ؛ أحدهما : أنَّ الأصل أنَّ يقوم المفعول مقام الفاعل دون المصدر ، والثاني : أنَّه كان يجب فتح الياء من (نجى) ؛ لأنَّه فعل ماضٍ، قال: وقيل إنَّ هذه القراءة على طريق إخفاء النون في الجيم ، قلت وهذا تأويل أبي علي في الحجَّة، قال مكِّي: وهذا أيضاً بعيد ؛ لأنَّ الرواية بتشديد الجيم والإخفاء لا يكون معه تشديد، قال: وقيل أدغم النون في الجيم وهذا أيضاً لا نظير له ، لا يدغم النون في الجيم في شيء من كلام العرب لبعدهما ، وأما تعلق من قرأ هذه القراءة بأنَّ هذه اللفظة في المصاحف بنون واحدة ، فهذه القراءة إذا قرئت بشدِّ الجيم وضم النون وإسكان الياء غير ممكنة في العربيَّة، وجاء عن أبي علي : فأما قول من قال إنَّه يسند الفعل إلى المصدر ، وبضمير لأنَّ الفعل دلَّ عليه ، فذلك ممَّا لا يجوز إلَّا في ضرورة الشعر ، والبيت الذي أنشده ابن قتيبة ، لجرير :

وَلَوْ وَلَدَتْ قُفَيْرَةٌ جُرْوَ كَلْبٍ لَسُبَّ بِذَلِكَ الْجُرْوِ الْكِلَابَا
لا يكون حجَّة في هذه القراءة ، وأما وجهها ما ذكرنا؛ لأنَّ الراوي حسب الإخفاء إدغاماً، قال الشيخ : واحتجَّوا لإسكان الياء بقراءة الحسن ، في ((وَذَرُّوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا))

^١ مثلث الجيم.

^٢ هذا البيت لجرير بن عطية من بحر الوافر، من قصيدة له يهجو بها الفرزدق التي أولها:

أقلي اللوم عاذل والعتابا وقولي ان اصبت لقد أصابا

قفيرة (كجهينة): أم الفرزدق. يُنظر: الخصائص ١ / ٣٩٧، وخزانة الأدب ١ / ١٦٣، والحجة في القراءات السبع / ٢٥٠، وجمع الهوامع ١ / ١٦٢، والدَّر اللوامع ١ / ١٤٤، وأمالي الشجري ٢ / ٢١٥، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٣٣٥، ١٦ / ١٦٢، الدُّرُّ المصون ٩ / ٦٤٦، وروح المعاني ١٧ / ٨٦، وتفسير النيسابوري ٥ / ٣٧٣، وحياة الحيوان (باب الجيم) ١ / ١٨٧، وتلحين النحويين / ٤٤ .

من قوله ﷺ : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٧٨) ، ويقول النابغة الذبياني :

رَدَّتْ عَلَيْهِ أَقَاصِيهِ ، وَلَبَّدَهُ ضَرْبُ الْوَلِيدَةِ بِالْمِسْحَةِ فِي الثَّأْدِ
قال وقد قرأ: أبو جعفر : ((لِيُجْزَى قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) أي: لِيُخْزَى الْجَزَاءُ قَوْمًا، قلت : وكلّ هذا استدلال بقراءات ضعيفة شاذة وبضرورات شعر، وكلّ ذلك ممّا يشهد بضعف هذه القراءة ، وعجبت ممّن يذكرها ويترك غيرها ممّا هو شائع لغة نقلاً وموافق خطأ، نحو: ((وَنَبَلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)) من قوله ﷺ : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ

الْمَوْتِ ۗ وَنَبَلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٣٥) ذكر ابن مجاهد رواية عن أبي عمرو بياء مضمومة ورواية عن ابن عامر بياء مفتوحة مع كسر الجيم ، وأقرب توجيه لهذه القراءة - والله أعلم - : ما نقله أبو جعفر النحاس، حيث قال : لم أسمع في هذا بأحسن من شيء سمعته من أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش قال : الأصل (نُنجي) فحذف إحدى النونين لاجتماعهما كما تحذف إحدى التاءين لاجتماعهما نحو : ((ولا تفرقوا)) من قوله ﷺ : ﴿

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۗ

كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١٠٣) ، والأصل (تَتَفَرَّقُوا)°، قال : والدليل على صحّة ما قال أنّ عاصماً يقرأ (نجى) بإسكان الياء ، ولو كان على ما تأوله من ذكرنا

١ سورة البقرة / ٢٧٨ .

٢ يُنظَر : ديوانه / ١٥ .

٣ سورة الجاثية / من الآية ١٤ .

٤ سورة الأنبياء / ٣٥ .

٥ سورة آل عمران / ١٠٣ .

لكان مفتوحاً ، وقال أبو الفتح ابن جني في كتاب الخصائص في باب امتناع العرب من الكلام بما يجوز في القياس: أجاز أبو الحسن : (ضرب الضرب الشديد زيدا) ، و (قتل يوم أحاك) ، قال: هو جائز في القياس وإن لم يرد به الاستعمال ، ثم أنشد ابن جني : (لسب بذلك الجرو الكلابا) ، قال : هذا من أقبح الضرورة ومثله لا يعتد به أصلا بل لا يثبت إلا محققاً شاذاً ، قال : وأمّا قراءة من قرأ ((وكذلك نجى المؤمنين)) من قوله ﷻ : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فليس على إقامة المصدر مقام الفاعل ؛ لأنه عندنا على حذف إحدى نوني (ننجي) كما حذف ما بعد حرف المضارعة في قوله ((تَذَكَّرُونَ)) أي : (تَذَكَّرُونَ) ويشهد لذلك أيضا سكون لام نجى ولو كان ماضيا لانفتحت اللام إلا في الضرورة ، وقال في كتاب المحتسب: روى عن ابن كثير وأهل مكة: ((ونزل الملائكة تنزيلا)) من قوله ﷻ : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمْ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴾ ، قال : وكذلك روى خارجة عن أبي عمرو. قال أبو الفتح : ينبغي أن يكون محمولاً على أنه أراد ((ونزل الملائكة)) إلا أنه حذف النون الثانية التي هي فاء فعل لالتقاء النونين استخفافاً وشبهها بما حذف من أحد المثليين الزائدين في نحو قولك : (أنتم تفكرون وتظهرون) ، و (أنت تريد تفكرون وتظّهرون) ، قال : ونحوه قراءة من قرأ وكذلك ((نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ)) ألا تراه يريد (نُجِّي) فحذف النون الثانية وإن كانت أصلاً لما ذكرنا، ونقل هذه القراءة وتعليلها المذكور الزمخشري في تفسيره وذكره المهدي في قراءة ((نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ)) وهو وجه سديد غريب لا تعسف فيه ويشهد له أيضاً حذف إحدى النونين من ((أتجاجوني وتبشروني وتأمروني وتأمروني أعبد)) .

٤

^١ الخصائص ١ / ٣٩٧ .

^٢ سورة الأنبياء / ٨٨ .

^٣ سورة الفرقان / ٢٥ .

^٤ يُنظَر : إبراز المعاني من حرز الأمان ٢ / ٢٩٤ - ٢٩٦ ، واللباب في علوم الكتاب ١١ / ٢٢٥ ، وتفسير النسفي ٣ / ٩٠ ،

وإتحاف فضلاء البشر ١ / ٣١٨ ، ١ / ٣٣٧ ، ١ / ٣٩٤ ، والبدور الزاهرة / ٢٣٥ .

ونقل توجيه أبي عبيد والفرء وثعلب لهذه القراءة ، بأنَّ ((نُجِّي)) سُكِّنَتْ يَأُوهُ وَلَمْ تَحْرُكْ عَلَى لَعَةٍ مِنْ يَقُولُ : (بَقِي وَرَضِي) فَيَسْكُنُ الْيَاءُ كَمَا فِي قِرَاءَةِ الْحَسَنِ : ((وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ الرِّبَا)) مِنْ قَوْلِهِ ﷺ : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٧٨) بتسكين ياء (بقى)^١ .

وذكر عن أبي عبيد والفتي – كما تقدّم – أنّ النون الثانية أدغمت في الجيم، وهذا بعيد؛ لأنّ القراءة بتشديد الجيم ، والإدغام لا يكون معه تشديد .^٢

ونقل أيضاً توجيه ابن جني متابعاً للأخفش الصغير بأنّ أصل هذه القراءة : ((نُجِّجِي)) بضمّ النون الأولى وفتح الثانية وتشديد الجيم، فحذفت النون الثانية لتوالي المثليين فصار ((نُجِّجِي))، كما حذف ما بعد حرف المضارعة في ((تذكرون)) من ((تذكرون))، وكما حذفت في قوله : ((ونزل الملائكة تنزيلاً)) أي: نزل، وأيد هذا التخريج ابن سيده، وضعفه العكبري .^٤

وذكر ابن عاشور مثل ذلك عن بعض النحاة في تأويل هذه القراءة بأنّ ((نُجِّجِي)) فعل مضي مبني للنائب وأنّ نائب الفاعل ضمير يعود إلى النجاء المأخوذ من الفعل ، أو المأخوذ من اسم الإشارة في قوله (وكذلك) . وانتصب (المؤمنين) على المفعول به على رأي من يجوز إنابة المصدر مع وجود المفعول به . كما في قراءة أبي جعفر : ((لِيَجْزِيَ قَوْمًا)) بفتح الزاي ((بِمَا

^١ سورة البقرة / ٢٧٨ .

^٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٧ / ١٣٤ ، ومعاني القرآن ، للفرء ٢ / ٢١٠ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣ / ٤٠٣ ، وجامع البيان ١٧ / ٨٢ ، والمشكل ٤٨١ / ٤٨٢ - ، والكشف عن وجوه القراءات ٢ / ١١٣ ، والكشاف ٢ / ٥٨٢ ، والتبيان في إعراب القرآن ١ / ٩٢٥ ، والبحر المحيط ٦ / ٣٣٥ ، والسبعة في القراءات ٤٣٠ / ، والحجة للقراء السبعة ٥ / ٢٥٩ ، وإبراز المعاني من حرز الأمامي ٢ / ٢٩٣ ، والقراءات القرآنية في المعجمات اللغوية ٤٣٩ / .

^٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٧ / ١٣٤ ، ومعاني القرآن ، للفرء ٢ / ٢١٠ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣ / ٤٠٣ ، وجامع البيان ١٧ / ٨٢ ، والمشكل ٤٨١ / ٤٨٢ - ، والكشف عن وجوه القراءات ٢ / ١١٣ ، والكشاف ٢ / ٥٨٢ ، والتبيان في إعراب القرآن ١ / ٩٢٥ ، والبحر المحيط ٦ / ٣٣٥ ، والسبعة في القراءات ٤٣٠ / ، والحجة للقراء السبعة ٥ / ٢٥٩ ، والقراءات القرآنية في المعجمات اللغوية ٤٣٩ / .

^٤ يُنظَرُ : التبيان في إعراب القرآن ١ / ٩٢٥ ، والمحتسب ٢ / ١١١ ، ١٢١ ، والخصائص ١ / ٣٩٨ ، وتأويل مشكل القرآن ٥٤ / - ٥٥ ، والقراءات القرآنية في المعجمات اللغوية ٤٣٩ / .

كَانُوا يَكْسِبُونَ)) من قوله ﷺ : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ

لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ بتقدير ليجزى الجزاء قوماً . وذكر أن الزمخشري في (

٢

الكشاف) : وصف هذا التوجيه بأنه بارد التعسف .

وذكر أن كلمة ((فُنْجِي)) كتبت في المصاحف بنون واحدة كما كتبت بنون واحدة في

قوله في : ((فننجي من نشاء)) من قوله ﷺ : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ

كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرٌ مِّنَّا فَفَنَجِي مِّنْ نَّشَاءٍ وَلَا يَرُدُّ بِأُسْنَانٍ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ، ونقل

٣

توجيه أبي علي لهذا الرسم بأنَّ النون الثانية لما كانت ساكنة وكان وقوع الجيم بعدها يقتضي

إخفاءها ؛ لأنَّ النون الساكنة تخفى مع الأحرف الشجرية - وهي الجيم والشين والضاد - فلما

أُخفيت حذفت في النطق فشابه إخفاؤها حالة الإدغام فحذفها كاتب المصحف في الخطِّ لِحفاء

النطق بها في اللفظ ، أي كما حذفوا نون (إن) مع (لا) في نحو : (إلا فعلوه) من حيث إنَّها

٤

تدغم في اللام .

وقد تحدّث مكِّي بن أبي طالب بشيء من التفصيل عن هذه المسألة فأحييت أن أنقله

هنا للفائدة ؛ حيث قال : إنَّ قراءة ابن عامر وأبي بكر عن عاصم بنون واحدة وجيم مشدّدة

وياء ساكنة ، كان يجب أن يُفتح فيها الياء ؛ لأنَّه فعل ماضٍ لم يسمَّ فاعله ، ويجب أن تُرفع (

المؤمنين) على هذا ؛ لأنَّه مفعول لم يسمَّ فاعله ، وفعل ماضٍ لم يُسمَّ فاعله ولكن أتى على

إضمار المصدر ، حيث أقاموه مقام الفاعل ، وذكر أن هذا بعيد ؛ لأنَّ المفعول أولى بأن يقوم

مقام الفاعل ، وإنَّما يقوم المصدر مقام الفاعل عند عدم المفعول به أو عند اشتغال المفعول به

بحرف الجرِّ ؛ نحو : قِيمَ وَ سَيَّرَ بَزِيدٍ ، فأما الياء فأسكنها في موضع الفتح كما يسكنها في

موضع الرفع ، ووصف هذا أيضاً بالبعد أيضاً ، وإنَّما يجوز ذلك في الشعر . وذكر عن بعض

١ سورة الجاثية / ١٤ .

٢ يُنظر : التحرير والتنوير ١٧ / ١٣٤ .

٣ سورة يوسف / ١١٠ .

٤ يُنظر : التحرير والتنوير ١٧ / ١٣٣ - ١٣٤ .

العلماء أنّ (نُجِّي) ليس هو في هذه القراءة فعل سُيِّي فاعله ، وإنما أدغمت النون الثانية في الجيم ، وقال أيضاً عن هذا بأنّه بعيد ؛ لأنّ النون لا تدغم في الجيم إدغاماً صحيحاً يكون منه التشديد ، إنّما تحفى عند الجيم ، وأنّ الإخفاء لا يكون معه تشديد . وذكر عن أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش أنّه قال في هذه القراءة : إنّ (نُجِّي) فعل سمي فاعله ، وأنّ أصله (نُجِّي) بنونين وبالتشديد على (نفع) لكن حذفت النون الثانية لاجتماع النونين كما حذفت إحدى التائين في (تَفَرَّقُونَ) و (تَطَاهَرُونَ) وشبهه ، وقد استدللّ مَنْ قال بهذين القولين الآخرين على قوله بإسكان الياء في (نُجِّي) فدلّ سكونها على أنّه فعل مستقبل ، ووصف هذا أيضاً بأنّه قول ضعيف ؛ لأنّ المثليين في مثل هذه الأشياء لا يحذف الثاني استخفافاً إلاّ إذا اتفقت حركة المثليين ، نحو : (تَفَرَّقُونَ) و (تَتَعَاوَنُونَ) ، فان اختلفت حركة المثليين لم يجوز حذف الثاني ، نحو : (تَتَعَاوَنُ الدُّنُوبُ) و (تَتَنَاجَى الدَّوَابُّ) والنونان في (نُجِّي) قد اختلفت حركتهما فلا يجوز الحذف البتّة في إحداهما ، وأيضاً فإنّ النون الثانية أصليّة ، والأصلي لا يجوز حذفه البتّة ، والتاء المحذوفة في (تَفَرَّقُوا) و (تَعَاوَنُوا) زائدة ، فحذفها حسن إذا اتفقت الحركتان .

القراءة الثانية : قراءة إثبات النونين في النطق ((نُجِّي)) ، ونسبها إلى جمهور القراء ، بنونين الأولى مضمومة ، والثانية ساكنة ، وجيم مكسورة ، مضارع (أُجِّي) ، فيكون حذف إحدى النونين في الخط مجرّد تنبيه على اعتبار من اعتبارات الأداء .

وهذه القراءة من (الإنجاء) وقبله ((وَجِيئَاهُ مِنَ الْعَمِّ)) بالتشديد ، فهو جمع بين اللغتين ، كما

جمع بينهما في كثير من القرآن نحو قوله ﷻ : ﴿ فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْمَهُمْ رُؤْيَا ﴾ ، قوله ﷻ :

^١ يُنظَر : مشكل إعراب القرآن ٢ / ٤٨١ - ٤٨٣ ، وإعراب القرآن ، لابن سيده ٦ / ٣٤٣ .

^٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٧ / ١٣٣ ، وجامع البيان ١٧ / ٦٥ ، وحجّة القراءات ٤٧٠ / ، والحجّة في القراءات السبع ٢٥٠ / ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٣٣٤ ، و مفاتيح الغيب ٢٢ / ٢١٧ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣ / ٤٠٣ ، ومعاني القرآن ، للفرّاء ٢ / ٢١٠ ، وتأويل مشكل القرآن / ٥٤ ، وإعراب القرآن ، لابن سيده ٦ / ٣٤٣ ، والمكزّر ٨٤ / ، وشرح الشاطبيّة / ٢٥١ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢ / ٦٧ ، والمحزّر الوجيز ١٠ / ١٩٨ ، والتذكّرة في القراءات الثمان / ٤٤١ ، والبحر المحيط ٦ / ٣٣٥ ، والسبعة في القراءات / ٤٣٠ .

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ
رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ

٢



وهناك قراءات أخرى لم يذكرها ابن عاشور - كعادته في التعامل مع القراءات الشاذة -
ومنها:

١. قراءة الجحدري ((نُنجِي)) بإثبات النونين ؛ الأولى مضمومة ، والثانية مفتوحة ،
وجيم مشددة ، وهو مضارع (نَجَّى) المضعف .^٣
٢. وقراءة محمد بن السميع وأبي العالية ((نَجَّى)) بنون واحدة والفعل مبني للفاعل ،
بمعنى : نَجَّى الله المؤمنين .^٤

٢. قوله ﷻ : ﴿ ثُمَّ نُنجِي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ

﴿ ١٠٣ ﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور في ((نُنجِي)) قراءات ، وهي :

القراءة الأولى : قراءة فتح النون الثانية وتشديد الجيم ((نُنجِّ الْمُؤْمِنِينَ)) ، ونسبها إلى
الجمهور ، وهم أبو عمرو ، وابن عامر ، ونافع ، وابن كثير ، وحمزة ، وأبوبكر عن عاصم ،

١ سورة الطارق/١٧ .

٢ سورة محمد / ٢٠ .

^٣ يُنظَر : جامع البيان ١٧/٦٥ ، و مفاتيح الغيب ٢٢/٢١٧ ، والبحر المحيط ٦/٣٣٥ ، ومختصر في شواذ القرآن /٩٢ ،
وشرح التصريح ٢/٤٠١ ، والمحَرَّر الوجيز ١٠/١٩٨ ، وإعراب القرآن ، لابن سيده ٦/٣٤٣ ، وتأويل مشكل القرآن /
٥٤ - ٥٥ ، والدُّرُّ المصون ٥/١٠٥ ، وروح المعاني ١٧/٨٦ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٦/٤٧ .

^٤ يُنظَر : الجامع لأحكام القرآن ١١/٣٣٥ ، وفتح القدير ٣/٤٩٧ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٦/٤٧ .

٥ سورة يونس / ١٠٣ .

وأبو جعفر ، على وزن ((نُنجِي رُسُلَنَا)) . ونرى هنا ابن عاشور لم يتطرق للقراءات الواردة في ((نُنجِي رُسُلَنَا)) ، ولكنه اكتفى بذكر القراءات الواردة في ((نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ)) .

القراءة الثانية : قراءة سكون النون الثانية وتخفيف الجيم ((نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ)) من الإنجاء ، ونسبها إلى الكسائي ، وحفص عن عاصم ، وهي قراءة أيضاً ليعقوب ، والمفضل ، وسهل ، الْمُطَوِّعِي ، وأبي بكر من طريق الكسائي . مُحَقَّقاً مِنْ (أُنْجِي) يقال: (أُنْجِي و نَجِي)، ك(أَبْدَل و بَدَل)، وجمهورُ القراء لم ينقلوا الخلافَ إلا في هذا دون قوله : ((فاليوم نُنجِيكَ بِبَدَنِكَ)) من قوله

ﷺ : ﴿ فَاَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ (٩٢) ، ودونَ قوله : ((ثُمَّ نُنجِي رُسُلَنَا)) في هذه الآية نفسها . وقد نقل أبو علي الأهوازي الخلافَ فيهما أيضاً ، والمخالفة بينه وبين نظيره الذي قبله تَقْنُن ، والمعنى واحد

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ١١ / ٢٩٩ ، والحجة في القراءات السبع / ١٨٥ ، وحجّة القراءات / ٣٣٧ ، والتذكرة في القراءات الثمان / ٣٦٨ ، والكشف عن وجوه القراءات / ٥٢٣ / ١ ، والجامع لأحكام القرآن / ٣٨٧ / ٨ ، ومفاتيح الغيب / ١٧٧ / ١٧ ، وزاد المسير / ٩٤ / ٤ ، والنشر / ٢٨٧ / ٢ ، وإتحاف فضلاء البشر / ٢٥٤ / ٢٥٤ ، وشرح الشاطبية / ٢٢٠ / ٢٢٠ ، والعنوان / ١٠٦ / ١٠٦ ، والتيسير / ١٢٣ / ١٢٣ ، والبحر المحيط / ١٩٤ / ٥ ، وروح المعاني / ١٩٦ / ١١ ، والتبصرة في القراءات السبع / ٥٣٧ / ٥٣٧ ، والمبسوط / ٢٣٦ / ٢٣٦ ، والميسر / ٢٢٠ / ٢٢٠ ، وغرائب القرآن / ١١٦ / ١١ ، والسبعة في القراءات / ٣٣٠ / ٣٣٠ ، و الدر المصون / ٧١ / ٤ ، ومعجم القراءات ، للخطيب / ٦٣٣ / ٣ .

^٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ١١ / ٢٩٩ ، والحجة في القراءات السبع / ١٨٥ ، وحجّة القراءات / ٣٣٧ ، والتذكرة في القراءات الثمان / ٣٦٨ ، والكشف عن وجوه القراءات / ٥٢٣ / ١ ، والجامع لأحكام القرآن / ٣٨٧ / ٨ ، ومفاتيح الغيب / ١٧٧ / ١٧ ، وزاد المسير / ٩٤ / ٤ ، والنشر / ٢٨٧ / ٢ ، وإتحاف فضلاء البشر / ٢٥٤ / ٢٥٤ ، وشرح الشاطبية / ٢٢٠ / ٢٢٠ ، والعنوان / ١٠٦ / ١٠٦ ، والتيسير / ١٢٣ / ١٢٣ ، والبحر المحيط / ١٩٤ / ٥ ، والتبصرة في القراءات السبع / ٥٣٧ / ٥٣٧ ، والمبسوط / ٢٣٦ / ٢٣٦ ، والميسر / ٢٢٠ / ٢٢٠ ، وغرائب القرآن / ١١٦ / ١١ ، والسبعة في القراءات / ٣٣٠ / ٣٣٠ ، والدُّرُّ المصون / ٧١ / ٤ ، وروح المعاني / ١٩٦ / ١١ ، ومعجم القراءات ، للخطيب / ٦٣٣ / ٣ .

^٣ سورة يونس / ٩٢ .

^٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ١١ / ٢٩٩ ، و الدر المصون / ٢٧٣ / ٦ .

وقد كتبت في المصحف ((نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ)) بدون ياء بعد الجيم على صورة النطق بها
لالتقاء الساكنين .^١

٢ ٣. قوله ﷻ : ﴿ ثُمَّ نُجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا ﴾ (٧٢) ، فقد ذكر
ابن عاشور في ((نُجِّي)) قراءات ، وهي :

القراءة الأولى : قراءة فَتَح النون الثانية وتشديد الجيم ((ثُمَّ نُجِّي)) ، ونسبها إلى
الجمهور .

القراءة الثانية : قراءة سكون النون الثانية وتخفيف الجيم ((ثُمَّ نُجِّي)) ، ونسبها إلى
الكسائي .^٣

٤. قوله ﷻ : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا
فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (١١٠) ، فقد ذكر ابن عاشور في ((
فُنُجِّي)) قراءات ، وهي :

القراءة الأولى : بنونين وتخفيف الجيم وسكون الياء مضارع أنجى ، ونسبها إلى الجمهور .
و ((مَنْ نَشَاءُ)) مفعول (ننجي) .

القراءة الثانية : بحذف النون ((فُنُجِّي)) ونسبها إلى ابن عامر وعاصم ، بنون واحدة
مضمومة وتشديد الجيم مكسورة وفتح التحتية على أنه ماضي (نَجَّى) المضاعف بني للنائب ،
وعليه ف ((مَنْ نَشَاءُ)) هو نائب الفاعل ، والجمع بين الماضي في (نَجَّى) والمضارع في ((نَشَاءُ
)) احتباك تقديره فُنُجِّي من شئنا مَنَّ نَجَّا في القرون السالفة و ننجي من نشاء في المستقبل من
المكذبين .^٥

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ١١ / ٢٩٩ .

^٢ سورة مريم / ٧٢ .

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٦ / ١٥٣ .

^٤ سورة يوسف / ١١٠ .

^٥ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٣ / ٧٠ .

ثانياً : ظاهرة الحمل على المعنى

جرى أكثر كلام العرب على موافقة لفظه لمعناه ، وقد يأتي محمولاً على المعنى دون اللفظ ومثله أن يأتي ، محمولاً على اللفظ دون المعنى وقد يجتمع في الكلام على كليهما، وظاهرة الحمل على المعنى وردت في القرآن وفصيح الكلام منشوراً ومنظوماً على النحو الآتي: تأنيث المذكر ، وتذكير المؤنث ، وتصوُّر معنى الواحد في الجماعة ، وتصوُّر معنى الجماعة في الواحد ، وفي حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه الأول ، أصلاً كان ذلك اللفظ أو فرعاً، وغيره .

ومن أمثلة الحمل على المعنى قوله ﷺ : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾^(١٨٠) فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فيظهر لنا هنا أن الهاء في (بدله) و(سمعه) عائدة على الوصية مع أن الضمير مذكر فحمل على المعنى لا اللفظ ، فالوصية بمعنى الإيضاء ، والإيضاء مذكر فكأنما المراد (فمن بدله من بعد ما سمع الإيضاء) ، وقال ابن عاشور في ذلك : إن الضمائر البارزة في (بدله وسمعه وإثمه ويبدلونه) عائدة إلى القول أو الكلام الذي يقوله الموصي ودل عليه لفظ ((الوصية للوالدين والأقربين)) من قوله ﷺ : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾^(١٨٠) ، وقد أكد ذلك بما دل عليه قوله ((سَمِعَهُ)) فإنما تسمع الأقوال ، وقيل هي عائدة إلى الإيضاء المفهوم من قوله : ((الوصية)) أي كما يعود الضمير على المصدر المأخوذ من الفعل ؛ نحو : ((أعدلوا هو أقرب للتقوى)) من قوله ﷺ : ﴿ يَتَأَيُّهَا

^١ يُنظَر : الخصائص ٢ / ٤١٢ .

^٢ سورة البقرة / ١٨٠ - ١٨١ .

^٣ سورة البقرة / ١٨٠ .

الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَا
تَعَدَلُوا أَعَدَلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ،
ولك أن تجعل الضمير عائداً إلى ((المعروف)) من قوله ﷺ : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ
أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُنْفِقِينَ ﴾ (١٨٠)
، والمعنى فمن بدّل الوصية الواقعة بالمعروف؛ لأن الإثم في تبديل المعروف ، بدليل قوله ﷺ
: ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٨٢)
. ﴿

وقوله ﷺ : ﴿ فَلَمَّا رَأَى السَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ
يَنْقُومُ إِلَيَّ بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴾ (٧٨) فالإشارة بـ(هذا) إلى الشمس وهي مؤنثة - على
أشهر الأقوال - فحمل على المعنى أي : هذا الضياء ، قال ابن عاشور في قوله : (هَذَا رَبِّي)
: إنّه جاء به باسم الإشارة المذكّر مع أنّ الشمس تجري مجرى المؤنث ؛ لأنّه عدّها ربّاً ، فروعياً
في الإشارة معنى الخبر ، فكأنّه قال : هذا الجرم الذي تدعونه الشمس تبين أنّه هو ربّي . وقال
الزخشي : إنّ وجه التذكير في قوله : (هَذَا رَبِّي) والإشارة للشمس ؛ لأنّه جعل المبتدأ مثل الخبر
؛ لكونهما عبارة عن شيء واحد ، كقولهم : (ما جاءت حاجتك) ، و(من كانت أمك) ، و
كما في قوله ﷺ : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ (٢٣) ، وكان

١ سورة المائدة / ٨ .

٢ سورة البقرة / ١٨٠ .

٣ سورة البقرة / ١٨٢ .

٤ سورة الأنعام / ٧٨ .

٥ يُنظَر : التحرير والتنوير ٧ / ٣٢٢ .

٦ سورة الأنعام / ٢٣ .

اختيار هذه الطريقة واجباً لصيانة الربِّ عن شبهة التأنيث . واحتجَّ بقولهم في صفة الله (علام) ولم يقولوا (علامة) وإن كان العلامة أبلغ ، احترازاً من علامة التأنيث .^١

وحكي الأصمعي عن أبي عمرو أنَّه سمع رجلاً من أهل اليمن يقول : (فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها !) فقلت له : أتقول : جاءته كتابي ! فقال : نعم أليس بصحيفة ! قلت : فما اللغوب قال : الأحمق . وهذا في النثر كما ترى وقد علَّله . فنراه أعاد الضمير (ها) على الكتاب مُوجِّهاً به إلى معنى الصحيفة وهي مؤنث .^٢

والحمل على المعنى في القرآن الكريم لم يجيء ابتداءً إلا في مواضع قليلة جداً ، والأصل في القرآن أن يأتي الحمل على المعنى بعد الحمل على اللفظ ، فإذا اجتمع الحملان بدئ بالحمل على اللفظ ، ثمَّ بالحمل على المعنى ، وهذا هو الشائع المستفيض في القرآن . قال ابن جني : العرب إذا حملت على المعنى لم تكدر تراجع اللفظ ، فإذا كان قد انصرف عن اللفظ إلى غيره ضعفت معاودته إياه ، لأنَّه انتكاث وتراجع ، فجرى ذلك مجرى إدغام الملحق وتوكيد ما حذف . وقال الرضي : تقديم^٣ مراعاة المعنى على اللفظ يجوز على ضعف . وقال مكِّي وعلم الدين العراقي : ليس في القرآن آية حمل فيها على اللفظ بعد الحمل على المعنى إلا في قوله ﷻ :

﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَيْنَا آزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مِّمَّةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾

، وقال أبوحيان : التاء في (خالصة) للمبالغة ، أو هي مصدر ، فلم يبدأ بمراعاة المعنى . ولو قدر متعلق الظرف (استقر) كان حملاً على المعنى بعد الحمل على اللفظ .^٤

^١ يُنظَر : الكشَّاف ٢ / ٤٠ .

^٢ يُنظَر : الخصائص ٢ / ٤١٨ .

^٣ يُنظَر : الخصائص ٢ / ٤٢٠-٤٢١ .

^٤ يُنظَر : شرح الكافية، للرُّضي ٣ / ٥٨ .

^٥ سورة الأنعام / ١٣٩ .

^٦ يُنظَر : البحر ٤ / ٢٣٢ .

ولكثره الحمل على اللفظ أولاً في القرآن روعي الحمل على المعنى بعد ذكر آيات كثيرة في بعض المواضع ، وجاء الحمل على اللفظ ، ثم الحمل على المعنى في جملة واحدة هي جملة الصلة في : ((وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا)) من قوله ﷺ : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا

بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ ، فقد قال ابن عاشور^١ : وإنما جاء بـ (هُودًا) جمعاً مع أنه خبر عن ضميره (كان) وهو مفرد ؛ لأنَّ (من) مفرداً لفظاً ومراد به الجماعة ، فجري ضميره على مراعاة لفظه ، وجري خبراً وضميراً على مراعاة المعنى . وكذا في قراءة الحسن^٣ من قوله ﷺ : ﴿ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ، بعد قوله ﷺ : ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١١١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١١٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ .

وجاء الحمل على اللفظ والمعنى في كلمة واحدة هي (ظُهُورِهِ) من قوله ﷺ : ﴿ لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١١٣﴾ ، قال ابن عاشور^٢ : فضمير (ظُهُورِهِ) عائد إلى (ما) الموصولة الصادق بالفلك والأنعام كما هو قضية البيان ، حيث إنَّ السفائن العظيمة تكون لها ظهور، وهي أعاليها المعجولة كالسطوح لتقي الركاب من المطر وشدة الحر والقر . ولذلك فجمع

١ سورة البقرة / ١١١ . يُنظَر : البحر / ١ / ٣٥٠ .

٢ والهود جمع هائد أي متبع اليهودية ، وجمع فاعل على فعل غير كثير وهو سماعي منه قولهم : عوذ جمع عائد، وهي الحديثة النتاج من الظباء والخيل والإبل ، ومنه أيضاً عائط وعوط للمرأة التي بقيت سنين لم تلد ، وحائل وحول، وبازل وبزل

. التحرير والتنوير / ١ / ٦٧٣ .

٣ يُنظَر : التحرير والتنوير / ١ / ٦٧٣ .

٤ سورة الصافات / ١٦٣ .

٥ سورة الصافات / ١٦١ - ١٦٣ .

٦ سورة الزخرف / ١٣ .

الظهور من جمع المشترك والتعددية بحرف على بنيت على أن للسفينة ظهراً ، قال ﷺ : ﴿ فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَجَّئَنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

وجاء في القرآن الحمل على اللفظ ، ثم الحمل على المعنى ، ثم الحمل على اللفظ . في آيات . وقال أبو حيان : لم يجيء في القرآن منه سوى آيتين . وهذا الحصر ليس بصحيح . وجاء في القرآن أيضاً الحمل على اللفظ ثم الحمل على المعنى ، ثم الحمل على اللفظ ، ثم الحمل على المعنى .

والذي جاء بكثرة في القرآن الحمل على اللفظ . قال ابن جني : الحمل على اللفظ أقوى ، وقال الرضي : ((فمراعاة اللفظ فيما يعبر به عنهما من الضمير والإشارة ونحوهما أكثر وأغلب ، وإنما كان كذلك ؛ لأن اللفظ أقرب إلى تلك العبارة المحمولة عليهما من المعنى ، إذ هو وصلة إلى المعنى)) .

مراعاة المعنى ابتداء :

جاءت مراعاة المعنى ابتداء في مواضع محدّدة في القرآن ، وهي على النحو الآتي :

١ . قوله ﷺ : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴾ .

٤٢ ﴿ . فالضمير في (يستمعون) عائد على معنى (من) والعود على المعنى دون العود على اللفظ في الكثرة ، وقد نقل ابن عاشور : عن الشيخ ابن عرفة سؤالاً عن وجه التفرقة بين قوله : (من يستمعون) ، وقوله : (من ينظر) إذ جيء بضمير الجمع في الأوّل وبضمير المفرد في الثاني . وأنه أجاب عنه بأن الإسماع يكون من الجهات كلّها ، وأمّا النظر فإنما يكون من الجهة المقابلة . وعلّق عليه بأنّه جواب غير واضح ؛ لأنّ تعدّد الجهات الصالحة لأحد الفعلين لا يؤثر إذا كان

١ سورة المؤمنون / ٢٨ . يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٥ / ١٧٤ .

٢ يُنظَر : الخصائص ٣ / ٣١٤ .

٣ يُنظَر : شرح الكافية ، للرّضي ٣ / ٥٦ .

٤ سورة يونس / ٤٢ .

المستمعون والناظرون متَّحدين ، ولأنَّ الجمع والإفراد هنا سواء ، لأنَّ مفاد (مَنْ) الموصولة فيهما هو من يصدر منهم الفعل وهم عدد وليس الناظر شخصاً واحداً .^١

٢ . قوله ﷻ : ﴿ وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَغْوُصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ ^ط

وَكُنَالَهُمْ حَفِظِينَ ﴾ ^{٨٢} ، قال أبو حيَّان : والظاهر أنَّ (مَنْ) موصولة ، وذكر عن أبي

البقاء : هي نكرة موصوفة ، وجمع الضمير في (يَغْوُصُونَ) حملاً على معنى (مَنْ) ، وحسن ذلك تقدّم جمع قبله ، كما قال :

وَأَنَّ مِنَ النِّسْوَانِ مَنْ هِيَ رَوْضَةٌ تَهْبِجُ الرِّيَاضُ قَبْلَهَا وَتَصُوعُخُ^٢

وقال : لما تقدّم لفظ (النسوان) حمل على معنى (مَنْ) فأثت ولم يقل : من هو روضة .

وقال أبو حيَّان : إذا كانت موصوفة ، فليس في محفوظي من كلام العرب مراعاة المعنى فيها .

٣ . قوله ﷻ : ﴿ يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَعَّفَ لَهَا

الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ^٣ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ ^{٢٠} ، فقد ذكر ابن عاشور في (يَأْتِ)

قراءتين : القراءة الأولى (مَنْ يَأْتِ) بتحتية في أوّله ، نسبها إلى الجمهور ، وعدّ مجيء هذه القراءة

بالياء مراعاة لمدلول (مَنْ) الشرطية ؛ لأنّ مدلولها شيء فأصله عدم التأنيث . والقراءة الثانية :

(مَنْ تَأْتِ) بفوقية في أوّله ، ونسبها إلى يعقوب ، وعدّ مجيء هذه القراءة بالتاء مراعاة لما صدق

٧

(مَنْ) أي : إحدى النساء .

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ١١/١٧٩ ، والخصائص ٢/٤٢١ ، والبحر ٥/٦١ ، والتبيان في إعراب القرآن ٢/١٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٤/٣١٨٥ .

^٢ سورة الأنبياء / ٨٢ .

^٣ البيت من بحر الطويل لم أعرف قائله . يُنظَر : البحر المحيط ٦/٣٣٣ ، وشرح التصريح ١/١٤٠ ، وحاشية الصبَّان شرح

الأشموني ١/١٥٣ ، واللباب في علوم الكتاب ١٣/٥٦٣ .

^٤ يُنظَر : البحر ٦ / ٣٣٣ .

^٥ يُنظَر : البحر ١ / ٣٥٩ .

^٦ سورة الأحزاب / ٣٠ .

^٧ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢١ / ٣١٨ .

وذكر ابن عاشور أيضاً في الآية التي تليها : ﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ ﴿٣١﴾ في قراءة ((يَقْنُتْ)) قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة ((يَقْنُتْ)) بتحتية في أوله ، ونسبها إلى الجمهور، وقرأها بالياء

مراعاة لمدلول (مَنْ) الشرطية كما تقدم في الآية السابقة ((مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ)) .

القراءة الثانية: قراءة ((تُقْنُتْ)) بفوقية في أوله، ونسبها إلى يعقوب، وقرأها بالتاء مراعاة

لما صدق (مَنْ)، أي إحدى النساء، كما تقدم في الآية السابقة ((مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ)) . وضمير

(أجرها) عائد إلى (مَنْ) باعتبار أنها صادقة على واحدة من نساء النبي ﷺ .

وقال ابن جني: ومن ذلك قراءة عمرو بن فائد الأسواري، ورويت عن يعقوب:

((يُنْسَاءُ النَّبِيِّ مَنْ تَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ)) بالتاء . وهذا حمل على المعنى، كأن

(مَنْ) هنا امرأة في المعنى ، فكأنه قال : أية امرأة أتت منكن بفاحشة ، أو تأت بفاحشة، وهو

كثير في الكلام ، معناه للبيان كقوله ﷺ : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ

كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٤٢﴾ .

وذكر أيضاً في قراءة ((وَتَعْمَلْ)) قراءتين :

١ سورة الأحزاب / ٣١ .

٢ سورة الأحزاب / من الآية ٣٠ .

٣ سورة الأحزاب / من الآية ٣٠ .

٤ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ٢١ / ٣١٨ ، ٢٢ / ٥ - ٦ .

٥ سورة الأحزاب / من آية ٣٠ .

٦ يُنْظَرُ : المحتسب ٢ / ١٧٩ - ١٨٠ .

٧ سورة يونس / ٤٢ .

القراءة الأولى : قراءة ((وَتَعْمَلُ)) بالتاء الفوقية ، ونسبها إلى الجمهور، على اعتبار معنى (مَنْ) الموصولة المراد بها إحدى النساء ، وحسنه أنه معطوف على فعل ((يَفْعَلُ)) بعد أن تعلق به الضمير المجرور وهو ضمير نسوة .

والقراءة الثانية : قراءة ((وَيَعْمَلُ)) بالتحتيّة ، ونسبها إلى حمزة والكسائي وخلف، وقرأت بالياء مراعاة لمدلول (مَنْ) في أصل الوضع .
وقول الفرزدق :

تَعَشَّ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تُخَوِّنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذِيبُ يَصْطَحِبَانِ
أي مثل اللذين يصطحبان ، أو مثل اثنين يصطحبان ، وأن يكون على الصلة أولى من أن يكون على الصفة، فكأنَّ الموضوع في هذا الحمل على المعنى إنما بابه الصلة، ثمَّ شَبَّهتْ بِهَا الصفة، ثمَّ شَبَّهتْ الْحَالِ بِالصِّفَةِ، ثمَّ شَبَّهَ الْخَبْرَ بِالْحَالِ ، كذا ينبغي أن يرتب هذا الباب من تنزيل، ولا ينبغي أن يؤخذ بابًا سرِّدًا وطَرَحًا واحدًا ؛ وذلك أنَّ الصلة أذهب في باب التخصيص من الصفة لإبهام الموصول ، فلمَّا قويت الحاجة إلى البيان في الصلة جاء ضميرها من الصلة على معناها، لأنَّه أشدَّ إفصاحًا بالعرض ، وأذهب في البيان المعتمد .

٤ . قوله ﷺ : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ ، قال أبوحيان : الظاهر أنَّ فاعل (زَكَّى) و (دَسَّ) ضمير يعود على (مَنْ) ، ونسبه إلى الحسن وغيره . وأنَّه يجوز أن يكون ضمير الله تعالى ، وعاد الضمير إلى (مَنْ) مؤنثًا باعتبار المعنى (معنى نفس) من مراعاة التأنيث ، واستدلَّ على ذلك بأنَّ رسول الله ﷺ ، كان إذا قرأ هذه الآية قال : ((اللهم آتِ نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها)).

١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٢٢ / ٦ .

٢ روي (واثقتني) مكان (عاهدتني)، ورويت (ياذنّب) بالهمز . يُنظَرُ : الديوان / ٨٧٠ ، والكتاب ٤٠٤ / ١ ، وأمالي الشجري ٣١١ / ٢ ، والخصائص ٤٢٢ / ٢ ، و الدرر اللوامع ٦٥ / ١ ، والمحتسب ١٤٥ / ٢ ، ١٧٩ ، والدُّرُّ المصون ٣ / ١١٩ .

٣ يُنظَرُ : المحتسب ٢ / ١٨٠ ، والبحر المحيط ٧ / ٢٢٧ - ٢٢٨ .

٤ سورة الشمس / ٩ - ١٠ .

٥ يُنظَرُ : البحر ٨ / ٤٨١ ، والكشاف ٤ / ٢١٦ ، و الجامع لأحكام القرآن ٨ / ٧١٦٧ .

٥. قوله ﷺ: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ٢ ، فُرِيءَ : ((فَلَا مُرْسِلَ لَهَا)) بالعود على معنى (ما) كقوله : ((فَلَا مُمْسِكَ لَهَا)) . قال ابن عاشور: إنَّ تذكير الضمير في قوله : ((فَلَا مُرْسِلَ لَهُ)) جاء مراعاة للفظ ((ما)) ؛ لأنها لا بيان لها، وأنَّ تأنيثه في قوله : ((فَلَا مُمْسِكَ لَهَا)) جاء لِمراعاة بيان ((ما)) في قوله: ((من رحمة)) ؛ لقربه ، وضمير ((لها)) ، وضمير ((له)) عائدان إلى ((ما)) من قوله : ((مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ)) ، وأنه قد رُوِيَ في تأنيث أحد الضميرين معنى ((ما)) فإنه اسم صادق على ((رحمة)) وقد بُيِّنَ بها، ورُوِيَ في تذكير الضمير الآخر لفظ ((ما)) لأنه لفظ لا علامة تأنيث فيه . وهما اعتباران كثيران في مثله في فصيح الكلام ، فالمتكلم بالخيار بين أيِّ الاعتبارين شاء . وأنَّ الجمع بينهما في هذه الآية تفنُّن . وأوثر بالتأنيث ضمير ((ما)) ؛ لأنها مبيَّنة بلفظ مؤنث وهو ((من رحمة)) .

٦. قوله ﷺ: ﴿ وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾

٤ . إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ ٣٤ ، قرأ زيد بن علي : (تئلى) بالتاء .

٧. قوله ﷺ: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ

٦ . وَيُخْرِجِي الْفَاسِقِينَ ﴾ ٥ . حيث راعى معنى ((مَا)) في ((تَرَكْتُمُوهَا ، أُصُولِهَا)) .

١ سورة فاطر / ٢ .

٢ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ١١ / ٤٣٦ ، والبحر المحيط ٧ / ٢٩٩ .

٣ سورة الأحزاب / ٣٤ .

٤ يُنْظَرُ : البحر المحيط ٧ / ٢٣٢ .

٥ سورة الحشر / ٥ .

٦ يُنْظَرُ : البحر المحيط ٨ / ٢٤٤ .

٨. ومن مراعاة المعنى ابتداء قوله ﷻ : ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِيٌّ وَمَن يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ١٧٨ ، وقوله ﷻ : ﴿ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِيٌّ وَمَن يُضِلِّ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ ، وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَمِيًَّا وَبُكَامًا وَصُمًّا مَّا وَنَهُم جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ ١٧٧ ؛ لأنَّ ((مَن)) مفعول به في الآيتين . قال ابن عاشور: وجمع الوصف في الثاني مراعاة لمعنى (مَن) الشرطية ، وإثما روعي معنى (مَن) الثانية دون الأولى ؛ لرعاية الفاصلة ، ولتبين أن المراد بـ (مَن) الأولى مفرداً .

٣

١ سورة الأعراف / ١٧٨ .

٢ سورة الإسراء / ٩٧ .

٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ٩ / ١٨١ .

الحمل على المعنى جاء في القرآن الكريم، على عدّة أوجه ؛ منها :

التضمين ، وتذكير المؤنث وتأنيث المذكر، وحمل الواحد على الجماعة، واتصال الفعل بحرف ليس ممّا يتعدّى به. وسوف نعرض لظاهرة الحمل على المعنى في القراءات القرآنيّة التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره، على النحو الآتي :

الأوّل : التضمين

ومن الحمل على المعنى في القراءات القرآنيّة التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره التضمين ، وقد جاء ذلك :

١. في ((يَذْهَبُ)) من قوله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ ، وقد ذكر ابن عاشور قراءة ((يَذْهَبُ)) قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة فتح التحتية وفتح الهاء ((يَذْهَبُ)) ، ونسبها إلى الجمهور ، وذكر أنّ الباء للتعدية ، أي يذهب الأبصار .

القراءة الثانية : قراءة ضم التحتية وكسر الهاء ((يُذْهَبُ)) من (أذْهَبَ) ، ونسبها إلى أبي جعفر وحده ، وهي قراءة أيضاً للجحدري ، وشيبة ، ومجاهد ، وعدّ الباء هنا مزيدة للتأكيد اللصوق ، مثل ((وامسحوا برؤوسكم)) من قوله ﷻ : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ

١ سورة النور / ٤٣ .

٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٨ / ٢٦٣ ، وجامع البيان ١٨ / ١١٩ ، وإتحاف فضلاء البشر ٣٢٥ / ٣٢٥ ، ومعاني القرآن، للفراء ٢ / ٢٥٧ ، والمحتسب ٢ / ١١٤ ، والكشّاف ٢ / ٣٩١ ، ومشكل إعراب القرآن ٢ / ١٢٤ ، وإعراب القرآن، للنحاس ٢ / ٤٤٨ .

٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٨ / ٢٦٣ ، وجامع البيان ١٨ / ١١٩ ، وإتحاف فضلاء البشر ٣٢٥ / ٣٢٥ ، والبحر المحييط ٦ / ٤٢٧ ، ومعاني القرآن، للفراء ٢ / ٢٥٧ ، والمحتسب ٢ / ١١٤ ، والكشّاف ٢ / ٣٩١ ، والمحرّر الوجيز ١٠ / ٥٣٠ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٤ / ٥٠ ، ومشكل إعراب القرآن ٢ / ١٢٤ ، وإعراب القرآن، للنحاس ٢ / ٤٤٨ ، ومعالم التنزيل ٦ / ٥٤ .

إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ
إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ
مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ
وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ

وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ، وحمل هنا على معنى (يلوي ،
أو يستأثر) ، أي : تضمينه معنى ذلك ؛ كآته قال : يكاد سنا برقه يلوي بالأبصار أو يستأثر
بالأبصار ، ولذا صحَّت تعديّة (يذهب) بالباء ، وذهب المبرد إلى أنّ الباء هنا متعلّقة بالمصدر
إذ كان الفعل دالاً عليه ، ومأخوذاً منه ، فعلى هذا يكون التقدير : ذهابه بالأبصار أو إذهابه
، وخطأ الأخصش ، وأبو حاتم أبا جعفر في هذه القراءة ، زاعمين أنّ الباء لا تعاقب الهمزة ،
وكذا الطبري : يرى أنّ القراءة التي لا يختار غيرها هي قراءة الفتح (يذهب) ، محتجاً بإجماع
الحجة من القراء عليها ، وأنّ العرب إذا أدخلت الباء في مفعول (ذَهَبْتُ) ، لم يقولوا إلاّ :
ذَهَبْتُ بِهِ) ، دون (أَذْهَبْتُ بِهِ) ، وإذا أدخلوا الألف في (أَذْهَبْتُ) لم يكادوا أن يدخلوا الباء
في مفعوله ، فيقولون : (أَذْهَبْتُهُ ، وَ ذَهَبْتُ بِهِ) ، وردّ على هذا الزعم أبو حيّان قائلاً : إنّ هذا
الرد ليس بصائب ؛ لأنّه لم يكن أبو جعفر ليقراً إلاّ بما روي ، وأنّه قد أخذ القراءة عن سادات
التابعين الآخذين عن جلة الصحابة أبيّ وغيره ، وأنّه لم ينفرد بها أبو جعفر ، بل قرأه شعبة كذلك
، وحجج ذلك على زيادة الباء ، أي يذهب الأبصار . وعلى أن الباء بمعنى (مِنْ) ، وأنّ
المفعول محذوف تقديره : (يُذْهِبُ النُّورَ مِنَ الْأَبْصَارِ) ، كما قال :

فَلَتَمُتْ فَاهَا أَخِذَا بَقْرُونَهَا شُرْبَ النَّزِيفِ بَرْدِ مَاءِ الْحَشْرِجِ

^١ يُنْظَرُ : سورة المائدة / ٦ .

^٢ يُنْظَرُ : إعراب القرآن للنحاس ٣ / ١٤٣ .

^٣ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ١٨ / ٢٦٣ ، والبحر المحيط ٦ / ٤٢٧ ، والمحتسب ٢ / ١١٥ ، وجامع البيان ١٩ / ٢٠٣ .

^٤ البيت من بحر الكامل ، قاله عمر بن ربيعة ، وقيل لجميل بن معمر . وقد جاءت الباء هنا بمعنى (من) . يُنْظَرُ : ديوان عمر
بن أبي ربيعة / ٤٨٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١١ / ٤٧ ، ١٥ / ٧٨ ، والكامل ١ / ٣٨٢ ، ولسان العرب (حشرج) ،

وقال ابن عطية في قراءة أبي جعفر ((يذهب)) : إتها من (أذهب) ، كأنَّ التقدير :
 ((يُذْهِبُ النَّفُوسَ بِالْأَبْصَارِ)) ، نحو قوله : ((يُنْبِتُ بِالذَّهْنِ)) من قوله ﷺ : ﴿ وَشَجَرَةٌ
 تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبِتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٌ لِّلْأَكْلِينَ ﴾ ٢٠ ، ويحتمل أن يكون مثل قوله : ((
 ومن يرد فيه بإلحاد بظلم)) من قوله ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ
 وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ
 يُظَلِّمِ نَفْسَهُ مِن عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ ٢٥ ، فالباء زائدة دالة على فعل يناسبها . والرأي الراجح في ^٣
 هذه القراءة القول بالتضمنين ، لما سبق .

وقال ابن عاشور : في قوله : ((يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ)) من قوله ﷺ : ﴿
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَّتِهِ وَيُنزِلُ مِنَ
 السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ
 بِالْأَبْصَرِ ﴾ ٤٣ ، إنه كقوله : ((يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ)) من قوله ﷺ : ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ
 يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ

والكشف والبيان ١٤٤/٨ ، والمحزَّر الوجيز ٥٦٨/٣ ، ٥٤٢/٤ ، ٢١٩/٥ ، والبحر المحيط ٤٢٧/٦ ، والكشف والبيان
 ١٨٩١/١ ، وتفسير السمعاني ٣٤٧/٥ ، والنشر في القراءات العشر ٣٧٢/٢ ، وإعراب القرآن وبيانه ٢٢٣/٢ ،
 ٤١٨ ، والحماسة البصرية ١٥٣/١ ، والحيوان ١٨٣/٦ ، والكمال في اللغة والأدب ١ / ٧٧ ، والاشتقاق / ٣٩١ ،
 والصَّحاح / ١٣٠ ، ١٣٢/٢ ، والعباب الزاخر ١٩/٢ ، وروح المعاني ١٨ / ١٩٢ ، ومغني اللبيب ١٠٥/١ ،
 والمقاصد النحويَّة ٢٧٩/٣ ، وشرح شواهد المغني ٤٢٠/١ ، وجمع الهوامع ٢١/٢ ، و الدرر اللوامع ١٤/٢ ، وأضواء
 البيان ١٧٥/٦ ، والتحرير والتنوير ١٩/١٦ ، وفتح القدير ٣٦٣/٣ ، ٤٥١/٤ .

١ سورة المؤمنون / ٢٠ .

٢ سورة الحج / ٢٥ .

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٨ / ٢٦٣ ، والبحر المحيط ٦ / ٤٢٧ ، والمحتسب ٢ / ١١٥ ، والمحزَّر الوجيز ٤٢٣/٤ ،
 وإرشاد العقل السليم ٦ / ١٨٥ ، والقراءات في المعاجم اللغويَّة / ٤٤٩ .

٤ سورة النور / ٤٣ .

وَأَبْصَرِهِمْ بِتِلْكَ آيَةِ اللَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ، غير أن هذه الآية زيد فيها لفظ (سنا)؛ لأن هذه الآية واردة في مقام الاعتبار بتكوين السحاب ، وإنزال الغيث ، فكان المقام مقتضياً للتنويه بهذا البرق ، وشدة ضيائه حتى يكون الاعتبار بأمرين : بتكوين البرق في السحاب . وبقوة ضيائه حتى يكاد يذهب بالأبصار . وآية البقرة واردة في مقام التهديد والتشويه لحالم حين كانوا مظهرين الإسلام ومنطوين على الكفر والجحود فكانت حالهم كحالة الغيث المشتمل على صواعق ورعد وبرق ، فإن في ظاهره منفعة وفي باطنه قوارع ومصائب .

وذكر أنه في اختلاف المقامين وضع التعبير هنا بـ (يذهب بالأبصار) ، وهنالك بقوله : (يخطف أبصارهم)؛ لأن في الخطف من معنى النكاية بهم والتسلط عليهم ما ليس في (يذهب) إذ هو مجرد الاستلاب .

عدّ التعبير هنا بـ (الأبصار) معروفاً باللام؛ لأن المقصود أن البرق مقارب أن يزيل طائفة

من جنس الأبصار إذ اللام هنا لام الحقيقة، كما في قوله : ((أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ)) من قوله

﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾

﴿١٣﴾ ، وقولهم: ادخل السوق؛ لأن الحكم على حالة البرق الشديد من حيث هي . بخلاف

آية البقرة ، فإنها في مقام التوبيخ لهم بأن ما شأنه أن ينتفع الناس به قد أشرف على الضرر بهم

فلذلك ذكر لفظ أبصار مضافاً إلى ضميرهم مع ما في هذا التخالف من تفنين الكلام الواحد

على أفانين مختلفة حتى لا يكون الكلام معاداً وإن كان المعنى متحداً، ولا تجد حق الإيجاز فائتاً

فإن هذين الكلامين في حدّ التساوي في الحروف والنطق . وهكذا نرى بلاغة القرآن وإعجازه

٣

وحلاوة نظمه .

١ سورة البقرة / ٢٠ .

٢ سورة يوسف / ١٣ .

٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ١٨ / ٢٦٣ .

٢. في ((عَرَفَ)) من قوله ﷺ : ﴿ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ

بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ، قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي

الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور^١ في قراءة ((عَرَفَ)) قراءتين :

٢ القراءة الأولى : قراءة تشديد الراء ((عَرَفَ)) ، ونسبها إلى الجمهور ، بمعنى : عَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ حفصة بعض ذلك الحديث وأخبرها به . وذكر أنَّ مفعول ((عَرَفَ)) الأول محذوف لدلالة الكلام عليه ، أي عرفها بعضه ، أي بعض ما أطلع الله عليه ، وأعرض عن تعريفها ببعضه .

٣ القراءة الثانية : قراءة تخفيف الراء ((عَرَفَ)) ، ونسبها إلى الكسائي، وهي قراءة أيضاً للحسن البصري^٢ ، وأبي عبد الرحمن السلمي ، وقتادة ، وطلحة بن مصرف ، وعلي بن أبي طالب ، والكلبي ، والأعشى عن أبي بكر عن عاصم ، وأبي عمرو في رواية هارون عنه ، أي : أقرَّ ببعضه ، وأعرض عن بعض ، وعدَّ ذلك كناية عن المجازاة ، أي ضمَّن ((عَرَفَ)) معنى (جازى) ، لأنه على هذه القراءة لا يحتمل معنى العلم ؛ لأنَّ العلم تعلَّق به كَلِّه بدليل قوله تعالى : ((أظهره الله عليه)) مع أنَّ الإعراض عن الباقي يدلُّ على العلم ، فتعيَّن أن يكون بمعنى المجازاة ، فعَرَفَ لحفصة بعض ذلك الفعل الذي فعلته من إفشائها سرِّه ، وقد استكتمها إياه : أي غضب

^١ سورة التحريم / ٣ .

^٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ٣٥٣/٢٨ ، وجامع البيان ٢٣ / ٤٨٢ ، وزاد المسير ٨ / ٣٠٩ ، والبحر المحيط ٨ / ٢٨٦ ، وحرَّجَةُ القراءات / ٧١٣ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢ / ٣٢٥ ، والكشَّاف ٣ / ٢٤٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨ / ١٨٧ ، ومعاني القرآن ، للفرَّاء ٣ / ١٦٦ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٥ / ١٩٢ ، والنشر ٢ / ٣٨٨ ، وروح المعاني ٢٨ / ١٥٠ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢ / ٣٧٥ ، والتذكرة في القراءات الثمان ٥٩٢ ، وإتحاف فضلاء البشر ٤١٩ / ٢ ، ومشكل إعراب القرآن ٢ / ٣٨٨ ، وحرَّجَةُ القراءات / ٣٤٨ ، شرح الشاطبيَّة / ٢٩٤ .

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ٣٥٣/٢٨ ، وجامع البيان ٢٣ / ٤٨٢ .

^٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ٣٥٣/٢٨ ، وجامع البيان ٢٣ / ٤٨٢ ، وزاد المسير ٨ / ٣٠٩ ، والبحر المحيط ٨ / ٢٨٦ ، وحرَّجَةُ القراءات / ٧١٣ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢ / ٣٢٥ ، والكشَّاف ٣ / ٢٤٦ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨ / ١٨٧ ، ومعاني القرآن ، للفرَّاء ٣ / ١٦٦ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٥ / ١٩٢ ، والنشر ٢ / ٣٨٨ ، وروح المعاني ٢٨ / ١٥٠ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢ / ٣٧٥ ، والتذكرة في القراءات الثمان ٥٩٢ ، وإتحاف فضلاء البشر ٤١٩ / ٢ ، ومشكل إعراب القرآن ٢ / ٣٨٨ ، والحجة في القراءات السبع / ٣٤٨ ، شرح الشاطبيَّة / ٢٩٤ .

من ذلك عليها عن بعضه الذي أفشته باللوم، أو بالطلاق على رواية أن رسول الله ﷺ طلق حفصة، فأمره الله أن يراجعها، وقال مقاتل بن حيان لم يطلقها وإنما هم بطلاقها، فقال له جبريل عليه السلام لا تطلقها فإنها صوامة قوامه، والصحيح أنه عاتبها ولم يطلقها، وقد يُكْتَى عن التوعّد بفعل العلم. ونحوه كقوله تعالى: ((**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ**)) من قوله ﷺ: ﴿

أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي

أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿١٣﴾ . وقول العرب للمسيء: لأعرفن لك يا فلان ما فعلت، بمعنى: لأجازينك عليه. وقولك: لقد عرفت ما صنعت .^٢

وذكر ابن الجوزي عن الزجاج (عَرَفَ) بالتخفيف أنه بمعنى: قد عرف كل ما أسره،

غير أن المعنى جاري على بعضه، كـ ((**وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ**)) من قوله ﷺ: ﴿

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ

وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى ^٣ وَأَتَّقُوا يَتَأُولَى

الْأَلْبَبِ ﴿١٩٧﴾ ، أي يعلمه ويجازي عليه ، وكذلك قوله ﷺ: ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ**

ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، ﴿٧﴾ ، أي: ير جزاءه . فقيل إن النبي ﷺ طلق حفصة تطليقة فكان

ذلك جزاءها عنده فأمره الله أن يراجعها وقال مقاتل بن حيان: لم يطلقها وإنما هم بطلاقها فقال له جبريل: لا تطلقها فإنها صوامة قوامه ، وقال الحسن: ما استقصى كريم قط ثم قرأ عرف .

^١ سور النساء / ٦٣ .

^٢ يُنْظَرُ : التحرير والتنوير ٣٥٣/٢٨ ، وجامع البيان ٢٣ / ٤٨٢ ، وزاد المسير ٨ / ٣٠٩ ، والبحر المحيط ٨ / ٢٨٦ ، وروح المعاني ٢٨ / ١٥٠ .

^٣ سورة البقرة / ١٩٧ .

^٤ سورة الزلزلة / ٧ .

^٥ يُنْظَرُ : زاد المسير ٨ / ٣٠٩ .

وقد رجَّح الطبري قراءة التشديد ((عَرَّفَ)) على قراءة التخفيف (عَرَفَ) كعادته في التفاضل بين القراءات القرآنيَّة ، كونها بمعنى : عَرَّفَ النبي ﷺ حفصة ، يعني ما أظهره الله عليه من حديثها صاحبته ، ولإجماع الحجَّة من القراء عليه . وردَّ أبو عبيد قراءة التخفيف (عَرَفَ) ردّاً شنيعاً ، حيث قال : لو كان كذا لكان عرف بعضه وأنكر بعضاً . وردَّ عليه النخَّاس ، حيث قال : وهذا الرد لا يلزم ، والقراءة معروفة عن جماعة منهم أبو عبد الرحمن السلمي . وهذا الذي أراه .

وهناك قراءة ثالثة : لم يذكرها ابن عاشور كعادته في التعامل مع القراءات الشاذَّة ، وهي قراءة الإشباع بألف بعد الراء ((عراف)) ، قرأها ابن المسيب وعكرمة . وقال ابن خالويه: يقال إنَّها لغة يمانية ، ومثالها قوله : أعوذ بالله من العقراب ، الشائلات عقد الأذنان ، يريد: من العقرب .

^١ يُنظَر : جامع البيان ٢٣ / ٤٨٢ ، وإعراب القرآن ، للنخَّاس ٤ / ٤٦١ .

^٢ يُنظَر : البحر المحيط ٨ / ٢٨٦ .

الثاني : تذكير المؤنث، وتأنيث المذكر

ومن الحمل على المعنى في القراءات القرآنية التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره تذكير المؤنث، وتأنيث المذكر :

١. تذكير المؤنث : ومن الحمل على المعنى في القراءات القرآنية التي ذكرها ابن

عاشور في تفسيره تذكير المؤنث في ((هَذَا رَبِّي)) من قوله ﷻ : ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً

قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْقُومُ إِنِّي بِرِئِئِمَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴿

، أي هذا الشخص أو هذا المرئي ونحوه، وقد سبق الحديث عنه. وكذلك في ((فَمَنْ جَاءَهُ

مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ)) من قوله ﷻ : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي

يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ

الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ

أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧٥﴾ ؛ لأنَّ الموعظة والوعظ واحد، فقد راعى في ذلك

المعنى وقالوا في: ((إِنْ رَحِمْتَ اللَّهُ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ))، من قوله ﷻ : ﴿ وَلَا

نَفْسٍ دَاوَا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادَّعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنْ رَحِمْتَ اللَّهُ قَرِيبٌ مِنَ

الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴿ ، قال ابن عاشور في عدم لحاق علامة التأنيث لوصف (قَرِيبٌ) مع

أنَّ موصوفه مؤنث اللفظ ، إنَّ علماء العربية وجَّهوه بأوجه كثيرة، وأنَّ جلَّها يحوم حول تأويل

الاسم المؤنث بما يرادفه من اسم مذكر ، أو الاعتذار بأنَّ بعض الموصوف به غير حقيقي التأنيث

كما هنا ، وأنَّ أحسنها عنده قول الفراء وأبي عبيدة: أنَّ قريبا أو بعيداً إذا أطلق على قرابة

١ سورة الأنعام / ٧٨ .

٢ سورة البقرة / ٢٧٥ .

٣ سورة الأعراف / ٥٦ .

التَّسْبِ أَوْ بَعْدَ التَّسْبِ فَهُوَ مَعَ الْمُؤْتَّ بِنَاءٍ وَلَا بُدَّ، وَإِذَا أُطْلِقَ عَلَى قُرْبِ الْمَسَافَةِ أَوْ بَعْدَهَا جَازَ فِيهِ مِطَابَقَةٌ مُوصُوفَةٌ وَجَازَ فِيهِ التَّذْكِيرُ عَلَى التَّأْوِيلِ بِالْمَكَانِ، وَهُوَ الْأَكْثَرُ، ثُمَّ ذَكَرَ: ((وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ)) مِنْ قَوْلِهِ اللَّهُ ﷻ: ﴿ مُسْوَمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ۝۸۳ ﴾ ، و ((وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا)) مِنْ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۝۶۳ ﴾ ، وَأَنَّهُ لِمَا كَانَ إِطْلَاقُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى وَجْهِ الِاسْتِعَارَةِ مِنْ قُرْبِ الْمَسَافَةِ جَرَى عَلَى الشَّائِعِ فِي اسْتِعْمَالِهِ فِي الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةِ ، وَهَذَا مِنْ لَطِيفِ الْفُرُوقِ الْعَرَبِيَّةِ فِي اسْتِعْمَالِ الْمَشْتَرَكِ إِزَالَةً لِلإِبْهَامِ بِقَدْرِ الإِمْكَانِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ التَّذْكِيرُ هُنَا (إِنَّمَا هُوَ) لِأَجْلِ (فَعِيلٍ) عَلَى قَوْلِ جَرِيرٍ : نَصَبْنَ الْهَوَىٰ ثُمَّ ارْتَمَيْنَّ قُلُوبَنَا بِأَعْيُنٍ أَعْدَاءٍ وَهُنَّ صَدِيقٌ فَ (فَعِيلًا) إِذَا كَانَ بِمَعْنَى (مَفْعُولٍ) يَسْتَوِي فِيهِ الْمَذْكَرُ وَالْمُؤنَّثُ ، إِلاَّ إِذَا لَمْ تَجْرَ عَلَى صَاحِبِهَا .

٦

١ سورة هود / ٨٣ .

٢ سورة الأحزاب / ٦٣ .

٣ يُنظَرُ : التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ٨ / ١٧٧ ، الْكَشْفُافُ ٢ / ١٠٦ .

٤ وَرُويَ : (دَعْوَى) بَدَلًا عَنِ (نَصَبٍ) . يُنظَرُ : أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ (صَدَقَ) ١ / ٥٤١ .

٥ الْبَيْتُ مِنْ بَجْرِ الطَّوِيلِ يَرُوي لَجْرِيرٍ فِي دِيْوَانِهِ ٣٧٢ / ١٠٩ ، وَلِذِي الرِّمَّةِ فِي مَلْحَقِ دِيْوَانِهِ ١٨٩٣ .

يُنظَرُ : أَضْوَاءُ الْبَيَانِ ٢٣ / ٤٠ ، وَالْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ ١٣ / ١١٦ ، وَإِعْرَابُ الْقُرْآنِ لِلزَّجَاجِ ١٣٧ ،

وَالْحَمَاسَةُ الْبَصْرِيَّةُ ١٧٧ / ٢ ، وَالْأَغَانِي ٩ / ٢٠٨ ، وَالتَّذْكَرَةُ الْحَمْدُونِيَّةُ ٢ / ١٩٧ ، وَالتَّمَامُ فِي تَفْسِيرِ أَشْعَارِ هَذِيلِ ، ابْنِ

جَبِّي ٢٧ / ٥٦ ، وَخَزَانَةُ الْأَدَبِ ٥ / ٤١٢ ، وَالْخَصَائِصُ ٢ / ٤١٢ ، وَالصَّحَاحُ ١ / ٣٨٣ ، وَتَاجُ الْعُرُوسِ (

صَدَقَ) ، وَلسَانَ الْعَرَبِ (صَدَقَ) ١٠ / ١٩٣ ، وَشَرْحُ شَافِيَةِ ابْنِ الْحَاجِبِ ٢ / ١٤١ ، ٤ / ١٣٨ ، وَشَرْحُ شَوَاهِدِ

الإِيضَاحِ ، وَأَسَاسُ الْبَلَاغَةِ (صَدَقَ) ١ / ٥٤١ .

٦ يُنظَرُ : شَرْحُ شَافِيَةِ ابْنِ الْحَاجِبِ ٢ / ١٤١ .

ومن تذكير المؤنث : ((يَكُنْ)) من قوله ﷺ : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنِّي يَكُونُ لَهُ، وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١٠١) حيث وردت فيه

قراءتان الأولى : قراءة التأنيث بالتاء الفوقية ((تَكُنْ)) وقرأ بها الجمهور .

والقراءة الثانية : قراءة التذكير بالياء التحتية ((يَكُنْ))، وقرأ بها النخعي، فالفعل مسند

إلى ((صَاحِبَةٌ)) أيضاً كالقراءة المشهورة ، وإنما جاز التذكير هنا للفصل كقول جرير:

لَقَدْ وَلَدَ الْأَخْيَطُ لَأُمِّ سَؤُوءٍ عَلَى بَابِ اسْتِهَا صُلْبٌ وَشَامٌ

وقال ابن عطية: إِنَّ تذكيرَ كان وأخواتها مع تأنيث اسمها أسهل من ذلك في سائر الأفعال. قال أبو حيان: إِنَّه لا يعرف هذا عن النحويين ، وأنهم لم يُفَرِّقوا بين كان وغيرها. وأيد رأي أبي حيان السمين الحلبي، وقبله الفارسي وإن كان يقول بحرفية بعضها ك (ليس) فإنه لا يُجيز حذف التاء منها ، لو قلت : ((ليس هند قائمة)) لم يجوز .

وأما قول لجران العود :

أَلَا لَا يَعُورَنَّ أَمْرًا نَوْفَلِيَّةً عَلَى الرَّأْسِ بَعْدِي أَوْ تَرَائِبٍ وَضَحُحٌ

فليست النوفلية هنا امرأة وإنما هي مشطّة تعرف بالنوفلية فتذكير الفعل معها أحسن. وتذكير المؤنث واسع جداً لأنه رُدُّ فرع إلى أصل . لكن تأنيث المذكر أذهب في التناكر والإغراب .

١ سورة الأنعام / ١٠١ .

٢ يُنظَر : ديوانه ٢٨٣/٢ ، والمقتضب ١٤٥/٢ ، والإنصاف ١٧٥/١ ، وأمالي ابن الشجري ١٥٣/٣ ، والإملاء ٢٥٦/١ ، ولسان العرب (صلب) ١ / ٥٢٦ ، واللباب في علوم الكتاب ٣٤٠/٨ ، و الكشّاف ١٥١/٢ ، وخزانة الأدب ٣ / ٣١٤ ، و المقتضب / ٩٠ ، ٢٠٨ ، وجمهرة اللغة ١ / ٢٠٨ ، ٢٤٨/٢ ، والمفصل في صنعة الإعراب / ٣٤ ، وشرح الكافية، للرضي ٤ / ١٣٨ ، وشرح شافية ابن الحاجب ٤/٣٠٢ ، ولسان العرب (صلب) ١ / ٥٢٦ ، (أمم) ٢٢/١٢ ، وتاج العروس (صلب) ١/٦٦٥ ، والدُّرُّ المصون ٨٩/٥ .

٣ يُنظَر : الخصائص ٢ / ٤١٥ - ٤١٦ ، والبحر المحيط ٤ / ١٩٧ ، واللباب في علوم الكتاب ، والمحرّر الوجيز ٣٨٨/٢ ، والدُّرُّ المصون ٨٩/٥ .

٤ يُنظَر : الخصائص ٢ / ٤١٥ - ٤١٦ ، والمحتسب ٢ / ١١٢ ، والمخصّص ١ / ٣٢٤ .

٢. تَأْنِيثُ الْمَذْكَرِ : فمن تأنيث المذکر قراءة من قرأ ((تلتقطه بعضُ السيارة))، من

قوله ﷺ : ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا نَقْلُوا يُوسُفَ وَأَلْقَوْهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ ، وكقولهم : (ما جاءت حاجتك) ، وكقولهم: ذهبت بعض أصابعه. أثت ذلك لما كان بعضُ السيارة سياراً في المعنى ، وبعض الأصابع إصبعاً، ولما كانت (ما) هي الحاجة في المعنى .

ويجوز للشاعر المولّد تأنيث المذکر وتذكير المؤنث على المعنى، وهو أفشى في العُرف والاستعمال من أن يُؤتى عليه بشاهدٍ أو مثاليّ ، قال الشاعر :

أَهْجُرُ بَيْتاً بِالْحِجَارِ تَلَقَّعَتْ بِهِ الْخَوْفُ وَالْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
ذهب بالخوف إلى المخافة، فأراد المخافة فأنت لذلك، وحكى سيبويه: ذهبت بعض أصابعه، فأثت (بعض)؛ لأنّه إصبع في المعنى وهذا كثير . وقال لبيد :^٤

فَمَضَى وَقَدَّمَهَا ، وَكَانَتْ عَادَةً مِنْهُ إِذَا هِيَ عَرَدَتْ إِفْدَامُهَا
ويرى الطبري أنّ ذلك عند أهل العربية شاذٌ غير فصيح في الكلام، حيث ذكر أنّه قال: (وكانت) بتأنيث (الإقدام)، لمجاورته قوله: (عادة)، وإن شئت قلت: إنّهُ أثت الإقدام لما كان في

^١ المصدر السابق .

^٢ سورة يوسف / ١٠ .

^٣ ويرى : أَهْجُرُ بَيْتاً بِالْحِجَارِ تَلَقَّعَتْ بِهِ الْخَوْفُ وَالْأَعْدَاءُ أَمْ أَنْتَ زَائِرُهُ ؟

يُنظَرُ : الخصائص ٢ / ٤١٧ ، والتذكرة الحمدونية ٢ / ١٨٨ ، و المحكم والمحيط الأعظم ٥ / ٣٠٥ ، وشرح شواهد الإيضاح / ٨٥ ، ولسان العرب (خوف) ٩ / ٩٩ ، وتاج العروس (خوف) ٢٣ / ٢٨٨ ، وسرُّ صناعة الإعراب ١ / ١٣ ، ونصرة الاغريض في نصرة القريض / ٥٠ .

^٤ يُنظَرُ : الخصائص ٢ / ٤١٧ ، والحمدونية ٢ / ١٨٨ ، و المحكم والمحيط الأعظم ٥ / ٣٠٥ .

^٥ والضمير في قوله : (فمضى) إلى حمار الوحش، وفي قوله : (وقدمها) إلى أثنه التي يسوقها إلى الماء. (وعردت) : فرت ، وعدلت عن الطريق التي وجهها إليها . وشعر لبيد لا يفضل بعضه عن بعض في هذه القصيدة ، فلذلك لم أذكر ما قبله وما بعده. فراجع معلقته . يُنظَرُ : ديوان لبيد / ١١٠ ، وجامع البيان ١١ / ٢٩٨ ، وأمالي ابن الشجري ١ / ١٣٠ ، والكشّاف ٣ / ٣٤٠ ، والبحر المحيط ٧ / ٣٩ ، وروح المعاني ١٩ / ١٢٧ ، والتفسير القيم لابن القيم ١ / ٤٠٥ ، ومجاز القرآن ١ / ١٨٨ .

معنى التقدمة، وإن شئت قلت: ذهب إلى تأنيث العادة كما ذهب إلى تأنيث الحاجة في قوله: (مَا جَاءَتْ حَاجَتُكَ)، ويرى مثل ذلك في قراءة ((تَكُنْ)) من قوله ﷺ: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^{٢٣} ، حيث قرأته جماعة من قرآء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: ((ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ)) بالتاء، بالنصب، بمعنى: لم يكن اختبارنا لهم إلا قِيلُهُمْ ((وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ)) غير أنهم يقرءون ((تَكُنْ)) بالتاء على التأنيث. وإن كانت للقول لا للفتنة ، لمجاورته الفتنة، وهي خبر. وذلك عند أهل العربية شاذٌ غير فصيح في الكلام، ووافقه ابن القيم فقال: وهذا المسلك وإن كان قد ارتضاه غير واحد من الفضلاء فليس بجيد، ولا يعرف في الكلام الفصيح منه إلا النادر، كقولهم: (ذهبت بعض أصابعه)، والذي قوّاه ههنا شدة اتصال المضاف بالمضاف إليه وكونه جزؤه حقيقة، فكأنه قال: ذهبت إصبع وإصبعان من أصابعه، وحمل القرآن على المكثور الذي خلافه أفصح منه ليس بسهل. ويرى الزمخشري: جواز تأنيث ((تَكُنْ)) مع نصب الآية، في قوله ﷺ: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^{٢٣} ، وأن منه بيت لبيد: (فَمَضَى وَقَدَمَهَا وَكَانَتْ عَادَةً) .^٣

وجاء عن أبي حيان في ((يَكُنْ)) من قوله ﷺ: ﴿أَوْلَىٰ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾^{١٩٧} : أن الجمهور قرأ: ((أَوْلَىٰ يَكُنْ))، بالياء من تحت، و((آيَةٌ)) بالنصب، وعدّها قراءة واضحة الإعراب، فقد توسّط خبر ((يَكُنْ))، و((أَنْ يَعْلَمَهُ)) هو الاسم. وقرأ ابن عامر، والجحدري: ((تَكُنْ)) بالتاء من فوق، و((آيَةٌ)) بالرفع. وقال الزمخشري: جعلت آية اسماً، وأن يعلمه خبراً، وذكر أنه ليست كالأولى لوقوع النكرة اسماً والمعرفة خبراً، وقد خرّج لها

١ سورة الأنعام / ٢٣ .

٢ سورة الأنعام / ٢٣ .

٣ سبق تحريجه. يُنظر: جامع البيان ٣٣٢/١٩، والتفسير القيم، لابن القيم، جمع وترتيب: محمد أويس الندوى ٤٠٥/١ .

٤ سورة الشعراء / ١٩٧ .

وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل: إِنَّ فِي ((تَكُنُّ)) ضمير القصة، ((وَأَيَّةُ أَنْ يَعْلَمَهُ)) جملة واقعة الخبر، ويجوز على هذا أن يكون لهم آية جملة الشأن، وأن يعلمه بدلاً من آية. انتهى. وقرأ ابن عباس: تكن بالتاء من فوق، آية بالنصب، كقراءة من قرأ: (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ)، بتاء التأنيث، (فِئْتَنَتْهُمْ) بالنصب، إلا أن قالوا، وكقول لبيد:

فَمَضَى وَقَدَّمَهَا ، وَكَانَتْ عَادَةً مِنْهُ إِذَا هِيَ عَرَّدَتْ إِقْدَامَهَا
وَدَلَّ ذَلِكَ إِمَّا عَلَى تَأْنِيثِ الْأَسْمِ لِتَأْنِيثِ الْخَبَرِ ، وَإِمَّا لِتَأْوِيلِ أَنْ يَعْلَمَهُ بِالْمَعْرِفَةِ ، وَتَأْوِيلِ ((إِلَّا أَنْ
قَالُوا)) بِالْمَقَالَةِ ، وَتَأْوِيلِ الْإِقْدَامِ بِالْإِقْدَامَةِ . كَمَا يُؤْنِثُ لِإِضَافَتِهِ إِلَى الْمُؤَنَّثِ قَوْلِ الْأَعْمَشِيِّ:
وَتَشْرِقُ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَدْعَتْهُ كَمَا شَرَقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِّ
حَيْثُ أُنْثِ (شَرِقَتْ) ، مَعَ أَنَّ فَاعِلَهُ مَذْكَرٌ ، وَهُوَ الصَّدْرُ ، وَالْقِيَاسُ: (شَرِقَ) ، وَلَكِنْ
لِمَا كَانَ الصَّدْرُ (صَدْرُ الْقَنَاةِ) الَّذِي هُوَ مُضَافٌ لِمُؤَنَّثٍ ، بَعْضُ الْمُضَافِ إِلَيْهِ ، أُعْطِيَ لَهُ حُكْمَهُ ،
وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : أُنْثِ لِأَنَّهُ أَرَادَ الْقَنَاةَ . وَعَلَيْهِ قَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ:

مَشِينٌ كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسْفَهَتْ أَعَالِيَهَا مَرُّ الرِّيَّاحِ النَّوَاسِمِ

^١ سبق تخرجه .

^٢ يُنْظَرُ: البحر المحيط ٧ / ٣٩ ، والكشاف ٣ / ٣٤٠ .

^٣ البيت من قصيدة يهجو بها عمير بن عبد الله بن المنذر بن عبدان ، حين جمع بينه وبين جهنم الشاعر ليهاجيه . (لسان العرب: شرق) قال : شرق الشيء شرقاً ، فهو شرق : اشتدت حمرة بدم ، أو بحسن لون أحمر ، و صدر القناة: أعلاها . والشاهد في البيت أنه أنث الفعل شرّق بالتاء ، مع أنّ فاعله وهو (صدر) مذكر . ولكنه لما أضيف إلى القناة وهي مؤنثة ، فكأنّه جعل الفعل للقناة لا لصدرها . يُنْظَرُ: ديوانه ١٢١ / ١ ، والخصائص ٤١٨ / ٢ ، وجامع البيان ١٩ / ٣٣٢ ، و الكشاف ١ / ٤٢٤ ، ٢ / ٤٢٢ ، ٣ / ٥٠٣ ، و الجامع لأحكام القرآن ٩ / ١٣٣ ، والبحر المحيط ٨ / ٣٩٠ ، و زاد المسير ٣ / ٤٠٤ ، والصحاح ٧٠٩ / ٢ ، والمحرر الوجيز ١٢٧ / ٥ ، ومعاني القرآن ، والبحر ٥ / ٦٤ ، وأنوار التنزيل ٤ / ٤٩٣ ، وتفسير النسفي ٣ / ١٠٨ ، والكشاف والبيان ٧ / ١٥٨ ، ٣١٤ ، وإرشاد العقل السليم ٤٢٩ / ١ ، ٤٠٨ / ٣ ، ٤٠٨ / ٥ ، والتحرير والتنوير ٤ / ٣٦ .

^٤ يُنْظَرُ: الخصائص ٢ / ٤١٨ ، وجامع البيان ١٩ / ٣٣٢ ، ٢٠ / ١٤٠ .

^٥ البيت من بحر الطويل . رُوي : (رويداً) مكان (مشين) ، و (مرضى) مكان (مر) . تسفهت الريح الغصون: حركتها واستخفتها . يُنْظَرُ: ديوانه ٦١٦ / ١ ، والكتاب ١ / ٢٥ ، ٣٣ ، ولسان العرب (سفه) ، و الجامع لأحكام القرآن

فَأَنْتَ (الْمَر) لإضافته إلى (الرياح) وهي مؤنثة ؛ إذ كان (الْمَر) من الرياح، ونظائر ذلك كثيرة جداً لا وجه للإطالة بذكرها ، فهذا وجه يشهد لتأنيث الإيمان؛ إذ كان من النفس وبها .

وإن شئت حملته على تأنيث المذكور لَمَّا كان يعبر عنه بالموثوث، ألا ترى إلى قول الله سبحانه: ((فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا)) من قوله ﷻ : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ١٦٠ ، فتأنيث المثل لأنه في المعنى حسنة .

الثالث : الواحد والجماعة

ومن الحمل على المعنى في القراءات القرآنية التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره: الواحد والجماعة، قوله ﷻ : ﴿ بَلَىٰ مَن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ١١٢ ، فأفرد على لفظ (مِّن) ثم جمع (مَنْ) بعد. قال ابن عاشور : وجمع الضمير في قوله : ((وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)) اعتباراً بعموم (مَنْ) كما أفرد الضمير في قوله : ((وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ)) اعتباراً بإفراد اللفظ، وعد هذا من تفنن العربية لدفع سامة التكرار .

١/٢٠٥ ، المحتسب ١ / ٢٣٧ ، والبحر المحيط ٥ / ٣٠٠ ، وزاد المسير ١ / ٢١ ، و التحرير والتنوير ١ / ٧٢٥ ،

والمحرر الوجيز ١ / ٢٩ ، ١٦٣ ، ٣٥٥ ، ١ / ٣ ، ٥٧ ، ٥ / ٢٦٩ ، وفتح القدير ١ / ٣٤٥ .

١ سورة الأنعام / ١٦٠ .

٢ يُنظَر : المحتسب ١ / ٢٣٧ .

٣ سورة البقرة: ١١٢ .

٤ يُنظَر : الخصائص ٢ / ٤٢١ والتحرير والتنوير ١ / ٦٧٥ .

والعرب إذا حملت على المعنى لم تكد تُراجع اللفظ ، كقولك : (شَكَرْتُ مَنْ أَحْسَنُوا
إِيَّ عَلَى فِعْلِهِ) ، ولو قلت : (شَكَرْتُ مَنْ أَحْسَنَ إِيَّ عَلَى فِعْلِهِمْ) جاز ، فهذا ضعف عندنا
أن يكون (هما) من (مصطلاهما) ، في قول الشماخ :^١
أَقَامَتْ عَلَى رُبْعَيْهِمَا جَارَتَا صَفَا كُمَيْتَا الْأَعَالِي جَوْنَتَا مُصْطَلَاهُمَا
عائداً على الأعالي في المعنى إذ كانا أعلىين اثنين لأنه موضع قد تُرك فيه لفظ التثنية حملاً
على المعنى ؛ لأنه جعل كلَّ جهةٍ منهما أعلى كقولهم : شابت مفارقه وهذا بعير ذوعشانين ونحو
ذلك ، أو لأنَّ الأعلىين شيئان من شيئين . فإذا كان قد انصرف عن اللفظ إلى غيره ضعفت
معاودته إياه ؛ لأنه انتكاث وتراجع فجرى ذلك مجرى إدغام الملحق وتوكيد ما حُذف ، على أنه
قد جاء منه شيء .^٢

والحمل على المعنى واسع جداً في هذه اللغة ، ومنه : ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ
فِي رَبِّهِ)) من قوله ﷺ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ
قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ، ثم قال : ((أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ)) من قوله ﷺ : ﴿ أَوْ كَالَّذِي
مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ
ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى

^١ يُنظَر : الخصائص ٢ / ٤٢٠ .

^٢ يُنظَر : ديوانه / ٨٦ ، والكتاب ١ / ١٠٢ ، والخصائص ٢ / ٤٢٠ ، وشرح المفصل ٦ / ٨٣ ، ٨٦ ، والعيبي ٣ / ٥٨٧ ،
ومقاييس اللغة ١ / ٣٤٨ ، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك ١ / ١٥٩ ، وجمع الهوامع ٣ / ٨٣ ، والأصول في النحو
٣ / ٤٧٥-٤٧٦ ، واللباب في علل البناء والإعراب ١ / ٤٤٤ ، وشرح الكافية ، للرضي ٢ / ٢٣٥ ، ٣ / ٤٣٧ ، ٤٤٥ ،
والتصريح ٢ / ١٢٢ ، وجمع الهوامع ٢ / ٩٩ ، وشرح الأشموني ٣ / ١١ ، وخزانة الأدب ٤ / ٢٧١ .

^٣ يُنظَر : شرح الكافية ، للرضي ٢ / ٢٣٥ .

٤ سورة البقرة / ٢٥٨ .

طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهٗ وَأَنْظَرَ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظَرَ
إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ، قيل فيه : إنه محمول على المعنى حتى كأنه قال: ((أرأيت
كالذي حاج إبراهيم في ربه)) ، أو ((أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ))، فجاء بالثاني على أن الأول
قد سبق كذلك . ومنه إنشادهم بيت امرئ القيس:

أَلَا زَعَمْتَ بِسَبَاسَةِ الْيَوْمِ أَنَّنِي كَبْرُثٌ وَأَلَّا يُحْسِنَ السِّرَّ أُمَّثَالِي
بِنَصَبِ (يُحْسِنُ) وَالظَّاهِرُ أَنْ يُرْفَعَ ؛ لِأَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى أَنَّ الثَّقِيلَةَ إِلَّا أَنَّهُ نَصَبٌ لِأَنَّ
هَذَا مَوْضِعٌ قَدْ كَانَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ فِيهِ أَنَّ الْخَفِيفَةَ حَتَّى كَأَنَّهُ قَالَ: أَلَا زَعَمْتَ بِسَبَاسَةِ أَنْ يَكْبُرَ
فُلَانٌ، ك ((وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً)) بِالنَّصْبِ ، مِنْ قَوْلِهِ ﷺ : ﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ
فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا
يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٧١﴾ . ومن ذلك كقول زهير :

بَدَا لِي أَنِّي لَسْتُ مُدْرِكَ مَا مَضَى وَلَا سَابِقِ شَيْئًا إِذَا كَانَ جَائِيَا

١ سورة البقرة / ٢٥٩ .

٢ البيت من بحر الطويل. يُنظَر: الجامع لأحكام القرآن ٣/١٩١، ٦/٢٤٨، ١١/٢٧٦، والكشف والبيان ٢/١٨٧، وغريب
الحديث ١/٢٣٨، لسان العرب (لها) ١٥/٢٥٩، وتاج العروس (برنس)، وفتح القدير ١/٢٨٧، ٢/٣٢٩،
٥/٤٦، وزاد المسير ١/٢٣٧، والدر المنثور ٢/٨٦، وجمهرة اللغة (ضرر) ١/٣٨، ومعاهد التنصيص ١/١٣١،
والعباب الزاخر ١/٦٨، ولباب التأويل ١/٢٤٥، و الحماسة البصرية ٢١/، والإتقان ١/١٥١، ومجاز القرآن ١/١٥١،
وأحكام القرآن ١٣٧/، وجمهرة أشعار العرب ٢/، وترتيب اصلاح المنطق ١٩٥/.

٣ سورة المائدة / ٧١ .

٤ البيت من بحر الطويل. يُنظَر: ديوانه ٢٨٧/، والكتاب ١/٨٣، وشرح المفصل ٢/٥٢، والدر اللوامع ٢/١٠٥، وأضواء
البيان ٥/١٨٦، والبحر المحيط ٤/٢٩٥، و تفسير الفخر الرازي ٣٠/٥٥٢، واللباب في علوم الكتاب ٧/٢٢٨،
ومفاتيح الغيب ٣٠/١٨، وإعراب القرآن ، لابن سيده ٥/٣٢، والإتقان في علوم القرآن ١/٥٨١، والتبيان في
إعراب القرآن ١/٢١٠.

لأنَّ هذا موضع يحسن فيه (لست بمدرك ما مضى)، ومنه : (فأصدّق وأكن) من قوله
 ﷻ : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِكُمْ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي
 إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّن الصَّالِحِينَ ﴾ ، وقول أبي دؤاد الأيادي:
 فَأَبْلُونِي بِلَيْتِكُمْ لَعَلِّي أَصَالِحِكُمْ وَأَسْتَدْرِجَ نَوِيًّا
 حتى كأنّه قال : أصالحكم وأستدرج نويًا.
 وباب الحمل على المعنى بحر لا يُنكش ولا يُفثج ولا يؤوى ولا يُعرض ولا يُغضغض .
 وقد أرينا وجهه ووكلنا الحال إلى قوة النظر وملاطفة التأول.

١ سورة المنافقون / ١٠ .

٢ البيت من بحر الوافر. أبلوني: أعطوني، البلية: الناقة تربط عند قبر صاحبها حتى تموت. نويًا: مفردها نوى وهي الجهة التي
 ينويها المسافر من قرب أو بُعد. يُنظر: الخصائص ١/١٧٦، وأمالي الشجري ١/٢٨٠، ومغني اللبيب /٦٢٠، ٥٥٣،
 ولسان العرب (علل) ١١/٤٦٧، والمحرّر الوجيز ٢/٤٨٤، والكشف والبيان ٢/١٨، ٩/٣٢٤، ومعاني القرآن،
 للفراء ١/٨٠، ٥/١٢١، وإعراب القرآن للزجاج ١/٢١٨، وإعراب القرآن، للنحاس ٤/٤٣٧، والحجّة في
 القراءات السبع /٣٤٦، ٣٤٧، والجليس الصالح ١/٢٣، ٤٤٦، وسرّ صناعة الإعراب ٢/٧٠١، والكامل للمبرد
 ٣/٢٠٥، وحاشية الأمير على المغني ٢/٩٧، والدُرّ المصون ٥/٥٢٨.

ثالثاً: ظاهرة التردّد في إعراب الكلمة بين الصرف وعدمه

من القراءات القرآنيّة التي ذكرها ابن عاشور ما كان وجه الاختلاف فيها من قبيل الظواهر اللغويّة التردّد في إعراب الكلمة بين الصرف وعدمه جاء ذلك في :

١. قراءة ((أَهْبَطُوا مِصْرًا)) قوله ﷺ : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامِ

وَاجِدٍ قَادِعٌ لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُنْتِثُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَانَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور في ((مصر)) قراءات ، وهي :

القراءة الأولى : قراءة التنوين ((مِصْرًا)) ، ونسبها إلى الجمهور ، (وهم : أبو جعفر ، وشيبه ، ونافع ، وعاصم ، وأبو عمرو ، وحمزة ، والكسائي ، وابن كثير ، وابن عامر ، وطلحة بخلاف عنه) ، وهو خطّ المصحف^٢. فالعنى اهبطوا مصرًا من الأمصار، ولذلك صُرف. وفيه إعراض عن طلبهم إذ ليس حولهم يومئذ بلد قريب يستطيعون وصوله. ويرى الطبري أنّ هذه القراءة هي الصحيحة ، وأنّه لا يجوز غيرها ، محتجاً باجتماع خطوط مصاحف المسلمين، واتفاق

١ سورة البقرة / ٦١ .

٢ يُنظر : التحرير والتنوير ١ / ٥٢٤ ، والبحر المحيط ١ / ٢٣٤ ، والمحزّر ١ / ٣١٨ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١ / ١٤٤ ، وزاد المسير ١ / ٨٩ ، وإيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ، الأنباري، أبو بكر محمّد بن القاسم بن بشّار الأنباري (٣٢٨ هـ)، تحقيق: محيي الدين عبدالرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، ط ١١٣٩١ ، ١ هـ-١٩٧١ م / ٣٧٢ ، ومشكل إعراب القرآن ١ / ٥٠ ، وجامع البيان ١ / ٢٤٨ - ٢٤٩ .

قراءة القُرَّاء على ذلك . وأَنَّهُ لم يقرأ بترك التنوين فيه وإسقاط الألف منه، إلاَّ من لا يجوز الاعتراض به على الحجة ، فيما جاءت به من القراءة مستفيضا بينهما .^١

القراءة الثانية : قراءة ترك التنوين ((مِصْر)) ، و نسبها إلى ابن مسعود ، وهي قراءة أيضاً الحسن ، وطلحة ، والأعمش ، وأبان بن تغلب ، وابن عَبَّاس ، وأبي بن كعب ، وابن مسعود ، أراد اهبطوا مِصْرَ أي بِلَدِّ مِصْرَ بِلَدِّ القِبْطِ أي ارجعوا إلى مصر التي خرجتم منها، وهو بلد فرعون وهو مروى عن أبي العالقة، والأمر لمجرّد التوبيخ إذ لا يمكنهم الرجوع إلى مصر. واعلم أَنَّ مِصْرَ على هذا المعنى يجوز منعه من الصرف على تأويله بالبقعة فيكون فيه العلميّة والتأنيث، ويجوز صرفه على تأويله بالمكان، أو لأنَّه مؤنَّث ثلاثي ساكن الوسط مثل: (هِنْد و دَعْد) ، و (نُوحاً وَ لُوطاً) ، وفيهما العجمة والتعريف ؛ قال جرير :

لَمْ تَتَلَقَّ بِفَضْلِ مِصْرَها دَعْدٌ وَلَمْ تُسَقِّ دَعْدُ فِي العَلْبِ^٢

فجمع بين الأمرين . وهذا الرأي ينسبه النحَّاس إلى الكسائي ، وعقَّب عليه بقوله: ((وهذا خطأ على قول الخليل وسيبويه والقُرَّاء؛ لأنَّك لو سميت امرأة (بزيد) لم تُصرف)) ، لأنَّ (هِنْد و دَعْد و عَنز) أسماء مؤنثة فجاز فيها الصرف وعدمه ، وترك الصف أجود للعلميّة

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ١ / ٥٢٤ ، وجامع البيان ٢ / ١٣٣ ، ١٣٦ ، معاني القرآن ، للقُرَّاء ١ : ٤٢ - ٤٣ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ١ / ١١٣ .

^٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ١ / ٥٢٤ ، والكتاب ٢ / ٣٢٢ ، وجامع البيان ١ / ٢٤٨ ، والبحر المحيط ١ / ٢٣٤ ، والمحرَّر ١ / ٣١٩ ، ومعاني القرآن وإعرابه ١ / ١٤٤ ، وزاد المسير ١ / ٨٩ ، وإيضاح الوقف والابتداء ٣٧٢ ، ومشكل إعراب القرآن ١ / ٥٠ ، والكشَّاف ١ / ٢١٨ ، وإتحاف فضلاء البشر ١ / ١٣٨ ، والتقريب والبيان ٢ / ٢٢ ، ومعجم القراءات، للخطيب ١ / ١١٤ .

^٣ البيت من البحر المنسرح، لجرير، ويروى لعبيدالله بن قيس الرقيات. يُنظَر: ملحق ديوان جرير ١ / ٩٠٢١ ، وملحق ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات، والكتاب ٣ / ٢٤١ ، ولسان العرب (دعد)، (لفع)، أدب الكاتب ٢ / ٢٨٢ ، وأمالي ابن الحاجب ٣٩٥ / ، والخصائص ٣ / ٦١ ، وشرح الأشموني ٢ / ٥٢٧ ، وشرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام: عبد الله بن يوسف، (٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ط ١ ، ١٩٩٦ م ١ / ٧٠ ، وما ينصرف وما لا ينصرف، الزَّجَّاج: أبو إسحاق الزَّجَّاج (٢٣٠-٣١١ هـ) تحقيق: هدى محمود قراعة، القاهرة، ١٣٩١ - ١٩٧١ م / ٥٠ ، والمنصف ٢ / ٧٧ ، والدُّرُّ المصون ١ / ٢٩٤ ، واللباب في علوم الكتاب ٢ / ١٢٠ .

^٤ يُنظَر : إعراب القرآن ، للنحَّاس ١ / ١٨٢ .

والتأنيث ، أمّا (مِصْر) إذا أريد به اسم البلد المعروف ، فيُمنَع من الصرف وجوباً؛ لأنّه مذكّر
سُمِّي به مؤنث . وقد رُوِيَ عن الكسائي جواز صرف (مِصْر) وهي معرفة؛ لأنّ العرب تصرف
كلّ مالا ينصرف في الكلام إلاّ أفعل التفضيل، والمنع أرجح عند الجمهور .^٢

وذكر أنّ أشهب قال : قال لي مالك : هي عندي مِصْرَ قريتك مسكنُ فرعون. ويكون
قول موسى لهم : ((اهبطوا مصرّاً)) أمراً قصد منه التهديد على تذكّرهم أيام ذلهم وعنائهم
وتميّهم الرجوع لتلك المعيشة ، كأنّه يقول لهم ارجعوا إلى ما كنتم فيه إذ لم تقدروا ، وعن
الزمخشري : إنّه معرّب من لسان العجم ، فإنّ أصله (مِصْرَائِيم) فَعْرَب. وعلى هذا إذا قيل بأنّه
علم لمكان بعينه ، فلا ينبغي أن يُصرف البتة لانضمام العجمة إليه، فهو نظيرُ (ماه وجور
وحمص) ، ولذلك أجمع الجمهور على منعه في قوله ((ادخلوا مِصْر))، وأنّ المِصْر في أصل اللغة
: الحدُّ الفاصلُ بين الشيئين ، وحكي عن أهلِ هَجَرَ أنهم إذا كَتَبُوا بَيْعَ دارٍ قالوا : اشترى فلانُ
الدارَ بمُصُورِها ، أي : حدودِها ، قال عدي بن زيد :^٣

وجاعِلُ الشمسِ مِصْرًا لا حَفَاءَ بِهِ بَيْنَ النَّهَارِ وَبَيْنَ اللَّيْلِ قَدْ فَصَلَا
٢. ومن بين ما تطرّق له ابن عاشور من القراءات القرآنية ما كان وجه الاختلاف فيها

من قبيل التردّد في إعراب الكلمة بين الصرف وعدمه : ((طُوَى)) من قوله ﷻ : ﴿ إِنِّي أَنَا
رَبُّكَ فَاحْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوَى ﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور في ((طُوَى))
قراءتين ، وهي :

^١ يُنظَر : الكتاب ٢٤٠/٣ ، والمقتضب ٣٥٠/٣ ، وشرح الكافية الشافية ١٤٩١/٣ .

^٢ يُنظَر : إعراب القرآن، للنخّس ١٨٢/١، وشمس العلوم ٢٠/٥ ، القراءات القرآنية في المعجمات اللغوية ٤٤٣/٤٤٣ ، وشرح شنور الذهب ٨٣٢/٢ .

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ١ / ٥٢٤ ، وتفسير الكشّاف ١٧٤/١ ، واللباب في علوم الكتاب ١٢٠/٢ ، وإعراب القرآن ،
النخّس ١٨٢/١ ، والتبيان في إعراب القرآن ٦٩/١ ، البحر المحيط ٢٣٤/١ ، والدُّرُّ المصون ٢٩٤/١ .

^٤ يُنظَر : ديوان عدي بن زيد / ١٥٩ ، و الجامع لأحكام القرآن ٤٢٩/١ ، والصحاح (مصر) ، ولسان العرب (مصر) ،
والدُّرُّ المصون ٢٤٢/١ ، واللباب في علوم الكتاب ١٢٠ / ٢ .

٥ سورة طه / ١٢ .

القراءة الأولى : قراءة ضم الطاء وترك التنوين ((طَوَى)) ونسبها إلى الجمهور، وهم نافع، وابن كثير ، وأبو عمرو ، وأبو جعفر، ويعقوب، ووافقهم اليزيدي ، على أنه ممنوع من الصرف من جهتين :

الجهة الأولى : للعلمية والتأنيث بتأويل البُقعة ، أو للعجمة ، كأثم جعلوه اسم للأرض أو البقعة التي بها الوادي ، كما في : ((الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ)) من قوله ﷺ : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوَسَّيْ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، وإذا كسر فَنُون (طَوَى) فهو مثل معى وضلع معروف ، ومن لم ينون جعله اسماً للبُقعة .

وسئل المبرد عن وادٍ يقال له : طَوَى أنصرفه ؟ قال : نعم ؛ لأنَّ إحدى العلتين قد انخرمت عنه . وقال الشاعر :

نَصَرُوا نَبِيَّهُمْ وَشَهِدُوا أَرْزُهُ بِحُنَيْنٍ حِينَ تَوَاكُلِ الْأَبْطَالِ
فلم يجر حنين ، لأنَّه جعله اسماً للبلدة لا للوادي : ولو كان جعله اسماً للوادي لأجراه ، كما قرأت القرءاء ((وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ)) وكقول جرير :
أَلْسِنَا أَكْرَمَ الثَّقَلَيْنِ رَحْلاً وَأَعْظَمَهُنَّ مِ بَطْنِ حِرَاءِ نَارَا
فلم يجر حراء ، وهو جبل ؛ لأنَّه جعله اسماً للبلدة ، فكذلك (طَوَى) في قراءة من لم يجره جعله اسماً للأرض .

الجهة الثانية : للعدول عن طاوٍ ، مثل عُمر عن عامر ، كما لا ينصرف عُمر .

١ سورة القصص / ٣٠ .

٢ البيت لحسان بن ثابت، من بحر الكامل. والشاهد فيه أنَّ (حنين) غير مصروف؛ لجعله اسماً للبلدة. يُنظر: ديوانه ١/٥١٢ ، وجامع البيان ١٤/١٧٨ ، ومعاني القرآن، للقرءاء ١/٤٢٩ ، ولسان العرب : (حنن)، والبحر المحيط ٥/٢٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٨/١٠٠ ، والكشف والبيان ٥/٢٢ .

٣ البيت من بحر الوافر. ويروى (أكبر) بدلاً من (أكرم) . يُنظر : معاني القرآن، للقرءاء ١/٤٢٩ ، والكتاب ٢/٢٤ ، ورواية صدره: (ستعلم أئنا خيرٌ قديماً) ، والدُّرُّ المصون ٦/٣٧ .

٤ يُنظر : التحرير والتنوير ١٦ / ١٩٨ ، ٣٠ / ٧٥ ، وجامع البيان ١٨ / ٢٨٢ ، و تهذيب اللغة ١٤ / ٣٥ .

القراءة الثانية : قراءة ضمّ الطاء والتنوين ((طُوِيَّ)) ونسبها إلى ابن عامر ، وعاصم ، وحزمة ، والكسائي ، وخلف ، لأنه اسم وادٍ مذكّر اللفظ بمذكّر .^١
وقد اختلفَ في معناه على عدّة معاني ؛ فأما من أراد به المصدر من طويت ، فلا مؤنة في تنوينه ، وأما من أراد أن يجعله اسماً للوادي ، فإنه إنما ينوّنه لأنه اسم مذكّر لا مؤنث ، وأنّ لام الفعل منه ياء ، فزاده ذلك خفة فأجراه كما قال الله : ((وَيَوْمَ حُنَيْنٍ)) إذ كان حنين اسم وادٍ ، والوادي مذكّر .

ويرى أبو جعفر الطبري : أنّ أولى القولين عنده بالصواب قراءة من قرأه بضمّ الطاء والتنوين ((طُوِيَّ)) ؛ لأنه إن يكن اسماً للوادي فحظّه التنوين لما ذكر قبل من العلة لمن قال ذلك ، وإن كان مصدرًا أو مفسراً ، فكذلك أيضاً حكمه التنوين ، وهو عندي اسم الوادي . وإذ كان ذلك كذلك ، فهو في موضع خفض ردّاً على الوادي .^٢

٣ . قوله ﷺ : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾^{٢٢} ، فقد ذكر ابن عاشور^٣ في ((سَبَإٍ)) قراءتين ، وهي :
القراءة الأولى : قراءة الصرف ((سَبَإٍ)) ونسبها إلى الجمهور ، وهو الرأي الثاني لابن محيصر . ووقف حمزة وهشام بخلفه بإبدال الهمزة ، ولهما التسهيل بالروم .
القراءة الثانية : قراءة عدم الصرف بفتحة الهمزة ((سَبَاءً)) ونسبها إلى أبي عمرو والبري عن ابن كثير ، ووافقهما ابن محيصر بخلفه واليزيدي والمطوّعي ، على تأويل البلاد أو القبيلة .
القراءة الثالثة : قراءة سكون الهمزة ((سَبَأً)) ونسبها إلى قبل عن ابن كثير ، على اعتبار الوقف إجراء للوصل مجرى الوقف .^٤

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٦ / ١٩٨ ، ٣٠ / ٧٥ ، والكشف عن وجوه القراءات ٩٦/٢ .

^٢ يُنظَر : وجامع البيان ١٨ / ٢٨٢ ، والمشكل ٤٦٢/ ، وإعراب القرآن ، للنحاس ٣٣٣/٢ ، ومفاتيح الغيب ١٨/٢٢ ، والبيان في إعراب القرآن ٨٨٦/١ .

^٣ سورة النمل / ٢٢ .

^٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ١٩ / ٢٥٤ ، والميسر في القراءات الأربع عشر / ٣٧٨ .

٤. قوله ﷺ: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾^٤ ، فقد

ذكر ابن عاشور في ((سَلَاسِلًا)) قراءتين ، وهي :

القراءة الأولى : قراءة التنوين في الوصل والوقف عليه كما يوقف على المنون المنصوب ((سَلَاسِلًا)) ونسبها إلى نافع ، والكسائي ، وهشام عن ابن عامر ، وأبي بكر عن عاصم، وأبي جعفر ، وكذا شيبه ، وهو اختيار أبي عبيد ، ورواية هشام عن أهل الشام ، وأنه إذ كان حَقَّه^٢ أن يمنع من الصرف لأنه على صيغة منتهى الجمع تعيَّن أن قراءته بالتنوين لمراعاة مزاجته مع الاسمين اللذين بعده وهما (أغلالاً) ، و (سعيراً) ، والمزاوجة طريقة في فصيح الكلام ، وقد سبق الحديث عنها ، ومنها قول النبي ﷺ لنساءٍ ((ارجِعْنَ مَازوراتٍ غير مَاجورات)) ، فجعل (مَازورات) مهموزاً وحَقَّه أن يكون بالواو ، لكنَّه هُمز مزاوجة مَاجورات ، وكذلك قوله في حديث سؤال الملكين الكافر ، فيقال له : ((لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ)) ، وكان الأصل أن يُقال : ولا تَلوت . ومنه قول ابن مُقبل أو القَلَّاحُ :

هَتَّأكَ أَحْيِيَّةٌ وَلَا تُجُ أَبْوَبَةٌ يُخَالِطُ الْبِرُّ مِنْهُ الْجِدَّ وَاللَّيْنَةَ

فقوله (أبوبة) جمع باب وحقه أن يقول أبواب .

وهي قراءة الأعمش ، قيل : وهذا على ما حكاه الأخفش من لغة من يصرف كل ما لا ينصرف إلاً أفعل من وهي لغة الشعراء ، ثم كثر حتى جرى في كلامهم ، وعَلَّل ذلك بأنَّ هذا الجمع لما كان يجمع فقالوا : صواحبات يوسف ونواكسي الأبصار ، أشبه المفرد فجرى فيه الصرف، وقال بعض الرَجَّاز :

والصرف في الجمع أتى كثيراً حتى ادعى قوم به التخيرا

١ سورة الإنسان / ٤ .

٢ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٩ / ٣٧٨ ، والكشف والبيان ١٠ / ٩٥ .

٣ ويروى : هَتَّأكَ أَحْيِيَّةٌ وَلَا تُجُ أَبْوَبَةٌ يُخَالِطُ الْبِرُّ مِنْهُ الْجِدَّ وَاللَّيْنَةَ . البيت لتميم بن مقبل ، وهو في ملحق ديوانه ٤٠٦ ، أوللقلاخ بن جناب، ولسان العرب : (بوب) ، والصَّحاح (بوب) ، والجامع لأحكام القرآن ١/٢٧٩ ، وأدب

الكاتب ٤٨٦ ، والدُّرُّ المصون ١/٣٧٣ ، واللباب في علوم الكتاب ٩٣/٢ .

٤ يُنظَر : روح المعاني ١٧/١٥٦ ، ٢٩/١٥٣ ، والبحر المحيط ٦/٣٤٢ ، ٨/٣٨٧ ، وإعراب القرآن ، لابن سيده ٨/١٦٨ .

والصرف ثابت في مصاحف المدينة ومكَّة والكوفة والبصرة ، وفي مصحف أبي وعبد الله ، وكذا في قراءة (قوارير) . وروى هشام عن ابن عامر : (سلاسل) في الوصل ، و (سلاسل) بألف دون تنوين في الوقف . وروى أنَّ من العرب من يقول : رأيت عمراً بالألف في الوقف . وهذه القراءة متينة يعضدها رسم المصحف وهي جارية على طريقة عربيَّة فصيحة ، وقرأه الباقر بدون تنوين في الوصل . وكتب (سلاسل) في المصحف الإمام في جميع النسخ التي أرسلت إلى الأمصار بألف بعد اللام الثانية ، ولكنَّ القراء اختلفوا في قراءته .

فإذا وقفوا عليه فأكثرهم قرأه في الوقف بدون ألف فيقول ((سلاسل)) في الوقف .
القراءة الثانية : قراءة ((سلاسل)) ونسبها إلى أبي عمرو ورويس عن يعقوب بالألف على اعتباره منوناً في الوصل .

القراءة الثالثة: قراءة جواز الوجهين بالألف وبتركها في الوقف ((سلاسل)) البزي عن ابن كثير وابن ذكوان عن ابن عامر وحفص عن عاصم بمنع الصرف، واختلف عنهم في الوقف .
القراءة الرابعة : قراءة ترك التنوين في الوصل ، والوقف عليه بألف بعد لامه الثانية ((سلاسل)) ونسبها إلى أبي عمرو ورويس عن يعقوب ، فمخالفة روايتهم لرسم المصحف محمولة على أنَّ الرسم جرى على اعتبار حالة الوقف وذلك كثير ، فكتابة الألف بعد اللام لقصد التنبيه على إشباع الفتحة عند الوقف لمزاوجة الفواصل في الوقف لأنَّ الفواصل كثيراً ما تعطى أحكام القوافي والأسجاع .

وذكر أنَّ القراءات روايات مسموعة ورسم المصحف سنَّة مخصوصة به، وذكر عن الطيبي قوله: أنَّ بعض العلماء اعتذر عن اختلاف القراء في قوله: ((سلاسل)) بأنَّه من الاختلاف في كيفية الأداء كالميد والإمالة وتخفيف الهمزة، وأنَّ الاختلاف في ذلك لا ينافي التواتر .

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٩ / ٣٧٨ ، والبحر المحيط ٨ / ٣٨٧ .

^٢ المصدر السابق .

^٣ المصدر السابق .

^٤ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٩ / ٣٧٩ .

ولغة الصرف كانت من اختيار قراء من بيئاتٍ مختلفة ، فأبوجعفر ، ونافع من المدينة المنورة، وابن كثير من مكة ، وعاصم في رواية أبي بكر ، والكسائي ، وخلف من الكوفة. ومن لم يصرف من القراء فإنه حمل ذلك على الأصل ؛ لأنها جمع تكسير على (مفاعل، ومفاعيل) والأصل في هذا الجمع المسمّى بـ (منتهى الجموع) المنع من الصرف. قال سيبويه في باب ما كان على مثال : (مفاعل ، ومفاعيل) : ((اعلم أنه ليس شيءٌ يكون على هذا المثال إلا لم ينصرف في معرفةٍ ولا نكرةٍ ، وذلك لأنه ليس شيءٌ يكون واحداً يكون على هذا البناء ، والواحد أشدّ تمكناً ، وهو الأصل ، فلمّا لم يكن هذا من بناء الواحد الذي هو أشدّ تمكناً وهو الأوّل تركوا صرفه ، إذ خرج من بناء الذي هو أشدّ تمكناً)) .^١

فمن خلال كلّ ما مرّ يمكن أن نخلص بأنّ القياس في مثل هذا الجمع هو المنع من الصرف؛ لأنه يكون نهاية الجمع المخالف لبناء الواحد ، فهذا ثقلٌ ، وجمعٌ ، والجمع ثقلٌ ثانٍ، فمنع من الصرف لاجتماع الثقلين .^٢

^١ الكتاب ٢٢٧/٣ . ويُظَر : القراءات القرآنيّة في المعجمات اللغويّة / ٤٤٦ - ٤٤٧ .

^٢ يُظَر : الحجة في القراءات السبع / ٣٥٨ ، والقراءات القرآنيّة في المعجمات اللغويّة / ٤٤٧ .

رابعاً: ظاهرة التردّد في إعراب الكلمة بين الوصف والمصدر

من القراءات القرآنيّة التي طرقها ابن عاشور وكان وجه الاختلاف فيها من قبيل الظواهر اللغويّة التردّد في إعراب الكلمة بين الوصف والمصدر ، ويمكن أن نتطرّق إلى لذلك عن طريق التقسيمات الآتية :

الأوّل : بين اسم الفاعل والمصدر

من القراءات القرآنيّة التي طرقها ابن عاشور وكان وجه الاختلاف فيها من قبيل الظواهر اللغويّة التردّد في إعراب الكلمة بين اسم الفاعل والمصدر، جاء ذلك في:

١. ((حَرْجاً)) من قوله ﷻ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور^١ في ((حَرْجاً)) قراءات ، وهي :

القراءة الأولى : قراءة كسر الرّاء ((حَرْجاً)) ، ونسبها إلى نافع ، وعاصم في رواية أبي بكر ، وأبي جعفر ، وذكر أنّ (الحرج) بكسر الراء صفة مشبّهة من قولهم : حَرَجَ الشّيءُ حَرْجاً ، من باب (فَرَحَ) ، بمعنى ضاق ضيقاً شديداً ، فهو كقولهم : دَنَفَ ، وَقَمِنَ ، وَفَرِقَ ، وَحَذِرَ ، ويرى الزّجاج : أنّ الحرج : أضيّق الضيق . فإذا قيل : فلان حرج الصدر ، فالمعنى ذو حرج في صدره . فإذا قيل : حرج فهو فاعل . وقال النحاس : إنّ (حرج) بكسر الراء اسم الفاعل ، وقال سيبويه (الحرج) بالكسر الاسم .^٤

١ سورة النساء / ٦٥ .

٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٥٩/٨ ، والسبعة في القراءات ٢٦٨/٣ ، ومعالم التنزيل ١٨٦/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٨٢/٧ ، وإعراب النحاس ٥٧٩/١ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣١٩/٢ ، وحجّة القراءات ٢٧١/٢ ، والكشف عن وجوه القراءات ٤٥٠/١ ، والنشر ٢٥٣/٢ ، والحجّة في القراءات السبع ١٤٩/١ ، والتبيان في إعراب القرآن ٥٣٧/١ .

٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٥٩ / ٨ .

٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٥٩/٨ ، ومعالم التنزيل ١٨٦/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٨٢/٧ ، وإعراب النحاس ٥٧٩/١ .

وجاء عن ابن عادل أنّ : (حَرَجاً و حَرِجاً) بفتح الرَّاء وكسرها : أنّه المتزايد في الضيق ، فهو أَحَصُّ من الأوّل ، فكلّ (حَرَج) ضيق من غير عَكْسٍ ، وعلى هَذَا فالمفتوح والمكسور بمعنى واحد ، يقال : (رَجُلٌ حَرِجٌ وَحَرِجٌ) ، قال الشاعر :

لا حَرِجَ الصَّدْرِ ولا عَنيفُ

قال الفراء : ((هو في كسره ونصبه بمنزلة (الوحد) و (الوحد) ، و (الفرد) و (الفرد) و (الدنف) و (الدنف))) .

وفرق الزجاج والفرسي بينهما فقالا : أنّ المفتوح مصدر ، والمكسور اسم فاعل ، وهذا غير ما قاله ابن عاشور حيث عدّ المكسور (حَرَج) صفة مشبهة ، والأولى أنّها مصدر كما ذكر الزجاج والفرسي .

وقال الزجاج : إنّ الحرج أضيّق الضيق ، فمن قال : رَجُلٌ (حَرِجٌ) بالفتح ، فمعناه : ذو حَرَجٍ في صدره ، ومن قال : (حَرِجٌ) بالكسر جعله فاعلاً ، وكذلك دَنَفٌ ودَنِفٌ .

وقال الفرسي : إنّ مَنْ فتح الرَّاء ، كان وصفاً بالمصدر ، نحو : فَمَنْ وَحَرَى ودَنَفٌ ، ونحو ذلك من المصادر التي يُوصَفُ بها ، ولا تكون كـ (بَطَل) ؛ لأنّ اسم الفاعل في الأمر العام إنّما على فَعِلٍ ، ومن قرأ (حَرِجاً) بكسر الرَّاء ، فهو مثل (دَنِف) و (فَرِق) بكسر العين .

وقيل : (الحَرِجُ) بالفتح جمع (حَرَجَة) ؛ كقَصَبَة وقَصَب ، والمكسور صفة ، ك (دَنِف) وأصل المادة من التَّشَابُكِ وشِدَّةِ التَّضَائِقِ ، فإنّ الحَرَجَة عَيْضَة من شَجَر السَّلَمِ ملتقّة لا يُقدِرُ أحدٌ أن يصل إليها قال العجاج :

عَايِنَ حَايِيًّا كَالْحَرَاكِ نَعْمُهُ يَكُونُ أَقْصَى شَلِيهِ حَرْنُجْمُهُ

^١ البيت من الرجز ، ولم أعرف قائله ، ولا تمامه . يُنظر : لسان العرب (حرج) ١٠٥/٣ ، تهذيب اللغة (حرج) ، الدر المصون ١٧٥/٣ ، ومعاني القرآن ٣٥٤/١ .

^٢ معاني القرآن ، للفرّاء ٣٥٤/١ ، يُنظر : اللباب في علوم الكتاب ٨ / ٤١٨ .

^٣ يُنظر : معاني القرآن وإعرابه ٣١٩/٢ ، واللباب في علوم الكتاب ٨ / ٤١٨ .

^٤ يُنظر : والحجة للقراء السبعة ٤٤٦/٢ ، واللباب في علوم الكتاب ٨ / ٤١٨ .

الحِراج : جَمْعُ حَرْجٍ ، وَحَرْجٌ جَمْعُ حَرْجَةٍ ، وَمِنْ غَرِيبٍ مَا يُحْكَى : أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَرَأَ هَذِهِ
الآيَةَ ، فَقَالَ : هَلْ هُنَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي بَكْرِ؟ فَقَالَ رَجُلٌ : نَعَمْ ، قَالَ : مَا الْحَرْجَةُ فِيكُمْ؟ قَالَ :
الْوَادِي الْكَثِيرُ الشَّجَرِ الْمُسْتَمْسِكُ ؛ الَّذِي لَا طَرِيقَ فِيهِ . فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : (فَهَكَذَا قَلْبُ الْكَافِرِ)
هَذِهِ رِوَايَةُ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ . وَقَدْ حَكَى أَبُو الصَّلْتِ الثَّقَفِيُّ هَذِهِ الْحِكَايَةَ بِأَطْوَلٍ مِنْ هَذَا ، عَنْ
عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ : قَرَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ هَذِهِ الْآيَةَ ، فَقَالَ : ((ابْعُونِي رَجُلًا مِنْ بَنِي كِنَانَةَ ،
وَاجْعَلُوهُ رَاعِيًا)) فَأَتَوْهُ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : ((يَا فَتَى مَا الْحَرْجَةُ فِيكُمْ؟)) ، قَالَ : ((الْحَرْجَةُ فِيْنَا
الشَّجَرَةُ تُحْدِقُ بِهَا الْأَشْجَارُ فَلَا تَصِلُ إِلَيْهَا رَاعِيَةٌ وَلَا وَحْشِيَّةٌ)) . فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه : ((وَكَذَلِكَ
قَلْبُ الْكَافِرِ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ)) .
٤

وَبَعْضُهُمْ يُحْكِي هَذِهِ الْحِكَايَةَ عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه كَالْمُنْتَصِرِ لِمَنْ قَرَأَ بِالْكَسْرِ قَالَ : قَرَأَهَا بَعْضُ
أَصْحَابِ عُمَرَ لَهُ بِالْكَسْرِ ، فَقَالَ : ((ابْعُونِي رَجُلًا مِنْ كِنَانَةَ رَاعِيًا ، وَلِيَكُنْ مِنْ بَنِي مُدَلِّجٍ)) .
فَأَتَوْهُ بِهِ ، فَقَالَ : ((يَا فَتَى ، مَا الْحَرْجَةُ تَكُونُ عِنْدَكُمْ ؟)) ، فَقَالَ : ((شَجَرَةٌ تَكُونُ بَيْنَ
الْأَشْجَارِ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا رَاعِيَةٌ وَلَا وَحْشِيَّةٌ)) . فَقَالَ : كَذَلِكَ قَلْبُ الْكَافِرِ ، وَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ
مِنَ الْخَيْرِ .
٥

وقال أبو حيان: ((هذا تَنْبِيهٌ عَلَى اسْتِثْقَاقِ الْفِعْلِ مِنْ اسْمِ الْعَيْنِ، كَاسْتَنْوَقَ وَاسْتَحَجَرَ)) .

^١ يُنْظَرُ : دِيوَانُ ٤٣٤/ ، وَلِسَانُ الْعَرَبِ (حَرْج) ١٠٨/٣ ، وَالْمَنْصَفُ ١٤/٣ ، وَالذُّرُّ الْمَصُونُ ١٤٣/٥ ، وَاللِّبَابُ فِي عُلُومِ
الْكِتَابِ ٨ / ٤١٩ .

^٢ هُوَ عُبَيْدُ بْنُ عَمِيرِ اللَّيْثِيِّ الْمَكِّيِّ ، وَرَدَّتْ عَنْهُ الرِّوَايَةُ فِي حُرُوفِ الْقُرْآنِ ، رَوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، تَوَفَّى سَنَةَ أَرْبَعٍ
وَسَبْعِينَ لِلْهِجْرَةِ . يُنْظَرُ : طَبَقَاتُ الْقُرَّاءِ ١/٤٩٦ .

^٣ هُوَ أَبُو الصَّلْتِ الثَّقَفِيُّ ، وَرَوَى عَنْهُ عَبْدِ اللَّهِ الْيَمَامِيُّ ، وَرَوَى لَهُ أَبُو دَاوُدَ . يُنْظَرُ : تَهْذِيبُ الْكَمَالِ ، يَوْسُفُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
الْمَرْيِيُّ ، دَارُ الْمَأْمُونِ ، دِمَشْقُ ، مَوْسَسَةُ الرِّسَالَةِ ٣/٦١٦ .

^٤ يُنْظَرُ : جَامِعُ الْبَيَانِ ٥/٣٣٧ ، وَذَكَرَهُ السِّيُوطِيُّ فِي (الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ) ٣/٨٤ ، وَزَادَ نَسْبَتَهُ لِعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ ، وَابْنِ الْمُنْذَرِ ، وَأَبِي
الشَّيْخِ عَنْ أَبِي الصَّلْتِ الثَّقَفِيِّ ، وَاللِّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ ٨ / ٤١٨ .

^٥ يُنْظَرُ : جَامِعُ الْبَيَانِ ١٢/١٠٦ ، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ ، لِلْفَرَّاءِ ١/٣٥٣ - ٣٥٤ ، وَمَعَالِمُ التَّنْزِيلِ ٣/١٨٦ ، وَرُوحُ الْمَعَانِي ٨/٢٢ .

^٦ الْبَحْرُ الْمَحِيطُ ٤/٢٢٠ . يُنْظَرُ : الذُّرُّ الْمَصُونُ ٥/١٤٤ ، وَاللِّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ ٨ / ٤١٨ .

قال شهاب الدين : ليس هذا من بابِ اسْتَنَوَقَ واسْتَحْجَرَ في شَيْءٍ ؛ لأنَّ هذا مَعْنَى مستَقْلٌ، ومادَّةٌ مُسْتَقْلَةٌ مُتَصَرِّفَةٌ ، نحو : ((حَرَجٌ يَخْرُجُ فهو حَرَجٌ وَحَارِجٌ)) بخلاف تِيكَ الألفاظ، فَإِنَّ معناها يُضْطَرُّ فيه إلى الأخذِ من الأسماءِ الجَامِدَةِ ، فَإِنَّ مَعْنَى قولك : اسْتَنَوَقَ الجمل، أي : (صار كالنَّاقَةِ) ، واسْتَحْجَرَ والنَّاقَةَ ، وأنت إذا قُلْتَ: حَرَجَ صَدْرُهُ لَيْسَ بِكَ ضَرْوَةٌ أن تَقُولَ : (صار كالْحَرْجَةِ) بل مَعْنَاهُ : (تزايد ضَيْقُهُ)، وأما تَشْبِيهُهُ عُمَرُ بن الخطَّابِ، فلا يَبْرَازُهُ المَعْنَايَ في قَوْلِ الأَعْيَانِ ؛ مبالغة في البيان .

وقال مَكِّي : ((ومعنى (حَرَجٌ) بالكسر كعنى (ضَيْقٌ)، كرر لاختلاف لفظه للتأكيد)) .
قال شهاب الدين : إِمَّا يكون للتأكيد حيث لم يَظْهَر بَيْنَهَا فارقٌ فَتَقُولُ : كُرِّر لاختلاف اللفظ؛ كقوله : ((صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ)) من قوله ﷺ : ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ ^(١٥٧) ، وكقول عدي بن زيد:
فَقَدَّمَتِ الأَدِيمَ لِراهِشٍ فِيهِ وَأَلْفَى قَوْلُهُا كَذِباً وَمِينَا
وقول الحطيئة :

أَلَا حَبَّذا هِنْدًا وَأَرْضٌ بِها هِنْدٌ وَهِنْدٌ أَتى مِنْ دُونِها النَّايُّ والبُعْدُ
وأما هُنَا فقد تقدَّم الفَرْقُ بالعموم والحُصُوصِ أو غير ذلك.

وقال أبو البقاء: وقيل: هو جَمْعُ (حَرْجَةٍ) مثل قصبه وقَصَب، والهاءُ فيه للمبالغة .

^١ يُنظَرُ : الدُّرُّ المصون ١٤٤/٥ ، واللباب في علوم الكتاب ٨ / ٤١٩ .

^٢ يُنظَرُ : الدُّرُّ المصون ١٤٤/٥ ، واللباب في علوم الكتاب ٨ / ٤١٩ - ٤٢٠ .

^٣ يُنظَرُ : مشكل إعراب القرآن ٣٨٨/١ ، والدُّرُّ المصون ١٤٤/٥ ، واللباب في علوم الكتاب ٨ / ٤٢٠ .

^٤ سورة البقرة / ١٥٧ .

^٥ البيت من بحر الوافر. الراهشان: العرقان الظاهران في الذراعين. يُنظَرُ : ديوانه ١٨٣/١ ، والدرر اللوامع ١٦٧/٢ ، ومشكل إعراب القرآن ٣٨٨/١ ، وجمع الهوامع ١٢٩/٢ ، والدُّرُّ المصون ٣٥٨/١ ، ١٤٤/٥ ، واللباب في علوم الكتاب ٤٢٠/٨ ، ومغني اللبيب ٣٩٥/٨ .

^٦ البيت من بحر الطويل . يُنظَرُ : ديوانه ١٤٠/١ ، وأمالي ابن الشجري ٣٦/٢ ، و شرح المفصل ١٠/١ ، الدرر اللوامع ١١٥/٢ ، والدُّرُّ المصون ٣٥٨/١ ، ١٤٤/٥ ، واللباب في علوم الكتاب ٨ / ٤٢٠ ، ومغني اللبيب ٣٩٥/٨ .

القراءة الثانية : قراءة فتح الرّاء ((حَرَجاً)) ، ونسبها إلى باقي القراء ، وهم ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، وحفص ، وذكر أنّها جاءت على صيغة المصدر ، فهو من الوصف بالمصدر للمبالغة ، فهو كقولهم : رجل دَنَفَ بفتح التّون ، وفَرَدَ بفتح الرّاء ، وقال سيبويه (الحَرَج) بالفتح : المصدر كالطلب ، ومعناه ذا حرج .^٣

وقال النحاس : إنّ (حَرَج) بالفتح مصدر وصف به ؛ كما يقال : رجل عدل ورضاء ، وحرَجَ يَحْرِجُ فهو حَرِجٌ وحرَج .^٤

فعلى قراءة الفتح ؛ فإن كان مصدرًا ، جاءت فيه الأوجه الثلاثة المقدّمة في نظائره ، وإن جعل صفةً فلا تأويل . ونصّبهُ على القراءتين : إمّا على كونه نَعْتًا ل (ضَيْقًا) ، وإمّا على كونه مَفْعُولًا به تعدّد ، وذلك أنّ الأفعال التّواسخ إذا دخلت على مُبتدأ وخبر ، كان الخبران على حالهما ، فكما يجوز تعدّد الخبر مُطلقاً أو بتأويل في المبتدأ والخبر الصّريحين ، كذلك في المُستوحين حين تقول : (زَيْدٌ كَاتِبٌ شَاعِرٌ فقيهٌ) ثمّ تقول : ظننتُ زَيْدًا كَاتِبًا شَاعِرًا فقيهًا ، فتقول : (زَيْدٌ مَفْعُولٌ أَوَّلٌ ، (كَاتِبًا) مَفْعُولٌ ثَانٍ ، (شَاعِرًا) مَفْعُولٌ ثَالِثٌ ، (فقيهًا) مَفْعُولٌ رَابِعٌ ؛ كما تقول : خبر ثانٍ وثالثٍ ورابعٍ ولا يلزم من هذا أن يتعدّى الفعل لثلاثة ولا أربعة ؛ لأنّ ذلك بالتّسببة إلى تعدّد الألفاظ ، فليس هذا كقولك : في : أعلّمتُ زيداً عمراً فاضلاً ، إذا المفعول الثّالثُ هناك ليس متكرراً لشيء واحدٍ ؛ وإمّا بيّنتُ هذا ؛ لأنّ بعضَ النَّاسِ وهم في فهمه ، وقد ظهر لك ممّا تقدّم أنّ قوله : ((ضَيْقًا حَرَجًا)) ليس فيه تكرار .^٥

واختلفوا في معنى ((حَرَجًا)) على القراءتين :

^١ يُنظَرُ : الدُّرُ المصون ٥/١٤٥ ، واللباب في علوم الكتاب ٨ / ٤٢٠ ، والإملاء ١/٢٦٠ .

^٢ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٨/٥٩ ، والسبعة في القراءات ٢٦٨/٣ ، ومعالم التنزيل ١٨٦/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٧/٨٢ ، وإعراب النحاس ١/٥٧٩ ، وحرّج القراءات ٢٧١/٢ ، والكشف عن وجوه القراءات ١/٤٥٠ ، والنشر ٢/٢٥٣ .

^٣ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٨ / ٥٩ ، ومعالم التنزيل ٣ / ١٨٦ ، والبحر المحيط ٤/٢٢٠ ، والمحزّر الوجيز ٢/٣٤٣ ، والدُّرُ المصون ٥/١٤٤ - ١٤٥ ، واللباب في علوم الكتاب ٨ / ٤٢٠ .

^٤ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٨/٥٩ ، ومعالم التنزيل ٣/١٨٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٧/٨٢ ، وإعراب النحاس ١/٥٧٩ .

^٥ يُنظَرُ : الدُّرُ المصون ٥/١٤٤-١٤٥ ، واللباب في علوم الكتاب ٨/٤٢٠ ، والبحر المحيط ٤/٢٢٠ ، والمحزّر الوجيز

فيرى بعضهم : أنه بمعنى : (الحَرَج) . وقالوا : الحَرَج (بفتح الحاء والراء ، و (الحَرَج) بفتح الحاء وكسر الراء ، بمعنى واحد ، وهما لغتان مشهورتان ، مثل : (الدَّنْف) و (الدَّنْف) ، و (الوَحْد) و (الوَحِد) ، و (الفَرْد) و (الفَرْد) .

وقال آخرون منهم : بل هو بمعنى الإثم ، من قولهم : (فلان آثمٌ حَرَجٌ) ، وذكر عن العرب سماعاً منها : (حَرَجٌ عليك ظلمي) ، بمعنى : ضيقٌ وإثمٌ .^١

ويرى الطبري : أنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان مستفيضتان بمعنى واحد ، وبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيبٌ ، لاتفاق معنيهما . محتجاً بأن الروايات عن العرب في (الوحد) و (الفرد) بفتح الحاء من (الوحد) والراء من (الفرد) ، وكسرهما ، بمعنى واحد .^٢

وذكر ابن عاشور أيضاً أن أتباع الضيق بالخرج : لتأكيد معنى الضيق؛ لأن في الحرج من معنى شدة الضيق ما ليس في ضيق . والمعنى يجعل صدره غير متسع لقبول الإسلام ، بقرينة مقابلته بقوله : يشرح صدره للإسلام . وزاد حالة المضلل عن الإسلام تبيناً بالتمثيل ، فقال : (كأنما يصعد في السماء) .^٣

٢ . من القراءات القرآنية التي طرقها ابن عاشور ما كان وجه الاختلاف فيها من قبيل الظواهر اللغوية التردد في إعراب الكلمة بين اسم الفاعل والمصدر ، جاء ذلك في : ((سَلَمًا)) من قوله ﷻ : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ، فقد ذكر ابن عاشور في ((سَلَمًا)) قراءات ، وهي :

^١ يُنظَر : جامع البيان ١٢ / ١٠٦ ، ومعاني القرآن ، للفرّاء ١ / ٣٥٣ - ٣٥٤ ، ومعالم التنزيل ٣ / ١٨٦ .

^٢ يُنظَر : جامع البيان ١٢ / ١٠٦ ، ومعاني القرآن ، للفرّاء ١ / ٣٥٣ - ٣٥٤ .

^٣ يُنظَر : التحرير والتنوير ٨ / ٥٩ .

٤ سورة الزمر / ٢٩ .

القراءة الأولى : قراءة فتح السين وفتح اللام بعدها ميم ((سَلَمًا)) ، ونسبها إلى الجمهور ، (وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ) بمعنى : صلحا ، قائل هذا : هو أبو عبيدة في مجاز القرآن . وهو اسم مصدر : سَلِمَ له ، إذا خَلَصَ ، على (فَعَلَ) مصدرٌ وُصِفَ به ؛ إمَّا على حذف المضاف ، والمعنى : ورجلاً ذا سَلَمٍ ، أي : إنَّ من وَحَدَّ اللهُ مثله مثلُ السالم لرجل لا يشركه فيه غيره ، وإمَّا مبالغة في الخلوَصُ من الشركة ، يجعل السلم نفسه هو المصدر . وجاء عن الفراء أنَّ (سَلَمٌ) وَ (سَالِمٌ) متقاربان في المعنى ، وكأَنَّ (سَلَمًا) مصدر لقولك : سَلِمَ لَهُ سَلَمًا ، وَأَنَّ العرب تقول : رِبْحٌ رِبْحًا وَرِبْحًا ، وَسَلِمَ سِلْمًا وَسَلَمًا وَسَلَامَةً . فسالم من صفة الرجل ، وسَلَمَ مصدرٌ لذلك .

٣

فالوصف بالمصدر جائزٌ في كلام العرب ، بل هو حقيقة من حقائق التركيب في اللسان العربي ، وأشار إلى كثرته ابن مالك بقوله :

وَنَعْتٌ وَمَصْدَرٌ كَثِيرٌ فَالتَّرْمُومُ الْإِفْرَادُ وَالتَّذْكَيرُ

وعلق ابن عقيل على ذلك بقوله : يكثر استعمال المصدر نعتاً نحو : مررت برجلٍ عدلٍ ، وبرجلين عدلٍ ، وبرجالٍ عدلٍ ، وبامرأةٍ عدلٍ ، وبامرأتي عدلٍ ، وبنساءٍ عدلٍ ، وأنه يلزم حينئذٍ الإفراد والتذكير والنعت به على خلاف الأصل ؛ لأنه يدل على المعنى لا على صاحبه ، وأنه مؤوَّلٌ ؛ إمَّا على وضع (عدلٍ) موضع (عادِلٍ) ، أو على حذف مضاف ، والأصل مررت برجلٍ ذي عدلٍ ثمَّ حذف ذي وأقيم عدل مقامه ، وإمَّا على المبالغة يجعل العين نفس المعنى مجازاً أو ادعاءً .

٥

^١ يُنظَرُ : التحرير والتنوير ٥٩/٨ ، والسبعة في القراءات ٢٦٨/٣ ، ومعالم التنزيل ١٨٦/٣ ، والجامع لأحكام القرآن ٨٢/٧ ، وإعراب النحاس ٥٧٩/١ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣١٩/٢ ، وحجَّة القراءات ٢٧١/٢ ، والكشف عن وجوه

القراءات ٤٥٠/١ ، والنشر ٢٥٣/٢ ، والحجَّة في القراءات السبع ١٤٩/١ ، والتبيان في إعراب القرآن ٥٣٧/١ .

^٢ يُنظَرُ : تهذيب تهذيب اللغة ٤٤٨/١٢ ، والكشَّاف ٣٩٧/٣ ، ومفاتيح الغيب ٢٦٧/٢٦ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٥٣/١٥ .

^٣ يُنظَرُ : معاني القرآن ، للفراء ٤١٩ / ٢ ، وجامع البيان ٢١ / ٢٨٤ .

^٤ ألفية ابن مالك . ويُنظَرُ : شرح ابن عقيل ٣ / ٢٠١ ، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك ١ / ١٩٣ .

^٥ يُنظَرُ : شرح ابن عقيل ٣ / ٢٠١ .

والعلاقة بين اسم الفاعل والمصدر علاقة الجزء بالكل؛ لأنَّ المصدر أصل المشتقات، على الأصح، واسم الفاعل مشتق منه، فالمصدر قابل لكلِّ ما يصلح للتوليد منه، والحمل عليه .
ويرى الأشموني وغيره من النُّحاة : أنَّ النعت بالمصدر على خلاف الأصل لجموده؛ لأنَّه يدلُّ على المعنى لا على صاحبه ، وهو مؤوَّل ؛ إمَّا على وضعه موضع اسم الفاعل اتِّساعاً، ف (سَلِمَ) بمعنى (سَالِم) ، مثل : (عَدَلَ) بمعنى (عَادِل) ، و (غور) بمعنى : (غَائِر) ، أو على حذف مضاف ، والأصل ورجلا ذا سلم ، فحُذِفَ (ذا) وأقيم (سلم) مقامه ، وإمَّا على المبالغة يجعل السلم نفسه هو المصدر ليس على حذف الأصل، بل هو أمر مطَّرد يصحُّ أن ينتهج نهجه ، وأن يُسَلِّكَ سبيله ، وليس بمقصودٍ على السماع، كما ذهب إلى ذلك جماعة من المتأخرين ، ومعنى المصدر يشتمل بالقوَّة على معنى كلِّ ما يشتقُّ من الأفعال والصفات: أسماء الفاعلين، والمفعولين، والصفات المشبَّهة، وأمثلة المبالغة، ونحوها. فحين يُؤْتَى به وصفاً ، أو حالاً ، أو خبراً إمَّا يُفْهَم منه ما يُراد بكل تلك الأوصاف التي يمكن أن تشتق منه، ويحتمل أن يقبلها ، أو يحتملها سياق الكلام، فإذا قِيلَ زَيْدٌ عَدْلٌ، فإنَّ ذلك يحتمل وصفه بأنَّه عادل ومعدل وذو عدل ، أي محكوم له بالعدالة وغير ذلك ممَّا يصح أن يوصف به .^٢

وقد قيَّد ابن مالك ذلك بقوله : (فَالْتَزَمُوا الإِفْرَادَ وَالتَّدْكِيرَ) تنبيهاً على ذلك فقالوا:
رجل عدل ورضا وزور ، وامرأة عدل ورضا وزور ، ورجلان عدل ورضا وزور، وكذا في الجمع أي : هو نفس العدل أو ذو عدل ، وهو عند الكوفيين على التأويل بالمشتق أي عادل ومرضي وزائر ، ووقوع المصدر نعتاً وإن كان كثيراً لا يطَّرد كما لا يطَّرد، ووقوعه حالاً وإن كان أكثر من وقوعه نعتاً . الثاني أطلق المصدر وهو مقيد بأن لا يكون في أوله ميم زائدة كمزاد ومسير ، فإنَّه لا ينعت به لا باطراد ولا بغيره .^٣

^١ يُنظَر : الوصف بالمصدر ، أحمد عبدالستار الجواري ، مجلَّة المجمع العراقي ١٩٨٤ م ٤/١ ، ٧ . والقراءات القرآنيَّة في المعجمات اللغويَّة / ٤٥١ .

^٢ يُنظَر : شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ١٩٣/١ - ١٩٤ ، والوصف بالمصدر، مجلَّة المجمع العراقي ١٩٨٤ م ١٤/١ ، والقراءات القرآنيَّة في المعجمات اللغويَّة / ٤٥١ .

^٣ يُنظَر : شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ١٩٣ / ١ - ١٩٤ .

القراءة الثانية : قراءة فتح السين بعدها ألف وكسر اللام ((سَالِمًا)) ، ونسبها إلى ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب ، بصيغة اسم الفاعل ، وهو من (سَلِم) ، إذا خلص ، وذكر أن أبو عبيد اختار هذه القراءة ، ثمَّ أعترض عليه بقوله : أنه ولا وجه له ، وعدَّ القراءتين سواء ، ونقل تأييد النخّاس وأبي حاتم لهاتين القراءتين .^١

فالقراءتان معروفتان ، قد قرأ بكلِّ واحدة منهما علماء من القراء ، متقاربتا المعنى ، وذلك أن (السَلَم) مصدر من قول القائل: (سَلِم) فلان لله سَلَمًا بمعنى: خَلَص له خُلوصاً، تقول العرب: ربح فلان في تجارته رِبْحًا ورَبِحًا ، وسَلِمَ سَلَمًا وسَلَمًا وسَلَامَةً، وأنَّ السالم من صفة الرجل، وسَلَمَ مصدر من ذلك. وأمَّا الذي توهمه من رغب من قراءة ذلك (سَلَمًا) من أنَّ معناه صلحاً، فلا وجه للصلح في هذا الموضع؛ لأنَّ الذي تقدّم من صفة الآخر، إمَّا تقدّم بالخبر عن اشتراك جماعة فيه دون الخبر عن حربه بشيء من الأشياء، فالواجب أن يكون الخبر عن مخالفه بخلوصله لواحد لا شريك له، ولا موضع للخبر عن الحرب والصلح في هذا الموضع. فالقراءتان صحيحتان، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب؛ لا يتَّفاق معنيهما واستفاضتهما في منطوق العرب .

^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٣ / ٤٠١ .

^٢ في (لسان العرب : ربح) : الربح (بالكسر) ، والربح (بالتحريك) ، والرباح (بفتح الراء) : النماء في التجاراه . قلت : وعلى هذا فهما مصدران كما قال المؤلف . وقال : قال ابن الأعرابي : الربح والربح ، مثل البديل والبديل .

وقال الجوهري : مثل شبه وشبهه : هو اسم ما ربحه . يُنظَر : جامع البيان ٢١ / ٢٨٤ .

^٣ يُنظَر : جامع البيان ٢١ / ٢٨٤ .

الثاني : تذكير الفعل مع الفاعل وتأنيثه

١ . من القراءات القرآنيّة التي طرقها ابن عاشور ما كان وجه الاختلاف فيها من قبيل

الظواهر اللغويّة المتردّد في تذكير الفعل وتأنيثه قراءة ((يُقْبَلُ)) من قوله ﷻ : ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ ٤٨ ، حيث ذكر قراءتين :

القراءة الأولى : قراءة ياء المضارع المسند إلى مذكر (وَلَا يُقْبَلُ) ونسبها إلى الجمهور، وهم ابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، ونافع ، وأبو بكر ، وحفص ، وعاصم ، وجاءت بالياء لمناسبة قوله بعده : ((وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ)) ، وقال : إنّه يجوز في كلِّ مؤنّث اللفظ غير حقيقي التأنيث أن يعامل معاملة المذكر ، وحسنه الفصل بين الفعل ومرفوعه ، ولأنّ صيغة التذكير هي الأصل في الكلام فلا تحتاج إلى سبب ، ولأنّ الشفاعة بمعنى : التشفّع والشفيع ، ومعناها ومعنى التشفّع سواء ، كالتذكرة والمذكر ، تقول : (قد قُبِلَ منك الشفاعة) ، أي : التشفّع ، وتقول : (قد قُبِلت منك الشفاعة) ، وحسن التذكير أيضاً وجود الفاصل (الجار والمجرور) بين الفعل والفاعل ؛ لأنّه صار كالعوض من الفعل .

٣

١ سورة البقرة / ٤٨ .

٢ التحرير والتنوير / ٤٨٦/١ ، والجامع لأحكام القرآن / ٣٨٠/١ ، والنشر ٢/٢١٢ ، والمحرّر الوجيز / ٢٨٢/١ ، وشرح الشاطبيّة / ٤٩/١ ، وإتحاف فضلاء البشر / ١٣٥/١ ، ومجمّع البيان / ٢٢٧/١ ، الحجة في القراءات السبع / ٧٦/١ ، والتبصرة في القراءات السبع / ٤٢٠/١ ، والمبسوط / ١٢٩/١ ، والكشف عن وجوه القراءات / ٢٣٨/١ ، والبحر المحيط / ١٩٠/١ ، والسبعة في القراءات / ١٥٤/١ ، والمذكر والمؤنّث / ٦٢٠/١ ، والتبيان في إعراب القرآن / ٢١٠/١ ، وزاد المسير / ٧٧/١ .

٣ التحرير والتنوير / ٤٨٦/١ ، والجامع لأحكام القرآن / ٣٨٠/١ ، والنشر ٢/٢١٢ ، والمحرّر الوجيز / ٢٨٢/١ ، وشرح الشاطبيّة / ٤٩/١ ، وإتحاف فضلاء البشر / ١٣٥/١ ، ومعاني القرآن وإعرابه / ٩٩/١ ، ومجمّع البيان / ٢٢٧/١ ، الحجة في القراءات السبع / ٧٦/١ ، ومعجم القراءات ، للخطيب / ٩٥/١ .

القراءة الثانية : القراءة بتاء المضارع (وَلَا تُقْبَلُ) ونسبها إلى أبي عمرو ويعقوب، وهي قراءة أيضاً لابن محيصة واليزيدي، ورُوِيَتْ عن أبي بكر عن عاصم ، وجاء بالمثلثة الفوقية لمراعاة لتأنيث لفظ (شفاعة)، وهو القياس الأكثر. والشفاعة: السعي والوساطة في حصول نفع أو دفع ضرر سواء كانت الوساطة بطلب من المنتفع بها أم كانت بمجرد سعي المتوسط، ويقال لطالب الشفاعة مستشفع. وهي مشتقة من الشفع؛ لأنَّ الطالب أو النائب يأتي وحده فإذا لم يجد قبولاً ذهب فأتى بمن يتوسَّل به فصار ذلك الثاني شافعاً للأوَّل أي مصيره شفعاً .^٢

٢. من القراءات القرآنية طرقها ابن عاشور وكان وجه الاختلاف فيها من قبيل الظواهر اللغوية المتردِّد في تذكير الفعل وتأنيثه قراءة (تَشْهَدُ) من قوله ﷻ : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٢٤) ، حيث ذكر قراءتين^٣ :

القراءة الأولى : قراءة تاء المضارع ((تَشْهَدُ)) لم يذكر هذه القراءة صريحة، وقرأ بها ابن كثير، ونافع ، وأبو عمرو ، وعاصم ، وابن عامر ، واختار هذه القراءة أبو حاتم .^٤

١ يُنظَر : التحرير والتنوير ٤٨٦/١ ، و الجامع لأحكام القرآن ٣٨٠/١ ، والنشر ٢١٢/٢ ، والمحزَّر الوجيز ٢٨٢/٢ ، وشرح الشاطبية ٤٩/٤٩ ، وإتحاف فضلاء البشر ١٣٥/١٣٥ ، ومجمَّع البيان ٢٢٧/١ ، الحجَّة في القراءات السبع ٧٦/٧٦ ، والتبصرة في القراءات السبع ٤٢٠/٤٢٠ ، والمبسوط ١٢٩/١٢٩ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢٣٨/١ ، والبحر المحيط ١٩٠/١ ، والسبعة في القراءات ١٥٤/١٥٤ ، والمذكَّر والمؤنَّث ٦٢٠/٦٢٠ ، والتبيان في إعراب القرآن ٢١٠/١ ، وزاد المسير ٧٧/٧٧ .

٢ التحرير والتنوير ١ / ٤٨٦ ، و الجامع لأحكام القرآن ١ / ٣٨٠ ، والنشر ٢ / ٢١٢ ، والمحزَّر الوجيز ٢٨٢/٢ ، وشرح الشاطبية ٤٩ / ٤٩ ، وإتحاف فضلاء البشر ١٣٥ / ١٣٥ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٩٩/٩٩ ، ومجمَّع البيان ٢٢٧/١ ، الحجَّة في القراءات السبع ٧٦ / ٧٦ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٩٥/٩٥ .

٣ سورة النور / ٢٤ .

٤ يُنظَر : الكشَّاف ٢٨٠/٢ ، و الجامع لأحكام القرآن ١٢٠/٢١٠ ، والحجَّة في القراءات السبع ٢٦٠/٢٦٠ ، وحجَّة القراءات ٤٩٦/٤٩٦ ، والبحر المحيط ٦/٤٤٠ ، ومعاني القرآن، للفرَّاء ١/٣٧٨ ، ٤١٨ ، ٢/٢٤٨ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١٠٣-١٠٤ ، والتبصرة في القراءات السبع ٩/٦٠٩ ، وغرائب القرآن ١٨/٧٤ ، ومجمَّع البيان ١٨/٢٦ ، وزاد المسير ٦/٢٦٦ ، والتذكرة في القراءات الثمان ٩/٤٥٩ ، وإتحاف فضلاء البشر ٣٢٤/٣٢٤ ، حاشية الجمل ٣/٢١٥ ، والعنوان ١٣٨/١٣٨ ، والمبسوط ٣١٨ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/١٣٥ ، ومجمَّع البيان ١٨/٢٦ ، وإرشاد المبتدي ٤/٤٦٠ ، والمحزَّر الوجيز ١٠/٤٧٣ ، ومعجم القراءات ، للخطيب ٦/٢٤٩ ، وفتح القدير ٤/٥٨٧ .

القراءة الثانية : قراءة ياء المضارع (يَشْهَدُ) ونسبها إلى حمزة والكسائي وخلف، وكذلك هي قراءة للأعمش ، ويحيى بن وثاب ، والزعفراني ، وابن مقسم ، وابن سعدان، وهو وجه في الفعل المسند إلى ضمير جمع تكسير ، و لتقديم الفعل ، والفصل بينه وبين فاعله. واختار هذه القراءة أبو عبيد ؛ لأنَّ الجار والمجرور قد حال بين الاسم والفعل، وقال الفرّاء : إنَّ التاء في (تشهد) لتأنيث الألسنة ، والياء لتذكير اللسان؛ ولأنَّ الفعل إذا تقدّم كان كأنه لواحد الجمع .

٣. من القراءات القرآنيّة طرقها ابن عاشور وكان وجه الاختلاف فيها من قبيل الظواهر

الغويّة المتردّد في تذكير الفعل وتأنيثه قراءة (يَكُونُ) من قوله ﷺ : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ

صَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ، حيث ذكر قراءتين :^١

القراءة الأولى : قراءة تاء المضارع ((أَنْ تَكُونَ)) ، ونسبها إلى الجمهور، وهم ابن كثير، ونافع، وابن عامر ، وأبو عمرو ، وأبو جعفر ، وشيبة ، والأعرج، وعيسى، ويعقوب، وروح، وابن ذكوان، وابن محيصن، واليزيدي، وقُرأت بمثناة فوقيّة؛ لأنَّ فاعله ((الْخَيْرَةُ)) مصدر بمعنى (الاختيار) مؤنث لفظاً .

٣

^١ يُنظر : التحرير والتنوير ١٨ / ١٩٢ ، والكشاف ٢ / ٢٨٠ ، و الجامع لأحكام القرآن ١٢ / ٢١٠ ، والحجّة في القراءات السبع / ٢٦٠ ، وحجّة القراءات / ٤٩٦ ، والبحر المحيط ٦ / ٤٤٠ ، ومعاني القرآن ، للفرّاء ١ / ٣٧٨ ، ٤١٨ ، ٢٤٨ / ٢ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢ / ١٠٣ - ١٠٤ ، ومعالم التنزيل ٦ / ٢٨ ، وروح المعاني ١٨ / ١٣٠ ، والتبصرة في القراءات السبع / ٦٠٩ ، وغرائب القرآن ١٨ / ٧٤ ، ومجمّع البيان ١٨ / ٢٦ ، وزاد المسير ٦ / ٢٦ ، والتذكرة في القراءات الثمان / ٤٥٩ ، وإتحاف فضلاء البشر / ٣٢٤ ، حاشية الجمل ٣ / ٢١٥ ، والعنوان / ١٣٨ ، والمبسوط / ٣١٨ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢ / ١٣٥ ، ومجمّع البيان ١٨ / ٢٦ ، وإرشاد المبتدي / ٤٦٠ ، والمحرّر الوجيز ١٠ / ٤٧٣ ، ومعجم القراءات، للخطيب ٦ / ٢٤٩ ، وفتح القدير ٤ / ٥٨٧ .

^٢ سورة الأحزاب / ٣٦ .

^٣ يُنظر : التحرير والتنوير ٢٢ / ٢٨ ، و الجامع لأحكام القرآن ١٤ / ١٨٧ ، والعنوان / ١٥٥ ، والمحرّر الوجيز ١٢ / ٦٨ ، وإرشاد المبتدي / ٥٠٣ ، والمبسوط / ٣٥٨ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢ / ٢٠٠ - ٢٠١ ، والتذكرة في القراءات الثمان / ٥٠٢ ، والبحر المحيط ٧ / ٢٣٣ - ٢٣٤ ، وإتحاف فضلاء البشر / ٣٥٥ ، وإعراب القرآن ، للنحاس ٢ / ٦٣٧ ، والحجّة في القراءات السبع / ٢٩٠ ، والكشاف ٢ / ٥٣٩ ، وشرح الشاطبيّة / ٢٧٠ ، والسبعة في القراءات / ٥٢٢ ،

القراءة الثانية: القراءة بياء المضارع ((أَنْ يَكُونَ)) ، ونسبها إلى عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف، وهشام، وابن عامر، وهي قراءة للأعمش أيضاً، والحسن، والسلمي، وقُرأت بتحتية؛ لأنَّ الفاعل المؤنَّث غير الحقيقي يجوز في فعله التذكير لا سيما إذا وقع الفصل بين الفعل وفاعله، وهي اختيار أبي عبيدة .^١

ومجمّع البيان ١٤٢/٢٢، والتيسير ١٧٩/، والنشر ٣٤٨/٢، والتبيان في تفسير القرآن ٣٤١/٨، والكشف عن وجوه القراءات ١٩٨/٢، والحجة للقراء السبعة ٢٨٣/٤، و معالم التنزيل ٣٥٣/٦، وفتح القدير ٣٢٦/٤ .
^١ يُنظَر : التحرير والتنوير ٢٨/٢٢، و الجامع لأحكام القرآن ١٨٧/١٤، والعنوان ١٥٥/، والمحرّر الوجيز ٦٨/١٢، وإرشاد المبتدي ٥٠٣/، والمبسوط ٣٥٨/، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢٠٠/٢ - ٢٠١/، والتذكرة في القراءات الثمان ٥٠٢/، والبحر المحيط ٢٣٣/٧ - ٢٣٤/، وإتحاف فضلاء البشر ٣٥٥/، وإعراب القرآن، للنحاس ٦٣٧/٢، والحجّة في القراءات السبع ٢٩٠/، والكشّاف ٥٣٩/٢، وشرح الشاطبية ٢٧٠/، والسبعة في القراءات ٥٢٢/، ومجمّع البيان ١٤٢/٢٢، والتيسير ١٧٩/، والنشر ٣٤٨/٢، والتبيان في تفسير القرآن ٣٤١/٨، والكشف عن وجوه القراءات ١٩٨/٢، والحجة للقراء السبعة ٢٨٣/٤، و معالم التنزيل ٣٥٣/٦، وفتح القدير ٣٢٦/٤.

النتائج والتوصيات

وبعد فقد تم بحمد الله وحسن توفيقه هذا البحث الذي أرسلنا فيه للقلم العنان، وأفضنا من خلاله في تتبع القراءات القرآنية في تفسير التحرير التنوير لابن عاشور في مجالها هذا الفسيح، وصحبنا من خلال ذلك ابن عاشور في تفسيره، حيث حصلنا من خلال هذه الصحبة له على جملة من الملحوظات والنتائج النافعة نجلها أهمها فيما يلي :

١. أن القراءات القرآنية سواء منها الصحيحة أم الشاذة كانت مصدراً من مصادر الدراسات اللغوية، وقد أثرت تأثيراً واضحاً في تلك الدراسات في جميع مستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، إذ لا يكاد يخلو كتاب منها.
٢. كانت القراءات القرآنية بما فيها الشاذة دليلاً يستهدي بها اللغويون في ترجيح بعض توجيهاتهم.
٣. أن النحويين قد عملوا على تخريج القراءات القرآنية على وفق قواعدهم النحوية.
٤. أن القراءات القرآنية ساعدت على المفاضلة بين توجيهات المعاني.
٥. أن القراءات القرآنية ساعدت في كشف جانب كبير من الإعجاز اللغوي في النظم القرآني.
٦. أن القراءات القرآنية وحي منزل من الله ﷻ، ولم تكن من اجتهاد الرسول ﷺ.
٧. أن اختلاف القراءات القرآنية اختلاف تنوع، لا اختلاف تعارض وتناقض.
٨. أن قراءات الأئمة السبعة ليست هي الأحرف السبعة، وإنما هي قراءات أئمة سبعة، وهي جزء من الأحرف السبعة.
٩. أن القراءات الشاذة مصدر صحيح لقضايا النحو والصرف واللغة، وقد اعتمدها الكثير من اللغويين القدماء كما وجدناه عند ابن جني في كتابه المحتسب.
١٠. أن ابن عاشور يعد من المدافعين عن القراءات القرآنية ضد الطاعنين فيها.
١١. أن ابن عاشور ينبه على بعض القراءات الموضوعية.

- ١٢ . أن ابن عاشور أضفى كثيراً من الفوائد الجديدة التي لم يسبق إليها أثناء توجيهه للقراءات القرآنية .
- ١٣ . أن ابن عاشور اعتمد في تفسيره على القراءات القرآنية المتواترة ، وابتعد عن القراءات الشاذة إلا ما ندر .
- ١٤ . أن ابن عاشور ينسب أغلب القراءات إلى أصحابها .
- ١٥ . أن ابن عاشور يژد على النحاة الطاعين في بعض القراءات القرآنية المتواترة ، ويرى أنّها هي الحاكمة على القواعد النحوية، لا العكس .
- ١٦ . أن ابن عاشور يوجه القراءات القرآنية توجيهاً شاملاً من حيث المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والبلاغية والفقهية .
- ١٧ . أن ابن عاشور اعتمد في أخذ القراءات القرآنية على المصادر الأصلية للقراءات القرآنية والمؤلفات المختصة بها .
- ١٨ . أن توجيه ابن عاشور للقراءات القرآنية في تفسيره خلاصة للكتب السابقة له .
- ١٩ . أن ابن عاشور اتسم بالأمانة العلمية في النقل والاستفادة ممن سبقوه .

التوصيات :

- ١ . دعوة الباحثين إلى الاهتمام بهذا التفسير، فرغم كثرة الدراسات حوله، إلا أنّها لم تمس جانب القراءات إلا في جوانب يسيرة منها .
- ٢ . دعوة الباحثين إلى الاهتمام بالقراءات القرآنية من كتب التفسير المختلفة .
- ٣ . دعوة الدارسين اللغويين إلى الاستفادة من القراءات القرآنية في تطوير الأبحاث اللغوية .
- ٤ . دعوة الباحثين إلى تخصيص دراسات مستقلة في توجيه ابن عاشور للقراءات القرآنية في مختلف المستويات اللغوية .
- والآن وقد بلغنا مما أردنا من هذا البحث غاية الطوق ، لم يبق لنا إلا أن نودع القارئ الكريم بعد أن صحبناه وصحبنا في هذه الجولات الطويلة التي نرجو أن يكون قد أفاد منها ، سائلين الله تعالى التوفيق والنجاح، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله رب العالمين .

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً :

- ١ . الإبانة عن معاني القراءات، مكّي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ)، تحقيق د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر (د.ت) .
- ٢ . إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، للإمام الشاطبي (٥٩٠هـ)، تأليف عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، المعروف بأبي شامة الدمشقي (٦٦٥هـ)، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، مكتبة ومطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده بمصر (د.ت).
- ٣ . إتخاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ، أحمد بن محمد البنا الدمياطي، تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل، ط ١، القاهرة ١٩٨٧ م .
- ٤ . الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .
- ٥ . أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٩٨٧ م .
- ٦ . أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، د. محمد سمير نجيب اللبدي، الكويت ط ١، ١٩٧٨م .
- ٧ . أدب الكاتب، ابن قتيبة: أبو محمد ، عبد الله بن مسلم الدينوري، (٢٧٦هـ)، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٨ م .
- ٨ . ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)، تحقيق، وشرح، ودراسة: د. رجب عثمان محمّد، مراجعة: د. رمضان عبدالتوّاب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

٩. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود (٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
١٠. الأزهية في علم الحروف، لعللي بن محمد النحوي الهروي (٤١٥هـ)، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، تحقيق عبد المعين الملوحي ط ٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١١. أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٢. أسرار البلاغة، الجرجاني: عبد القاهر بن عبد الرحمن، (٤٧٤هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، جدّة ط ١، ١٩٩١م.
١٣. أسرار العربية، لأبي البركات الأنباري، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.
١٤. الاشتقاق، أبو بكر محمد بن الحسن بن دُرَيْد (٣٢١هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، (د.ت).
١٥. إصلاح المنطق، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (٢٤٤هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة ط ٤، ١٩٤٩م.
١٦. الأصول في النحو، ابن السراج: أبو بكر، محمد بن السري، (٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٩٩٦م.
١٧. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، وتتمته لتلميذه عطية محمد سالم، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
١٨. إعراب القراءات السبع وعللها، ابن خالويه: أبو عبد الله، الحسين بن أحمد، (٣٧٠هـ) حققه وقدم له: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، القاهرة، مكتبة الخانجي ط ١، ١٩٩٢م.
١٩. إعراب القراءات الشواذ، العكبري: أبو البقاء، عبد الله بن الحسين، (٦١٦هـ) تحقيق: محمد بن السيد أحمد عزوز، بيروت، عالم الكتب ط ١، ١٩٩٦م.

٢٠. إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ.
٢١. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، ط ٤، ١٤١٥ هـ.
٢٢. الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد، (١٩٧٦م)، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٩م.
٢٣. الأغاني، أبو الفرج، علي بن الحسين الأصفهاني، (٣٥٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٧م.
٢٤. الأفعال، أبو القاسم علي بن جعفر السعدي، عالم الكتب، بيروت ط ١، ١٩٨٣م.
٢٥. الإملاء والترقيم في الكتابة العربيّة، عبد العليم إبراهيم، مكتبة غريب، الفجالة، القاهرة، ط ١، ١٩٧٥م.
٢٦. الأنساب، للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (٥٦٢هـ)، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، دار الجنان، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٧. الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الأنباري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. القاهرة، (د.ت).
٢٨. أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (٦٩١هـ)، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط ١، (د.ت).
٢٩. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، دار الجيل، بيروت ط ٥، ١٩٧٩م.

٣٠. إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزَّ وجلَّ، الأنباري، أبو بكر محمَّد بن القاسم بن بشَّار الأنباري (٣٢٨ هـ)، تحقيق: محيي الدين عبدالرحمن رمضان، مطبوعات مجمَّع اللُّغة العربيَّة، دمشق، ط ١١٣٩١، ١ هـ - ١٩٧١ م .
٣١. إيضاح شواهد الإيضاح، القيسي: أبو علي، الحسن بن عبد الله (ت: في القرن السادس الهجري)، تحقيق: محمد حمود الدعجاني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط ١٩٨٧ م .
٣٢. الإيضاح في شرح المفصَّل، ابن الحاجب: أبو عمرو، عثمان بن عمر (٦٤٦ هـ)، تحقيق: موسى بناي العكيلي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، إحياء التراث الإسلامي، بغداد، ط ١٩٨٢ م .
٣٣. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
٣٤. البحر المحيط، محمَّد بن يُوسُف الشهير بأبي حيَّان الأندلسي (٧٤٥ هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوَّض، تقريض: د. عبدالحى الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
٣٥. البحر المحيط، محمَّد بن يُوسُف الشهير بأبي حيَّان الأندلسي (٧٤٥ هـ)، مطابع النصر الحديثة، الرياض، (د.ت).
٣٦. البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، دار الكتب العلمية، بيروت ط ٢٠٠٢ م - ١٤٢٣ هـ .
٣٧. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشَّاطِبيَّة والدُّرِّي، القراءات الشَّاذَّة وتوجيهها من لغة العرب، لعبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (١٤٠٣ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).
٣٨. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيَّة، عيسى البابي الحلبي وشركائه، تصوير دار المعرفة، بيروت، ط ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .

- ٣٩ . البسيط في شرح جمل الزجاجي، ابن أبي الربيع: أبو الحسين، عبید الله بن أحمد الإشبيلي (٦٨٨هـ)، تحقيق: عياد بن عيد الثبتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط ١، ١٩٨٦م .
- ٤٠ . البيان في غريب إعراب القرآن، الأنباري: أبو البركات، عبد الرحمن بن محمد (٥٧٧هـ)، تحقيق: طه عبد الحميد طه، مراجعة: مصطفى السقا، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ط ١٩٨٠، م١ .
- ٤١ . البيان والتبيين، الجاحظ: أبو عثمان، عمرو بن بحر، (٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٤، ١٩٧٥م .
- ٤٢ . تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مُرْتَضَى الحُسَيْنِي الرِّيْدِي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، (د.ت).
- ٤٣ . تأويل مشكل القرآن، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، (٢٧٦هـ) تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط ٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
- ٤٤ . التبصرة في القراءات السبع، مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ)، تحقيق: محمد غوث الندوي، نشر الدار السلفية، الهند، ط ٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- ٤٥ . التَّبصرة والتَّذكرة، لأبي محمد عبد الله بن علي بن إسحاق الصَّيْمَرِي، من نحاة القرن الرابع الهجري، تحقيق: فتحي أحمد مصطفى علي الديوط، ١٤٠٢، ١هـ - ١٩٨٢م .
- ٤٦ . التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، نشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه (د.ت).
- ٤٧ . التبيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط ١، ١٣٠٩هـ .
- ٤٨ . تحبير التيسير في القراءات العشر، ابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف، دار الفرقان، الأردن، عمان ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

- ٤٩ . التَّحْبِيرُ فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي،
أبوسعدي (٥٦٢هـ) ، تحقيق: منيرة ناجي سالم، منشورات رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد،
ط ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
- ٥٠ . التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ((تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد))،
محمَّد الطاهر بن محمَّد بن محمَّد الطاهر بن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ)، الدار التونسية
للنشر، تونس، ط ، ١٩٨٤هـ .
- ٥١ . التذكرة في القراءات الثمان، أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون المقرئ الحلبي
(٣٩٩هـ)، دراسة وتحقيق: أيمن زُشدي سويد، سلسلة أصول النشر، جدَّة ط ، ١
١٤١٢هـ - ١٩٩١م .
- ٥٢ . تذكرة النُّحاة، أبو حيان: محمد بن يوسف، (٧٤٥هـ)، تحقيق: عفيف عبد الرحمن،
مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ، ١٩٨٦م .
- ٥٣ . تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك : محمد بن عبدالله ، (٦٧٢هـ)، تحقيق:
محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي، القاهرة ط ، ١٩٦٨م .
- ٥٤ . التسهيل لعلوم التنزيل ، أبو القاسم محمَّد بن أحمد بن جُزِّي الكلي (٧٤١هـ)، ضبط
وتصحيح وتخريج: محمَّد سالم هاشم ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت ط ، ١٤١٥هـ -
١٩٩٥م .
- ٥٥ . تصحيحُ التَّصْحِيفِ وتحريرُ التَّحْرِيفِ، صلاح الدين خليل بن أبيك الصَّفدي
(٧٦٤هـ)، تحقيق: السيِّد الشرقاوي، مراجعة: رمضان عبدالنَّوَّاب، مكتبة الخانجي
بالقاهرة، ط ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ٥٦ . التعريفات، للشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت ط ، ١
١٤٠٣هـ .
- ٥٧ . تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ)،
تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ط ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

- ٥٨ . التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، تحقيق: غازي قدوري حمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م.
- ٥٩ . تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عمّا يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لتلاوة كتاب ربه المبين ، لأبي الحسن علي النوري الصفاقسي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ٦٠ . تهذيب الأسماء ، للإمام أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م .
- ٦١ . تهذيب التهذيب، ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (٥٢٨هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٦٢ . تهذيب اللُّغة ، لأبي منصور محمّد بن أحمد الأزهريّ (٣٧٠هـ) ، الدار المصريّة للتأليف والترجمة ، ط ١، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ٦٣ . تهذيب كتاب الأفعال، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية، تأليف، أبي القاسم علي بن جعفر السعدي المعروف بابن القطاع، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٦٤ . توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (٧٤٩هـ)، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
- ٦٥ . التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، دار الكتاب العربي بيروت، ط ٢، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ٦٦ . جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٦٧. الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٦٨. الجدول في إعراب القرآن، محمود بن عبد الرحيم صافي (١٣٧٦هـ)، دار الرشيد مؤسسة الإيمان، دمشق، ط ٤، ١٤١٨هـ.
٦٩. الجمل في النحو، الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٧٠. جمهرة الأمثال، أبي هلال العسكري، دار الفكر، بيروت ط ٢، ١٩٨٨م.
٧١. جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، أبو زيد، محمد بن الخطاب القرشي (٢٣٠هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ط ١، ١٩٨١م.
٧٢. جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، الإربلي: علاء الدين بن علي، (توفّي في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري)، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار النفائس، بيروت ط ١، ١٩٩١م.
٧٣. الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، للإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للطباعة، (د.ت).
٧٤. حاشية الخضري على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، الخضري: محمد الدمياطي، (١٢٨٧هـ)، تحقيق: تركي فرحان المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١، ١٩٩٨م.
٧٥. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، الخفاجي: شهاب الدين، أحمد بن محمد بن عمر (١٠٦٩هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١، ١٩٩٧م.
٧٦. الحجّة في القراءات السبع ، لابن خالويه ، تحقيق : د. عبد العال سالم مكرم ، بيروت، ط ٥، ١٩٩٠م .

٧٧. حجّة القراءات، أبي زرعة، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (٤٠٣هـ)، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٥، ١٩٩٧م.
٧٨. الحجّة للقراء السبعة، أبو علي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل (٣٧٧هـ)، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجايي، مراجعة وتدقيق: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، ط ٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٧٩. حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي، دار الكتاب النفيس، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ.
٨٠. الحماسة البصريّة، البصري: صدر الدين، علي بن أبي الفرج بن الحسن (٦٥٦هـ)، تحقيق: عادل جمال سليمان، القاهرة، ط ١، ١٩٧٨م.
٨١. حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٧م.
٨٢. الحيوان، الجاحظ: أبو عثمان، عمرو بن بحر، (٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٦٩م.
٨٣. خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله الحموي الأزاري، تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت ط ١، ١٩٨٧م.
٨٤. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، (١٠٩٣هـ)، تحقيق: محمد نبيل طريفني، وأميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١، ١٩٩٨م.
٨٥. الخصائص، أبو الفتح، عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصريّة، المكتبة العلمية، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
٨٦. الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع، الشنقيطي: أحمد بن الأمين، (١٣٣١هـ)، تحقيق: عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت ط ١، ١٩٨٤م.

٨٧. الدُّرُّ المصنُون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسَّمين الحلبي (٧٥٦هـ) تحقيق: د. أحمد محمَّد الخراط، دار القلم، دمشق (د.ت).
٨٨. الدُّرُّ المنشور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م.
٨٩. دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله الفوزان، دار المسلم ط ١، ١٩٩٨م.
٩٠. ديوان الأعشى، طبعة دار صادر، بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٩١. ديوان النابغة الذبياني، زياد بن معاوية بن ضباب، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٩م.
٩٢. ديوان جرير، شرح د. يوسف عبيد، ط ١، دار الجيل، بيروت.
٩٣. ديوان حسَّان بن ثابت بن المنذر الأنصاري، بيروت، دار صادر، ١٩٦١م.
٩٤. ديوان ذي الرمة شرح الإمام أبي نصر الباهلي، تقديم و تحقيق: د. واضح الصمد، طبعة دار صادر ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٩٥. ديوان ذي الرمة شرح الإمام أبي نصر الباهلي، تقديم و تحقيق: د. واضح الصمد، طبعة دار صادر ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
٩٦. ديوان طفيل الغنوي بشرح الأصمعي، ط ١ دار صادر - بيروت ١٩٩٧م، تحقيق: حسان فلاح أوغلي.
٩٧. ديوان علقمة الفحل، علقمة بن عبده الفحل، تحقيق: لطفي الصقَّال، ودرية الخطيب، حلب، ١٩٧٠م.
٩٨. ديوان لبيد بن ربيعة، اعتنى به: حمَّدو طمَّاس، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٩٩. رَصْفُ المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي، (٧٠٢هـ) تحقيق: أحمد بن محمد الخراط، مطبوعات مجمَّع اللُّغة العربيَّة، دمشق ط ١، ١٣٩٤هـ.

- ١٠٠ . الرِّعَايَة، لتجويد القراءة، وتحقيق لفظ التِّلَاوَة، أبو مُحَمَّد، مَكِّي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ)، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان ط ٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ١٠١ . رغبة الأمل من كتاب الكامل، سيد بن علي المرصفي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٩٨م.
- ١٠٢ . روائع البيان تفسير آيات الأحكام، من القرآن، محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي، مشق، مؤسسة مناهل العرفان ط ٣، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ١٠٣ . روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوئي (١١٢٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).
- ١٠٤ . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين محمود الألويسي (١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت).
- ١٠٥ . الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، السهيلي: أبو القاسم، عبد الرحمن، (٥٨١هـ)، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ط ١، ١٩٩٣م.
- ١٠٦ . زاد المسير في علم التفسير، لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٤هـ.
- ١٠٧ . الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ١٠٨ . زهر الآداب وثمر الألباب، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، تحقيق: أ. د. يوسف على طويل، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ١٠٩ . السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٠هـ.
- ١١٠ . سرُّ صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: د. حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٨٥م.

- ١١١ . السراج المنير، شمس الدين، محمد بن أحمد الشربيني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- ١١٢ . الشُّنن الكبرى، النسائي: أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب، (٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١، ١٩٩١ م .
- ١١٣ . سمط اللآلي في شرح أمالي القاضي، أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري (٤٨٧هـ)، تحقيق: عبد العزيز الميني، دار الحديث، بيروت ط ٢، ١٩٨٤ م .
- ١١٤ . السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ .
- ١١٥ . الشافية في علم التصريف، جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر الدويني، تحقيق: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ط ١، ١٩٩٥ م .
- ١١٦ . شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني، (٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق، ط ١٩٨٥، ١ .
- ١١٧ . شرح الأشموني لألفية ابن مالك، الأشموني: أبو الحسن، علي بن محمد بن عيسى، (٩٠٠هـ) دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ت) .
- ١١٨ . شرح التسهيل، ابن مالك: محمد بن عبد الله، (٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، وطارق فتح السيد، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١، ٢٠٠١ م .
- ١١٩ . شرح التصريح على التوضيح، الأزهرى: خالد بن عبد الله، (٩٠٥هـ) ، بيروت، دار الفكر، (د.ت).
- ١٢٠ . شرح الرضي على الكافية، تعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قازيونس، بنغازي ط ١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ م .

١٢١. شرح الشاطبيّة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: مكتبة قرطبة للبحث العلمي ، وإحياء التراث، حسن بن عبّاس بن قطب، مؤسسة قرطبة، القاهرة ط ١، إيداع ٢٢٠٦٥/٢٠٠٤م.
١٢٢. شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي النحوي (٦٨٦هـ)، مع شرح شواهد، لعبد القادر البغدادي صاحب خزنة الأدب (١٠٩٣هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد يحيى عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
١٢٣. شرح الكافية الشافية، ابن مالك: محمد بن عبدالله، (٦٧٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط ١، (د.ت).
١٢٤. شرح اللُّمع للأصفهاني، أبي الحسن علي بن الحسين الباقولي، (٥٤٣هـ)، تحقيق: د. إبراهيم بن محمّد أبو عبادة ، إدارة الثقافة والنشر بجامعة محمد بن سعود، الرياض ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
١٢٥. شرح المفصّل، موقّق الدين ابن علي بن يعيش، النحويّ، (٦٤٣هـ) إدارة الطباعة المنيرة، مصر (د.ت).
١٢٦. شرح أبيات سيوييه، السيرافي: أبو محمد، يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله المرزبان (٣٨٥هـ) تحقيق: محمد علي الرياح هاشم، راجعه: طه عبد الرؤوف سعد، دار الفكر، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط ١، ١٩٧٤م.
١٢٧. شرح أدب الكاتب، الجواليقي: أبو منصور، موهوب بن أحمد، (٥٤٠هـ) ، تحقيق ودراسة: د. طيبة حمد بودي، مطبوعات جامعة الكويت ط ١، ١٤١٥-١٩٩٥م.
١٢٨. شرح ديوان الحماسة، المرزوقي: أبو علي ، أحمد بن محمد بن الحسن، (٤٢١هـ) نشره: أحمد أمين ، وعبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ط ١، ١٩٥٣م.

١٢٩. شرح شذور الذهب، للإمام عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق ط ١، ١٩٨٤م .
١٣٠. شرح طيبة النشر في القراءات العشر، أبو القاسم النويري، تحقيق: عبدالفتاح السيّد سليمان أبو سنة، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة ط ١، ١٤٠٦هـ.
١٣١. شرح عمدة الحفاظ وعدّة اللافظ، ابن مالك: محمد بن عبد الله، (٦٧٢هـ)، تحقيق: عدنان عبد الرحمن الدوري، مطبعة العاني، بغداد ط ١، ١٩٧٧م.
١٣٢. شرح قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام: عبد الله بن يوسف، (٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ط ١، ١٩٩٦م .
١٣٣. شرح كتاب الأمثال (فصل المقال في شرح كتاب الأمثال)، أبو عبيد البكري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٩٨٣م.
١٣٤. شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط ١، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م .
١٣٥. الشعر والشعراء، ابن قتيبة: أبو محمد، عبد الله بن مسلم الدينوري، (٢٧٦هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٨م .
١٣٦. الشمعة المضيئة بنشر قراءات السبعة المرضية، أبو السعد: زين الدين منصور بن أبي النصر بن محمد الطبلاوي (١٠١٤هـ)، تحقيق: د. علي سيد أحمد جعفر، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
١٣٧. الشّوارد، أو ما تفرّد به بعضُ أئمّة اللغة، الحسن بن محمّد بن الحسن الصّغاني (٦٥٠هـ)، تحقيق: مصطفى حجازي، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٣٨. شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، ابن مالك: محمد بن عبد الله، (٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، عالم الكتب ط ٣، ١٩٨٣م .

١٣٩. الصاحبي في فقه اللغة العربيّة، ومسائلها، وسُننِ العربِ في كلامها، أبي الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، علّق عليه ووضّع حواشيه: أحمد حسن بسج، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
١٤٠. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القلقشندي، أحمد بن علي القلقشندي، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٨٧م.
١٤١. الصّحاح (تاج اللغة وصّحاح العربيّة)، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٩٩٠، م٤.
١٤٢. صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (٢٥٦هـ)، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت ط ٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٤٣. صحيح مسلم (الجامع الصحيح)، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط ١، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.
١٤٤. ضرائر الشعر، علي بن مؤمن بن محمد، الحضرمي الإشبيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور (٦٦٩هـ)، تحقيق: إبراهيم محمّد، دار الأندلس ط ١٩٨٠، م١.
١٤٥. طبقات المفسرين، الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٤٦. ظاهرة التخفيف في اللغة العربيّة، دراسة صرفيّة صوتيّة، عبد الله محمّد زين بن شهاب، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
١٤٧. العقد الفريد، لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم الأندلسي (٣٢٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط ١٤٢٠، م٣هـ - ١٩٩٩م.
١٤٨. علل النحو، الوراق: أبو الحسن، محمد بن عبد الله (٣٨١هـ)، تحقيق: محمد جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشيد، الرياض، ط ١، ١٩٩٩م.
١٤٩. علم القراءات نشأته، أطواره، أثره في علوم الشريعة، د. نبيل بن محمد إسماعيل، طبعة دارة الملك عبدالعزيز، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٥٠. العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، ابن رشيق: أبو الحسن بن رشيق، القيرواني، الأزدي (٤٥٦ هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت ط ٥، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
١٥١. العنوان في القراءات السبع، أبو الطاهر إسماعيل بن خلف المقرئ الأنصاري الأندلسي (٤٥٥ هـ)، تحقيق: د. زهير زاهد، و د. خليل العطية، عالم الكتب، بيروت ط ١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
١٥٢. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بغداد، ط ١٩٨٠، م ١.
١٥٣. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ط ١، ١٣٨٥ هـ.
١٥٤. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١٢٥٠ هـ)، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، بيروت ط ١، ١٤١٤ هـ.
١٥٥. فتح المعطي وغنية المقرئ في شرح مقدمة ورش المصري، محمد بن أحمد المتولي، تحقيق: زيدان أبو المكارم حسن، مطبعة السعادة، مصر ط ١، ١٣٦٦ هـ.
١٥٦. في صوتيات العربية، محيي الدين رمضان، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان ط ١، ١٩٧٩ م.
١٥٧. القاموس المحيط، الفيروزآبادي: مجد الدين، محمد بن يعقوب، (٨١٧ هـ)، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة ط ١، ١٩٩٨ م.
١٥٨. قرى الضيف، ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس، أضواء السلف، الرياض، ط ١، ١٩٩٧ م.
١٥٩. قواعد التفسير، جمعاً ودراسة، خالد بن عثمان السبت، دار ابن عققان ط ١، ١٤١٥ هـ.

١٦٠. والكافي في القراءات السبع، لأبي عبد الله محمد بن شريح الرعيني الأندلسي (٤٧٦هـ)، تحقيق: أحمد محمود عبدالسميع الشافعي، دار الكتب العلميّة، بيروت ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م
١٦١. الكامل في اللغة، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت ٢٨٥هـ)، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة ط ٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م .
١٦٢. الكتاب، لأبي بشر، عمرو بن عثمان بن قمبر سيويه (١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة ط ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٦٣. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت).
١٦٤. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعلاؤها وحججها، لمكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ)، تحقيق: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة ط ٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م .
١٦٥. الكشف والبيان، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م .
١٦٦. الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغويّة)، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٦٧. اللامات، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحق الزجاجي، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٩٨٥ م .
١٦٨. اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي (بعد ٨٨٠هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٦٩. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (٧١١هـ)، دار صادر، بيروت ط ٣، ١٤١٤هـ.

١٧٠. اللمع في العربية ، ابن جني : أبو الفتح : عثمان ، (٣٩٢هـ)، تحقيق : حامد المؤمن بيروت ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ط ٢ ، ١٩٨٥ م .
١٧١. المؤلف والمختلف ، في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم ، لأبي القاسم الحسن ابن بشر الأمدي (٣٧٠ هـ) ، تصحيح وتعليق أ.د. ف. كرنكو ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .
١٧٢. ليس في كلام العرب، ابن خالويه: أبو عبد الله، الحسين بن أحمد، (٣٧٠هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٢ ، ١٩٧٩ م .
١٧٣. ما ينصرف وما لا ينصرف ، الزجاج : أبو إسحاق الزَّجَّاج (٢٣٠ - ٣١١ هـ) تحقيق : هدى محمود قراعة ، القاهرة، ط ١ ، ١٣٩١ - ١٩٧١ م .
١٧٤. مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (٢١٠هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١ ، ١٩٨٨ م .
١٧٥. مجالس ثعلب ، لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (٢٩١هـ) تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، بمصر، (د.ت).
١٧٦. مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري (٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).
١٧٧. المحتسب في تبين وجوه شواذ القرآن، أبو الفتح عثمان بن جني الموصللي (٣٩٢هـ)، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ط ١ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .
١٧٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م .
١٧٩. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، (٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية (د.ت) .
١٨٠. محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه ، إيداد خالد الطباع ، ط.دار القلم (د.ت).

١٨١. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (٦٦٦هـ)، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة جديدة، ١٤١٥ - ١٩٩٥ م .
١٨٢. مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، ابن خالويه : أبو عبد الله ، الحسين بن أحمد ، (٣٧٠هـ) ، بيروت ، عالم الكتب ، (د . ت) .
١٨٣. مختصر المعاني ، سعد الدين التفتازاني ، دار الفكر ط ١ ، ١٤١١هـ .
١٨٤. المخصَّص ، ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللُّغوي الأندلسي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م .
١٨٥. المدارس النحويَّة ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف، القاهرة ط ٧ ، (د.ت) .
١٨٦. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق: مروان محمد الشعار، دار النفائس، بيروت، ط ، ٢٠٠٥م .
١٨٧. المزهري في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ، ١٩٩٨ م .
١٨٨. المستقصى في أمثال العرب ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، دارالكتب العلمية، ط ، بيروت ، ١٩٨٧ م .
١٨٩. مشكل إعراب القرآن، لأبي محمد مكّي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ، ١٤٠٥هـ .
١٩٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت (د.ت).
١٩١. معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر ، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع ط ٤ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .
١٩٢. معاني الحروف، الرماني: أبو الحسن، علي بن عيسى، (٣٨٤هـ)، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة ط ٢ ، ١٩٨٦م .

١٩٣. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري (٣١١ هـ)، شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبده شلي، عالم الكتب ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
١٩٤. معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧ هـ)، عالم الكتب، بيروت ط ٣، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
١٩٥. المعاني الكبير في أبيات المعاني، ابن قتيبة: أبو محمد، عبد الله بن مسلم الدينوري، (٢٧٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٨ م .
١٩٦. معجم الأدباء، ياقوت: أبو عبد الله، بن عبد الله الحموي (٦٢٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩١ م .
١٩٧. معجم القراءات، د. عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م .
١٩٨. معجم القراءات القرآنية، د. أحمد مختار عمر، ود. عبد العال سالم مكرم، الكويت ط ٢، ١٩٨٨ م .
١٩٩. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد، عالم الكتب، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣ هـ .
٢٠٠. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ط ١، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
٢٠١. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر ط ٤، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
٢٠٢. المعلقات العشر، وأخبار شعرائها، أحمد أمين الشنقيطي، دار النصر للطباعة والنشر (د.ت).
٢٠٣. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام: عبد الله بن يوسف، (٧٦١ هـ)، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، مراجعة: سعيد الأفغاني، بيروت، دار الفكر ط ٥، ١٩٨٥ م .

- ٢٠٤ . مفاتيح الغيب (المشتهر بالتفسير الكبير) ، و(تفسير الفخر الرازي)، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م .
- ٢٠٥ . مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، طاش كبرى زادة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ ، ١٤٠٥هـ .
- ٢٠٦ . المفتاح في الصرف، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (٤٧١هـ) ، تحقيق: د. علي توفيق الحمّد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ٢٠٧ . مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، دار القلم، دمشق (د.ت) .
- ٢٠٨ . المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (٥٠٢هـ) ، تحقيق : محمّد سيّد كيلاّني، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).
- ٢٠٩ . المفصل في صنعة الإعراب، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: د. علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط ١٩٩٣ ، م ٣٥١/١ .
- ٢١٠ . المقتبس من اللهجات العربيّة والقرآنيّة، د. محمّد سالم محيسن، مؤسسة شباب الجامعة، للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندريّة، ط ١ ، ١٩٨٦م .
- ٢١١ . المقتضب، أبو العباس محمّد بن يزيد المبرّد (٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط ٣ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
- ٢١٢ . المقرب ومعه مثل المقرب، ابن عصفور: علي بن مؤمن بن محمد الإشيلي، (٦٦٩هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ ، ١٩٩٨م .
- ٢١٣ . من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم : محمد الطاهر بن عاشور ، د. بلقاسم الغالي، دار ابن حزم (د.ت).

- ٢١٤ . مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني (١٣٦٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.
- ٢١٥ . منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، لمحمد بن محمد ابن الجزري ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٠هـ .
- ٢١٦ . والمنصف، شرح كتاب التصريف للمازني، (٢٤٩هـ)، ابن جني، أبو الفتح عثمان (٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١، ١٩٩٩م.
- ٢١٧ . منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير، نبيل أحمد صقر، الدار المصرية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٢١٨ . المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر، د. محمد محمد سالم محيسن، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر ط ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- ٢١٩ . المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب ، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: سمير حسين حلي، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٢٢٠ . نزهة الألباء في الألقاب، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن محمد بن صالح السايدي، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٩٨٩م.
- ٢٢١ . النشر في القراءات العشر، أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، (٨٣٣هـ)، تصحيح: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- ٢٢٢ . النطق بالقرآن العظيم، ضياء الدين الجماس، مركز نور الشام للكتاب، دمشق ط ١، ١٩٩٣م .
- ٢٢٣ . نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

- ٢٢٤ . النكت في تفسير كتاب سيويه، الشنتمري: الأعلم، أبو الحجاج، يوسف بن سليمان بن عيسى (٤٧٦هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، ط ١، ١٩٨٧ م .
- ٢٢٥ . النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (٤٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- ٢٢٦ . النّوادر في اللغة، أبو زيد: سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري، (٢١٥هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٦٧ م .
- ٢٢٧ . همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (٩١١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر (د.ت).
- ٢٢٨ . الوافي في شرح الشاطبيّة في القراءات السبع، عبدالفتاح عبدالغني القاضي، (١٤٠٣هـ)، مكتبة السوادي، السعودية، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .

ثالثاً: الرسائل الجامعية :

- ١ . إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر، أبو العز محمد بن الحسين بن بُندار الواسطي القلانسي (٥٢١ هـ)، تحقيق ودراسة: عمر حمدان الكبسي، للحصول على درجة الماجستير، إشراف: أ.د. السيّد رزق الطويل، جامعة أم القرى، مكّة المكرمة، كلية اللغة العربيّة، قسم الدراسات العليا، فرع اللغة والنحو والصّرف، ١٤٠٣هـ - ١٤٠٤هـ.
- ٢ . القراءات القرآنيّة في تفسير فتح القدير الشوكاني (دراسة لغويّة ونحويّة) رسالة تقدّم بها عبدالله أحمد حمزة النهاري إلى مجلس كليّة التربية ، الجامعة المستنصريّة ، إشراف أ.د. خليل إبراهيم العطية ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .
- ٣ . القراءات القرآنيّة في المعجمات اللغويّة حتّى نهاية القرن السابع الهجري، رسالة تقدّم بها: عبدالرحمن مطلق وادي الجبوري إلى كليّة الآداب في جامعة بغداد، إشراف د. فاضل السامرائي (جماد آخرة ١٤١٠هـ - كانون ثانٍ ١٩٩٠ م) .

٤ . الموضح في وجوه القراءات وعللها، نصر بن علي بن محمّد، أبي عبد الله، الشيرازي، الفارسي، المعروف بابن أبي مريم (٥٦٥هـ)، رسالة دكتوراة في جامعة أمّ القرى، كَلِيّة اللّغة العربيّة، فرع اللّغة، الرياض، تحقيق، ودراسة: عمر حمدان الكبيسي، بإشراف د. عبد الفتّاح إسماعيل شلي، ١٤٠٨هـ.

٥ . الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة للحافظ أبي عمرو الداني، تحقيق ودراسة: محمد شفاعت ربّاني، رسالة لنيل الدرجة العالمية (الماجستير) من كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، (شعبة التفسير وعلوم القرآن).

رابعاً :

١ . مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الشرعية) المجلد الثالث عشر - العدد الثاني.

٢ . مجلة مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة . الأعداد (٨١ - ١٠٢) - (٨٨ / ٩).